DOWNLOAD | حمّل

الجامع لأعمال الأمير

أبي مصعب الزرقاوي تقبّله الله



الطبعة الرابعة 1447 هـ

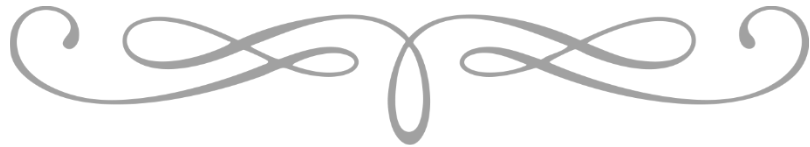
مشروع إتقان

مركز إنتاج الأنصار | صرح الخلافة

بسم الله الرحمن الرحيم



الجامع لأعمال الأمير أبي مصعب الزرقاوي تقبله الله



الطبعة الرابعة ١٤٤٧ هـ

مركز إنتاج الأنصار



مؤسسة صرح الخلافة



الفهرس

مقدمة الطبعة الثالثة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

يسر إخوانكم في مؤسسة صرح الخلافة، أن يقدموا لكم الجامع الكامل لكلمات وكتابات الأمير المجاهد أبي مصعب الزرقاوي -تقبله الله-. وتتميز هذه الطبعة بعدة أمور: منها مراجعة الكلمات المفرغة مع الصوتي أو المرئي وتصحيح الأخطاء والنقص في الطبعة الأولى. ومراجعة الكتابات نحويًا وإملائيًا، وتصويب الأخطاء التي وقعت في النسخ المنشورة. وتوحيد علامات الترقيم والسير على منهجية معينة في هذا المجموع، عدا الكتابات، فضلنا أن تترك كما رتبها الزرقاوي، عدا علامة التنصيص لاختلاف منهجيته. ومن مزايا هذه الطبعة: أنه تخريج الأحاديث النبوية وآثار الصحابة، واعتمد في التصحيح والتضعيف على أقوال أهل العلم بالحديث. ولم نضع أرقام وطبعات كتب الحديث، لأنه تتوفر طبعات جديدة تغير معها الترتيب القديم في أرقام الأحاديث فاكتفي بالاسم في أغلبها. وفي كتيب واعتصموا، أبقي على تخريجات ميسرة الغريب -تقبله الله-. وكذلك عزو الاقتباسات والأبيات الشعرية إلى الكتب، ووضعت مراجع إضافية في بعض المواطن، حتى يرجع القارئ إليها في نفس الباب الذي تحدث عنه الزرقاوي. ووضعنا صفحة فيها الترتيب الزماني للمواد، وصفحة أخرى فيها المراجع وطبعات الكتب.

ومن مقاصدنا في هذا العمل، أن يخرج هذا الجامع على هيئة كتاب يليق بمقام الأمير تقبله الله. وكذلك يكون النص من كلامه في حال الترجمة أو الاقتباس هو النص السليم دون أخطاء إملائية أو تحريف للمعنى، وما زاد أو تصرف الزرقاوي على الاقتباسات وضع علامة [ ]، حتى لا يختلط على القارئ.

نسأل الله العلي العظيم أن يكون هذا الكتاب فيه خير للمسلمين، وأن يرزق الشهيد الزرقاوي الفردوس الأعلى.

إخوانكم في صرح الخلافة



مقدمة الطبعة الرابعة

الحمد لله ربِّ العالمين، والعاقبة للمتَّقين، والصَّلاة والسَّلام على نبينا محمَّد، وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أمَّا بعد:

يسرُّ إخوانُكم في مؤسَّسة صرح الخلافة أن يقدِّموا لكم الطَّبعة الرابعة للجامع الكامل لأعمال الشَّيخ أبي مصعب الزَّرقاوي -تقبله الله-، وقد تميَّزت هذه الطَّبعة على ما سبقها بأشياءَ عدَّة، منها:

- مراجعةُ الطَّبعة السَّابقة كاملًا، وتعديلُ الأخطاءِ النَّحويَّة والإملائيَّة فيها، وضبطُ النُّصوص والهوامش والمراجع، وتعديلُها إلى ما يوافق النَّحو.

- كما هو دأبُ مشروعِ إتقان؛ فقد ضبطَ الاقتباساتِ والكلماتِ، وعدَّل الأخطاءَ النَّحويَّة والإملائيَّة، ولم يكتف بالكلمات والمحاضرات فحسب، بل أقدم على تعديل الأخطاء في الرسالات والكتيب أيضًا، فخرجتْ هذه الطَّبعة بأحسنِ حلَّة وأجملِ أسلوبٍ وأعذبِ بيان، ولله الحمد ومنهُ الامتنان.

- إضافةُ عناوينَ فرعيَّةٍ جديدةٍ في سلسلتي (هل أتاك حديثُ الرَّافضة) و (لا يضرُّهم مَن خذلهم)؛ حتَّى تكتملَ بها الفائدةُ وينتفعَ بها الخليقةُ، ولله الفضلُ والمنَّة.

- كما وإنَّ من ضمن المشروع تحريرَ سيرةٍ كاملةٍ شاملةٍ للأمير أبي مصعب باسم (درر القلائد في سيرة الزَّرقاوي القائد)، ليكون القارئ على علم بمسيرة حياته ودعوته وجهاده وابتلائه واستشهاده -تقبله الله-.

نسأل الله أن يتقبَّل الشَّيخ، وأن يعليَ درجته في علِّيين، وأن يحشره مع النَّبيين والصدِّيقين والشُّهداء والصَّالحين، وحسن أولئك رفيقًا، وأن يهديَ بهذا الجامع مَن ضلَّ مِن شيبِ وشبابِ هذه الأمَّة؛ إنَّه وليُّ ذلك والقادرُ عليه، والحمدُ لله ربِّ العالمين.



قسم الصوتيات والمرئيات المفرغة







فترة جماعة التوحيد والجهاد





الكلمة الأولى: الحَقْ بِالقافِلة [صوتية]

١٢ ذو القعدة ١٤٢٤ هـ || ٤ يناير ٢٠٠٤ م

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وتركها على المحجّة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠-٧١]. أمَّا بعد:

وَقَد يَجمَعِ اللهُ الشَّتيتَينِ بَعدَما *** يَظُنّانِ كُلَّ الظَّنِّ أَن لا تَلاقِيا[١]

فإلى إخوة المنهج ورفاق الدرب وأخلاء الروح؛ أخاطبكم والشوق يحدوني، وأمل اللقاء يدفعني أن يجمع الله الشمل، وأن يلتئم الجمع كرة أخرى على طاعة الله والجهاد في سبيل الله. أخاطبكم وأنا أنتظر اليوم الذي تصلون فيه حبال الود السابق، وترممون فيه بناء الأخوة السالفة.

حُبِّي لَكُمْ يَا إِخْوَتِي لَمَّا يَعُدْ *** سِرًّا وَكَيْفَ وَكُلُّ عَيْنٍ تَنْطِقُ؟
بِمَحَبَّةِ اللهِ العَلِيِّ أُحِبُّكُمْ *** حُبًّا عَلَى جَنَبَاتِ قَلْبِي يُشْرِقُ
فَلِكُلِّ فَرْدٍ فِي الفُؤَادِ مَكَانُهُ *** مَا ضَاقَ عَنْهُ القَلْبُ وَهْوَ الضَّيِّقُ[٢]

أخاطبكم بعد أن قلّ الموافق، وعزّ النصير، وكثرت الجراح، واشتدّ الخطب، وتخطفت يد المنون كثيرًا من الفرسان الأوائل، والأبطال الأماثل، وقد أخرنا الله لحكمة يعلمها.

---

[١] من قصيدة المؤنسة، الشاعر قيس بن الملوح (مجنون ليلى).
[٢] همسات للسراة، علي القرني.

ونحن نعاهده سبحانه ونعاهدكم أن نظل شجًا في حلوق الطغاة، وسيفًا مصلتًا على رقاب الظالمين، وجندًا للإسلام؛ نذود عن حياضه، ونستسهل في سبيله الصعب، ونسترخص نفوسنا حتى يظهره الله أو نهلِك دونه.

أخاطبكم مشفقًا ناصحًا، وحزينًا متعجبًا أن يتخلف مثلكم عن الركب، ويستأخر بعضكم يستبقي الحياة، ويثّاقل جمعكم عن النفير، وقد أتاكم الصليب، وأجلب عليكم بخيله ورجله، ورماكم عن قوس واحدة.

فأين حديث الماضي، وسمر الليالي، وجراحات الأيام، وآهات المشتاقين إلى الجهاد والجنان والحور؟! أترضون لأنفسكم مثل السوء؟!

قال الله سبحانه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّواْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدَّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلًا * أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ} [النساء: ٧٧-٧٨].

فها هي أمريكا جاءت بقضها وقضيضها، وأقبلت بفخرها وخيلائها تحادّ الله ورسوله، فأين أسود الشرى، وفرسان الميدان، وأبطال التوحيد، ورجال العقيدة؟!! {هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ} [البقرة: ٢٤٦].

لقد قال أئمتنا قديمًا: (إذا أردت أن تعرف مقامك؛ فانظر الحق فيمَ أقامك)[١]، فطوبى لمن أقامه الله في مقام الجهاد، والنكاية في أعدائه، والتحريض عليه.

قال سبحانه وتعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا} [النساء: ٨٤]، وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا

[١] قول ابن عطاء الله، نقله المناوي في فيض القدير، (ج٦/ ص٤٩).

النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} [الأنفال: ٦٥]، وقال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [الصف: ١٠-١٣].

وقد أخرج ابن ماجه عن كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول: قال رسول الله ﷺ: "أَلَا مُشَمِّرٌ لِلْجَنَّةِ؟ فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا خَطَرَ لَهَا، هِيَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ نُورٌ يَتَلَأْلَأُ، وَرَيْحَانَةٌ تَهْتَزُّ، وَقَصْرٌ مَشِيدٌ، وَنَهَرٌ مُطَّرِدٌ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ نَضِيجَةٌ، وَزَوْجَةٌ حَسْنَاءُ جَمِيلَةٌ، وَحُلَلٌ كَثِيرَةٌ، فِي مَقَامٍ أَبَدًا فِي حَبْرَةٍ وَنَضْرَةٍ فِي دُورٍ عَالِيَةٍ سَلِيمَةٍ بَهِيَّةٍ"، قالوا: (نَحْنُ الْمُشَمِّرُونَ لَهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ)، قال: "قُولُوا إِنْ شَاءَ اللَّهُ"، فقال القوم: (إِنْ شَاءَ اللَّهُ[1])، ثُمَّ ذَكَرَ الْجِهَادَ وَحَضَّ عَلَيْهِ[2].

وعن علي -رضي الله عنه- موقوفًا قال: (من حرض أخاه على الجهاد كان له مثل أجره، وكان له في كل خطوة من ذلك عبادة سنة)[3].

فَالنَّصرُ يَا قَوْمِ لَنْ تَهْمِي سَحَائِبُهُ *** إِلاَّ بِجِيلٍ عَظِيمِ البَذْلِ مِغْوَارِ
هُبُّوا وَلَبُّوا فَمَا فِي البُؤْسِ مِنْ رَغَدٍ *** فَالجِذْعُ مِنْ مَكَّةَ، والغُصْنُ أَنْصَارِي
وَلَمْ تَزَلْ رَايَةُ التَّوْحِيدِ خَافِقَةً *** ومُرْهَفُ الحَدِّ مَسْنُونٌ عَلَى النَّارِ[4]

وقد آلمنا وقرح أكبادنا أنا رأينا الجهاد قد درست آثاره فلا تُرى، وطُمست أنواره بين الورى، وأعتم ليله بعد أن كان مُقمرًا، وأظلم نهاره بعد أن كان نيّرًا، وذوى غصنه بعد أن كان مورقًا، وانطفأ حُسنه بعد أن كان مشرقًا، وقفلت أبوابه فلا تطرق، وأغللت أسبابه فلا ترمق، وصفنت خيوله فلا تركض، وربضت أسوده فلا تنهض، وامتدت أيدي الكفرة الأذلاء إلى المسلمين فلا تقبض، وأغمدت

---

[1] هذه الزيادة في رواية الترغيب والترهيب، للمنذري.

[2] ورواه ابن حبان والبخاري في التاريخ الكبير وأبو نعيم في صفة الجنة والبيهقي في الأسماء والصفات من طريق الوليد بن مسلم وروي من طرق أخرى، قال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لجهالة الضحاك المعافري، فقد تفرد بالرواية عنه محمَّد بن مهاجر.

[3] ذكر هذا الأثر ابن النَّحاس في مشارع الأشواق (ج١/ص٢١١) ولم يذكر له مُخرِّجًا.

[4] همسات للسراة، علي القرني.

السيوف من أعداء الدين إخلادًا إلى حضيض الدعة والأمان، وخرس لسان النفير إليهم فصاح نفيرهم في أهل الإيمان، وآمت عروس الشهادة إذ عدمت الخاطبين، وأهمل الناس الجهاد كأنهم ليسوا به مخاطبين.

فلا نجد إلا من طوى نشاطه عنه، أو اثّاقل إلى نعيم الدُّنيا الزائل رغبة عنه، أو تركه جزعًا من القتل وهلعًا، أو أعرض عنه شحًّا عن الإنفاق وطمعًا، أو جهل ما فيه من الثواب الجزيل، أو رضي بالحياة الدُّنيا من الآخرة، {فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنيا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} [التوبة: ٣٨].

فيا إخوة العقيدة؛ بم تتعللون وأنتم أهل الحق؟! وما الذي يقعد بكم يا أهل الصدق؟! ألأهل والأولاد والمساكن؟! قال الله تعالى: {قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} [التوبة: ٢٤]؛ قال صاحب المشارع: (في هذه الآية الشريفة من التهديد التحذير والتخويف لمن ترك الجهاد رغبة عنه، وسكونًا إلى ما هو فيه من الأهل والمال: ما فيه كفاية، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

وقال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنيا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنيا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} [التوبة: ٣٨]؛ قال القرطبي -رَحِمَه الله-: (هذا توبيخ على ترك الجهاد، وعتاب على التقاعد عن المبادرة إلى الخروج، وقوله: {اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ}؛ أي: إلى نعيم الأرض، أو الإقامة في الأرض)[١].

قال الله تعالى: {فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلاَفَ رَسُولِ اللهِ وَكَرِهُواْ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَقَالُواْ لاَ تَنفِرُواْ فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُواْ قَلِيلًا وَلْيَبْكُواْ كَثِيرًا جَزَاء بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ * فَإِن رَّجَعَكَ اللهُ إِلَى طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُواْ مَعَ الْخَالِفِينَ * وَلاَ

---

[١] اختصره وذكره بالمعنى النحاس. والنص الكامل في الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ج١٠|ص٢٠٧).

تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلاَ تَقُمْ عَلَىَ قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَاسِقُونَ} [التوبة: ٨١-٨٤].

فانظر -رحمك الله- إلى هذا الوعيد الشديد، والخزي العظيم، والوبال الأليم لمن تخلف عن الجهاد وتقاعد عنه وكره الإنفاق فيه! وهذه الآيات وإن كانت نزلت في أقوام بأعيانهم؛ فإنَّ فيها ترهيبًا وتهديدًا لمن فعل كفعلهم، وتخلف عن الواجب كتخلفهم، وناهيك عن ذلك فعلًا شنيعًا، ووعيدًا فظيعًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله، فهل بعد هذا الخذلان خذلان!! فاتقوا الله واحذروا مكره لمن تخلف عن أمره)[١].

وقال صاحب المشارع -رَحِمَه الله-: (اعلم أيها الراغب عما افترض عليه من الجهاد، الناكب عن سنن التوفيق والسداد: أنك قد تعرضت إلى الطرد والإبعاد، وحُرمت -والله- الإسعاد بنيل المراد، ليت شعري: هل سبب إحجامك عن القتال، واقتحامك معارك الأبطال، وبخلك في سبيل الله بالنفس والمال: إلا طول أمل، أو خوف هجوم أجل، أو فراق محبوب من أهل ومال، أو ولد وخدم وعيال، أو أخ لك شقيق، أو قريب عليك شفيق، أو ولي كريم، أو صديق حميم، أو حب زوجة ذات حسن وجمال، أو جاه منيع، أو منصب رفيع، أو قصر مشيد، أو ظل مديد، أو ملبس بهي، أو مأكل هني؟! ليس غير هذا يقعدك عن الجهاد، ولا سواه يبعدك عن رب العباد، وتالله ما هذا منك أيها الأخ بجميل! ألا تسمع قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ} [التوبة ٣٨]؟!

أصغِ لما أُملي عليك من الحجج القاطعة، واستمع ما ألقي عليك من البراهين الساطعة؛ لتعلم أنه ما يقعدك عن الجهاد سوى الحرمان، وليس لتأخرك سببًا إلا النفس والشيطان، وأما سكونك إلى طول الأمل، وخوف هجوم الأجل، والاحتراز من الموت الذي لا بد من نزوله، والإشفاق من الطريق الذي لا بد من سلوك سبيله؛ فوَالله إن الإقدام لا ينقص عمر المقدمين، كما لا يزيد الإحجام

[١] (ج١/ص١٠٤-١٠٥).

عمر المستأخرين: {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ} [الأعراف ٣٤]، {وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ } [المنافقون: ١١]، {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ} [العنكبوت: ٥٧].

وإن للموت سكرات أيّها المفتون، وإن هول المطلع شديد ولكن لا تشعرون، وإن للقبر عذابًا لا ينجو منه إلا الصالحون، وإن فيه لسؤال الملكين الفاتنين، {يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاء} [إبراهيم: ٢٧]، ثم بعد ذلك الخطر العظيم؛ فإما سعيدًا فإلى النعيم المقيم، وإما شقيًّا فإلى عذاب الجحيم، والشهيد آمِن من جميع ذلك، لا يخشى شيئًا من هذه المهالك، وقد قال الرسول ﷺ: "لا يجد الشهيد من ألم القتل إلا كمس القرصة"[١].

فما يقعد بك أيها الأخ عن انتهاز هذه الفرصة، ثم تُجار في القبر من العذاب، وتفوز عن الله بحسن المآب، وتأمن من فتنة السؤال، وما بعد ذلك من الشدائد والأهوال؟ فالشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، فرحين بما آتاهم الله من فضله مستبشرين، أرواحهم في جوف طير خضر تسرح في عليين، فكم بين هذا الموت الكريم، وبين الموت الأليم!)[٢].

لَئِنْ كَانَتِ الدُّنيا تُعَدُّ نَفِيسَةً *** فَدَارُ ثَوَابِ اللهِ أَعْلَى وَأَنْبَلُ
إِنْ كَانَتِ الْأَبْدَانُ لِلْمَوْتِ أُنْشِئَتْ *** فَقَتْلُ سَبِيلِ اللهِ بِالسَّيْفِ أَفْضَلُ
وَإِنْ كَانَتِ الْأَرْزَاقُ شَيْئًا مُقَدَّرًا *** فَقِلَّةُ سَعْيِ الْمَرْءِ فِي الْكَسْبِ أَجْمَلُ
وَإِنْ كَانَتِ الْأَمْوَالُ لِلتَّرْكِ جُمِّعَتْ *** فَمَا بَالُ مَتْرُوكٍ بِهِ الْمَرْءُ يَبْخَلُ[٣]؟

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ

---

[١] رواه التِّرْمِذِيُّ وغيره بلفظ: "ما يجد الشهيد من مس القتل، إلا كما يجد أحدكم مس القرصة" وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب. ورواه بنحوه النسائي والطبراني وابن حبان.

[٢] (ج١/ص١١٣-١١٥).

[٣] من أبيات الحسين بن علي –رضي الله عنهما–، البداية والنهاية، ابن كثير (ج١١/ص٥٩٤).

يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: ٥٤]، وسياق الآيات يبين أن ذلك بسبب موالاة الكفار والركون إليهم.

فماذا ستفعل يا رب؟ {فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: ٥٤].

من هؤلاء المصطفون؟ من هؤلاء الكرام الذين يدّخرهم الله لإعزاز دينه ورفع رايته، حين ينكص الناس وينفض جمع الإيمان؟ {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ} [المائدة: ٥٤].

ثم ماذا يا رب؟ {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ} [المائدة: ٥٤].

لكن الله يقرر أن هذا الأمر محض الفضل وخالص الإحسان، وليس يناله كل أحد: {ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: ٥٤].

فحذار حذار من التخلف عن ذلك الركب! واحرص -يا أخ التوحيد- أن تكون من هؤلاء الذين يحبهم الله ويحبونه؛ فإن القافلة إذا سارت وشُدت الرحال: تخلف العاطل، وظهر الحق من الباطل؛ قال تعالى: {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١١١].

لمّا كثُر المدّعون للمحبة طُولِبوا بإقامة البينة على صحة الدعوى، فلو يُعطى الناس بدعواهم لادعى الخلي حرقة الشجي؛ فتنوع المدعون في الشهود، فقيل: (لا تُقبل هذه الدعوى إلا ببينة)، {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ} [آل عمران: ٣١]، فتأخر الخلق كلهم، وثبت أتباع الحبيب في أفعاله وأقواله وأخلاقه، فطولبوا بعدالة البينة بتزكية؛ {يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ} [المائدة: ٥٤]، فتأخر أكثر المحبين وقام المجاهدون، فقيل لهم: إن نفوس المحبين وأموالهم ليست لهم فهلموا إلى بيعة، {إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ} [التوبة: ١١١].

فلما عرفوا عظمة المشترى وفضل الثمن، وجلالة من جرى على يديه عقد التبايع؛ عرفوا قدر السلعة، وأن لها شأنًا، فرأوا من أعظم الغبن أن يبيعوها لغيره بثمن بخس، فعقدوا معه بيعة الرضوان بالتراضي من غير ثبوت خيار، وقالوا: (والله لا نقيلك ولا نستقيلك)، فلما تم العقد وسلموا المبيع؛ قيل لهم: (منذ صارت نفوسكم وأموالكم لنا؛ رددناها عليكم أوفر ما كانت وأضعافها معها)، {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [آل عمران: ١٦٩-١٧٠][١]، قال ابن كثير -رَحِمَه الله-: (يخبر تعالى أنه عاوض عباده المؤمنين عن أنفسهم وأموالهم إذ بذلوها في سبيله بالجنة، وهذا من فضله وكرمه وإحسانه، فإنه قَبِلَ العوض عمَّا يملكهُ بما تفضَّل به على عباده المطيعين له؛ ولهذا قال الحسن البصري وقتادة: بايعهم الله فأغلى ثمنهم)[٢].

وقال تعالى: {وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء} [آل عمران: ١٤٠]، قال السهيلي -رَحِمَه الله-: (وفيه فضل عظيم للشهداء، وتنبيه على حب الله إياهم)[٣].

وفي الصحيحين عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "ما مِن أحَدٍ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أنْ يَرْجِعَ إلى الدُّنيا، وأنَّ له ما علَى الأرْضِ مِن شيءٍ، غَيْرُ الشَّهِيدِ، فإنَّه يَتَمَنَّى أنْ يَرْجِعَ، فيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ، لِما يَرَى مِن فَضْلِ الشَّهادَةِ"[٤].

ولما قُتل عبد الله بن عمرو بن حرام يوم أحد، قال النبي ﷺ: "يَا جَابِرُ! أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللَّهُ لِأَبِيكَ؟ مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا؛ فَقَالَ: {يَا عَبْدِي تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ}، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فقالَ: {إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ}، قَالَ:

[١] الصواب أن هذا تفسير لآية: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١١١].

[٢] تفسير القرآن العظيم، (ج٤/ص٢١٨).

[٣] الروض الأنف (ج٦/ص٨٣).

[٤] وفي رواية: "لما يرى من الكرامة".

يَا رَبِّ فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعالَى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: ١٦٩]"[١].

وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: "لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ العرْشِ فلمَّا وجَدوا طِيبَ مأكَلِهِم ومشرَبِهِمْ ومَقِيلِهِم، قَالُوا: مَنْ يُبَلِّغُ إِخوانَنا عنا أَنَّنا أَحْيَاءٌ فِي الْجَنَّةِ لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجَنَّةِ وَلَا يَنكُلوا فِي الحربِ فَقالَ اللَّهُ: {أَنا أُبَلِّغُهُم عَنْكُمْ}، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعالَى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}[آل عمران: ١٦٩]"[٢].

وعن عبد الله بن عمر –رضي الله عنهما– قال: سمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ أَوَّلَ ثُلَّةٍ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ الْفُقَرَاءُ الْمُهَاجِرُونَ، الَّذِينَ تُتَّقَى بِهِمُ الْمَكَارِهُ، إِذَا أُمِرُوا سَمِعُوا وَأَطَاعُوا، وَإِنْ كَانَتْ لِرَجُلٍ مِنْهُمْ حَاجَةٌ إِلَى السُّلْطَانِ، لَمْ تُقْضَ لَهُ حَتَّى يَمُوتَ وَهِيَ فِي صَدْرِهِ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْعُو يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْجَنَّةَ، فَتَأْتِي بِزُخْرُفِهَا وَرِيِّهَا فَيَقُولُ: {أَيْنَ عِبَادِيَ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقُتِلُوا فِي سَبِيلِي، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي، وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِي، ادْخُلُوا الْجَنَّةَ}. فَيَدْخُلُونَهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ، وَلَا عَذَابٍ، فَتَأْتِي الْمَلَائِكَةُ فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا نَحْنُ نُسَبِّحُ لَكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، وَنُقَدِّسُ لَكَ مَنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آثَرْتَهُمْ عَلَيْنَا؟، فَيَقُولُ: {هَؤُلَاءِ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِي، وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي [...]}"[٣].

وعن ابن مسعود –رضي الله عنه– أنه سُئِلَ عن قوله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا} [آل عمران: ١٦٩]؟ فقال: (أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَأُخْبِرْنَا: أَنَّ أَرْوَاحَهُمْ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَسْرَحُ فِي الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مُعَلَّقَةٍ بِالْعَرْشِ. فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّكَ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ: {هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا فَأَزِيدُكُمْ}، قَالُوا: رَبَّنَا وَمَا نَسْتَزِيدُ وَنَحْنُ فِي الْجَنَّةِ نَسْرَحُ حَيْثُ شِئْنَا؟ ثُمَّ

[١] ذكره الزرقاوي مختصرًا، أخرجه التِّرْمِذِيُّ وابن ماجه باختلاف يسير (إسناده حسن).

[٢] رواه أحمد بهذا اللفظ في مسند بني هاشم، ورواه أبو داود بنحوه في فضل الشهادة. قال الأرنؤوط: إسناده حسن، ابن إسحاق حسن الحديث، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي الزبير، فمن رجال مسلم.

[٣] رواه أحمد والحاكم بلفظه والبزار، وصححه الحاكم والذهبي.

اطَّلَعَ إِلَيْهِمُ الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: {هَلْ تَسْتَزِيدُونَ شَيْئًا فَأَزِيدُكُمْ}. فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَمْ يُتْرَكُوا، قَالُوا: تُعِيدُ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى الدُّنيا فَنُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى)[١].

وفي [مسلم][٢] عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال ﷺ: "تَضَمَّنَ الله لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إِلَّا جِهَادٌ فِي سَبِيلِي، وَإِيمَانٌ بِي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ أُرْجِعَهُ إِلَى مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أجْرٍ، أَوْ غَنِيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِمَ؛ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا أَنْ يَشُقَّ عَلَى المُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أبدًا، وَلكِنْ لَا أجِدُ سَعَةً فأحْمِلُهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أَنْ أغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أغْزُوَ فَأُقْتَلَ".

فأي فضل بعد هذا الفضل؟ وأي منة بعد هذه المنة؟ وأي شرف بعد هذا الشرف؟!

فهذه أمريكا بين ظهرانينا، فتعالوا فاشتفوا منها، وارووا ظمأكم من دمائها، تعالوا لتذودوا عن أعراض المسلمات، ولتظفروا بهذه البشارة الكريمة.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، عن النبي ﷺ قال: "لا يَجْتَمِعُ كافِرٌ وقاتِلُهُ فِي النَّارِ أبَدًا"، وروى ابن أبي شيبة عن سلمان بن أبي ربيعة أنه قال: (قَتَلْتُ بِسَيْفِي هَذَا مِائَةَ مُسْتَلْئِمٍ كُلُّهُمْ يَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ، مَا قَتَلْتُ مِنْهُمْ رَجُلًا صَبْرًا). وعن ابن سيرين، اسْتَلْقَى الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ عَلَى ظَهْرِهِ، فَتَرَنَّمَ فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: (اذْكُرِ اللَّهَ يَا أَخِي)، فَاسْتَوَى جَالِسًا وَقَالَ: (أَيْ أَنَسُ أَتُرَانِي أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي، وَقَدْ قَتَلْتُ مِائَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مُبَارَزَةً سِوَى مَا شَارَكْتُ فِي قَتْلِهِ)[٣].

واحذر -يا أخ التوحيد- من مزالق الشيطان ومداخله؛ واحذر أن يحول بينك وبين الجهاد في سبيل الله ويضع أمامك العوائق والأسباب التي تبرر لك القعود والتخلف عن الجهاد -حتى وإن

---

[١] رواه مسلم والتِّرْمِذِيُّ واللفظ له وابن ماجه (صحيح).
[٢] في الكلمة: البخاري، والصواب أن البخاري روى بعضه.
[٣] رواه عبد الرزاق في كتاب الجهاد واللفظ له، وراه ابن أبي شيبة.

كانت هذه الأعمال طاعة لله ورسوله – فإن هذا الشيطان الطريد المريد لا يفتأ يحول بين العبد وبين ما يرضي ربه.

ورحم الله ابن القيم حين نبّه على هذا الأمر الخطير، وقال ما معناه: (إن الشيطان ملحاح بطيء اليأس، وهو يترصد للمؤمن ويقعد له في طريق سيره إلى الله، ثم ينصب له فخاخًا وأشراكًا، لا يتدلى إلى الأدنى إلا إذا عجز عن الأعلى، فيبدأ له بنصب فخ الشرك والكفر؛ فإن نجا منه نصب له شَرك البدعة، فإن جاوزه أعد له شَبكة الكبائر، فإن تخطاه أعد له شَرك الصغائر، فإن نجا شغله بالمباح، فإن عجز ترصد وكمن له في عقبة العبادات المفضولة، فشغله بها وحسنها بعينه، وزينها له وأراه ما فيها من الفضل والربح ليشغله بها عما هو أفضل منها وأعظم كسبًا وربحًا؛ لأنه لما عجز عن تخسيره أصل الثواب طمع في تخسيره كماله وفضله ودرجاته العالية، فشغله بالمرضي عن الأرضى له، فيشغله بطلب علم الكفاية عن فرض العين من الجهاد، ويزين له جهاد الدعوة وقد انفتح باب جهاد السيف على مصراعيه)[1].

وقد قال تعالى: {أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللهِ لاَ يَسْتَوُونَ عِندَ اللهِ وَاللهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [التوبة: ١٩].

وقديمًا قال أئمتنا: (ليس الفقيه الذي يعرف الخير، وإنما الفقيه الذي يعرف خير الخيرين)[2].

وقد خرّج ابن المبارك بإسناده عن صفوان، أنَّ أبا هريرة قال: (أَيَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقُومَ فَلَا يَفْتُرُ، وَيَصُوم فَلَا يُفْطِر، مَا كَانَ حَيًّا؟) فقيل: (يا أبا هريرة، ومن يُطيق هذا؟)، فقال: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ يَوْمَ الْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْهُ)[3].

---

[1] هذا النص منسوبٌ خطأً لابن القيم، ولا يعلم قائله.

[2] لا أصل له بلفظ (الفقيه) وإنما الصواب لفظ (العاقل). نقله عن الشافعي، أبو نعيم الأصفهاني في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (ج٩/ص١٣٩). ونقله عن عمرو بن العاص –رضي الله عنه–، ابن أبي الدُّنيا في الإشراف في منازل الأشراف (ص٢٦٤).

[3] كتاب الجهاد، (ص٦٤).

فهذه درجة نائمهم فكيف قائمهم؟! وإذا كانت هذه رتبة غافلهم فكيف بعاملهم؟! وإذا كان هذا خطر شراك نعالهم فكيف بخطير أفعالهم؟!

تالله إن هذا لهو الفضل المبين، لمثل هذا فليشمر المشمرون، وعلى فواته فليبك العاجزون المقصرون، وعلى ضياع العمر فليحزن المفرطون، فكم من الأحباب يا رب اصطفيتهم، واتخذتهم من بيننا، وحرمتنا من ذلك بذنوبنا، اللهم فلا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنّا بعدهم، وألحقنا بهم.

وإن كنت أنسى، فلا أنسى في هذا المقام إخواننا الشهداء رحمهم الله، الذين كانوا معنا في السراء والضراء، وصبروا معنا على لأواء الطريق، وعلى رأسهم الأخ الحبيب الغالي الشهيد الحي -نحسبه كذلك والله حسيبه- أبو عبيدة عبد الهادي دغلس؛ فوَالله ما رزئت بمصيبة -بعد أن هداني الله- بمثل فقد هذا الأخ، هذا الأخ الذي كنت أستصغر نفسي أمامه؛ لفرط شجاعته وإقدامه، وصبره وحسن خلقه، فعلى مثل عبد الهادي فلتبكِ العيون، فعلى مثل عبد الهادي فلتبكِ العيون.

فكلما تذكرته تذكرت حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي رواه أحمد وابن حبان، عن ابن مسعود أنه قال: "عَجِبَ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ مِنْ رَجُلَيْنِ، -وذكر منهما-: رَجُلٍ غَزَا فِي سَبِيلِ اللهِ، فَانْهَزَمَ أَصْحَابُهُ، فَعَلِمَ مَا عَلَيْهِ فِي الانْهِزَامِ وَمَا لَهُ فِي الرُّجُوعِ، فَرجَعَ حَتَّى يُهَرِيقَ دَمُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لمَلائِكَتِهِ: {انْظُرُوا إِلَى عَبْدِي، رَجَعَ رَجَاءَ فِيمَا عِنْدِي، وَشَفَقَةً مِمَّا عِنْدِي، حَتَّى أُهَرِيقِ دَمُهُ}"[١]، فيوم أن اضطر المجاهدون إلى أن يخلوا مواقعهم نتيجة القصف الشديد والمتواصل أبى أن يرجع، وتبايع على الموت -هو وثلة من إخوانه- وانغمسوا في العدو نسأل الله أن يتقبلهم.

مَاتُوا وغيِّب فِي التُرابِ شخُوصهُم *** والنَّشرُ مِسكٌ والعظامُ رميمُ[٢]

فوالله لقد كان جبلًا من الجبال، وأسدًا من الأسود، وعابدًا من العباد، وزاهدًا من الزهاد، ترى الصلاح في وجهه، مسعّر حرب لو كان معه رجال، لا تأخذه في الله لومة لائم، شديدًا على أعداء الله، رحيمًا وبرًا بإخوانه.

---

[١] ورواه كذلك الطبراني والحاكم والبيهقي وغيرهم باختلاف يسير، (إسناده حسن).
[٢] صيد الخاطر، ابن الجوزي، (ص٣٦٩).

رحمك الله يا عبد الهادي رحمة واسعة، لقد كنت –والله– الأخ الحبيب والصديق الشفيق، وكنت السمع والبصر، فوالله إن مكانك ما زال شاغرًا، لا يستطيع أن يملأه أحد، و[بفقدك][1] فقدت عضوًا من أعضائي، وإن كنت أنسى فلن أنسى ذلك اليوم الذي قلت لي فيه: (إني لأدعو لك أكثر مما أدعو لوالدي)، فأي خسارة بعد هذه الخسارة؟ وأي رزية بعد هذه الرزية؟ فقدتك في وقت كنت أحوج ما أكون إليك فيه.

نسأل الله عز وجل أن يرفعك في عليين، وأن يلحقنا بك غير مفتونين، شهداء صالحين مع النبيين والصديقين وحَسُن أولئك رفيقًا، أنت وإخوانك الذين لم أذكرهم لضيق المقام.

لِيُسقَ عَهدُكُمُ عَهدُ السُرورِ فَما *** كُنتُم لِأَرواحِنا إِلّا رَياحينا[2]

ولا يفوتني في هذه الساعة أن أوجه نصيحة وتذكرة إلى علماء الأمة ودعاتها؛ فقد قال سبحانه: {وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} [آل عمران: ١٨٧].

لقد أخذ الله عليكم الميثاق أن تقوموا بما أمركم الله به؛ من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله، والحفاظ على شريعته، وبذل النفوس والمهج في سبيل دينه، ولكنكم للأسف الشديد، وبدل أن تقوموا بحق الله؛ آثرتم السلامة، وأخلدتم إلى الراحة والأهل والمال والولد، وتركتم المجاهدين يواجهون أعتى قوة في العالم أجلبت عليهم بخيلها ورجلها!

فأين أنتم يا علماء الأمة؟!

إلى متى تنكصون وعن الحق ترغبون؟!

أما زالت المصالح والمفاسد دينًا لكم ومنهجًا؟!

أما آن لكم أن تعودوا إلى دينكم؟!

---

[1] في الأصل: وبفضلك.

[2] بيت في قصيدة لابن زيدون (شاعر أندلسي)، خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصبهاني (ج٢/ص٦٦).

وعن ابن عمر –رضي الله عنهما– قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ: سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ"[١]، ودل قوله ﷺ: "حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ"؛ على أن ترك الجهاد، والإعراض عنه، والسكون إلى الدُّنيا: خروج عن الدين، ومفارقة له، وكفى به ذنبًا وإثمًا مبينًا.

أما آن لكم أن تستيقظوا من غفلتكم؟!

أما آن لهذا الليل الطويل أن ينجلي؟!

عن أي فتنة تتكلمون؟!

وعن أي مصلحة تتحدثون؟!

وهل هناك فتنة يا علماء الأمة أعظم مما نحن فيه؟!

إن الفتنة الشرك، إن الفتنة ظهور الباطل على الحق، إن الفتنة ضياع حكم الله في الأرض، إن الفتنة أن يحشر الأسود في الأقفاص في كوبا وغيرها، فها أنتم يبلغ أحدكم ثلاثين سنة أو أربعين سنة أو خمسين سنة أو أكثر؛ لا يكلف نفسه رباط يوم في سبيل الله، ولا يتجشم عناء سفر كي يغبّر قدميه في سبيل الله، يفني أحدكم عمره في طلب العلم على أريكته سلمًا لأعداء الله، لا يُبتلى يومًا في سبيل الله بحبس أو ضرب أو غيره.

والله إنه لأحد أمرين: إما أنكم أعز على الله من نبيه الذي أوذي في ذات الله بشتى أنواع الأذى، أو أنكم على غير هدي النبي ﷺ، ومعاذ الله أن تكون الأولى، ومعاذ الله أن تكون الأولى، (فوالله ما جاء أحد بمثل ما جئت به قط إلا أوذي)[٢].

إلى من تركتم الأمة؟ إلى طواغيت المشرق والمغرب؛ يستبيحون بيضتها، ويسومونها سوء العذاب، ويذبحون خيرة أبنائها المجاهدين، ويستولون على خيراتها؟! أهكذا كان السلف الصالح يغار أحدهم

[١] رواه أبو داود، (إسناده حسن).

[٢] عبارة شبيهةٌ لما رواه البخاري من قول ورقة بن نوفل إلى النبي ﷺ.

على أمته؟! أين التضحيات يا علماء الأمة؟! أين أنتم من حديث النبي ﷺ: "سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ: حَمْزَةُ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ، فَأَمَرَهُ، وَنَهَاهُ، فَقَتَلَهُ"[١]؟

أين أنتم من سفيان الثوري ذلك العالم الرباني الذي قال: ([والله] إني لأرى الأمر يجب علي أن أتكلم فيه، فلا أستطيع؛ فأبول دمًا)[٢]؟! ذاك سفيان بال دمًا عندما خلُصت نفسه لله ولم ينازعها شيء من الدُّنيا، بال دمًا عندما مازج دمه وخالط أنفاسه حب هذا الدين!

أما بلغكم يا علماء أن يونس بن عبيد –رَحِمَه الله– نظر إلى قدميه عند موته فبكى، فقيل له: (ما يبكيك أبا عبد الله؟)، قال: (قدماي لم تُغبرا في سبيل الله)[٣]، لم تغبر قدماه عندما كان الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، فماذا لو كان الجهاد فرض عين؟ تُرى لو كان ابن عبيد في زماننا؛ فماذا تظنون أنه قائل؟ والله لكان لسان حاله:

فَيَا جِبَالُ اقْذِفِي الْأَحْجَارَ[٤] *** وَيَا سَمَاءُ امْطِرِي مُهْلًا وَغِسْلِينَا
وَيَا كَوَاكِبُ آنَ الرَّجْمُ فَانْطَلِقِي *** مَا أَنْتِ، إِنْ أَنْتِ لَمْ تَرْمِي الشَّيَاطِينَا؟[٥]

لقد حل بالأمة ما حل من ويلات ونكبات وتعطيل لشريعة رب الأرض والسماوات؛ يوم تخاذل علماء الأمة عن التضحية في سبيل هذا الدين، يوم أن ضعفت جذوة الجهاد في صدورهم، فتخلفوا عن الركب، يوم غاب عن أذهانهم أن الأمة لا يمكن أن تقوم لها قائمة إلا بدماء العلماء، وأن التضحية بدمائهم هو نتاج طبيعي للإرث النبوي الذي ورثوه في صدورهم.

ورحم الله ابن حزم يوم أن قال:

مُنَايَ مِنَ الدُّنيا علُوْمٌ أَبُثُّهَا *** وَأَنْشُرُهَا فِي كُلِّ بَادٍ وَحَاضِرِ

---

[١] رواه الحاكم وابن حبان والطبراني عن جابر مرفوعًا، ضعفه الذهبي وصححه الحاكم.
[٢] ذكره الزرقاوي بالمعنى، والأصل: (إِنِّي لَأَرَى الشَّيْءَ يَجِبُ عَلَيَّ أَنْ آمُرَ فِيهِ وَأَنْهَى عَنْهُ، فَلَا أَفْعَلُ، فَأَبُولُ دَمًا). رواه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (ج/٧ص/١٤).
[٣] رواه أبو نعيم في الحلية، (ج/٣ص/١٩).
[٤] في البيت الأصلي: الأحجار والطينا.
[٥] أبيات من قصيدة (فلسطين)، الشاعر علي الجارم.

دُعَاةٌ إِلَى القُرْآنِ وَالسُّنَنِ الَّتِي *** تَنَاسَى رِجَالٌ ذِكْرَهَا فِي المَحَاضِرِ
وَأَلزَمُ أَطرَافَ الثُّغُوْرِ مُجَاهِدًا *** إِذَا هَيْعَةٌ ثَارَتْ فَأَوَّلُ نَافِرِ
لِأَلْقَى حِمَامِي مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ *** بِسُمْرِ العَوَالِي وَالرِّقَاقِ البَوَاتِرِ
كِفَاحًا مَعَ الكُفَّارِ فِي حَوْمَةِ الوَغَى *** وَأَكْرَمُ مَوْتٍ لِلْفتى قَتْلُ كَافِرِ
فَيَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْ حِمَامِي بِغَيْرِهَا *** وَلاَ تَجْعَلَنِّي مِنْ قَطِيْنِ المَقَابِرِ[١]

ذلك ابن حزم، وأنعم بابن حزم!

أمّا أنتم يا علماءنا؛ فقد هادنتم الطواغيت، وأسلمتم البلاد والعباد لليهود والصليبيين، وأذنابهم من حكامنا المرتدين، يوم أن سكتم عن جرائمهم، وجبنتم عن الصدع في وجوههم، وعجزتم عن حمل راية الجهاد والتوحيد التي كلفكم الله بها، يوم أن قتلتم الغيرة والحمية على دين الله في قلوب الشباب، ومنعتموهم من النفير إلى ساحات الوغى ليذودوا عن حياض هذا الدين، ففرغت ساحات الوغى من الأسود إلا من رحم الله، فلا تكاد تجد عالمِا بيننا يُستفتى.

يا عباد الله؛ لا تكاد تجد عالمًا بيننا يُستفتى، ولا طالبًا به يقتدى، ولا قائدًا ربانيًا يقود بنا البحر، لقد خذلتمونا في أحلك الظروف، وأسلمتمونا إلى عدونا، وخليتم بيننا وبينه، وغفلتم عن حديث النبي عليه الصلاة والسلام الذي رواه أبو داود؛ حيث قال: "مَا مِنْ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرأً مُسْلِمًا، فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ؛ إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ"[٢].

أليس فيكم من يغُط غطة سعيد بن عامر؟ فقد ذكر أصحاب السير أن أهل حمص شكوه حين كان واليًا عليهم إلى عمر، وعابوا عليه أمورًا؛ منها: أنه كان يغط وتتجلله الغشية حتى يشق ذلك على الناس؛ فأجاب معتذرًا: (شهدت مصرع خبيب الأنصاري بمكة، وقد بضّعت قريش لحمه، وحملوه على جذع، وهم يقولون: أتحب أن محمدًا مكانك وأنك في أهلك ومالك؟ فيقول: والله! يا قوم ما يسرني أن يفديني محمد ﷺ بشوكة في قدمه، فكلما ذكرت ذلك المشهد الذي رأيته وأنا يومئذ من المشركين، ثم تذكرت تركي نصرة خبيب يومها: أرتجف خوفًا من عذاب الله، ويغشاني

---

[١] سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ج١٨/ص٢٠٦).
[٢] إسناده ضعيف.

الذي يغشاني)[١]، أليس فيكم من يرجف قلبه خوفًا من عذاب الله ويغشاه ما كان يغشى سعيدًا لترككم نصرة المجاهدين؟

نعم؛ أسلمتمونا للعدو، وأسلمتم الأمة قبلنا، يوم تخاذلتم عن نصرتنا يا علماء الأمة.

إن اليد التي عقرت ناقة صالح عليه السلام يدٌ واحدة، وقد أهلك الله قومًا بأكملهم نتيجة ذلك، وإن ناقة صالح عليه السلام ليست بأعز على الله من مئات الآلاف من المسلمين من هذه الأمة، الذين يذبحون على أيدي الكافرين؛ بسبب صمتكم وسكوتكم عنهم.

واعلموا يا علماء الأمة؛ أنكم قادمون على الله لا محالة في يوم تشيب له الولدان، {وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا} [الحج: ٢]، {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس: ٣٤-٣٧]، في ذلك اليوم العصيب أعدوا الجواب لرب الأرباب، يوم يسألكم عن الأمة ماذا قدمتم لها، وعن المجاهدين وكيف نصرتكم لهم، وعن أعداء الملة وكيف بغضكم وعداوتكم لهم، بالسيف والسنان والقلب واللسان!

إن الله سائلكم عن الأسرى في يد اليهود والصليبيين والمشركين؛ لـمَ لم تستنقذوهم؟!

ألم تسمعوا ما قاله عبد الرحمن بن عمرة لما بعثه عمر بن عبد العزيز في فداء المسلمين في القسطنطينية؟ يقول[٢]: فقلت له: (أرأيت يا أمير المؤمنين، إن أبوا أن يفادوا الرجل بالرجل؛ كيف أصنع؟) قال: (زِدهُم)، إلى أن قال: (فإن أبوا إلا أربعًا؟)، فقال: (فأعطهم لكل مسلم ما سألوك، فوالله لرجلٌ من المسلمين أحبُّ إلي من كُلِّ مُشركٍ عندي، إنَّك ما فاديت به المسلم فقد ظفرت، إنَّك إنما تشتري الإسلام)[٣].

إن الله سائلكم عن أفغانستان والعراق؛ ماذا قدمتم لهما؟

---

[١] اختصرها الزرقاوي وذكرها بالمعنى باختلاف يسير عما رواه أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء (ج١/ص٢٤٦).

[٢] أي: عبد الرحمن.

[٣] رواه سعيد بن منصور، (ج٢/ص٣٤١).

إن الله سائلكم عن الملا عمر وخذلانكم له، وليس له ذنب إلا أنه أطاع الله ورسوله، ورفض أن يعطي الدنية في دينه.

ورحم الله ابن الجوزي؛ يوم اعتلى المنبر، وقام خطيبًا في الناس، يحثهم على الجهاد والحفاظ على بيضة هذا الدين، ودفع الكافرين عن ديار المسلمين، بعد أن تخلف الناس وتقاعسوا عن النفير؛ فقال: ([أيها الناس؛] ما لكم نسيتم دينكم، وتركتم عزتكم، وقعدتم عن نصر الله فلم ينصركم، وحسبتم أن العزة للمشرك وقد جعل الله العزة لله ولرسوله وللمؤمنين؟ يا ويحكم! أما يؤلمكم ويشجي نفوسكم مرأى عدو الله وعدوكم، يخطر على أرضكم التي سقاها بالدماء آباؤكم، يذلكم ويستعبدكم وأنتم كنتم سادات الدُّنيا؟ أما يهز قلوبكم وينمي حماستكم أن إخوانًا لكم قد أحاط بهم العدو وسامهم ألوان الخسف؟! أفتأكلون وتشربون وتنعمون وإخوانكم هناك يتسربلون اللهب، ويخوضون النار، وينامون على الجمر؟ يا أيها الناس؛ إنها قد دارت رحى الحرب، ونادى منادي الجهاد، وتفتحت أبواب السماء، فإن لم تكونوا من فرسان الحرب فافسحوا الطريق للنساء يُدِرنَ رحاها، واذهبوا فخذوا المجامر والمكاحل! يا نساء بعمائم ولحى! أوْ لا؛ فإلى الخيول، وهاكم لجمها وقيودها.

يا ناس! أتدرون مِمّ صُنعت هذه اللجم وهذه القيود؟ لقد صنعها النساء من شعورهن، لأنهن لا يملكن شيئًا غيرها، هذه والله ضفائر المخدرات التي لم تكن تبصرها عين الشمس صيانة وحفظًا، قطعنها لأن تاريخ الحب قد انتهى، وابتدأ تاريخ الحرب المقدسة، الحرب في سبيل الله، فإن لم تقدروا على الخيل تقيدونها بها فخذوها فاجعلوها ذوائب لكم وضفائر، إنها من شعور النساء، ألم يبق في نفوسكم شعور!

وألقاها من فوق المنبر على رؤوس الناس وصرخ: ميدي يا عَمَد المسجد، وانقضّي يا رجوم؛ لقد أضاع الرجال رجولتهم!)[١].

نعم والله؛ لقد أضاع الرجال رجولتهم!

---

[١] هذه الخطبة ليست من كلام ابن الجوزي بل من إنشاء علي الطنطاوي في كتاب قصص من التاريخ (ص٢٦٤-٢٦٥).

فماذا نقول نحن في هذا الزمان الذي عز فيه النصير، وقل فيه المعين وتداعت علينا الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها؟ إننا والله لا نريد رجالًا كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد والمقداد وطلحة والزبير، لكننا نريد رجالًا كصفيّة! نعم كصفية! عندما قامت بالدفاع عن حرمات المسلمين، عندما همّ ذلك اليهودي الخبيث أن يدخل الحصن ويكشف عورات المسلمين؛ فقاتلت عن أعراض المسلمين.

فَيَا رَبِّ أَدْرِكْنَا فَقَدْ بَلَغَ الزُّبَى مِنَ *** الكَرْبِ سَيْلُ الفَاجِعَاتِ المُغَرِّقُ[١]

فيا علماء الأمة، ويا دعاتها، ويا شبابها؛ اتقوا الله، اتقوا الله، وأدركوا ما فاتكم؛ فإنما العصمة السيف، فدونكم أعداء الشريعة بين ظهرانيكم، ومدوا يد العون إلى إخوانكم بالغالي والنفيس قبل أن يلفظكم التاريخ، نعم! قبل أن يلفظكم التاريخ، وقبل أن ينفض السوق؛ فيربح فيه من يربح، ويخسر فيه من يخسر.

عندما أخاطب العلماء فإنما أخاطب العلماء الربانيين، لا أقصد بذلك علماء السوء ومشايخ الفضائيات؛ فهؤلاء يكفيهم الأثر: (أن القبور اشتكت إلى الله من نتن رائحة الكفار، فأوحى الله إليها أن بطون علماء السوء أشد نتنًا من رائحتك)[٢]، أولئك الذين يأكلون الدُّنيا بالدين.

أما أنتم أيّها المجاهدون الصابرون؛ فنقول لكم:

مع كل ما يصيبنا من هم ونصب وضيق وبلاء، فوالله لن يرى الأعداء منا إلا كل ما يسوؤهم، ولنجاهدنهم بكل ما نستطيع، ولنبذلن الغالي والنفيس في حربهم، فإن مراغمة الطواغيت من أقرب القربات إلى الله، فاصبروا إنما هي أيام قلائل، ثم بعدها يأتي الفرج والنصر بعون الله، فإنَّ تأخر النصر لا يعني تخلف وعد الله، حاشا وكلا.

---

[١] همسات للسراة، علي القرني.

[٢] ذكره الزرقاوي بالمعنى، رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم عن الأوزاعي: (شَكَتِ النَّوَاوِيسُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَا تَجِدُ مِنْ نَتَنِ جِيَفِ الْكُفَّارِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا: بُطُونُ عُلَمَاءِ السُّوءِ أَنْتَنُ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ) (ج١/ص٦٦٦).

إياكم والنكوص والرجوع عن هذا الطريق؛ فإنه والله مع مشقته وصعوبته ومرارته لحلو في ذات الله، وإنها لنعمة عظيمة أن يصطفيكم الله لنصرة دينه والجهاد في سبيله.

ألا يكفيكم يا رفاق الدرب -يا أُنس الروح وسلواها- الحديث الذي رواه أبو هريرة؟ قال: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٌ فَأَعْجَبَتْهُ لِطِيبِهَا؛ فقال: (لَوْ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأَقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أَفْعَلَ حَتَّى أَسْتَأْذِنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ)، فَذَكَرَ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ، فقال: "لَا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ الْجَنَّةَ؟ اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ"[1].

ورحم الله ابن تيمية عندما قال: (واعلموا -أصلحكم الله- أنَّ من أعظم النِّعم على من أراد الله به خيرًا أن أحياه إلى هذا الوقت، الذي يُجددِّ الله فيه الدِّين، ويُحيي فيه شعار المسلمين وأحوال المؤمنين والمجاهدين؛ حتَّى يكون شبيهًا بالسَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار، فمن قام في هذا الوقت بذلك كان من التَّابعين لهم بإحسان، الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعدَّ لهم جنَّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا، ذلك الفوز العظيم، فينبغي للمؤمنين أن يشكروا الله تعالى على هذه المحنة التي حقيقتها منحةٌ كريمةٌ من الله، وهذه الفتنة الَّتِي في باطنها نعمةٌ جسيمةٌ، حتى والله لو كان السابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار -كأبي بكرٍ وعمر وعثمان وعليٍّ وغيرهم- حاضرين في هذا الزَّمان لكان من أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين، ولا يفوت مثل هذه الغُزَاةَ إلَّا من خسرت تجارته، وسفَّه نفسه، وحُرم حظًّا عظيمًا من الدُّنيا والآخرة)[2].

فهل بعد هذا ترومون فضلًا، وتطلبون بدلًا؟ فأكثروا من الدعاء أن يثبتنا على الطريق، وليكن لسان حالنا جميعًا:

لَكِنّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً *** وَضَرْبَةً ذَاتَ فرغ تَقْذِفُ الزّبَدا

[1] رواه التِّرمِذِيُّ، (حسن).

[2] مجموع الفتاوى (ج٢٨/ص٤٢٠-٤٢١).

أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرّانَ مُجْهِزَةً *** بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشاءَ وَالْكَبِدَا
حَتّى يُقَالَ إذَا مَرّوا عَلَى جَدَثِي: *** أَرْشَدَهُ اللهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا[1]

***

وَإِنّي لَمُقتادٌ جَوادي وَقاذِفٌ *** بِهِ وَبِنَفسي العامَ إِحدى المَقاذِفِ
لأَكسِبَ مالًا أَو أَؤولَ إِلى غِنىً *** مِنَ اللهِ يَكفيني عُدَاةَ الخَلائِفِ
مَخافَةَ دُنيا رَثَّةٍ أَن تُميلَني ***كَما مالَ فيها الهالِكُ المُتَجانِفِ
فَيا رَبِّ إِن حانَت وَفاتي فَلا تَكُن *** عَلى شَرجَعٍ يُعلى بِدُكنِ المَطارِفِ
وَلَكِن أَحِن يَومي شَهيدًا وَعُقبَةً *** يُصابونَ في فَجٍّ مِنَ الأَرضِ خائِفِ
عَصائِبُ مِن شَتّى يُؤَلِّفُ بينهم *** هُدى اللهِ نَزّالونَ عِندَ المَواقِفِ
إِذا فارَقوا دُنياهُمُ فارَقوا الأَذى *** وَصاروا إِلى مَوعودِ ما في المَصاحِفِ[2]

***

أَمَوْلى المَوَالي ليس غيرُكَ لي مَوْلى *** وهل أحدٌ يا ربُّ منك بذا أَوْلى؟!
تبرَّأْتُ من حَوْلي إليكَ وقُوّتي *** فكن قُوّتي في مَطْلبي وكنِ الحَوْلا
وهَبْ لي الرِّضى ما لي سوى ذاك مُبتَغًى *** ولو لقِيَتْ نَفْسي على نَيْلِهِ الهَوْلا[3]

اللهم مكن للمجاهدين في الأرض، اللهم مكن للموحدين في الأرض، اللهم جيش جيوشهم، وابعث سراياهم، وخلّص نواياهم، وخذ العيون عنهم، اللهم يسر لهم كل خير، اللهم قوِّ شوكتهم وآنس وحشتهم، وكن لهم العون والنصير، فهم أقوياء بك يا رب العالمين.

اللهم إن أمريكا جاءت بخيلها وخيلائها تحاد الله ورسوله، اللهم فأحنها الغداة، اللهم فأحنها الغداة، اللهم كما مزقت ملك قيصر فمزق ملك بوش، اللهم شتت شملهم وفرق [جمعهم][4]، واجعلهم غنيمة للمسلمين.

---

[1] أبيات عبد الله بن رواحة –رضي الله عنه–، رواها ابن إسحاق. سيرة ابن هشام (ج٢/ص٣٧٤).
[2] أبيات لقصيدة للطرماح، ديوان الطرماح (ص٢٠١–٢٠٢).
[3] أبيات من قصيدة أبي الربيع الكلاعي، الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، ابن عبد الملك المراكشي، (ج٢/ص٨٤).
[4] في الأصل: شملهم.

اللهم العن طواغيت العرب والعجم، اللهم عليك بالحكام المرتدين، اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تغادر منهم أحدًا، اللهم آمين.

الكلمة الثانية: مِنْ أَبِي مُصْعَبٍ الزَّرقَاوِيّ إِلى أُمَّتِي الغَالِيةِ؛ خَيرُ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ [صوتية]

١٥ صفر ١٤٢٥ هـ || ٥ أبريل ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ **أَبِي مُصْعَبٍ الزَّرقَاوِيّ** إلى **أُمَّتِي الغَالِيةِ**، خَيرِ أُمَّةٍ أُخرِجَتْ لِلنَّاسِ؛

السَّلامُ عليكِ وَرحمةُ اللهِ وَبركاتُه، فإِنّي أحمدُ إليكِ اللهَ الذي أرسلَ رسولَه بالهُدَى ودِينِ الحقِّ؛ ليظهره على الدينِ كلِه، وأُصلي وأُسلمُ على الضَّحوكِ القتَّالِ، الذِي بُعثَ بالسيفِ بينَ يدي السَّاعةِ؛ ليُعبدَ اللهُ وحدَه، أمّا بعد:

فَنزِفُّ إليكِ تهنئةً بَل وَعشْرًا، تَحمِلُ أطيبَ البُشرَى، بعظيمِ النِكايةِ وشدَةِ الإثخانِ، من المجاهدينَ الأبطالِ، في عَدوكِ وعدوهِم.

فَنحنُ بحمدِ اللهِ نغزوهم كما يغزوننا، ونصولُ عليهم كمَا يَصولونَ علينَا، وَننَالُ مِنهم كمَا يَنالونَ مِنَّا، وَلسنا سواءً؛ فَقتلانا في الجنة، وَقتلاهُم في النَّار: {إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللهِ مَا لاَ يَرْجُون} [النساء: ١٠٤]، هذا مع قلةِ النَّاصرِ، وضَعفِ الإمكاناتِ، وَلكنَّ اللهَ مولانا ولا مولى لهم، فقد أكرمنا اللهُ فقطفنا رؤوسهم، ومزَّقنا أجسادهم في مواطنَ عديدة؛

- فالأمم المتحدة في بغداد،
- وقوات التحالفِ في كَربلاء،
- والطِّليان في الناصرية،
- والقواتُ الأمريكيةُ على جسرِ الخالدية،
- والمخابراتُ الأمريكيةُ في فندقِ الشاهين،
- والقصرُ الجمهوريُ في بغداد،

- والسي آي إيه في فُندقِ الرشيد،
- والقوات البولنديةِ في الحلة.

وقد أُحيطت هذه العمليةُ المباركة بتكتيمٍ إعلاميٍ غيرِ مسبوقٍ في العراق، وأظهرَ الإعلامُ الخبيث أنَّ المتضررَ من هذه العملية هم الأبرياءُ وحدهم، ولم يذكروا أن أربعًا من الطائراتِ المروحية، هبطت إلى الموقعِ لنقلِ الجُثثِ النجسة من قواتِ التحالفِ الصليبي، وأن قتلاهم يزيدون على مائتي جندي!

- وأخيرًا وليس آخرًا: الموساد الإسرائيلي في فندق جبل لبنان،
- وغيرُها وغيرُها في قائمةٍ طويلة، مضتْ بعضُ فصولها، والقادِمُ أدهى وأمرُّ بعونِ الله.

وَنحنُ نَتحدَّى الإعلامَ الأمريكي الكاذب؛ بأن يُبينَ حقيقةَ الدَّمار، وحجمَ الخسائرِ التي حلَّت بقواتِه، فَرامبُو هوليود لا مكانَ له بَينَ أُسودِ الإسلامِ وأبطاله، ولنَا معهم –بإذنِ اللهِ– صولاتٌ وَجَولات، وإذا كَانَ جُون أبي زيد قَد نجا هذِه المرَّةَ مِنْ سُيوفِنا، فَنَحنُ له ولبريمر وَلِجنرالاتِهم وَجُنودِهم وَأعوانِهم بالمِرصادِ؛ نتخطَّفُهم كالطيرِ، ونقطعُ عليهم كُلَّ طَرِيقٍ، ونُشرِّدُ بهم من خَلفَهم، ونقولُ لَهم كَما قَالَ شيخُ الإسلام ابن تيميةِ، في رسالته إلى مَلِكِ قبرص: أن عندَ المسلمينَ من الفِداويةِ، الذينَ يَغتَالونَ الملوكَ على فُرُشِها وأفرَاسِها، مَا قد سَمِع به الناس[1].

أمَّتي الحَبيبة؛ أما آن لكِ أن تُبصري السَبيلَ وتستبيني الرَّشدَ، وتقرئي الحقيقةَ الكامنةَ وَراءَ سُدُف الظلامِ وغبار الكذبِ، ودخانِ الدَّجلِ الذي يُطلقه أعداءُ اللهِ تخذيلًا لكِ وتخديرًا، حتى لا تثِبي وثبةَ الأبطال، ولا تَنهضي نهضةَ الرِّجال؛ لأنهُم يُدركُونَ أنَّ المَاردَ الإسلامِي إذا استيقظَ فلنْ يقفَ دُونَ أبوابِ روما وواشنطن وباريس ولندن؟

لقدْ حَاوَلوا مِنْ قبلُ أن يُغطُّوا حقيقةَ المعركةِ، وأن يُشوّشُوا على رايةِ الجهادِ الصَّافيةِ؛ فَأوهموا العالَمَ أنَّ الذي يُقاومهم هم فلولُ النظامِ البائد، وعناصرُ البعثِ الكافِرِ؛ حتى لا تتفاعلَ الأمَّةُ معَ المعركةِ، ولا تنهض للملحمة، وهذا كَذِبٌ وتزوير، فَما سَمِعتموه من بُطولةٍ وفداءٍ وعزيمةٍ، ونكايةٍ في الأعداءِ؛

---

[1] مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص٦٢٢–٦٢٣).

إنَّما هو بفضلِ اللهِ صُنعُ أبنائكُم، وفرسانِ الأمةِ، من مُهاجرينَ وأنصار، ألّف بينهمُ القرآنُ، ووحدتْهُم كلمةُ التوحيدِ على اختلافِ لغاتهم وألوانهم. ونُبشرك؛ أنَّا قد أثخنَّا فيهم قتلًا، وأسلنا دماءهم، ومنعناهم لذيذ النَّومِ والرُّقاد، حتَّى بَكُوا كَالنِّساءِ الأَيامى، والأَطفال اليَتَامى.

أمةَ الإسلام؛ دَعينا نضعِ النِّقاطَ على الحروفِ، ونُحدثكِ عن طبيعةِ المعركةِ، وحقيقةِ المكرِ، وخفايا الصّراع

لقد جَاءت أمريكا بأساطِيلها وَمَسَاطِيلها، فحلّتْ بالعُقرِ من الدِّيار، وَنزَلت بِقَضّها وقَضِيضِهَا بَيْنَ ظهرانِي المُسلِمين، وهِي تَطمَعُ:

أولًا: بثروات هذهِ الأرضِ المعطاء، وكنوزها وخيراتِها، التي سالَ لها لعابُ مصاصي الدماءِ، من الرأسماليين الكبار، الذين يَدفعُهُم الشرَهُ إلى الثروة إلى كُل فعلٍ مهما كان قَذِرًا ودنيئًا، ثم لا يَتورَّعُون في سبيلِ ذلكَ عن صغيرٍ ولا كبيرٍ، ولا رَجلٍ ولا امرأة؛ فالغايةُ تبررُ الوسيلة، وقانونُ الغابِ بأيديهم؛ يُجرِّمونَ مَن يشاؤون، ويستبيحونَ ما يُريدُون!

ثانيًا: جاءت أمريكا وقد أرعبَها المدُّ الإسلاميُّ المتصاعد، وأفزعَهَا نشيدُ الجهادُ الذي عَلا صوتُه فهزّ العالم، وزلزلَ الدُّنيا بأسرِها؛ فجاءت لتُغيّر ثوابتَ الأمةِ، وتحرّفَ الكلمَ عن مواضعه، وتُبدِّلَ المناهج، وتَقضِي عَلَى ينابيعِ الخيرِ المتفجرةِ في ضميرِ الأُمةِ الإسلامية، وَلِتقطعَ الطريقَ على الصَّحوةِ النَّاهِضة، والرَّجعةِ الصَّادِقة؛ ولِتنشُرَ الخنَا والخبَث، وتَبُثَّ فِكرها الساقِط، وثقافَتها اللّقِيطة، باسم: (الحرية والديموقراطية)، وهي تُؤَمِّلُ أن تُعيدَ صياغةَ المنطقة، ورَسمَ خَريطَتِها السياسيةِ والدينيةِ والثقافية، وفق مصالحها الخاصّة.

ثالثًا: قَدِمَتْ زُحوفُ التتار المُعاصرين، وهي تحملُ إرثًا من الحقدِ الدَّفين، والعداوةِ التاريخية، والتَعصّبِ الدِّيني، الذي تُغذّيه النبوءاتُ التوراتية، على المسلمين عامة، وعلى العراقِ وأهله خاصّة.

فالعراقُ في النبوءاتِ التوراتيةِ التي يؤمنُ بها الأُصوليونَ الإنجيليون، الذينَ يَحكمونَ في واشنطن ولندن: هي بلدُ الشَّر، والمدينةُ الزانية[١]، والعدوُّ الأولُ لبني إسرائيل؛ ولذلكَ فهي تَأمرُ بقتلِ رجالهم، وهَتكِ نسائهم، ورضخِ رؤوسِ أطفالهم، وَبصبِّ حِمَمِ الموت على رؤوسهم؛ تمامًا كما فعلوا في الواقِعِ[٢]! حذوَ القذة بالقذة.

رابعًا: جاءت أمريكا لتوفِّرَ الأَمنَ لربيبتها إسرائيل، وتقضيَ على كلِّ خطرٍ يمكنُ أن يتهددها، ومَن يُعايشِ الوضعَ: يُدركْ أنَّ الأخطبوط الإسرائيلي قد تغلغلَ في البلادِ سياسيًّا ومخابراتيًّا واقتصاديًّا، ولولا اللهُ الذي أقامَ رايةَ الجهاد: لَأفاق أهلُ العراقِ ليجدوا أنفسهم عبيدًا للسياسيين، ومديري الشركاتِ اليهودية، وجيشِ الخُبراءِ والمستشارينَ اليهود.

فاسألوا العَميلَ الصهيو-أمريكي جلالَ الطَّالباني: عن فِرقةِ الاغتيالاتِ التابعةِ للموساد، التي تسكنُ في شارعِ العدنانية، في وسطِ كركوك، والتي تَسعى حثيثًا؛ لتصفيةِ رموز وكوادر أهلِ السُنة، وهي الآن موجودة بقوةٍ في بغداد، والمجاهدونَ عازمونَ بعونِ اللهِ على استئصالِ شأفَتِهم، رَغمَ التدابيرِ الأمنيةِ التي يَتَّخِذُها لـهُم العُمَلاء، مِنَ المُخابرات الكرديةِ والرَّافِضَة.

خامسًا: جاءتْ أمريكا وهي تُؤمِّلُ أنْ تُقَطِّعَ أوصالَ الدولِ العربيةِ الكبيرة، وتُفَتِّتَ كِياناتِها لتُقِيمَ دُوَيلاتٍ ضعيفة، لا حَول لها ولا سلطان، تَغرسُ بينها دويلاتٍ طائفية، تدين لها بالولاء، وتحملُ حقدًا أسود على أهل الإسلام، وتظلُّ أشواكًا في طريق اجتماعِ كلمةِ المسلمين!

نعم؛ لقدْ أدركتْ أمريكا أن الإسلام السني هو العدو الحقيقي، وأن الفرق الباطنية هي نِقاطُ الضعف، وهي الثغرةُ الحقيقيةُ التي يمكنُ أن يَنفُذَ منها الأعداء للاستيلاءِ على أهلِ الإسلام؛ فقررتْ أنْ تجعلَهم حِصانَ طروادة لاختراقِ حُصُونِ الأُمة، وعلى رأسها هؤلاءِ الرَّافِضَة.

[١] انظر: الفصل السابع عشر من رؤيا يوحنا (١-١٨).

[٢] انظر: كتاب جون كولي (التحالف ضد بابل: الولايات المتحدة وإسرائيل والعراق).

وتأكيدًا لهذا الأمر؛ أنقل كلام بن غوريون عام ١٩٥٤م؛ حيث يقول: (إننا نعيش في محيط سنّي؛ ولذلك على إسرائيل أن تتعاون بل وتجند الأقليات العرقية والمذهبية في المنطقة المحيطة؛ لخدمة المصالح الإسرائيلية)[١].

يَنبَغي أن تعلمِي أمةَ الإسلام، أنَّ التَّشيُّعَ دينٌ لا يلتقي معَ الإسلام، إلا كمَا يلتقي اليهودُ مع النصارى تحتَ اسمِ أهلِ الكتاب! فَمِن تحريفِ القرآنِ، وسبِّ الصحابة، والطعنِ في أمهاتِ المؤمنين، إلى تكفيرِ أهلِ الإسلام، واستباحةِ دِمَائِهم، مرورًا بأنواعِ الشِّركِ الأكبر، وَصُوَرِ الكُفْرِ المستبَين، وضروبِ الخُرَافةِ والخُزعبلاتِ والأساطيرِ المضَلّلَة.

وباستحضار التَّجرُبةِ التَّاريخية، وشهادةِ العصور الخَالية، ودلالاتِ الواقعِ المُعاصِر، والتَّجربةِ الحيةِ التي نَعيشُهَا؛ نُدركُ حَقًّا معنى قَولِه تعالى: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون} [المنافقون: ٤].

لقدْ كَانوا عبر التَّاريخ شجًا في حُلوقِ أهلِ الإسلام، وخِنجَرًا يَطعَنُهم فِي الظَهر، وفأرةَ السدِّ التِي تَهدِمُ البُنيَان، والجِسرَ الذِي يَعبُرُ عَليهِ أعداءُ الأمة.

ولقدْ صدقَ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية، حينَ قَالَ يَصفُ حالهُم، بعدَ أن ذَكَرَ تكفيرَهُم لأَهْلِ الإسلام؛ فقالَ -رَحِمَه الله-: (ولهذَا السَّببِ يُعاونُونَ الكُفَّارَ على الجُمهُور من المسلمين، فيعاونُونَ التتار على الجمهور، وهُم كَانوا من أعظمِ الأسبابِ في خروجِ جنكيز خان، مَلكِ الكفار إلى بلاد الإسلام، وفي قدومِ هولاكو إلى بلادِ العراق، وَفِي أخذِ حَلَب، ونهبِ الصَّالحية، وغير ذلكَ بخُبثِهم وَمكرِهِم.

وَبهَذا السَّببِ نهَبُوا عَسكَرَ المسلمينَ لما مرَّ عليهم وَقتَ انصرافهم إلى مصرَ في النوبة الأولى، وَبهذا السَّببِ يَقطعون الطُّرُقاتِ على المسلمين، وبهذا السَّببِ ظَهَرَ فيهم مُعاونَةُ التتار والإفرنجِ على المسلمين، والكآبةُ الشديدةُ بانتصار الإسلامِ مَا ظهر، وكذلكَ لمّا فَتحَ المسلمونَ السَّاحِلَ -عكَّة

[١] ذكره أسامة القحطاني في مقاله: (المسلمون والعالم بدأت الملحمة.. فماذا عن (إسرائيل الكبرى)؟ هكذا تحكم الرؤية التوراتية الحرب مع العراق)، ملف الخطر الإيراني يتمدد، مجلة البيان.

وغيرِها- ظَهَرَ فِيهم من الانتصار للنَّصارى، وَتقدِيمِهم على المُسلمين: مَا قَد سَمِعَ النَّاسُ مِنهم، وكلُّ هذا الذِي وصفتُ بعض أمورِهم، وإلاَّ فَالأَمرُ أعظَمُ مِن ذَلك.

[...وَ] فِي قُلُوبِهم مِن الغِلِّ والغيظِ على كِبارِ المسلمينَ وصِغَارِهم، وصَالحيهم وغيرِ صالحيهم: مَا لَيسَ فِي قلبِ أحد! وأعظمُ عبادتهم لَعنُ المسلمينَ مِن أولياءِ الله [...]! وهؤلاءِ أشدُّ النَّاسِ حِرصًا عَلَى تَفريقِ جَمَاعةِ المُسلمينَ، [...وَ] مِنْ أعظَمِ أصُولِهم عِندهم: التكفيرُ واللَّعنُ والسبُّ لخيارِ ولاةِ الأمور؛ كالخُلَفاءِ الرَّاشدين، وَالعُلَمَاءِ المسلمين ومشايخهم؛ لاعتقادهم أنَّ كُلَّ مَنْ لَمْ يُؤمِن بالإِمامِ المَعصوم، الذِي لاَ وجُودَ لَه: فَمَا آمنَ باللهِ ورسولِه عليه الصَلاةُ والسَّلام!

[...] والرَّافِضَة تُحبُّ التتار ودَولَتَهُم؛ لأنَّه يحصلُ لهم بهَا مِن العزِّ، مَا لا يَحصُل بدولةِ المسلمين [...]، وَإذَا غلبَ المسلمونَ النَّصارى والمشركين: كَانَ ذَلك غُصَّةً عِندَ الرَّافِضَة، وإذَا غَلَبَ المُشركونَ والنَّصارى المسلمين: كان ذلك عِيدًا ومسرَّةً عندَ الرَّافِضَة)[1]. وكأنّي به يَعيشُ بينَ ظهرانِينَا، فيصفُ عَن مُشَاهَدةٍ وَعَيان؛ فَيَقُولُ -رَحِمَه الله-: (وكذلكَ إذَا صَارَ لليَهُودِ دولةٌ فِي العراقِ وغَيرِه: تَكُونُ الرَّافِضَة مِن أعظمِ أعوانهم؛ فَهُمْ دَائِمًا يُوَالُونَ الكُفَّار مِنَ المُشرِكِينَ واليَهودِ والنَّصَارى، ويُعاونُونَهم عَلَى قِتَالِ المُسلِمينَ ومُعَادَاتِهم)[2].

ويقول آرييل شارون في مذكراته: (توسّعنا في كلامنا عن علاقات المسيحيين بسائر الطوائف الأخرى، لا سيما الشيعة والدروز، شخصيًّا: طلبت منهم توثيق الروابط مع هاتين الأقليّتين، حتى إنني اقترحت إعطاء قسم من الأسلحة التي منحتها إسرائيل -ولو كبادرة رمزية- إلى الشيعة الذين يعانون هم أيضًا مشكلات خطيرة مع منظمة التحرير الفلسطينية، ومن دون الدخول في أي تفاصيل: لم أرَ يومًا في الشيعة أعداء لإسرائيل على المدى البعيد)[3].

---

[1] مجموع الفتاوى (ج٢٨/ص٤٧٨-٥٢٨).
[2] منهاج السنة (ج٣/ص٣٧٨).
[3] (ص٥٨٣-٥٨٤).

واسمع أيها المسلم تصريح ليزلي غيلب (رئيس مجلس العلاقات الخارجية الأمريكي)، في مقال له في نيويورك تايمز[١] يقول: (إن الاستراتيجية الوحيدة في العراق القابلة للحياة: هي تصحيح الخلل التاريخي، والتحرك على مراحل نحو حل الدول الثلاث: الأكراد في الشمال، والسنة في الوسط، والشيعة في الجنوب)، ويقول: (الفكرة العامة هي في تقوية الشيعة والأكراد وإضعاف السنة، ومن ثم الانتظار لمعرفة ما إذا كان سيتم التوقف عند الحكم الذاتي أو تشجيع تكوين دولة، يجب أن تكون الخطوة الأولى جعل الشمال والجنوب منطقتين تتمتعان بالحكم الذاتي، مع حدود مرسومة بشكل يتوافق قدر المستطاع مع الحقوق العرقية، أعطوا مليارات الدولارات التي صوّت عليها الكونغرس لإعادة الإعمار: كلها إلى الشيعة والأكراد!)، وقال: (يمكن لها أمريكا أن تساعد في تسليح وتدريب الأكراد والشيعة في حال طُلب منها ذلك).

أليسَ هذَا مَا فعلهُ الرَّافِضَة حينما دَخلتْ قُواتُ الكافِرِ المُحتل؟ ولقد صَدَقَ ذَلكَ المُستشرِق[٢]؛ حِينَ قال: (لَولا الدَّولةُ الصَّفويةُ لكنَّا اليوم في أوروبا نقرأ القرآن كما يَقرؤُه البربريُّ الجزائري)[٣].

نعم؛ فَلقَد وَصَلتْ جَحَافِلُ الدولةِ العُثمَانِية إلى أبوابِ فيينا، لكنها وقفتْ، ثُمَّ انكفأتْ راجعةً لتذودَ عَنِ المُسلمينَ في بَغداد، وتَدفَعَ صولةَ دولةِ الرفضِ الصَّفَويّة، التي سفكتِ الدِّمَاءَ، وهتكتِ الحُرُمَات، وهدَّمَتِ المساجدَ، وأزهقت أرواحَ أهل السنَّة، بلا ذَنبٍ إلا حبهُم لصحابةِ محمدٍ ﷺ، وكانتْ تِلكَ آخِرَ نُقطةٍ وصلتْ إليهَا جُيُوشُ الإسلام، ثُمَّ انحسرَ بَعدَ ذَلكَ مَدُّ الإسلام، وتقلَّصَ ظِلُّه؛ بسببِ ضَرَبَاتِ الحقدِ الموجعة، التي كَالتهَا دولة الرَّفضِ للدَّولةِ العُثمَانية.

وهؤلاءِ القومُ قَد كفَّرهُمْ أئمةُ السلف، وَبيَّنُوا حَقِيقتُهم؛ فَهذا الإمامُ البُخاري -رَحِمَه الله- يقول: (إني لأَستجهِلُ مَن لا يُكفِرُهُم إلا من لا يعرف كفرهم)[٤]، وقال: (ما أُبالي صلَّيت خلف الجهميّ

---

[١] مقالة (حل الدول الثلاث)، ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٣، (The Three-State Solution).

[٢] فيرناندو النمساوي.

[٣] لم أجد له مصدرًا.

[٤] خلق أفعال العباد، (ص ٣٣).

والرَّافضيّ أم صلَّيت خلف اليهود والنَّصارى، ولا يُسلَّم عليهم، ولا يُعَادُونَ، ولا يُنَاكَحُونَ، ولا يَشْهَدُونَ، ولا تؤكل ذبائحهم)[١].

وَهذا الإمامُ مالك -رحمهُ اللهُ- يقول: (الذي يَشتِمُ أصحابَ النبي ﷺ ليسَ له سهمٌ -أو قال:- نصيبٌ فِي الإسلام)[٢]، وقالَ مُعلّقًا على قولِه تعالى: {يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}: فَمَنِ اغتاظَ مِنَ الصحابة فهو كافر[٣]. وتَبعه على هذا الاستدلال الإمامُ الشَّافِعي[٤] -رَحِمَه اللهُ-.

وهذا الإمامُ أحمد -رَحِمَه الله- وَقَد سُئِل عمَّن يَسُبُّ الصحابةَ -رضي الله عنهم-؛ فقال: (ما أراه على الإسلام)[٥]، وقالَ: (فمن سَبَّ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ، أو أحدًا مِنهُمْ، أو تَنقَّصَهُ أو طَعَنَ عليهم، أو عرَّضَ بعيبِهم أو عَابَ أحدًا مِنهُم؛ فَهُو: مُبتَدِعٌ، رافضيٌّ، خَبيث، مُخَالِفٌ، لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْه صرفًا، ولا عدلًا، بَلْ حُبُّهم سُنَّةٌ، والدُّعاءُ لهم قُربةٌ، والاقتِدَاءُ بهم وسيلةٌ، والأخذ بآثارهِم فَضِيلةٌ)[٦].

وَلَقَد بَدَأَ فَحِيحُ هَؤلاءِ الأَفَاعِي يَعلُو مِن جَديد، وأطلُّوا برُؤوسِهم ليَرسُمُوا خَريطة المَنطِقَةِ مع حُلفائهِمُ الأمريكان، والخَبَالَةِ والحُثالةِ مِن أهلِ السُّنة.

فَعبَرَ فَيالِقِهِمُ العسكرية، وَتنظِيمَاتِهِمُ السرِّيةِ وَالعلنيَّة: تغوَّلُوا على المراكز الحسَّاسة، وسَيطَرُوا عَلَى جِهَازَي الشُّرطَةِ وَالجيَش، نعم؛ فلَقَد نَزَعَ فَيلقُ الغَدر المُسمَّى بـ(فَيلقِ بَدر)، وَالَّذي دَخَلَ العِراقَ وهوَ يَحمِلُ شِعارَ: (الثأر الثأر من تكريت والأنبار)، نَزَعَ شِعَارَه، وَلبسَ زيّ الشُّرطةِ والجيَش؛ لِيَفتِكَ بأهلِ السنة، باسمِ (الدَّولةِ والقانون، والحِفَاظِ على الوطَنِ والمُواطِن)، وَهُم يتهيؤون لِورَاثةِ الأرضِ والسيطرةِ على البلاد؛ لِيُقيمُوا دَولةَ الرَّفض، مُمتَدة مِن إيران مُرورًا بالعِراق، وسوريا الباطنية، ولُبنانَ حزبِ اللات، وَمملكاتِ الخَليجِ الكَرتُونِيَّة، الَّتي تمتلئُ أرضُهَا بألَغامِ الرفض، وَبُؤر التَّشيُّع.

---

[١] المصدر السابق، (ص ٣٣).
[٢] كتاب السنة، أبو بكر الخلال، (ج٣/ص٤٩٣).
[٣] ذكرها الزرقاوي وابن كثير في تفسيره بالمعنى. رواها أبو نعيم في الحلية (ج٦/ص٣٢٧).
[٤] نقل ذلك ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة (ج٢/ص٦٠٧).
[٥] كتاب السنة، أبو بكر الخلال، (ج٣/ص٤٩٣).
[٦] رواه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (ج١/ص٣٠) عن أبي العباس الأصطخري.

وَمَعَ ذَلك؛ فَلْتعلمِ الدُّنيا أنّنا لسنا أوّلَ مَن بَدأ القِتَال، بَل هُمُ الذينَ قَتلُوا المُجاهِدين، واغتَالُوا المُهَاجِرين، وَكَانُوا عُيُونًا لِلأمرِيكانَ وآذانًا، فَكَم مِن مُجاهدٍ قُتِل بطلقةٍ غادرة، جاءتهُ مِن وَرَاءِ ظهره على أيدِي هؤلاء! كَمَا وغصبُوا مساجد التوحيدِ، وَحوَّلوهَا إلى مَعَاقِلَ للوثنيةِ والشِّرك، وغَصَبوا الأَعراضَ وانتهكوا الحُرُمات، وَهُم مَاضُونَ بسعيٍ حثيث، فِي قَتلِ وَتَصفِيَةِ الدُّعاةِ والعُلمَاءِ وأصحابِ الخِبرة مِن أهلِ السُّنة.

كلُّ ذلِكَ ولِلأَسف؛ وأهلُ السُّنةِ نِيامٌ بسبَبِ رادةٍ كَذَبَة، وَدُعَاة حِكمةٍ مزعُومَة، وَعُلَمَاءِ سوءٍ خدّرُوا الأُمَّةَ وَخَذلُوهَا وخذَّلُوها، وَكَانُوا جِسرًا يَعبُرُ عليهِ الأعدَاءُ لِيَفتِكُوا بالأُمَّة، وَكُلَّمَا أرَادَتِ الأُمَّةُ أنْ تَستيقِظَ، لِتثأَرَ لدِينِهَا المُهَان، ولعرضها المُغتَصَب؛ قَالوا لـهَا: (نَامِي ولا تَستَيقِظِي، أَتُرِيدُونَهَا حربًا طائِفيَّة؟)، هذا وَحَبلُ المَكرِ مُتَّصِل، وَخِطَّةُ الحَربِ دائرة!

وَهؤلاءِ المُخذِّلون، مُستَمِرُّونَ فِي حَقنِ الأُمَّةِ بِأفيونِ الموت البطيء، والعَجِيبُ أنَّ هَؤلاءِ عذَابٌ عَلى المُسلمينَ، وَرَحمَةٌ لِلكَافِرين؛ فَهذَا قَائِلُهُم يَطعَنُ فِي الشَّيخِ المُجَاهدِ أسامةَ بنِ لادن، وَيَلمِزُه وَيَتَّهمُه أنَّهُ صَنِيعَةُ الأَمرِيكَان، فِيمَا هُوَ يُثنِي عَلَى إمَامِ الكُفرِ والزَّندَقة (السيستاني) وَيُطرِيه، وَيَصِفُهُ بِأَنَّهُ عَالِمٌ مِن عُلماءِ المسلمين، فإلى اللهِ المُشتكى.

لَقدْ عَهِدنَا عُلمَاءَ الإسلامِ عَبرَ تاريخِ الأمَّة يَتَقدَّمونَ الصُّفُوفَ، وَيُقودُونَ الزُّحُوف، وَيُوَاجِهُونَ الـحُتُوفَ بحدِّ السُّيُوف؛ ذبًّا عَن المِلّةِ، وَدِفَاعًا عَنِ البَيضَة، وَحِفظًا لِلإسلامِ وَأهلِه.

أَمَّا هَؤلاء؛ فَنِضالُهُم رَكضٌ محموم، وَجِهَادُهُم سعيٌ حَثِيثٌ إلى أبوَابِ الكَافِرِ المُحتَل، يَحمِلُونَ بيدٍ شَهَادَاتِ الزَّيفِ بالعِلْمِ الكَاذِب، الَّذي يَزعُمُونَ الانتساب إليه، وَيَحمِلُونَ باليدِ الأُخرَى عَبَاءَاتِ المجدِ المُنتَهَب، يَتسوّلُونَ مِن عَدُوِّهِم مَنصِبًا لقيطًا، واعتِرَافًا بحقِهِم فِي تَمثِيل أهلِ السُّنة، وَكَأَنَّهُم لَم يَقرؤوا القُرآن، وَلَم يُصغُوا إلى شَهَادَةِ التَّاريخِ: بِأَنَّ الحُقُوق لا تُوهَبُ، بَل تُؤخَذُ غِلابًا، وأنَّ البلادَ لا تُحَرَّرُ إلاَّ بالسَيف.

لاَ يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الأَذَى *** حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُ[١]

أَنسيتُم أن قُدوَتَنَا مُحَمَّدًا عليهِ الصَّلاة وَالسَّلام، عَرَضَ عَليهِ الكُفَّارُ أن يُمَلِّكُوهُ عَليهِم، فَلا يَقضُوا أَمرًا دُونَه، فَأَبَى وَاختَارَ طَرِيق الجِهاد؟ فَلمَاذَا عَدلتُم عَن هَديهِ، ونَبذتُم سِيرَتَه، وَدَخلتم تَحت عَباءَة الكَافِرِ المُحتَل؛ فَأَضفَيتُم عَليهِ الشَّرعية، وخَذَّلتُمُ الأُمَةَ عَن جِهَادِه؟! لِمَاذا تَكذِبُونَ عَلَى الأُمة: أَنَّكُم يُمكن أن تُحصِّلُوا لَهَا حَقَّها؛ عَبرَ مُؤَامَرَاتِكُمُ السِّياسِية، وَمُبَادَرَاتِكُم السِّلمِية، وَأَنتُم تَعرِفُون أنكُم لاَ سُلطَان لكُم على الكُرسِيِّ الَّذي تَجلِسُونَ عَليه؟!

تَتَوهمونَ أنكُم بِقُبلاتِكُم الحَارَّة لِبرايمر، وضِحْكَاتِكُم الصَّاخِبةِ مَعَهُ ستستَمِيلُون قَلبَهُ، وَتَحوزُون ثِقتَه، فَيُسلِمُكم البِلادَ وَالعِبَاد، حُبًّا لَكُم وَكَرَامَة؟!

أُمَّةَ الإِسلام؛ أنتِ تَعلَمِينَ أَنَّ أمريكا لاَ تُرِيدُ لَنَا الخَير، وَلَا تَبغِي لَنَا إِلَّا الخَبَالَ وَالوَبَال، وَضَجِيجُهُم هَذِه الأَيَّام، فِي التَّحذيرِ مِن خِطَّةِ المُجَاهِدِين: لَيسَ صِيانَةً لِدِمَاءِ المُسلِمينَ وَلا طمعًا فِي صَلاحِهِم، وَلا حِرصًا عَلى خَيرِهم، ولكنَّهمُ ارتَاعُوا، وأفزعَهُم أن يَمضي المُجَاهِدُونَ فِي خُطتِهِم، فَيُسقِطُوا أقنِعةَ الكَذِبِ، وَيُمِيطُوا اللِّثَامَ عَن حَقِيقةِ المعركة؛ لأنهم يَعرِفونَ ويُدرِكُونَ أن أَهلَ السُّنةِ أبطالٌ أَشاوِس، وَلُيوثٌ وَفَوارِس، فإِذَا استيقَظوا مِن رَقدَتِهِم، وأفَاقُوا مِن هَجعَتِهِم، وَاقتحَمُوا المِيدَان، وَدَخلُوا المِعرَكَةَ مَعَ الأمريكان واليهودِ، وأوليائِهم مِن الرَّافِضَةِ وحُثَالَةِ أَهلِ السُّنة؛ فَلن تَستطِيعَ الدُّنيا كُلُّها أن تُوقِفَ زَحفَهُم، أو تَمنعَ تقدُّمَهُم؛ لِذلك فَهم يُحَذِّرونَ وسيحذِّرون مِنَ الانجرار إِلى المعرَكَةِ الحَقِيقيَّة، بِحجَّةِ الخَوفِ مِن الطَّائِفِيَّة، والحِرصِ عَلى البلادِ! وَكَذبُوا!

وَهَا هِي أمرِيكَا بَدَأت تَتَوارَى فِي قَواعِدهَا الخَلفيّة، وتَدفَعُ بِهؤلاءِ فِي الصُّفوفِ الأَمَاميّة؛ لِينُوبُوا عَنها فِي حربِ المجَاهِدِين، فَعَدوُّنا الآن والخَطَرُ الدَّاهِمُ علَى الجِهاد: هُم هَؤلاءِ الروافِض، ومَعهمُ الحُثَالةُ مِن أهلِ السُّنة؛ فَهم الذينَ يَتتبَعُون العَورات، وَيعرِفُونَ المَدَاخِلَ والمَخَارِج، ويُوجِهُونَ حِرابَهم إِلى صُدُور المجاهدين، أَفَنَترُكُهم يَئِدُونَ الجِهادَ ويجتثُّونَ جُذُورَه، حَذَرًا مِن فِتنةِ طائفيةٍ مزعومة؟!

---

[١] بيت من قصيدة الشاعر أبي الطيب المتنبي.

فَها هُم يُحذِّرونَ مِن حربٍ طائفية، ويُظهرونَ الحِرصَ على الدَّم العِراقي والوَطَن العِراقي، فأَينَ حرصُهم على الدَّمِ العراقِي يومَ كانت فَيالِقُهُمُ العسكرية، تُقاتِلُ جنبًا إلى جنب مَعَ دَولةِ الرَّفضِ المجوسية، ضِدَّ أبناءِ شعبهم كَما يَزعُمُون؟!

بل اسألُوا أبناءَكم أيهَا الغَافِلونَ مِن أهلِ السُّنة، الذين كَانوا جُندًا للطَّاغيةِ صدام، عِندمَا أسرهمُ الجَيشُ الرافضيُّ الإيراني: مَن كَان يُعذِّبُهم؟ اسألوهم: أليسَ فَيلقَ الغدر (فَيلقَ بدر)؟ ألَم يَكُن يُحقِّقُ مَعهم وَيُعذِّبُهم بيده الهَالكُ باقرُ الحكيم؟

ما أسرعَ مَا نَسيتُم يَا أهلَ السُّنة!

ومن الغريب أيضًا، أن تدخل أمريكا محمد باقر الحكيم، الذي اتخذ من إيران عدو أمريكا مقرًّا له في معارضته للعراق، وهو يحمل الفكر الإيراني الشيعي نفسه، وهو أيضًا ربيب للنظام الإيراني وجميع أسلحته منه، ثم يُسمح له بالدخول باتفاق سري عُقِدَ في جنيف أشارت إليه عدة صحف؛ منها صحيفة لو كانار[١] الفرنسية، وقالت الصحيفة: (إن سيناريو عودة الحكيم الى العراق خضع لبرنامجٍ تم، ووضعته بدقة في لقاء جنيف إدارة بوش بتأمين سلامة عودة الحكيم، ولقد كان مقتله صفعةً لأمريكا، حتى أشاد بول وولفويتز (نائب وزير الدفاع الأمريكي وهو أحد صقور البنتاغون المتشددين) بمناقبه، ووصفه بالوطني الحقيقي، وبمصدر إلهام لاتباع الديانات المختلفة)[٢]! ولِمَ لا يألمون لمقتله وهو الذي كان يسمي الجهاد: (أعمال عُنف وتخريبًا للبلاد)؟! وهكذا تسمى الأمور بغير اسمها، وتصبح الخيانة والعمالة اجتهادًا سائغًا! وَلقد أكرَمَنا اللهُ فِيمَا مَضَى بقَتلِ الحكيم، الذي كَانَ يَقطرُ خُبثًا وَمكرًا وعداوةً لِأهلِ الإسلام؛ فقد أطلقَ العَنانَ لفيلَقِه فَيلقِ الغدر، أن يَسفِكُوا دِماءَ المُسلمين، وَيَهتِكُوا أعراضَهم، ويَستَولُوا على مَساجِدِهم؛ فكم مِن مَسجدٍ اغتَصبُوه! وَكم مِن عِرضِ حُرَّةٍ مُسلِمةٍ انتَهَكُوه! وَكم مِن دَمِ مُسلمٍ مجاهدٍ سَفَكُوه! وَكَم مِن أسيرٍ وأسيرةٍ بسببهم تَسلَّط عَليهِمُ الأمريكَان! وَحسبُنا أنَّنا لم نَسمَع أن رافضيًّا أو رافضيةً استاقَهُمُ الأمريكانُ أسرى، بَينَما سُجُونُهم

---

[١] أنشينيه.

[٢] منشورة في مابو ٢٠٠٣.

مَلأى بِالأَسرى مِن رجالِ ونساءِ أهلِ السُّنة، وَلتَسمعِ الدُّنيا أنَّنا مَاضُونَ بعونِ اللهِ فِي قَتلِ أئِمَّتِهم وحَصدِ رُؤوسِهم؛ غَضَبًا لأبي بكرٍ وعمرَ وعثمانَ وعلي والحسن والحسين وعَائشة، وَثأرًا للدِّمَاءِ المَسفُوحة، وَالأعرَاضِ المُنتَهبة، وَالمَساجدِ السَّلِيبة.

وَلَنْ نَكفَّ عَنكُم يَا أفَاعِي الشَّر، حَتى تَرفعُوا أيدِيَكُم عَن مَساجِدِنَا، وتَقبضُوا أيدِيَكُم عَن دِماءِ أهلِ السُّنة، وَتكفُّوا ألسِنَتكُم عَن الطَّعن فِي عِرضِ نبينا عليه الصَّلاةُ والسَّلام، وتَمتَنِعُوا عَن مُنَاصَرةِ الأَعداءِ مِن الصليبيينَ واليهود، عَلى أهلِ الإِسلام.

أمةَ الإسلام؛ يا أمتي؛ إنَّنَا نَألمُ هُنَا مِنَ الخِذلانِ العَجيب، والصَّمتِ الرَّهيب، الَّذي تَتعامَلِينَ بِهِ مَعَ المَلحمةِ الكُبرى، والوَقْعَةِ العُظمَى فِي هَذا الزَّمان، فَأَينَ زُحُوفُ الأَبطالِ، وأسودُ الشَّرى، وشَبابُ مُحمدٍ عليه الصلاةُ والسَّلام؟ وَأينَ عُلماءُ الإِسلام؟ لِماذَا تَنحَّيتُم عَنِ الطَرِيق، واعتَزلتُم قِيادةَ الرَّكب، واستَسلمتُم إلى المُتَعِ الزَائِفة، وَأخلَدتُم إلى الأَرض؟ فَأينَ قَوارعُ القُرآن؟ وَأينَ سِيَرُ الأَفذاذِ، وَمَآثرُ العُلمَاءِ والمُجاهِدِين؟ أليسَ فِيكُم مَن يُحيِيهَا؟

إن أعداء الله يدركون أنّ هذه الحرب نقطة تحول في أحوال العالم، وأنها مفترق طريق بين سيطرة مطلقة للغرب الكافر وحضارته وأنموذج حياته، وبين البعث الإسلامي القادم -بإذنِ اللهِ-؛ ولذلك قال بوش في كلمة أمام المجلس الوطني لتنمية الديمقراطية مشددًا على: (أن إخفاق الديمقراطية في العراق: سيشجع الإرهاب في العالم ويشكل تهديدًا للأمريكان)[١]، وأكد رئيس وزراء بريطانيا توني بلير؛ فقال: (إن ما يحصل اليوم في العراق سيحدد العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب)، وقال: (هذه هي المعركة الأساسية في بداية القرن الحادي والعشرين)، وأضاف: (نحن الآن في نقطة سيكون الإخفاق في العراق كارثة للغرب كله)[٢].

أمةَ الإسلام؛ أدركي الجِهادَ فِي العراق، قَبلَ أن تتكَالبَ الكَثرةُ الكَافِرةُ عَلى المُجاهدين، فوَالَّذي نَفسِي بيدِه، إذا خَبت جَذوةُ الجِهاد، وَضَعُفَ نَفسُه، وسُكِّرَتْ جُيوبُ الجِهادِ فِي العراق: فَلن تَقوم

---

[١] مجموع مختارة من خطابات بوش، خطاب للأمة حول العمليات العسكرية في العراق، ١٩ مارس ٢٠٠٣ (ص ١٨٦).
[٢] لم أجد النص في كلمات ٢٠٠٣-٢٠٠٤، لكن هنالك نصوص مشابهة في خطاب ١٨ مارس ٢٠٠٣ وخطابات أخرى.

للأُمَّة قائمةُ إلاّ أن يَشاءَ الله، وسيُضيَّقُ الخِناق على الأُمةِ بأَسرِهَا، وَسيَضرِبُ اللهُ الذُّلَّ عَلى الأُمَّة، وتحلُّ عليها العقوبات القدرية، وسَيُصبحُ حَالُنا كما ذَكرَ ابنُ كثير، في البدايَةِ والنِّهاية، عندمَا تَخَلَّفَ النَّاسُ عَن الجِهاد، وَلَمْ يَشعُرُوا إلاَّ والتتارُ فِي عُقرِ دَارهم، فَتمرُّ المرأةُ مِن التتار على الرَّهطِ مِنَ الرِّجال، فتقولُ لهم: مَكانَكُم لا تبرحوا، فتذهبُ فَتُحضِرُ السكين، ثُم تَذبَحُهم واحدًا تِلوَ الآخَر، دُونَ دِفاعٍ أو حِرَاك!

فالعُقوبةُ تَتبَعُها العُقُوبة، والمعصِية تعقُبُهَا المعصية، ولن تُرفَعُ العُقوبَةُ إلاّ بالتوبة النَّصُوح، والتوبةُ هنا: أن تَعودوا إلى دِينِكُم؛ وهو الجهاد.

أما أنتم حُكَّام العرب؛ فَقد رضِيتُم لأَنفُسِكُم أن تكُونوا أحذِيةً للبَاطِل، وَقَاعدةً خلفية تنطلقُ مِنهَا طَائِرَاتُ القتلِ والتدمِير، وَمَا زِلتُم قَواعِدَ إمدادٍ بالمؤنِ والعَتاد؛ فَنقُولُ لكُم: لقَد ذَهَبَ صَدَّام غَيرَ مَأسُوفٍ عليه؛ فَقَد كَانَ طاغِيةً، وعدوًّا للهِ ولِرَسُولِه، ذَهبَ بيدِ أسيادِهِ الأَمريكان، أمَّا أنتُم فَستذهبُون كذلِك، ولَكن، نسأَلُ الله أن يَكونَ ذَلكَ بأَيدِينَا وسُيُوفِنَا، وقَرِيبًا إن شاءِ الله، وَمَا ذَلكَ عَلَى اللهِ بعزِيز.

وأمَّا أنتم أيها المُجاهدون الأَبطال؛ فلكم تحيةُ إكبارٍ وإعزازٍ، فلَقد أكرمَكُمُ اللهُ؛ فَأَذَلَّ على أيديكم أعتى قوةٍ عَلى مرِّ التَّاريخ، فَعُضُّوا عَلَى النواجِذ، واجثُوا عَلى الرُّكب، واشحذُوا سُيوفَكُم، وأحرقوا الأرضَ تحتَ أقدام الغُزاة، أذيقوهُم حرَّ لَظَى، واقذفوا بهم فِي الجَحِيم، فلَقد دارت رَحَى الحربِ الزَّبُون، واشتعلَ أوارُ المعركة، واشتَدَّ لَهيبُهَا، فَكُونُوا فُرسَانَهَا، واقتَحِمُوا أهوالَها؛ عَليكم بِالأَمريكَان، عَليكُم بالرَّافِضَةِ، عليكم بالمنافقين والعُمَلاء.

أمةَ الإسلام؛ يا أمَّتي؛ نَحنُ أبناؤكِ وجُندُكِ الأَوفِياء، ونَعِدُكِ أن نظلَّ كذَلِكَ حتى آخرِ قطرةٍ من دمِنا، وسَنَظلُّ لكِ ماءً سلسبيلًا، عذبًا نميرًا، ونسائمَ باردة، ونورًا يُنير دربَ السالكين.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}، والحمدُ للهِ ربِّ العَالمين.

الكلمة الثالثة: تَفْجِيرُ مَقَرِّ المُخَابَرَاتِ؛ الرَّدُّ عَلى كَذِبِ المُخَابَرَاتِ الأُرْدُنِيَّةِ [صوتية]

١١ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ || ٣٠ أبريل ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الفقير **أبي مصعب الزرقاوي**، إلى **أمة الإسلام**؛

السلام عليكِ ورحمة الله وبركاته،

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فقد تناهى إلى سمع العالم الصخب والضجيج الذي أثارته دوائر الأمن في الأردن، وهي تحاول أن تصور الشعب الأردني كضحية مستهدفة، تحاول أيدي الإرهاب الوصول إليها للفتك بها والنيل منها، في مشهد درامي يستثير العواطف، ولتُظهر للناس أنها الدرع الحصين، والسيف القاطع، ضد من يتربص بأمن الشعب؛ في محاولة فاشلة لإخفاء الوجه القبيح لحقيقة دور هذه المؤسسات، التي أنشبت أظفارها، وغرست أنيابها في قلوب أهل الإسلام تعذيبًا وتشريدًا وقتلًا وأسرًا؛ حراسة لجناب دولة اليهود، وصيانة لأمنها، تمامًا كما صرح أحد ضباطها لأحد ليوث الإسلام في سجونهم، وهو يسخر منه ويهزأ قائلًا: (إياكم أن تحلموا بتحرير القدس ما دامت المخابرات الأردنية موجودة)! كلمات حق نطق بها كاذب دعي، تصور حقيقة ماثلة للعيان لا يجهلها إلا العميان.

وهنا لا بد من وقفات؛ فقد كذبت المخابرات الأردنية مرتين:

- مرة حين زعمت أننا كنا نعد للفتك بأهل الإسلام، وقتل الأبرياء من السكان،

- وثانيًا حين زعمت أنها أفشلت المخطط؛ حفظًا للبيضة، وصيانة لدماء أهل الإسلام؛

فما فعلوا ذلك إلا ذبًّا عن أسيادهم، وحماية لأوليائهم من اليهود والنصارى، وما كان لنا نحن أهل الإسلام أن نجترئ على قطرة دم حرام نهريقها بغير حق، فنحورنا دون نحوركم، وأرواحنا فدًى لكم، ودماؤنا نهريقها دفاعًا عن الإسلام وأهله، وما ذُكِرَ من أرقام خيالية، وأنها قنبلة كيماوية تقتل الآلاف من الناس: فهذا كذب محض.

فعلم الله أننا لو ملكنا –ونسأل الله أن ييسر ذلك قريبًا– أننا لو ملكنا هذه القنبلة: لَما ترددنا لحظة واحدة أن نسعى حثيثًا في ضرب مدن إسرائيل كإيلات وتل أبيب وغيرها، فالأطنان التي صُنِعت هي من المواد الأولية التي تباع في الأسواق، كما ذكر الأخ عزمي الجيوسي –فك الله أسره– ، وأما القنبلة الكيماوية والسموم فهي تلفيق من أجهزة الشر الأردنية، ولقد ظهر ذلك جليًّا، فآثار التعذيب كانت بادية على وجه الأخ ويديه، نعم؛ كانت الخطة أن يدمر مبنى جهاز المخابرات كاملًا، فالعملية كانت لمنابع الشر الأسود في ديارنا؛ وذلك للأسباب التالية:

أولًا: لقد استعلنت الحكومة الأردنية بالكفر، وجاهرت بالحرابة لله ورسوله، وعطلت الشريعة، وبثّت الخنا والفجور، وسبقت في هذا الميدان كل أنظمة الخيانة العربية، وغدت مطية لكل عدو كافر.

ثانيًا: لقد كانت الأردن ولا تزال قاعدة إمداد خلفية للمؤن والعتاد للجيش الأمريكي المحتل في العراق، حتى إنها سبقت في ذلك دولة الكويت، وتأهلت لأن تكون أحد شرايين الإمداد الرئيسية عبر خط جوي يمتد ليتلاقى مع المطارات الكردية في الشمال، منطلقًا من القواعد الأردنية؛ كالصفاوي والمفرق وماركا والجفر والأزرق.

ثالثًا: لقد أحدّت المخابرات الأردنية البصر، وأرهفت السمع، وجدّت كل الجد في مطاردة فرسان الإسلام في كل ساحات الجهاد، حتى تحول سجنها بحق إلى غوانتانامو العرب، فمن استعصى في التحقيق على الأمريكان في باكستان وأفغانستان: يُرحّل إلى الأردن؛ فيذوقُ التعذيب ألوانًا وأصنافًا، فهنالك إخوة من جزيرة العرب واليمن والشيشان والعراق ومصر وغيرها منذ سنتين وأكثر

في زنازين المخابرات الأردنية، ومنهم الأخ المجاهد أبو زبيدة -فك الله أسرهم جميعًا-، فأصبحت قاعدة بيانات ومرجعًا رئيسيًا لكل عدو للإسلام، يروم تصفية مجاهديه والنيل من فرسانه!

رابعًا: وفي المشهد العراقي أيضًا؛ بدأت خطة المكر والاختراق للمؤسسات والمجتمع العراقي من قِبل الموساد الأردني، بغطاء دبلوماسي من السفارة الأردنية هناك، عبر جوازات ووثائق ثبوتية وغيرها؛ بحيث صارت السفارة وكرًا للموساد، الذين يحلمون بكنوز أرض الفرات، ويعلم الله أن السفارة الأردنية أثناء القصف على بغداد قبل سقوطها لم تُغلق لحظة واحدة، مع أن جميع السفارات والقنصليات الأخرى أُقفلت قبل بداية الحرب الصليبية.

خامسًا: ولا ننسى هنا جيش المترجمين من العملاء الأردنيين، الذين يرقبون الغادي والرائح؛ بحثًا عن المجاهدين العرب الذين لا يهتدي الأمريكان إلى تمييزهم، بالإضافة إلى أسطول الناقلات للمؤن والزاد والبيوت الجاهزة، التي تنقلها الشاحنات الأردنية للجيش الأمريكي؛ حتى يستعينوا بها على حرب المجاهدين.

وفي الختام؛ فالحرب سجال، والأيام دول، ولنا معك حكومة الأردن وقائع تشيب لهولها الولدان، في مواقف -مضت بعض فصولها- والقادم أدهى وأمر بإذن الله.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

الكلمة الرابعة: كَلِمَةٌ فِي شَرِيطِ نَحرِ نِيكُولاسْ بِيرغْ [مرئية]

٢٢ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ || ١١ مايو ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّفِ الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فيا أمة الإسلام؛ أبشري فقد بدأت تباشير الفجر وهبت رياح النصر، فلقد أكرمنا الله في الفلوجة بنصر مؤزر في يوم من أيام الله، وكان الفضل لله وحده.

أمة الإسلام؛ هل بقي عذر للقاعد؟! وكيف ينام المسلم الحر ملء جفنيه وهو يرى الإسلام يذبح، ويرى نزيف الكرامة وصور العار وأخبار الامتهان الشيطاني لأهل الإسلام رجالًا ونساءً في سجن أبي غريب؟!

فأين الغيرة؟ وأين الحمية؟!

وأين الغضب لدين الله؟ وأين الغيرة على حرمات المسلمين؟!

وأين الثأر لأعراض المسلمين والمسلمات في سجون الصليبيين؟!

أما أنتم علماء الإسلام؛ فإلى الله نشكوكم، أَوَما ترون أن الله قد أقام الحجة عليكم بشباب الإسلام الذين أذلُّوا أعتى قوة في التاريخ؛ فكسروا أنفها وحطموا كبرياءَها؟ أَوَما آن لكم أن تتعلموا منهم معاني التوكل، وتستلهموا من فعالهم دروس التضحية والفداء؟ إلى متى تظلون كالنساء لا تحسنون إلا لغة اللطم ولا تعرفون إلا طريق العويل والبكاء؟! فهذا يناشد أحرار العالم! وذاك يتوسل إلى كوفي عنان! وثالث يستجدي عمرو موسى! ورابع يطالب بمظاهرات سلمية! وكأنهم لم يستمعوا إلى قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ} [الأنفال: ٦٥]! أَوَما شبعتم من جهاد

المؤتمرات والمعارك الخطابية؟! أوَما آن لكم أن تسلكوا طريق الجهاد وتحملوا السيف الذي بُعث به سيد الأنبياء؟! ونرجو منكم ألا تتورطوا كعادتكم في إنكار ما سنفعله إرضاءً للأمريكان؛ فقد أمر النبي ﷺ -وهو سيد الرحماء- بضرب أعناق بعض أسرى بدر وقتلهم صبرًا[١]، ولنا فيه أسوةٌ وقدوةٌ حسنة.

أما أنت كلب الروم بوش؛ فأبشر بما يسوؤك، وانتظر بعون الله أيامًا عصيبة، وستندم أنت وجنودك على اليوم الذي وطئت فيه أرض العراق، واجترأت فيه على حمى المسلمين.

ورسالة أخرى إلى العميل الخائن برويز مشرف؛ فنقول له: نحن في أشد الشوق انتظارًا لاستقبال جنودك، فوَالله لَنطلبنّهم قبل الأمريكان، وسنثأر لدماء إخواننا في وانا وغيرها.

وأما أنتن أمهات وزوجات جنود الأمريكان؛ فنقول لكُنَّ: إنا عرضنا على الإدارة الأمريكية مفاداة هذا الأسير ببعض الأسرى في سجن أبي غريب فامتنعت، ونقول لكُنَّ: إن كرامة المسلمين والمسلمات في سجن أبي غريب وغيرها دونها الدماء والنفوس، ولن يصلكنّ منا إلا النعوش إثر النعوش، والتوابيت تلو التوابيت، ذبحًا على هذه الطريقة.

[هنا يقوم الأمير أبو مصعب الزرقاوي -تقبله الله- بِذبحِ نيكولاس بيرج[٢]]

{فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} [التوبة ٥].

والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمجاهدين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

---

[١] روى الطبري في تفسيره (ج١١/ص١٤٣): عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ؛ قال: قتَل النبيُّ ﷺ يومَ بدرٍ صَبْرًا عقبةَ بنَ أبي مُعَيْطٍ، وطُعَيمةَ بنَ عَديّ، والنضرَ بنَ الحارثِ، وكان المِقْدادُ أَسَر النضرَ، فلما أمَر بقتلِه؛ قال المِقْدادُ: [يا رسولَ اللهِ] أسيري، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "إنه كان يقولُ في كتابِ اللهِ ما يقولُ"، فأمَر النبيُّ ﷺ بقتلِه، فقال المقدادُ: أسيري، فقال رسولُ اللهِ ﷺ: "اللهمَّ أَغْنِ المقدادَ من فضلِك"، فقال المقدادُ: هذا الذي أردتُ، وفيه أُنْزِلت هذه الآيةُ: ﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ الآية.

[٢] تعليق الطبعة الأولى: وبعد ذبحه علق المجاهدون جثة هذا العلج الكافر على أحد جسور بغداد؛ ليكون عبرة لغيره من العلوج، وشاهدًا على عزة المسلمين.

الكلمة الخامسة: وَصَايَا هَامَّةٌ لِلمُجَاهِدِينَ، وَالرَّدُّ عَلى المُخَذِّلِينَ [صوتية]

١٩ جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ || ٦ يوليو ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، بلّغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وتركها على المحجة البيضاء؛ ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠-٧١]، ثم أمَّا بعد:

فالتاريخ يعيد نفسه، ومنطق الأحداث عبر العصور لا يتغير؛ تتغير الأشخاص، ويتبدل اللاعبون، وتتطور الآلات، ولكن مسرح الأحداث ثابت، وقصة الصراع واحدة؛ حق يصارع باطلًا، وإسلام يحارب كفرًا وجاهلية ونفاقًا يتدسس، وضعفاء خورة يُمسكون العصا من الوسط؛ ينتسبون إلى أمتهم، ولكنهم يؤثرون دنياهم، وينتظرون سكون العجاج وانتهاء المعركة؛ لينحازوا إلى القوي، ويركبوا سفن الغالب، وبئس ما صنعوا!

وحدهم الربانيون يحملون الراية في زمن الانكسار، ويرفعون الجباه في زمن الاستخزاء، وتبحر هممهم عبر الأثير مسافرة إلى الخبير البصير، مقتدية بالبشير النذير ﷺ، غرباء تلفح وجوههم رياح الوحشة، وتدمى أقدامهم الحافية في صحراء ملتهبة بنار العداوات، تُغلق دونهم الأبواب؛ فيستطرقون باب السماء؛ فيُفتح لهم من روح الجِنان ما يحيا به الجَنان، خالطتهم بشاشة الإيمان؛ فلا يرتد أحد منهم سخطة لدينه، ولو رمته الدُّنيا عن قوس واحدة.

أمتي؛ لقد طفح الكيل، وبلغ السيل الزبى، وجاوز الظالمون المدى، واستنسر بأرضنا البغاة، واجترأت علينا الذئاب (بل الكلاب).

ويبحث الناس عن حل في سراب صحراء التيه، والحل بين أيديهم وبأيديهم؛ إنه الجهاد في سبيل الله.

وهذه وصايا أئمة الجهاد الذين سبقوا في هذا الدرب المبارك، جمعتها بتصرف يسير؛ تذكرة لنفسي ولإخواني المجاهدين، حضًّا على الثبات، ودعوة إلى المصابرة على المبادئ والثوابت.

أيها المجاهدون؛ إني لا أخاف عليكم كثرة عدوكم، ولا عظم أسلحتهم، ولا تحزب قوى الشر واجتماعها عليكم، ولا خذلان إخوانكم المسلمين في بقاع الأرض، ولكني أخاف عليكم من أنفسكم؛ أخاف أن يصيبكم الوهن والضعف والفشل وكثرة المعاصي، ولكم فيما حصل يوم أحد موعظة وذكرى؛ قال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ} [آل عمران: ١٥٢]؛ قال ابن كثير: (كان الظَّفر والنَّصر أوَّل النَّهار للإسلام، فلمَّا حصل ما حصل من عصيان الرُّماة، وفشل بعض المقاتلة؛ تأخَّر الوعد الذي كان مشروطًا بالثَّبات والطَّاعة)[١].

لقد حدث في هذه الغزوة مواقف عجيبة؛ منها: أن العدو كان أكثر من ثلاثة أضعاف عدد المسلمين، فنصر الله المسلمين في أول النهار؛ فلما عصوا أدار عليهم الدائرة آخره؛ قال جابر -رضي الله عنه-: (لقد تفرق الناس عن النبي ﷺ يوم أحد، وبقي معه أحد عشر رجلًا من الأنصار وطلحة)[٢]، وفي حديث أنس -رضي الله عنه- قال: (فلمَّا كان يوم أحدٍ وانكشف المسلمون؛ قال -يعني أنس بن النضر-: اللَّهُمَّ إنِّي أعتذر إليك ممَّا صنع هؤلاء -يعني أصحابه-، وأبرأ إليك ممَّا صنع هؤلاء -يعني المشركين-)[٣].

---

[١] تفسير القرآن العظيم (ج٢/ص١٣٣).

[٢] رواه ابن حجر العسقلاني في الفتح، وقال: إسناده جيد، ورواه البيهقي في الدلائل والنسائي في السنن باختلاف في اللفظ.

[٣] رواه البخاري.

وجلس أبو الدرداء يبكي بعد فتح جزيرة قبرص لـمّا رأى بكاء أهلها وفرقهم، فقيل: (يا أبا الدرداء في يوم أعزّ الله فيه الإسلام؟)، فقال: (ويحكم! ما أهون الخلق على الله إذا هم تركوا أمره، بينما هي أمة كانت قاهرة ظاهرة، تركوا أمر الله فصاروا إلى ما ترى)[١].

أيها المجاهدون؛ قد يتأخر نصر الله، وقد تكون هزائم وجراحات في صفوفكم، وليس هذا بغريب؛ إذ تلك سنة الله في الذين خلوا من قبل، ولن تجد لسنة الله تبديلًا؛ قال هرقل لأبي سفيان: (سألتُكَ: كيف كان قتالكم إياه -يعني رسول الله ﷺ-؟ فزعمت أنَّ الحرب سجالٌ ودولٌ، فكذلك الرُّسلُ تُبتلى، ثمَّ تكون لهم العاقبةُ)[٢].

إن أعظم ما تمتحنون به في قتالكم هو: (الصبر - واليقين).

اليقين: بأن الله منجزٌ وعده، وناصرٌ جنده وحزبه ولو بعد حين.

والصبر: عند الشدائد؛ فإن النصر مع الصبر، وإن الفرج مع الكرب، وإن مع العسر يسرًا.

سأل رجل الشافعي فقال: يا أبا عبد الله؛ أيما أفضل للرجل: أن يُمكّن أو يُبتلى؟ فقال الشافعي: (لا يُمكَّن حتى يُبتلى)[٣].

فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا صلوات الله عليهم وسلامه، فلما صبروا مكّنهم، فلا يظن أحدٌ أن يخلص من الألم البتة، يخطئ من يظن بالله ظن السوء؛ فينظر إلى عدد العدو وعدّتهم، وينسى وعد الله: {كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي} [المجادلة: ٢١]، {وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ} [المائدة: ٥٦]، {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِين} [الروم: ٤٧]، {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} [النور:

---

[١] ذكرها الزرقاوي بتصرف، رواه أبو إسحاق الفزاري في السير، وأحمد في الزهد، وسعيد بن منصور في سننه، وابن أبي الدينا في العقوبات، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢١٦ - ٢١٧).

[٢] رواه البخاري.

[٣] ذكرها ابن تيمية في تفسير أول سورة العنكبوت، جامع المسائل (ج٣/ص٢٥٤)، وابن القيم في الفوائد ومدارج السالكين وزاد المعاد (ج٣/ص١٧)، ولم أجد مصدرًا قبلهما.

٥٥]، فهذا الشرط مقابل المشروط: الأمان والإخلاص والعمل الصالح، ثم النصر والتمكين والاستخلاف: {وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ} [الزمر: ٢٠].

وما أجمل ما قاله سيد -رحمه الله- تعليقًا على قوله تعالى: {كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ٢٤٩]: (فهذه هي القاعدة في حس الذين يوقنون أنهم ملاقو الله؛ القاعدة: أن تكون الفئة المؤمنة قليلة؛ لأنها هي التي ترتقي الدرج الشَّاق حتى تنتهي إلى مرتبة الاصطفاء والاختيار، ولكنها تكون الغالبة؛ لأنها تتصل بمصدر القوى، ولأنها تمثل القوة الغالبة، قوة الله الغالب على أمره، القاهر فوق عباده، محطم الجبارين، ومخزي الظالمين، وقاهر المتكبرين)[1].

أيها المجاهدون؛ إنكم والله في حال تُغبَطون عليها، لا كما يقول المخذلون المرجفون ممن ينظرون إلى الأمر نظرة مادية بحتة، وأفزعها ما تبثه الأخبار الغربية والعربية وأذنابها من انتصار الأحزاب وفرار المجاهدين؛ فالحرب لا تقاس بالعدد والعدة، ولا بالنصر والغلبة؛ فإنه لا بد من هذا وهذا، ثم يأتي النصر والتمكين ولو بعد حين.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-، وهو يصف ما حصل في زمانه من تحزب الأحزاب من التتار والمنافقين وغيرهم على المسلمين: (فهذه الفتنة قد تفرَّق النَّاس فيها إلى ثلاث فرقٍ:

١- الطَّائفة المنصورة؛ وهم: المجاهدون لهؤلاء القوم المفسدين.

٢- والطَّائفة المخالفة؛ وهم: هؤلاء القوم، ومن تحيَّز إليهم من خبالة المنتسبين إلى الإسلام.

٣- والطَّائفة المخذِّلة؛ وهم: القاعدون عن جهادهم، وإن كانوا صحيحي الإسلام.

فلينظر الرَّجل: أيكون من الطَّائفة المنصورة، أم من الخاذِلة، أم من المخالفة؟ فما بقي قسمٌ رابعٌ.

واعلموا أنَّ الجهاد فيه خير الدُّنيا والآخرة، وفي تركه خسارة الدُّنيا والآخرة؛ قال تعالى: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ} [التوبة: ٥٢]؛ يعني: إمّا النَّصر والظَّفر، وإمَّا الشَّهادة والجنَّة؛

---

[1] في ظلال القرآن، (ج١/ص٢٦٩).

فمن عاش من المجاهدين كان كريمًا له ثواب الدُّنيا وحسن ثواب الآخرة، ومن مات أو قتل فإلى الجنَّة؛ قال النبي ﷺ: "يُعْطَى الشَّهِيدُ سِتُّ خِصَالٍ: يُغْفَرُ لَهُ بِأَوَّلِ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُوقَى فِتْنَةَ الْقَبْرِ، وَيُؤْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ" رواه أهل السُّنن[١]، وقال رسول الله ﷺ: "إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمِائَةَ دَرَجَةٍ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَةِ إِلَى الدَّرَجَةِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَعَدَّهَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ"[٢]، فهذا ارتفاع خمسين ألف سنةٍ في الجنَّة لأهل الجهاد)[٣].

إلى أن قال شيخ الإسلام: (وكذلك اتَّفق العلماء -فيما أعلم- على أنَّه ليس في التَّطوُّعات أفضل من الجهاد؛ فهو أفضل من الحجِّ، وأفضل من الصَّوم التَّطوُّع، وأفضل من الصَّلاة التَّطوُّع.

والمرابطة في سبيل الله أفضل من المجاورة بمكَّة والمدينة وبيت المقدس، حتَّى قال أبو هريرة -رضي الله عنه-: (لأن أُرابط ليلةً في سبيل الله، أحب إليَّ من أن أُوافق ليلة القدر عند الحجر الأسود)[٤]؛ فقد اختار الرِّباط ليلةً على العبادة في أفضل الليالي عند أفضل البِقاع)[٥].

إلى أن قال: (واعلموا -أصلحكم الله- أن النُّصرة للمؤمنين، والعاقبة للمتَّقين، وأنَّ الله مع الذين اتَّقوا والَّذين هم محسنون، وهؤلاء القوم -يعني الأعداء- مقهورون مقموعون، والله سبحانه وتعالى ناصرنا عليهم، ومنتقمٌ لنا منهم، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم، فأبشروا بنصر الله تعالى وبحسنى، {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩]، وهذا أمرٌ قد تيقَّنَّاه وتحقَّقناه، والحمد لله ربِّ العالمين)[٦].

ثم قال -رحمه الله-: (واعلموا -أصلحكم الله- أنَّ من أعظم النِّعم على من أراد الله به خيرًا: أن أحياهُ إلى هذا الوقت، الَّذي يُجدِّد الله فيه الدِّين، ويحيي فيه شِعار المسلمين وأحوال المؤمنين

---

[١] رواه التِّرْمِذِيُّ وابن ماجه وسعيد بن منصور وعبد الرزاق وأحمد وابن أبي عاصم بلفظ مقارب، (قال التِّرْمِذِيُّ: حسن صحيح غريب).
[٢] متفق عليه.
[٣] مجموع الفتاوى (ج٢٨/ص٤١٦-٤١٧).
[٤] رواه ابن حبان مرفوعًا، ورواه ابن عساكر في الأربعين في الجهاد والبيهقي في الشعب، باختلاف يسير.
[٥] المرجع السابق، (ص٤١٨).
[٦] المرجع السابق، (ص٤١٩-٤٢٠).

والمجاهدين، حتَّى يكون شبيهًا بالسَّابقين الأوَّلين من المهاجرين والأنصار، فمن قام في هذا الوقت بذلك: كان من التَّابعين لهم بإحسان الَّذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعدَّ لهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا ذلك الفوز العظيم، فينبغي للمؤمنين أن يشكروا الله تعالى على هذه المِحنة التي حقيقتها منحةٌ كريمةٌ من الله، وهذه الفتنة الَّتي في باطنها نعمةٌ جسيمةٌ، حتَّى والله لو كان السَّابقون الأوَّلون من المهاجرين والأنصار -كأبي بكرٍ وعمر وعثمان وعليٍّ وغيرهم- حاضرين في هذا الزَّمان: لكان من أفضل أعمالهم جهاد هؤلاء القوم المجرمين، ولا يفوت مثل هذه الغزاة إلا من خسرت تجارته، وسفَّه نفسه، وحرم حظًّا عظيمًا من الدُّنيا والآخرة، إلَّا أن يكون ممَّن عذر الله تعالى؛ كالمريض والفقير والأعمى وغيرهم)[١].

ويقول رحمه الله: (وسنام ذَلِك الْجِهَاد فِي سَبِيل الله؛ فَإِنَّهُ أَعلَى مَا يُحِبهُ الله وَرَسُوله، واللائمون عَلَيْهِ كثير؛ إِذْ كثير من النَّاس الَّذين فيهم إِيمَان يكرهونه، وهم إِمَّا مخذلون مفترون للهمة والإرادة فِيهِ، وَإِمَّا مرجفون مضعفون للقوة وَالْقُدْرَة عَلَيْهِ، وَإِن كَانَ ذَلِك من النِّفَاق)[٢].

أيها المجاهدون؛ لا أجد أفضل من أن أسوق إليكم ما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية معلقًا على تحزب الأحزاب في غزوة الخندق؛ قال -رحمه الله-: ([و]كان مختصر القصة -أي غزوة الخندق- أن المسلمين تحزَّب عليهم عامَّة المشركين الَّذين حولهم، وجاؤوا بجموعهم إلى المدينة ليستأصلوا المؤمنين، فاجتمعت قريشٌ وحلفاؤها من بني أسدٍ وأجشع وفزارة وغيرهم من قبائل نجدٍ، واجتمعت أيضًا اليهود من قريظة والنَّضير [...]، فاجتمعت هذه الأحزاب العظيمة وهم بقدر المسلمين مرَّاتٍ متعدِّدةً، فرفع النَّبيُّ ﷺ الذُّرِّيَّة من النِّساء والصِّبيان في آطامِ المدينة.

وفي هذه الحادثة -أي المعاصرة لشيخ الإسلام-؛ تحزَّب هذا العدوُّ من مغولٍ وغيرهم من أنواع التُّرك، ومن فرسٍ ومستعربةٍ، ونحوهم من أجناس المرتدَّة، ومن نصارى الأرمن وغيرهم، ونزل هذا العدوُّ بجانب ديار المسلمين وهم بين الإقدام والإحجام، مع قلّة من بإزائهم من المسلمين،

---

[١] المرجع السابق، (ص٤٢٠-٤٢١).
[٢] كتاب الاستقامة، (ج١/ص٢٦٥).

ومقصودهم الاستيلاء على الدار، وَاصْطِلَامُ أهلها، كما نزل أولئك بنواحي المدينة بإزاء المسلمين [...]، وكان عام الخندق بردٌ شديدٌ، وريحٌ شديدةٌ منكرةٌ بها صرف الله الأحزاب عن المدينة؛ كما قال تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا} [الأحزاب: ٩]، وهكذا هذا العام؛ أكثر الله فيه الثَّلج والمطر والبرد على خلاف أكثر العادات، حتى كره أكثر النَّاس ذلك، وكنَّا نقول لهم: لا تكرهوا ذلك؛ فإنَّ لله فيه حكمةً ورحمةً، وكان ذلك من أعظم الأسباب التي صرف الله بها العدوَّ. [...] وقال الله في شأن الأحزاب: {إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب: ١٠-١١]. وهكذا هذا العام؛ جاء العدوُّ من ناحيتي علوِّ الشَّام، وهو شمال الفرات)[1].

إلى أن قال: (وظنَّ النَّاس بالله الظَّنونا:

- هذا يظنُّ أنَّه لا يقف قدامهم أحد من جند الشَّام حتى يصطلموا أهل الشَّام.

- وهذا يَظُنُّ أنَّهم لو وقفوا لكسروهم كسرةً، وأحاطوا بهم إحاطة الهالة بالقمر.

-وهذا يَظُنُّ أنَّ أرض الشَّام ما بقيت تسكن، ولا بقيت تكون تحت مملكة الإسلام.

- وهذا يَظُنُّ أنَّهم يأخذونها، ثم يذهبون إلى مصر فيستولون عليها، فلا يقف قدَّامهم أحدٌ، فيحدِّث نفسه بالفرار إلى اليمن ونحوها.

- [...] وهذا قد تعارضت عنده الأمارات، وتقابلت عنده الإرادات، لا سيَّما وهو لا يفرِّق من المبشِّرات بين الصَّادق والكاذب، ولا يميِّز في التَّحديث بين المخطئ والصَّائب [...]؛ فلذلك استولت الحيرة على من كان مُتَّسمًا بالاهتداء، وتراجمت به الآراء تراجم الصِّبيان بالحصباء؛ {هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا} [الأحزاب: ١١]، ابتلاهم الله بهذا الابتلاء الَّذي يكفِّر به خطيئاتهم ويرفع به درجاتهم [...]، ثم قال تعالى: {وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا} [الأحزاب: ١٣] [...]، فقالت طائفةٌ منهم:

---

[1] مجموع الفتاوى (ج٢٨/ص٤٤٣-٤٤٦).

- لا مقام لكم هنا؛ لكثرة العدوِّ، فارجعوا إلى المدينة.

- [...] وقيل: لا مقام لكم على القتال، فارجعوا إلى الاستئمان والاستجارة بهم.

وهكذا لـمَّا قدم العدوُّ من التَّتار؛ كان من المنافقين من قال:

- ما بقيت الدَّوْلَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ تقوم، فينبغي الدُّخول في دولة التَّتار!

- وقال بعض الخاصَّة: ما بقيت أرض الشام تسكن [...].

- وقال بعضهم: بل المصلحة الاستسلام لهؤلاء -كما قد استسلم أهل العراق-، والدُّخول تحت حكمهم)[١].

إلى أن قال شيخ الإسلام: (فإنَّ هذه الحادثة كان فيها أمورٌ عظيمةٌ جازت حدَّ القياس، وخرجت عن سنن العادة، وظهر لكلِّ ذي عقلٍ من تأييد الله لهذا الدِّين وعنايته بهذه الأمَّة [...] بعد أن كاد الإسلام أن ينثلم، [...] وانقطعت الأسباب الظَّاهرة، وأهطعت الأحزاب القاهرة، وتخاذلت القلوب المتناحرة، وثبتت الفئة النَّاصرة [...]، ففتح الله أبواب سماواته لجنوده القاهرة [...]، وأرغم معاطس أهل الكفر والنِّفاق، وجعل ذلك آيةً للمؤمنين إلى يوم التلاق)[٢].

ولما وصلت الأخبار أن التتار يُعدون العدة لغزو الشَّام؛ فخاف الناس، وغلت المواصلات، وأصبح إيجار الخيل من حماسة إلى دمشق مائتي درهم سنة ٦٩٩ للهجرة، ورأى بعض الأمراء تسليم القلعة للتتار؛ حماية للسكان، فوقف ابن تيمية أمامهم، وطلب من صاحب القلعة عدم تسليمها ولو لم يبق فيها إلا حجرٌ واحد؛ فأخذ صاحب القلعة برأي ابن تيمية، وكان فيه مصلحة للمسلمين، ووصلت الأخبار بقدوم الجيوش المصرية إلى الشَّام، فخرج هولاكو ومن معه من التتار إلى دمشق، وبقيت دمشق بلا جند ولا حرس، فنودي في أهلها أن يخرجوا بأسلحتهم، ويبيتوا على الأسوار والأبواب يحرسون البلد فخرجوا على الأسوار، وكان ابن تيمية يدور على الأسوار كل ليلة يحرض

---

[١] المرجع السابق، (ص ٤٤٦-٤٥١).
[٢] المرجع السابق، (ص ٤٦٦).

الناس على الصبر والقتال، ويتلو عليهم آيات الجهاد والرباط، ولما عادت الحياة إلى دمشق: دار ابن تيمية وأصحابه على الحانات فكسروا آنية الخمور، ثم خرج ابن تيمية مع الأثرم -نائب دمشق- إلى بلاد جبيلة وكسروان لتأديب الرَّافِضَة والباطنية على دعمهم التتار، وإغارتهم على المسلمين، فخرج رؤساؤهم إلى ابن تيمية فأظهروا الطاعة والندم، وردوا كل ما أخذوا، ثم عاد الأثرم إلى دمشق، وصدرت الأوامر أن يُعلق الناس الأسلحة بالدكاكين، وأن يتعلموا الرمي؛ فبُنِيَت الإماجات (وهي معسكرات التدريب في دمشق)، وأمر الفقهاء أن يتعلموا الرمي استعدادًا لأي ظرف طارئ[1]، وهكذا يجب الاستعداد من الأمة في أوقات الرخاء، حتى إذا نزلت الشدائد: انبرى من أبنائها من يدافع عنها، ويرد عنها كيد الأعداء.

وفي سنة ٧٠٢ للهجرة؛ دخل التتار بلاد الشَّام؛ فاضطرب الناس، وقنتوا في الصلاة، ثم كان أولى المواجهات؛ فجاءت قوة من التتار قوامها سبعة آلاف مقاتل، فتصدى لها جماعة من أبطال الشَّام عددهم ألف وخمسمائة، فنصر الله جنوده، ومع اقتراب جيش التتار انسحب الجيشان: الحموي والحلبي إلى حمص، ثم خافوا أن يباغتهم التتار فنزلوا إلى مرج الصُفّر، ووصل التتار إلى حمص، ثم ساروا إلى بعلبك، فاقتربوا من دمشق، فاشتد خوف الناس، وانتشرت الإشاعات والأراجيف؛ فكان لشيخ الإسلام ابن تيمية دور كبير في تهدئة الناس والحفاظ على الاستقرار الداخلي، ثم بدأ بعض الناس يُشككون في شرعية قتال التتار؛ لأنهم يظهرون الإسلام[2]! تمامًا كما يفعل بعض المنهزمة الآن في قتال جند الطواغيت.

قال ابن حزم في المحلى: (ولا إثم بعد الكفر أعظم من إثم من نهى عن جهاد الكفار، وأمر بإسلام حريم المسلمين [إلى أعداء الله])[3].

فانبرى ابن تيمية لهم وأصدر فتاويه المشهورة في وجوب قتال التتار، وفنّد جميع الشبه التي أثيرت حول هذه المسألة، وكان يقول للناس: (إذا رأيتموني من ذلك الجانب وعلى رأسي مصحفٌ؛

---

[1] البداية والنهاية، ابن كثير (ج١٧/ص٧١٧-٧٣١)، اختصرها الزرقاوي.

[2] المرجع السابق، (ج١٨/ص٢٠-٢٣)، اختصرها الزرقاوي.

[3] (ج٥/ص٣٥٢).

فاقتلوني)، فتشجَّع النَّاس في قتال التّتار، وقويت قلوبهم[١]، ولما اقترب التتار التفت ابن تيمية إلى أحد أمراء الشَّام، وقال: (يا فلان الدِّين، أوقفني موقف الموت)، يقول الأمير: فسُقْتُه إلى مقابلة العدو وهم مُتحدّرون كالسّيل، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار، ثم قلت له: (يا سيدي! هذا موقف الموت، وهذا العدوُّ قد أقبل تحت الغبرة)، فرفع الشيخ طرفه إلى السماء، وأشخص بصره، وحرّك شفتيه طويلًا يدعو ربه، ثم التحم بالتتار، واشتد القتال، واشتعل النزال، واستبسل الأبطال، ففر التتار إلى الجبال، ثم أظلم الليل وحاصر المسلمون الجبال، وقد امتلأت قلوب التتار بالرعب[٢].

أيها المجاهدون؛ إن الدين لا يقوم إلا على أولي العزمات من الرجال، ولا يقوم أبدًا على أكتاف المترخصين والمترفين، وحاشاه أن يقوم على أكتافهم، فالدين العظيم لا يقوم إلا على أكتاف العظماء من الرجال، والمسؤولية الجسيمة التي ناءت بحملها السماوات والأرض، لا يمكن أن يقوم بها إلا أهلها ورجالها.

إن كنت تنوح يا حمام البانِ *** للبينِ، فأين شاهد الأحزانِ؟
أجفانك للدموع أم أجفاني *** لا يُقبل مُدّعٍ بلا برهانِ[٣]

كيف يقوم الإسلام ويعود إلى سالف مجده وعزه دون عزمة كعزمة أبي بكر الصديق يوم الردة؟ إذ أقسم ذلك الشيخ الكبير، الرقيق البكّاء، في عزمة من أعظم عزماته قائلًا: (واللَّهِ لأقتلنَّ من فرَّقَ بينَ الزَّكاةِ والصَّلاةِ، وإنَّ الزَّكاةَ حقُّ المالِ، واللَّهِ لَو منعوني عقالًا كانوا يؤدُّونَه إلى رسولِ اللهِ ﷺ: لَقاتلتُهم علَى منعِه)[٤]، كيف يقوم الإسلام دون عزمة كعزمة أنس بن النضر الذي قال: (لَئِنِ اللَّهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللَّهُ ما أَصْنَعُ)[٥]؟ فشهد أحدًا فقاتل، حتى وُجِد بجسده وهو ميت

---

[١] البداية والنهاية، (ج١٨/ص٢٤).
[٢] العقود الدرية في مناقب ابن تيمية، ابن عبد الهادي (ص٢٢٨-٢٢٩).
[٣] أبيات لابن رجب الحنبلي، لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، (ص١٧٤).
[٤] رواه البخاري ومسلم وأحمد وأبو دود والنسائي والتِّرْمِذِيُّ واللفظ له.
[٥] رواه البخاري والتِّرْمِذِيُّ.

بضع وثمانون طعنة وضربة، وقد كان النبي ﷺ يدعو ربه: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ، وَالْعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ"[١].

إن الهمة العالية لتغلي في قلوب أصحابها غليان الماء في القدر، وإنها لتستحث صاحبها على عظائم الأمور صباح مساء، حتى يكون كما يقول الشافعي -رحمه الله-: (الراحة للرجال غفلة)[٢]، وهذا الصحابي عبد الله بن جحش ينتحي جانبًا مع سعد بن أبي وقاص قبل غزوة أحد، واتفقا على أن يدعو كل واحد منهما دعاءً ويؤمن الآخر؛ فكان دعاء عبد الله بن جحش: (اللهُمَّ ارْزُقْنِي رَجُلًا شَدِيدًا حَرَدُهُ شَدِيدًا بَأْسُهُ، أُقَاتِلُهُ فِيكَ وَيُقَاتِلُنِي، ثُمَّ يَأْخُذُنِي فَيَجْدَعُ أَنْفِي وَأُذُنِي، فَإِذَا لَقِيتُكَ غَدًا قُلْتَ: يَا عَبْدَ اللهِ؛ مَنْ جَدَعَ أَنْفَكَ وَأُذُنَكَ؟ فَأَقُولُ: فِيكَ وَفِي رَسُولِكَ، فَتَقُولُ: صَدَقْتَ)[٣]، ما أعظم هذا الدعاء! وما أروعه! إنها نفوس باعت كل شيء لربها، وتحول المر عندها حلوًا، إنه لا يصدر إلا من رجل استعذب الطريق وذاق حلاوته، فلا يهمه شيء سوى مرضاة ربه، ولا يهمه سوى أن يلاقي الله وهو طائع له مقتول في سبيله، مَن لنا بمثل هذه العزمات؟ من لنا بمثل أحمد بن حنبل، وابن تيمية، والعز بن عبد السلام؛ يحملون راية الجهاد في سبيل الله، والجلاد ضد أعداء الله؟!

وقد ترك العلماء الميدان، وانسحبوا من قيادة الركب، وشق عليهم أن يبذلوا المهج من أجل الله، ولم يكفهم حتى صاحوا بالمجاهدين، ورموهم بكل نقيصة، فلا تسمع صوتهم إلا في مناوأة المجاهدين؛ كل ذلك تحت ذريعة: السياسة والكياسة! ولا أدري متى سيترك هؤلاء (فقه الهزيمة، ومفاهيم الخور والجبن)! أمَا سمعتم كيف استنكروا ذبح الأمريكي (بيرغ)؟! لقد أقدموا على الاستنكار؛ لأنهم أحجموا من قبل عن قتال الكفار، ولأنهم لم يتنسموا رياح العز، ولم يرفعوا رأسًا بمعاني الإيمان التي يستعلي بها المؤمن على الجاهلية وأهلها: {وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [المنافقون: ٨]، فمثلهم حقيق أن يشق عليه تصور نفسه -وهو العبد الذليل- يذبح السيد الأمريكي!

---

[١] رواه أحمد والتِّرْمِذِيُّ والنسائي وابن حبان والطبراني، (صحيح).

[٢] هذا الأثر ذكره الماوردي في أدب الدين والدنيا عن عمر -رضي الله عنه-، ولا أثر له في كتب الحديث ولا في كلام الشافعي.

[٣] رواه أبو نعيم في الحلية (ج٣/ص١٦٠٧)، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما لولا إرساله، وابن سعد في الطبقات، والطبراني.

نعم، فلقد ارتضعوا لبان الهوان من ثدي أمهاتهم فسرى في أعماقهم، فأنى لهم أن يغيروا أو يبدلوا؟! هذه الحقيقة المرة لا يستعلنون بها، ولكنهم يغطونها برداء الفقه، ويقدمونها موشّاة بلباس الحكمة! فزعموا وكذبوا أن هذا الأمر شوّه صورة الإسلام في أعين الغربيين ذوي الأحاسيس المرهفة، وأن العالم كان يتفاعل مع جريمة أبي غريب وغوانتانامو، فجاءت هذه العملية فأثرت سلبًا على هذا التفاعل والتجاوب من شعوب العالم! بل إن شعبية كلب الروم بوش كانت في أدنى مستوياتها فجاءت هذه العملية فرفعت من شعبيته، وكأن أحرار العالم المزعومين كانوا قد أحدّوا سيوفهم، وعبّؤوا كتائبهم، واشرأبت منهم الأعناق؛ لتحرير العراق، واستنقاذ الحرائر والثكالى من سجون القهر والظلم!

والمؤسف حقًا والمفزع أن الإعلام الصليبي الكافر قد استطاع -وبمواطأة أبناء جلدتنا- أن يؤثر في تكوين شخصية المسلم؛ فمن خلال الضخ الرهيب من القنوات العربية والعالمية: نجح هؤلاء في غسل أدمغة المسلمين والتأثير على تفكيرهم، وتنكيس فطرهم، وتخنيث عزائمهم.

سبحان الله! عدو صليبي حقود جاء بمخطط رهيب؛ للسيطرة على الأمة، والتمكين لليهود، فحارب الشريعة، واغتصب الحرمات، وانتهك الأعراض، وسام الناس الخسف والهوان، وأمتي ترقب من بعيد لا تحسن غير اللطم والعويل، عاجزةٌ عن كسر قيود الذل التي رسفت فيها زمانًا طويلًا!

لقد نشأت أجيالٌ أُشربت الذل، وذُلِّلت بلبوس العار، فانقلبت موازينها، وتغيرت تغيرًا كبيرًا جدًّا، ففقدت موازين الرشد وهداية السماء، كما أخبرنا الصادق المصدوق: "تُعْرَضُ الفِتَنُ على القُلُوبِ عَرْضَ الحَصِيرِ عُودًا عُودًا؛ فأيُّ قَلبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْداءُ، وأيُّ قَلْبٍ أنْكَرَها نُكِتَتْ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضاءُ، حَتَّى يَصِيرَ القَلْبُ أبْيَضَ؛ مِثْلَ الصَّفا، لَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّماواتُ والأَرْضُ، والآخَرُ أسْوَدَ مُرْبَدًّا كالكُوزِ مُجَخِّيًا؛ لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ"[1]، وهذا هو أبو بكر الصديق، الرحيم الشفيق -فداه أبي وأمي- يخط لنا طريقًا لائحًا، وسنة

[1] رواه مسلم وابن ماجه واللفظ له.

واضحة؛ حين كُتب إليه في أسير التمس قومه فداءه بكذا وكذا؛ فقال: (اقتُلوه، لَقَتْلُ رجلٍ من المشركين أحبُّ إليَّ من كذا وكذا)[1].

ولقد سعى بعض الوسطاء في استنقاذ هذا العلج، وبذلوا لنا ما شئنا من الأموال –مع حاجتنا الماسة إلى المال نضخه في عجلة الجهاد–، ولكننا آثرنا أن نثأر لأخواتنا وأن ننتقم لأمتنا، ونحن قد عاهدنا الله على أن نُحيي الأمر العتيق، ونلزم سُنن الراشدين، ألم يقل نبينا وهو الرحيم الشفوق ﷺ: "لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ"[2]؟ فوجلت منها قلوب العتاة القساة من ملأ قريش، فهابوه وخافوه، وأقبلوا يسترضونه ويستعطفونه، وقد كانوا قبل ذلك يسخرون منه ويهزؤون.

ونقول: لو أن الأمة شحذت سيوفها، وقامت على أمشاط أقدامها، وجيشت جيوشها، وتحركت صوب واشنطن طلبًا للثأر، فجاءت حادثة الذبح فعكست الرياح وبعثرت الجيوش؛ لكان لهم شأن آخر، ولكن أين أمتي مما حلّ ويحُل بالمسلمين في العراق وفلسطين وأفغانستان وأندونيسيا والشيشان وغيرهم؟ فهل تُحسن أمتي إلا البكاء والنحيب، والمظاهرات السلمية، والشجب والتنديد؟! فماذا فعلت جيوش المتظاهرين لأفغانستان؟! بل ماذا فعلت الأمة للملا عمر الذي ضحى بدولة كاملة لأجل مُسلمٍ واحدٍ[3]، وهو الآن شريدٌ طريدٌ في الجبال؟! وماذا فعلت الأمة لنساء سراييفو وأندونيسيا وكشمير وفلسطين والعراق، اللائي تلطخ شرفهن على مرأى ومسمع من الأمة جمعاء؟! والله لو كان فينا بقية من غيرة ونخوة على أخواتنا الحرائر لما طاب لنا نوم، ولما تلذذنا بالنساء على الفرش حتى تستنقذ هؤلاء الثكالى! ويلك أمتي! عرضُكِ بيد عباد الصليب يعبثون به ولا مجيب!

قد استردَّ السبايا كلُّ منهزمٍ *** لم تبقَ في رِقِّها إلاّ سبايانا
وما لمحتُ سياطَ الظُّلم داميةً *** إلاّ عرفتُ عليها لحمَ أسرانا
ولا نموتُ على حدِّ الظُّبا أنفًا *** حتَّى لقد خجلت منّا منايانا[4]

---

[1] رواه الطبري في تفسيره، (ج٢١/ص١٨٤)، وعبد الرزاق في مصنفه.
[2] رواه أبو نعيم في الدلائل (ص٢٠٨)، وأحمد وابن حبان (إسناده حسن).
[3] أسامة بن لادن –تقبله الله–.
[4] أبيات من قصيدة (يا وحشة الثأر) للشاعر بدوي الجبل.

واستنهاضًا للعزائم، وإقرارًا لعيون الموحدين في مشارق الأرض ومغاربها؛ عزمنا على ألا نفادي هذا العلج ولو دفعوا لنا وزنه ذهبًا، بل إننا عاهدنا الله ألا نفادي أسيرًا بمال مهما بلغ، مع إقرارنا بجواز ذلك، ولكن حتى يعلم أعداء الله أنه ليس في قلوبنا هوادة ولا رحمة لهم؛ فإما فك العاني، وإما النحر.

وأعجب عجبًا لا ينقضي من موقف بعض المنهزمين من أصحاب الخور والجبن، الذين أماتوا علينا ديننا، ورضوا بالهوان، وعلى رأسهم حارث الضاري (الأمين العام لهيئة علماء المسلمين في العراق)، الذي صرح في بعض مجالسه الخاصة بأنه ما عاد يستطيع أن يرفع رأسه بسبب ذبح الأمريكي، والمنصر الكوري الجنوبي! فأقول له: لقد كنت أظن من قبل أنك ستحفر قبرًا وتنام فيه حتى يأتيك الموت؛ خجلًا من عجزك عن مناصرة أخواتك المسلمات اللواتي انتهك عرضهن في سجن أبي غريب، الذي يقع على بعد مئات الأمتار من بيتك! أو أن تقسم أنك لن تلبس عقالًا على رأسك، ولن تذوق طعامًا، ولن يغمض لك جفن؛ حتى تستنقذ أخواتك أو تهلك دون ذلك؛ ولكن وللأسف لم يحصل شيء من ذلك! غاية جهادك أن تمد حبال الود مع الرَّافِضَةِ! ألا تذكر مواقف الخزي والعار التي ذللتك إلى يوم القيامة؟ حين جمعتكم لقاءات الشر مع جواد الخالصي، فخاطبته قائلًا: (كنت أسمع عن صبرك وجلادك؛ فآليت على نفسي إن لقيتك أن أقبل رأسك، وحان وقت الوفاء)، ثم قمت مبادرًا فقبلت رأسًا مُلئت بالحقد على الإسلام، رأسا لا يفتر لسانه عن الطعن في عرض نبيك محمد ﷺ! فقل لي بربك: بأي وجه تقابل نبيك يوم الحشر؟ لقد كنت ضاريًا حقًّا على أهل الإسلام؛ حين اتهمت رموز الجهاد بالعمالة، ولكنك كنت حِملًا وديعًا مسالمًا مع الرَّافِضَة؛ فتبرعت لهم بمساجدنا بزعمك أنها حجارة ويمكن أن يبنى غيرها! فإلى الله نشكوكم، وبين يديه سنوقفكم ونسألكم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وإنك لتعجب أشد العجب من الصبر والجلد من أعداء هذا الدين في حربهم للمسلمين، وبذل نفوسهم ومهجهم وأوقاتهم في سبيل نصر باطلهم؛ قال تعالى: {وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ} [ص: ٦]؛ فهم يقطعون الفيافي والقفار بأساطيلهم وجيوشهم الجرارة؛ من أجل نشر عقائدهم الباطلة، وتراق دماؤهم، وتزهق أنفسهم؛ في سبيل باطلهم!

نعم؛ فقد نشرت جريدة الديلي تلغراف البريطانية[١] مؤخرًا تقريرًا يشير إلى: أن العراق أصبح مرتعًا للحملات التنصيرية، وأشارت إلى أن أعضاء الجماعات التبشيرية في الولايات المتحدة بدؤوا حربًا تنصيرية ضارية، تحت عنوان (إنقاذ النفوس في العراق)؛ حيث أكد قادة تلك الجماعات أن احتلال أمريكا للعراق: أوجد فرصة تاريخية لهداية النفوس الحائرة من الشعب العراقي؛ سواء كانوا من مسلمين أو النصارى الشرقيين الأرثوذكسيين، ويقول رئيس مجلس التنصير العالمي جون برادي (المسؤول عن التنصير في الشرق الأوسط): (إن أعضاء الكنيسة المعمدانية البالغ عددهم ستة عشر مليون نسمة؛ قد طلبت منهم الكنيسة قبل الحرب أن يواصلوا الدعاء من أجل فتح العراق)، وقال جون حنا (أحد المنصرين) بعد زيارة قام بها بالعراق: (المسؤولية كبيرة على المبشرين الأمريكيين؛ فالأبواب كلها مفتوحة، وأساليب التبشير متاحة، والدعم العسكري موجود؛ لإنقاذ العراقيين من القيم المعادية للمسيحية والمسيحيين).

أيها المجاهدون؛ سيقول لكم المنافقون وقطاع الطريق إلى الله: أتظنون أن شيئًا مما تريدون سيتحقق؟ وهل تظنون أن الخلافة الإسلامية أو حتى الدولة الإسلامية ستقوم؟ إن ذلك لا يمكن أن يحدث، وهو أمر أقرب إلى الخيال من الحقيقة! فإذا قالوا ذلك فتذكروا قول الله تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيم} [الأنفال: ٤٩]، وقولوا لهم: إن الله سيفتح على المسلمين روما كما وعد رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح، وكما فتحت القسطنطينية من قبل[٢]، قولوا لهم: إننا نأمل من نصر الله بما هو أبعد من ذلك؛ إننا نرجو من الله أن يفتح البيت الأبيض والكرملين ولندن، ومعنا وعد الله: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم} [النور: ٥٥]، أما متى يكون ذلك؟ فهذه ليست مهمتنا، ولم يكلفنا الله بها، وإنما كلفنا بالعمل للدين والذود عن الشريعة، واستفراغ الوسع في ذلك وبذل أقصى الجهد، أما النتائج فهي إلى الله عز وجل.

---

[١] مقالة (انطلاق الحزام الإنجيلي التبشيري لإنقاذ النفوس في العراق)، ديفيد ريتّي، ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٣، (Bible Belt missionaries set out on a 'war for souls' in Iraq).

[٢] تعليق إتقان: لم تُفتَح القسطنطينية بعد، والدولة العثمانية ليست دولة حق، كما أن الحديث أفاد أن القسطنطينية تُفتح بالتكبير.

فعَليكَ بَذرُ الحَبِّ لا قَطفُ الجَنَى *** واللهُ لِلسَاعِين خَيرُ مُعِينِ[1]

عندما ابتلي الإمام أحمد -رحمه الله- في فتنة خلق القرآن، وظهرت الفتنة بقوة السلطان؛ جاء رأس البدعة أحمد بن أبي دؤاد إلى الإمام أحمد متشمتًا: (يا أبا عبد الله؛ ألا ترى الحقَّ كيف ظَهر عليه الباطل؟)؛ فقال الإمام أحمد -رحمه الله-: (كَلّا؛ إن ظهور الباطل على الحق أن تَنتقل القلوب من الهُدى إلى الضَّلالة، وقلوبنا بَعد لازمةٌ للحق)[2].

قولوا لهؤلاء كما قال يعقوب عليه السلام: {إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُون} [يوسف: ٩٤]، فرغم كل هذه الابتلاءات والشدائد؛ فإننا نجد ريح الفرج والنصر والتمكين، لولا أن تفنَّدونا، وكثير من الناس يقولون لكم: إنكم لفي ضلالكم القديم! لقد قال المنافقون للصحابة بعد غزوة أحد: ارجعوا إلى دين آبائكم! وهذه الكلمات يقولها المنافقون لأهل الإيمان في كل زمان إذا أصابت المجاهدين في سبيل الله مصيبة، أو تعرضوا إلى قتل وجراح وسجن وتعذيب، فإذا قالوا ذلك فقولوا لهم: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج: ٣٨]، {وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُه} [الحج: ٤٠]، وسيقول المنافقون لكم مثلما قالوا عن أصحاب الرجيع الذين غدر بهم المشركون: (يا ويح هؤلاء المفتونين الذين هلكوا هكذا؛ لا هم أقاموا في أهلهم، ولا هم أدوا رسالة صاحبهم)، وهذه الكلمات ستقال لكم هذه الأيام كلما قتل بعض الإخوة: لا هم قعدوا وسلموا، ولا هم استطاعوا أن يزيلوا المنكرات والموبقات! فإذا سمعتم هذا فقولوا لهم قول الصّدّيقة خديجة: (أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَدًا)[3]. فنقول لكل من يجاهد في سبيل الله: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا؛ إنكم لتصلون الأرحام، وتذودون عن الشريعة، وتجاهدون في سبيل الله ضد من كفر بالله من اليهود والصليبيين والمرتدين.

---

[1] لا يُعلم قائلها، وهي جزء من قصيدة (هون عليك الأمر).

[2] مناقب الإمام أحمد، ابن الجوزي، (ص٤٢١). ولم يذكر أن القائل ابن أبي دؤاد.

[3] رواه البخاري.

قال المؤرخ محمد البسام في كتابه (الدرر والمفاخر في أخبار العرب الأواخر) عن علماء الدعوة النجدية في قتالهم لملك مصر: (ولا والله تغلّب عليهم صاحب مصر عن ضعف منهم أو جبن؛ بل خيانة من العربان، ورضى من ساكني البلدان)[١].

أيها المجاهدون؛ لقد بعتم أنفسكم لله عز وجل، وليس أمامكم إلا خيار واحد؛ هو أن تُسلموا المبيع لمن اشتراه: {إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١١١]، وإذا استلم المشتري المبيع فليصنع به ما شاء، وليضعه حيث يشاء؛ فإن شاء وضعه في قصر، وإن شاء وضعه في سجن، وإن شاء ألبسه فاخر الثياب، وإن شاء جعله عاريًا إلا مما يستر به عورته، وإن شاء جعله غنيًّا، وإن شاء جعله فقيرًا معوزًا، وإن شاء علقه على عود مشنقة، أو سلّط عليه عدوه؛ فقتله أو مثّل به.

يقول سيّد -رحمه الله- معلقًا على حادثة أصحاب الأخدود: (لم يكن بد من هذا النموذج الذي لا ينجو فيه المؤمنون، ولا يؤخذ فيه الكافرون! ذلك ليستقر في حس المؤمنين -أصحاب دعوة الله- أنهم قد يدعون إلى نهاية كهذه النهاية في طريقهم إلى الله، وأن ليس لهم من الأمر شيء، إنما أمرهم وأمر العقيدة إلى الله! إن عليهم أن يؤدوا واجبهم، ثم يذهبوا، وواجبهم أن يختاروا الله، وأن يؤثروا العقيدة على الحياة، وأن يستعلوا بالإيمان على الفتنة، وأن يصدقوا الله في العمل والنية، ثم يفعل الله بهم و بأعدائهم، كما يفعل بدعوته ودينه ما يشاء، وينتهي بهم إلى نهاية من تلك النهايات التي عرفها تاريخ الإيمان، أو إلى غيرها مما يعلمه هو ويراه)[٢].

وإنهم أجراء عند الله، أفيحسن لمن با ع شاة أن يغضب على المشتري إذا ذبحها، أو يتغير قلبه لذلك؟! ألم تسمع عما حدث لأسد الله وأسد رسوله حمزة؟ لقد بُقر بطنه، وأُخرجت كبده، ومُثّل به! وما جرى لخير الخلق ﷺ يوم أحد، وتأمل الأنبياء والرسل وهم صفوة الخلق؛ فلقد أُلقي في النار

---

[١] (ص٤).
[٢] معالم في الطريق، (ص١٨١).

إبراهيم عليه السلام، ونُشر بالمنشار زكريا عليه السلام، وذُبح السيد الحصور يحي عليه السلام، ومكث أيوب عليه السلام في البلاء سنوات، وسُجن في بطن الحوت يونس عليه السلام، وبيع يوسف عليه السلام بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين[١]، كل ذلك وهم راضون عن ربهم ومولاهم الحق، وقد كان بعض السلف يقول: (لو قُرض جسمي بالمقاريض كان أحبَّ إليَّ مِن أن أقول لشيءٍ قضاه الله: ليته لم يقضه)[٢]، فكونوا إخوتي من هؤلاء الذين لا يُزاحم تدبيرهم تدبير مولاهم، ولا يناهض اختيارهم اختياره سبحانه، فهؤلاء لم يتدخلوا في تدبير الله لملكه: (لو كان كذا لكان كذا، ولا بعسى، ولعل، وليت)، فاختيار الله لعبده المؤمن أعظم اختيار، وهو أفضل اختيار مهما كان ظاهره صعبًا أو شاقًّا، أو فيه هلكة للمال، أو ضياع للمنصب والجاه، أو فقد الأهل أو المال، أو حتى ذهاب للدنيا بأسرها، وتذكروا قصة غزوة بدر وتفكروا فيها جيدًا؛ فلقد أحبّ بعض الصحابة -رضي الله عنهم- وقتها الظفر بالعير، ولكن الله سبحانه اختار لهم النفير، وفرق بين الأمرين عظيم؛ فماذا في العير؟ إنه طعام يؤكل، ثم يُذهب به إلى الخلاء، وثوب يبلى ثم يُلقى، ودنيا زائلة، أما النفير؛ فمعه الفرقان الذي فرق الله به بين الحق والباطل، ومعه هزيمة الشرك واندحاره، وعلو التوحيد وظهوره، ومعه قتل صناديد المشركين الذين يقفون حجر عثرة أمام الإسلام، ويكفي أن الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرتُ لكم.

أيها المجاهدون، عند الابتلاء يكثر المتقهقرون، فلا تحزنوا لذلك؛ فقد أخرج مسلم في صحيحه عن أنس -رضي الله عنه-: أَنَّ قُرَيْشًا صَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَاشْتَرَطُوا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ مَنْ جَاءَ مِنْكُمْ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكُمْ، وَمَنْ جَاءَكُمْ مِنَّا رَدَدْتُمُوهُ عَلَيْنَا، فقال الصحابة: (أَنَكْتُبُ هَذَا؟)، قال: "نَعَمْ؛ إِنَّهُ مَنْ ذَهَبَ مِنَّا إِلَيْهِمْ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، وَمَنْ جَاءَنَا مِنْهُمْ سَيَجْعَلُ اللهُ لَهُ فَرَجًا وَمَخْرَجًا"[٣]، فلا تحزن على من أبعده الله.

---

[١] مستفادة من المدهش، ابن الجوزي، (ص٢٩١).
[٢] قوت القلوب، أبو طالب المكي، (٢/ ٤٣).
[٣] ذكره الزرقاوي مختصرًا.

وما أروع ما قاله ابن القيم –رحمه الله–: («عليك بطريق الحقِّ، ولا تستوحش لقلّة السّالكين [...]»[١]. وكلّما استوحشتَ في تفرُّدك فانظر إلى الرّفيق السّابق، واحرص على اللّحاق به، وغُضَّ الطَّرفَ عمَّن سواه؛ فإنّهم لن يُغْنُوا عنك من الله شيئًا، وإذا صاحوا بك في طريق سيرك فلا تلتفت إليهم، فإنّك متى التفتَّ إليهم أخذوك أو عاقوك)[٢].

فحذار أن تُصغوا بقلوبكم إلى الشبه التي يلقيها قطاع الطريق والمنهزمة؛ ليصدوكم عن درب الجهاد، فالأمر هو محض توفيق الله سبحانه وتعالى، فإن الله تعالى أعرض صفحًا عن هؤلاء، فخذلهم رغم ما يحملون في صدورهم وعقولهم من كثرة الكتب والمتون؛ فالقضية ليست عن كثرة العلم، بل تقوى الله التي تورث الفرقان الإيماني: {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إَن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً} [الأنفال:٢٩]، ورحم الله شيخ الإسلام عندما قال: (وقد أوعبت الأمَّة في كلِّ فنٍّ من فنون العلم إيعابًا، فمن نوَّر الله قلبه هداه بما يبلغهُ من ذلك، ومن أعماهُ لم تزدهُ كثرةُ الكُتبِ إلاَّ حيرةً وضلالًا)[٣].

اللهم مكن للموحدين في الأرض، اللهم مكن للمجاهدين في الأرض، اللهم جيش جيوشهم، وابعث سراياهم، وخلّص نواياهم.

اللهم احفظهم بحفظك، اللهم اكلأهم بعينك التي لا تنام، والخلق ينامون، اللهم يسر لهم كل خير، اللهم من [أراد بهم][٤] بهم خيرًا فوفقه لكل خير، ومن أراد بهم شرًّا فخذه أخذ عزيز مقتدر.

اللهم احفظهم واحفظ أعراضهم، اللهم إنهم مساكين؛ فأعزهم بعزك يا رب العالمين، اللهم إنهم فقراء؛ فأغنهم بفضلك يا رب العالمين.

اللهم أَحْيِ أمة محمد، اللهم انصر أمة محمد، يا رب العالمين، يا ربنا انصرنا على القوم الظالمين، يا ربنا انصرنا على الكافرين.

---

[١] روي نحوه عن الفضيل بن عياض. انظر: تبيين كذب المفتري (ص ٣٣١)، والأذكار للنووي (ص ١٦٠).

[٢] مدارج السالكين، (ج١/ص٣٣).

[٣] مجموع الفتاوى، (ج١٠/ص٦٦٥).

[٤] في الأصل: أرادهم.

اللهم خذ من دمائنا حتى ترضى، اللهم بطون السباع وحواصل الطير. والحمد لله رب العالمين.

الكلمة السادسة: المَوقِفُ الشَّرعِيُّ مِنْ حُكُومَةِ كَرَزَاي العِرَاقِ [صوتية]

٦ جمادى الآخرة ١٤٢٥ هـ || ٢٣ يوليو ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فيا أمة الإسلام؛ أبشري فقد طلع فجر دولة القرآن، وبدأت خيوط صبح العز تتسلل عبر ليل بهيم طال أمده، وجثم بظلامه وظلمه طويلًا على صدر الأمة، لقد استطاع أبناؤكم البررة –بفضل الله وتوفيقه– أن يكسروا صولة أمريكا، وأن يحطموا كبرياءها الكاذب، فبدت هذه القوة الغاشمة التي طالما سعت حثيثًا في حرب هذا الدين في هذه الأرض كدمية لوحش مخيف مملوء، يوشك أن تطيش بوخزة إبرة، لقد جاءت أمريكا وهي تمني نفسها وتحلم أن تستقبل بالورود ونثر الزهور، استقبال الفاتحين البررة، ولم تدر أن جذوة الإسلام ما زالت متقدة في أعماق القلوب لا يملك طاغية عنيف ولا جبار مريب أيًّا كان أن يطفئها أو ينزعها من أعماق النفوس، وفوجئت بأمة حية وشباب مسلم كريم عزيز يأنف من الذل ولا يرضى بالضيم، فولولت سريعًا وانكفأت تلعق جراحها، وبدا لها أن الأفق مظلم، وأن هذه الأمة لا تقهر، فعدلت إلى أسلوب المكر والخداع الذي تتقنه، وبالتواطؤ مع المنافقين والعملاء من بني جلدتنا بدأ فصل جديد من الخداع؛ يروم نزع فتيل الجهاد، وإطفاء جذوته في القلوب المؤمنة.

حكومة كرزاي؛ فكرة وجدت قبولًا، ولاقت نجاحًا ظاهريًّا في أفغانستان، فلتكرر التجربة، وليغرر بالأمة هنا في العراق، ولتقدم لها وصفة المكر الجديد: (حكومة عراقية ديمقراطية)؛ ويا لها من طرفة ذهب بريقها!

لقد قصدت أمريكا من وراء هذه اللعبة إلى أمور:

أولًا: حقن الدم الأمريكي غالي الثمن عزيز القدر، لقد أثبت الجندي الأمريكي أنه أجبن شيء وأضعفه، وصار هدفًا سهلًا لأسياف المجاهدين يحصدون منهم الرؤوس، ولم تفلح التكنولوجيا المتطورة، ولا الأسلحة الفتاكة الذكية في الدفع والذود عن هؤلاء النوكى؛ فليكن ذلك إذًا بأيدي العبيد السمر والجنود رخاص الثمن من أبناء العالم الثالث؛ يُتَّخذون درعًا للأمريكان ومجنًا لهم يستترون بهم من ضربات المجاهدين، وليكونوا أيضًا كاسحة ألغام وطلائع معركة مع أبناء أمتهم؛ فهم أقدر على القتال، وأشد وأنكى على المجاهدين، ولينعم السيد الأمريكي بقرة العين، هانئًا في قواعده، بعيدًا عن لظى الحرب، وها هم الأمريكان يستاقون الآلاف من هؤلاء ليدوسوا بهم أمة الإسلام مقابل لعاعة من الدُّنيا، وفتات من مال سرقوه أصلًا من ثروات وكنوز هذه الأرض المعطاء.

ثانيًا: لقد أثبتت شهادة التاريخ والتجربة المعاصرة أن الاستعمار غير المباشر: هو السلاح الأجدى مع هذه الأمة؛ فبدلًا من أن يتولى الأجنبي الكافر استلاب الأمة ونهب ثرواتها واستعبادها بنفسه؛ فليكن ذلك على أيدي المنافقين ممن ينتسب إلى هذه الأمة لونًا ولسانًا! وها هي الدول العربية من حولنا تُدار من البيت الأبيض عبر وسطاء شديدي الإخلاص لأسيادهم، أذلوا الأمة وساموها الخسف والهوان، وباعوها في سوق النخاسة بثمن بخس، وقدموا أبناءها قرابين على مذبح السيد الأمريكي؛ فلتكرر التجربة إذًا مرة أخرى في العراق.

ثالثًا: لقد صرح كولن باول قديمًا، أمام إحدى المنظمات اليهودية قائلًا: (إن حربنا على العراق لتحرير إسرائيل من الخطر العراقي)[١]، وإذ قد عجزت أمريكا عن أداء هذه المهمة فلتوكل بها إلى المنافقين من بني جلدتنا؛ فهم أقوى وأقدر، ألم يقل الأعور موشى ديان قديمًا: (إن الدول العربية بمنزلة الكلاب تحرسنا)[٢]، ألم يقم المرتدون من أبناء جلدتنا بهذه المهمة خير قيام ويحرسوا إسرائيل حراسة مشددة؟! وها هو علاوي؛ قد تعهد واستعد للقيام بهذه المهمة؛ فلتسند إليه إذًا.

---

[١] صحيفة الجاردين البريطانية، ٣١ مارس ٢٠٠٣، (Colin Powell's speech to the American Israel Public Affairs Committee).

[٢] لم أجد الاقتباس في مذكراته ولا في المراجع العربية والإنجليزية.

رابعًا: مع تسارع حمى الانتخابات الأمريكية؛ فلا بد لراعي البقر من إنجازات ولو كانت موهومة، وهكذا تُختزل قضايا أمتنا ومصيرها لتصبح أوراقًا انتخابية بيد رعاة البقر.

ونحن نقول هنا للإدارة الأمريكية، وللعالم من ورائها:

أولًا: نحن هنا لا نجاهد لأجل حفنة تراب، أو حدود موهومة رسمها (سايكس وبيكو)، كما وأننا لا نجاهد ليحل طاغوت عربي مكان طاغوت غربي، لكنّ جهادنا أسمى وأعلى؛ إننا نجاهد لتكون كلمة الله هي العليا، وليكون الدين كله لله: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه} [الأنفال: ٣٩]، وكل من ناوأ هذا الهدف، أو وقف في طريق هذه الغاية؛ فهو عدو لنا، وهدف لأسيافنا، مهما كان اسمه ومهما كان نسبه.

إن لنا دينًا أنزله الله ميزانًا وحكمًا؛ قوله فصل، وحكمه ليس بالهزل، هو النسب الذي بيننا وبين الناس، فموازيننا -بحمد الله- سماوية، وأحكامنا قرآنية، وأقضيتنا نبوية، الأمريكي المسلم أخونا الحبيب، والعربي الكافر عدونا البغيض، ولو تشاركنا وإياه في رحم واحدة.

ثانيًا: كل مسلم أخ لنا نذود دونه وعنه، وليعلم أهل الإسلام في كل مكان أننا لم نجترئ ولن نجترئ على قتل مسلم معصوم، أو سفك دم حرام، حاشا وكلا.

ثالثًا: لقد ولّى الزمان الذي تقبل فيه الأمة أن ترتضع الذل والهوان، وأن يُسرق فجرها الواعد على أيدي المنافقين من أبناء جلدتنا، في القرن الماضي بذلت الأمة الغالي والنفيس، وصاولت وطاولت، وجاهدت الكافر المحتل، وفي غفلة من عين الرقيب وبسذاجة لا تُحسد عليها: أَذِنت للمنافقين الوصوليين أن يستلموا دفة الحكم، وأن يتبوّؤوا مكان القيادة، ففعلوا بأهل الإسلام ما عجز الأجنبي الكافر أن يفعل عشر معشاره! هذه التجربة حاضرة في أذهاننا ماثلة أمام أعيننا، ولن نسمح بتكرارها بإذن الله، لقد أحيا أبناؤكم البررة -بحمد الله- فقه سلفنا الصالح في قتال طوائف الردة، وإنفاذ حكم الله في المرتدين والممتنعين عن شرائع الله، وسيظل جهادنا موصولًا لا يفرق بين كافر غربي أو مرتد عربي؛ حتى تعود الخلافة إلى الأرض، أو نموت دون ذلك.

رابعًا: أما أنت أيها الجندي والشرطي؛ فها أنت ذا تكرر الجريمة النكراء نفسها، لقد رضيت لنفسك من قبل أن تكون حذاء للطاغوت صدام، يدوس بك كرامة وعرض أهل الإسلام، ويروّع بك الآمنين، ويقتل بسلاحك الأبرياء، هذه القصة المتكررة نجدها أينما توجهنا في طول العالم الإسلامي وعرضه، طغاة ظالمون يبطشون بأمة مستضعفة ويستذلونها، كل ذلك بك أيها الجندي.

أما نحن؛ فلن نسمح لك أن تهدم آمالنا بهذا الجهاد المبارك، ولن نأذن لك أن تسطو على غدنا الوضاء الذي بدأت تباشيره تلوح في الأفق، لقد حكمنا عليك بحكم القرآن: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} [القصص: ٨]، وسننفّذ فيك القدر الإلهي: {فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ} [القصص: ٤٠].

خامسًا: كلما تذكرت أخواتنا الحرائر في سجون الصليبيين، وكلما تراءت أمامي صورة تلك الحرة الثكلى وهي تُكره على تجرع كأس مُلئت بـ (مني عباد الصليب): تميد بي الأرض، وأعاهد الله على الانتقام من كل يد ساهمت في صنع فصول هذه المؤامرة.

أبكي على تلك الكواعبِ؛ ويلها! *** سيقت إلى أحضان نذلٍ مجرمِ
بالأمس كُنّ حرائرًا لا يُرتقى *** أبدًا لهنّ، بَعُدْنَ بُعدَ الأنجم
واليومَ ذُقْنَ الأسرَ ذُقْنَ هوانَهُ *** فبكينَ دمعًا قانيًا كالعندمِ[1]

وأعجب من بعد عجبًا لا ينقضي: كيف يرتضي مسلم حرٌّ فيه بقية من دين، وقد رأى هذا العار أن يكون جنديًّا عند عباد الصليب، أو شرطيًّا عند هؤلاء الكفار؟! هل فقد هؤلاء الإحساس وتجردوا من دينهم؟! لقد عاهدنا الله وأخذنا على أنفسنا عهودًا مغلظة ألا نلين ولا نستكين حتى نستنقذ هؤلاء الثكالى، ونثأر للعرض المستباح والكرامة المهراقة.

سادسًا: أما أنت علاوي -عفوًا- رئيس الوزراء المنتخب ديمقراطيًا؛ فقد أعددنا لك سمًّا ناقعًا وسيفًا قاطعًا، وملأنا لك كأسًا مترعة بريح المنية وعبق الموت، لقد نجوت من حيث لا تدري مرارًا من فخاخ محكمة أرصدناها لك، ولكننا نعدك أننا سنستكمل معك الشوط إلى نهايته، ولن نكل

---

[1] أبيات من قصيدة (يا أرض أندلس الحبيبة)، الشاعر عبد الله بن محمد الشهري.

أو نمل حتى نسقيك من الكأس التي سقينا منها (عز الدين سليم) أو نهلك دونه؛ فأنتم رموز الشر، وأئمة الكفر، وعنوان العمالة والخسة، أنتم أهل النفاق: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون} [المنافقون: ٤].

سابعًا: حذار! حذار! من مكر كُبّار ينسجه الأمريكان مع كرزاي العراق الجديد؛ ليسرقوا النصر الذي أحرزه أبناؤكم في الفلوجة، فغير خافٍ عليكم أن أمريكا كانت قد أعدت معسكرات اعتقال كبيرة، وكانت تنوي أن تذل رجال الفلوجة جميعًا، وأن تستبيح أعراضهم؛ ثأرًا لكرامتها المهدرة على أعتاب هذه المدينة، ولكن فوجئوا وبشهادة سادتهم وقادتهم بشجاعةٍ وبسالةٍ قلّ في التاريخ نظيرٌ لها؛ فطاشت سهامهم، وارتدت قواتهم على أعقابها خاسئة ذليلة؛ فتعاظم حقدهم وازداد حنقهم، وقرروا أن يغتالوا فرحة الظفر، ولكن بالتواطؤ مع المرتدين من بني جلدتنا وكذا وللأسف مع بعض شيوخ العشائر، فانسلخوا من دينهم، كل ذلك بحجة وجودي في الفلوجة، وكذب زعمهم، وما درى هؤلاء الحمقى أني بحمد الله سيّاح في العراق، أتنقّل ضيفًا على إخواني وأهلي في طول البلاد وعرضها، لكنها ذريعة للانتقام! وكونوا على حذر دائم، عيونكم صوب العدو، وأصابعكم على الزناد، والله معكم ولن يتركم أعمالكم.

ثامنًا: أما أنت أمتنا الحبيبة؛ فلا أظن أن عاقلًا بقي يصدق أكذوبة (الديموقراطية الموعودة)، بعد صرخات أبي غريب، وفضائح غوانتانامو، وإلى الله نشكو هذا الصمت والخذلان العجيب من الأمة: علمائها ودعاتها وعوامها! ما لَكِ أمة الإسلام؟! أخنيت على الذل، وطويت على الخنوع وهذه اللامبالاة والسلبية المطلقة، فإلى متى؟!

أما أنتم علماء السلاطين؛ فهلا أفتيتم بالقنوت ضد الأمريكان، كما أفتيتم بالقنوت ضد إخواننا المجاهدين في جزيرة محمد ﷺ؟! لقد ذكرتمونا بفتياكم هذه صنيع بلعام بن باعوراء، الذي راوده قومه ليدعو على موسى عليه الصلاة والسلام، فما زالوا به حتى فعل، فعاقبه الله –وهو العالم بآيات الله– فأدلع لسانه، ونسأل الله تعالى أن يفعل بكم ما فعل به؛ فقد احتذيتم حذوه، واقتفيتم أثره.

أمة الإسلام؛ لسنا بحاجة إلى دروس في معاني الحرية أو أساليب الحكم من رعاة البقر، لقد أغنانا الله بالقرآن وسنة النبي عليه الصلاة والسلام: {أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِم} [العنكبوت: ٥١]، بلى والله قد كفى الله وشفى، بلى والله قد كفى الله وشفى.

وأبشري أمة الإسلام بما يسرك -بعون الله-؛ فقد بدأت طلائع الفتح، وسيكون لنا مع الكفار صولات وجولات.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}، والحمد لله رب العالمين.

الكلمة السابعة: في شَرِيطِ (رِيَاحُ النَّصرِ)[1] [مرثية]

٢٢ جمادى الآخرة ١٤٢٥ هـ || ٨ أغسطس ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا ﷺ عبده ورسوله، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢]، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠-٧١]، أمَّا بعد:

فإن خير الكلام كلام الله عز وجل، وخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، فمن رَحِمِ المأساة يولد الأمل، ومن ظلمة الديجور ينبثق النور.

بشراك أمة الإسلام؛ فقد حشد الحق أجناده، وأسرج المجد جواده، ومضت كتائبه تجوب الخافقين تقارع الظلم، وتطاعن في نحور الكافرين، لقد أغفت الأمة زمنًا طويلًا؛ ركنت فيه إلى الدُّنيا، واستنامت عن درب الجهاد والفداء، حتى استباح العدو بيضتها، وانتقص أرضها من أطرافها، وجاس الكفار خلال الديار، وسنة الله أن الأيام دول والدهر إقبال وإدبار، ولقد بلغت أمتنا القاع، وآذنت الآن -وبحمد الله- بالارتفاع والإقلاع من جديد، وستظل ترتقي صعدًا حتى تبلغ الذروة وتستحوذ على المجد مرة أخرى؛ لتتحقق لنا بشارة المصطفى ﷺ فيما رواه مسلم عن ثوبان -رضي الله عنه-

[1] قرأها أبو أنس الشَّامي -تقبله الله-.

قال: قال رسول الله ﷺ : "إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِيَ الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا".

وكذا ما رواه أحمد عن تميم الداري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ؛ عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ"[١].

لقد تنزل القرآن فيما مضى على عرب الصحراء الذين تاهت فطرهم في بيداء الشرك، وغرقوا في لجة الفوضى، ونهشت الفرقة جماعتهم، وصار الثأر حديثهم، والانتقام نسيج علاقاتهم، فأنشأهم الله بنور القرآن خلقًا آخر، وبنى لهم صرحًا طاول السماء؛ حتى آضت صحراؤهم القاحلة بساتينَ حضارة وحدائقَ علم وفضل، وصاروا للأمم رعاةً، وللحق دعاةً، وها هي رياض القرآن -وبحمد الله- قد رجعت آهلة بفرسان الفجر الأغر، ورجال الغد المشرق، يصنعه الله من جديد صناعة قرآنية؛ ليتصل حبل الأرض من جديد بالسماء، فتهب نسائم الإيمان؛ لتحيا بها الأمة كرة أخرى، وتتحول من بعد إعصارًا يعصف بالبغي والظالمين.

أمة الإسلام؛ لقد أكرم الله أبناءك في جماعة التوحيد والجهاد ليكونوا طليعتك المقاتلة، وسيفك القاطع، وذراعك الباطشة، على منهج السلف نتلاقى، وتحت لواء الجهاد نمضي.

إن لكل إنسان قوتين:

١- علمية؛ يتصور بها الحقائق، ويزن بها الأفكار.

٢- وعملية؛ يشق بها طريقه، ويصنع بها الأحداث.

---

[١] قال الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم. وصححه الحاكم على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

ولا شك أن أصفى تصور ما كان على قاعدة التوحيد، وأن أفضل سعي ما كان متعلقًا بذروة السنام: (الجهاد في سبيل الله)؛ ولذلك، فنحن جماعة التوحيد والجهاد نصاول العدو، ونطاول البغي؛ سعيًا إلى إعادة الخلافة إلى الأرض، وتطبيق الشريعة، وإقامة الملة العوجاء.

نجاهد هنا وعيوننا على القدس، ونقاتل هنا وأمدنا روما، حسن ظن بالله أن يجعلنا مفاتيح البشارات النبوية، والأقدار الإلهية: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [النور: ٥٥]، على ديننا لا نساوم، وعن درب الجهاد لا نعدل، وبأوساط الحلول لا نرضى، فليس بيننا وبين الكفار إلا سيف الإسلام، نسلطه حتى يحكم الله بيننا وبين القوم الكافرين، {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

الكلمة الثامنة: أَينَ أَهْلُ المُرُوءَاتِ؟ [صوتية]

٢٦ رجب ١٤٢٥ هـ || ١١ سبتمبر ٢٠٠٤ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّفِ الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمتي، أمة السيف والقلم؛ ما بالك انكسر سيفك وانبطح قلمك؟ وقد كنت من قبل أبية فوق النجوم، فبت اليوم مسحوقةً تحت أقدام الغزاة وسنابك خيل الغاصبين!

أمتي الغالية؛ حديثي إليك اليوم ذو شجون، أوَما تسمعين فحيح الأفاعي تخط طريقها في ظلام غفلتك لتغتال فجرك؟! دعيني -أمتي الحبيبة- أبثَّ حديثًا: معدنه ترابي، ولكن جرت في لفظه لغة السماء، دعيني أحدثك بأمرنا ونحن في منعرج اللوا؛ لتستبيني الرشد وتستجمعي القوى؛ مخافة أن تندم ولات ساعة مندم.

لقد عرف القاصي والداني بحقيقة الحلف الشيطاني؛ ثلاثي الكفر والمكر في أرض الرافدين:

أولهم: الأمريكان، حاملو لواء الصليب.

وثانيهم: الأكراد، متمثلين بقوات البشمركة المطعمة بكوادر عسكرية يهودية، يقودها العميلان البرزاني والطالباني.

وثالثهم: الرَّافِضَة، عدوة أهل السنة، متمثلة بفيلق الغدر فيلق بدر، وحزب الدعوة إلى الشيطان.

وأما مطيتهم اليوم الخائن علاوي؛ فله نصيب الأسد من قوسنا الرامي -إن شاء الله-.

أيها الخائن! كُف عنا جُشاءك، واحفظ لأمثالك انتفاخك، وانتظر فذاك المكر الذي يسبح في بحيرة وجهك؛ قد غدا -إن شاء الله- قاب قوسين منا أو أدنى، فانتظر ملك الموت وأنت في هيلك

وهيلمانك، مع الخشب المسندة من إخوانك من مهازل أعضاء حكومتك، ولئن كان معك عباد الصليب؛ فمعنا رب مجيب قريب، ولن تُعجز الله في الأرض هربًا، وإن غدًا لناظره لقريب.

يا أمتي؛ هذه حقيقة هذا الرافضي ذي السيرة السوداء:

ما زال ينسج كل يوم قصةً *** تُروى وقولًا في الدعاة ملفقا
خوّان أمته الذي يرمي لها *** حبلًا من الأوهام حتى تشنقا
كالذئب من يرمي إليك بنظرةٍ *** مسمومة مهما بدا متأنقا
شتان بين فتى تشرّبَ قلبهُ *** بيقينه، ومَنِ ادّعى وتشدقا
وأخو الضلالة ما يزال مكابرًا *** يطوي على الأحقاد صدرًا ضيقا[1]

لقد طبق رأس الكفر الصليبي المثل: (شَمِّرْ وَائْتَزِرْ، والْبَسْ جِلْدَ النَّمِرِ)[2]؛ فاستنسر على النجف، ولكن هل للنجف يقصدون أم لغيرهم يتهيؤون؟!

يا أمتي؛ تمهلي وتبصري، فليس النجف بغيتهم، بل مثلث السنة، ذو العزيمة الشماء والهمة.

وأقسم بالذي رفع السبع الطباق، وقطع من الطغاة الأعناق، وأذلّ الرقاب: أن رأس أمريكا قد مُرّغ ها هنا في التراب، وداسه أبطالنا حتى غدت أسطورته كالسراب.

إنهم إخوة الجهاد من مهاجرين وأنصار، هم من أذاق التحالف العالمي كؤوس الذل، وصفعوه صفعات لا تنسى، ولقنوه دروسًا لا يزال يكتوي من نارها، ويتلوى من ألمها حتى الآن؛ دروسًا نكّست أعلامهم، وزلزلت أقدامهم، وشتتت أفكارهم، حتى دبّ الرعب في أوصالهم، ونخر سوس اليأس في عظامهم، ولم لا؟! وقد أثخن أبطالنا فيهم أيما إثخان، حتى رأوا جبن الجندي الأمريكي.

نعم! هكذا يريدون أن يخوّفونا بمن سحقوهم هناك في النجف، وهكذا دأب الجبان، فبدؤوا بهم ليعيدوا نبض الحياة إلى موات جنودهم قبل معركتهم الحامية القادمة مع أهل السنة، وهذا ديدن

[1] أبيات من قصيدة (الجيل المتطرف)، الشاعر عبد الرحمن العشماوي.
[2] مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، (ج١/ص٣٦٢).

الكفر: {وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِم} [القلم: ٥١]؛ لينزلوا علم التوحيد الخفاق في أرض العراق تحت ظل نصرهم الزائف.

فيا فتى الإسلام في العراق، بل في كل بلاد الإسلام، أيها الهائم يبغي الحياة، أيها التائق لنصرة دين الله، أيها المُقدّم روحه بين يدي مولاه؛ هُنا الهداية والرشاد، هُنا الحكمة والسداد، هُنا نشوة البذل ولذة الجهاد، فلتسارع إلى الكتيبة الخرساء، ولتعمل تحت راية سيد الأنبياء؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

يا أمة الإسلام؛ ها قد تداعت عليك الأمم كما تداعت الأكلة إلى قصعتها، فعلامَ يُستنكَر على ثلة من المجاهدين وفدت من كل حدب وصوب، وتركوا الغالي والرخيص وباعوا النفس للنفيس؛ ليكونوا خط الدفاع الأول عن حرمات الأمة، والعقبة الكأداء التي يتحطم على جنباتها كبرياء الصلف الأمريكي؟!

يا أمة الإسلام؛ حتى متى تخدعكم أبواق الغرب الناعقة وصداها العميل في بلادنا؟! وكيف تلقين السمع لساقطي العدالة؟! وأية عدالة بقيت عند من تضمخ برذائل الكفر، وتسربل بلبوس المكر، ووشّى فعاله بالغدر؟! كيف تصدقين يا أمتي كذبهم المشين عن أبنائك، الذين باعوا الآجل بالعاجل، وقدموا أرواحهم دون سهام الكفر الطائشة؛ ذبًّا عن أعراضك ودفاعًا عن دينك؟!

يا أمتي؛ أستغفر الله! وأمتي على فراش التخدير لم تزل، بل يا أهل المروءات؛ متى تقومون قومة واحد، وعفاف المسلمات أمامكم ينتحر، ونطفة الإجرام على مرآكم تتهكم وتنتقم، وصعاليك الكفر لأعراضكم تنهش ثم تستتر؟! هذا سجن أبي غريب دونكم فاستنطقوه! والهف نفسي! نظرات حائرة وقلوب ثائرة، وجراح رسمت في كل قلب دائرة، وليس من رأى كمن سمع!

يا أهل المروءات؛ حتى مَتى تُقض المضاجع وتنهمر المدامع، وتهانون شر إهانة؛ فتحوقلون وتغمضون عيونكم، وكأنها رميةٌ من غير رامٍ؟!

ولكن يا حسرة على أهل المروءات!

[دخلتُ][1] عَلَى الْمُرُوءَةِ وَهِيَ تَبْكِي *** فَقُلْتُ: عَلَامَ تَنْتَحِب الفَتَاةُ؟!

فَقَالَت: كَيْفَ لَا أَبْكِي وَقَوْمِي *** جميعًا دُون خَلَقِ اللَّهِ مَاتُوا[2]

وبعد هذا العار، قولي لي يا أمتي: متى تنفُضين غبار الذل؟ متى تكسرين قيود الخنوع؟ متى تنزعين أغلال العبودية؟ ثم متى تسرجين جياد العز؟!

يا أمتي عارٌ نردد أننا *** أبناء من سادوا الأنام وكانوا

والقدس غارقةٌ يمزقها الأسى *** ويُعيد رَجْعَ أنينِها الجولانُ

حتّام ينخرُ في عزائمنا الهوى *** وتُذيبنا الآهات والأحزانُ؟[3]

وأما أنتم أيها المجاهدون الغرباء؛ فلا والله ما كانت الدعوات يومًا طريقًا مفروشة بالورود والرياحين، إن ثمن الدعوات باهظ، وثمن نقل المبادئ إلى أرض الواقع كثير من الأشلاء والدماء، ولن يوقد سراج الفجر في هذه الظلماء إلا المجاهدون والشهداء، حقًّا ما أروعها من كلمة: (فزت ورب الكعبة)! فواهًا لريح الجنة ثم واهًا! ولكن أين مَن صدق الله فصدقه؟ وما ألطف لحن نبيكم ﷺ! على وعثاء السفر ومشاق الطريق، يخاطب إصبعه الجريحة:

"هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ *** وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ؟"[4]

نبيكم الذي جُرح وجهه، وكُسّرت رباعيته، وهُشمت على رأسه الكريمة بيضته.

إخوتي؛ يا من ترقرق ماء البِشر في غرتكم، وتفتق نور الشرف من أسرّتكم؛ لله دركم! لله دركم! أي رباط فريد هذا الذي ربط قلوبكم، فتألقت ابتسامتكم العذبة ترد الروح لميت القلب؟! وليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه، فاحذروا من داء السآمة، وإياكم وإيثار السلامة، فعقبى هذه الارتكاسة الندامة -عياذًا بالله. صدقوني إن قلت لكم: إنني لا أعرف مظلومًا تواطأ الناس اليوم على هضمه، وزهدوا في حقه وإنصافه: كالمجاهدين وجهادهم، ولكن لا عليكم؛ فللباطل جولة

---

[1] في البيت الأصلي: مررتُ.

[2] أبيات من قصيدة (مررت على المروءة)، الشاعر عبد المهدي الأعرجي.

[3] لا القصيدة ولا الشاعر معروفان.

[4] متفق عليه.

وللحق الدولة، والأمر صبر ساعة ثم حسن العاقبة، {وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُم} [محمد: ٣٥].

وأقدمْ ولا تقنعْ بعيشٍ مُنَغَّصٍ *** فما فاز باللَّذاتِ من ليس يُقدِمُ[١]

أَوَتظنون قائد زمام أمريكا أحسن حالًا من أبي جهل يوم سكر بعده وعتاده، وأقسم ألا يرجع حتى تدق الطبول وتشرب الخمور؟ وحقًا لم يرجع إلا برأس مقطوع، وهزيمة نكراء يعلوها الخنوع! لقد حار أعداؤنا كيف يفتّون في عضدكم، فلم يروا أخيرًا إلا التخويف بأسلحتهم المتطورة الفتاكة، وفات عُبّاد المادة أن القوة التي تستمد روحها من الله ما كانت لتفتتها زوابع الزمان، ولا تكنولوجيا الأمريكان.

قولوا لي يا أهل أذكار الصباح والمساء؛ ماذا تساوي قنابلهم النووية، وأسلحتهم الكيماوية، وغازاتهم السامة أمام كلمة واحدة من أعجب الكلمات، كلمة -والله- يذوب أمامها عنفوان كل سلاح، ويضمحل من بهائها دهاء كل تربص وتدبير، وتتكسر على صدورها سهام تلويحات الكافرين، خفيفة على اللسان، نافعة للإنسان: "بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"[٢]؟ ولا يعرف شأنها إلا من واظب عليها في الصباح والمساء، وهذه كلمة واحدة من مشكاة النبوة تحصنك أمام فاتك القنابل، فكيف بمن لا يفتر عن أذكار الصباح والمساء؟

فهؤلاء يظنوننا أننا إن أُصبنا فسنقول: (لو أنا فعلنا كذا؛ لكان كذا)! فهيّا يا شباب محمد بن عبد الله؛ أروهم تطبيقًا عمليًّا لا كلامًا معنى قوله تعالى: {قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ} [آل عمران: ١٥٤]، واشرحوا لهم بلسان الحال، وبيّنوا لهم بروائع الإقدام معنى حديث نبيكم عليه الصلاة والسلام: "واعلَم أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا

[١] حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيم الجوزية، (ج١/ص١٤).
[٢] رواه أحمد وابن ماجه والتِّرْمِذِيُّ والنسائي وابن حبان، (إسناده صحيح).

أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ"[١]، ثم قولوا لهم: موتوا بغيظكم، فلن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا، وإن الرصاصة التي كُتب عليها اسمك لن تخطئك.

ثم تفكروا في أية غزوة كان عتاد المسلمين أعلى من المشركين! ثم تأملوا كيف كانت النتيجة في حُنين، إني لأعجب من هؤلاء السطحيين؛ ممن يقيس جهادنا بمقاييس الدُّنيا: بالفلس والقرش، والعدد والعتاد، ثم يأتي ليبث أراجيفه، فينمّق أباطيله بلسان نصوح؛ عساها تلقى أُذنًا مريضة أو قلمًا مأجورًا، وما درى الجُهّال أن عقيدتنا منصورة من رب السماء.

– فإن خوفوك بحثالاتهم؛ فردّد: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَه وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ [الزمر: ٣٦].

– وإن انتفشوا أمامك؛ فتذكر: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء﴾ [الرعد: ١٧].

– وإن هالتك طاقاتهم التي تبثها صحفهم، من عدد وعتاد وإعلام وأقلام؛ فاسترخِ أمام قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

– وإن حلقت طائراتهم، تتبختر في طول السماء وعرضها؛ فخاطبها هي ومن فيها ومن صنعها ومن أرسلها، خاطبهم جميعًا: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ [الرحمن: ٣٣]، فالله أعلى من طائراتكم وأشد بطشًا.

– وإن نازلتموهم وجهًا لوجه، فَكَبُرَ عليكم عددهم؛ فكبّروا عليهم قائلين: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

– وأخيرًا: إن لاحت حبائل الشيطان بالتشكيك بيقين نصر الله؛ فقطّعها بقوله تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾ [المجادلة: ٢١].

---

[١] أخرجه التِّرمِذِيُّ بنحوه وأحمد وأبو داود وابن ماجه والطبراني وابن حبان باختلاف يسير، (إسناده صحيح).

فهؤلاء ما عرفوا إسلامنا، فأروهم أيها الغرباء إسلامنا، ولا تخدعنكم العبارات المعسولة واللافتات الزائفة، أروهم أحفاد خالدٍ والمثنى وعَمْرو وموسى، هذا يوم القادسية؛ حين حميَ الوطيس، واستكلب الموت على الأبطال؛ هتفت سلمى زوج سعد -وكان سعد قد تزوجها بعد موت زوجها المثنى-، هتفت حين لم تجد المثنى يسوق الأجناد والفرسان للجلاد، هتفت قائلة: (وا مثناه! ولا مثنى اليوم للخيل![1] وا مثناه! ولا مثنى للمسلمين اليوم[2]، القوم أقران ولا مثنى لهم[3]).

ما زال يروي لنا التاريخُ قصَّتَهُ *** فكم حديثٍ على شوقٍ رَوَيْنَاهُ!
وكم حديثٍ عن الأحبابِ أطْرَبَنا *** وزادَنا طَرَبًا لَمَّا أعَدْنَاهُ!
وَقْعُ الحوافرِ يا بغدادُ أُغْنِيَةٌ *** تراكِ يُنشدها والرَّمْلُ أفواهُ
وحمحماتُ خيولِ النَّصْرِ تُطربني *** الحربُ دائرةٌ والنّاصرُ اللهُ
صهيلُها في دروبِ الحقِّ يملكني *** فكم أذوبُ بها وجْدًا وأهواهُ!
هذا المثنى يُرَوِّي الأرض من دَمِهِ *** والعينُ في رؤيةِ الأحداثِ عيناهُ
لم يَسْتَعِرِ مُقلةً أُخرى ولا شَفَةً *** أُخرى ولم تُصغِ للتَّضليلِ أُذْنَاهُ
كيانُكِ الضَّخْمُ يا بغدادُ حصَّنَهُ *** سيفُ المثنى ونورُ الحقِّ جَلَّاهُ
النّورُ فوق ذراعِ الشَّمْس صبَّحَهُ *** والنّورُ فوق ذراعِ البدرِ مسَّاهُ[4]

ورحم الله موسى بن نصير فاتح المغرب ومتمم فتح الأندلس؛ كيف كان ينتصر؟ حين سأله الخليفة: (ما الذي كنت تفزع إليه في مكان حربك من أمور عدوك؟)، قال موسى: (التوكل والدعاء إلى الله؛ كنت أنزل السهل، وأستشعر الخوف والصبر، وأتحصّن بالسيف والمغفر، وأستعين بالله وأرغب إليه في النصر)، قال له الخليفة: (أخبرني عن الرُّوم؟)، قال: (أُسدٌ في حُصونهم، عُقبان على خيولهم، نساءٌ في مراكبهم، إن رأوا فرصةً انتهزوها، وإن رأوا غلبةً فأوعالٌ تذهب في الجبال، لا يرون

---

[1] رواها الطبري في تاريخه، (ج٣/ص٥٤٢).
[2] لم أجد هذه الزيادة عند أحد من أهل السير.
[3] رواها الصحاري في الأنساب، (ص٦٢).
[4] أبيات من قصيدة (وشم على ذراع بغداد) من ديوان (يا أمة الإسلام)، الشاعر عبد الرحمن العشماوي.

الهزيمة عارًا)[١]. طبت يا موسى وطاب مسراك، فقد وصفتَ فأصبتَ، وتحدثتَ فصدقتَ؛ وما أشبه الليلة بالبارحة، ما أشبه أمريكا برومهم!

فحاشا لله أن يضيعكم -أيها الغرباء-، وكيف يضيع ربنا من يُعلي كلمته وينصر دينه؟ والله لن يضيعكم وقد خرجتم في وجه عدوكم وتركتم أزواجكم وأولادكم، لن يضيعكم وقد هجرتم ملذاتكم وشهواتكم وأهلكم وجيرانكم طمعًا بجنة ربكم، لن يخزيكم وقد نفرتم ابتغاء مرضاة الله؛ تدعون إلى الله على بصيرة، وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتقومون الليل وتصومون النهار، وتصلون الأرحام وتذودون عن الشريعة، وتدافعون عن الفضيلة وتحاربون الرذيلة، فما دمتم على الحق فأبشروا، فوالله لا يخزيكم أبدًا.

ولَتُغلَبَنَّ أمريكا، والله! لتغلبن أمريكا ولو بعد حين؛ حتى تصير شامة سوء على خد الزمان.

واستأنسوا بما يروى في سيرة نبيكم أنه قاله لكعب بن مالك: "مَا نَسِيَ رَبُّكَ لَكَ، وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا، بَيْتًا قُلْتَهُ"، قال: (مَا هُوَ؟)، قال: "أَنْشِدْهُ يَا أَبَا بَكْرٍ"، فقال:

(زَعَمَتْ سَخِيْنَةُ أَنْ سَتَغْلِبَ رَبَّهَا *** وَلَيُغْلَبَنَّ مُغَالِبُ الغَلاَّبِ)[٢].

فالله الله في دينكم، والله الله في إخوانكم وفي أنفسكم، والله الله في عقيدتكم وأعراضكم، لا يؤتين الإسلام من قبلكم، فالمعركة أمامكم فاصلة، وأحزاب الكفر من جديد قادمة، والعدو مستعر، فلا بد من شحذ الهمم واستنهاض العزائم نحو القمم، واحذروا أن يكونوا على دنياهم أحرص منكم على دينكم، فإنكم بين خيرين؛ شهيد مرزوق أو فتح قريب.

واهتفوا من أعماق قلوبكم:

ولَنْ أُصالِحَكُمْ مَا دَامَ لِي فَرَسٌ *** واشتَدَّ قَبْضًا عَلَى [الصمصام][٣] إِبْهَامِي[٤]

---

[١] رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة (ص٢٥٨-٢٥٩)، والذهبي في سير أعلام النبلاء (ج٤/ص٤٩٩)، ذكرها الزرقاوي مختصرةً.
[٢] رواه البخاري في التاريخ الكبير (ج١/ص٤٠٠). وابن أبي الدنيا في الأشراف (ص٢٢١)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ج٥٠/ص١٩٠). (إسناده ضعيف).
[٣] في البيت الأصلي: السِّيلانِ.
[٤] قال ابن بري: قال الجواليقي: أنشدها أبو عمرو للزبرقان بن بدر، لسان العرب، ابن منظور (ج١١/ص٣٥١).

وهذه صرخة من الأعماق، إلى الآساد في بغداد والأنبار، وإلى الأبطال في ديالى وسامراء، وإلى الليوث في الموصل والشمال: خذوا للحرب أهبتها، وأرهفوا سمعكم، وأحدوا أبصاركم، وتيقظوا لما سيجري حولكم، ولتكن أياديكم على الزناد؛ فأمامكم مفازة موحشة، وليل عبوس، وفتنة ضروس؛ ثم تكون لكم الغلبة –بإذن الله– إن صبرتم وصابرتم، فثقوا بالله واصبروا وصابروا ورابطوا، واتقوا الله لعلكم تفلحون.

وها هي الشرارة قد انقدحت في العراق، وسيتعاظم أوارها –بإذن الله– حتى تحرق جيوش الصليب في دابق.

فيا أبطال الإسلام في كل مكان من أرض العراق؛ ها قد رمانا الكفر عن قوس واحدة، وأعد لنا حبال مكر بالتواطؤ مع أهل الشقاق والنفاق؛ لإذلال الرجال، وانتهاك أعراض النساء، واستباحة الحرمات، وليرفعوا الصليب فوق أرضنا وتحت سمائنا، فلا تعطوا الدنية في دينكم، ولا تصغوا إلى مراوغ يلبس مسوح نصوح ليثنيكم عن الشهادة أو النصر.

وإذا كان عدونا مع هذه الخناجر التي نطعنه بها من هنا أو هناك ما زال يتجلد، يحكي انتفاخًا صولة الأسد ويذل العباد ويفعل الأفاعيل؛ فكيف إذا ملك زمام العراق، واستقرت سفينته بلا أمواج؟!

إن عدونا لو غلب لأهلك الحرث والنسل، ولاستباح بيضتكم لا يرقب في مؤمن إلًا ولا ذمة، {يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ} [التوبة: ٨]، ولأذاقوا المسلمين كؤوسًا أحلاها مر علقم.

فلا صلحَ حتَّى تعثر[1] الخيلُ بالقَنا *** وتُضرَبَ بالبيضِ الخفافِ الجماجمُ[2]

فقولوا ما قاله أمثالكم من الأبطال، وسلّوا أنفسكم؛ فإن نومكم ونبهكم أجر كله –إن شاء الله–؛ قالوا:

[لئن] شَحَّ العطاءُ *** فنحنُ للدّين الأضاحي

---

[1] اختلفت ألفاظه في عدة نسخ (تقرع، تقدع، تطعن، تعثر).

[2] أبيات من قصيدة عمرو بن برّاقة الهمداني، منتهى الطلب من أشعار العرب، ابن ميمون (ص١٤٩).

وعلى الطريق شدا الرِّجالُ *** بألسُنِ البذْلِ الفصاحِ
والنصر يُجنى بالدماءِ *** [وبالرماحِ] وبالصفاحِ[1]

وبعد هذا؛ فلتعلم الدُّنيا بأسرها أن منهجنا لا يقبل الرق، ولا يرضى أن يُباع في سوق المساومات، وسنبقى ماضين -بعون الله- مهما طالت الطريق واشتدت اللأواء، ومهما تكاثرت العملاء، فالقضية أكبر؛ إنه رب العالمين، وإنها جنة الفردوس، فمن لم يُسمِعْه صرير الأقلام، وصدى زئير الكلام؛ فسيسمعه صليل السيوف.

وإذا تلعثمت الشفاه *** تكلمت منّا الجراح[2]

فالأرحام التي ولدت خالدًا؛ لا تزال تحمل وتضع رغم غطرسة الباطل.

إنا لمن أمة طابت أرومتُها *** فليس في خلقها عيب ولا عوجُ
يُمِضُّها الجرحُ لكن لا يزلزلها *** وينهشُ القيدُ رجلَيها فينزلجُ
لئن غزاها عبيدُ السوطِ فليثقوا *** أن سوف نخرجهم من حيثما ولجوا
الحق عُدّتُنا في حربِ باطلهم *** والسيفُ حجَّتُنا إن أعوزت حججُ
سطا عليها غزاةُ الشرقِ واندثروا *** ومَرَّ فيها غزاةُ الغربِ واندرجوا
لم يبقَ منهم ومن آثارِ دولتهم *** سوى أساطيرَ باللعناتِ تمتزجُ
لن يسكتَ الأُسْدُ عما قد ألَمَّ بهم *** ما دام فيهم دمُ الإيمانِ يختلجُ[3]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ} [الأنفال: ٤٥]، {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}، والحمد لله رب العالمين.

---

[1] أبيات من قصيدة (الطريق إلى القدس)، الشاعر يوسف أبو هلالة. ذكرها الزرقاوي بتصرف.

[2] بيت من قصيدة (الليل ولى ولن يعود)، الشاعر محمد إقبال.

[3] أبيات من قصيدة ليلة العروبة، الشاعر زكي قنصل. الأعمال الشعرية الكاملة (ج١/ص٨٧-٨٨).

الكلمة التاسعة: رثَاءُ الشَّيخِ أَبِي أَنَسٍ الشَّامِيّ –تقبله الله– [صوتية]

١٢ شعبان ١٤٢٥ هـ || ٢٦ سبتمبر ٢٠٠٤ م

وصل خبر مقتله ولم أصدق بادئ ذي بدء، وبقيت بين الرجاء والخوف، حتى جاء الخبر اليقين! ذكريات تُلقي بظلالها، كلما تراءى أمامي شيء من أثر الجهاد والمجاهدين في أرض الخلفاء، أرض الرافدين.

شعرت وكأن جسمي انشق شقّين، وما كانت تستطيع العين إلا أن تُنفِّس بدمعات بين حين وآخر، قد كان رفيق دربي في الأتراح والأفراح، وفي الحل والترحال، كالظل لا يفارقني، صديق صدوق، نصوح شفوق.

رحمك الله يا أبا أنس، نِعمَ حامل رسالة كُنتَ، لقد تركت فراغًا لا يملؤه أحد، وأورثت لِلقلوب لوعة لا يسكُنُ لهيبها إلا بلقياك في الجنان –بإذن الله–، فوَالله لئن سُئِلنا لَنَصْدُقَنَّ، ولئِن استُشهِدنا لَنَشْهَدَنَّ: أنك كنت فارسًا من فرسان الإسلام حقًّا، وعالِمًا عاملًا مجاهدًا، فسلامٌ على روحك في الخالدين.

عينُ جودي بدمعك الرقراقِ *** واسكبيه على أعزِّ الرفاقِ
أي خطبٍ قد أثار شجوني *** وأشاعَ الأحزانَ في أعماقي؟!
يا أخي يا أخا المودة والحبِّ *** فخذها من قلبي الخفّاقِ
إن حبي الشّاميَ خلٌّ وفيٌّ *** صاحب الفضل والسجايا الرِّقاقِ
لا تلمني على البكاء فإني *** قد وجدتُ البكاءَ حلوَ المذاقِ
إن فيه راحةً وعزاءً *** إنما الصبرُ أعظمُ الترياقِ
إيه يا شامُ قد فقدتِ عزيزًا *** فَكُسِيتِ الأحزانَ كالأطواقِ[1]

[1] قصيدة ميسرة الغريب –تقبله الله–؛ أهداها للزرقاوي ليقولها في هذه المناسبة، ذكر ذلك في سلسلة: الزرقاوي؛ كما عرفته.

الكلمة العاشرة: كَلِمَةٌ فِي شَرِيطِ نَحرِ أَلَن آرمِسترُونج [مرئية]

٢٦ شعبان ١٤٢٥ هـ || ١٠ أكتوبر ٢٠٠٤ م

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

أبشري أمة الإسلام، أمة الثناء والرفعة والأمجاد والعزة، أمة البطولات والمفاخر والجهاد والشهداء، خير أمة أخرجت للناس، لِتُخرِجَ الناس من عبادة العبيد إلى عبادة رب العباد.

أبشري؛ فما زال أبناؤك شوكة في حلوق أعداء الله، لا يتركونهم ينامون في الليل، ولا يرتاحون في النهار.

أبشري ولا تيأسي؛ فحرب الأنبياء وأتباعهم سجال؛ يوم لهم ويوم عليهم، يرهبهم العدو ويرهبونهم، ويثخن فيهم ويثخنون، يصيبهم بقرح ويصيبون، ثم تكون العاقبة للمتقين، والويل والدمار للظالمين.

أمة الإسلام؛ لا تخفى عليك مجازر الكفر التي يرتكبها، لا يميز فيها بين رضيع أو كبير، ولا بين رجل ولا امرأة، فقنابلهم تحصد الأرواح وتحصد النفوس؛ وليس هذا فحسب، فسجونهم ملأى بإخوان لنا باعوا أنفسهم لله؛ لرد الكافرين عن بلاد المسلمين، ولتطبيق شرع الله، مع الأمن والأمان، والراحة والاطمئنان لأبناء الإسلام. وليس هذا فحسب؛ فسجونهم أيضًا تضم بين جنبتها أخوات لنا لا ذنب لهن إلا أن يقلن: ربي الله؛ فاتهموهن اتهامات باطلة، وسوغوا لأنفسهم من بعدها العبث بأعراضهن، والتسلي بأجسادهن، وانتهاك عفافهن!!

كيف أيضًا تنعمين يا أمة الإسلام، وأختنا العذراء يهينها علج وغد؟!

كيف تنعمين ودمعة الذل تنهمر على خديها، وإبراقة الحياء تخجل أهل المروءات؟!

كيف تنامين قريرة العين، وبنتك في سجون أعدائك، تتنهد من ألم الهوان، وتتلوى من غلظة جنود الكفر؟!

يا أختنا أبشري؛ فإنَّ جند الله قادمون، قادمون –بإذن الله– ليخرجوك من أغلالك إلى طهرك وعفافك، وإرجاعك إلى أمك وأبيك، أو زوجك وبنيكِ، فلكِ منا أن نقابل هؤلاء الكفرة بالمثل، لكِ من المجاهدين الصاع صاعان، والباع باعان؛ حتى يرتدعوا ولا يعودوا لمثلها من أسر أخواتنا وبناتنا، وكل نسائنا، فوراء نسائنا رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

أما أنت يا كلب الروم بوش؛ فقد جاءك قوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، فالقتل في سبيل الله أشهى أمانيهم، والإثخان في جنودك وحلفائك من أسعد لحظاتهم، وحز رؤوس الكفرة المجرمين تطبيقًا لأمر ربنا: {فَإذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ} [محمد: ٤].

يا كلب الروم؛ لا تظن أن جند الإسلام غافلون عن خطتكم الخبيثة للتوطيد لـ(إسرائيل الكبرى إلى حدود النهرين)؛ فدماؤنا وأجسادنا بينكم وبين أحلامكم الماكرة، وسترى من بطولات أبناء الإسلام ما لا يسرك، إن غطرستك سيأتي اليوم الذي تتمرغ فيه بالتراب بلا رجعة بإذن الله، ستزول بعد أن سبح بحمدها كثير من الفجراء –إن شاء الله–.

لِكُلِّ شَيءٍ إذا ما تَمّ نُقصانُ *** فَلا يُغَرَّ بِطيبِ العَيشِ إنسانُ[1]

وها نحن اليوم نذيقك شيئًا من كأس الهوان؛ لتذوق شيئًا من الإهانة التي تذيقها لأسرانا في سجونكم، في طول الأرض وعرضها، وحيث إنكم لم تفرجوا عن أخواتنا السجينات، وراح عميلكم المأجور علاوي يدعي أنه لا توجد إلا اثنتان من النظام السابق، فحيث إنكم ماطلتم؛ فنصيب أول علج حز الرأس، على مرأى ومسمعٍ منكم، ولكم مهلة أربع وعشرون ساعة؛ فإن التزمتم بطلبنا كاملاً فأفرجتم عن كل المسلمات، وإلا فرأس الآخر وراءه كرأس صاحبه هذا، وإنه ليسعدني أن أرى البسمة على وجوه صغارنا وكبارنا، وهم يرون أنفك قد احمر حنقًا وغيظًا، وعيونك قد زاغت يمينًا وشمالًا، وجبلك الجليدي قد ذاب أمام حرارة الإيمان ويقين الإسلام، وأقسم بالله الذي كسر الأكاسرة، وقصم ظهور القياصرة؛ إننا لن يغمد لنا سيف ومسلمة واحدة تهان في سجونكم، لن

[1] بيت من قصيدة (رثاء الأندلس)، الشاعر أبو البقاء الرندي.

نسكت ما دام لنا عرق ينبض بدم الإيمان والشوق إلى الجنان، وهذا سيكون مصير كل عميل أو متآمر من حثالات التاريخ، يسير في قافلة الاحتلال، فيخسر حياته وآخرته لقاء حفنة من مال.

وهل كانت أمريكا تستطيع سجن أخواتنا واغتصابهن، أو إذلال إخواننا، وتهديم مساجدنا وبيوتنا، واستباحة حرمتنا؛ لولا الجيش والشرطة؟! فهؤلاء هم من أتى بالأمريكان، وعبّدوا لهم الطريق، وذللوا لهم الصعوبات، فحكمهم كحكم الأمريكان: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: ٥١]، وليس له منا إلا السيف، ولن يغرنا اختلاف الأزياء وتغاير الأسماء؛ فقد صرنا نرى أخيرًا الزيّ واحدًا، حتى طريقة حملهم لرشاشات صارت كالأمريكان.

والحمد لله؛ فقد أصبحت أمريكا اليوم هي وحلفاؤها في حالة لا تحسد عليها، وبدأت أرجلها تغوص في مستنقع آخر من التخبط والاضمحلال، بغير رجعة -إن شاء الله-، وسترى الدُّنيا من سيطحن الآخر في نهاية المطاف؛ إسلامنا أم كفرهم، توحيدنا أم تكذيبهم، عدلنا أم جورهم.

{فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ} [التوبة: ٥٢].

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

[هنا يقوم الأمير الزرقاوي بذبح الكافر الأمريكي]



فترة تنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين





الكلمة الأولى: رِسَالةٌ إِلى الأُمَّةِ وَالمُجَاهِدِينَ دَاخِلَ الفَلُّوجَةِ [صوتية][١]

٢٩ رمضان ١٤٢٥ هـ || ١٢ نوفمبر ٢٠٠٤ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، {وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: ٢٢].

من **أبي مصعب الزرقاوي** إلى **أمتي الغالية**؛

السلام عليك ورحمة الله وبركاته، ها قد ارتفع للجهاد لواء، وخفقت له راية، واشتد ساعد أبطال الإسلام في العراق، فلقد خفقت معهم قلوب أهل الإسلام فرحًا، وجعلت ترقب أملًا يكبر بفجرٍ قريبٍ، ينقشع معه ظلام الذل الذي أطبق على صدر الأمة ردحًا طويلًا على أيدي اليهود والصليبيين، وأذنابهم من حكامنا المرتدين. هذه الحقيقة أدركتها أمريكا ومن معها؛ فمادت بهم الأرض، وهم يشعرون أن رياح الجهاد ستزلزل عروشهم، وتزعزع بنيانهم، فتمالؤوا فيما بينهم، وحشدوا جموعهم، واتحدوا في مقابلة العدو القادم لهم؛ إنه الإسلام المحض تحت راية الجهاد الحق.

أخاطبك يا أمتي، ودماء أبنائك تسيل في العراق عامة، وفي الفلوجة خاصة، بعدما أقبل عليهم عباد الصليب ومن معهم من أبناء جلدتنا، الذين باعوا دينهم بدنياهم، وخانوا الله ورسوله؛ كقوات البشمركة، والرَّافِضَة، بمباركة إمام الكفر والزندقة (أعني السيستاني).

وليس يعين الظالمين بظلمهم *** سوى أدنياء تستلذّ المثالبا
فهم مثل كلب الصيد يتبع ربَّه *** ليلتذّ، لا نفعًا جنى بل متاعبا[٢]

يا أمتي؛ إن هذه الدماء ستكون بإذن الله مصابيح هدى في دجى الليل البهيم، وأبشري يا أمتي؛ فلا نشك لحظة بأن نصر الله بدأت تلوح علاماته في الأفق، فها هم أبناؤك يسطرون أروع الصور

[١] خلال معركة الفلوجة الثانية.
[٢] لم أجد لها مصدرًا أو قائلًا.

في قتالهم لأمريكا وحلفائها، ولا تنخدعي بإعلامهم الخبيث؛ فكل ما تسمعونه هو محض كذب وتزوير، وأتحدى أمريكا أن تظهر الحقيقة لما يدور في أرض المعركة والنزال، وأتحداها مرة أخرى أن تسمح للقنوات الفضائية أن تدخل لتغطي أحداث المعركة، ولكن هيهات؛ فما عادت الشمس تغطى بغربال.

أما أنتم أبطال الإسلام في الفلوجة؛ فالله الله في جهادكم، والله الله في أمتكم، والله الله في دينكم، فصبر ساعة ثم تكون لكم العاقبة -بإذن الله-، وتذكروا غزوة الأحزاب، غزوة الخندق؛ فقد كان النبي ﷺ يبشر أصحابه بكنوز قيصر وكسرى[1]، فمع الشدائد تأتي اللطائف -بعون الله-، وقد جاءكم العون والمدد؛ فالعدو بفضل الله يسير كما رُسِم له، والخطة بفضل الله بدأت بالظهور آثارها، فأكثروا من الدعاء، فأنتم اليوم طليعة الأمة، فلا تضنوا وتبخلوا بنفوسكم من أجل دينكم.

وهذا نداء للأبطال في العراق؛ الله الله في إخوانكم، هبوا لنجدتهم؛ فإن هذه المعركة من المعارك الفاصلة في تاريخ الإسلام والكفر، فقوموا قومة رجل واحد، وأحرقوا الأرض تحت أقدام الغزاة، واقعدوا لهم كل مرصد، واجلسوا لهم جلسة الأسد لفريسته، وكونوا كما قال الشاعر:

يتطهرون يرونه نُسُكًا لهم *** بدماءِ مَن عَلِقوا مِنَ الكفارِ[2]

فماذا أنت فاعلة أمة الإسلام؟!

وماذا أنتم قائلون علماء الإسلام؟!

---

[1] حديث رواه أحمد وأبو يعلى والنسائي بسند ضعيف، وله أصل في صحيح البخاري: عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ، قَالَ: وَعَرَضَ لَنَا صَخْرَةٌ فِي مَكَانٍ مِنَ الخَنْدَقِ، لَا تَأْخُذُ فِيهَا الْمَعَاوِلُ، قَالَ: فَشَكَوْهَا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، قَالَ عَوْفٌ: وَأَحْسِبُهُ قَالَ: وَضَعَ ثَوْبَهُ، ثُمَّ هَبَطَ إِلَى الصَّخْرَةِ، فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: "بِاسْمِ اللهِ"، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: "اللهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا ". ثُمَّ قَالَ: " بِاسْمِ اللهِ". وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ فَقَالَ: "اللهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا " ثُمَّ قَالَ: " بِاسْمِ اللهِ". وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: "اللهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا".

[2] بيت من ديوان كعب بن زهير، البداية والنهاية، ابن كثير، (ج٧/ص١٣٨).

أما نحن؛ فقد حسمنا خيارنا، واخترنا طريقنا، وسنمضي فيه إلى الغاية -بإذن الله-: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُواْ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ} [التوبة: ٥٢].

من لم يُباشِرْ حَرَّ الهجيرِ في طِلابِ المجد؛ لم يَقِلْ في ظِلال الشرف[١].

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}، والحمد لله رب العالمين.

[١] الفوائد، ابن قيم الجوزية، (ص٥٧).

الكلمة الثانية: رِسَالَةٌ إلى المُجَاهِدِينَ خَارِجَ الفَلُّوجَةِ [صوتية]

١١ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ || ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٤ م

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

رسالة إلى الأبطال في بغداد والأنبار، وإلى الأسود في الموصل والشمال، وإلى الليوث في ديالى وسامراء وصلاح الدين؛ لقد صار العدو يتجنب قتالكم مخافة التشتيت والاستنزاف؛ فقد حشد جُلَّ قدراته وطاقاته للقضاء على الإسلام في الفلوجة، فإذا انتهى من الفلوجة تحرك باتجاهكم، فكونوا على حذر، وفوّتوا عليه هذه الخطة، فالعدو ضعيف، ولا يستطيع أن يتوسع في معركته؛ فقد أثخنته الجراح، فلا تكتفوا بخروجه من أرضكم، ولكن حصنوا ثغوركم، وازحفوا إليهم، وأخرجوهم مِن جحورهم، وأمطروهم بالصواريخ ومدافع الهاون، واقطعوا عليهم طرق الإمداد الرئيسية والفرعية؛ فإنها شريانه الرئيسي، واكمنوا لهم على تلك الطرق؛ فإنها غنيمة باردة، وظهرٌ مكشوف.

واحرصوا أن يكون زمام المعركة بأيديكم لا بيده، وأطيلوا في أمد المعركة، ولا يمر عليهم يوم إلا والذي بعده شر منه وأنكى؛ فإن العدو يراهن على الأيام في كسر حدة المعركة، وإخماد لهيبها وإطفاء جذوتها.

فالصبر الصبر، ولن يغلب عُسرٌ يُسرَين، {وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} [محمد: ٣٥].

الكلمة الثالثة: وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبتَلَى ثُمَّ تَكُونُ لَهَا العَاقِبَةُ [صوتية]

١١ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ || ٢١ يناير ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فهاتيك عبرة جديدة أُرسلها عبر أثير الكلمات، وهاتيك خفقة حانية أُصدرها من صميم القلب وضلوع الجنبات، من جندي واقف على عتبات الحرب، وأزيز المعمعات، من أبي مصعب الزرقاوي إلى من يراه من أهل الأوقات والمروءات؛

لم تزل تكابدني آلام الأمة المحزونة، لم تزل تفارقني أشباح الأمة المطعونة، أمة المجد العظيم والشرف الكريم، سامتها أيدي الغدر ألوانًا من الشر المهين؛ فتوسدت لحاف الذل والمهانة، وتجرعت كؤوس القهر والخيانة، وأُقعدت عن واجباتها ومهامها، وحُجبت عن أحلامها وآمالها.

وبات المرض يعوث أركان الجسد، ثم طرح أرضًا وشدت أركانه إلى وتد، وتكالبت عليه وحوش الأرض مع الذئاب، وغدت أوصاله مقطعة بين المخالب والأنياب؛ فذاك قول النبي ﷺ الذي يرويه الإمام أحمد وأبو داود عن ثوبان –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: "يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا"، قال: (قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟)، قال: "أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، يَنْتَزِعُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ"، قال: (قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟)، قال: "حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ"[١]، وفي رواية أخرى لأحمد: "وَكَرَاهِيَتُكُمُ الْقِتَالَ"[٢].

فلتعلموا أهل الإسلام؛ أن الابتلاء تاريخ وقصة طويلة منذ أن نزلت (لا إله إلا الله) على هذه الأرض، فابتلي الأنبياء والصادقون، وكذلك الأئمة الموحدون، فمن جرد نفسه لحمل كلمة (لا إله

---

[١] إسناده حسن.
[٢] إسناده حسن.

إلا الله) ونصرها وإقامتها في الأرض؛ فعليه أن يدفع تكاليف هذا التشريف من تعب ونصب وبلاء، فأين أنت؟ والطريق طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورُمِيَ في النار الخليل، وأُضجِع للذبح إسماعيل، وبيعَ يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونُشِرَ بالمنشار زكريا، وذُبِحَ السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ[١]؛ وتزهى أنت باللهو واللعب؟! والله تعالى يبتلي بعض الخلق ببعض، ويبتلي المؤمن بالكافر، كما يبتلي الكافر بالمؤمن، وهذا النوع من الابتلاء هو قاسم مشترك بينهم جميعًا؛ قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ} [الملك: ١-٢]. روى مسلم عن نبينا ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: "إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ وَأَبْتَلِيَ بِكَ"، والذي علمناه من القرآن والسنة أن من الأنبياء من قتله أعداؤه ومثّلوا به كيحيى، ومنهم من هم قومه بقتله ففارقهم ناجيًا بنفسه كإبراهيم الذي هاجر إلى الشَّام، وعيسى الذي رُفع إلى السماء، ونجد من المؤمنين من يُسام سوء العذاب، وفيهم من يلقى في الأخدود، وفيهم من يستشهد، وفيهم من يعيش في كرب وشدة واضطهاد؛ فأين وعد الله لهم بالنصر في الحياة الدُّنيا وقد طُردوا أو قُتلوا أو عُذبوا؟!

الابتلاء هو قدر الله في جميع خلقه، ولكنه يزداد ويعظم في شدته على الأخيار الذين اجتبتهم عناية الله، وخاصة المجاهدين منهم لا بد لهم من مدرسة الابتلاء، لا بد لهم من دروس التمحيص والتهذيب والتربية؛ ثبت في [السنة][٢] عن سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– قال: (قلت: يَا رَسُولَ اللهِ؛ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟)، فَقَالَ: "الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الصَّالِحُونَ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ؛ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ؛ فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صَلَابَةٌ: زِيدَ فِي بَلَائِهِ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ: خُفِّفَ عَنْهُ، وَمَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ، حَتَّى يَمْشِي عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وليس عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ"[٣]، وروى البيهقي في شعب الإيمان، والطبراني في المعجم الكبير، وابن سعد في الطبقات، عن عبد الله بن إياس بن أبي فاطمة

[١] مستفادة من المدهش، ابن الجوزي، (ص٢٩١).
[٢] في الكلمة الأصلية قال: في الصحيحين.
[٣] رواه أحمد والتِّرْمِذِيُّ وابن ماجه بنحوه. وهذا اللفظ ذكره ابن تيمية في كتاب الإيمان. قال الأرنؤوط عن رواية أحمد: إسناده حسن من أجل عاصم بن أبي النجود، وباقي رجاله ثقات رجال الشيخين.

عن أبيه عن جده قال: كنت مع رسول الله ﷺ جالسًا، فقال رسول الله ﷺ: "مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصِحَّ وَلَا يَسْقَمَ؟"، قلنا: نحن يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: "مه؟!"، وعرفناها في وجهه، فقال: "أَتُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا كَالْحَمِيرِ الصَّيَّالة؟"، قال، قالوا: يا رسول الله لا، قال: "ألا تُحِبُّونَ أَنْ تَكُونُوا أَصْحَابَ بَلاءٍ وأَصْحَابَ كَفَّارَاتٍ؟"، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: "فَوَاللهِ إِنَّ اللهَ لَيَبْتَلِي الْمُؤْمِنَ، وَما يَبْتَلِيه إلَّا لِكَرَامَة عَلَيه، وإِنَّ لَهُ عِنْدَهُ مَنْزِلَةً مَا يَبْلُغُهَا بَشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ دُونَ أَنْ يُنْزِلَ بِهِ مِن الْبَلاءِ مَا يَبْلُغُ بِهِ تِلْكَ الْمَنْزِلَةَ"[1]، وروى التِّرْمِذِيُّ عن جابر –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: "لَيَوَدَّنَّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّ جُلُودَهُمْ قُرِضَتْ بِالْمَقَارِيضِ مِمَّا يَرَوْنَ مِنْ ثَوابِ أَهْلِ البلاءِ"[2]، وعن الرسول ﷺ أنه قال: "يُؤْتَى بِأَنْعَمِ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: {اصْبُغُوهُ فِي النَّارِ صِبْغَةً}، –قَالَ:– فَيَصْبُغُونَهُ فِي النَّارِ صِبْغَةً، ثُمَّ يُؤْتَى بِهِ، فَيَقُولُ: {يَا ابْنَ آدَمَ؛ هَلْ أَصَبْتَ نَعِيمًا قَطُّ؟ هَلْ رَأَيْتَ قُرَّةَ عَيْنٍ قَطُّ؟ هَلْ أَصَبْتَ سُرُورًا؟}، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، ثُمَّ يَقُولُ: {رُدُّوهُ إِلَى النَّارِ}، ثُمَّ يُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ كَانَ بَلَاءً فِي الدُّنْيَا وَأَجْهَدَهُ جَهْدًا، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: {اصْبُغُوهُ فِي الْجَنَّةِ صَبْغًا}، فَيُصْبَغُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَى بِهِ، ثُمَّ يُقَالُ: {يَا ابْنَ آدَمَ؛ هَلْ رَأَيْتَ مَا تَكْرَهُ قَطُّ؟}، فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ؛ مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ أَكْرَهُهُ"[3]، قال شقيق البلخي: (من يرى ثواب الشدة لا يشتهي الخروج منها)[4].

والله عز وجل شرع الجهاد تكملة لشرائع الدين، ورفع منزلته عاليًا حتى صار في ذروة التكليف الرباني، وجعل فيه شدة وبلاء تكرهه النفوس وتجبن عنده الطباع، ثم حببه وقربه من جوهر الإيمان ومكنون التوحيد، فلا يطلبه إلا صادق الإيمان قوي البرهان: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون} [الحجرات: ١٥]، فحقيقة الجهاد قائمةٌ على صقل النفس وتجريدها لربها وخالقها؛ بفعل أوامره، والإقدام على وعوده،

---

[1] إسناده ضعيف مرسل.

[2] هذا لفظ ابن ماجه، ولفظ التِّرمِذِيُّ "يودُّ..."، وقال فيه: (غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه)، قال النووي: (رَوَاهُ الْبَيْهَقِيّ بِإِسْنَاد فِيهِ ضعف)، وحسنه المناوي.

[3] رواه أحمد ومسلم.

[4] كتاب إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، (ج٤/ص٣٤٨).

وهذا لا يكون إلا إذا حُفّ هذا الطريق بالشدائد والمحن؛ ولهذا يقول الله عز وجل: {وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ} [محمد: ٤-٦]، ويقول: {وَلَوْ شَاء اللّهُ مَا اقْتَتَلُواْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيد} [البقرة: ٢٥٣]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية[١]: (أي: لا بُدّ أن يعقِد سببًا من المحنة، يظهر فيه وليُّه، ويفتضحُ فيه عدُوُّه، يُعرف به المؤمن الصَّابر، والمُنافقُ الفاجر، يعني بذلك يوم أُحدٍ الَّذي امتحن الله به المؤمنين؛ فظهر به إيمانهم وصبرهم وجلدهم، وثباتهم وطاعتهم لله ولرسوله ﷺ، وهتك به ستر المنافقين؛ فظهر مُخالفتهم ونُكولهم عن الجهاد، وخيانتهم لله ورسوله ﷺ)[٢].

وتأملوا يا عباد الله قوله سبحانه تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنيا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ} [الحج: ١١]؛ [ذكر] البغوي في التفسير[٣] عن ابن عباس -رضي الله عنهما-: أن الرجل من الأعراب كان يؤمن برسول الله ﷺ، فإذا وُلد له بعد الإسلام غلام، وتناسل فيه، وكثر ماله؛ قال: هذا دين حسن، هذا دين جيد، فآمن وثبت، أما إذا لم يولد له غلام، ولم يتكاثر خيله، ولم يكثر ماله، وأصابه قحط أو جدب؛ قال: هذا دين سيّئ، ثم خرج من دينه وتركه، [وظل] على كفره وعناده[٤]. يقول سيد -رحمه الله-: (ولا بد من تربية النفوس بالبلاء، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد، وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات، لا بد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة؛ كي تعزّ على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف، والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها تكاليفها: لا يعزّ عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى؛ فالتكاليف هنا هي الثمن النفسي الذي تُعَزّ به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعزّ في نفوس الآخرين، وكلما تألموا في سبيلها، وكلما بذلوا من أجلها: كانت أعزّ عليهم وكانوا أضَنّ بها، كذلك لن يدرك الآخرون قيمتها إلا حين

---

[١] الصواب أن هذا تفسير لآية: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [آل عمران ١٧٩].

[٢] تفسير القرآن العظيم، (ج٢/ص١٧٣).

[٣] في الكلمة الأصلية: روى البغوي، وهو غير صحيح، الصواب من رواه الطبري والبخاري.

[٤] جمع الزرقاوي الرواية وذكرها بالمعنى. معالم التنزيل، البغوي (ج٥/ص٣٦٨)، جامع البيان، الطبري، (ج١٦/ص٤٧٣).

يرون ابتلاء أهلها بها وصبرهم على بلائها؛ إنهم عندئذ سيقولون في أنفسهم: لو لم يكن ما عند هؤلاء من العقيدة خيرًا مما يبتلون به وأكبر لَما قبلوا هذا البلاء، ولا صبروا عليه! وعندئذ ينقلب المعارضون للعقيدة باحثين عنها، مقدرين لها، مندفعين إليها، وعندئذ يجيء نصر الله والفتح، ويدخل الناس في دين الله أفواجًا، ولا بد من البلاء كذلك ليصلب عود أصحاب العقيدة ويقوى؛ فالشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة، وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد)[١].

سُئل الشافعي -رحمه الله-: أيهما خيرٌ للمؤمن أن يُبتلى أم يُمكن؟ فقال: (ويحك! وهل يكون تمكين إلا بعد بلاء؟)[٢]، وعن صفوان بن عمرو أنه قال: كنت واليًا على حمص، فلقيت شيخًا كبيرًا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو، فقلت: يا عمِّ؛ لقد أعذر الله إليك، فرفع حاجبيه فقال: (يا ابن أخي؛ استنفرنا الله خِفافًا وثِقالًا)[٣].

ألا من يحبه الله يبتليه.

صَبرًا على شِدَّةِ الأَيّامِ إنَّ لها *** عُقبى وَمَا الصَّبرُ إلاَّ عِنْدَ ذِي حسبِ
سيفتح اللهُ عَن قربٍ يعقبه[٤] *** فيها لِمِثلِكَ راحاتٌ مِن التَعَبِ[٥]

ويقول سيد -رحمه الله-: (إن الإيمان ليس كلمة تقال، إنما هو حقيقة ذات تكاليف وأمانة ذات أعباء وجهاد يحتاج إلى صبر، وجهد يحتاج إلى احتمال، فلا يكفي أن يقول الناس: آمنّا، وهم لا يُتركون لهذه الدعوى حتى يتعرضوا للفتنة؛ فيثبتوا عليها، ويخرجوا منها صافية عناصرهم، خالصة قلوبهم، كما تفتن النار الذهب؛ لتفصل بينه وبين العناصر الرخيصة العالقة به -وهذا هو أصل الكلمة اللغوي، وله دلالته وظله وإيحاؤه-، وكذلك تصنع الفتنة بالقلوب، هذه الفتنة على الإيمان

---

[١] في ظلال القرآن، (ج١/ص١٤٥).
[٢] ذكر نحوها ابن تيمية في تفسير أول سورة العنكبوت، جامع المسائل (ج٣/ص٢٥٤)، وابن القيم في الفوائد ومدارج السالكين وزاد المعاد (ج٣/ص١٧).
[٣] ذكر هذه الرواية عن صفوان بهذا اللفظ غير واحد من المفسرين دون سند، والصواب أنها رواية الطبري عن حبان بن زيد الشَّرعبيُّ، قال: (نفرنا مع صفوان بن عمرو -وكان واليًا على حمص قِبَل الأُفْسُوس- إلى الجَراجِمَةِ فلقيت شيخًا كبيرا هِمًّا...)، جامع البيان (ج١١/ص٤٧٠).
[٤] في الديوان (بنافعة)، وهذه اللفظة في (أنس المسجون وراحة المحزون).
[٥] ديوان الإمام علي، (ص٣١)، وأنس المسجون وراحة المحزون، صفي الدين الحلبي. (ص٥٦).

أصل ثابت، وسنة جارية في ميزان الله سبحانه: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٣].

[... و] إن الإيمان أمانة الله في الأرض، لا يحملها إلا من هم لها أهل، وفيهم على حملها قدرة، وفي قلوبهم تجرد لها وإخلاص، وإلا الذين يؤثرونها على الراحة والدعة، وعلى الأمن والسلامة، وعلى المتاع والإغراء، وإنها لأمانة الخلافة في الأرض، وقيادة الناس إلى طريق الله، وتحقيق كلمته في عالم الحياة؛ فهي أمانة كريمة وهي أمانة ثقيلة، وهي من أمر الله يضطلع بها الناس، ومن ثم تحتاج إلى طراز خاص يصبر على الابتلاء)[١].

فإن على الفئة المقاتلة التي سلكت طريق الجهاد في سبيل الله: أن تعي طبيعة المعركة ومتطلباتها نحو هدفها المنشود، وطريقها الذي لا بد أن يُعَبَّد بدماء الصالحين من أبنائها، وأن تدرك أن هذا الطريق فيه فقد للأحباب والأصحاب، وترك للخلان والأوطان؛ كما قاسى أصحاب النبي ﷺ وهم خير الخلق بعد الأنبياء مرارة الهجرة وفقد المال والأهل والدار كله في سبيل الله، فأين نحن منهم؟!
وما على هذه الفئة إلا أن تصبر في طريقها الذي سلكته، وأن تحتسب عند الله ما قد يقع لها من فقد بعض القيادات والأفراد، وأن تمضي على دربهم، وتعلم أن هذه سُنة الله عز وجل، وأن الله يصطفي من هذه الأمة من عباده الصالحين، وألا تتعجل النصر فإن وعد الله آت لا محالة.

وينبغي أن يعلم المسلم أن اتباع الحق والصبر عليه هو أقصر طريق إلى النصر، وإن طال الطريق وكثرت عقباته وقل سالكوه، وأن الحَيدة عن الحق لا تأتي إلا بالخذلان وإن سهل طريقها وظن سالكه قرب الظفر؛ فإنما هي أوهام؛ قال تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون} [الأنعام: ١٥٣].

هذا هو الجهاد، قمة وثمرة، يأتي بعد صبر طويل، ومكوث مديد في أرض المعركة؛ انتظارًا لجلب الأعداء واصطبارًا لشرورهم، مكوثًا يستمر شهورًا وسنوات متتالية، وإن لم تتجرع هذه الآلام فلن

---

[١] في ظلال القرآن، (ج٥/ص٢٧٢٠).

يفتح الله عليك بالنصر؛ لأن النصر مع الصبر، وقد قال شيخ الإسلام: (إنما تنال الإمامة في الدين بالصبر واليقين)[١].

إن مفاهيم الحق وصدق العقيدة والتوحيد؛ تبقى دُمى في عالم الأشباح، لا تجري فيها روح الحياة إلا إذا حملها أناس صادقون صابرون، يتحملون تبعات هذا الطريق ولأواءَه، ويستعذبون العذاب، ويستحلون النصب ولا يرضون إلا بالموت من أجل إحياء هذه المفاهيم على أرض الواقع تطبيقًا عمليًّا، لا كما يتمنى البعض هذه المفاهيم ويزركشونها ضمن قوالب نظرية فلسفية وخطب رنَّانة، بعيدة عن روح العمل والصدق والتنفيذ.

وإن الإسلام اليوم؛ بأمس الحاجة إلى رجال صادقين صابرين، ينزعون إلى الجد، ويستعذبون التعب، ويرتاحون بالنصب، فيترجمون بصمت متطلبات المرحلة، رجال النفوس الصادقة والهمم العالية والعزائم القويّة، التي لا تعرف إلا سمت التلقي للتنفيذ؛ فتأبى أن يعقدها الكلل، أو يدركها الملل، أو تنفق آمالها في المراء والجدال، فشمر عن ساعد الجد والعمل، واصبر على لأواء الطريق ووعورته؛ فقد قيل: (قد عجز من لم يُعِدّ لكلّ بلاء صبرًا، ولكلّ نعمة شكرًا، ومن لم يعلم أن مع العسر يسرًا)[٢].

يا ويح نفسي وما ارتفعت لنا همٌ *** إلى الجنان وتالي القوم أوابُ
إلى كواعب للأطراف قاصرة *** وظل طوبى وعطر الشجو ينسابُ
إلى قناديل ذهب علقت شرفًا *** بعرش ربي لمن قتلوا وما غابوا[٣]

---

[١] قال ابن القيم في مدارج السالكين (ج٢/ ص١٥٤): (سمعت شيخ الإسلام ابن تيمية –قدس الله روحه– يقول: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين، ثم تلا قوله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً ...} الآية)"، وانظر: مجموع فتاوى ابن تيمية (ج٢٨/ص٤٤٢).
[٢] أنس المسجون وراحة المحزون، صفي الدين الحلبي (ص٣١).
[٣] ذكرها حسين سيد بن حسين العفاني في سلسلة دروس (أسود من التاريخ) درس (لا حل لهذه الأمة إلا بالجهاد)، دون ذكر قائلها ومصدرها.

يقول تعالى: {وَلاَ يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلاَ كَبِيرَةً وَلاَ يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ} [التوبة: ١٢١]، روى الطبري عن قتادة في تفسير هذه الآية قوله: (ما ازداد قوم من أهليهم في سبيل الله بعدًا، إلا ازدادوا من الله قربًا)[١].

فالأمر لله من قبل ومن بعد، ولسنا سوى عبيد له سبحانه، نسعى لتحقيق عبوديته، ومن كمال العبودية: أن نعلم ونوقن يقينًا جازمًا لا شك فيه أن وعد الله متحققٌ لا محالة، ولكننا قد لا ندرك حقيقة هذا الأمر لحكمة يعلمها الله، وقد يتأخر النصر ابتلاءً وامتحانًا، وصدق الله العظيم: {وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ} [الروم: ٤٧].

وقد وعد سبحانه عباده الموحدين بالنصر، وجعل التمكين للصابرين، وأخبر أن ما حصل للأمم السالفة من الظفر والثبات والتمكين على الأرض: كان لجميل صبرهم وتوكلهم عليه؛ كما قال سبحانه: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُواْ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَآئِيلَ بِمَا صَبَرُواْ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُون} [الأعراف: ١٣٧]، وجعل الله تعالى ما حصل لنبيه يوسف من العزة والتمكين في الأرض بعد الغربة وما جرى له في قصر العزيز إنما هو بصبره وتقواه: {إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِين} [يوسف: ٩٠]، وعلق سبحانه الفلاح بالصبر؛ لقوله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون} [آل عمران: ٢٠٠]، وذكر سبحانه أن حسن العاقبة في الدُّنيا هي للصابرين الأتقياء: {فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِين} [هود: ٤٩]، نحن نعلم يقينًا أن وعد الله لا يتخلف أبدًا، ومنشأ السؤال والإشكال: أننا قصرنا النظر على نوع واحد من أنواعه؛ وهو النصر الظاهر، ولا يلزم أن يكون هذا هو النصر الذي وعد به أنبياءه ورسله وعباده المؤمنين؛ فالنصر يتجلى في صور أخرى لا تلمحها النفوس المهزوزة الضعيفة.

---

[١] جامع البيان، (ج١٢/ص٧٥).

ومن بعض هذه الصور:

– أن قبائل قريش قد أجمعت قديمًا على محاصرة المؤمنين ومقاطعتهم في شعب أبي طالب ومعهم بنو هاشم، ثلاث سنوات لا يبيعونهم ولا يشترون منهم؛ حتى لم يجدوا ما يأكلونه إلا ما يلتقطونه من خشاش الأرض، وأوشك المؤمنون على الهلاك لولا أن رحمة الله أدركتهم[١].

– أصحاب الأخدود يُلقون في النار ولا يقبلون المساومة على دينهم، ويفضلون الموت في سبيل الله، ثم يحفر الطاغوت أخاديده، ويوقد نيرانه، ويأمر زبانيته وجنوده بإلقاء المؤمنين في النار، وتأتي المفاجأة المذهلة؛ بدل أن يضعف من يضعف، ويهرب من يهرب: لا تسجل الرواية أن أحدًا منهم تراجع أو جبن أو هرب، بل نجد الإقدام والشجاعة وذلك بالتدافع إلى النار، وكأن الغلام قد بث فيهم الشجاعة والثبات، وها هم يجدون في اللحاق بهم، وكأنهم يتلذذون في تقديم أرواحهم فداء لدينهم؛ فكانوا هم المنتصرين، بل سماه الله عز وجل: (فَوْزًا كَبِيرًا): {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ} [البروج: ١١].

– وعن أنس بن مالك –رضي الله عنه– قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: (يا رسول الله؛ غِبتُ عن أوَّل قِتالٍ قاتلت المشركين، لئن أشهدني قِتالَ المشركين ليرينَّ اللهُ ما أصنع)، فلمَّا كان يوم أُحدٍ وانكشف المسلمون، قال: (اللَّهُمَّ إنِّي أعتذر إليك مِمَّا صنع هؤلاء –يعني أصحابه– ، وأبرأُ إليك ممَّا صنع هؤلاء –يعني المشركين–)، ثم تقدَّم، فاستقبله سعد بن معاذٍ، فقال: (يا سعد بن معاذ! الجنَّةُ وربِّ النَّضر، إنِّي أجِدُ ريحها دون أُحدٍ)، قال سعدٌ: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنسٌ: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربةً بالسَّيف أو طعنةً برمحٍ أو رميةً بسهمٍ، ووجدناه قد قُتل، وقد مثَّل به المشركون، فما عرفهُ أحدٌ إلا أخته ببنانه، قال أنسٌ: كُنَّا نرى –أو نظنُّ–، أنَّ هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب: ٢٣][٢].

---

[١] انظر: سيرة ابن هشام، (ج١/ص٣٥٠-٣٥٣).

[٢] رواه البخاري.

– ونجد هذا المعنى من معاني الانتصار في الحديث الذي رواه خباب؛ عندما جاء إلى رسول الله ﷺ وقال له: (ألا تَسْتَنْصِرُ لنا؟ ألا تَدْعُو لَنا؟)، قال: "كانَ الرَّجُلُ فِيمَن قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأرْضِ، فيُجْعَلُ فِيهِ، فيُجَاءُ بالمِنْشَارِ فيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فيُشَقُّ باثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذلك عَنْ دِينِهِ، ويُمْشَطُ بأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ"[١].

– ومن أنواع النصر الخفي الذي لا يراه إلا المؤمنون: أن عدو الحق مهما كان متجبرًا مسرفًا في معاملة خصمه؛ إلا أنه يتجرع ألوانًا من الأذى المعنوي والعذاب النفسي قبل أن يقدم على إيذاء خصمه، بل وأحيانًا بعد أن يفعل فعلته فإنه لا يجد للراحة مكانًا، ولا للسعادة طعمًا؛ ولذا فإن الحجاج بن يوسف عندما قتل سعيد بن جبير ذاق ألوان العذاب النفسي، حتى كان لا يهنأ بنوم، ويقوم من فراشه فزعًا ويقول: (ما لي ولسعيد؟!)، حتى مات وهو في همه وغمه[٢].

هذا ما نستيقنه في حربنا مع حامل لواء الصليب الطاغوت الأمريكي المتبجح؛ فمع بطشه وتجبره بالعتاد والسلاح، إلا أنه يلقى من الهوان النفسي والكسر المعنوي ما لو صب على الجبال لتصدعت، وقد جاء القرآن معبرًا عن هذه الحقيقة كما في سورة آل عمران؛ فقال سبحانه: {وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُور * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ} [آل عمران: ١١٩-١٢٠]، وقال سبحانه: {وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا} [الأحزاب: ٢٥].

– ومن الصور التي تخفى على مطموسي البصائر: ترقب الحياة الكاملة التي أعدها الله لأوليائه وأصفيائه؛ قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون} [آل عمران: ١٦٩].

من لم يمت بالسيفِ مات بغيره *** [تنوعت] الأسباب والموت واحدُ[٣]

---

[١] رواه البخاري.
[٢] رواه الطبري في تاريخه، (ج٦/ص٤٩١).
[٣] بيت لابن نُباتة السعْدي.

ومن خلال ما سبق: يتضح لنا المفهوم الشَّامل للانتصار، وأنه لا يجوز لنا أن نحدد نوع الانتصار الذي نريده.

وإن من دواعي الثبات والاستبسال كما رأيناه على أرض الفلوجة: أن النبي ﷺ أخبرنا أن من علامات انتصار دين الإسلام أنه لن تستطيع قوة في الأرض أن تهلك جميع المؤمنين، كما كان يخشى في عهد نوح أو في أول الرسالة؛ لأن رسول الله ﷺ بيّن أن الجهاد سيبقى قائمًا عاملًا في الأرض؛ كما ورد في الحديث الصحيح: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ"[١].

إن النصر ومصير هذا الدين بيد الله سبحانه؛ فقد تكفل به ووعد به؛ فإن شاء نصره وأظهره، وإن شاء أجّله وأخّره؛ فهو الحكيم الخبير بشؤونه، فإن أبطأ فبحكمة مقدرة فيها الخير للإيمان وأهله، وليس بأحد بأغير على الحق وأهله من الله، {وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ * وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [الروم: ٤-٦].

لا تحسبنّ المجدَ تمرًا أنتَ آكلُه *** لن تبلغَ المجد حتى تلعَق الصَّبِرا[٢]

فإن الله سبحانه وتعالى جلت قدرته وعزت عظمته يمنّ على المؤمنين بالنصر أحيانًا، ويبتليهم منه أحيانًا أخرى؛ فيحرمهم من هذه النعمة، ويذيقهم طعم الابتلاء؛ لحكم يقدرها ويعلمها.

قدْ ينعمُ اللهُ بالبلوى وإنْ عظمتْ *** ويَبْتَلي اللّه بعضَ القَوْمِ بالنعَمِ[٣]

وقد عدّ ابن القيم -رحمه الله- في زاد المعاد نُبذًا من هذه الحكم؛ فقال: (منها: أن هذا من أعلام الرسل، كما قال هرقل لأبي سفيان: هل قاتلتموه؟ قال: نعم، قال: كيف الحرب بينكم وبينه؟ قال: سجال يُدال علينا المرة وندال عليه الأخرى، قال: كذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة[٤].

---

[١] متفق عليه. وراه أحمد ومسلم بلفظ: "وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ".
[٢] ينسب هذا البيت إلى أبي علي البغدادي، انظر: إنباه الرواة على أنباه النُحاة، القفطي، (ج٣ / ص٣٦٢ – ٣٦٣).
[٣] بيت من قصيدة للشاعر أبي تمام، ديوان أبي تمام (ص٣١٦).
[٤] رواه البخاري عن ابن عباس.

ومنها: أن يتميز المؤمن الصادق من المنافق الكاذب؛ فإن المسلمين لما أظهرهم الله على أعدائهم يومَ بدرٍ وطار لهم الصيت؛ دخل معهم في الإسلام ظاهرًا من ليس معهم فيه باطنًا، فاقتضت حكمةُ الله عز وجل أن سبَّب لعباده محنةً ميَّزت بين المؤمن والمنافق، فأطلع المنافقون رؤوسهم في هذه الغزوة وتكلَّموا بما كانوا يكتمونه، وظهرت مخبَّآتهم وعاد تلويحُهم تصريحًا، وانقسم الناس إلى كافر ومؤمن ومنافق انقسامًا ظاهرًا، وعرف المؤمنون أن لهم عدوًّا في نفس دُورهم وهم معهم لا يفارقونهم؛ فاستعَدُّوا لهم وتحرَّزُوا منهم.

[...] ومنها: أنه سبحانه لو نصرهم دائمًا، وأظفرهم بعدوِّهم في كل موطن، وجعل لهم التمكين والقهر لأعدائهم أبدًا: لَطغت نفوسُهم وشَمَخت وارتفعت، فلو بسط لهم النصر والظفر لكانوا في الحال التي يكونون فيها لو بسط لهم الرزق، فلا يُصلح عبادَه إلا السرَّاءُ والضرَّاء والشدَّة والرخاء والقبض والبسط، فهو المدبر لأمر عباده كما يليق بحكمته، إنه بهم خبير بصير.

ومنها: استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السرَّاء والضرَّاء، وفيما يحبون وما يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون فهم عبيده حقًّا، وليسوا كمن يعبد الله على حرفٍ واحد من السرَّاء والنعمة والعافية.

ومنها: أنه إذا امتحنهم بالغلبة والكَسْرَة والهزيمة ذَلُّوا وانكسروا وخضعوا؛ فاستوجبوا منه العزَّ والنصر، فإن خِلْعة النصرِ إنما تكون مع ولاية الذل والانكسار؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وقال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٢٥]، فهو سبحانه إذا أراد أن يُعِزَّ عبدَه ويجبرَه وينصرَه: كسَرَه أولًا، ويكون جَبْرُه له ونصرُه على مِقدار ذُلِّه وانكساره.

ومنها: أنه سبحانه هيَّأ لعباده المؤمنين منازلَ في دار كرامته لم تبلغها أعمالُهم، ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمِحنة، فقيَّضَ لهم الأسبابَ التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه، كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها.

ومنها: أن النفوس تكتسب من العافية الدائمة والنصر والغنى طغيانًا وركونًا إلى العاجلة، وذلك مرض يَعُوقها عن جدّها في سيرها إلى الله والدار الآخرة، فإذا أراد بها ربُّها ومالكها وراحمها كرامتَه: قيّض لها من الابتلاء والامتحان ما يكون دواءً لذلك المرض العائق عن السَّير الحثيث إليه، فيكون ذلك البلاء والمِحنة بمنزلة الطبيب يسقي العليلَ الدواءَ الكريه ويقطع منه العروق المؤلمة؛ لاستخراج الأدواء منه، ولو تركه لَغلبته الأدواءُ حتى يكون فيها هلاكه.

ومنها: أن الشهادة عنده من أعلى مراتب أوليائه، والشهداءُ هم خواصُّه والمقرَّبُون من عباده، وليس بعد درجة الصدِّيقيَّةِ إلا الشهادة، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من أوليائه شهداءَ تُراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابّه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو)[١].

يقول الله عز وجل: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦]؛ قال الإمام ابن القيم في الفوائد: (في هذه الآية عدةُ حِكَم وأسرار ومصالح للعبد؛ فإن العبد إذا علم أن المكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه: لم يأمن أن تُوافِيَه المضرّةُ من جانب المسرّة، ولم ييأس أن تأتيه المسرة من جانب المضرة؛ لعدم علمه بالعواقب؛ فإن الله يعلم منها ما لا يعلمه العبد؛ أوجب له ذلك أمورًا:

منها: أنَّه لا أنفعَ له من امتثال الأمر، وإن شقَّ عليه في الابتداء؛ لأنَّ عواقبه كلها خيراتٌ ومسراتٌ ولذاتٌ وأفراح، وإن كرهته نفسه؛ فهو خيرٌ لها وأنفع، وكذلك لا شيء أضرّ عليه من ارتكاب النهي، وإن هَوِيتْه نفسه ومالت إليه؛ فإن عواقبه كلها آلامٌ وأحزانٌ وشرورٌ ومصائبُ، وخاصّةُ العقل تحمّلُ الألم اليسير لما يعقبه من اللذة العظيمة والخير الكثير، واجتناب اللذة اليسيرة لما يعقبه من الألم العظيم والشر الطويل.

---

[١] زاد المعاد في هدي خير العباد، (ج٣/ص٢٥٤-٢٥٦).

[...] ومن أسرار هذه الآية: أنها تقتضي من العبد التفويضَ إلى من يعلم عواقبَ الأمور، والرِّضا بما يختارُهُ له ويقضيه له؛ لما يرجو فيه من حسن العاقبة.

ومنها: أنه لا يَقترحُ على ربه ولا يختار عليه ولا يسأله ما ليس له به علمٌ؛ فلعل مضرته وهلاكه فيه وهو لا يعلم، فلا يختارُ على ربه شيئًا، بل يسأله حُسْنَ الاختيار له، وأن يُرضِيه بما يختاره؛ فلا أنفعَ له من ذلك.

ومنها: أنه إذا فَوَّضَ إلى ربه ورضي بما يختاره له؛ أمدَّه فيما يختاره له بالقوة عليه والعزيمة والصبر، وصَرَفَ عنه الآفاتِ التي هي عُرضة اختيارِ العبد لنفسه، وأراه من حسن عواقب اختياره له ما لم يكن ليصل إلى بعضه بما يختاره هو لنفسه.

ومنها: أنه يُريحه من الأفكار المتعِبة في أنواع الاختيارات، ويُفرّغ قلبَه من التقديرات والتدبيرات التي يَصعد منها في عقبةٍ وينزلُ في أخرى، ومع هذا فلا خروجَ له عما قُدِّر عليه؛ فلو رضي باختيار الله أصابه القدر وهو محمودٌ مشكورٌ ملطوفٌ به فيه، وإلَّا جرى عليه القدرُ وهو مذمومٌ غيرُ ملطوفٍ به فيه؛ لأنه مع اختياره لنفسه، ومتى صحَّ تفويضُهُ ورضاه اكتنفَه في المقدور العطفُ عليه واللطفُ به، فيصير بين عطفه ولطفه؛ فعطفهُ يَقِيه ما يحذره، ولطفُهُ يُهوِّنُ عليه ما قدَّرَهُ، إذا نَفَذَ القدرُ في العبد كان من أعظم أسباب نفوذه تحيُّلُهُ في ردِّه؛ فلا أنفعَ له من الاستسلام وإلقاء نفسه بين يدي القدر طريحًا كالميتة؛ فإن السَّبُعَ لا يرضى بأكل الجِيَفِ)[1].

باتَت تُذَكِّرُني بِاللهِ قاعِدَةً *** وَالدَّمعُ يَنهَلُّ مِن شَأنَيهِما سَبَلا
يا بِنتَ عَمّي كِتابُ اللهِ أَخرَجَني *** كرهًا، وَهَل أَمنَعَنَّ اللهَ ما فَعَلا؟
فَإِن رَجَعتُ فَرَبُّ الناسِ يُرجِعُني *** وَإِن لَحِقتُ بِرَبّي فَابتَغي بَدَلا
ما كُنتُ أَعرَجَ أَو أَعمَى فَيَعذِرَني *** أَو ضارِعًا مِن ضنى لَم يَستَطِع حِوَلا[2]

---

[1] (ص١٩٩-٢٠٠).

[2] أبيات قالها النابغة الجعدي لامرأته حين خرج غازيًا، الشعر والشعراء، ابن قتيبة، (ج١/ص٢٨٣-٢٨٣)

روى الطبري في تاريخه عن ابن إسحاق: أنَّ رجلًا من أصحاب رسول الله ﷺ قال: (شهدت أُحدًا مع رسول الله ﷺ أنا وأخٌ لي، فرجعنا جريحين، فلمَّا أذَّن مؤذن رسول الله ﷺ بالخروج في طلب العدوِّ؛ قلت لأخي وقال لي: أتفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ! والله ما لنا من دابَّةٍ نركبها، وما منَّا إلا جريحٌ ثقيلٌ، فخرجنا مع رسول الله ﷺ -وكنت أيسر جرحًا-، فكنت إذا غُلب حملته عقبةً ومشى عقبةً، حتَّى انتهينا إلى ما انتهى إليه المسلمون)[١]، قال أبو الدَّرداء: (ذروة الإيمان: الصَّبر للحكم والرِّضا بالقدر)[٢]، وبهذا الدواء نستشفي من جراحنا وآلامنا المنبعثة هنا وهناك.

فبعد تفهّم هذه الحقائق؛ ندرك المعنى المطلوب من وراء تشييد معركة الفلوجة وثباتها وانتصابها بكل ما أوتيت من قوة؛ لأنها اليوم هي المعركة الوحيدة على ثغر الإسلام الأول، والثبات فيها والرباط على خطوطها يعني الحفاظ على الثغر الأول الذي نطاعن منه الكفر والعدوان، ولا يعني أن نرى العدو قد دخل إلى العمق، وتجوّل في ساحات المدينة، وتمركز على الأطراف: أنه قد حقق أهدافه في الانتصار؛ فمعركتنا مع العدو هي حرب شوارع ومدن، تتنوع في تكتيكاتها وأساليبها الدفاعية والهجومية، والحروب الضارية لا تحسم نتائجها من أيام ولا أسابيع، بل تأخذ وقتها ريثما يحين موعد إعلان الفوز لأحد الطرفين، ويكفينا قبل حسم النتيجة أن قرت عيوننا برؤية أبناء الإسلام يثبتون كالجبال الرواسي على خطوط الفلوجة المباركة، ويلقنون الأمة دروسًا جديدة في الجلد والصبر واليقين.

ولعلنا نلقي نظرة حول بعض من هذه الدروس والنتائج العظام، التي تمخضت عن تلك المعركة الشَّامخة؛ فأقول:

أولًا: أحيت المعركة من جديد معاني العزة والكرامة والإباء، وأيقنت الأمة أن هناك ثلة من أبنائها قادرين على مواجهة الأخطار الكالحة بكل جرأة وثبات وعزيمة، وأن هذه الثلة صدقت مع أمتها في خططها ومشروعاتها التي أعدتها لانبعاث الأمة من جديد، وبذلت من أجل ذلك كثيرًا دماء أبنائها وقادتها.

---

[١] (ج٢/ص٥٣٤-٥٣٥).

[٢] رواه ابن المبارك في الزهد، وابن أبي الدنيا في الرضا عن الله بقضائه، وأبو نعيم في الحلية (ج١/ ص٢١٦)، والبيهقي في شعب الإيمان.

ثانيًا: تعلمت الأمة –وهي في ذلتها وانكسارها– أنها تستطيع أن تواجه وترابط وتعارك أسياد الأرض وطغاتها بعصابة قليلة من أبنائها، وبعتاد خفيف من السلاح، تستطيع بذلك أن تلحق بالعدو خسائر جسيمة أليمة، وتجبره على تجرع كأس الهزيمة المر.

ثالثًا: فتحت الفلوجة أرض المعركة على مصراعيها، فألهبت همم أبناء الإسلام داخل العراق وخارجه، ودفعت بدمائها الطاهرة التي أريقت على أرضها بالكثير من أبناء الإسلام لينهضوا بتكاليف الجهاد، وينفروا للتصدي للحملة الصليبية العالمية، فاشتعلت المعارك والملاحم في أنحاء متفرقة من أرض العراق، وتشكلت الكتائب والمجاميع، وانبرى المجاهدون يتلقفون أرتال العدو ويصطادون دورياته ويغيرون على مواقعه، وقد شهدنا بفضل الله خسائره الكثيرة التي تكبدها على أرض العراق كلها، فكان من مفاخر هذا الفتح أن تعظم نفوس أبناء الجهاد، وتنهار أمامها أساطير الآلات الحربية الحديثة، فهممهم الآن قد تحررت من أوهام العجز والخوف، وانطلقت إلى ميادين الجد والعمل.

رابعًا: أحرزت معركة الفلوجة نصرًا عسكريًّا استراتيجيًّا مهمًّا؛ فالجميع على دراية بتفوق الآلة العسكرية الأمريكية، وتطور جيوشها ونظامها الحربي الذي يعتمد على ضرب الأهداف عن بعد دون التحام واشتباك، والذي يفترض أن يؤمّن سلامة الجندي الأمريكي دون أن يستهلك في معارك خطرة تكلفه روحه، ولكن الفلوجة استدرجت هذه الآلة الضخمة –وفق خطة مدبرة– استدرجتها إلى حرب شوارع قاسية غير منتظمة تستنزف جهدها وطاقتها وعتادها، وأصبح الجندي الأمريكي يواجه الموت والهلاك من حيث لا يحتسب، وأرغم الأمريكان على النزول إلى الأزقة والشوارع والدخول إلى البيوت والأبنية، فانكشف العدو لنيران المجاهدين وكمائنهم، وفاجأته قدرتهم على المناورة والكر والفر، واضطر لخوض معارك قريبة لم يعهدها، تكبد فيها خسائر عظيمة في الأرواح والآليات تزيد على المئات والعشرات.

خامسًا: تجرعت الإدارة العسكرية الأمريكية الهزيمة النفسية الكبرى؛ فقد بدا واضحًا لعرابي هذه الحرب ومخططيها: أن المجاهدين لا يوقفهم أي نوع من أنواع الردع، ولو كلف ذلك خوض حرب

إبادة شاملة يستأصلون فيها جميعًا، فالعقلية الجهادية أصبحت المعضلة الكبرى أمام خطط الحرب الأمريكية والعالمية، وما حدث في الفلوجة من مفاخر والثبات أوهن نفوس قادة العدو، وجلب لهم الكآبة والضجر النفسي والإرباك المعنوي، وما ينتظرهم أدهى وأمر بعون الله تعالى.

سادسًا: أسهمت الفلوجة بثباتها ورباطة جأشها بكشف اللثام عن وجوه الردة والنفاق والعمالة، وخلعت ثوب الدجل الذي تسربلت به حكومة علاوي المرتدة، وكشفت الزيف الذي تردده من أنها تريد مصلحة العراقيين وتقوم على حقن دمائهم وتجنيبهم الحروب والويلات وتشقى في كسب رضاهم، ثم يراها الناس كلهم وهي تسارع في إنفاذ قرار الحرب على الفلوجة وتغمس يديها في دماء أبناء المدينة الطاهرة، وتقتل الآلاف منهم وتشرد عشرات الألوف، وتشرف على عمليات التدمير والتخريب وهتك الأعراض وسلب الأموال تحت اسم (محاربة الإرهاب والمصلحة الوطنية).

سابعًا: أسقطت المعركة القناع الزائف عن قبائح السحنة الرافضية الهالكة؛ فقد أوغلوا بحقدهم في هذه المعركة، وبلؤم ظاهر شاركوا في الحملة العسكرية على الفلوجة بمباركة من إمام الكفر والزندقة السيستاني، وكان لهم طول كبير في عمليات القتل والنهب والتخريب، واستباحة أرواح العزل من الأطفال والنساء والشيوخ، بل استزلتهم نفوسهم الكريهة إلى جرائم عظام، فجعلوا يقتحمون بيوت الله الآمنة ويدنسونها، ويعمدون إلى تعليق صور شيطانهم السيستاني على الجدران، ويخطّون عليها بحقد: (اليوم أرضكم وغدًا عرضكم)! وللعلم؛ فإن ٩٠٪ من الحرس الوثني هم من الروافض الحاقدين، و١٠٪ هم من قوات البشمركة الكردية، وصدق من قال من العلماء في الرَّافِضَة: (إنهم بذرة نصرانية، غرستها اليهودية، في أرض مجوسية)[١].

ثامنًا: انكشاف الخطوط الخفية لأعداء الجهاد في هذه المعركة؛ فقد برز فيها مشاركات عسكرية عدة لصفوف خلفية معادية؛ فقد اتضح مشاركة ٨٠٠ جندي إسرائيلي في المعركة، وقد رافقهم ١٨ حاخامًا قضى الكثير منهم كما تناقلت ذلك صحفهم ووسائل إعلامهم، كما ظهرت مشاركة أردنية

[١] لم أجد المصدر ولا القائل.

عسكرية من قبل ضباط أردنيين شاركوا في التخطيط والاقتحام العسكري للمدينة، وذلك يدل على تحقق الجميع من أن الفلوجة هي قاعدة جهادية تؤرق ليل أعداء الدين من الكفار والمرتدين.

تاسعًا: من نتائج المعركة الشَّامخة: تجدد الدماء في عروق أبناء الجهاد، وتزايد حرصهم على الارتقاء بالعمل الجهادي نحو أهدافه المنشودة وخططه الموعودة؛ فقد أفرزت المعركة جيلًا من القادة والطاقات والخبرات التي تعتبر بالأحداث، وتتأمل في التجارب والممارسات والمكتسبات، وتمعن بعزم في الطريق المرسوم، وقد صقلتها شدائد المعركة، وأخرجتها في قالب قوي متين.

يقول سيد -رحمه الله- في الظلال: (ففي معاناة الجهاد في سبيل الله، والتعرض للموت في كل جولة: ما يعوّد النفس الاستهانة بهذا الخطر المخوف، الذي يكلف الناس الكثير من نفوسهم وأخلاقهم وموازينهم وقيمهم ليتّقوه، وهو هين هين عند من يعتاد ملاقاته، سواء سلم منه أو لاقاه، والتوجه به لله في كل مرة يفعل في النفس في لحظات الخطر شيئًا يقربه للتصور فعل الكهرباء بالأجسام! وكأنه صياغة جديدة للقلوب والأرواح على صفاء ونقاء وصلاح.

ثم هي الأسباب الظاهرة لإصلاح الجماعة البشرية كلها، عن طريق قيادتها بأيدي المجاهدين، الذين فرغت نفوسهم من كل أعراض الدنيا وكل زخارفها، وهانت عليهم الحياة وهم يخوضون غمار الموت في سبيل الله.

ولم يعد في قلوبهم ما يشغلهم عن الله والتطلع إلى رضاه، وحين تكون القيادة في مثل هذه الأيدي تصلح الأرض كلها ويصلح العباد، ويصبح عزيزًا على هذه الأيدي أن تسلم في راية القيادة للكفر والضلال والفساد، وهي قد اشترتها بالدماء والأرواح وكل عزيز وغال أرخصته؛ لتتسلم هذه الراية، لا لنفسها ولكن لله! ثم هو بعد ذلك كله تيسير الوسيلة لمن يريد الله بهم الحسنى؛ لينالوا رضاه وجزاءه بغير حساب، وتيسير الوسيلة لمن يريد الله بهم السوء؛ ليكسبوا ما يستحقون عليه غضبه وعذابه، وكلٌّ ميسَّر لِمَا خُلِقَ له، وفق ما يعلمه الله من سره ودخيلته)[1].

---

[1] في ظلال القرآن، (ج٦/ص٣٢٨٦- ٣٢٨٧).

عاشرًا: شهادة الاصطفاء؛ فقد تشرفت هذه العصابة من المؤمنين أن يكون طريقها مرسومًا بدماء أبنائها من الشهداء، وأن يكون كبار قادتها وكوادرها على الخط الأول، فإن دل ذلك على شيء دل على صدق أبناء هذا الجهاد، وتجرّدِ هممهم وعزائمهم لتحقيق مطالب التوحيد والعقيدة بتفان وإخلاص، وبشارتهم الأخرى أن الله اصطفى أخيارهم ونجباءَهم للقائه وموعده، فكتب لهم الشهادة والفوز بالرضوان على ما كانوا يرجون ويطلبون، فحقق لهم الوعد وأنجز لهم السؤال، فتلك أحوال سلفهم الصالح يحرصون على الموت كحرص الخلف على الحياة؛ فقد كانت الشهادة أغلى أمانيهم، وكانوا يسارعون إلى الميدان حبًّا في القتل في سبيل الله، فقد بلغت نسبة الشهداء من الصحابة في مجموع الحروب ٨٠%، وكان شهداء المهاجرين والأنصار أكثر من نصف الشهداء في معركة اليمامة؛ فقد استشهد منهم من سكان المدينة المنورة يومئذ ٣٦٠ ومن المهاجرين من غير أهل المدينة ٣٠٠، وكان شهداء المهاجرين والأنصار وشهداء التابعين لهم بإحسان - الذين كانوا ٣٠٠ شهيد تابعي في تلك المعركة -٨٠% من مجموع الشهداء، إذ يبلغ عدد شهداء المهاجرين والأنصار والتابعين ٩٦٠ شهيدًا من مجموع ١٢٠٠ شهيد، ويكفينا أن نذكر أن عدد الشهداء من القرّاء حاملي القرآن وعلماء المسلمين حين ذاك -في معركة اليمامة- ٣٠٠ شهيد، وفي رواية ٥٠٠، أي أن نسبة الشهداء من القرّاء في معركة واحدة فقط ٢٥% في رواية، و٤٥% في رواية أخرى، وهي نسبة عالية جدًّا.

والذين يبحثون في مصادر الصحابة -رضي الله عنهم-؛ يجدون واحدًا من كل خمسة منهم مات على فراشه وأربعة استشهدوا في ميادين الجهاد، فلا تعجب من سرعة الفتوح المذهلة في القرن الأول الهجري وثباتها ودوامها.

ويجدر بنا في هذا المقام أن نشيد بثبات مجاهدينا الأبطال، وأن نذكر طرفًا بسيطًا من نعم الله عز وجل عليهم من الكرامات واللطائف الربانيّة التي حفتهم في معركتهم مع الأمريكان وأعوانهم في الفلوجة، فكانت تثبيتًا لهم وجبرًا لحالهم؛

ومنها: أنه في اليوم الثالث من المعركة، وبعد قصف شديد وعنيف لأحياء الفلوجة؛ استيقظ المجاهدون من ليلهم فرأوا الآليات والدبابات الأمريكية في الشوارع والطرق والأفرع، فبرز لهم سادات أهل الإسلام في المعمعة، بقيادة الأخ أبي عزام وعمر حديد وأبي ناصر الليبي وأبي الحارث (محمد جاسم العيساوي)، وغيرهم وغيرهم من الأبطال، فطردوا الغزاة إلى أطراف الفلوجة، وكان سلاحهم في المعركة البيكا والكلاشنكوف، وقد حصل للأمريكان مقتلةٌ عظيمةٌ كبيرةٌ، حتى أن كثيرًا منهم كانوا قد فروا من المعركة واختبؤوا في بعض بيوتات المسلمين، وكان المجاهدون يتحرجون بداية من اقتحام تلك البيوت؛ خوفًا على أذى المسلمين، ولما تأكدوا من وجود الجنود الأمريكان دخلوها فوجدوهم خانسين مختبئين، فجعلوا يقتلونهم قتل الخنافس والذباب، ولله الفضل والمنة. وبعد أيام من المعركة، عرض أحد القادة على الأخ عمر حديد والأخ أبي الحارث جاسم العيساوي أن يحلقوا لحاهم ويخرجوا من الفلوجة، بعد أن يسر لهم طريقًا آمنًا للنجاة، ويبدؤوا بالعمل من الخارج، فرفض البطلان وقالا: (والله لا نخرج ما دام في المدينة مهاجر واحد ثابت)، فقاتلا حتى اسشهدا -رحمهما الله تعالى وتقبلهما في عباده الشهداء-.

ومنها: أن بعض الإخوة قد قاسوا الجوع أيامًا عديدة، وبعد رجاء وحسن يقين بالله عز وجل عثروا على بطيخةٍ كبيرةٍ، فلما فتحوها إذا بها حمراء كأحسن ما تكون، فأكلوا منها أيامًا يشبعون ويحمدون ويتعجبون، حتى جزموا أنهم لم يتذوقوا طيب مأكلها في الدُّنيا، ومعلوم أن البطيخ ليس هذا أوانه ومكانه الذي يعرف به.

ومنها أيضًا: أن الإخوة قد عانوا الكثير من مأكلهم ومشربهم، حتى أنهم فقدوا مياه الشرب وشحت لديهم شحًّا عظيمًا، فأخذت الفطور تنبت على أفواههم وشفاههم، ولما هموا بالبحث عن بضع قطرات من الماء تروي شيئًا من أجوافهم العطشة؛ دخلوا بيتًا فوجدوا فيه ثلاث قرب من الماء، قد اصطفت بجانب بعضها على نمط غريب، فلما رأوها تعجبوا؛ إذ لم يعهد في الفلوجة ولا في العراق أن يرى الماء موضوعًا في مثل هذه القراب الجميلة الغريبة، فلما تذوقوا الماء علموا أنه ليس من ماء الدُّنيا، فشربوا حتى ارتووا، ويقسمون بعدها أنهم لم يشربوا مثله في هذه الحياة الدُّنيا.

ومنها أيضًا: أن أخًا من جزيرة محمد ﷺ قد أصيب في دماغه بطلقة قناص، فدخلت من جبهته وخرجت من قفاه، فتناثرت أشلاء دماغه على كتفه الأيمن، فهرع إخوانه إليه وأخذوا ما تناثر من الأشلاء وضموها إلى مكانها، ثم ربطوا مكان إصابته وتركوه، وقد تعافى بعدها بأيام، وهو حي الآن ما به من بأس إلا أن لسانه صار به بعض الثقل، نسأل الله أن يحفظه ويتقبل منه ومن إخوانه.

وأما عن روائح المسك -وما أدراك ما روائح المسك!-؛ فقد أصبحت من قبيل النقل المتواتر عند جمهور المجاهدين، فقد حدث الكثير من إخواننا عن الروائح الطيبة التي تنبعث من الشهداء والجرحى تقبلهم الله جميعًا. ومن ذلك ما جرى للأخ البطل أبي طلحة البيحاني؛ فقد أصيب -رحمه الله- إصابة بليغة وجعلت رائحته الطيبة تفوح في كل مكان، حتى انتشرت ببعض الطرقات واشتمها كثير من الإخوة ثم قضى شهيدًا، نحسبه كذلك ولا نزكيه على الله.

ومما يبعث على الثبات والطمأنينة: ما رواه كثير ممن حضر تلك الملحمة من أنهم سمعوا صهيل الخيول وصليل السيوف تشتبك عند احتدام المعارك واشتدادها، فتعجب الإخوة من ذلك مرارًا، وراحوا يسألون إخوانهم الأنصار إن كان هناك خيول قريبة من الفلوجة، فجزم الأنصار بالنفي، وأكدوا أن المنطقة لا يوجد فيها مثل هذه الخيول، فلله الحمد أولًا وآخرًا.

روى أحمد في المسند والحاكم في المستدرك عن أبي بردة بن قيس أخي أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: "اللَّهُمَّ اجْعَلْ فَنَاءَ أُمَّتِي قَتْلًا فِي سَبِيلِكَ بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ"[١]؛ قال تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُون * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} [آل عمران: ١٦٩-١٧٠].

عش ملكًا أو مت كريمًا فإن تمت *** وسيفك مشهورٌ بكفّك تُعْذَرُ[٢]

[١] قال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الحاكم.
[٢] بيت قاله يزيد بن الحكم ليزيد بن المهلب. الزهرة، ابن داود الظاهري (ص٢٠٣).

هذه لمحة سريعة توجز ثمار ونتائج الثبات والصمود على أرض الفلوجة المباركة، والإنجازات الحاصلةُ كثيرةُ المنافعِ جليلةُ التوابعِ، يدركها ويفهمها المنصف المتأمل في الأحداث والمواضع.

ويا أُمة الإسلام؛ قد توالت عليك الجراح والطعنات، وأدواؤُك وأمراضك المقعدات لا تداوى إلا بالتوحيد المعقود على ألوية الجهاد، فمتى تقررين قرارك الصحيح بالنفير والانفكاك من الجلّاد، ومعارك اليوم لا هدأة لها ولا سكون؟ وقد أحب نبينا ﷺ ألا يقعد خلاف سرية تغزو في سبيل الله، بل كان من فعله أن يديم الغزو والجهاد على مدار الأوقات، وأذكركم بحديث جبريل مع رسول الله ﷺ بعد غزوة الأحزاب الذي يرويه البخاري[١]؛ قال: فلما انصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة لم يكن إلا أن وضع سلاحه، فجاءه جبريل فقال: (أوضعت السلاح؟ إن الملائكة لم تضع أسلحتها، فانهض بمن معك إلى بني قريظة، فإني سائِرٌ أمامَك أزلزل بهم حصونهم، وأقذف في قلوبهم الرعب)[٢]، فسار جبريل في موكبه من الملائكة ورسول الله ﷺ على إثره في موكبه من المهاجرين والأنصار.

كيف هان عليكم يا مسلمون أن تروا إخوانكم من أبناء دينكم، وقد نزل بهم ألوان من العذاب والقتل والدمار، وأنتم آمنون في دياركم سالمون في أهليكم وأموالكم، كيف ذاك؟!

مَزَجنَا دِمَانَا بِالدُّمُوعِ السَّوَاجِمِ *** فَلَم يَبقَ مِنَّا عُرضَةٌ لِلمَرَاجِمِ
وَشَرُّ سِلَاحِ المرءِ دَمعٌ يُرِيقُهُ *** إِذَا الحَربُ شَبَّت نَارُهَا بِالصَّوَارِمِ
فَإِيهًا بَنِي الإِسلَامِ! إِنَّ وَرَاءَكُم *** وَقَائِعَ يُلحِقنَ الذُّرَى بِالمَنَاسِمِ
وَكَيفَ تَنَامُ العَينُ مِلءَ جُفُونِهَا *** عَلَى هَفَوَاتٍ أَيقَظَت كُلَّ نَائِمِ
وَإِخوَانُكُم بِـ[العراق] يُضحِي مَقِيلُهُم *** ظُهُورَ المَذَاكِي أَو بُطُونَ القَشَاعِمِ
يَسُومُهُمُ الرُّومُ الهَوَانَ، وَأَنتُمُ *** تَجُرُّونَ ذَيلَ الخَفضِ فِعلَ المُسَالِمِ[٣]

---

[١] لم يروه البخاري بهذا اللفظ، وذكر طرفًا من الحادثة في صحيحه: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ وَوَضَعَ السِّلَاحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلَاحَ، وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ. قَالَ: "فَإِلَى أَيْنَ؟ " قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ. فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ.

[٢] نقل هذه اللفظ ابن القيم في زاد المعاد (ج٤/ص٥٤)، وذكر ابن إسحاق نحو هذه الرواية (ج٢/ص٢٣٣).

[٣] أبيات من قصيدة لأبي بكر المظفر الأبيوردي. فضائل البيت المقدس، الواسطي (ص٩١).

ولا أنسى في هذا المقام أن أرسل سلامي إلى شيخنا وأميرنا الشيخ المجاهد أبي عبد الله أسامة بن لادن –حفظه الله ورعاه–؛ فنحن على العهد ماضون –بعون الله–، لا نقيل ولا نستقيل، نسيح في أرض الله بسيوف الجهاد، نطاعن أعداء الملة ونناجز عباد الصليب، وإنكم لن تُؤتَوا من قبلنا وفينا عين تطرف –بإذن الله–، فَارْمِ بنا أينما شئت؛ فلن تجد منا إلا المسارعة في تلبية النداء والمصابرة على مجالدة الأعداء، فأبشر بما يسرك –بعون الله–، فوَالله لأن ندخل السرور على قلبك أحب إلينا من الدُّنيا وما فيها، فسر على بركة الله ونحن معك.

أنا معْ أسامةَ حيث آل مآلُهُ *** ما دام يحملُ في الثغور لوائي
أنا معْ أسامة نال نصرًا عاجلًا *** أو نال منزلةً مع الشهداءِ[١]

وسلامي أيضًا؛ إلى الإخوة المجاهدين في أفغانستان، وعلى رأسهم الملا محمد عمر –حفظه الله–، والشيخ المجاهد الدكتور أيمن الظواهري، والشيخ الحبيب أبو الليث القاسمي، وإلى باقي الإخوة الذين لم أذكرهم.

وسلامي إلى الأسود في جزيرة محمد ﷺ؛ نسأل الله أن يحفظكم ويرعاكم، فقلوبنا تخفق بكم، وألسنتنا تلهج بالدعاء لكم.

وسلامي إلى الإخوة في الشيشان: أبي حفص والسيف وإخوانهم، وإلى الإخوة الصادقين الموحدين في أرض الإسراء والمعراج، وإلى المجاهدين في الجماعة السلفية للدعوة والقتال، وعلى رأسهم الأخ الحبيب أبو مصعب عبد الودود، وسلامي إلى باقي المجاهدين في أراضي المسلمين؛ تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وكل عام وأنتم بخير، وليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه في هذا العيد.

[١] أبيات من قصيدة (أنا مع أسامة)، الشاعر محمد سعيد الجميلي.

فليس العيد لمن لبس الجديد، ولكن العيد لمن صدع بالتوحيد، ليس العيد لمن لبس الجديد، ولكن العيد لمن كفر بالشرك والتنديد، ليس العيد لمن لبس الجديد، ولكن العيد لمن جاهد أولياء الشرك والتنديد.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}، والحمد لله رب العالمين.

الكلمة الرابعة: وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ المُجْرِمِينَ [صوتية]

١٣ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ || ٢٣ يناير ٢٠٠٥ م

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

يقول الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [الصف: ١٠-١٣].

قال ابن القيم -رحمه الله- في مدارجه: (إذا طرَق العدوُّ الكفّارُ بلدَ الإسلام طرَقُوه بقدَر الله، أفيَحِلُّ للمسلمين الاستسلامُ للقدَر، وتركُ دفعه بقدَرٍ مثله، وهو الجهاد الذي يدفعون به قدرَ الله بقدَره!)[١].

اعلموا أيها المسلمون أن الجهاد في سبيل الله اليوم دواءٌ لكثير من الأمراض التي تشكو منها الأمة؛ فإنه لا شيء بعد التوحيد يعدل الجهاد نفعًا للبلاد والعباد؛ فهو طريق تكفل الله بهداية سالكيه كما قال تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩]؛ لذلك كان السلف إذا أشكل عليهم أمر من أمور الدين توجهوا بمسألتهم إلى أهل الثغور والجهاد[٢]؛ تيمنًا أن يجدوا الهداية والصواب عندهم، وهو كذلك باب من أبواب الجنة يُذهب الله به الهم والغم كما في الحديث: "عَلَيْكُمْ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ؛ فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يُذْهِبُ اللهُ بِهِ الْهَمَّ وَالْغَمَّ"[٣]، وبه تُحفظ مقاصد الدين وتصان الحرمات، كما أخبرنا ربنا تبارك وتعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي

---

[١] مدارج السالكين، (ج١/ص٣١٢).

[٢] روي هذا عن أحمد وابن المبارك وسفيان -رحمهم الله-.

[٣] رواه أحمد عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وأخرجه الحاكم من طريق آخر، قال الأرنؤوط: حسن، وهذا إسناد منقطع مكحول لم يسمعه من أبي أمامة، بينهما أبو سلام ممطور. وصححه الحاكم.

سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} [النساء: ٧٥]، وقال تعالى: {وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} [العنكبوت: ٦]؛ أي: أن الخير العائد أو المتحصل من الجهاد مرده على أنفسنا إن جاهدنا في سبيل الله؛ فالله تعالى غني عنا وعن جهادنا، وهو كذلك باب عظيم من أبواب التمحيص، يعرف به المؤمن الموحد من المنافق المتسلق الذي يتشبع بما لم يُعط، والذي يحب أن يُحمد بما لم يفعل؛ فالجهاد ترجمان التوحيد وهو دليل على صدق الموحد، ومن لم يكن له سابقة عهد مع الجهاد والبلاء في سبيل نصرة هذا الدين فلا يحق له أن يتصدر مواقع الزعامة والقيادة، مهما أوتي من علمٍ وحسنِ بيان، وهو إن فعل فهو يتشبع ويتظاهر بما ليس عنده، وهو كلابس ثوبَي زور، وما أحوج الأمة إلى هذا الميزان والكشاف في هذا الزمان الذي كثر فيه المتسلقون والمنافقون والمتاجرون! قال تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِين} [آل عمران: ١٤٢]، وقال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} [الأنفال: ٧٤]، وقال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُون} [التوبة: ٢٠]، وقال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُون} [الحجرات: ١٥]؛ فاعتبر سبحانه وتعالى جهادهم دليلًا على صدق إيمانهم وتوحيدهم، وأنهم هم المؤمنون حقًّا -أي الموحدون حقًّا-، وهم الصادقون الفائزون في الدُّنيا والآخرة.

أما الذين لا يجاهدون ولا ينفرون، الذين تهتز قلوبهم كلما نادى منادي الجهاد، أو فُتح في الأمة باب للبذل والفداء؛ فهؤلاء متهمون في إيمانهم مزورون في دعواهم، قال تعالى: {إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ * وَلَوْ أَرَادُواْ الْخُرُوجَ لأَعَدُّواْ لَهُ عُدَّةً وَلَـكِن كَرِهَ اللّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُواْ مَعَ الْقَاعِدِينَ} [التوبة: ٤٥-٤٦]؛ فاعتبر سبحانه وتعالى تخلفهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ دليلًا على نفاقهم وعدم إيمانهم، كما اعتبر عدم الإعداد والأخذ بأسباب الجهاد دليلًا على عدم صدقهم ورغبتهم في الخروج في سبيل الله؛ فلكل دعوى

وزعم برهان ودليل، وزعم اللسان من دون عمل لا يكفي، فكيف بمن يثبط الأمة عن الجهاد ويؤثّم المجاهدين ويجرّمهم لجهادهم! قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه (العبودية): (قد جعل الله لأهل مَحَبَّتِهِ علامتين: [الأول:] اتباع الرسول ﷺ، [الثانية:] والجهاد في سبيله؛ وذلك لأنَّ الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول ما يُحِبُّهُ الله من الإيمان والعمل الصَّالح، ومن دفع ما يبغضه من الكفر والفسوق والعصيان)[١].

لو قدمت الشعوب المسلمة جزءًا يسيرًا مما تقدمه في سبيل الطاغوت في طريق الجهاد في سبيل الله: لَتغيرت حالهم إلى أحسن حال، ولكان لهم شأن آخر يختلف عما هم عليه من الذل والخنوع والهوان والعبودية للطواغيت، فكيف إذا سمعت هذه الشعوب حقيقة أخبار الجهاد على أرض العراق؟!

فخطط الجهاد ومشاريعه تسير على قدم وساق على أرض الرافدين –بفضل الله–، وثماره أخذت في البدو والصلاح مما أقض مضاجع الكفر في المنطقة؛ ففتلوا حبائلهم وأحضروا مكرهم، وأجلبوا بحقدهم وبطشهم على أرض الفلوجة الطيبة.

فماذا جنى الغاصب الأمريكي وحلفاؤه من الرَّافِضَة وغيرهم، من غزوهم واعتدائهم على ديار الإسلام الآمنة؟! لقد ظهرت فضائحهم وأكاذيبهم المكشوفة للعالم أجمع، وتداعت حججهم ومزاعمهم في تحقيق الأمن والأمان للحكومة العراقية المرتدة، وشغلهم الشاغل الآن في إنجاح: (الكذبة الأمريكية الكبرى)، التي تُسمى: (الديمقراطية)، فقد لعب الأمريكان بعقول كثير من الشعوب بأكذوبة (الديمقراطية المتحضرة)، وأوهموها أن سعادتها ورفاهيتها مرهونةٌ بهذا المنهج البشري القاصر! وبعدها قررت إدارة الكفر الأمريكية حربها على العراق، وأفغانستان؛ لأنها حامية الديمقراطية في العالم وراعيتها الأولى! وعلى أرض العراق أُنشئت الحكومة (العلاوية)[٢] لهذا الغرض؛ أي لغرض التلبيس والتدجيل على عقول العراقيين والعالم، وللإيهام بأن الولايات المتحدة جادة في إقامة وطن عراقي

---

[١] (ص٩٤).
[٢] نسبة للمرتد إياد علاوي.

مستقل وديمقراطي، فتسترُ بذلك أهدافها ومراميها الصليبية في المنطقة في التمكين لدولة إسرائيل الكبرى، وتخفي أطماعها ونواياها تُجاه ثروات العراق وخيراته.

وإن من أعظم ما حرص الإسلام على بقاء صفائه ونقائه وتميزه: هو شخصية هذا الدين وقبوله كما أنزل بأوامره وزواجره وحدوده وقواعده، بعيدًا عن التمييع والتشويه، والغلو والإفراط والتفريط، وهذا ما جاء مؤكدًا في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية؛ قال الله تعالى: {فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلاَ تَطْغَوْاْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [هود: ١١٢]، وقال سبحانه: {وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىَ يَحْكُمَ اللّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِين} [يونس: ١٠٩]، وقال سبحانه: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ} [المائدة: ٤٩]، وقال سبحانه: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} [الزخرف: ٤٣]، وقال جل من قائل: {اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُون} [الأعراف: ٣]، وقال سبحانه: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِه} [الأنعام: ١٥٣].

وقال النبي ﷺ: "مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ"[١]، وقال عليه الصلاة والسلام: "[...] فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"[٢].

جاءت الديمقراطية لتقول لنا: إن الشعب في النظام الديمقراطي هو الحكم والمرجع، وله كلمة الفصل والبت في كل القضايا؛ فحقيقته في هذا النظام تقول: لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، له الحكم وإليه يرجعون، إرادته مقدسة، واختياره ملزم، وآراؤه مقدمة محترمة، وحكمه حكمة وعدل، من رفعه رفع، ومن وضعه وضع، فما أحله الشعب هو الحلال وما حرمه هو الحرام، وما رضيه قانونًا

---

[١] متفق عليه.

[٢] رواه أبو داود والتِّرْمِذِيُّ، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح.

ونظامًا وشريعة فهو المعتبر، وما عداه فلا حرمة له ولا قيمة ولا وزن، وإن كان دينًا قويمًا وشرعًا حكيمًا من عند رب العالمين!

وهذا الشعار -أعني حكم الشعب للشعب- هو لب النظام الديمقراطي وجوهره ومحوره، وقطب رحاه الذي تدور عليه كل قضاياه ومسائله، فلا وجود له إلا بذلك، فهذا هو (دين الديمقراطية)، الذي يبجل ويعظم جهارًا نهارًا، وهذا ما يقرره منظروها ومفكروها ودعاتها على رؤوس الأشهاد، وهو ما نشاهده ونلمسه في الواقع الذي نراه ونعاينه؛ فالديمقراطية على اختلاف تشعباتها وتفسيراتها تقوم على مبادئ وأسس، نوجز أهمها في النقاط التالية:

أولًا: تقوم الديمقراطية على مبدأ أن الشعب هو مصدر السلطات بما في ذلك السلطة التشريعية، ويتم ذلك عن طريق اختيار ممثلين عن الشعب ينوبون عنه في مهمة التشريع وسن القوانين، وبعبارة أخرى: فإن المشرع المطاع في الديمقراطية هو الإنسان وليس الله، وهذا يعني أن المألوه المعبود المطاع من جهة (التشريع والتحليل والتحريم): هو الإنسان والمخلوق وليس الله تعالى، وهذا عين الكفر والشرك والضلال؛ لمناقضته لأصول الدين والتوحيد، ولتضمنه إشراك الإنسان الضعيف الجاهل مع الله تعالى في أخص خصائص إلهيّته؛ ألا وهو (الحكم والتشريع).

قال تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاه} [يوسف: ٤٠]، وقال تعالى: {وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا} [الكهف: ٢٦]، وقال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّه} [الشورى: ١٠]، وليس إلى الشعب أو الجماهير أو الكثرة الكاثرة.

وقال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُون} [المائدة: ٥٠]، وقال تعالى: {أَفَغَيْرَ اللّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنَزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا} [الأنعام: ١١٤]، وقال تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّه} [الشورى: ٢١]، فسمّى الذين يشرعون للناس بغير سلطان من الله تعالى شركاء وأندادًا.

وقال تعالى: {وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ} [المائدة: ٤٩]، وقال تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ} [التوبة: ٣١].

جاء في الحديث عن عدي بن حاتم لما قدم على النبي ﷺ -وهو نصراني- فسمعه يقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ} [التوبة: ٣١]؛ قال: (فقلت له: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ)؛ أي: لم نكن نعبدهم من جهة التنسك والدعاء والسجود والركوع؛ لظنّه أن العبادة محصورة في هذه المعاني وحسب، قال: "أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟"، (فقلت: بَلَى)، قال: "فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ"[١].

ورحم الله سيّد قطب إذ يقول: (إن الناس في جميع النظم الأرضية يتخذ بعضهم بعضًا أربابًا من دون الله، يقع هذا في أرقى الديمقراطيات كما يقع في أحط الديكتاتوريات سواء)[٢]، وقال: (أظهر خصائص الألوهية بالقياس إلى البشرية: تعبد العبيد والتشريع لهم في حياتهم، وإقامة الموازين لهم؛ فمن ادعى لنفسه شيئًا من هذا كله فقد ادعى لنفسه أظهر خصائص الألوهية، وأقام نفسه للناس إلهًا من دون الله)[٣]، وقال: ([إن] الذي يملك حق التحريم والتحليل هو الله وحده، وليس ذلك لأحد من البشر، لا فرد ولا طبقة ولا أمة، ولا الناس أجمعين، إلا بسلطان من الله [و]وفق شريعة الله)[٤].

ثانيًا: تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية التدين والاعتقاد؛ فللمرء في ظل الديمقراطية أن يعتقد ما يشاء، ويتدين بالدين الذي يشاء، ويرتد إلى أي دين وقتما شاء، وإن كان هذا الارتداد مؤداه إلى الخروج عن دين الله تعالى، وإلى الإلحاد وعبادة غير الله عز وجل! وهذا أمر لا شك في فساده وبطلانه، ومغايرته لكثير من النصوص الشرعية؛ إذ إن المسلم لو ارتد عن دينه إلى الكفر فحكمه

---

[١] رواه أحمد والتِّرمِذِيُّ، وقال: حديث حسن.
[٢] في ظلال القرآن، (ج١/ص٤٠٧).
[٣] المرجع السابق، (ص٤٠٦).
[٤] المرجع السابق، (ص٦١٢).

في الإسلام (القتل)؛ كما في الحديث الذي يرويه البخاري وغيره: "مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ"، وليس: فاتركوه؛ فالمرتد لا يصح أن يعقد له عهد ولا أمان ولا جوار، وليس له في دين الله إلا الاستتابة أو السيف[1].

ثالثًا: تقوم الديمقراطية على اعتبار الشعب حكمًا أوحد تُرَدّ إليه الحكومات والخصومات؛ فإذا حصل أي اختلاف أو نزاع بين الحاكم والمحكوم فسنجد أن كلًا من الطرفين يهدد الآخر بالرجوع إلى إرادة الشعب وإلى اختياره؛ ليفصل الشعب ما كان بينهما من نزاع أو اختلاف، وهذا مغاير ومناقض لأصول التوحيد التي تقرر أن الحَكَم الذي يفصل بقضائه بين النزاعات هو الله تعالى، وليس أحد سواه؛ قال تعالى: {وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ} [الشورى: ١٠]، بينما الديمقراطية تقول: وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الشعب وليس إلى أحد غير الشعب، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} [النساء: ٥٩]، قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في كتابه أعلام الموقعين: (جعل هذا الردَّ من موجِبات الإيمان ولوازمه؛ فإذا انتفى هذا الردُّ انتفى الإيمان ضرورةَ انتفاء الملزوم لانتفاء لازمه)[2].

ثم إن إرادة التحاكم إلى الشعب، أو إلى أي جهة أخرى غير الله تعالى: يعتبر في نظر الشرع من التحاكم إلى الطاغوت الذي يجب الكفر به، كما قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ} [النساء:٦٠]، فجعل الله سبحانه وتعالى إيمانهم زعمًا ومجرد ادّعاء لا حقيقة له لمجرد حصول الإرادة في التحاكم إلى الطاغوت وإلى شرائعه، وكل شرع غير شرع الله، أو حكم لا يحكم بما أنزل الله: فهو يدخل في معنى الطاغوت الذي يجب الكفر به.

---

[1] انظر: باب أحكام المرتد في المصنفات الفقهية.

[2] (ج١/ص١٠٣).

رابعًا: تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية التعبير والإفصاح أيًّا كان هذا التعبير، ولو كان مفاده طعنًا وسبًّا للذات الإلهية وشرائع الدين؛ إذ لا يوجد في الديمقراطية شيء مقدس يحرم الخوض فيه أو التطاول عليه بقبيح القول؛ قال تعالى: {لاَّ يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوَءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ} [النساء: ١٤٨]، وقال تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِؤُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً} [التوبة: ٦٥-٦٦].

خامسًا: تقوم الديمقراطية على مبدأ فصل الدين عن الدولة وعن السياسة والحياة؛ فما لله لله، وهو فقط (العبادة في الصوامع والزوايا)، وما سوى ذلك من مرافق الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها فهي من خصوصيات الشعب: {فَقَالُواْ هَذَا لِلّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلاَ يَصِلُ إِلَى اللهِ وَمَا كَانَ لِلّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَآئِهِمْ سَاء مَا يَحْكُمُون} [الأنعام: ١٣٦].

وهذا القول منهم معلوم من ديننا بالضرورة فساده وبطلانه وكفر القائل به؛ لتضمنه الجحود الصريح كما هو معلوم من الدين بالضرورة، فهو جحود صريح لبعض الدين، الذي نص على أن الإسلام دين دولة وسياسة وحكم وتشريع، وأنه أوسع بكثير من أن يحصر في المناسك، أو بين جدران المعابد، وهذا مما لاشك فيه أنه كفر بواح بدين الله تعالى؛ كما قال تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَاب} [البقرة: ٨٥]، وقال تعالى: {وَيقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلا * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا} [النساء:١٥٠-١٥١].

سادسًا: تقوم الديمقراطية على مبدأ حرية تشكيل التجمعات والأحزاب السياسية وغيرها، أيًّا كانت عقيدة وأفكار وأخلاقيات هذه الأحزاب، وهذا مبدأ باطل شرعًا؛ وذلك من أوجه:

منها: أنه يتضمن الإقرار والاعتراف طوعًا من غير إكراه بشرعية الأحزاب والجماعات بكل اتجاهاتها الكفرية والشركية، وأن لها الحق في الوجود وفي نشر باطلها وفسادها وكفرها في البلاد وبين

العباد، وهذا مناقض لكثير من النصوص الشرعية التي تثبت أن الأصل في التعامل مع المنكر والكفر إنكاره وتغييره، وليس إقراره والاعتراف بشرعيته؛ قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه} [الأنفال: ٣٩]، قال ابن تيمية –رحمه الله–: (فكل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة يجب جهادها؛ حتى يكون الدين كله لله باتفاق العلماء).

ومنها: أن هذا الاعتراف الطوعي بشرعية الأحزاب الكافرة يتضمن الرضا بالكفر، وإن لم يصرح بفمه أنه يرضى بحريتها، والرضا بالكفرِ كفرٌ؛ قال تعالى: {وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ إِنَّ اللّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا} [النساء: ١٤٠].

ومنها: أن من لوازم الاعتراف بهذا المبدأ السماح للأحزاب الباطلة بكل اتجاهاتها بأن تبث كفرها وباطلها، وأن تغرق المجتمع بجميع صنوف الفساد والفتن والأهواء؛ فنعينهم بذلك على هلاك ودمار البلاد والعباد.

سابعًا: تقوم الديمقراطية على مبدأ اعتبار موقف الأكثرية، وتبَنّي ما تجتمع عليه الأكثرية، ولو اجتمعت على الباطل والضلال والكفر البواح؛ فالحق في نظر الديمقراطية الذي لا يجوز الاستدراك أو التعقيب عليه: هو ما تقرره الأكثرية وتجتمع عليه لا غير، وهذا مبدأ باطل لا يصح على إطلاقه؛ حيث إن الحق في نظر الإسلام هو ما يوافق الكتاب والسنة قل أنصاره أو كثروا، وما يخالف الكتاب والسنة فهو الباطل ولو اجتمعت عليه أهل الأرض قاطبة؛ قال تعالى: {وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللّهِ إِلاَّ وَهُم مُّشْرِكُون} [يوسف: ١٠٦]، وقال تعالى: {وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُون} [الأنعام: ١١٦]، فدلت الآية الكريمة أن طاعة واتباع أكثر من في الأرض ضلال عن سبيل الله تعالى؛ لأن الأكثرية على ضلال، ولا يؤمنون بالله إلا وهم يشركون معه آلهة أخرى، وقال عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– لعمرو بن ميمون: (إن جمهور الجماعة هم الذين فارقوا الجماعةَ، الجماعةُ ما وافق الحق وإن كنتَ وحدَك)[١]، وقال الحسن البصري:

---

[١] رواه البيهقي في المدخل (ج١/ص٤١٩).

(فإنَّ أهل السُّنة كانوا أقلَّ النَّاس فيما مضى، وهم أقلُّ النَّاس فيما بقي: الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنَّتهم حتى لقوا ربَّهم، فكذلك فكونوا)[١].

ومما يلفت النظر ويشتد له العجب؛ أنه رغم ما جرّت التجارب الديمقراطية على المسلمين من نتائج سيئة ووخيمة، أفضت إلى الضعف والاختلاف والتفرق، والشقاق والنزاع؛ حيث الجماعة أصبحت جماعات، والحزب أصبح أحزابًا، والحركة أصبحت حركات متنافرة متباغضة، رغم كل ذلك وغير ذلك مما يشين؛ فإن أقوامًا لا يزالون يستعذبون الديمقراطية وينافحون عنها كأنهم أربابها وصانعوها، أشربوا في قلوبهم حب الديمقراطية كما أُشرب بنو إسرائيل من قبل في قلوبهم حب العجل، فما نفعهم سمعهم فردعتهم الآيات القرآنية والنصوص الشرعية، ولا نفعتهم عقولهم وأبصارهم فبصّرتهم بالواقع المرير الناتج عن تطبيق الديمقراطية.

وتعذر بعضهم بشبهة المصلحة والوصولية للقرار والسيادة عن طريق الديمقراطية، واتخذوها سبيلًا لنيل المقاصد الشرعية والدينية، ولم يلتفتوا لشرعية هذه الوسائل وأحكامها في دين الله عز وجل، ودخلوا من جحر المساومة والمقايضة على ثوابت العقيدة والمنهج باسم (المصلحة والغاية)! روى الطبري في تفسيره قال: (لقى الوليدُ بنُ المغيرةُ والعاصُ بنُ وائلٍ والأسودُ بنُ المطلبِ وأميَّةُ بنُ خلف رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقالوا: يا محمدُ؛ هلُمَّ فلنعبُدْ ما تعبُدُ، وتعبُدْ ما نعبُدُ، ونَشْرَكُك في أمرِنا كلِّه؛ فإن كان الذي جئتَ به خيرًا مما بأيدِينا: كنا قد شَرَكناك فيه، وأخَذْنا بحظِّنا منه، وإنْ كان الذي بأيدِينا خيرًا مما في يدَيك: كنتَ قد شَرِكْتَنا في أمرنا، وأخَذْتَ منه بحظِّك؛ فأنزَل اللَّهِ: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون}، حتى انقضَتِ السورة)[٢].

إننا نجد في هذه الحادثة أن قريشًا طلبت من رسول الله ﷺ أن يتنازل لها وتتنازل له حتى يلتقيا حول نقطة واحدة، وقد يقول قائل: لو أن رسول الله ﷺ وافقهم على ذلك وطلب منهم أن يبدؤوا

---

[١] رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة، والدارمي في مسنده بنحوه.
[٢] جامع البيان، (ج٢٤/ص٧٠٣).

بعبادة الله أولًا؛ فإنهم إذا عرفوا الإسلام لن يرجعوا عنه، وفي هذا تحقيق مكسب كبير للإسلام، وتحقيق انتصار، ورفع للبلاء الذي يلاقيه المسلمون، والجواب: أن الله قد حسم هذه القضية: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٢-٣]، وفي آخرها: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ٦]؛ فالقضية قضية مبدأ غير قابلة للمساومة، ولا للتنازل قيد أنملة، فهذه مسألة من مسائل العقيدة، بل هي العقيدة نفسها.

إن التأمل في هذه القضية، وكيف حسمها القرآن: يعطي من الدروس ما نحن بأمس الحاجة إليه، بل يرسم منهجًا واضحًا جليًّا في كيفية مواجهة أساليب كثير من أعداء الإسلام حاضرًا ومستقبلًا؛ فلو سالمتهم يا أيها المسلم: فهم لا يسالمونك إلا بشرط التخلي عن دينك، وتدخل في موالاتهم وطاعتهم في منهجهم الديمقراطي (الخبيث)، وبخاصة إن كانوا هم الطرف الأقوى، وبخاصة إن كانوا هم الطرف القوي في المعركة، وإن طمعت يومًا أن يرضوا عنك من دون أن تتبع ملّتَهم: فأنت واهم، وعليك بقراءة القرآن من جديد، ومراجعة التاريخ القريب منه والبعيد؛ لتقرأ صفحات الغدر والحقد والإجرام التي مورست ولا تزال تمارس بحق الإسلام والمسلمين، فكيف تقبلون يا أيها المسلمون من أهل العراق أن يحكم العدو الصليبي وأذنابه في دمائكم وأبشاركم وفروجكم وأموالكم بشرعة غير شرعة الله الطاهرة، وبدين غير دينه القويم، وأنتم أحفاد سعد بن أبي وقاص والمثنى وخالد بن الوليد والقعقاع، الذين روّوا هذه الأرض بدمائهم؟!

فينبغي لكم أن تتنبهوا لخطة العدو من تطبيق الديمقراطية المزعومة في بلادكم؛ فما أرادوها إلا لأجل نزع بقية الخير فيكم، فأحكموها على هيئة المصيدة الخبيثة التي ترمي لسيطرة الرَّافِضَة على مقاليد الحكم في العراق؛ فقد أُدخل أربعة ملايين رافضي من إيران من أجل المشاركة في الانتخابات؛ ليتحقق لهم ما يصبون إليه من السيطرة على غالبية الكراسي في المجلس الوثني، وبذلك يستطيعون أن يشكلوا حكومة أغلبية تسيطر على مفاصل الدولة الرئيسية الاستراتيجية والاقتصادية والأمنية، وتحت لافتة الحفاظ على الوطن والمواطن، والتقدم نحو المشروع الديمقراطي، وإزالة أية عوالق من حزب البعث البائد، والقضاء على المخربين من فدائيي صدام والإرهابيين؛ ليبدأ الرَّافِضَة بتصفية حساباتهم العقدية للقضاء على رموز وكوادر أهل السنة من علماء ودعاة وأصحاب خبرة، ويرافق

ذلك ضخ إعلامي رهيب يزين باطلهم ويخفي حقيقتهم وما تخفي صدورهم أكبر، ثم يبدؤون بعد ذلك بنشر مذهبهم الخبيث بين الناس بالمال والحديد، والترغيب والترهيب، ويستفيدون من سيطرتهم على مصادر رزق المسلمين.

فإن نجحوا في مشروعهم هذا؛ فما هي إلا بضع سنوات وتكون بغداد ومناطق أهل السنة قد تشيع أغلبها، ومن وراء ذلك: سكوت وخذلان كثير ممن ينتسب إلى العلم زورًا وبهتانًا، الذين ميّعوا عقيدة الولاء والبراء في صدور الناس، وأوهموهم بأن الرَّافِضَةَ إخوان لنا وجيران مودتنا!

وهل أفسد الدينَ إلا الملوكُ *** وأحبارُ سَوء ورُهبانُها[1]؟!

فوا أسفاه! إن أصبحت بغداد في يوم من الأيام رافضية؛ فإن بغداد وإن كانت حُكمت سنين طويلة من حكام مرتدين ساموا أهلها الذل والهوان، لكنها لم تكن في يوم من الأيام رافضية! فها هي بغداد والسواد بدأ يعلوها يومًا بعد يوم، وها هي مظاهر الوثنية والشرك تتبدى فيها عيانًا، وأصبحت ترتفع فيها أصوات أهل الرفض بلعن صحابة نبينا عليه الصلاة والسلام، وبسب أمهاتنا زوجات نبينا ﷺ صباح مساء على منابرهم وفي إذاعاتهم! ورحم الله الإمام مالكًا حين قال: (لا يُجلَسُ في أرضٍ يُسَبُّ فيها أبو بكر وعمر)[2].

عمر الفاروق الذي قال عندما كان أميرًا للمؤمنين: (لَئِنْ سَلَّمَنِي اللَّهُ لأَدَعَنَّ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لاَ يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا)[3]، كان يغار على أعراضكم وهو في المدينة، وها هم الرَّافِضَة اليوم يلعنونه صبح مساء بين ظهرانيكم!

أما بقي فيكم غيرة يا أهل العراق؟!

---

[1] بيت لقصيدة عبد الله بن المبارك، رواها أبو نعيم في الحلية (ج٨/ص٢٧٩) وابن عبد البر في الجامع (ج١/ص٦٣٧).

[2] لا أصل لهذا الأثر بهذا اللفظ، والصواب ما رواه ابن عبد البر في الانتقاء (ص٣٦) عن أشهب بن عبد العزيز، عن مالك قوله: (لَا يَنْبَغِي الإِقَامَةُ بِأَرْضٍ يَكُونُ الْعَمَلُ فِيهَا بِغَيْرِ الْحَقِّ وَالسَّبُّ لِلسَّلَفِ)، وابن العربي في الأحكام (ج١/ص٦١١) عن ابن القاسم قوله: سَمِعْت مَالِكًا يَقُولُ: (لَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ أَنْ يُقِيمَ بِبَلَدٍ سُبَّ فِيهَا السَّلَفُ).

[3] رواه البخاري.

أغادرت مضاربكم الحمية على دين الله؟!

أخنتم أجدادكم يا أحفاد سعد والمثنى وخالد؟!

أرضيتم بالذلة والهوان وبغايا الروم وشذّاذ النصارى وخنازير الرَّافِضَة يعبثون بأعراض بنات المسلمين ويتلهّون بها؟!

فلهذه الدواعي وغيرها؛ أعلنّا الحرب اللدود على هذا المنهج (الخبيث)، وبينّا حكم أصحاب هذه العقيدة الباطلة والطريقة الخاسرة؛ فكل من يسعى في قيام هذا المنهج بالمعونة والمساعدة فهو متولٍّ له ولأهله، وحكمه كحكم الداعين إليه والمظاهرين له، والمرشحون للانتخاب هم أدعياء للربوبية والألوهية، والمنتخبون لهم قد اتخذوهم أربابًا وشركاء من دون الله، وحكمهم في دين الله: (الكفر والخروج عن الإسلام).

اللهم هل بلغت.. اللهم فاشهد،

اللهم هل بلغت.. اللهم فاشهد،

اللهم هل بلغت.. اللهم فاشهد،

والحمد لله رب العالمين.

الكلمة الخامسة: يَا أَهلَ الإِسلامِ؛ الشِّدَّةَ الشِّدَّةَ [صوتية]

٣٠ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ || ٢٩ أبريل ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فمن أبي مصعبٍ الزرقاوي إلى المجاهدين الصادقين في أرض الرافدين؛ أرض البطولة والفداء، إلى الأسود أصحاب العزيمة الشمّاء؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

على إخوتي مني السلامُ تحِيَّةً *** تحِيَّةَ مُثنٍ بالأُخوَّةِ حامدِ
وقُل لهمُ بعدَ التحيَّةِ: أنتُمُ *** بنَفسي ومالي من طريفٍ وتالدِ[١]

ها قد مضى عامان على سقوط بغداد بأيدي الصليبيين، الذين لم يجنوا غير الهزيمة والعار والذل والشنار، عامان مرّا وبفضل الله وتوفيقه لم يحقق فيهما بنو الأصفر (عُبّادُ الصليب) أيًّا من أهدافهم التي جاؤوا من أجلها؛ فقد كانوا يرومون من غزو العراق السيطرة على الأمة والتمكين لدولة بني صهيون من النيل إلى الفرات، ولكن بفضل الله ثم بفضل ضربات المجاهدين خابت ظنونهم وطاشت سهامهم، وارتدوا خاسئين على أعقابهم؛ فها أنتم اليوم أيها المجاهدون بفضل الله طليعة الأمة، وصمام أمانها، وسياجها المتين، وصخرتها العتيدة، التي تحطم عليها كبرياء الصلف الأمريكي؛ فبِقتالكم حاملي لواء الصليب ومن سار تحت هذا اللواء من المنافقين والمرتدين من أبناء جلدتنا: فإنكم لا تذودون عن حمى الرافدين فحسب؛ ولكنكم تدافعون عن الأمة بأسرها.

إن عدوكم الأمريكي أصبح اليوم في وضع لا يحسد عليه؛ بسبب ضرباتكم الموفقة والمركزة -بفضل الله تعالى-، والتي أرغمته على السعي حثيثًا لفتح حوار مع المجاهدين، ولكن هيهات هيهات!

---

[١] أبيات من قصيدة للشاعر أبي عيينة بن أبي عيينة، شعر أبي عيينة، جمع صلاح مهدي القرطوسي.

فإنها خديعة إبليس أوحى بها إلى شياطين الإنس، فما الذي دفعهم للتصريح بأنه لا بد من فتح باب الحوار مع فصائل المقاومة كما يزعمون؟! إنه جهادكم وصبركم وثباتكم في مواجهة هذا العدو.

فقد ذكرت جريدة الواشنطن بوست في مقال مطوّل نشر بتاريخ ١٩ من آذار الحالي، لكاتبها آن سكوت تايسون تحت عنوان: (بعد عامين؛ حرب العراق تستنزف الجيش الأمريكي)[١]؛ يقول الكاتب: (إنه بعد عامين من تدشين الولايات المتحدة لحرب العراق؛ فإن عمليات المقاومة العراقية لا تزال تسحق مصادر الجيش الأمريكي، وسط مطالب ثقيلة غير متوقعة، بمساندة المعارك البرية تستنزف القوة البشرية للجيش الأمريكي). وينقل الكاتب عن الجنرال ريتشارد (نائب رئيس أركان الجيش) قوله في مجلس استماع بمجلس الشيوخ: (ما يقيني مستيقظًا في الليل، سؤال وهو: كيف ستبدو قوة الجنود المتطوعين في عام ٢٠٠٧؟)، ويتطرّق الكاتب إلى واحدة من أصعب المعارك التي يخوضها الجيش الأمريكي خارج أرض المعركة، ولكنها تهدد بانهياره؛ وهي التطوع؛ فيقول: (إن الجيش النظامي وسلاح المارينز وغالبية قوات الاحتياط فشلت في بلوغ أهداف التطوع في الربع الأول من السنة ٢٠٠٥م، وفق إحصائيات وزارة الدفاع، ويأتي النقص في الخدمة العسكرية وسط ارتفاع مخاوف بين مسؤولي الجيش والمارينز)، ويقول روجرز شولتز (قائد قوات الحرس الوطني): (إذا لم نتناول هذه المشكلة بشكل صحيح؛ فإن الخطر سيفوق الحد)، ويقول شولدز: (إن الإنهاك حل بـ٢٠% من أفراد الحرس الوطني)، متوقعًا أن يترك ثلثا الحرس الوطني الخدمة بعد العودة من العراق.

أيها المجاهدون؛ فبعد أن وجد عدوكم أن الطريق أمامه مغلق، والباب بوجهه موصد؛ عمد إلى خطة خبيثة يروم من خلالها سحب البساط من تحت المجاهدين الصادقين، والالتفاف على هذا الجهاد المبارك؛ فعرضوا على بعض المنهزمين المحسوبين زورًا وبهتانًا على المجاهدين بأن يشكلوا نواة الجيش العراقي في مناطق أهل السنة، وما ذلك إلا لاستخدام هؤلاء للوقوف في وجه المجاهدين، والحيلولة بين المجاهدين وبين عبّاد الصليب.

---

[١] Two Years Later، Iraq War Drains Military

وليت شعري! أين كان هؤلاء يوم كانت القذائف والحمم تُصب على المجاهدين صبًّا، ويوم أن كانت دماء المجاهدين تراق دفاعًا عن هذا الدين، وذودًا عن أعراض المسلمات والمسلمين في بلاد الرافدين؟!

أيها المجاهدون الصادقون؛ حذار حذار من مكرٍ كُبّار، ينسجه أعوان إبليس بالليل والنهار.

أيها المجاهدون؛ إن الجهاد بابٌ يُذهِبُ الله به الهمَّ والغم، وإن الجنة تحت ظلال السيوف، لقد فتح الله لكم أبواب الجنان وأتى بعدوّكم ليفتح به لكم سوق الجهاد، ورحم الله ابن القيّم حين قال: (إن الله يقيم الحروب بين الدول ليصطفي منكم شهداء)[1] أو كما قال، وقال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٩٣]، وقال ﷺ: "فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي، وَلَيُنْفِذَنَّ اللهُ أَمْرَهُ"[2]، فجهادكم موصول، وقتالكم مستمر؛ حتى يكشف الله الغمة، ويرفع الضيم عن الأمة.

مَتى تَجْمَعِ القَلبَ الذَكيَّ وَصارِمًا *** وَأَنفًا حَمِيًّا تَجتَنِبْكَ المَظالِمُ[3]

وهذا نداء إلى المجاهدين الصادقين: في بغداد الرشيد؛ يا أبطال حيفا والأعظمية والغزالية والعامرية والخضراء والمنصور والدورة والأمين والمأمون، وإلى الأسود في الإسكندرية والحصوة والمسيب والمحمودية واللطيفية واليوسفية والرضوانية وزوبع وأبي غريب والمدائن والطارمية والتاجي، وإلى الليوث في ديالى، في بعقوبة والمقدادية والخالص وبلدروز وجلولاء وبهرز وشهربان وخانقين، وإلى الأماجد في صلاح الدين؛ في تكريت وسامراء وبلد وبيجي والإسحاقي، وإلى أسد الشرى في نينوى والشمال؛ في الموصل وتلعفر وربيعة والحويجة وكركوك ودهوك وأربيل والسليمانية، وإلى النشامى في الأنبار، في الرمادي والفلوجة والقرمة والعامرية والصقلاوية والخالدية، وفي هيت وحديثة وعانه وراوه والقائم والرطبة، وإلى الطليعة المباركة في الحِلةِ والناصرية وكربلاء والبصرة؛ لقد منّ الله عليكم بعامين من

---

[1] لم أجد لهذا القول أصلًا في مصنفات ابن القيم.

[2] رواه البخاري.

[3] عزاه أبو علي القالي في الأمالي (ج٢/ص١٢٢) إلى عمرو بن براقة الهمذاني، وعزاه ابن قتيبة في عيون الأخبار (ج١/ ص٢٣٧) إلى مالك بن حريم.

الجهاد المتواصل، فكم بذلتم من النفوس والمهج في سبيل دينكم! وكم لاقيتم من التعب والنصب في طريقكم! فالله الله في دينكم، والله الله في جهادكم، والله الله في دماء إخوانكم وأعراض أخواتكم؛ فلا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثًا، ولا تغرّنكم كثرة الهالكين، ولا توحشنكم قلة السالكين، ولتكن خير عدتكم: الصبر واليقين، ورحم الله خالدًا يوم أن وقف واعظًا جنوده فقال: (يا أهل الإسلام؛ إن الصبر عِزٌّ، وإن الفشل عجزٌ، وإن مع الصبر تنصرون؛ فإن الصابرين هم الأعلون، وإنه إلى الفشل ما يحور المبطل الضعيف، وإن المحق لا يفشل؛ يعلم أنّ الله معه، وأنّه عن حرم الله يَذُبّ، وعنه يقاتل، وأنّه إن قدم على الله، أكرم منزلته، وشكر سعيه؛ إنّه شاكرٌ يحب الشاكرين)[1]، فاصبروا يا إخوة التوحيد؛ فإنها أيامٌ قلائل ثم تكونُ لكم العاقبة، وأنتم بين خيرين: شهيدٌ مرزوق، أو فتحٌ قريب.

يا أحفاد سعدٍ والمثنى، وخالد وأبي عبيدة، يا أسود الشرى وفرسان الميدان؛ ذودوا عن عقيدتكم، وذبّوا عن أعراضكم، واشحذوا سيوفكم، وقاتلوا في سبيل دينكم محتسبين، وسلّوا أنفسكم بخالد –رضي الله عنه– يوم أن نادى بجنوده في أرض المعركة: (يا أهل الإسلام! الشدة الشدة! احملوا رحمكم الله عليهم)[2].

فإنكم إن قاتلتموهم محتسبين، تريدون بذلك وجه الله؛ فليس لهم أن يواقفوكم ساعة، وإياكم والوهن والراحة، أو أن يُضعِفَ يقينكم ما ترونه من هالةٍ إعلامية وآلة عسكرية، فإن أخلصتم النيّات وأصلحتم الطويات فزتم بنصر رب البريات، فلا يختلفنَّ هديكم، واعلموا أن المعونة تأتي على قدر النيّة، والأجر على قدر الحسبة، وأن المسلم لا ينبغي له أن يكترث بشيء يقع فيه مع معونة الله له، وكيف يضعف يقينكم وتخور عزيمتكم، وأنتم ترون العدو قد استباح الديار وانتهك الأعراض، وسامَ الناس الخسف والهوان!

أَوَ ما سمعتم صرخات أخواتكم تستغيث من وراء أسوار سجون القهر الصليبي؟!

---

[1] رواه الأزدي في فتوح الشام (ص١٧٠).
[2] الاكتفاء، أبو الربيع الكلاعي، (ج٢/ص٢٠٠).

أوَ ما بلغكم ما حلّ بأخواتكم في فلوجة العز؟!

أوَ ما سمعتم صرخة أمكم التي داس كرامتها رافضي خبيث؟ يوم أن جاؤوا ليعتقلوا زوجها، ولما لم يجدوه قاموا باعتقالها وهي تستغيث وتتوسل، حتى قبّلت حذاءه راجيةً منه ألا يسلمها إلى الأمريكان، قائلةً له: (أنا عراقية، وأنت عراقي؛ فلماذا تسلمني إليهم؟!)، فما كان من جنود الحرس الوثني إلا أن عصبوا عينيها وقيدوا يديها إلى ظهرها وحملوها، وقذفوا بها في سيارة الاعتقال الأمريكية!

بغدادُ يبكيك دمعُ القلبِ؛ مُسلمةٌ *** قد سامها الذلَّ دون الخلقِ صلبانُ
أبكي فتاةً كطهر الثلج باكيةً *** قد غال عفّتَها كلبٌ وذئبانُ
نقفورُ عادَ ولا هارونَ يلجمهُ *** نارًا فيجثو وملءُ القلبِ إذعانُ
نقفورُ عادَ وتلكَ العُرْبُ قد بسطت *** عزَّ الرؤوسِ، وكيفَ تثورُ جرذانُ؟!
ويحَ الأكابرِ من قومي تَجَاذَبَهم *** عنِ السبيلِ أباطيلٌ وأوثانُ!
واحسرةَ القلبِ؛ لا سِلْمٌ يُجَمِّعُنا *** نحوَ المعالي، وما في القومِ رُبَّانُ!
بغدادُ لا تعجبي؛ فالعربُ قد مجَنت *** وَللمعاصي لدى الهيجاءِ خذلانُ
وكفكفي الدمعَ؛ إنَّ القومَ قد فسقوا *** وَعُدَّةُ الحربِ قبلَ السيفِ إيمانُ[1]
أين أصوات علماء السوء، الذين لا نسمع نشازهم إلا في مناوأة المجاهدين؟!

أين هم للدفاع عن أعراض المسلمات؟!

فَلَيتَهُم إذ لَم يَذودوا حِمِيّةً *** عَن الدينِ ضَنّوا غَيرَةً بِالـمَحارِمِ
وَإِن زَهدوا في الأَجرِ إِذ حَمِيَ الوَغى *** فَهلا أَتوهُ رَغبَةً في الـمَغانِمِ[2]؟!

لبيكِ يا أماه، ولبيكِ يا أختاه، لبيك أيتها العفيفة الطاهرة؛ فوالله لن يهنأ لنا عيش، ولن يغمض لنا جفن، ولن يغمد لنا سيف؛ حتى نثأر لعرضكن وكرامتكن.

[1] لا يعرف قائلها.
[2] أبيات من قصيدة لأبي المظفّر الأبيوردىّ؛ لما استولى الفرنج على البيت المقدّس سنة ٤٩٢هـ، فضائل بيت المقدس، ابن الجوزي، (ص١٢٦).

ونعاهد الله يا كلب الروم بوش؛ بأنه لن يقر لك قرار، ولن يهنأ جيشك بلذيذ عيش، وطيب مقام، ما دام فينا عرقٌ ينبض، وقلبٌ يخفق؛ فنحن قادمون بعون الله قادمون!

فيا أسود التوحيد على أرض الرافدين الحبيبة؛ عزمت عليكم إن وصلكم ندائي هذا أن لا يأتي عليكم الليل إلا وسيوفكم تقطر من دماء عدوكم، أعيدوها خضراء جذعًا، قوموا قومة رجلٍ واحد، فلا خير في عيشٍ تنتهك فيه أعراضنا، وتداس فيه كرامة أخواتنا، ويحكمنا فيه عُبّاد الصليب، واجعلوا من غزوة الثأر: (غزوة أبي أنس الشَّامي) بداية عهدٍ جديد للفتوحات -بإذن الله.

ويا كتائب الاستشهاديين؛ انطلقوا على بركة الله، لا تدعوا لهم قافلة تسير، ولا حاجزًا يقفون فيه، أحيلوا ليلهم نهارًا، وبردهم نارًا.

ذروة الدين جهادٌ في الصميمِ *** فلنجاهدْ أو لتلفظنا الحياةُ[١]

اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، مجري السحاب؛ اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}.

والحمد لله رب العالمين.

[١] بيت من قصيدة (جدد العهد)، عبد الحكيم بن عابدين.

الكلمة السادسة: وَعَادَ أَحفَادُ ابنِ العَلْقَمِيِّ [صوتية]

١٠ ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ || ١٨ مايو ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فقد مضت سنة الله سبحانه وتعالى أن يقع الصراع بين الحق والباطل منذ أن برأ الله الخلق وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد مضى على مدى التاريخ صور من هذا الصراع، وها هو فصل من فصوله يتجدد على أرض الرافدين على يد عُباد الصليب، بعد أن أعلنوها بملء أفواههم: (أنها حرب صليبية)، فنزلوا بالعقر من البلاد، وسعوا بالكفر بين العباد، وأكثروا من البغي والفساد، فانتهكوا الأعراض، واستباحوا الحرمات، ودنسوا المقدسات؛ يعاونهم في ذلك إخوانهم من الشيعة الروافض، الذين ما كانت حرب على الإسلام والمسلمين إلا كانوا رأس حربةٍ فيها، كل ذلك في حال ردة من حكام هذه الأمة، وتخاذل من علماء السوء؛ الذين باعوا دينهم بعرض من الدُّنيا قليل، وفي حال غفلة من أهل الحق عن حقيقة هذه المعركة وأبعادها.

فهب المجاهدون الصادقون؛ للذود عن حياض هذا الدين والدفاع عن أعراض المسلمين، على قلة منهم في العدد، وضعف في العدة، وندرة في الناصرين، وكثرة في المخذلين، هبوا ولسان حالهم يقول:

يا رافعي علمِ الجهادِ تقدّموا *** ودعوا صفوفَ المحجمينَ وراءَ
خُوضوا الكريهةَ حاسرينَ؛ فإن طغت *** لُجَجُ الملاحمِ: فاركبوا الأشلاءَ[1]

فإذا بهم يواجهون أعتى قوة عسكرية عرفها التاريخ المعاصر، بكبريائها وجبروتها، وكامل عددها وعدتها، وهذه سنة الله سبحانه وتعالى: أن يكون الباطل في هذه الجولات أكثر عددًا، وأعظم عدة؛

[1] أبيات لقصيدة (يا رافعي علم الجهاد)، الشاعر أحمد بن محرم.

ابتلاءً من الله لعباده، وتمحيصًا لأوليائه، وليعلموا أن النصر ليس بأيديهم، وإنما هو محض فضل من الله تعالى عليهم؛ فيرغبوا في دعائهم إليه، ويتوكلوا في جهادهم عليه، ولما عاين المجاهدون هذا التفاوت الهائل في العدة والعتاد بينهم وبين عدوهم؛ رأوا لزامًا عليهم القيام بما يجبر هذا النقص ويسد هذا الفراغ؛ حتى لا تنطفئ جذوة الجهاد وتخبو ناره؛ فانطلقت كتائب الاستشهاديين يرومون رضا الرحمن، ويتسابقون إلى الجنان، فدكوا معاقل الكفر، وكسروا جحافل الصفر، وأعظموا في العدو النكاية، وأثخنوا فيه الجراح، وحطموا هيبته، وكسروا شوكته، وجرّؤوا عليه أبناء هذه الأمة، وبعثوا في النفوس الأمل من جديد، فلله الحمد والمنة.

ولكن يأبى المنهزمون من أبناء جلدتنا إلا أن يجمعوا إلى قعودهم وتخلفهم عن نصرة هذا الدين الطعن في المجاهدين الصادقين، وأن يكونوا أعوانًا للصليبيين من حيث يدرون أو لا يدرون؛ فصوبوا سهام نقدهم إلى نحور المجاهدين، وسلطوا ألسنتهم عليهم، وسخروا أقلامهم للنيل منهم، ورموهم بعظائم الأمور؛ بحجة: أنه يحصل في بعض هذه العمليات قتل لمن يوصفون بالمدنيين والأبرياء!

ولعلمي أن المجاهدين –أحسبهم ولا أزكيهم على الله– لا يقدمون على مثل هذه العمليات إلا وضوابط الشرع وأوامره تحكمهم، كيف لا؟ وهم إنما نفروا إلى ساحات الجهاد ابتغاء مرضاة رب العباد، ونصرة لدينه، وإعلاءً لكلمته؛ أحببت أن أذكر حكم الشرع في مثل هذه الحوادث، التي قد يُقتَل فيها بعض المسلمين تبعًا لا قصدًا، مستنيرًا بأقوال الأئمة وعلماء الأمة، وليس غرضي بيان حكم العمليات الاستشهادية؛ فهذه قد قرر غير واحد من علمائنا جوازها فضلًا عن استحبابها، وأصل هذه الكلمة مستخلص من بحث لشيخنا المجاهد: أبي عبد الله المهاجر[١] –حفظه الله ورعاه–، مع تصرف يسير مني، وإسقاط لهذه الأحكام على واقعنا الجهادي في العراق؛ **فأقول وبالله التوفيق:**

[١] انظر: المسألة الثامنة من مسائل من فقه الجهاد لأبي عبد الله المهاجر (ص١٨٩)، طبعة مكتبة الهمة.

[ملخص المسألة الثامنة: مشروعية رمي الكفار الحربيين بكلّ ما يمكن من السلاح، وإن اختلط بهم مَنْ لا يجوز قتله من المسلمين]

مما لا شك فيه أن الله تبارك وتعالى أمرنا برمي الكفار، وقتلهم وقتالهم بكل وسيلة تحقق المقصود، فيشرع لعباد الله المجاهدين في سبيل إعلاء كلمته رمي الكفار الحربيين وقتلهم وقتالهم، بكل وسيلة تقطف نفوسهم وتنزع أرواحهم من أجسادهم؛ تطهيرًا للأرض من رجسهم، ورفعًا لفتنتهم عن العباد أيًّا كانت هذه الوسيلة، وإن كانت هذه الوسيلة تعم المقصودين من الكفار الحربيين وغير المقصودين من النساء والصبيان، ومن في حكمهم من الكفار ممن لا يجوز قصدهم بالقتل، وهو ما اصطلح الفقهاء على تسميتهم بـ(القتل بما يعم)، إن هذه المشروعية مقررة أيضًا، وإن أفضى ذلك إلى قتل عددٍ من المسلمين ممن يقدر وجودهم حال القتال لسبب أو لآخر، ضرورة عدم إمكان تجنبهم والتمييز بينهم وبين المقصودين من الكفار الحربيين، ومع التسليم بأن قتل عدد من المسلمين معصومي الدم مفسدة كبيرة بلا شك، إلا أن الوقوع في هذه المفسدة جائز، بل متعين دفعًا لمفسدة أعظم؛ وهي: مفسدة تعطيل الجهاد.

إذ القول بعدم الجواز هنا، خاصة في الصورة المعاصرة للقتال: لا يعني غير تعطيل الجهاد وإيقافه، بل وأد الجهاد وسد بابه بالكلية، مما يعني بالضرورة: إسلام البلاد والعباد للكفار الحاقدين على الإسلام وأهله كأعظم ما يكون الحقد؛ ليفعلوا ما شاؤوا من ضرب الذل والصغار على الإسلام وأهله، وسوق المسلمين -وقد غدوا لهم عبيدًا مطاويع- سوقًا جماعيًّا نحو الذبح تارة، ونحو الكفر والمروق من الدين تارات، مع تحريف الإسلام وتبديله بصورة تامة، وقلب حقائقه وتغيير محكماته، وإعادة صياغته صياغة جديدة ليغدو دينًا آخر غير ما جاء به المبعوث بالسيف ﷺ، وهذا هو هدفهم الأسمى الذي يسعون إليه، ويجدون عليه أعوانًا من خبالة المنتسبين للإسلام، من علماء السحت وغيرهم، فأي المفسدتين أعظم في شرع الله ودينه؟!

وقبل ذكر الأدلة الخاصة بالقول بالمشروعية؛ لا بد من تقرير أصلَين هامَّين؛ فنقول:

الأصل الأول: عصمة المسلمين، وعظيم حرمة دمائهم:

من المُسَلَّمِ به القول بأن دماء المسلمين معصومة بعصام الإسلام، إلا بحقه؛ روى البخاري ومسلم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "أُمِرْتُ أَنْ أُقاتِلَ النَّاسَ حَتّى يَشْهَدوا أَنْ لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وَيُقيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكاةَ، فَإِذا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوالَهُمْ إِلاّ بِحَقِّ الإِسْلامِ، وَحِسابُهُمْ عَلى اللهِ"، وإذا كان قتل المسلم بغير حق من أعظم المحرمات التي حرمها سبحانه وتعالى، والأدلة على ذلك كثيرة معلومة؛ قال تعالى: {وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} [النساء: ٩٣]، قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: (فلم يرد في أنواع الكبائر: أعظم من هذا الوعيد بل ولا مثله)[١]، وروى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص؛ قال: (قتل المؤمن أعظم عند الله من زوال الدُّنيا)، وروي مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وصحح الأئمة وقفه على عبد الله بن عمرو بن العاص، وقد روى ابن ماجه بإسناد فيه ضعف عن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- قال: رأيتُ رسول الله ﷺ يطوف بالكعبة ويقول: "مَا أَطْيَبَكِ وَأَطْيَبَ رِيحَكِ! مَا أَعْظَمَكِ وَأَعْظَمَ حُرْمَتَكِ! وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ لَحُرْمَةُ الْمُؤْمِنِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ حُرْمَةً مِنْكِ، وَأَنْ نَظُنَّ بِهِ إِلَّا خَيْرًا".

الأصل الثاني: حفظ الدين مقدم على حفظ النفس:

قررت الشريعة أن الدين أعظم من النفس والعرض والمال؛ فهو أعظم الضروريات الخمس وأساسها، وحفظه مقدم على حفظها اتفاقًا مع استحضار أن هذه الضروريات الأخرى لا حفظ لها إلا بإقامة الدين، والنصوص الكثيرة من الآيات والأحاديث الواردة بالأمر بالجهاد والحث عليه والترغيب فيه، والنهي عن القعود والترهيب منه، كلها دالة على تقرير هذا الأصل؛ وهو كون حفظ الدين مقدمًا.

قال تعالى: {وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة: ١٩١]، قال مجاهد -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة:

---

[١] تيسير الكريم الرحمن، (ص١٩٣).

١٩١]، قال: (ارتدادُ المؤمنِ إلى الوَثنِ: أشدُّ عليه من القتل)، وقال قتادة والربيع بن أنس والضحاك: (الشِّرْكُ أشدُّ من القتلِ)، وقال ابن زيد في بيان الفتنة المقصودة هنا: (فتنةُ الكفرِ)[1]، ونص تعالى على أن الكفر والشرك أشد في شرعه ودينه من القتل، وهذا نص في تقديم حفظ الدين على غيره من الضروريات الأربع وعلى رأسها النفس؛ فحفظ هذه الضروريات في مقابل ضياع الدين بخلاف أمر الله وشرعه: هو الفتنة الحقيقية التي يُحذِّر منها المولى سبحانه؛ قال ابن جرير الطبري: يعني تعالى ذكره بقوله: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة: ١٩١]: (والشركُ باللهِ أشدُّ مِن القتلِ)[2]، وقد بُيّن فيما مضى أن أصل الفتنة الابتلاء والاختبار، فتأويل الكلام: وابتلاء المرء في دينه حتى يرجع عنه فيصير مشركًا بالله من بعد إسلامه: أشد عليه وأضر من أن يُقتَل مقيمًا على دينه، مستمسكًا عليه، محقًّا فيه، وقال القرطبي -رحمه الله-: (قوله تعالى: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ}؛ أي: الفتنة التي حملُوكم عليها، ورامُوا رجوعَكم بها إلى الكفر: أشدُّ من القتل)[3]، والمعنيان متجهان دالّان أظهر دلالة على ما نحن فيه؛ ففتنة الكفر والشرك أعظم مطلقًا من القتل، فهي أعظم من مفسدة ما يزهق من نفوس المؤمنين تبعًا لا قصدًا في سبيل القضاء عليها، وتطهير الكون منها؛ قال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللهِ} [البقرة: ٢١٧].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (وتمام الورع أن يعلم الإنسان خير الخيرين، وشرَّ الشَّرين، ويعلم أن الشَّريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإلَّا فمن لم يوازن ما في الفعل والتَّرك من المصلحة الشَّرعية والمفسدة الشَّرعية: فقد يدع واجباتٍ ويفعل محرماتٍ، ويرى ذلك من الورع [...]، أو يدع المعروف والنَّهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله؛ لما في فعل ذلك من أذى بعض النَّاس، والانتقام منهم حتَّى يستولي الكفَّار والفجَّار على الصَّالحين الأبرار؛ فلا ينظر المصلحة الرَّاجحة في ذلك، وقد قال الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ...} الآية [البقرة: ٢١٧]، يقول سبحانه: وإن كان قتل النُّفوس فيه شرٌّ؛ فالفتنة الحاصلة بالكفر، وظهور

---

[1] رواها الطبري في جامع البيان (ج٣/ص٢٩٤-٢٩٥).
[2] المرجع السابق، (ص ٢٩٣).
[3] الجامع لأحكام القرآن، (ج٣/ص٢٤٢).

أهله: أعظم من ذلك، فيُدفع أعظم الفسادين بالتزام أدناهما)، وقال أيضًا: (وذلك أن الله تعالى أباح من قتل النفوس ما يُحتاج إليه في صلاح الخلق؛ كما قال تعالى: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة: ١٩١]، أي أنَّ القتل وإن كان فيه شرٌّ وفسادٌ: ففي فتنة الكفَّار من الشَّرِّ والفساد ما هو أكبر منه)[١].

وقال الشاطبي –رحمه الله–: (واعتبارُ الدِّين مُقدَّمٌ على اعتبار النَّفس وغيرها في نظر الشَّرع)[٢]، وقال أيضًا: (إنَّ النُّفوس محترمةٌ محفوظةٌ، ومطلوبةُ الإحياء؛ بحيث إذا دار الأمر بين إحيائها وإتلاف المال عليها، أو إتلافها وإحياء المال: كان إحياؤها أولى؛ فإن عرض إحياؤها إماتة الدِّين: كان إحياء الدِّين أولى، وإن أدَّى إلى إماتتها، كما جاء في جهاد الكفَّار، وقتل المرتدِّ، وغير ذلك)[٣].

إذًا: فحفظ الدين بالقضاء على حكم الطاغوت الذي يُعبّد الناس له من دون الله (رب العالمين)، ويسوقهم سوقًا جميعًا نحو الكفر والردة، فضلًا عما يشيعه في البلاد وبين العباد من الظلم والإفساد: مقدَّمٌ إجماعًا على حفظ غيره من الضروريات الأخرى، أيًّا كانت تلك الضروريات، وقد نص الشاطبي –رحمه الله– على: (أن الأوامر في الشريعة: لا تجري في التَّأكيد مجرًى واحدًا، وأنَّها لا تدخل تحت قصدٍ واحدٍ؛ فإنَّ الأوامر المتعلِّقة بالأمور الضَّرورية: ليست كالأوامر المتعلَّقة بالأمور الحاجيَّة، ولا التَّحسينيَّة، ولا الأمور المكمِّلة للضِّروريَّات كالضَّروريّات أنفسها، بل بينهما تفاوتٌ معلومٌ، بل الأمور الضَّروريَّة ليست في الطَّلب على وزنٍ واحدٍ؛ كالطَّلب المتعلِّق بأصل الدِّين ليس في التَّأكيد كالنَّفسِ، ولا النَّفسُ كالعقلِ إلى سائر أصناف الضَّروريَّات)[٤].

ورحم الله الشيخ سليمان بن سحمان عندما جلّى الأمر بدقة؛ فقال: (ولكن لـمَّا عاد الإسلامُ غريبًا كما بدأ؛ صار الجاهلون به يعتقدون ما هو سبب الرحمة: سبب العذاب، وما هو سبب الإلفة والجماعة: سبب الفرقة والاختلاف، وما يحقن الدماء: سببًا لسفكها؛ كالذين قال الله فيهم: {وَإِن

---

[١] مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص٣٥٥).
[٢] الموافقات، (ج٢/ص٢٦٥).
[٣] المرجع السابق، (ص٦٤).
[٤] المرجع السابق، (ج٣/ص٤٩٢).

تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَى وَمَن مَّعَه} [الأعراف: ١٣١]، وكالذين قالوا لأتباع الرسل: {إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُم} [يس: ١٨]، فمن اعتقد أن تحكيم شريعة الإسلام: يُفضي إلى القتال والمخالفة، وأنه لا يحصل الاجتماع أو الإلفة إلا على حاكم الطاغوت: فهو كافر، عدو لله ولجميع الرسل؛ فإن هذا حقيقة ما عليه كفار قريش الذين يعتقدون أن الصواب: ما عليه آباؤهم دون ما بَعث اللهُ به رسوله ﷺ)، وقال: (المقام الثاني: إذا عرفت أن التحاكم إلى الطاغوت: كُفر، فقد ذكر الله في كتابه: أن الكفر أكبر من القتل؛ فقال: {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْل} [البقرة: ٢١٧]، وقال: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْل} [البقرة: ١٩١]، والفتنة: هي الكُفر، فلو اقتتلت البادية والحاضرة حتى يذهبوا: لكان أهون من أن ينصبوا في الأرض طاغوتًا يحكم بخلاف شريعة الإسلام التي بعث الله بها رسوله ﷺ)[١].

فأعظم فتنة ترزأ بها الأرض هي الكفر والشرك بتعبيد العباد لغير المعبود الحق، ورحم الله الإمام الشوكاني إذ يقول صارخًا: (فيا علماء الدِّين، ويا ملوك المسلمين؛ أيُّ رزءٍ للإسلام أشدُّ من الكفر؟! وأيُّ بلاءٍ لهذا الدِّين أضرُّ عليه من عبادة غير الله؟! وأيُّ مصيبةٍ يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة؟! وأيُّ منكرٍ يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشِّرك من البَيِّن [الواضح]؟!)[٢].

وقد تقرر في الأصول: أن (الضرر الخاص يُتحمل لدفع الضرر العام)، وأن: (الضرر الأشد يُزال بالضرر الأخف)، وأنه: (إذا تعارض مفسدتان: روعي أعظمهما ضررًا)، وأنه: (يُختار أهون الشرين)[٣]، وقد تبيَّن لكلِّ عاقل أن ضرر ترك الجهاد وتعطيله: أعظم بما لا مزيد له في الدين والدُّنيا ممَّا قد يترتب على الجهاد من ضرر يلحق البعض في نفس أو مال أو نحو ذلك، مع كون هذا الضرر هو من الضرر الخاص مقارنة بالفواجع والطوام التي تضرب الأمة كلها في دينها ودنياها.

بعد تقرير الأصلين السابقين؛ نقول: إن مشروعية رمي الكفار المحاربين بكل ما يمكن من السلاح، وإن اختلط بهم مَنْ لا يجوز قتله من المسلمين: تقررت بأدلة خاصة، بالإضافة للقواعد العامة التي سبق تقريرها.

---

[١] الدرر السنية، (ج١٠/ص٥٠٩-٥١١).
[٢] نيل الأوطار، (ج٧/ص٤٢٩).
[٣] انظر: القواعد الفقهية، مصطفى الزرقا: قاعدة ٢٠، ٢٥-٢٨.

وهذه الأدلة؛ هي:

أولًا: ما قرره جماهير الفقهاء من رمي الكفار المحاربين حال تترسهم بالمسلمين:

وهو ما يعرف بـ(مسألة الترس)؛ والمراد بالتترس هنا: أن يتّخذ العدو طائفة من المسلمين بمثابة الترس -وهو الدرع- يدفع به عن نفسه استهداف المجاهدين له بالقتل، وقد ذهب جماهير العلماء إلى مشروعية رمي الكفار المحاربين في هذه الحالة، وإن ترتب على ذلك قتل المُتترس بهم من المسلمين يقينًا؛ لضرورة دفع عادية الكفار على المسلمين، وعدم تمكن التوصل إلى قتل الكفار المحاربين إلا بذلك، كما ذهب الأحناف والمالكية بجواز ذلك وإن لم تدع ضرورة إليه.

ومن فقه الأحناف؛ جاء في متن البداية أشهر متون الأحناف: (وإن تترسوا بصبيان المسلمين أو بالأسارى لم يكفوا عن رميهم، ويقصدون بالرَّمي الكفَّار)[١]، قال شارح البداية: («ولا بأس برميهم وإن كان فيهم مسلم أسير أو تاجر»؛ لأن في الرمي دفع الضرر العام بالذبِّ عن بيضة الإسلام، وقتل الأسير والتاجر: ضرر خاص، ولأنه قلَّما يخلو حصن من مسلم، فلو امتنع باعتباره: لانسدَّ بابه، «وإن تترسوا بصبيان المسلمين أو الأسارى: لم يكفوا عن رميهم» لما بيَّنا، «ويقصدون بالرمي الكفار»؛ لأنه إن تعذر التمييز فعلًا؛ فلقد أمكن قصدًا، والطاعة بحسب الطاقة)[٢]، وقال الكاساني في بدائع الصنائع: (ولا بأس برميهم بالنِّبال وإنْ علموا أن فيهم مسلمين من الأسارى أو التُّجار، لما فيه من الضَّرورة، إذ حصون الكفرة قلَّما تخلو من مسلمٍ أسيرٍ أو تاجرٍ؛ فاعتباره: يؤدِّي إلى انسداد الجهاد، ولكن يقصدون بذلك الكفرة دون المسلمين؛ لأنَّه لا ضرورة في القصد إلى قتل مسلمٍ بغير حقٍّ، وكذا إذا تترَّسوا بأطفال المسلمين: فلا بأس بالرَّمي إليهم؛ لضرورة إقامة الفرض، لكنَّهم يقصدون الكفَّار دون الأطفالِ)[٣].

---

[١] بداية المبتدي، المرغيناني، (ص١١٥).
[٢] الهداية في شرح بداية المبتدي، المرغيناني، (ج٢/ص٣٨٠).
[٣] بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، (ج٧/ص١٠٠-١٠١).

ومن فقه المالكية؛ جاء في متن مختصر خليل: (وإن تترَّسوا بذرِّيَّةٍ تُركوا إلَّا لخوفٍ، وبمسلمٍ لم يقصد التُّرس إن لم يُخف على أكثر المسلمين)[١]، قال في الشرح الكبير: (وإن تترَّسوا «بمسلمٍ» قُوتلوا و«لم يُقصد التُّرس» بالرَّمي وإن خفنا على أنفسنا؛ لأنَّ دم المسلم لا يُباح بالخوف على النَّفس «إن لم يُخف على أكثر المسلمين»، فإن خِيف سقطت حُرمة التُّرس وجاز رميهُ)[٢]، وقال القرطبي –رحمه الله– في تفسيره: (قد يجوز قتل التُّرس ولا يكون فيه اختلافٌ إن شاء الله، وذلك إذا كانت المصلحةُ ضروريةً كليَّةً قطعيةً؛ فمعنى كونها ضروريةً: أنَّها لا يحصل الوصول إلى الكفار إلَّا بقتل التُّرس، ومعنى أنها كُلّية: أنها قاطعةٌ لكلِّ الأمَّة حتى يحصلَ من قتل التُّرس مصلحةُ كلِّ المسلمين؛ فإنْ لم يفعل: قَتَلَ الكفارُ التُّرس، واستولوا على كلِّ الأمة، ومعنى كونها قطعيةً: أنَّ تلك المصلحةَ حاصلةٌ من قتل التُّرس قطعًا، قال علماؤنا: وهذه المصلحةُ بهذه القيود لا ينبغي أن يُختلف في اعتبارها؛ لأنَّ الفَرْضَ أنَّ التُّرسَ مقتولٌ قطعًا، فإمَّا بأيدي العدوِّ: فتحصل المفسدة العظيمة، التي هي استيلاءُ العدوِّ على كل المسلمين، وإمَّا بأيدي المسلمين: فَيهلِك العدُّو، وينجو المسلمون أجمعون، ولا يتأتى لعاقل أن يقول: لا يُقتل التُّرس في هذه الصورة بوجه؛ لأنه يلزم منه ذهابُ الترس والإسلام والمسلمين، لكن لـمَّا كانت هذه المصلحةُ غيرَ خاليةٍ من المفسدة: نفرت منها نفسُ من لم يمعن النظر فيها؛ فإنَّ تلك المفسدة بالنسبة إلى ما يحصل منها: عدمٌ أو كالعدم، والله أعلم)[٣].

ومن فقه الشافعية؛ قال النووي –رحمه الله– في روضة الطالبين: (لو تترَّس الكفَّار بمسلمين من الأسارى، وغيرهم؛ نُظِرَ: إن لم تدع ضرورةٌ إلى رميهم، واحتمل الإعراض عنهم: لم يجز رميهم [...]، وإن دعت ضرورةٌ إلى رميهم بأن تترَّسوا بهم في حال التحام القتال، وكانوا بحيث لو كففنا عنهم ظفروا بنا، وكثرت نكايتهم؛ فوجهان: أحدهما: لا يجوز الرَّمي إذا لم يمكن ضرب الكفَّار إلا بضرب مسلمٍ؛ لأنَّ غايته أن نخاف على أنفسنا، ودم المسلم لا يُباح بالخوف بدليل صورة الإكراه)[٤]، فقياس هذه الحالة على صورة الإكراه غير متجه البتة؛ لأن المكره على قتل غيره يهدف إلى دفع الضرر

[١] (ص٨٨).
[٢] الشرح الكبير للدردير وحاشية الدسوقي، (ج٢/ص١٧٨).
[٣] الجامع لأحكام القرآن، (ج١٩/ص٣٣٣-٣٣٤).
[٤] روضة الطالبين وعمدة المفتين، (ج١٠/ص٢٤٦).

الخاص عن نفسه، وليست نفسه بأولى من نفس غيره، أمَّا هنا: فالهدف هو دفع الضرر العام عن الأمة جميعًا في دينها قبل دنياها، وليس للمجاهد الرامي حظ خاص من نفسه من قريب أو بعيد، وقال النووي أيضًا: (والثَّاني: وهو الصَّحيح المنصوص، وبه قطع العراقيُّون: جواز الرَّمي على قصد قتال المشركين، ويتوقَّى المسلمين بحسب الإمكان؛ لأنَّ مفسدة الإعراض أكثر من مفسدة الإقدام، ولا يبعد احتمال طائفةٍ للدَّفع عن بيضة الإسلام، ومراعاةً للأمور الكُلِّيَّات)[١].

ومن فقه الحنابلة؛ قال ابن قدامة –رحمه الله– في الكافي: (وإن تترَّسوا بأسارى المسلمين أو أهل الذمة: لم يجز رميهم إلا في حال التحام الحرب والخوف على المسلمين؛ لأنهم معصومون لأنفسهم، فلم يبح التعرض لإتلافهم من غير ضرورة، وفي حال الضرورة: يُباح رميهم؛ لأن حفظ الجيش أهم)[٢]، وقال ابن مفلح في المبدع: «(وإن تترَّسوا بالمسلمين: لم يجز رميهم»؛ كأن تكون الحرب غير قائمةٍ، أو لإمكان القُدرة عليهم بدونه، أو للأمن من شرِّهم «إلا أن يُخاف على المسلمين» مِثلَ كون الحرب قائمةً أو لم يُقدر عليهم إلَّا بالرَّمي: «فيرميهم»، نصَّ عليه للضَّرورة)[٣].

يتحصَّل لنا من تلك النصوص السابقة عن فقهاء وأئمة المذاهب المختلفة:

أولًا: أن الجميع متفقون على جواز رمي الكفار المحاربين حال تترسهم بالمسلمين، وإن تيقنّا قتل المُتترَّس بهم عند الخوف على المسلمين أن ينزل بهم ضررٌ من أعدائهم من نكاية أو هزيمة.

ثانيًا: أن الأحناف والشافعية في الصحيح عندهم، والحنابلة في أحد القولين: على جواز الرمي في تلك الحالة إذا كانت الحرب قائمة، أو لم يُقدر عليهم إلا بذلك وإن لم نخف على المسلمين؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: (الأئمَّة متَّفقون على أنَّ الكفَّار لو تترَّسوا بمسلمين وخيف على المسلمين إذا لم يُقاتلوا: فإنَّه يجوز أن نرميهم ونقصد الكفار، ولو لم نخف على المسلمين: جاز رمي أولئك المسلمين –أيضًا– في أحد قولي العلماء، ومَنْ قُتِلَ لأجل الجهاد الَّذي أمر الله به ورسوله –هو في الباطن مظلومٌ– كان شهيدًا وبُعث على نيَّته، ولم يكن قتله أعظم فسادًا من قتل مَنْ يُقتَل

[١] المرجع السابق.
[٢] (ج٤/ص١٢٦).
[٣] المبدع في شرح المقنع، ابن مفلح الحفيد، (ج٣/ص٢٩٥).

من المؤمنين المجاهدين)[١]، والكلام الأخير من شيخ الإسلام ظاهره ترجيح القول بجواز الرمي ولو لم نخف على المسلمين.

إذا تقرر معنا -كما سبق- الجواز في تلك الصورة القديمة للترس بشرطها؛ فإن الجواز يُقرر من باب الأولى في الصورة المعاصرة للترس اليوم، وهي التي يعمد فيها العدو إلى وضع أماكن تجمعاته، ومنشآته المختلفة وسط المسلمين، وبين أحيائهم السكنية ليحتمي بهم؛ بوجوه عدة:

أولًا: أن كلام الفقهاء والأئمة السابق هو في الأسلحة القديمة المستخدمة بالرمي قبل اكتشاف البارود؛ ومن البدهي أن هذه الأسلحة القديمة أقرب لإمكان التمييز، وتلافي إصابة المسلمين من الأسلحة الحديثة.

ثانيًا: أننا مطالبون شرعًا باستخدام أقوى الأسلحة، وأشدها فتكًا بأعداء الله، إن كان ذلك في قدرتنا واستطاعتنا؛ فكيف مع الفارق الهائل بيننا وبين عدونا؟

ثالثًا: أننا مطالبون شرعًا قبل النصر والتمكين لكلمة الله في الأرض بالإثخان في أعداء الله؛ والإثخان: هو التقتيل الذريع في أعداء الله والذي تنكسر معه شوكتهم، ولا يكون لهم نهوض بعده، قال تعالى: {فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاق} [محمد: ٤]، فليس هناك شدٌّ للوثاق قبل الإثخان، فهذه التنبيهات السابقة تجعل القول بالجواز في الصورة المعاصرة أولى بلا شك لتحقق الضرورة الملجئة في أعلى صورها باستخدام أكثر الأسلحة تطورًا، وأشدها فتكًا في أعداء الله لإرهابهم، وتحقيق أعظم نكاية فيهم، ولإحداث نوع من التوازن في ميزان القوى المختل، ومعلوم أن إمكان التمييز بهذه الأسلحة بين المقصودين وبين غيرهم من المحال.

رابعًا: أن كلام الفقهاء السابق إنما هو في جهاد الطلب؛ حيث إن هذه المسألة مفترضة حال غزو المسلمين للكفار في ديارهم لفتح هذه البلاد، وإخضاعها لحكم المسلمين! ومن البدهي القول: بأن الجواز يُقرَّر من باب الأولى في جهاد الدفع؛ أي: لدفع الكفار المحاربين عن الاستيلاء على بلاد

---

[١] مجموع الفتاوى (ج٢٨/ص٥٣٧-٥٣٨).

المسلمين؛ فكيف مع تحقق هذا الاستيلاء فعلًا؟! بل ومع مرور السنين الطوال على هذا الاستيلاء بما يُرسخ حكم الصليبيين وشرعهم فوق البلاد وعلى رؤوس العباد؟!

خامسًا: سبق معنا قول القرطبي: (فإن لم يفعل قتل الكفار الترس)، أما في حالتنا اليوم؛ فإن لم يفعل: فتن الكفارُ الترسَ بفتنة الكفر والردة، حتى يَتمكَّن حكمُ الصليبيين في الأرض ويترسخ، ويصبح له الصولة والدولة، ومن ثم: يستبيح دينَ المسلمين وحرماتهم، ثم يسوقهم سوقًا جميعًا نحو الانسلاخ من الدين عبر حكمه وشرعه المضاد لحكم الله وشرعه، وقد أشار لعين هذا المعنى شيخ الإسلام؛ فقال: (وقد اتَّفق العلماء على أنَّ جيش الكفَّار إذا تترَّسوا بمن عندهم من أسرى المسلمين، وخيف على المسلمين الضَّرر إذا لم يقاتلوا: فإنَّهم يقاتلون، وإن أفضى ذلك إلى قتل المسلمين الذين تترَّسوا بهم، وإن لم يُخف على المسلمين: ففي جواز القتال المفضي إلى قتل هؤلاء المسلمين قولان مشهوران للعلماء، وهؤلاء المسلمون إذا قُتلوا كانوا شهداء، ولا يترك الجهاد الواجب لأجل من يُقتل شهيدًا؛ فإنَّ المسلمين إذا قاتلوا الكفَّار فمن قُتل من المسلمين يكون شهيدًا، ومن قُتل وهو في الباطن لا يستحقُّ القتل لأجل مصلحة الإسلام: كان شهيدًا)[1]، وقال أيضًا: (وكذلك مسألة التَّترُّس التي ذكرها الفقهاء؛ فإنَّ الجهاد هو دفع فتنة الكفر، فيحصل فيها من المضرَّة ما هو دونها؛ ولهذا اتَّفق الفقهاء على أنَّه متى لم يمكن دفع الضَّرر عن المسلمين إلَّا بما يُفضي إلى قتل أولئك المُتترَّس بهم: جاز ذلك، وإن لم يُخف الضَّرر، لكن لم يُمكن الجهاد إلا بما يُفضي إلى قتلهم: ففيه قولان، ومن يُسوِّغ ذلك يقول: قتلهم لأجل مصلحة الجهاد مثل قتل المسلمين المقاتلين: يكونون شهداء)[2]، فنص شيخ الإسلام على أن قتل الترس أقل مضرة من شيوع الكفر وظهوره.

سادسًا: وهو ما يُعد نصًّا في مسألتنا هذه، في مشروعية رمي الكفار المحاربين بكل ما يمكن من السلاح وإن اختلط بهم المسلمون: ما جاء من حديث أم المؤمنين أم سلمة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ: "يَعُوذُ عَائِذٌ بِالْبَيْتِ، فَيُبْعَثُ إِلَيْهِ بَعْثٌ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ"، فقلت: (يا رسول الله؛ فكيف بمن كان كارهًا؟)؛ قال: "يُخْسَفُ بِهِ مَعَهُمْ، وَلَكِنَّهُ

[1] مجموع الفتاوى (ج٢٨/ص٥٤٦-٥٤٧).
[2] المرجع السابق، (ج٢٠/ص٥٢-٥٣).

يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى نِيَّتِهِ"، وعن أم المؤمنين حفصة -رضي الله عنها- أنها سمعت النبي ﷺ يقول: "لَيَؤُمَّنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ، وَيُنَادِي أَوَّلُهُمْ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يُخْسَفُ بِهِمْ، فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ"، وعن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قالت: عبث رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله؛ صنعت شيئًا في منامك لم تكن تفعله، فقال: "الْعَجَبُ! إِنَّ أناسًا مِنْ أُمَّتِي يَؤُمُّونَ هذا الْبَيْتِ لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ لَجَأَ بِالْبَيْتِ، حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالْبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ"، فقلنا: يا رسول الله؛ إن الطَّريق قد يجمع النَّاس؟ قال: "نَعَمْ، فِيهِمُ الْمُسْتَنْصِرُ وَالْمَجْبُورُ وَابْنُ السَّبِيلِ؛ يَهْلِكُونَ مَهْلَكًا وَاحِدًا، وَيَصْدُرُونَ مَصَادِرَ شَتَّى، يَبْعَثُهُمُ اللهُ عَلَى نِيَّاتِهِمْ"، فهذا الحديث برواياته المتعددة -وجميعها في صحيح مسلم-: نص ظاهر بشمول العذاب لمقصودين به أساسًا ولكل من خالطهم عند نزوله، وإن لم يكن منهم أصلًا، وإن كان من الناجين يوم القيامة، مع أن الله تعالى قادر على أن يخص بالعذاب المستحقين به وحدهم.

قال شيخ الإسلام: (فالله تعالى أهلك الجيش الذي أراد أن ينتهك حرماته المكره فيهم وغير المكره، مع قدرته على التَّمييز بينهم مع أنَّه يبعثهم على نيَّاتهم؛ فكيف يجب على المؤمنين المجاهدين أن يميِّزوا بين المُكره وغيره وهم لا يعلمون ذلك؟ [...]، بل لو كان فيهم قومٌ صالحون من خيار النَّاس ولم يمكن قتالهم إلا بقتل هؤلاء لقتلوا أيضًا [...]، ومن قُتل لأجل الجهاد الَّذي أمر الله به ورسوله -هو في الباطن مظلومٌ- كان شهيدًا وبُعث على نيَّته، ولم يكن قتله أعظم فسادًا من قتل مَنْ يُقتل من المؤمنين المجاهدين، وإذا كان الجهاد واجبًا وإن قُتل من المسلمين ما شاء الله، فقتل مَنْ يُقتل في صفِّهم من المسلمين لحاجة الجهاد ليس أعظم من هذا)[١].

ففي هذا الاستعراض للأدلة الخاصة في هذه المسألة (مسألة رمي الكفار المحاربين إذا اختلط بهم مسلمون)؛ يظهر لنا بجلاء: أن المشروعية مقررة من وجوه عدة، وهنا لا بد من التنبيه على مسألة هي غاية في الأهمية؛ فإضافة إلى الفارق الهائل بيننا وبين عدونا في العدة والعتاد: فإن الطبيعة الجغرافية لأرض العراق تضطر المجاهدين في كثير من الأحيان للجوء على مثل هذا النوع من القتال، فلا

---

[١] مجموع الفتاوى (ج٢٨/ص٥٣٧-٥٣٨).

وجود لغابات يكمنون بها لعدوهم، ولا جبال يتحصنون بها وينطلقون منها لتنفيذ عملياتهم، والعدو قد نزل بالعقر من الديار، ونازعنا الأرض التي نقف عليها، واتخذ قواعده المحصنة فيها، وأقام حواجز السيطرة ونقاط التفتيش في كل مكان، يساعده في ذلك أعوانه من الجيش والشُرط، وطوابير العملاء والجواسيس الذين يرقبون كل غادٍ ورائح؛ مما يزيد في صعوبة حركة المجاهدين، ويتضح ذلك جليًّا لكل منصف يقارن حالنا مع إخوة لنا في ساحات أخرى من ساحات الجهاد؛ فالجبال الشاهقة والوعرة في أفغانستان، والغابات الكثيفة في الشيشان: هيأت للمجاهدين المكان المناسب لخوض حرب طويلة الأمد يُستنزف فيها العدو، وأتاحت لهم اتخاذ قواعد خلفية آمنة مكنتهم من التفكير والتخطيط بعيدًا عن عدوهم، والانطلاق في عمليات كر وفر، ثم الرجوع على هذا الملاذ الآمن، وهذا كله مفقود على أرض الرافدين.

لذا والحالة هذه: كان الدخول مع العدو في مواجهات ميدانية مباشرة من الصعوبة بمكان، ولا سيما في بغداد التي هي عقر دار العدو، وكثافته فيها منقطعة النظير؛ فكان لا بد من تكثيف عملياتنا الاستشهادية لخلخة تواجد العدو على هذه المدن، وإرغامه على الخروج منها إلى أماكن يسهل اقتناصه فيها، وهذه العمليات هي سلاحنا الفتاك الذي يُثخن في العدو الجراح، وتنخلع به قلوب أفراده، وتعظم فيه النكاية؛ هذا مع سهولته علينا وقلة الخسائر بالنسبة إلينا.

فلو أوقفنا هذه العمليات فلا شك أن جذوة الجهاد ستضعف حتمًا، إن لم تخبُ في هذه المرحلة، وبضعف الجهاد وتمكن العدو من بسط سيطرته على بغداد تحصل المفسدة الكبرى؛ فيتمكن العدو من تدبير مؤامراته ومخططاته، ويستبيح الأمة بأكملها.

[انتهى الملخص]

وقد رأى العالم بأسره جرائم عُباد الصليب، وشُذّاذ النصارى، وبغايا الروم في سجن أبي غريب وبوكا، وما فعله أعوانهم الروافض في سجونهم في الجنوب في الكوت والحلَة والنجف وكربلاء والبصرة وغيرها، وهم لم يُمَكَّنوا التمكين الحقيقي، فكيف لو تمكنوا من بسط سيطرتهم على أرض العراق؟!

فإن الروافض الحاقدين يحاولون بشتى الوسائل إظهار حرصهم على الدم العراقي لتشويه صورة المجاهدين، وإظهارهم أمام العالم أنهم سفاكو دماء، ونسي أحفاد ابن العلقمي غدراتهم بأبناء هذه الأمة التي حُفرت في جبين التاريخ، وسنذكر بعضًا من جرائمهم؛ لعله يتبين للأمة الشيء اليسير من حالهم:

أولًا: في عام ١٩٨٣م (أي: قبل نحو ربع قرن من الآن)؛ قام انتحاري[١] من قوات فيلق الغدر -فيلق بدر- بتفجير نفسه بشاحنة مفخخة في مبنى الإذاعة والتلفزيون العراقي في الصالحية، راح ضحيته العشرات.

ثانيًا: شهدت شوارع أبي النواس والسعدون والكرّادة والزعفرانية خلال الحرب الإيرانية عشرات العمليات التفجيرية بالسيارات المفخخة بالشوارع، راح ضحيتها العشرات.

ثالثًا: في الرابع من نيسان عام ١٩٨٠م؛ أوقع عناصر فيلق بدر[٢] قنابل يدوية بين الطلاب في الجامعة المستنصرية في بغداد، راح ضحيتها العشرات، وعندما خرجت جنازة تشييع الضحايا في اليوم التالي: تم إلقاء القنابل من داخل بناء المدرسة الإيرانية، وقُتل العديد ممن كان في الجنازة.

رابعًا: وقعت في خلال الفترة ما بين عامي ١٩٩١م إلى الغزو الأمريكي: أكثر من ثمانين عملية تفجير سيارات مفخخة في مختلف مناطق العراق، على يد قوات فيلق بدر.

خامسًا: أطلقت قوات فيلق بدر ٦٥ صاروخًا محليًّا موجهًا بواسطة سيارات متحركة من مناطق قريبة من بغداد؛ مثل: المحمودية واللطيفية وناحية الرشيد والأمين، خلال عامي ١٩٩٩م -٢٠٠٠م، راح ضحيتها العشرات.

سادسًا: عمليات قطع الطرق السريعة بين العمارة والناصرية، وقتل المسافرين؛ عبر إقامة سيطرات مزيفة كان يقوم بها ويتباهى في عملها، ويُصدّر البيانات بنسبتها حزب الدعوة إلى الشيطان وقوات

---

[١] وهو أحد أشقاء صدر الدين القبانجي وينتمي للمجلس الأعلى للثورة في العراق بزعامة محمد باقر الحكيم آنذاك.

[٢] الصواب: أن المفجر تابع لحزب الدعوة، اسمه: سمير مير غلام.

فيلق بدر وقوات كريم ماهوت، وذلك خلال عام ١٩٩١م، ولم تنته إلا بدخول الصليبيين إلى بغداد، وغير ذلك من جرائمهم التي لو ذهبنا نتتبعها لطال بنا المقام.

والله يعلم حرصنا ألا نوقع خسائر بين المسلمين، وكم من عملية محكمة أُلغيت، وأهداف كبيرة فاتت؛ لتوقع حصول خسائر كبيرة بين المسلمين، ونحن على علم أنه قد تحدث بعض الأخطاء ويقع بعض الضحايا، وهذا والله مما يدمي قلوبنا، ويقرّح أكبادنا، لكن ما حيلتنا والواقع ما ذكرنا من تخلل العدو فينا؟! ولو أن العدو مُتميزٌ ومتزيغ عن مناطق المسلمين: لَمَا أجزْنا لأنفسنا بحال من الأحوال التوسع في هذه العمليات؛ فالطريق يجمع الناس، ولا يمكن بحال قتال الكفار إلا بقتل بعض المسلمين، وكما قال أحد إخواننا: فلو فُرض على المجاهدين التمييز بين الكفار والمسلمين: لَتعطل الجهاد في كل مكان؛ فقد قام المجاهدون بمثل هذه العمليات في غزوتي نيويورك وواشنطن وكان هناك بعض المسلمين، وفعلوها في الرياض وبالي، وعلى المعبد اليهودي في تونس، وفعلوها في نيروبي وفعلوها في تنزانيا وومومباسا، وكراتشي وكويتا وكابل، وغروزني وموسكو، فمن أراد تحريم هذه العمليات بسقوط المسلمين فيها تبعًا لا قصدًا؛ فعليه أن يمنع الجهاد في كل مكان؛ لأنه لا يمكن أن يسلم عمل جهادي من سقوط المسلمين، ولا يؤمر المرء بما لا يُطيق، فنحن والله لا نرضى أن تُراق دماء المسلمين بغير وجه حق، ووالله لَأَنْ أُقدم فتُضرب عُنقي أحب إلي من تقصّد قتل امرئ مسلم بغير حق، أضف إلى هذا التشويه المتعمد من الإعلام الخبيث لهذه العمليات، وما يحصل من قلب لحجم الخسائر في صفوف الصليبيين وأعوانهم من المرتدين.

ونسمع اليوم وللأسف! كثيرًا من منافقي هذه الأمة من يُشنّع على المجاهدين، ويحتج عليهم بأن العمليات الاستشهادية التي يقوم بها المجاهدون يترتب عليها سفك لدماء المسلمين، مع أنهم يعلمون علم اليقين بأن المجاهدين لا يتقصدون قتل المسلمين، بل مرادهم قتل الصليبيين وأعوانهم من المرتدين، ولكن هؤلاء في حقيقة أمرهم لا يهمهم أمر المسلمين ولا دماؤهم، وإنما همهم إرضاء أوليائهم من المرتدين والصليبيين؛ وإلا فهؤلاء المسلمون يُقتّلون في مشارق الأرض ومغاربها، وهذه دماؤهم تُراق وهي أرخص الدماء؛ فهل سمعتم يومًا أحدًا من هذه الأبواق العميلة قام يومًا مقام حق لله تعالى

فتكلم عن تلكم الجرائم؟! وهل تجرأ أحدهم فأبان عن جرائم الفيالق العسكرية الرافضية كفيلق الغدر (فيلق بدر) الذي يتزعمه عبد العزيز الحكيم الطبطبائي المجوسي؟!

فلتعلمي يا أمتي! بأن هذه الفيالق الخبيثة عندما دخلت إلى العراق أثخنت أيما إثخان في أهل التوحيد؛ فهجّرت العوائل السنية من الجنوب، وقتلت المئات من أهل السنة، واغتصبت المساجد وحولتها إلى معاقل للوثنية والشرك، كل هذا وفق برنامج مدروس لتصفية أهل السنة؛ فقد اغتصبوا ٢٩ مسجدًا في بغداد تم تحويلها إلى حُسينيات وثنية مع أنهم لم يقربوا كنيسة واحدة، ولم يُغلقوا محلًّا واحدًا لبيع الخمور! وعندما ذهب بعضهم إلى الهالك محمد باقر الحكيم يستجديه إعادة المساجد إلى أهل السنة؛ أجابهم بالحرف الواحد: (كم مسجدًا أُخذ منكم؟)؛ فلما أخبروه أجابهم بكل لؤم: (تسعة وعشرون مسجدًا فقط؟ هذا قليل، أنتم أهل السنة لكم أربعة آلاف مسجد في العراق؛ أفتستكثرون علينا هذه المساجد؟!).

كما وقاموا بتصفية معظم كوادر ورموز أهل السنة من الدعاة والأطباء والمدرسين وأصحاب الخبرة والتقنية، بل وقاموا باختطاف كثير من النساء اللاتي لا يُعرف مصيرهن حتى الآن، بل إن قوات الشرطة الروافض شاركوا في انتهاك أعراض المسلمات الحرائر مع الصليبيين في سجن أبي غريب، فلو تعلمون عن سجن الكوت؛ الذي تُديره المخابرات الإيرانية، وسجن الحلّة؛ الذي يديره الرافضي المسمى بـ (العميد قيس)، الذي كان يُقطّع أعضاء المسلمين بالمنشار الكهربائي، ويستبيح أعراض المسلمات هناك، ولا تسأل عن السجن في حُسينية البراتة؛ في بغداد معقل فيلق بدر! فوالله لم نبدأهم بالقتال، ولم نصوب إليهم النبال.

وفي أرض الرافدين طوائف عدة؛ كالصابئة واليزيديين عبدة الشيطان، والكلدانيين والآشوريين، ما مددنا أيدينا بسوء إليهم، ولا صوبنا سهامنا عليهم، مع أنها طوائف لا تمت للإسلام بصلة، ولكن لم يظهر لنا أنها شاركت الصليبيين في قتالهم للمجاهدين، ولم تلعب الدور الخسيس الذي لعبه الرَّافِضَة.

ولكن أخبريني يا أمتي؛ أيسعنا والحالة هذه أن نغمد سيوفنا ونكف أيدينا؛ خشية اتهامنا بإثارة الطائفية؟!

وليت شعري: عن أي طائفية يتحدثون؟!

أمة من الناس، رجال ونساء وصبيان، يجأرون إلى الله ليل نهار من ظلم الروافض الحاقدين، الذين مكّنوا لِعُبّاد الصليب المعتدين، بل وأقسم بالذي أنزل براءة عائشة في الكتاب، ومكّن الصدّيق من مسيلمة الكذاب، وأطفأ نار المجوس على يد عمر بن الخطاب: أن ما لاقاه ويلاقيه أهل السنة في العراق من هؤلاء الروافض أحفاد ابن العلقمي أشنع وأفظع بكثير مما لاقوه على يد العدو الأمريكي! ولكن كل هذا مُغيب عن أمتي لأجل التكتيم الإعلامي، وسكوت ومداهنة علماء السوء.

والله إن قلبي ليتقطر حزنًا على ما يحل بأهل السنة في بغداد والجنوب، ولو حدثتكم عما يلاقيه إخوانكم وأخواتكم في الجنوب لما تلذذتم بالعيش إن كان عندكم غيرة على حرمات المسلمين! وسأذكر هنا قصة تتقطع منها القلوب والأجساد، وتتقرح لسماعها الأكباد، وهي على سبيل الذكر والاستشهاد، لا على سبيل الحصر والاستطراد؛ لعلها تُصادف من أبناء هذه الأمة آذانًا واعية، وقلوبًا حية: ففي مدينة الحلة اقتحم قوات الشرطة المرتدين منزل أحد إخواننا المجاهدين، فلما شعر بهم لاذ منهم بالفرار، فأتى عدو الله الرافضي المدعو بـ(العميد قيس) إلى زوجة أخينا العفيفة الطاهرة وأخذ يجرها من رأسها، ويجذبها من شعرها مهددًا ومتوعدًا لها إن لم تخبره بمكان زوجها بسلب عفتها وانتهاك عرضها، وهي تصرخ وتستغيث: (ألا من مغيث؟! ألا من أمتي من يغار على أعراضنا ويدافع عن حُرماتنا؟!)، ولم تدر هذه المسكينة أن أبناء الأمة في لهوهم يلعبون وفي سباتهم نائمون!

فما كان منا لما بلغنا خبرها إلا المسارعة بإغاثتها، وتلبية ندائها، فوالله لا حيينا إن بقي هذا وأمثاله أحياء؛ فقام الإخوة بمراقبة دقيقة لبيته، ثم انطلق أحد الأسود الاستشهاديين قاصدًا معقل هذا المرتد اللعين فدك عليه حصنه الحصين، وأصابه وأهله من الرعب والجراح ما لا ينساه على مر السنين، وقدر الله أن يكون له في عمره بقية باقية؛ ادخارًا منه سبحانه ثواب قتله لعبد اشترى الآخرة

بالفانية، وما زال الليوث يقعدون لهذا الرافضي كل مقعد، ويتربصون به كل مرصد حتى يعلم وأمثاله حرمة أعراض أخواتنا المسلمات، فلا تسوّل لهم أنفسهم الاعتداء عليهن، والنيل من كرامتهن.

وما يزيدني ألما سكوت هؤلاء الخونة الذين يرغبون في كل شيء إلا في أخذ الدين بقوة عن جرائم الرَّافِضَة!

لماذا يُخفى كل هذا عن أمتي؟! لماذا تُقلب الحقائق ولا تظهر لأمتي؟!

لماذا إذا سئلوا عن الرَّافِضَة انطلقت ألسنتهم بالثناء عليهم، وإذا سُئلوا عن المجاهدين تبرؤوا منهم وصوبوا سهام التجريح إليهم؟!

وليتهم إذ تخلفوا مع القاعدين أمسكوا لسانهم عن المجاهدين؛ فالذي أعلمه من تاريخنا الإسلامي أنه عندما دخل التتار إلى بغداد على يد ابن العلقمي تكلم الأئمة الصادقون ك: ابن تيمية وابن كثير والذهبي بكل صراحة عن خيانة الروافض في تسليم بغداد للتتار، ولم نسمع أن أحدًا من علماء الأمة قام وأنكر على هؤلاء الأئمة بأن ابن العلقمي رجل واحد ولا شأن لِلرَّافِضَةِ بذلك! ولا قال: اتقوا الله؛ لا تثيروها فتنة طائفية! بل كل ما وصلنا عن أئمتنا جيلًا بعد جيل إنكارهم على هؤلاء الروافض وكشف ضلالهم وخيانتهم؛ فهذا الإمام ابن كثير في كتابه العظيم (البداية والنهاية)، بعد تفكك الدولة العباسية: يفتتح تاريخه بمعظم السنين بذكر الخطوب بين أهل السنة والشيعة، وما حصل من اقتتال بين الفريقين، وفي عام ٤٤١هـ ذكر فتنًا يطول ذكرها من إحراق لدور كثيرة بين السنة والشيعة؛ بسبب سب الصحابة وزوجات النبي ﷺ، ثم ذكر في العام الذي يليه أمرًا عجيبًا فقال: (وفيها اصطلح الرَّوافض والسُّنَّة ببغداد، وذهبوا كُلُّهم لزيارة مشهد عليٍّ ومشهد الحسين، وترضَّوا في الكرخ على الصَّحابة كُلِّهم أو ترحَّموا عليهم، وهذا عجيبٌ جدًّا إلَّا أن يكون من باب التَّقية)[١]، وصدقت فراسة وحدس ابن كثير؛ ففي العام الذي يليه وقعت حرب بين الروافض والسنة، وقُتل من الفريقين الخلق الكثير، فوالله إن الروافض الحاقدين لأشد علينا من أعدائنا الصليبيين، ولعل من استنفذ وسعه في الطعن فينا، والحل علينا أن يُلبّس على السّذج من أبناء هذه الأمة دينهم بكون

---

[١] (ج١٥/ص٧١٦-٧١٧).

من يوصف بأنهم من أهل العلم يستنكر منا صنيعنا، ويرد علينا فعلنا، وما علم هؤلاء أن هذه الخدعة -بفضل الله- ما عادت تنطلي على أولي الأبصار، وما عادت هذه الألقاب البراقة تؤثر في أولئك الشباب الأخيار، أوَ يعترض علينا بمن باعوا صفقة يدهم وثمرة فؤادهم من المرتدين من حكام هذه الأمة وداروا معهم في الفتوى كيفما داروا، وأصبغوا عليهم وعلى حكمهم الصبغة الشرعية، ولبّسوا أمر الدين على الرعية؟! أوَ ليس هؤلاء من أفتوا بوجوب الجهاد وأنه فرض عين إبّان الغزو الشيوعي لأفغانستان؛ وذلك لما كان هذا يوافق أهواء أسيادهم، حتى إذا ما تغير الحال واجتاح عُبّاد الصليب الأمريكان أرض أفغانستان أصبح الجهاد إرهابًا وتهمة، والدفاع عن الدين والعرض تهورًا وفتنة؟! هؤلاء الذين تمضي على أحدهم السنون الطوال؛ يرى بلاد المسلمين تُغزى، والمقدسات تُدنس، ثم هو لا يُكلف نفسه عناء تغبير قدميه في سبيل الله دفاعًا عن حرمات الدين، وكأن سُنة العلماء في عصرنا قرروا أن يكونوا في مؤخرة الركب، مكتفين بالأقوال والشعارات والخطب؛ حتى إذا ما هبّ شباب الأمة للذود عن حياض الدين، والدفاع عن أعراض المسلمين: سلقوهم بألسنة حداد، ونبذوهم بألقاب شداد: بأنهم حُدثاء الأسنان، وسُفهاء الأحلام! أوَ ما لهم قدوة في علماء أمتنا الذين كانوا يتسابقون إلى أرض الجهاد والرباط؟! كأمثال العالم العابد المجاهد عبد الله بن المبارك، وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، وأبي إسحاق الفزاري (الذي كان يوصف بأنه مؤدب أهل الثغور) وابن قدامة المقدسي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وأحمد بن إسحاق السرماري الذي قال عنه الإمام الحافظ الدمشقي: (كان مع فرط شجاعته من العلماء العابدين)، والإمام الحافظ أبي أحمد الكرجي، وسمّي بالقصاب لكثرة ما قتل في مغازيه، أوَ ما لهم أسوة في علماء المغرب حينما قاموا غيرة على هذا الدين، وحكموا بكفر العُبيديين من جراء تبديلهم لشرع رب العالمين، وحرضوا الأمة على قتالهم، وقادوا الجمع على جهادهم؟! ولكأني بهم ينطبق عليهم وصف ابن العربي المالكي -رحمه الله- حين قال: (ولقد نزل بنا العدوُّ -قصمه الله- سنة ٥٢٧هـ، فجاس ديارنا، وأسر جيرتنا، وتوّسط بلادنا في عدد هال النَّاس عدده، وكان كثيرًا وإن لم يبلغ ما حدَّدوه؛ فقلت للوالي والمولى عليه: هذا عدوُّ الله، وقد حصل في الشَّرك والشَّبكة، فلتكن عندكم بركةٌ، ولتظهر منكم إلى نُصرة دين الله المتعيّنة عليكم حركةٌ، فليخرج إليه جميع النَّاس حتَّى لا يبقى منهم أحدٌ في جميع هذه الأقطار فيُحاطُ به؛

فإنَّه هالكٌ لا محالة، إن يسركم الله له، فغلبت الذُّنوب، ووجفت القلوب بالمعاصي، وصار كلُّ أحدٍ من النَّاس ثعلبًا يأوي إلى وجاره، وإن رأى المكروه بجاره، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون! وحسبنا الله ونعم الوكيل!)[١].

أوَ يُعترض علينا بمن إذا سمع حرمات الله تُستباح، وأعراض المسلمات تُنتهك: لم ينطق له لسان ولم يتحرك له جنان، وما أن يسمع بعزم الطالبان على هدم وثن من الأوثان، يُعبد من دون الواحد الديّان: حتى يُسارع إلى استخدام المراتب الثلاث في الإنكار، ويزعم أن هذا ليس من دين العزيز القهار! أوَ يُعترض علينا بمن بارك صنيع كلب الروم شيراك حين أمر بنزع حجاب المسلمات في فرنسا[٢]؛ فقال: هذا شأن داخلي ولا دخل للإسلام والمسلمين في ذلك[٣]! أوَ يُعترض علينا بمن يقول إن الخائن المرتد علاوي ولي أمر المسلمين في العراق، لا يجوز الخروج عليه! أوَ يُعترض علينا بمن هبّوا يوم هلك الصليبي يوحنا بولس الثاني؛ فسارع بالثناء عليه، وذكر مناقبه، وما رأيناهم ولا سمعنا أصواتهم يوم أن استشهد العالم المجاهد أبو أنس الشَّامي! (ولكنّ حمزة لا بواكي له)!

وأما أهل العلم الصادعون بالحق، الجاهرون بالصدق؛ فهؤلاء كممت أفواههم، وأُسكتت أقلامهم، وباتوا في البلاد مطاردين، وعن أهلهم مشردين، وأضحى جُلّهم في سجون الطواغيت قابعين!

فرحماك ربي رحماك!

فرحماك ربي رحماك!

أين أهل العلم المجاهدون! بِتّ لا أراهم إلا في كتاب، أو تحت تراب!

---

[١] أحكام القرآن، (ج٢/ص٥١٧).

[٢] انظر: شيراك يؤيد حظر الحجاب في المدارس الحكومية بفرنسا، الجزيرة نت، ١٧ ديسمبر ٢٠٠٣.

[٣] القائل المرتد طنطاوي تيس الأزهر.

ثم إننا نقول إن القاعدة المستقرة عند أهل العلم: (اعرف الحق تعرف رجاله، ولا يُعرف الحق بالرجال)[1].

فعندما دخل التتار أرض بغداد، وقتلوا من قتلوا من المسلمين: لم نسمع أنه وقف في وجههم إلا ابن تيمية -رحمه الله-، مع وجود العلماء والدعاة وأصحاب الحكمة المزعومة وفقه الواقع الذين وقفوا في وجه ابن تيمية، وفتنة خلق القرآن لم يقف في وجه أصحابها إلا الإمام أحمد بن حنبل، مع وجود جهابذة العلماء كابن معين وعلي بن المديني وغيرهما، فهل كان أحمد بن حنبل صاحب فتنة!

وإن رغِمَتْ أنوفٌ من أناسٍ *** فَقُلْ: يا ربِّ لا تُرغِمْ سواها[2]

واعلمي يا أمتي؛ أنه لولا الله ثم وقوف هذه الفئة المجاهدة سدًّا منيعًا بوجه هؤلاء الصليبيين وأعوانهم من الروافض الحاقدين: لَما رأيتِ حال أهل السنة في العراق كما ترينه اليوم؛ فنحن نعتقد أننا طليعة الأمة، وخط دفاعها الأول، ورأس حربتها أمام هذا الزحف الصليبي؛ فالعمل على وقف هذا الزحف لجيوش التتار المعاصرين على أبواب بغداد هو خير للأمة جمعاء، ولو تخلل ذلك حصول بعض المفاسد الصغرى، فوالله إن خبت جذوة الجهاد في العراق: فسترى الأمة بأسرها ما سيحل بها من ويلات ونكبات!

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا *** وَعَلَى الغَانِيَاتِ جَرُّ الذُيُولِ[3]

اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، مجري السحاب؛ اهزم الأحزاب وانصرنا عليهم، اللهم اهزمهم وزلزلهم، اللهم اهزمهم وزلزلهم، اللهم اهزمهم وزلزلهم.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}،

والحمد لله رب العالمين.

---

[1] انظر: جامع المسائل، ابن تيمية، (ج٧/ص٤٦٦). الدرر السنية، (ج١٠/ص٣٩٥-٣٩٦). الموسوعة العقيدة، القاعدة الخامسة، (ج١/ص١٢٣).

[2] أبيات من قصيدة لأبي الحسن المقرئ. انظر: بهجة المحافل وبغية الأماثل، العامري الحرضي، (ج٢/ص٤١٠).

[3] بيت من قصيدة لعمر بن أبي ربيعة. انظر: الكامل، المبرد (ج٣/ ص١٨٠). ونُسِبَ البيتُ لعبد الرّحمن بن حسّان بن ثابت في التمهيد (ج٢٤/ص ١٤٩)، ولا يوجد في ديوانه.

الكلمة السابعة: رِسَالَةٌ مِن جُندِيٍّ إلى أَمِيرِهِ [صوتية]

٢٢ ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ || ٣٠ مايو ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

من جنديٍ واقفٍ على خط النار، من **أبي مصعب الزرقاوي**،

إلى أميره المفضال **أبي عبد الله أسامة بن لادن**، أقرَّ الله عينيه بِنعَمِه وأَسبَغَ عليه جَزيلَ كرمِه.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أمَّا بعد:

فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو.

لئن عَظُمَ اشْتِيَاقٌ منْك نَحْوِي *** ففي قَلْبِي منَ الأَشْوَاقِ نَارُ
وعَلَّ اللهَ يَجْمعُ بعْدَ بيْنٍ *** لنا شَمْلًا ويقْتَربُ المَزَارُ[١]

ويعلم الله يا شيخنا أننا لسنا مختارين للبعد عنكم، ولو حملتنا الطيور لسرنا إليكم، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يعيد إلينا أنس الاجتماع معكم وأن يذيقنا حلاوة اللقاء بكم.

أميرنا الغالي؛ نحن على يقين أنكم تتطلعون بلهفة وشغف لمعرفة أخبارنا، والاطمئنان على أحوالنا، جريًا منكم على سنة أئمتنا وقادتنا من السلف الصالح؛ فقد كان عمر -رضي الله عنه- إذا أرسل بعثًا يذهب كل يوم إلى أطراف المدينة يستطلع أخبار الجيش، ينظر خبرهم كصيحة الحبلى، فنؤكد لكم أننا على درب الجهاد سائرون وعلى العهد ماضون، نسترخص في ذلك الغالي والنفيس، حتى يظهر الله دينه ويعلي كلمته أو نهلك دونه، ولقد عزمنا أمرنا، وحسمنا خيارنا، ورفعنا راية

[١] أبيات أبي المجد مُحَمَّد بن عَبْد الله بن سُلَيمان. انظر: كتاب بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، (ج٤/ص١٢٨).

الجهاد، وسللنا سيوفنا الحداد، وأعلينا لواء الكفاح، واتخذنا الأسنة، ورماح مركب نبحر فيه إلى العز والتمكين؛ إيمانًا منا بأن صهيل الخيول وصليل السيوف هما مفتاح النصر وسبيل الظفر.

أظنه قد تناهى إلى أسماعكم الخبر الذي تتناقله وسائل الإعلام، وحارت به العقول والأفهام، والذي مفاده أنني قد أصبت بجراح بليغة عولجت على إثرها في مستشفى الرمادي؛ فأحب أن أطمئنك وأطمئن المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بأن هذا كله محض إشاعات، لا أساس لها من الصحة، وإنما هي جراح خفيفة كما ذكر الإخوة في القسم الإعلامي، وإني الآن بحمد الله أتقلب بنعم الله الوافرة، بين إخواني وأهلي في أرض الرافدين، وأباشر معهم مقارعة الصليبيين ومنازلة أعداء الملة والدين.

أميرنا الحبيب؛ يخط لك اليراع هذه الكلمات، وجنودك يسطرون بفضل الله أروع الصور في الفداء والتضحيات، والذود عن حياض هذا الدين، والذب عن أعراض المسلمين في مدينة القائم، أقام الله فيها شريعته، القائم وما أدراك ما القائم! أرض النزال وساحة الرجال؛ فقد تهاوت فيها أسطورة المارينز، وسقط قناع الزيف، وأثبت فرسان الإسلام وشباب محمد ﷺ أنهم بواسل في الميدان، أسود عند اللقاء، من مهاجرين وأنصار، فها هي أهدافهم الصليبية قد تلاشت على أسوار القائم، فبعد عشرة أيام من المعارك الشرسة والمتواصلة مكن الله لأبنائك من رد عادية الصليبيين على أسوار المدينة، وتقهقرت جحافلهم خاسئة حسيرة، تلعق جراحها، ولقد كانت هذه المعركة من المعارك العظيمة في تاريخ الإسلام والمسلمين.

فإن الله أوقع الهزيمة بهم، وجعل الدبرة عليهم، بعد أن صرح كبير حملتهم الجنرال المسمى بشارب الخمر متبجحًا متحديًا الله سبحانه: (بأننا سنهزمهم ولو كان محمد ورب محمد معهم!)، وأنه سوف يشرب الخمر على إثر انتصارهم، حتى يسمع بهم العالم فلا يزال يهابهم، وإن مقولته هذه لتعيد إلى ذاكرتنا مقولة عدو الله أبي جهل يوم بدر حين قال: (والله لا نرجع [عن قتال محمد] حتى نَرِدَ بدرًا،

ونشرب فيها الخمور، وتعزف علينا القيان، حتى تسمع العرب بمخرجنا؛ فتهابنا آخر الأبد)[١]! فوَرد بدرًا هو وجنوده فكان فيها هلاكهم، بفضل الله سبحانه وتعالى، والله يعلم يا شيخنا بأننا استبشرنا بمقولة هذا الجنرال اللعين، وتيقنا بأن الله منجز وعده لنا، وناصرنا عليهم، سنة الله في كل من سولت له نفسه الطعن في هذا الدين والتجرؤ على رب العالمين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في الصارم المسلول: (ونظير هذا: ما حدثناه أعداد من المسلمين العدول أهل الفقه والخبرة: عما جربوه مرات متعددة في حصر الحصون والمدائن التي بالسواحل الشَّامية، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا قالوا: كنا نحن نحصر الحصن أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر، وهو ممتنع علينا، حتى نكاد نيأس منه، حتى إذا تعرض أهله لسب رسول الله ﷺ، والوقيعة في عرضه؛ فعجلنا فتحه وتيسر، ولم يكد يتأخر إلا يومًا أو يومين أو نحو ذلك، ثم يفتح المكان عنوة، ويكون فيهم ملحمةٌ عظيمةٌ، قالوا: حتى إن كنا لنتباشر بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه، مع امتلاء القلوب غيظًا عليهم بما قالوا فيه)[٢]. وقد وفق الله -سبحانه وتعالى- أحد أبنائك لقتل هذا الجنرال، فأصاب مروحيته التي كان يستقلها ويحتمي من ضربات المجاهدين بها، لتهوي به فتحرقه بنار الدُّنيا قبل نار الآخرة، فلله الحمد والمنة.

وقد أكرمنا الله -سبحانه وتعالى- فقطفنا رؤوسهم، ومزقنا أجسادهم، وأرقنا دماءَهم، ولَيَخرُجُنّ -بإذن الله- من بلاد المسلمين أذلة صاغرين، يلعقون جراحهم ويجرون أذيال هزيمتهم وخيبتهم. وقد صدق صاحب كتاب الحرب الأهلية الثانية[٣] (وهو من قدماء المحاربين الأمريكيين في فيتنام) حين قال: (إن أمريكا ولدت في الدماء، ورضعت الدماء، وأُثخنت بالدماء، وتعملقت على الدماء، ولسوف تغرق في الدماء)[٤]! ولئن كان يا شيخنا قد سرَّ كلب بني الأصفر بوش أسر أخينا أبي فرج الليبي، فلقد ساءه ما حل بجنوده بالقائم وباقي أرض الرافدين.

---

[١] ذكرها الزرقاوي بالمعنى. انظر: تفسير الطبري (ج١١/ص٢١٧-٢١٨).

[٢] (ص١١٧).

[٣] توماس شيتوم (Thomas Chittum).

[٤] الحرب الأهلية الثانية، (ص١)، (Civil War II: the coming breakup of America).

أميرنا الحبيب؛ إن العدو بتوفيق الله يسير كما رسم له، وإننا بفضل الله نوشك أن نحكم الخناق عليه، وإن سارت الخطة بأمر الله كما أُعِدّ لها؛ فإن نتائجها ستظهر لكل ذي عينين بما يسر كل مسلم ويسوء كل كافر ومنافق، وإني لأحسب أن الخطة المرسومة قد وصلتكم أو في طريقها إليكم، فالعدو اليوم يعيش أسوأ أيامه في أرض الرافدين، ولولا ما قدمه ويقدمه الروافض أحفاد ابن العلقمي وعلى رأسهم إمام الكفر والزندقة السيستاني لكان حال بني الأصفر غير ما ترى الأمة اليوم.

وهذا ما نبه عليه توماس فريدمان، الكاتب الأمريكي في جريدة نيويورك تايمز؛ حيث قال: (يمكن القول إن السيستاني -وفي أوجه عدة- لعب لصالح الرئيس بوش نفس الدور الذي لعبه مانديلا وغرباتشوف لصالح بوش الأب حينما كان رئيسًا؛ إذ بفضل أفكار وقيادة منديلا: تحققت لكم السلطة إلى الأغلبية السوداء في جنوب إفريقيا بطريقة سلمية، وهذا مما ساعد إدارة الأب وحلفاءَها على تحقيق العملية بشكل هادئ، كذلك كان إصرار غرباتشوف على تفكيك الاتحاد السوفيتي، وخصوصًا ألمانيا الشرقية بطريقة غير عنيفة، وهذا مما سهل هبوط الاتحاد السوفيتي هبوطًا ناعمًا فوق سطح الأرض، ومثلما هو الحال في العلاقات الدولية أو الرياضة؛ فإنه من الأفضل أن تكون محظوظًا على أن تكون جيدًا، وأن تكون محظوظًا أن يكون إلى جانبك مثل مانديلا وغرباتشوف والسيستاني، بصفتهم شركاء للوصول إلى اتفاق تاريخي عند مفترق تاريخي فاصل)، يضيف فريدمان قائلًا: (إن الشيء الذي قام به السيستاني والأكثر أهمية؛ هو منحه السياسة العربية تأويلًا شرعيًّا وبراغماتيًّا للإسلام، وستكون عملية الدمقرطة للعالم العربي طويلة وتمر فوق مطبات كثيرة، ولكن فرص النجاح تتحسن بشكلٍ هائلٍ حينما يكون لدينا شركاء من داخل المنطقة يتمتعون بالشرعية، ولديهم حس تقدمي، وهذا ما يتوفر في السيستاني، لقد ظل الحظ رفيقنا ببقاء آية الله حيًّا -يبلغ من العمر ٧٥ سنة-، ويقيم في منزله الصغير بزقاق ضيق في النجف، كيف يمكن لرجل بهذا الحس وبهذه الحكمة، أن يظهر من وسط حطام العراق الذي سببه صدام؟ لن أعرف ذلك أبدًا، لكن كل ما أستطيع قوله هو: أنني آمل أن يعيش حتى سن ١٢٠ عامًا، وآمل أن يحصل هذا الرجل على جائزة نوبل)[١].

---

١ مقالة (جائزة نوبل للسيستاني)، ١٩ مارس ٢٠٠٥. (A Nobel for Sistani).

ولقد راع هؤلاء العبيد الخونة من الرَّافِضَة والبشمركة ما رأوا من حال سيدهم ومعبودهم، وكونه أضحى مهانًا حسيرًا كسيرًا فعزموا عزمة العبيد لاستنقاذه وإخراجه من المستنقع الذي غرق فيه، وليس أدل على ذلك من قول رئيس الأركان الأمريكي ريتشارد مايرز: (إن الحرب على العراق قد بددت القوة العسكرية الأمريكية، وإن أي حرب جديدة سوف تستغرق وقتًا أطول، وتحتاج إلى مواد إضافية)[١]، ولقد صرح أحد ضباط الجيش الأمريكي[٢] في المنطقة الخضراء لأحد المراسلين[٣] قائلًا: (لقد كسر أولئك الصعاليك هيبة الجيش الأمريكي الذي ما تجرأ جيش من جيوش العالم على كسرها، أحمد الرب أننا بالأموال الطائلة نجند الشباب غير الأمريكيين للقتال في العراق، وهو سر استمرارنا في العراق، ولكن ما أخشاه أن يأتي يومٌ علينا لا نجد من نجنده بالملايين من الدولارات).

ثم يخرج علينا عدو الله الصهيو-أمريكي (جلال طالباني)؛ يزعم أن الجهاد في العراق أصبح معزولًا وضعيفًا، هذا الدعي صاحب المقولة المشهورة: (لقد جاءنا محمد بالقرآن على الجمال، واليوم لا يوجد عندنا جمال؛ فسنرجع هذه المصاحف إلى مكة على الدواب والحمير)[٤]! وإني لأتحدى هذا الأفاك الأثيم إن كان رجلًا! أن يخرج من جحره بجولة تفقدية في أحياء بغداد أو الموصل أو الأنبار؛ حتى يعلم القاصي والداني من هو الضعيف المعزول، ولكنه والله زمان الرويبضة، زمان التافه الذي يتكلم بأمر العامة.

يَسوسونَ الأُمورَ بِغَيرِ عَقلٍ *** فَيَنفُذُ أَمرُهُم وَيُقالُ: ساسَه[٥]!

أميرنا الكريم؛ فداك أبي وأمي، لا أجد خيرًا من هذا الحديث أختم به هذه الرسالة؛ صح عند مسلم: أن عتبة بن غزوان -رضي الله عنه- خطب في الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصَرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الْإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَى دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيْرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ؛ فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ

---

[١] انظر: U.S. military report: Wars straining U.S. power، موقع NBC News، الثالث من مايو ٢٠٠٥.

[٢] يقال إنه الملازم جون هاستن، ولم أجد له أثرًا في المصادر الإنجليزية.

[٣] يقال إنه مراسل مستقل يتبع موقع (مفكرة الإسلام).

[٤] قد يكون الأمير نقلها من الإخوة الأكراد عن هذا الطاغوت.

[٥] أبيات للشاعر أبي العلاء المعري.

الْحَجَرَ يُلْقَى مِنْ شَفَةِ جَهَنَّمَ، فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَوَاللَّهِ لَتُمْلَأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ! وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّى قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالْتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَى مِصْرٍ مِنْ الْأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا، وَعِنْدَ اللَّهِ صَغِيرًا).

وإننا على يقين بأن الله كما هيأ للأمة في محنتها بعد موت النبي ﷺ؛ يوم أن ارتدت الأمة بأسرها ولم يبقَ إلا مكة والمدينة، حتى استوحش المسلمون وهاب الصالحون، ونجم قرن الكافرين والمنافقين، وبدأت باللمعان سيوفهم، فهيأ الله لها الجبل الأشم الصديق رضوان الله عليه؛ فجيّش الجيوش لمحاربة المرتدين، وأنفذ بعث أسامة لمحاربة بني الأصفر أعداء الملة والدين، ذلك البعث الذي خرج في أحلك الظروف وأصعبها، فكان أعظم الجيوش بركة، وأيمنها نقيبة، فإن الذي بعث ذلك الجيش في ذلك الظرف العصيب قادر على أن ينفذ هذا البعث.

اللهم أنفذ بعث أسامة.

نسأل الله تعالى أن يحفظك ويمد في عمرك، ويجعلك شوكة في حلوق أعدائه، وأن يختم لك بالشهادة ونحن بانتظار توجيهاتكم وأوامركم، واسلم لأخيك الصغير.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}،

والحمد لله رب العالمين.

ليلة الجمعة، ١٩ من ربيع الأول لعام ١٤٢٦هـ.

الكلمة الثامنة: أَيَنْقُصُ الدِّينُ وَأَنَا حَيٌّ؟! [صوتية]

١ جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ || ٧ يوليو ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى خلق العباد وهم في درجات الهمة متفاوتون؛ فمنهم من ترقى به همته لتبلغ به عنان السماء، ومنهم من تقصر به همته حتى تخلد به إلى الأرض.

فَيَحِنُّ ذاك لأرضه بِتَسَفُّلٍ *** وَيحِنُّ ذا لسمائهِ بتصعُّدِ[1]

فعالي الهمة يجود بالنفس والنفيس في سبيل تحصيل غايته وتحقيق بغيته، وكلما كانت النفوس أشرف والهمة أعلى: كان تعب البدن أوفر، وحظه من الراحة أقل.

فَتىً لا يَضُمُّ القَلبُ هِمّاتِ قَلبِهِ *** وَلَو ضَمَّها قَلبٌ لَما ضَمَّهُ صَدرُ[2]

إن عالي الهمة لا يستوحش من قلة السالكين، ولا يأبه بقلة الناجين، ولا يلتفت إلى كثرة المخذلين، ولا يكترث بمخالفة الناكبين، قلبه لا يعرف التثاؤب ولا الراحة ولا السكون ولا الترف.

وخسيس الهمة؛ كلما همَّ ليسمو للعوالي، وليرتقي في درجات المعالي: ختم الشيطان على قلبه، وعقد على ناصيته، وقال له: عليك ليل طويل فارقد!، وكلما سعى للارتقاء بهمته وإقالة عثرته: عاجلته جيوش التشويش والأماني، ونادته نفسه الأمارة بالسوء: أأنت أكبر أم الواقع؟! وحين ينتكس الإنسان يهوي إلى الدرك الذي لا يهوي إليه مخلوق قط، حين تصبح البهائم أرفع منه وأقوم، حين يرتكس مع هواه إلى درك لا تملك البهيمة أن ترتكس إليه، وإذا ماتت فيه الغيرة على نفسه وعلى المحارم يصبح أسفل من البهائم!

---

[1] ذكر هذا البيت محمد بن إسماعيل المقدم في كتاب علو الهمة، (ص٤٥).

[2] بيت لقصيدة (أطاعن خيلًا من فوارسها الدهر)، الشاعر المتنبي. ديوان المتنبي (ص١٧٦).

ولا يُقيم على ضيمٍ يُراد به *** إلَّا الأذلانِ عَيْرُ الحيِّ والوَتَدُ
هذا على [الحبل] مربوطٌ برُمَّتِه *** وذا يُشجُّ فلا يَرثِي له أحدُ[1]

ولقد حاز سلفنا الصالح قصب السبق في علو الهمة وسمو المراد، وقد ضربوا لهم في كل باب من أبواب هذا الدين بسهم، وأخذوا من كل فضل بنصيب؛ ففي العبادة: لا تراهم إلا راكعين ساجدين، خاشعين باكين مخبتين، وفي سبيل طلب العلم: فارقوا الأهل والأولاد، وتنقلوا في البلاد، وهجروا لذيذ الرقاد، وأنفقوا الطارف والتلاد، وفي الإنفاق: أنفقوا إنفاق من لا يخشى الفقر في دنياه، ويبتغي رضا مولاه، وأما في الجهاد؛ فالحديث ذو شجون، فإنهم لما عاينوا أن له فضلًا لا يضاهى، وخيرًا لا يتناهى: سمت نفوسهم إليه، وعلت هممهم لتحصيله، فشمروا للجهاد عن ساق الاجتهاد، ونفروا لمحاربة أهل الكفر والعناد، فجهزوا جيوشهم وسراياهم، وبذلوا في سبيل ذلك أموالهم وعطاياهم، وباعوا نفوسهم لخالقها وباريها، فجازاهم بذلك من الجنان أعاليها.

وقد حفظ لنا تاريخنا كثيرًا من تلكم المواقف والقصص التي تدل على علو همة القوم وسمو مطلبهم؛ ففي محنة مانعي الزكاة: ادلهم الخطب واشتدت المحنة، والتبس الأمر حتى على كبار الصحابة، فوقف الصديق –رضي الله عنه– لها بالمرصاد، وقال: (وَاللَّهِ لا أُفَرِّقُ بَيْنَ الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ، وَلأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَهُمَا)، قال عمر –رضي الله عنه–: (فَقَاتَلْنَا مَعَهُ، فَرَأَيْنَا ذَلِكَ رَشَدًا)[2]، وعن أبي رجاء العطاردي قال: (أَتَيْتُ المدينةَ فإذا الناس يجتمعون، وإذَا فِي وَسَطِهِمْ رجلٌ يُقَبِّلُ رأسَ رَجُلٍ وهو يقول: أنا فداؤكَ، لولا أَنْتَ هَلَكْنَا، فَقُلْتُ: مَنِ الْمُقَبِّلُ ومنِ الْمقَبَّلُ؟ قال: ذَاك عُمَر بن الخطَّاب يُقَبِّلُ رَأْس أَبِي بكر فِي قِتَالِ أَهْلِ الرِّدةِ الذين مَنَعُوا الزَّكَاة)[3]، وعن أم المؤمنين عائشة –رضي الله عنها– قالت: (تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَنَزَلَ بِأَبِي بَكْرٍ مَا لَوْ نَزَلَ بِالْجِبَالِ لَهَاضَهَا؛ اشْرَأَبَّ النِّفَاقُ بِالْمَدِينَةِ، وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ، فوالله مَا اخْتَلَفُوا فِي نُقْطَةٍ إِلَّا طَارَ أَبِي بِحَظِّهَا وَفَنَائِهَا فِي الْإِسْلَامِ)[4].

---

[1] بيتان للشاعر الجاهلي المتلمس الضُّبَعي. انظر: ديوان المتلمس (ص٢٠٨-٢١٠). هنالك اختلاف بين رواة البيت في بعض ألفاظه.

[2] رواه أحمد والنسائي بهذا اللفظ، (إسناده صحيح) وقال ابن حجر: موقوف. وروى بنحوه البخاري ومسلم والتِّرْمِذِيُّ وأبو داود، وابن حبان، وغيرهم.

[3] رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق، (ج٤٣/ص٥٠٢).

[4] رواه ابن أبي شيبة، وروى أحمد بنحوه في فضائل الصحابة (ج١/ص١٩٩). والطبراني في الأوسط والصغير، وأبو نعيم في معرفة الصحابة.

يومها وقف الصديق –فداه أبي وأمي– كالجبل الأشم سدًّا منيعًا أمام تيار الردة، صارخًا من أعماق قلبه متوكلًا على ربه قائلًا: (إِنَّهُ قَدِ انْقَطَعَ الْوَحْيُ وَتَمَّ الدِّينُ، أَيَنْقُصُ وَأَنا حَيٌّ؟!)[1].

(أينقص الدين وأنا حي؟!)، يا لها من كلمة فاض بها لسانه، ونطق بها جنانه! كلمة ترسم منهجًا واضحًا لما يجب أن يكون عليه كل فرد من أفراد هذه الأمة؛ علو في الهمة، قوة في التوكل، ثبات على الحق! (أينقص الدين وأنا حي؟!)، قالها لسان حال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل الشيباني (الصديق الثاني)، يوم أن وقف وحده كالطود الأشم في محنة خلق القرآن، فكشف الله به الغمة، وأنقذ به الأمة! (أينقص الدين وأنا حي؟!)، تمثلها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– يوم أن قام يحرض الأمة على قتال التتار، وكان رحمه الله لصدق توكله على الله ويقينه بموعوده؛ يقسم بالله –لا يستثني– أن الله ناصرهم على التتار، فيقال له: (قل إن شاء الله!)، فيقول: (إن شاء الله تحقيقًا، لا تعليقًا)[2]، فرد الله عاديتهم وانقلبوا على أعقابهم خاسرين! (أينقص الدين وأنا حي؟!)، صرخ بها قلب شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، فكان يطوف كالوالدة الثكلى بين البلاد، وعيناه تذرفان بالدموع ينادي: يا للإسلام! يا للإسلام!

إن الأحزان والمصائب تشحذ الهمم وتصنع الرجال، فإن لم تحفزنا المصائب وتعلِ هممنا الآلام والأحزان؛ فما الذي يُعلينا؟! وما الذي يوقظنا؟! يا له من دين، لو أن لهُ رجالًا؟!

ها قد دنس عُبّاد الصليب كتاب ربنا وألقوه في مراحيضهم، وفق مخطط محكم لتحطيم هيبة كل ما هو مقدس في نفوس أبناء هذه الأمة! وها قد تجرأ إخوان القردة والخنازير وعُبّاد البقر الهندوس ففعلوا مثل فعلهم!

---

[1] ذكره التبريزي في مشكاة المصابيح (ج٣/ص١٧٠٠) وابن الأثير في جامع الأصول (ج٨/ص٦٠٥) عن عمر دون سند. وعزاه محب الدين الطبري في الرياض النضرة إلى النسائي؛ ولم أجده عنده. وقال ابن حجر: وصله البيهقي في الدلائل.
[2] رواها ابن القيم في مدارج السالكين (ج٣/ص٣١٠).

وا حسرتاه على أمتي! إن لم يقم أبناؤها للثأر لكتاب ربهم؛ فمتى يقومون؟! ومتى يستيقظون؟! إن لم تحركهم أمثال هذه الخطوب والمصائب فما الذي يحركهم؟! يوشك أن تنزل علينا حجارة من السماء، نستنزل النصر من ربنا، وما غِرْنا على كتابه وحرماته!

إن عُبّاد الصليب قد صالوا على ديارنا، واستباحوا حرماتنا، وهتكوا أعراضنا، ونهبوا ثرواتنا، في أكبر حملة صليبية عرفها تاريخنا المعاصر، فما الذي ينتظره أبناء هذه الأمة؟! ومتى يهبون من سباتهم؟!

واحسرتاه! كيف انحطت بهم هممهم إلا من رحم ربي؛ فرضوا بالقعود عن نصرة هذا الدين والذب عن أعراض المسلمين؟ يا له من حرمان! ويا لها من خسارة! قوم قامت سوق الشهادة بأرضهم، وأناخت ركابها ببابهم، وهم ما زالوا في سباتهم نائمين، وفي لهوهم سامدين.

ولكن اقتضت سنة الله: أن يكون له عباد يصطفيهم على مر السنين لحمل راية هذا الدين وتبليغها للعالمين؛ قال ﷺ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ"[١]، فانطلقت صيحات النفير من ها هنا وها هنا: (يا خيل الله اركبي! ويا راية الله ارتفعي! ويا حملة الراية قوموا!)، فاستجاب من استجاب من أبناء هذه الأمة؛ استجابوا للنداء، وهبوا للنفير، ونفضوا عنهم غبار الذل وركام العار، هبّوا مخلفين الدُّنيا وزينتها وراءهم، نفروا تاركين خلفهم أهلهم وديارهم وأموالهم، ولكل واحد منهم قصة، ولكل فرد منهم مأساة، شُعثٌ شعورهم، غُبرٌ رؤوسهم، قليلة أعدادهم، ضعيفة عُددهم، لكن قلوبهم ممتلئة بمحبة لهذا الدين، ونفوسهم تواقة لجوار رب العالمين، صدقوا مع الله فصدقهم، فأذاقوا عُبّاد الصليب ألوان الهزيمة، وأصناف العذاب، وحطموا هيبتهم، وكسروا شوكتهم، وأجرى الله على أيديهم من الكرامات ما لم يعد يخفى على كل ذي عينين، ولما رأى بنو الأصفر حجم المأزق الذي تورطوا فيه، وعِظم خسائرهم وضحاياهم: سارعوا لتشكيل قوات الجيش والحرس الوثني، لتكون الردء الحامي للصليبيين، واليد الضاربة على المجاهدين، فقامت سوق الابتلاء والتمحيص من جديد، فاستجاب لندائهم من خست به همته وباع دينه بآخرته، فكان حكم المجاهدين فيهم واضحًا بيّنًا لا لبس فيه؛ وهو وجوب قتالهم

---

[١] متفق عليه. ورواه أحمد ومسلم بلفظ: "وَهُمْ ظَاهِرُونَ عَلَى النَّاسِ".

وجهادهم لارتدادهم عن الدين وموالاتهم للصليبيين، والتبس أمر هؤلاء على بعض من يوصفون بـ(العلماء) فضلًا عن غيرهم من العامة الدهماء، فأصدروا فتاويهم بعدم جواز قتال هؤلاء، حفاظًا على حرمة (الدم العراقي) وعصمة أهله!

وهذه والله أزمة حقيقية تعيشها كثيرٌ من الجماعات العاملة للإسلام في هذا الزمان؛ ألا وهي: (أزمة التفريق بين العدو الخارجي والعدو الداخلي)؛ فالعدو الخارجي تُستنهض الأمة لقتاله، وتُستنفذ الطاقات في جهاده، حتى إذا ما خرج من بلادنا وأناب عنه المرتدون من بني جلدتنا؛ يأتمرون بأمره، ويحكمون بحكمه، ويضربون بسوطه: حرُم على الأمة قتالهم وجهادهم، ولو اشتد بلاؤهم! فإذا كان العدو ذا بشرة شقراء، وعيون زرقاء: وجب قتاله، أما إن كان العدو أسمر البشرة أسود العينين؛ فهذا لا يحل قتاله! فهذا لعمر الله قتال الوطنيين، لا قتال الموحدين، وقتال من يريد العاجلة، لا من يروم الآخرة، {أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ} [القمر: ٤٣]؟! هؤلاء المرتدون لم ينشئوا جيوشهم أصلًا إلا لمحاربة دين الله سبحانه وتعالى، ولتكون اليد الضاربة التي تبطش بالمخلصين من أبناء هذه الأمة، ولا أدل على ذلك من عملياتهم المتواصلة في إبادة أهل السنة -كعملية البرق والرمح والخنجر والسيف وغيرها-، هذه الجيوش لا نسمع حسيسها إلا في قتال أهل الإيمان وعساكر الرحمن؛ فهذه صولاتهم في باكستان على المجاهدين العرب والأفغان، وفي الأردن على الأخيار من أهل معان، وفي الرياض والقصيم ومكة على أهل التوحيد الحق، ثم هم من بعد سلمٌ للكفار مداهنون للفجار.

ونحن نُعلِن: أن الجيش العراقي هو جيش ردة وعمالة، والى الصليبيين، وجاء لهدم الإسلام وحرب المسلمين، وسنحاربه حرب الأمة للتتار، الذين أجلبوا على الأمة بخيلهم ورجلهم، وكانوا مع ذلك يستعلنون بالشهادتين، وكان في جيشهم أئمة ومؤذنون، وفيهم مصلون وصائمون؛ حتى اشتبه أمرهم على الناس، وتحير فيهم العلماء، فكيف يقاتلونهم وهم منتسبون للأمة ناطقون بالشهادتين؟! حتى قيض الله لهذه المحنة شمسًا من شموس هذه الأمة ومنارة من مناراتها: شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-؛ فأفتى بردتهم، ووجوب محاربتهم؛ لتنكبهم عن تحكيم شريعة الرحمن، وعدولهم عن حكم القرآن إلى حكم (الياسق) الذي وضعه لهم جنكيز خان، والذي جمعه لهم من أحكام التوراة والإنجيل

والقرآن وعادات التتار، تمامًا كما هو حال دساتير الأنظمة العربية هذه الأيام. ومما قاله شيخ الإسلام: ([إن] هؤلاء القوم المسؤول عنهم عسكرهم مشتملٌ على قومٍ كفَّارٍ من النَّصارى والمشركين، وعلى قومٍ منتسبين إلى الإسلام –وهم جمهور العسكر–، ينطقون بالشَّهادتين إذا طلبت منهم، ويعظِّمون الرسول، وليس فيهم من يُصلِّي إلا قليلًا جدًّا، وصوم رمضان أكثر فيهم من الصَّلاة، والمسلم عندهم أعظم من غيره، وللصَّالحين من المسلمين عندهم قدرٌ)[1]، إلى أن قال: (وقتالُ هذا الضَّرب واجبٌ بإجماع المسلمين، وما يشكُّ في ذلك من عرف دين الإسلام وعرف حقيقة أمرهم؛ فإنَّ هذا السِّلم الذي هم عليه ودين الإسلام؛ لا يجتمعان أبدًا)[2]، وقال: (وإذا كان السلفُ قد سمَّوا مانعي الزكاة مرتدِّين –مع كونهم يصومون ويصلون–، ولم يكونوا يقاتلون جماعة المسلمين؛ فكيف بمن صار مع أعداء الله ورسوله قاتلًا للمسلمين؟!)[3].

ونحن على يقين أننا بقتالنا لجيوش الردة سنواجه باستنكار وامتعاض شديدين من السّذج من أبناء هذه الأمة؛ إذ في قياسهم القاصر: كيف يقاتل المجاهد أخاه وابن عمه وابن عشيرته؟! وما درى هؤلاء أن النبي ﷺ إنما بدأ أولًا بقتال من وقف حجر عثرة في طريق هذا الدين من قومه، قبل أن يجالد بني الأصفر، وعلى سنته جرى الصحابة رضي الله عنهم؛ فهذا أبو عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم أحد، ومصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، وعمر بن الخطاب قتل خاله العاص بن هشام يوم بدر، وعلي وحمزة وعبيدة بن الحارث قتلوا يوم بدر عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة؛ وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢]، فهذا دربهم وهذه سنتهم لمن أراد اقتفاءَها.

وخرج بعضهم بتقسيم لم يسبق إليه للجهاد في العراق؛ فيقول: (إن المقاومة –وهذا مع تحفظنا على هذه الكلمة– تنقسم إلى قسمين: مقاومة شريفة؛ هي التي تقاوم الكافر المحتل، ومقاومة غير

---

[1] مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص٥٠٤-٥٠٥).
[2] المرجع السابق، (ص٥٠٦).
[3] المرجع السابق، (ص٥٣٠-٥٣١).

شريفة؛ التي تقاتل العراقيين أيًّا كانوا)؛ فنقول لهؤلاء: إن الذي نعرفه من ديننا أن النبي ﷺ قال: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[1]، إن المقاومة الشريفة هي التي تقاتل على أمر الله، {حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه} [الأنفال: ٣٩]، لا المقاومة التي تشترط لوقف قتالها جدولة انسحاب العدو الخارجي، حتى إذا نصّب بعده حكومة عميلة، تحكم بغير شرع الله، وتوالي أعداءه، وتعادي أولياءه: انطوينا تحت لوائها وكأن شيئًا لم يكن! إن المقاومة الشريفة هي التي تضحي بدماء أبنائها، وتبذل الغالي والنفيس، وتتعرض لشتى صنوف الابتلاء، وحاديها في ذلك: (اللهم خُذ من دمائنا اليوم حتى ترضى، اللهم من حواصل الطير وبطون السباع[2])، لا المقاومة التي تؤثر السلامة، وتقاتل على مبدأ تحقيق مصالح ذاتية، وتتخذ من عملياتها أوراق ضغط على العدو المحتل لتحسين أوضاعها، وإتاحة الفرصة لها بشكل أكبر في المشاركة في الحياة السياسية، إن المقاومة الشريفة هي التي خَلُص توحيدها لله، فوالت من والاه الله ورسوله ولو كان من أبعد الناس، وعادت من عاداه الله ورسوله ولو كان من أقرب الناس.

[إن] يفترق نسبٌ يؤلف بيننا *** [دينٌ] أقمناه مقام الوالد[3]

قال رجل من المسلمين لخالد بن سعيد -رضي الله عنه-، وقد كان تهيأ للخروج مع أبي عبيدة: (لو كنت خرجت مع ابن عمك يزيد بن أبي سفيان، كان أمثل من خروجك مع غيره!)، فقال: (ابن عمي أحب إليّ من هذا في قرابته، وهذا أحب إليّ من ابن عمي في دينه؛ هذا كان أخي في ديني على عهد الرسول ﷺ، ووليي وناصري على ابن عمي قبل اليوم؛ فأنا به أشد استئناسًا، وإليه أشد طمأنينة)[4].

إن المقاومة الشريفة هي التي تجعل من جهادها جهادًا عالميًّا غير مرتبط بلونٍ أو عرقٍ أو أرض، فالمؤمنون أمةٌ واحدة تتكافأ دماؤهم وهم يدٌ على من سواهم، {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ} [التوبة: ٧١]، {وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ

---

[1] متفق عليه.

[2] انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ج٧/ص٦٢).

[3] بيت من قصيدة (هي فرقة من صاحب لك ماجد)، الشاعر أبو تمام، بتصرف من الزرقاوي.

[4] رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق بنحوه (ج٤١/ص١٣٨). وذكرها أبو الربيع الكلاعي في الاكتفاء بلفظه (ج٢/ص١٧٧).

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [الأنفال: ٧٢]، لا المقاومة المزعومة التي تجعل من حدود (سايكس وبيكو) منطلقًا لأهدافها وجهادها، كان أبو الدرداء -رضي الله عنه- بدمشق، وسلمان -رضي الله عنه- بالعراق، فكتب أبو الدرداء إلى سلمان: (أَنْ هَلُمَّ إِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ)، فكتب إليه سلمان: (إِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ أَحَدًا، وَإِنَّمَا يُقَدِّسُ الْإِنْسَانَ عَمَلُهُ)[١]، إن المقاومة الشريفة هي التي إن أصابها قروح وجراحات، ونقص في الكوادر والمعدات: نهضت وتحاملت على نفسها وتوكلت على ربها، ولم تفزع إلا إليه، كما فعل النبي ﷺ وأصحابه يوم حمراء الأسد، لا المقاومة التي إذا ما أصابها فاجعة أو ابتلاء: استوحشت الطريق، وفزعت إلى من يمد لها يد العون في طريقها، حتى ولو كان ممن يُحادّ الله ورسوله! إن المقاومة الشريفة هي صاحبة أهداف نبيلة سامية، ومقاصد شرعية عظيمة؛ ولذلك فإن وسائلها كلها شرعية على هدي الكتاب والسنة، لا المقاومة التي عندها الغاية تبرر الوسيلة، فلا حرج عندها في التحالف والتعاون مع من حادّ الله ورسوله في سبيل تحقيق بعض المصالح والأغراض! إن الذين يُقال عنهم بأنهم من غير المقاومة الشريفة: هم الذين يجاهدون في سبيل الله منذ ما يزيد على العامين، وقد ضحوا بأغلى ما عندهم من أجل رفعة هذا الدين، فقد قدموا علماءَهم وقادتهم وكوادرهم.

فعلى أكتاف من قامت معارك القائم؟!

ودماء من سالت في الرمادي والفلوجة وحديثة؟!

وأعناق من دُقت في تلعفر والموصل؟!

وأرواح من أزهقت في معارك بغداد وديالى وسامراء؟!

فهل قام بكل هذا إلا أبناء تنظيم القاعدة من مهاجرين وأنصار وغيرهم من المجاهدين الصادقين، أصحاب المنهج الصافي، الذين آلوا على أنفسهم ألا يتركوا السلاح وفيهم عينٌ تطرف وعرقٌ ينبض؟!

---

[١] رواه مالك في الموطأ عن يحيى بن سعيد. ورواها مطولة ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج١/ص١٥٠).

ومما يزيد القلب حسرةً وألمًا: ما آل إليه حال بعض أهل العلم ممن نحسبهم من الصادقين المحبين للجهاد وأهله؛ فقد بعث إلي بعضهم يشيرون علي بعدم الاستماتة بالقتال في العراق، وعدم حشد طاقات الأمة في هذه المعركة! ويعلم الله كم أصابني من الهم والحزن من مقالتهم، أهذا ما وصلت له أمتنا؟! أهذا ما جادت به قريحة علمائنا؟! إلى متى يبقى أهل العلم معرضين عن ساحات الجهاد؟! يُصدرون أحكامهم ويوجهون نصائحهم بعيدين عن الواقع الذي تعيشه الأمة؟! فإنه لا بد لصواب الحكم؛ من علم بالشرع وخبرة بالواقع. يقول سيد -رحمه الله-: (إن فقه هذا الدين لا ينبثق إلا في أرض الحركة، ولا يؤخذ عن فقيه قاعد حيث تجب الحركة، والذين يعكفون على الكتب والأوراق في هذا الزمان لكي يستنبطوا منها أحكامًا فقهية، يجددون بها الفقه الإسلامي أو يطورونه، وهم بعيدون عن الحركة التي تستهدف تحرير الناس من العبودية للعباد، وردهم إلى العبودية لله وحده، بتحكيم شريعة الله وحدها وطرد شرائع الطواغيت: هؤلاء لا يفقهون طبيعة هذا الدين، ومن ثم لا يحسنون صياغة فقه هذا الدين!)[1]. فلو أن جهادنا جهاد طلب واستعصت علينا بعض حصون بني الأصفر، مما يلحق الضرر بجيش المجاهدين؛ لَقلنا: إن في الأمر لسعة، ولكننا نقاتل لندفع عن أمتنا وعن ديننا أخطر عدو صال على ديار المسلمين في هذه العصور، فانتهكوا الحرمات واستباحوا الديار ونهبوا الثروات والخيرات، وامتلأت سجونهم بالمسلمين والمسلمات، بل وامتلأت أحشاء المسلمات بنطفهم القذرة!

إن الأمة طالما بقيت تجود بفلذات أكبادها وتريق من دماء أبنائها؛ ذودًا عن هذا الدين: فإن الأمة بخير، وإذا ضنت الأمة عن التضحية بدماء أبنائها في سبيل إعلاء كلمة الله: تكالبت عليها الأمم وسيمت الذل والهوان، وتسلط عليها أراذل الناس، فبقدر ما يتقدم المجاهدون في قتالهم مع عدوهم ويحققون انتصارات ملموسة: بقدر ما يرفع الظلم والضيم عن الأمة، والعكس بالعكس.

فمتى نستميت في الدفاع عن أعراض المسلمين والمسلمات؟!

أعندما يدخل عُبّاد الصليب إلى أرض الشّام؟!

[1] في ظلال القرآن، (ج٣/ص١٧٣٥).

أم إلى مكة والمدينة، وينتهكون أعراضنا؛ فعندها تكون الاستماتة في القتال؟!

فما بال أخواتنا نساء العراق من ذوات الخدور العفيفات الطاهرات، اللواتي يجأرن إلى الله في قعر زنازينهن من ظلم أعداء الله؟! والله يعلم أن ظفر امرأة من أهل السنة في العراق عامة وأهل الفلوجة خاصة: أحب إليّ من الدُّنيا وما فيها، فوالله لو أن تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين يفنى عن بكرة أبيه على أن تحرر النساء من سجون الصليبيين والروافض الحاقدين؛ لما ترددنا في ذلك لحظة واحدة! كيف والنبي ﷺ يقول: "فُكُّوا الْعَانِيَ"[1]؟! فكيف بالعانية الضعيفة؟! بل فكيف بالعانية التي ينتهك عرضها صباح مساء؟! يا حسرة على أمتنا! إن لم نستمت في هذه المواطن فقولوا لي بربكم: متى وأين نستميت؟!

قوافلُ تمضي بين أفواج رُضّعٍ *** وأحزانِ ثكلى أو تباريح أيّمِ
وبين صبايا يا لذل دموعها *** وأفواجِ أطفالٍ وأفواجِ يُتّمِ
قوافل تمضي وهي تسحب خطوها *** ذليلًا على شوك مدم وموضمِ
تكاد عيون الطفل تسأل: من أنا؟ *** إلى أين أمضي؟ يا فيافي تكلمي!
أتحملني دورُ النصارى وبيعةٌ *** وساحاتُ شركٍ أو منازلُ سوّمِ؟
لتُنزع مني فطرةٌ وطهارةٌ *** ويُغرس بي شركٌ وفتنة مأثمِ[2]!

هل يُعقل أن تكون خير أمة أخرجت للناس أقل غيرة وحمية لأسراها من اليهود؟! فقد قال القرطبي -رحمه الله-: (قال علماؤنا: كان الله قد أخذَ عليهم -أي اليهود- أربعةَ عهودٍ: تركُ القتالِ، وتركُ الإخراجِ، وتركُ المظاهرةِ، وفِداءُ أُساراهِمْ، فأعرضوا عن كُلِّ ما أُمروا به إلَّا الفِداء، فوبَّخهم الله على ذلك توبيخًا يُتلى؛ فقال: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ}، قلت -أي القرطبي-: ولَعَمْرُ اللهِ؛ لقد أعرضنا نحن عن الجميع بالفتن، فتظاهر بعضُنا على بعض! ليت بالمسلمين بل

[1] رواه البخاري وأبو داود وأحمد وابن حبان.
[2] أبيات لقصيدة حول الإبادة التي تعرض لها مسلمو البوسنة، الشاعر عدنان النحوي، ملحمة الغرباء، (ص ١٢٣).

بالكافرين! حتى تركنا إخواننا أذِلَّاء صاغرين يجري عليهم حكمُ المشركين! فلا حول ولا قوَّة إلَّا بالله العليِّ العظيم!)[1].

وبعضهم يريد منا أن نوقف جهادنا في أرض الرافدين، ويزعم أن الجهاد في العراق إنما هو قتال نكاية لا قتال تمكين، وأنه ثم من سيقطف ثمرة هذا الجهاد المبارك ويعتلي سدة الحكم على حساب دماء المجاهدين؛ فنقول: إن الله سبحانه وتعالى قد فرض على عباده اتباع أمره وتطبيق شرعه، ولم يتعبدهم بما غاب عنهم وخفي حاله عليهم، وإن الله سبحانه قد أمرنا بقتال الكفار؛ حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله، وهذا في جهاد الطلب، فما بالك في مثل حالنا؟ والعدو قد صال علينا، قال تعالى: {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا} [النساء: ٨٤]؛ قال الجصاص في أحكامه: (ومعلومٌ في اعتقاد جميعِ المسلمين: أنَّهُ إذا خاف أهل الثُّغور من العدوِّ، ولم تكُن فيهم مقاومةٌ لهم، فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريِّهم: أنَّ الفرض على كافَّة الأمَّة، أن ينفر إليهم من يكفُّ عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأمَّة؛ إذ ليس من قول أحدٍ من المسلمين إباحةُ القعود عنهم حتَّى يستبيحوا دماء المسلمين وسبي ذراريِّهم)[2]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وإذا دخل العدوُّ بلاد الإسلام؛ فلا ريب أنَّه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب؛ إذ بلادُ الإسلام كُلُّها بمنزلةِ البلدةِ الواحدةِ، وأنَّه يجب النَّفير إليه بلا إذنِ والدٍ ولا غريمٍ، ونصوصُ أحمد صريحةٌ بهذا)[3]، وقال أيضًا: (فالعدوُّ الصَّائلُ، الَّذي يُفسدُ الدِّين والدُّنيا: لا شيء أوجب بعد الإيمانِ من دفعه)[4]، فنحن مأمورون بدفع هذا العدو الصائل، بل ونعتقد بناء على ما سبق من كلام أئمتنا: أن الأمة آثمة في تخلفها وقعودها عن نصرة المجاهدين (علماؤها ودعاتها وعوامها)؛ فلو أن كل مسلم أخذ بمقتضى هذه الشبهة لما قامت للإسلام قائمة، وما رفعت للمسلمين راية، وهل يعني الأخذ بهذه المقالة سوى التثبيط عن القتال في سبيل الله وتعطيل الجهاد وإيقافه، وتسليم البلاد والعباد للصليبيين وأعوانهم من

[1] جامع أحكام القرآن، (ج٢/ص٢٤٢).
[2] أحكام القرآن، (ج٣/ص١٤٦-١٤٧).
[3] الفتاوى الكبرى، (ج٥/ص٥٣٩).
[4] المرجع السابق، (ص٥٣٨).

المرتدين ليفعلوا بهم ما يشاؤون؟! وهل القول بأن ثم من سيقطف الثمرة غير المجاهدين إلا رجم من الغيب وضرب من التخمين؟! ومتى كان قطف الثمرة دليلًا على صحة الفعل من عدمه؟! ففي الصحيحين عن خباب بن الأرت -رضي الله عنه- قال: (هاجرنا مع النَّبِيِّ ﷺ نُرِيدُ وجهَ اللهِ، فوقع أجرنا على الله، فمنَّا من مضى لم يأخذ من أجرهِ شيئًا؛ منهم مصعب بن عميرٍ، قُتل يوم أُحدٍ وترك نمرةً، فإذا غطَّينا رأسهُ بدت رِجلاهُ، وإذا غطَّينا رِجليهِ بدا رأسُهُ، فأمرنا النَّبِيُّ ﷺ أن نغطِّيَ رأسهُ ونجعلَ على رِجليهِ من الإذخرِ، ومنَّا منْ أينعتْ لهُ ثمرتُهُ فهو يَهذبُها)[١]، إن الذي نعرفه من دين الله: أننا أمرنا بامتثال أمره، والنفير خفافًا وثقالًا في سبيله، ثم النتائج مردها إلى الله سبحانه وتعالى وليس إلينا.

فعَلَيكَ بَذرُ الحَبِّ لا قَطفُ الجَنَى *** واللهُ لِلسَاعِين خَيرُ مُعِين[٢]

لقد تمالأت تحالفات الشر وقوى الكفر على المدينة، تريد استئصال شأفة المسلمين يوم الأحزاب، وأصاب المسلمين من الخوف ما أصابهم، حتى أن النبي ﷺ قال: "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟"[٣]، يكررها مرارًا ولا يجيبه أحد، وكان النبي ﷺ مع ذلك كله يبشر أصحابه بقصور الحيرة ومدائن كسرى، فيقول المنافقون: (ألا تَعْجَبون! يُحَدِّثُكم ويُمَنِّيكم ويَعِدُكم الباطلَ، يُخْبِرُكم أنه يُبْصِرُ مِن يثربَ قصورَ الحِيرةِ، ومدائنَ كِسْرَى، وأنها تُفْتَحُ لكم، وأنتم تَحْفِرون الخندقَ مِن الفَرَقِ، ولا تَسْتَطِيعون أن تَبْرُزوا؟!)[٤]، إن الواحد منا لا يمكنه أن يعيش معزولًا عن ماضي أسلافه، فتاريخنا المشرق قد حوى لنا مئات الحوادث الناصعة والصفحات المضيئة، التي نستمد منها -بعد الله تعالى- العون والثبات على ما نحن فيه، كما قال تعالى: {لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} [يوسف: ١١١].

---

[١] رواه البخاري، ومسلم بنحوه.

[٢] لا يُعلم قائلها، وهي جزء من قصيدة (هون عليك الأمر).

[٣] رواه مسلم.

[٤] رواه الطبري في تفسيره، (ج١٩/ص٤٢)، والبيهقي في الدلائل (ج٣/ص٤٢٠). من رواته كثير بن عبد الله، اختلاف في تجريحه بين المحدثين بين الوضع والتضعيف. وقال ابن كثير في البداية والنهاية (ج٦/ص٢٨): (حديث غريب).

وانطلاقًا من هذا: أحببت أن أذكر لأمتي قصة من قصص العز والإباء، وصورة من صور الفخر والكبرياء، علها تكون عونًا على نفض غبار الذل الذي تغشانا، وسبيلًا لرفع الضيم والعار الذي نزل بنا، مع مقارنة بسيطة في أحداثها ووقائعها ومواقف أصحابها مع واقع أمتي اليوم ومواقف أبنائها؛ ففي سنة ٤٦٣هـ[١]: (أقبل ملكُ الرُّوم أرمانوس في جحافل أمثال الجبال من الرُّوم والكُرج والفِرنج، وعُدَدٍ عَظيمةٍ وتجمُّلٍ هائلٍ، ومعه ٣٥ ألفًا من البطارقة، مع كل بطريقٍ ما بين ٢٠٠٠ فارسٍ إلى ٥٠٠ فارس، ومعه من الفرنج ٣٥ ألفًا، ومن الْغُزِّ الذين يكونون وراء القُسطنطينيَّة ١٥ ألفًا، ومعه ١٠٠ ألف نقَّابٍ وحفَّارٍ، و ١٠٠٠ روزجاري، ومعه ٤٠٠ عجلةٍ تحملُ النِّعال والمسامير، و ٢٠٠٠ عجلةٍ تحملُ السلاح والسُّروج والعرَّادات والمجانيق، منها منجنيق يمده ١٢٠٠ رجلٍ، ومن عزمه -قبَّحه الله تعالى- أن يجتثَّ الإسلام وأهله، وقد أقطع بطارقتهُ البلاد حتَّى بغداد)[٢].

أقول: ما أشبه الليلة بالبارحة! أليس هذا هو حال عُباد الصليب اليوم؟ عندما أتوا إلى العراق بكامل عددهم وعدتهم، ببارجاتهم وقاذفاتهم وطائراتهم ودباباتهم ومدرعاتهم، وبما يزيد على مائة وخمسين ألفًا من جنودهم، بمساندة أكثر من ثلاثين دولة من أمم الكفر والإلحاد، في أكبر حملة صليبية تشهدها البلاد، يرومون القضاء على الإسلام وأهله، تحت مسميات (القضاء على الإرهاب والقاعدة)، و(محاربة الأصولية المتشددة)، وغير ذلك مما عاد لا ينطلي إلا على من أعمى الله بصره وختم على قلبه.

(واستوصى نائبها بالخليفة خيرًا، فقال له: (ارفق بذلك الشَّيخ فإنَّه صاحبنا)، ثمَّ إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم: مالوا على الشَّام وأهله ميلةً واحدةً، فاستعادوه من أيدي المسلمين، واستنقذوه -فيما يزعمون- والقدر يقول: {لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الحجر: ٧٢])[٣].

قلت: ألم يكن هذا مخططهم عقب غزوهم لأرض الرافدين؟! أن يميلوا على الشَّام وأهله، بحجة إيوائها للبعثيين، وعدم منعها لتسلل المقاتلين، لولا أن الله تعالى ردّ كيدهم وأحبط مكرهم عبر

---

[١] جمع الزرقاوي الحادثة من عدة مراجع تاريخية.
[٢] البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٣/ص١٧٤).
[٣] المرجع السابق.

ضربات المجاهدين الصادقين، وهم ما زالوا على تنفيذ مخططهم حريصين، وفي سبيل تحقيقه سائرين، للتمكين لدولة إسرائيل من الفرات إلى النيل، ومن يدري؟ فالأيام حبالى، وإن غدًا لناظره لقريب.

(فالتقاه السُّلطانُ ألبُ أرسلانَ في جيشه وهم قريبٌ من ٢٠ ألفًا [...]، في يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة، وخاف [السلطان من كثرة جند ملك الروم][١])، (وكان الملك ألب أرسلان التركي سلطان العراق والعجم يومئذ، قد جمع وجوه مملكته، وقال: (قد علمتم ما نزل بالمسلمين، فما رأيكم؟)، قالوا: (رأينا لرأيك تبع، وهذه الجموع لا قبل لأحدٍ بها)، قال: (وأين المفر؟ لم يبق إلا الموت، فموتوا كرامًا أحسن)، قالوا: (أمَّا إذ سمحت بنفسك، فنفوسنا لك الفداء)، فعزموا على ملاقاتهم، وقال: (نلقاهم في أول بلادِي)، فخرج في ٢٠ ألفًا من الأمجاد الشجعان المنتخبين، فلما سار مرحلة عرض عسكره فوجدهم ١٥ ألفًا ورجعت خمسة، فلما سار مرحلة ثانية، عرض عسكره؛ فإذا هم ١٢ ألفًا، فلما واجههم عند الصباح رأى ما أذهل العقول وحيَّر الألباب، وكان المسلمون كالشَّامة البيضاء في الثور الأسود)[٢]، (ولما التقى الجمعان، وتراءى الكفر والإيمان، واصطدم الجبلان؛ طلب السُّلطانُ الهُدنة، قال أرمانوس: (لا هُدنةَ إلاَّ ببذل الرَّيّ -أي البلاد-»[٣].

قلت: ألم يكن هذا حال أرمانوسهم (بوش)! أول غزوه لأفغانستان والعراق؛ فكان لا يلوي على شيء، لا يقبل هدنة، ولا يرضى مصالحة، حتى إذا ما أذاقه الله وجنوده طعم الذل والهزيمة على أيدي عباده المجاهدين وأوليائه الصادقين راح ينادي بضرورة فتح باب التحاور وحل المسألة عن طريق التفاوض!

(فحمي السُّلطانُ وشاط، فقال إمامه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري: (إنَّك تُقاتلُ عن دينٍ وعد اللهُ بنصره، ولعلَّ هذا الفتح باسمك، فالقهم وقت الزَّوال)، وكان يوم جُمعة، قال: (فإنَّه يكون الخُطباءُ على المنابر، وإنَّهم يدعون للمُجاهدين)[٤]).

---

[١] المرجع السابق، (ص١٧٥).

[٢] مصارع العشاق ومشارع الأشواق، ابن النحاس، (ج١/ص٥٥١-٥٥٢).

[٣] سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ج١٨/ص٤١٥).

[٤] المرجع السابق.

أقول: وهنا يأتي دور الأئمة والعلماء؛ في تثبيتهم للقادة والأمراء، وحثهم على قتال العدو وحربه، وتذكيرهم بتأييد الله لحزبه، ونصرته لأوليائه وجنده، وكما قيل: (قوام هذا الدين بكتابٍ يهدي وبسيفٍ ينصر، وكفى بربك هاديًا ونصيرًا)[1]، وتأمل قوله: (فإنَّه يكون الخطباء على المنابر، وإنَّهم يدعون للمجاهدين)، ثم افسح المجال لعينيك لتجودا بالدمع حزنًا وألمًا على ما آل إليه حال الأمة اليوم، فليت أئمتنا وخطباءنا إذ لم ينفروا بأنفسهم لنصرة المستضعفين، ولم يجاهدوا بألسنتهم أعداء الدين، ولم ينصروا بدعائهم الموحدين: كفوا ألسنتهم عن المجاهدين، ولم يكونوا أعوانًا للصليبيين والمرتدين، والله إن أمة تدعو وتقنت على خيرة أبنائها المجاهدين لهي أمة سوء! إن أمة تدعو وتقنت على يوسف العييري، وعبد العزيز المقرن، وتركي الدندني، وحمد الحميدي، وعيسى العوشن، وعبد الله الرشود، وصالح العوفي وغيرهم من المجاهدين: لهي أمة سوء!

(فصلّوا، وبكى السُّلطانُ، ودعا وأمَّنوا، وسجد وعفَّر وجهه وقال: (يا أُمراء! من شاء فلينصرف، فما ها هنا سُلطان)، وعَقَدَ ذَنَبَ حصانه بيده، ولبسَ البياض وتحنَّط)[2]، (وقال: (ليودع كل واحد صاحبه وليوصِ)، ففعلوا ذلك، وقال: (إني عازم على أن أحمل فاحملوا معي»[3]، (وتواقف الفريقان، وتواجه الفتيان، نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عز وجل، ومرّغ وجهه في التراب، ودعا الله واستنصره)[4].

أقول: وهذه سنة الله سبحانه وتعالى؛ لا بد من المواجهة مع قوى الشر، ولا بدَّ من لحظة الصدام مع تحالفات الكفر؛ فإنه لن يكون الرفع لهذه المذلة التي تعيشها الأمة اليوم إلا بإعلاء راية الجهاد واستنزال النصر من رب العباد، ولن تضرب شجرة هذا الدين جذورها في أرضنا حتى تسقيها الأمة من دماء أبنائها كما سقاها الأولون، ولن يقوم لنا ما قام للأولين حتى نبذل ما بذلوه.

---

[1] من كلام ابن تيمية. انظر: جامع المسائل، (ج٧/ص٢٣٢).
[2] سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ج١٨/ص٤١٥).
[3] مصارع العشاق ومشارع الأشواق، ابن النحاس، (ج١/ص٥٥٢).
[4] البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٦/ص٢٦).

(فأنزل الله نصره على المسلمين، ومنحهم أكتافهم، فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا، وأُسر ملكهم أرمانوس)[1]، (وجلس ألبُ أرسلان على كرسي الملك في مُضَرَّبَة في سرادقه على فراشه، وأكل من طعامه، ولبس من ثيابه، وأُحضر الملك بين يديه، وفي عنقه حبل، فقال: (ما كنت صانعًا لو ظفرت بي؟)، قال: (أوَ تشك أنت في قتلك حينئذ؟)، قال ألبُ أرسلان: (وأنت أقل في عيني من أن أقتلك، اذهبوا فبيعوه)، فطافوا به جميع العسكر والحبل في عنقه، يُنادى عليه بالدراهم والفلوس، فما يشتريه أحد، حتى انتهوا في آخر العسكر إلى رجل، فقال: (إن بعتمونيه بهذا الكلب، اشتريته)، فأخذوه وأخذوا الكلب، وأتوا بهما إلى ألب أرسلان، وأخبروه بما صنعوا به وبما دُفع فيه، فقال: (الكلب خيرٌ منه؛ لأنَّه ينفع وهذا لا ينفع، خذوا الكلب، وادفعوا له هذا الكلب)، ثم إنه بعد ذلك أمر بإطلاقه وأن يجعل الكلب قرينه مربوطًا في عنقه، ووكل به من يوصله إلى بلاده، فلما وصل عزلوه عن الملك وكحلوه، [فلله الحمد والمنة])[2].

وهذه رسالة إلى الحرائر من نساء الرافدين خاصة، وإلى نساء الأمة عامة:

أين أنتن من هذا الجهاد المبارك؟ وماذا قدمتن لهذه الأمة؟ ألا تتقين الله في أنفسكن؟ أتُربين أولادكن ليذبحوا على موائد الطواغيت؟ أرضيتن بالخنوع والقعود عن هذا الجهاد؟ ألا ترين أن الرجال قد أذالوا الخيل ووضعوا السلاح وقالوا: لا جهاد؟ فما لكن لا تلقين أولادكن في أتون المعركة حتى يصطلوا بنارها ويدافعوا عن هذا الدين؟ لماذا لا تحرضن أزواجكن وأولادكن على جهاد الصليبيين وقتال المرتدين، وبذل نفوسهم ودمائهم رخيصة في سبيل هذا الدين؟

لقد كانت المرأة من المشركين في يوم أحد -وهن على الباطل- تحمل معها المكاحل والمراود، فكُلّما ولّى رجلٌ أو تكَعكَعَ ناولتهُ إحداهنّ مرودًا ومكحلةً، وقلن له: (إنَّما أَنتِ امرأةٌ)[3]، فما بالكن وأنتن على الحق؟!

---

[1] المرجع السابق.
[2] مصارع العشاق ومشارع الأشواق، ابن النحاس، (ج١/ص٥٥٢-٥٥٣).
[3] مغازي الواقدي، الواقدي، (ج١/ص٢٧٢).

الله الله في أنفسكن، أعتِقنَها من النار، وصية النبي ﷺ لكنَّ: "يا مَعْشَرَ النِّساءِ تَصَدَّقْنَ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ"[١].

الله الله يا حفيدات أم عمارة، وما أدراكن ما أم عمارة! قال عنها النبي ﷺ يوم أحد: "لَمَقَامُ نُسَيْبَةَ بِنْتِ كَعْبٍ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْ مَقَامِ فُلانٍ وَفُلانٍ"[٢]، قالت أم عمارة: (قَدْ رَأَيْتنِي وَانْكَشَفَ النَّاسُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَمَا بَقِيَ إلّا نُفَيْرٌ مَا يُتِمّونَ عَشْرَةً، وَأَنَا وَابْنَايَ وَزَوْجِي بَيْنَ يَدَيْهِ نَذُبّ عَنْهُ، وَالنّاسُ يَمُرّونَ بِهِ مُنْهَزِمِينَ، وَرَآنِي لَا تُرْسَ مَعِي، فَرَأَى رَجُلًا مُوَلّيًا مَعَهُ تُرْسٌ، فَقَالَ: "يَا صَاحِبَ التّرْسِ؛ أَلْقِ تُرْسَك إلَى مَنْ يُقَاتِلُ!"، فَأَلْقَى تُرْسَهُ فَأَخَذْته فَجَعَلْت أُتَرّسُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَإِنّمَا فَعَلَ بِنَا الأفاعيل أصحاب الخيل، لو كانوا رَجّالَةً مِثْلَنَا أَصَبْنَاهُمْ، إنْ شَاءَ اللهُ! فَيُقْبِلُ رَجُلٌ عَلَى فَرَسٍ فَضَرَبَنِي، وَتَرّسْت لَهُ فَلَمْ يَصْنَعْ سَيْفُهُ شَيْئًا وَوَلّى، وَأَضْرِبُ عُرْقُوب فَرَسِهِ فَوَقَعَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَجَعَلَ النّبِيّ ﷺ يَصِيحُ: "يَا ابْنَ أُمّ عُمَارَةَ؛ أُمّك أُمّك!"، قَالَتْ: فَعَاوَنَنِي عَلَيْهِ حَتّى أَوْرَدْته شَعُوب -تريد أنها قتلته-)[٣]، وكانت -رضي الله عنها- لا ترى الخطر يدنو من رسول الله ﷺ حتى تكون سداده وملأ لهوته، حتى قال النبي ﷺ: "مَا الْتَفَتُّ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا وأنا وَأَرَاهَا تُقَاتِلُ دُونِي"[٤]، وشهدت -رضي الله عنها- اليمامة، فقاتلت حتى قطعت يدها وجرحت اثني عشر جرحًا.

إن المرأة المجاهدة هي التي تربي وليدها؛ لا ليعيش، بل ليُقاتل، ثم ليُقتل، ثم ليعيش فيكون حرًّا، ما أعظمها من همة! وما أسماها من نية! ذكر أهل السير أن خالدَ بن الوليد -رضي الله عنه- بلغه أن جيشًا كبيرًا من الروم قد نزلوا بأجنادين من جنوب فلسطين، وأن نصارى العرب وأهل الشَّام قد سارعوا بالانضمام إليه، فخرج خالد فصفّ قواته، وأقبل يُحرضُ جنده ويُحمسهم، وأقام نساء المسلمين خلف الجيش يبتهلن إلى الله ويدعونه ويستغثنه، وكلما مر بهن رجل من المسلمين دفعن إليه أولادهن وقلن له: (قاتلوا دون أولادكم ونسائكم)[٥]، كما أمرهن خالد أن يُحرمن على الرجال ما

---

[١] رواه البخاري ومسلم، واللفظ للبخاري.
[٢] رواه ابن سعد في الطبقات، (ج١٩/ص٣٨٤) والواقدي في المغازي (ج١/ص٢٦٩).
[٣] رواه ابن سعد في الطبقات، (ج١٩/ص٣٨٤-٣٨٥) والواقدي في المغازي (ج١/ص٢٧٠).
[٤] رواه ابن سعد في الطبقات، (ج١٩/ص٣٨٦) والواقدي في المغازي (ج١/ص٢٧١).
[٥] الاكتفاء، أبو الربيع الكلاعي، (ج٢/ص٢٠٤).

كان مباحًا لهم معهن[١]، ثم حمل خالد وصحبه على الروم، فما صبر الروم لهم فواقًا، وانهزموا هزيمة شديدة، وقتلهم المسلمون كيف شاؤوا، وأصابوا معسكرهم وما حوى.

الله الله يا حفيدات صفية وأسماء والخنساء! ألا ترين أن الأمة تُنحر من الوريد إلى الوريد، وتُستباح من شمالها إلى جنوبها، ومن شرقها إلى غربها؟ ألم يبلغكن ما تلاقيه أخواتكن في سجون القهر الصليبي؟ وهل استشعرت إحداكن أن لو كانت مكانهن كيف سيكون حالها، وأنها تتمنى من أبناء الأمة استنقاذها وفك أسرها؟

ولقد بعث لي كثير من الأخوات المجاهدات في أرض الرافدين، يطلبن القيام بعمليات استشهادية، ويلححن في طلب ذلك، وقد كتبت لي إحداهن رسالة سطرتها بمزيج دمعها ودمها، وذلك بعد استشهاد الإخوة في عملية أبي غريب، التي كانوا يرومون منها استنقاذ الأسيرات من سجون القهر الصليبي، كتبت تلح علي فيها بتنفيذ عملية استشهادية، قائلة: (إن الحياة لا تطيب بعد مقتل هؤلاء)، واستحلفتني بالله طويلًا أن أستجيب لها في طلبها، ومنذ ذلك اليوم وإلى هذه الساعة - وذلك قرابة ثمانية أشهر- وهي تواصل الصوم لا تفطر، ويعلم الله مقدار تأثري بكلماتها وما تمالكت نفسي فبكيت أسفًا على حال هذه الأمة، ألهذا الحد وصلت المهانة بأمتي، هل فني الرجال فاضطررنا لتجنيد النساء؟! أليس من العار على أبناء أمتي أن تطلب أخواتنا الطاهرات العفيفات أن يقمن بالعمليات الاستشهادية، ورجال أمتي في سباتهم نائمون وفي لهوهم يلعبون؟!

وهذه رسالة إلى عدو الله بوش؛

لقد غرتك من قبل قوتك، وامتلأ بالباطل صدرك، وخضت الحرب على أفغانستان، وزعمت أنك تخوض حربًا مقدسة، وأن إلهك هو من أمرك بهذه الحرب، ثم سولت لك نفسك فثنيت بالحرب على العراق للتمكين لدولة إسرائيل، وظننت أن الأمر سيسير وفق ما خططت له وهويت، وما دار

---

[١] لم أجد هذا الخبر عند أحد.

في خلدك أن الله قد ادّخر لك ما يسوؤك على يَدَيْ فئة قليلة من أبناء العقيدة وجنود التوحيد، من مهاجرين وأنصار، الذين مرغوا أنف جيشك في التراب على مرأى ومسمع من العالم أجمع.

فأين إلهك الذي زعمت؟! فلتدعه فلينقذك وجنودك من هذا المستنقع الذي غرقتم فيه إن كنت من الصادقين! لقد قلت من قبل: (إن الإله الذي يعبده هؤلاء المجاهدون هو إله وثني فاسد)[1] -كما زعمت-!! وما دريت بأن الإله الذي نعبده ونلوذ به ونتوكل عليه هو الذي قذف الرعب في قلوب جنودك، وربط على قلوب هذه الفئة الصابرة، وإلا فقل لي: من الذي أظهر هؤلاء الشعث الغبر، القليلة أعدادهم، الضعيفة عُددهم، على جيشك العرمرم وآلتك العسكرية الضخمة؟! إنه الله سبحانه وتعالى، الذي أهلك أصحاب الفيل يوم أن أقبلوا بجحافلهم لهدم الكعبة، فأرسل عليهم طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل.

ودعني أهمس في أذنك الصماء يا صاحب الفيل؛ إن الإله الذي تعبده أيها الأحمق، ويعبده أذنابك من الروافض الحاقدين: لهو إله سوء، وإن مسيحك الذي تنتظره وعسكريهم الذي ينتظره أذنابك الروافض: لهو إله واحد، إنه المسيح الدجال، فابحثوا عنه في سرداب سامراء، أو في سهل (مجيدو) لعله ينقذكم! وسننظر أيها الأحمق المطاع من سينتصر في نهاية المعركة: أإلهنا أم إلهكم؟! {أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ} [الأنبياء:٤٣].

أمة الإسلام؛ إننا نعتقد أن الجهاد في العراق فتنة وابتلاء وتمحيص من الله ليميز الصادق من الكاذب، والخبيث من الطيب، ولعله قد بلغكم خطة المكر الصليبي التي لجأ إليها بنو الأصفر، بعد أن أفزعهم وأقضّ مضاجعهم وأرّق ليلهم ضربات المجاهدين المتتالية، والتي أفقدت الصليبيين توازنهم، وأصبح رموز البيت الأسود يتخبطون في تصريحاتهم، فصرحوا بموافقتهم على التفاوض مع المقاومة المسلحة المزعومة في العراق، يرومون من ذلك وقف نزيف الدم المتواصل من قوات الصليبيين وأذنابهم من المرتدين، ومحاولة شق صفوف المجاهدين والتشويش على راية الجهاد الصافية، ولنا وقفة مع خطة المكر هذه؛ فنقول: لا بد أن يعلم القاصي والداني بأن العدو الصليبي عندما اجتاح العراق وسقط

[1] لم أجده من ضمن خطاباته، قد يكون قالها في لقاء تلفزيوني أو حوار مع صحيفة.

حزب البعث الكافر، وتهاوت رموزه وأذنابه، وانفرط عقد جيشه: نهض المجاهدون يذودون عن حياض هذا الدين لرد الغزاة المحتلين، وقامت سوق الجهاد، وتسابق الأبطال إلى الجلاد، وتحركت كتائب الاستشهاديين، فأحالوا ليل العدو مجمرًا، وانبرت الكتائب والمجاميع، وتقدمت الزحوف، والتحمت الصفوف، يذيقون العدو كأس الحتوف، وانقضت أسود التوحيد عليهم انقضاض الصقور على بُغاث الطيور، فخرقوهم بددًا، وجعلوهم فددًا، فقامت سوق الجنان، وتسابق الشجعان، كل يبتغي جوار الرحمن، فتخلخلت صفوف العدو ودب الرعب في قلوبهم، وتزلزلت قواعدهم وحصونهم، وبدأت بفضل الله تتضح معالم المعركة، وكثرت خسائر العدو في المعدات والأرواح، وأصبح العراق بأكمله جحيمًا على عُبّاد الصليب، واتسع الخرق على الراقع، وانكشف ظهر العدو، ولم يعد باستطاعتهم أن يغطوا حقيقة المعركة، فعمدوا كما أسلفنا إلى الإتيان ببعض المرتزقة من أبناء جلدتنا على أنهم يمثلون المقاومة؛ حتى يكونوا الواجهة التي تقطف ثمار الجهاد، وليسعوا إلى إنقاذ السيد الأمريكي من المستنقع الذي غرق فيه، فأين هذه المقاومة؟! وأين هم فرسانها؟ الذين لم نسمع بهم ولم نرهم طوال أكثر من سنتين من الحرب الضروس؟! فأين هم وأين تضحياتهم؟! وأين صولاتهم وجولاتهم على الصليبيين في أرض العراق؟! أين كانت هذه الثعالب يوم أن كانت المعارك تدور رحاها في الفلوجة وفي القائم والموصل وديالى وسامراء وغيرها؟!

أَفِي السِّلْمِ أَعْيَارًا جَفَاءً وَغِلْظَةً *** وَفِي الْحَرْبِ أَشْبَاهَ النِّسَاءِ الْعَوَارِكِ[١]؟!

ونحن –بفضل الله– على علم ودراية بما يُحاك لنا في الخفاء من مؤامرات ينسجها عُبّاد الصليب مع الروافض الحاقدين –وللأسف– مع بعض الأحزاب (الاستسلامية) المحسوبة زورًا وبهتانًا على الإسلام والمجاهدين، كـ (الحزب الإسلامي)، وبعض رموز العشائر الذين ارتضوا بأن يكونوا مطايا للصليبيين لتنفيذ مخططهم في القضاء على الجهاد وأهله.

فنقول لهؤلاء المتآمرين: إن جهادنا هو لنصرة هذا الدين وتحكيم شريعة رب العالمين، ورد عادية الصليبيين، وإننا لنقاتل عن دين، هو دينٌ عظيم، هو دين رب العالمين، فالذي كفانا مكر الصليبيين

---

[١] بيت لهند بنت عتبة –رضي الله عنها قبل إسلامها. انظر: الروض الأنف، السهيلي، (ج٥/ص١٣٣).

في الأيام السابقة: قادرٌ على أن يكفينا مكركم، ويفضح خبيئتكم، ويكشف سوأتكم! ويْحَكُم أيّها المُجرِمُون؛ لَئِنْ تلقوا الله بذنوب كأمثال جبال تهامة خير لكم من أن تلقوه بذنب عظيم؛ وهو التآمر على الجهاد والمجاهدين، {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنيا وَالْآخِرَةِ} [النور: ١٩]، وهل هناك أعظم فاحشة من تعطيل الجهاد، الذي بتعطيله تُنتهك الأعراض وتُستباح الديار؟! ها قد رضيتم بالمساهمة في كتابة دستور البلاد، والمشاركة في تعبيد الخلق لغير ربّ العباد، مع اليهود والصليبيين والروافض الحاقدين؛ ويا لها من جريمة تقشعر منها الجلود وتشمئز منها النفوس، {أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران: ٨٣].

وليسمع القاصي والداني: أننا نعلنها بيضاء صافية، بأننا لن نُسلم راية الجهاد والبلاد إلى من لا يؤتمنون على أمور الدُّنيَا فضلًا عن أمور الدين، بل ما صار لهم قيمة وما اضطر العدو للجلوس معهم إلا بدماء المجاهدين، ووالله! لن نتوقف عن قتال الصليبيين وأعوانهم من المرتدين، إلا أن نكون في باطن الأرض لا على ظاهرها، وليعلم أصحاب منهج (إمساك العصا من الوسط): أنه قد ولى الزمان الذي يُتاجر به بدماء المجاهدين، وتُتخذ جماجمهم جسرًا يعبر عليه المنتفعون.

وأمّا أنتم أيها المجاهدون، يا ليوث الحمى وأسود الوغى؛ فإن العدو يعيش أسوأ أيامه على أرض الرافدين، فقد عَظُمت فيه النكاية، وأثخنته الجراح، ومعنويات جنوده في أدنى مستوى لها، ويظهر ذلك جليًّا على فلتات تصريحات قادتهم وكبرائهم، حتى صرّح بعض أعضاء الكونجرس: بأن أمريكا تخسر الحرب في العراق، وما ذلك إلا بفضل الله سبحانه وتعالى ثم بفضل ضرباتكم المركزة والموجعة، والتي جعلتهم يفزعون إلى المشرق والمغرب، ويسعون بكل وسيلة وحيلة للقضاء على الجهاد والمجاهدين، فكونوا رحمكم الله على حذر، واصبروا على ما أقامكم الله فيه، فإن هذه الأيام وما بعدها محطات حاسمة في تاريخ جهادكم المشرق على أرض الرافدين الحبيبة، واعلموا أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الشدة، وأن مع العسر يسرًا، ولا يهولنّكم عدد أعدائكم ولا عدته، فوَالذي نفسي بيده ما انتصر المسلمون في معركة من معارك الإسلام بكثرة عدد ولا عظيم عدة، وإنما بصدق توكلهم على مولاهم وافتقارهم وذلهم بين يديه؛ ذكر الطبري وغيره: أن سعد بن أبي وقاص –رضي

الله عنه- توجه بعد القادسية إلى المدائن (عاصمة كسرى)، فوجد عدوه قد اعتصموا منهم بنهر عظيم يقذف بالزبد لشدة جريانه، فرأى سعد في منامه: أن خيول المسلمين قد اقتحمت مياه دجلة، وعبرت وجاءت بخير عظيم، فلما أصبح قام بهم خطيبًا، وقال: (إن عدوَّكم قد اعتصم منكم بهذا البحر؛ فلا تخلصون إليه معه، وهم يخلصون إليكم إذا شاؤوا فيناوشونكم في سفنهم، وليس وراءكم شيءٌ تخافون أن تؤتوا منه، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنيَّاتكم قبل أن تحفركم الدُّنيا، ألا إنِّي قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم)، فقالوا جميعًا: (عزم اللهُ لنا ولك على الرُّشد، فافعل)[1]، فعبروا النهر وعامت بهم الخيل، وجعل سعد يقول: (حسبنا الله ونعم الوكيل! والله لينصرنَّ الله وليَّهُ، وليُظهرنَّ الله دينهُ، وليَهزمنَّ اللهُ عدوَّه، إن لم يكن في الجيش بغيٌ أو ذنوبٌ تغلبُ الحسناتِ)[2]، فخرجوا من النهر وما غرق منهم أحد، فهزموا الفرس، وغنموا ما لا يحصى من الجواهر والكنوز العظيمة، فهذا نهر دجلة دونكم فاسألوه: هل جازه يومًا سعدُ ومن معه بخيولهم؟ ثم سلوه ثانية: كيف جازوه؟ وما الذي صنعوه؟ فسيجيبكم بلسان حاله: (وماذا أصنع برجال جاؤوا من تلكم القفار ليقيموا شرع الله، ويطهروا الأرض من رجس الكفار؟ فما أنا إلا خلقٌ من خلقه، وجندي من جنوده، ولئن أتيتم بالأسباب التي جاؤوا بها لتسخرن لكم جنود الأرض والسماوات، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ} [محمد: ٧]، ألا ترون الحزن باديًا على قسمات وجهي! كيف لا؟ وعُبّاد الصليب قد دنسوا مائي يوم أن تنكبتم عن طريق سعدٍ وأصحابه، إني لأتذكر تلك الأيام فلا أملك إلا البكاء؛ حنينًا وشوقًا لأولئك الرجال، لقد كانت أسعد أيامي يوم أن جريتُ وهم على ظهري، ألا من عودة يا أحفاد سعدٍ والمثنى؟).

أيها المجاهدون؛ لا تستوحشوا من كثرة عدد أعدائكم وقلتكم، فكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين، وقد انتصر نبيكم ﷺ وأصحابه في بدر وعدده أقل منكم، وكذا في مؤتة والقادسية وغيرها، واعلموا أنكم لن تؤتوا من قلة، ولكنكم تؤتون من قبل الذنوب والمعاصي، فاحترسوا رحمكم الله منها أشد احتراسًا من عدوكم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله، ولولا

[1] رواه الطبري في تاريخه (ج٤/ص٩)، وتتابع المؤرخون على نقل روايته.
[2] المرجع السابق، (ص١٢).

ذلك لم يكن لنا بهم قوة، ولم نجد إليهم سبيلًا، احرصوا على الموت توهب لكم الحياة، ضاعفوا حملاتكم ضدهم، وألحوا عليهم ولا تغفلوا عنهم، احرصوا على تلاوة كلام باريكم، أحيوا بالأنفال وبراءة ليلكم، وأكثروا من ذكر مولاكم فإنه والله؛ نعم العون على ما أنتم فيه، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [الأنفال: ٤٥]، وقد صح عن نبيكم ﷺ أنه قال: "أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَأَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ!"، قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: "ذِكْرُ اللهِ"[١].

ولا يغُرّنّكم ولا يَخدَعنّكم ما يروجونه في وسائل إعلامهم عن الحملات العسكرية التي يقومون بها ذات الأسماء البراقة؛ كـ (البرق) و(الرمح) و(الخنجر)، وأخيرًا (السيف)، وقد قال مولاكم: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٧٥]، أَتخافون من يُثَلِّثُ مع الله؟! أتخافون من يعبدُ الصليب؟! أتخافون من جيش المرتزقة؟! أمْ تخافون جيش ابن العلقمي أتباع آل البيت الأبيض؟! فهؤلاء والله من أجبن الناس، ولقد كان أجدادهم الأوائل يوصمون بالجبن والغدر والخيانة، وتلك لعمر الله سجية الطبع اللئيم؛ فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- يذكرنا بصفات أجدادهم فيقول: (والله لقد مَللتُهُم وأَبْغَضْتُهُم، وملُّوني وأبغضوني، وما بَلَوْت منهم وفاءً، ومَن فاز بهم فاز بالسَّهمِ الأَخْيَبِ، واللهِ ما لهم ثَبَاتٌ ولا عَزْمٌ على أمْرٍ، ولا صَبْرٌ على السَّيف)[٢]، وما أشبه الليلة بالبارحة!

وإننا في تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين: لنعلن عن تشكيل فيلق عسكري أسميناه بـ (فيلق عمر)؛ تيمّنًا بالفاروق ابن الخطاب فداه أبي وأمي، وهذا الفيلق أنشأناه لاستئصال شأفة واجتثاث رموز وكوادر فيلق الغدر (فيلق بدر)، فيكفينا مؤنة الاشتغال بهذا الفيلق الغادر، حتى نتفرغ لمنازلة الصليبيين وباقي أعوانهم من المرتدين.

---

[١] رواه التِّرْمِذِيُّ وابن ماجه وأحمد والبيهقي والبغوي، وقال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). وقال البغوي: (حديث حسن). وقال ابن حجر في نتائج الأفكار (ج١/ ص٩٨): (هذا حديث مختلف في رفعه ووقفه، وفي إرساله ووصله).

[٢] رواه ابن سعد في الطبقات (ج٦/ص٤٢٢)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ج١٤/ص٢٠٥).

يقول سيد -رحمه الله- في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩]: (الذين جاهدوا في الله ليصلوا إليه ويتصلوا به، الذين احتملوا في الطريق إليه ما احتملوا فلم ينكصوا ولم ييأسوا، الذين صبروا على فتنة النفس وعلى فتنة الناس، الذين حملوا أعباءهم وساروا في ذلك الطريق الطويل الشاق الغريب؛ أولئك لن يتركهم الله وحدهم ولن يضيع إيمانهم، ولن ينسى جهادهم؛ إنه سينظر إليهم من عليائه فيرضاهم، وسينظر إلى جهادهم إليه فيهديهم، وسينظر إلى محاولتهم الوصول فيأخذ بأيديهم، وسينظر إلى صبرهم وإحسانهم فيجازيهم خير الجزاء)[١].

يا أهل العراق الحبيب؛ يعلم الله أنا ما أتيناكم إلا نُصرة لكم، ودفاعًا عن حرماتكم وأعراضكم، وردّ عادية الصليبيين عنكم، ولتعيشوا أعزة في دياركم، وإن كنتم تظنون أن غاية جهادنا هو طرد المحتل الصليبي ثم وضع السلاح والاشتغال بالدُّنيا وملذاتها؛ فقد خبنا والله وخسرنا، ووالله إن ملك العراق كله لا يساوي عندنا رباط ليلة في سبيل الله، ولا يساوي شراك نعل مجاهد من إخواننا، وكل ما نرجوه أن يفتح الله علينا في العراق ثم نتوجه إلى بيت المقدس، قبلة المسلمين الأولى، ومسرى نبينا الكريم ﷺ، تلك والله اللحظات التي ننتظرها بأشد الشوق، {وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا} [الإسراء: ٥١].

يا إخوة التوحيد، يا إخوة الدرب؛ الثبات الثبات؛ فهذا (سيّاف) و(رباني) وغيرهما عندما كانوا في بداية قتالهم للشيوعيين، ظاهرهم لنصرة الدين، وقد أجرى الله على أيديهم العديد من الكرامات، وقد صرحوا أن جهادهم إنما هو لتحكيم شرع الله في أفغانستان، ولكن لما كان في منهجهم خلل عظيم، وغلبت عليهم الذنوب والمعاصي: أضلهم الله على علم؛ فأخذوا يمدون حبال الود بينهم وبين أعداء الأمس، وتسابقوا ليقطفوا ثمرة الجهاد، ويكون لهم نصيب في الملك، وتأولوا المصالح، ولووا أعناق النصوص، وتنكبوا عن أحكام الدين! وأصبح عدوُّ الأمس صديقَ اليوم؛ ورفيقُ الجهاد أمس عدوَّ اليوم، حتى آل بهم الأمر أن جاؤوا على الدبابات الأمريكية يطاعنون المسلمين في أفغانستان، وصدق الله سبحانه وتعالى حينما قال: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ

---

[١] في ظلال القرآن، (ج٥/ص٢٧٥٢).

خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} [النور: ٢١]، وقوله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣]، قال الإمام أحمد: (أتدري ما الفتنة؟ الفتنة: الشِّركُ؛ لعلَّه إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزَّيغ، فيهلك)[١].

أيها المجاهدون؛ إن سنة الله جرت أنه ليس هناك من هو فوق الحكم الشرعي، بل إن الله خاطب نبينا محمدًا ﷺ بخطاب تنخلع له القلوب، فقال تعالى: {وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا * إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} [الإسراء: ٧٤-٧٥]، فهذا في حق نبينا محمد ﷺ؛ لو ركن إلى الأعداء -وحاشاه-، فكيف بمن دونه؟ فالنجاة النجاة، والصبر الصبر، والثبات الثبات على ما كان عليه السلف الذين قال الله فيهم: {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا} [الأحزاب: ٢٣]، فلا تبدلوا إخوة التوحيد، لا تبدلوا يا إخوة التوحيد! وإياكم أن تكونوا ممن يخون الله ورسوله؛ فإن الله سبحانه وتعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الأنفال: ٢٧]، فإن الجهاد أمانة في أعناقكم، وإن الله سائلكم عن هذه الأمانة، فليس الخائن الذي مدّ يد العون وتنكب الطريق إلى أعداء الله فحسب، بل الخائن من سكت وألقى سلاحه ورضي بأن تُسلم الحريم إلى أعداء الله، فوالله يوم من حياة الأسود خير من ألف يوم من حياة ابن آوى، إن عزكم وشرفكم وحياتكم هو الجهاد في سبيل الله، فإياكم إياكم أن تلقوا السلاح، فإنه والله الاستبدال والطرد والإبعاد.

واحرصوا أن تكونوا من ذلك الركب الكريم؛ ركب محمد ﷺ وصحبه، وافتحوا بيوتكم وصدوركم لإخوانكم المهاجرين، الذين هجروا الملذات، ونفروا ليدافعوا عن دينكم وأعراضكم، وكونوا خير أنصار لخير مهاجرين، فلا تشبعوا وهم جائعون، ولا تناموا وهم خائفون، واحرصوا أن تظفروا بهذه البشارة العظيمة؛ بأن تكونوا ممن يقول النبي ﷺ فيكم: "أنا منكم وأنتم مني، أنا منكم وأنتم مني"، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ: جَمَعُوا مَا كَانَ

---

[١] رواه الفضل بن زياد وأبو طالب كما نقل ذلك سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في تيسير العزيز الحميد. وذكر نحوه ابن مفلح في الفروع، (ج١١/ص١٠٧)، وابن تيمية في المجموع (ج١٩/ص١٠٤).

عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ"[١]، وما عقم زماننا أن يجود بأمثال هؤلاء الأشعريين، فلكل زمان أهله ورجاله. وهذه صورة من صور التضحية والفداء في سبيل هذا الدين، يفخر بها كل مسلم، صاحبها أسد من عشيرة زوبع الأصيلة، وهو الأخ المجاهد أبو عبد الله الزوبعي؛ فعندما انطلق الإخوة في معركة أبي غريب الأولى، كان أبو عبد الله ممن يؤوي الإخوة في بيته، وقدر الله سبحانه لحكمة يعلمها أن يُكتشف أمر الإخوة قبل العملية، فبدأ الطيران بقصف البيوت، فقُتل من عائلته قُرابة العشرين شخصًا -منهم أبواه وإخوانه وأخواته-، وضرب أروع الأمثلة في الصبر والاحتساب، ولما أردت تعزيته والشدّ من أزره خاطبني قائلًا: (يا فلان! طالما أنت وإخوانك المهاجرون بخير فكل شيء بعد ذلك يهون)، وقالها بلهجته العراقية اللطيفة: (أنا والأهل والأولاد فدوة للمجاهدين).

فإياكم أن يحول الأعداء بينكم وبينهم، فأقسم بالذي إليه أعود: إنه ليس هناك جهاد حقيقي في العراق إلا بوجود المهاجرين، أبناء الأمة المعطاء، النزاع من القبائل، الذين ينصرون الله ورسوله ﷺ، فإياكم أن تفقدوهم؛ فبذهابهم ذهاب ريحكم، وبذهابهم ذهاب بركة الجهاد ولذته، فلا غنى لكم عنهم، ولا غنى لهم عنكم، ولا تسمعوا للمخذلين الذين يزينون تخاذلهم وإرجافهم بصبغة دينية، فمن جاءكم منهم لمحاولة إقناعكم بجدوى التفاوض، أو الدخول في سلك الجيش والشرطة بحجة المصلحة؛ فصموا آذانكم عن سماع كلامه، واكنسوا عتبة بابكم من آثاره، وقولوا: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ"[٢]؛ فإنهم والله وإن هملجت بهم البراذين، وصفقت بهم البغال، فإن ذل المعصية لا يُفارقهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه، وإن عظمت ألقابهم، وكثرت شهاداتهم، وارتفعت أسماؤهم، فقد أبى الله إلا أن يذل من عصاه، أبعد الله من أبعد، أبعد الله من أبعد.

يا أيها المجاهدون؛ إن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ

---

[١] متفق عليه.

[٢] رواه ابن ماجه وأحمد: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: "مَا مِنْ قَلْبٍ إِلَّا وَهُوَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، إِنْ شَاءَ أَنْ يُقِيمَهُ أَقَامَهُ، وَإِنْ شَاءَ أَنْ يُزِيغَهُ أَزَاغَهُ"، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ: "يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قُلُوبَنَا عَلَى دِينِكَ، وَالْمِيزَانُ بِيَدِ الرَّحْمَنِ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ". (إسناده صحيح على شرط الشيخين).

لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ} [الأعراف: ١٤٣]، فهذا حال الجبل الأصم الذي لم يعص الله يومًا، فكيف بحالي وحالكم؟ وقد صح عن نبيكم ﷺ، أنه قال: "كُلُّكُمْ يُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ إِلَى أَيْمَنِهِ فَيَرَى مَا قَدَّمَ، وَإِلَى أَشْأَمِهِ فَيَنْظُرُ مَا قَدَّمَ، وَإِلَى أَمَامِهِ فَإِذَا هُوَ بِالنَّارِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ"[١].

وتخيل -يا أخا الجهاد- وقوفك بين يدي خالقك وباريك، وأنه سائلك عن هذه الأمانة العظيمة: ماذا صنعت بها؟ فأعدّ لهذا جوابًا، فوالله لَأَن تفنوا عن بكرة أبيكم وتضحوا بكل شيء لهو أعظم لكم عند الله من أن تلقوه وقد رضيتم بحكم الصليبيين والروافض الحاقدين، وإنها أيام وستنقضي بحلوها ومرها، وحسنها وقبيحها، ثم هي جنة أو نار؛ روى مسلم في صحيحه عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال النبي ﷺ: "يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا بْنَ آدَمَ؛ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ يَا رَبِّ، وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا بْنَ آدَمَ؛ هَلْ رَأَيْتَ بُؤسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ"، فهذه النار وهذا حالها، فهل منا من يصبر على طعامها وشرابها وزقومها وزمهريرها؟ إن ميكائيل عليه السلام لم يعص الله يومًا، وهو من الملائكة المقربين، وما ضحك منذ خلقت النار! وفي لطائف المعارف لابن رجب الحنبلي[٢]: (جاءت مولاة لعمر بن عبد العزيز، وقصّت أنها رأت في المنام كأن الصراط قد نصبت على جهنم وهي تزفر على أهلها، وذكرت أنها رأت رجالًا مروا على الصراط فأخذتهم النار، قالت: ورأيتك يا أمير المؤمنين وقد جيء بك -فوقع مغشيًّا عليه، وبقي زمانًا يضطرب وهي تصيح في أذنه-: رأيتك والله قد نجوت، رأيتك والله قد نجوت).

إن هذه الأمة لتقذف بفلذات أكبادها إلى أرض الرافدين، وإن أبناءها ليتسابقون ليبذلوا نفوسهم رخيصة فداءً لهذا الدين، والدفاع عن أعراض المسلمين، وليسطروا بدمائهم أروع صور التضحية

---

[١] متفق عليه.

[٢] نقلها الزرقاوي من كتاب صلاح الأمة في علو الهمة وذكر صاحب الكتاب: أنها طبعة دار الفتح؛ فبحثت في عدة طبعات لكتاب ابن رجب ولم أجدها فيه. ذكرها الغزالي في إحياء علوم الدين (ج٧/ص٦١٩) طبعة دار المنهاج، كامل الحادثة دون عزو. وذكر صاحب كتاب إتحاف السادة المتقين بشرح الإحياء، أن أبا نعيم رواها في الحلية؛ فبحثت عنها في الحلية ولم أجده كذلك.

والفداء، والفخر والإباء، ومن آخر هؤلاء الليوث الأبطال -وليس آخرهم- العالم المجاهد عبد الله بن محمد الرشود الذي كان شوكة في حلوق طواغيت الجزيرة، فنجاه الله من بين أيديهم بمنه وكرمه، ونفر إلى ساحات النزال وميادين القتال، ليكون على موعد مع الشهادة التي كان يسألها ويتطلع إليها، وليضرب أروع الأمثلة في بيان ما يجب أن يكون عليه أهل العلم، فلا نامت أعين الجبناء، ولئن سرّ استشهاده الطواغيت من (آل سلول) فإني لأرجو أن يُحيي الله بدمه نفوس أهل العلم، فينفروا بأنفسهم إلى ساحات الجهاد، فيتأسى بهم من خلفهم من أبناء هذه الأمة، فيقوموا فيموتوا على ما مات عليه.

لَا أُلْفِيَنَّكَ[1] بَعْدَ الْمَوْتِ تَنْدُبُنِي *** وَفِي حَيَاتِي مَا زَوَّدْتَنِي زَادِي[2]

أيها النائمون الغافلون؛ عارٌ عليكم أيّها المستسلمون، دينٌ يُهان، وأمة تنساق قطعان، وأنتم نائمون؟! كيف ارتضيتم أن ينام الذئب في وسط القطيع وتأمنون؟! بغداد تسألكم: أليس لعرضها حقٌ عليكم؟! أين فر الراكبون؟! وأين غاب البائعون؟! وأين راح الهاربون؟!

فمن لزحوف اليوم والناس جلهموا *** طوائف شتى بين لاهين نوّمِ
تلاقت على الآفاق أدمع أمةٍ *** غابت عن الآفاق وثبات ضيغمِ
فصارت شعوب المسلمين كثيرها *** قوافل تيه أو تباريح هوّمِ
أطلت وراء الأفق منها مآذنٌ *** تنادي وتدعو كل قرن معظمِ
وتدعو شعوب المسلمين وقد غفوا *** على جهلهم في حيرة وتبرّمِ
تقول لهم: هذي ميادين عزة *** فصبوا هنا يا قوم ما عز من دمِ
ستمضي عليكم إن ركنتم مذلة *** تذوقون من صعب عليها وعلقمِ
أتعنوا رقاب المسلمين لكافر *** وتخضع دار للعدو المصلمِ[3]؟

---

[1] في الديوان: لأعرفنك. وفي عدد من كتب السير والتاريخ: لا ألفينك.
[2] بيت للشاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص. انظر: ديوان عبيد بن الأبرص (ص٦٥).
[3] لم أجده عند أحد.

إن أبناء هذه الأمة بحاجة إلى منارات حية تضيء لهم الطريق وتنير لهم السبيل، فها هو إمام لأحد المساجد في العراق، وكان أعمى البصر، مستنير البصيرة، يأتي إلى الأمير العسكري للقاعدة في بغداد -وذلك بعد استشهاد الشيخ أبي أنس -رحمه الله تعالى- يطلب أن يقوم بعملية استشهادية، فقيل له: (يا فلان! إن الله قد عذرك)، فقال: (إني أطلب الشهادة، لعل الله أن يدخلني الفردوس الأعلى، فأجتمع بالشيخ أبي أنس)، فوالله إن دم الشهيد نورٌ ونار، وإن صدق دعوتنا باستشهاد علمائنا وقادتنا قوافل تمضي؛ فالشيخ يوسف العييري، والشيخ أبو أنس الشَّامي، والمجاهد عمر حديد، وأسد الشَّام أبو الغادية، وليث الجزيرة سليمان أبو الليث النجدي، وأسد بعقوبة أبو سفيان الزبيدي وغيرهم وغيرهم، ممن (لا يعرفهم عمر، ولكن يعرفهم رب عمر).

نَزَفَ البُكاءُ دُموعَ عَينِكَ فَاستَعِرْ *** عَينًا لِغَيرِكَ دَمعُها مِدرارُ
مَن ذا يُعيرُكَ عَينَهُ تَبكي بِها *** أَرَأَيتَ عَينًا لِلبُكاءِ تُعارُ؟[1]

ونحن على علم أنه سيخرج من هذه الأمة من يردد كلام أسلافه المنافقين، ويقول لمن نفر للجهاد، وأكرمه الله بالشهادة: {الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا} [آل عمران: ١٦٨]، فنجيبهم بجواب الله لهم: {قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [آل عمران: ١٦٨].

اللهم إني لأحسب أن الشيخ عبد الله بن محمد الرشود قد فاز بجوارك، وأنت حسيبه، وإنك تعلم يا رب أني بفقده قد خسرت عالمًا عاملًا، لا تلين له قناة، سيفًا مسلطًا على أعدائك من الكافرين والمرتدين.

اللهم أجرنا في مصيبتنا وعوضنا خيرًا منها، اللهم هيئ لنا من أهل العلم من هو خيرٌ منه تحيي بدمائهم ومدادهم علم الجهاد.

---

[1] أبيات من قصيدة للعباس بن الأحنف، ديوان العباس بن الأحنف (ص١١٦).

اللهم إنك تعلم أننا نقاتل عن دين عظيم، هو دينك وشرعك يا رب العالمين، اللهم فكن لنا العون والنصير، ودبر لنا فإنا لا نُحسن التدبير.

اللهم إنك ترى ما حلّ ويحل بنساء المسلمين في العراق، وتعلم أنه لا مغيث لهن سواك؛ اللهم رحماك بهؤلاء المساكين.

أقسمت عليك باسمك الأعظم، أقسمت عليك باسمك الأعظم؛ إلا جعلت لنا مخرجًا، وعجّلت بهلاك عُبّاد الصليب، وفتحت لنا أبواب رحمتك.

اللهم من تآمر على هذا الجهاد بالسر والإعلان، وأعان على هدمه متعمدًا ومتأولًا ومفاوضًا؛ اللهم فخذه أخذ عزيز مقتدر، وافضحه على رؤوس الأشهاد.

اللهم من قام من هؤلاء وقام رياءً وسمعة ليصُدّ عن دينك، ويحول بين المجاهدين وبين المسلمين؛ اللهم فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه للفتن.

اللهم دعوة سعدٍ فلا تردها، اللهم دعوة سعدٍ فلا تردها، اللهم دعوة سعدٍ فلا تردها.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}،

والحمد لله رب العالمين.

الكلمة التاسعة: حَولَ أَحدَاثِ تَلعفَر [صوتية]

٨ شعبان ١٤٢٦ هـ || ١١ سبتمبر ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمة الإسلام؛ حديثي إليكِ اليوم يتجدد، وأبناؤك الأبطال يسطرون بدمائهم أجمل صور الملحمات، وأروع معاني التضحيات على أرض مدينتي القائم وتلعفر؛ حيث جمع عباد الصليب لمعركتهم الجموع، وحشدوا لها الحشود، مستخدمين من الأسلحة أشدها فتكًا وتدميرًا، ومن الغازات السامة أعظمها أذيةً وتقتيلًا، مستصحبين خيلاءَهم، مستعلين بكبريائهم، فأذاقهم الله على أيدي أوليائه المجاهدين من كؤوس الموت ألوانًا، وأراهم من الأهوال ما لا ينسونه دهورًا وأزمانًا، فخرجوا من مدينة القائم لا يلوون على شيء يجرون أذيال هزيمتهم، ويلعقون جراحاتهم، فلله الحمد أولًا وأخرًا.

وها هم يعاودون الكرة على مدينة تلعفر بعد أن استعصت عليهم مرات ومرات، وأذاقهم أسودها طعم الذل، ومرارة الهزيمة، تحزبوا على هذه المدينة الأبية، يرومون القضاء على المجاهدين، متذرعين برد الحقوق إلى أهلها، كما صرح بذلك حفيد ابن العلقمي وخادم الصليب (إبراهيم الجعفري)؛ قاصدًا بذلك أعضاء فيلق الغدر، الذين ما أخرجوا من تلعفر إلا لكونهم عيونًا للصليبيين، وجلهم من الحرس الوثني والشرطة المرتدين، الذين بلغ فسادهم وإفسادهم مداه في تلعفر، وإلا فأين هذا الدعي عن حقوق أهل السنة، في المدائن والحرية والشعب، والجنوب وغيرها، الذين قتلوا وشرد منهم الآلاف، لا لذنب سوى أنهم من أهل السنة؟! بل أين حقوق المسلمين الفلسطينيين، الذين استبيحت أعراضهم، وهجّروا من بيوتهم قسرًا في بغداد في البلديات وحيفا وغيرها؟! هل تم هذا إلا على أيدي بني صهيون؟ وأذنابهم من الروافض الحاقدين؟!

ألا صبرًا يا أسود تلعفر؛ فالنصر لهذا الدين مهما طال ليل الظالمين، ويوشك الليل أن ينجلي بفجرٍ تُرفع فيه راية التوحيد، وتُذَلّ فيه راية الشِرك والتنديد.

وأما أنتم يا أسود التوحيد على أرض الرافدين، يا من رفعتم جبين الأمة عاليًا؛ فإن عدوكم اليوم يعيش أسوأ أيامه على أرض الرافدين؛ يبغي الخلاص ولا يجد له طريقًا، ويروم النجاة ولا يهتدي لها سبيلًا، وها هو يستل من سهامه آخرها؛ علّه ينقذه من المستنقع الذي غرق فيه، ويحفظ له ما تبقى من ماء وجهه، ذلكم هو طاغوت الدستور، ولكن هيهات هيهات؛ هيهات لنفوس دبت فيها روح الجهاد، وسرت في عروقها دماء التوحيد: أن تنطلي عليها أمثال هذه الحيل، أو تستهويها أمثال هذه الخدع.

أيها المجاهدون؛ ألا فخذوا حذركم وتأهبوا، وانتضوا سلاحكم واستعدوا، ولا ترفعوا أصابعكم عن الزناد، وارتقبوا لحظة البدء؛ فالمعركة الفاصلة قد اقترب أوانها، وأزف ختام فصولها، وإننا عازمون بعون الله عما قريب على استئصال شأفتهم، وإشعال الأرض من تحت أقدامهم، ولينسينهم ما يجدونه في هذه المعركة -إن شاء الله تعالى- أهوال ما ذاقوه في المعارك السابقة، وإن غدًا لناظره لقريب.

واعلموا أنكم لا تحاربون رجالًا أشداء، بل جبناء يفرون عند اللقاء، فاحملوا عليهم حملة صادقة، تطير بما بقي من ألبابهم، فلا يجدوا لبنادقهم كفًّا، ولا لأسيافهم ساعدًا، ولا تلحقكم في عدوكم رقة، ولا تأخذكم بهم رأفة، ولا تأطركم بهم شفقة، شتتوا جموعهم، وفرقوا صفوفهم، ونكسوا صليبهم، نغصوا عليهم طعامهم وشرابهم، ويقظتهم ومنامهم، فما أعذب الموت في سبيل تنغيص عيش الظالمين!

وهذا نداء إلى أبناء الأمة الغراء: لئن حبستكم الأعذار، وناءت بكم الديار، وباعدت بينكم وبين المجاهدين القفار، وعجزتم عن نصرة إخوانكم بأنفسكم؛ ألا فانصروهم بسلاحكم الذي تحملونه بين أضلعكم، والذي هو أشد على عباد الصليب، من حد السيف وضربة الحسام؛ إنه سلاح الدعاء، وما أدراك ما الدعاء! وهل تنصرون إلا بضعفائكم، بدعائهم وإخلاصهم.

أَتَهزَأُ بِالدُّعَاءِ وَتَزْدَرِيهِ *** وَما تَدْرِي بِمَا صَنَعَ الدُّعَاءُ؟

سِهَامُ اللَّيْلِ لا تُخْطِي وَلَكِنْ *** لَهَا أَمَدٌ، وَلِلْأَمَدِ انْقِضَاءُ[١]

ألا وَجِدّوا واجتهدوا بالدعاء، وألحوا فيه، وتحروا أوقات السحر وأزمنة الإجابة، وتوسلوا إلى الله بصالح أعمالكم، واقنتوا على الصليبيين في صلواتكم، فلعل الله يأذن برفع الذل عن هذه الأمة، وبزوغ فجر العز من جديد. وهذه علامات النصر بادية، وأمارات الفتح ظاهرة، ومخائن الظفر لائحة، وتباشير الخير ساطعة، وإني لأحسب أن ما أصاب أمريكا في عقر دارها من الإعصار المدمر: إنما هو بدعوة أب أو أم ثُكِلَا بابن لهما، أو ولد تيتم، أو امرأة انتهك عرضها على أرض أفغانستان أو العراق وغيرها، ففتحت لها أبواب السماء، وجاء النداء الإلهي: {لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ}[٢].

اللهم إن السماءَ سماؤُك، والأرض أرضك، والبحر بحرك؛ اللهم عليك بالصليبيين، اللهم أسقط طائراتهم، ودمر آلياتهم، وأغرق بارجاتهم.

اللهم إن عبادك المجاهدين، قد جادوا بحرب أعدائك بنفوسهم، وبذلوا في سبيل ذلك مهجهم؛ نصرة لدينك، وإعلاء لكلمتك.

اللهم فأنزل عليهم نصرك المؤزر، وعجل لهم بالفتح المبين، وأنزل بعدوهم عذابك ورجزك، الذي لا يرد عن القوم الظالمين.

اللهم أرسل على أمريكا عذابك، اللهم اشدد وطأتك عليها، اللهم دمرها تدميرًا، اللهم أرسل عليها الأعاصير والزلازل والمحن، اللهم أشغلهم بأنفسهم عن المسلمين، اللهم لا تقم لهم راية، واجعلهم لمن خلفهم عبرة وآية.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}،

والحمد لله رب العالمين.

---

[١] أبيات منسوبة إلى الشافعي -رحمه الله-، ديوان الشافعي (ص٣٦).

[٢] رواه التِّرْمِذِيُّ والطبراني قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا تُحْمَلُ عَلَى الْغَمَامِ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ جَلَالُهُ: وَعِزَّتِي وَجَلَالِي لَأَنْصُرَنَّكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ". (حديث صحيح بشواهد وحسنه ابن حجر).

الكلمة العاشرة: هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ [صوتية]

١١ شعبان ١٤٢٦ هـ || ١٤ سبتمبر ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

تمضي الأيام وتتوالى الأحداث، وتتعدد المعارك، وتتنوع المسميات، والهدف واحد: حرب صليبية رافضية ضد أهل السنة؛ لقد تلاقت مصالح الصليبيين، مع أهواء إخوانهم الروافض الحاقدين، فكانت هذه الجرائم والمجازر في حق أهل السنة؛ فمن الفلوجة إلى المدائن، وديالى وسامراء والموصل، ومرورًا بالرمادي، وهيت وحديثة وراوة، والقائم وغيرها، وأخيرًا وليس آخرًا في تلعفر؛ هذه المعركة التي جاءت في توقيتها لتغطي على فضيحة عدو الله بوش في تعامله مع ما خلفه جندي واحد من جنود الله؛ وهو إعصار كاترينا المدمر، الذي كشف للعالم أجمع مقدار العجز الكبير في مواجهة الدمار الذي أحدثه هذا الإعصار؛ بسبب الاستنزاف الهائل لطاقات الجيش الأمريكي في العراق وأفغانستان، وليعيد إلى الأذهان مظاهر التفريق العنصري بين أفراد الشعب الأمريكي، وليكشف هشاشة الأسس التي يقوم عليها بنيانه، فانتشرت عمليات السطو والقتل، وتفشت عمليات السلب والنهب، والآتي أدهى وأمر -بإذن الله تعالى-.

جاءت هذه المعركة لتكشف النقاب عن ذلك الوجه القبيح لحكومة أحفاد ابن العلقمي، ولتهتك الستر الذي يتوارون خلفه، حيث تم عزل الأحياء الرافضية في المدينة لتجنيبها القصف والدمار، ثم ليتم من بعدها شن حرب إبادة شاملة على أحياء أهل السنة، في خطوة للقضاء على كل مظاهر الحياة في هذه الأحياء، وقد ثبت لنا ثبوتًا لا مرية فيه استخدام الصليبيين للغازات السامة في معاركهم ضد المجاهدين، وإن أنكر ذلك أرباب البيت الأسود وأتباعهم، وهذه مستشفيات تلعفر دونكم؛ فاستنطقوها عن حالات الاختناق والتسمم الكبيرة في صفوف من ضمتهم جدرانها، ومن استطاع من أهل السنة النزوح والفرار من جحيم القصف الصليبي تلقفته يد الغدر من أعضاء فيلق الغدر

وغيره، لتعيث في الرجال تعذيبًا وتنكيلًا وتقتيلًا، وفي النساء انتهاكًا لأعراضهن، وسلبًا وسرقة لحليهن وزينتهن، إنها حرب طائفية منظمة، أُعِدّت فصولها بإحكام، وإن رغمت أنوف من أعمى الله أبصارهم، وختم على قلوبهم.

ويحكم يا علماء أهل السنة؛ أرخصت عليكم دماء أبنائكم، فبعتموها بثمن بخس؟!

أهانت عليكم أعراض نسائكم؟!

ويلكم! أما بلغكم أن كثيرًا من أخواتكم العفيفات الطاهرات من أهل السنة في تلعفر قد انتهك عرضهن، وذبح عفافهن، وامتلأت أرحامهن بنطف الصليبيين، وإخوانهم الروافض الحاقدين! أين دينكم؟! بل أين نخوتكم وغيرتكم ومروءتكم؟

[دخلتُ][1] عَلَى الْمُرُوءَةِ وَهِيَ تَبْكِي *** فَقُلْتُ: عَلَامَ تَنْتَحِب الفَتَاةُ؟
فَقَالَت: كَيْفَ لَا أَبْكِي وَقَوْمِي *** جميعًا دُون خَلَقِ اللّهِ مَاتُوا[2]؟

هذا وما زال المجاهدون يصاولون العدو ويقاتلونه، فكيف إذا ما استقر الأمر لحكومة أحفاد ابن العلقمي واشتد ساعدهم، وترسخت قواعدهم وأركانهم! ماذا تنتظرون في أنفسكم؟!

أتحسبون أنكم بكتابتكم بيان تنديد واستنكار قد نجوتم من مسائلة العزيز الجبار؟! والله إن الموقف شديد، والحساب عسير!

ها هو ذنَب الروافض سعدون الدليمي -لا أسعده الله- يتبجح بذكر انتصاراتهم في تلعفر، وليت شعري عن أي نصر يتكلم هؤلاء الجبناء؟! الذين لا يجرؤ أحدهم على الخروج من جحره إلا وهو محكم بظهور نساء المارينز! أوَ يظن هذا الخائن أن قصف الدور على من فيها من النساء والأطفال يعد نصرًا؟! بئس النصر والله! لقد حشدوا لمعركتهم مع هذه الفئة القليلة المؤمنة التي لا يتجاوز تعدادها المئات، أكثر من عشرة آلاف من الجنود؟! منهم أربعة آلاف من الصليبيين، وهذا إن دل فإنما يدل على مقدار الخوف والهلع الذي أصاب نفوسهم، وتراهم يزعمون قتل العشرات

[1] في البيت الأصلي: مررتُ.
[2] أبيات من قصيدة (مررت على المروءة)، الشاعر عبد المهدي الأعرجي.

وأسر المئات من العرب والأفغان، وهذا كله محض كذب وافتراء، فالمدينة خالية من وجود أي من المجاهدين العرب، وليعرضوا هؤلاء الأسرى إن كانوا صادقين، ثم يتوعد هذا الذنَب، الذي خان دينه وأمته، ورضي بأن يكون مطية للصليبيين والصفويين؛ بأنه قادم هو وزبانيته نحو الأنبار والقائم، وراوة وسامراء، ونحن نقول له: إن المجاهدين بفضل الله قد أعدوا لك ولجنودك سيفًا قاطعًا، وسمًّا ناقعًا، ولَتُسقَوَنّ -بإذن الله- من كؤوس الموت ألوانًا، ولتكونَنّ أراضي أهل السنة بجيفكم النتنة وعاء، فتقدموا إن شئتم أو تأخروا.

وهذا نداء لأهل السنة عامة في العراق؛ ألا هبوا من سباتكم، واستيقظوا من غفلتكم، فقد طال رقادكم، وإن رحى الحرب للقضاء على أهل السنة لم تتوقف ولن تتوقف، وهي آتية دار كل منكم إلا أن يشاء الله، وإن لم تبادروا باللحاق بركب المجاهدين للدفاع عن دينكم والذب عن أعراضكم؛ فإنها والله الحسرة والندامة ولكن ولاتَ ساعة ندم، وإياكم وما يروج له من خدعة الدستور والدعوات للمشاركة في الاستفتاء عليه من قبل أدعياء أهل السنة الذين خانوا الله ورسوله، وباعوا دينهم بعرض من الدُّنيا قليل؛ ففي الوقت الذي تنحر فيه رقاب أهل السنة في تلعفر والقائم وغيرهما: نجد هؤلاء الخونة في أربيل يستجدون أذناب اليهود (البرزاني والطالباني) لتحصيل مكاسب لهم في هذا الدستور الشركي، هؤلاء الذين خانوا الأمة من قبل، فكانوا أحد أركان المؤامرة لاستنقاذ الصليبيين في معركة الفلوجة الأولى.

وبناء على كل ما سبق ذكره، وبعد أن تبين للعالم أجمع حقيقة هذه المعركة، ومن المستهدف الحقيقي منها؛ فإن تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين قرر ما يلي:

أولًا: بما أن حكومة حفيد ابن العلقمي وخادم الصليب إبراهيم الجعفري قد أعلنت حربها الشَّاملة على أهل السنة في تلعفر ومن بعدها الرمادي والقائم وسامراء وراوة تحت ذرائع: (إعادة الحقوق والقضاء على الإرهابيين)؛

فقد قرر التنظيم: إعلان حرب شاملة على الشيعة الروافض في جميع أنحاء العراق، أين ما وجدوا وحيث ما حلوا جزاءً وفاقًا؛ فمنكم كان الابتداء وأنتم من بادر بالاعتداء، فخذوا حذركم؛ فوالله لن

تأخذنا بكم رأفة، ولن تنالكم منا رحمة! وأي طائفة تريد أن تنأى بنفسها عن ضربات المجاهدين: فلتبادر وعلى جناح السرعة بالبراءة من حكومة الجعفري وجرائمها؛ وإلا فهم في الحكم سواء، وقد أعذر من أنذر.

ثانيًا: من الآن فصاعدًا: كل من يثبت انتسابه إلى الحرس الوثني أو الشرطة والجيش أو يثبت أنه عميل أو جاسوس للصليبيين: فحكمه القتل، وليس هذا فحسب، بل وهدم منزله أو تحريقه، بعد إخراج النساء والذرية منه؛ جزاءً على خيانته لدينه وأمته، وليكون لغيره عبرة ظاهرة وعظة زاجرة.

ثالثًا: حاول أبو رغال الدليمي بث الفرقة والشقاق بين المجاهدين والعشائر، زاعمًا أن شيوخ العشائر هم من طلب منه المجيء لاستنقاذهم، وهذا محض كذب واختلاق؛ فأبناء العشائر هم أحد أهم ركائز الجهاد، وهذه العشائر كان لها الأيادي البيضاء في نصرة الجهاد وأهله، ومع هذا فنحن نحذر العشائر: بأن كل عشيرة أو حزب أو جمعية يثبت تورطها وعمالتها للصليبيين وأذنابهم من المرتدين: فوَالذي بعث محمدًا بالحق لَنقصُدَنّهم كما نقصد الصليبيين، ولَنستأصِلَنّ شأفتهم، ولَنفرِّقَنّ جمعهم، فما هو إلا معسكران: معسكر الحق وأتباعه، ومعسكر الباطل وأشياعه، فاختاروا في أي الخندقين تكونون، وما حل في بعض الخونة في القائم خير دليل على ذلك.

وفي الختام: نقول للصليبيين والروافض الصفويين بأن جريمتكم وفعلكم الجبان في تلعفر لن يمر دون عقاب قاس -بإذن الله، وإني لأتحدى حكومة أحفاد ابن العلقمي، وعلى رأسها الجعفري المجوسي وأبو رغال الدليمي: أن يخرجوا من جحورهم من المنطقة الخضراء ليواجهوا كتائب المجاهدين!

ألا بئس الحياة حياتكم يا نساء!

ألا بئس المروءة مروءتكم يا جبناء!

يا أشباه الرجال ولا رجال!

أوَ تسمعون أيها الأعداء! أما والذي نفسي بيده؛ إني لأخاطبكم بصوت يقطر دمًا! والأيام بيننا!

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}،

والحمد لله رب العالمين.

الكلمة الحادية عشرة: ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ [صوتية]

١٧ شوال ١٤٢٦ هـ || ١٨ نوفمبر ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فقد تناهى إلى أسماع العالم الصخب والضجيج الذي أثارته الحكومة الأردنية المرتدة، من خلال وسائل إعلامها المُسير من قبل أجهزتها الأمنية، التي راحت تصور فيه لأهل الإسلام في الأردن بأنهم باتوا ضحية مستهدفة للإرهاب، وأن هؤلاء الإرهابيين لا يحسنون إلا سفك الدماء، وقد عرضت هذا الإِفْك بطريقة تستثير العواطف، وكان مبدأ ذلك بعد انطلاق ثلاثةٍ من أسود الرافدين من عرينهم في بغداد إلى قلب عمان؛ ليدكّوا ثلاثة أوكار طالما ضمت بين جدرانها اليهود والصليبيين وغيرهم؛ لحرب الله ورسوله.

وقد أقدم تنظيم القاعدة على اتخاذ هذه الخطوة المباركة للأسباب الآتية:

أولًا: لقد استعلنت الحكومة الأردنية بالكفر، وجاهرت بالحَرَابة لله ورسوله، وعطلت الشريعة، وحكّمت القوانين الوضعية.

ثانيًا: أصبح جيش هذا النظام الحارس الأمين لجناب دولة بني صهيون؛ فكم من مجاهد كان يروم الدخول إلى الأرض المباركة، لِقتال إخوة القردة والخنازير: قُتِل برصاصةٍ غادرةٍ، جاءته من وراء ظهره على أيدي جنود هذا النظام الخائن!

ثالثًا: بثّها للخنا والفجور، ونشرها للفساد؛ فقد أصبحت هذه البلاد مستنقعات للرذيلة، والإباحيةِ المطلقةِ؛ فمن رأى الفنادق والملاهي والمراقص وحانات الخمور والمنتجعات السياحية في العقبة والبحر الميت وغيره: تَقطّع قلبه أسًى وحزنًا على ما آلت إليه الأمور في هذا البلد الطيب أهله، على أيدى أفراد هذه العائلة الماجنة؛ رجالًا ونساءً على السواء.

رابعًا: أطلقت هذه الدولة الكافرة يد العدو الصهيوني، وسمحت له بالتغلغل داخل المجتمع الأردني اقتصاديًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا؛ فقد سيطر أرباب الاقتصاد اليهودي على معظم الشركات والبنوك والمصانع والمعامل وغيرها، وباتوا يتحكمون في مصادر أرزاق مئات الآلاف من أبناء هذا البلد، وخير شاهد على ذلك مدينة الحسن الصناعية في محافظة إربد.

خامسًا: وجود السجون السرّية للأمريكان في الأردن، بإشراف مباشر من أجهزة المخابرات الأردنية، والتي يوجد في قعر زنازينها عشرات المجاهدين، من مختلف البلدان، والتي يذوقون فيها من العذاب ألوانًا، ومن الهوان أصنافًا على أيدي الجلادين من زبانية المخابرات الأردنية، نيابة عن المخابرات الأمريكية! ذكرت صحيفة لوس آنجلوس تايمز: أن جهاز المخابرات الأردنية أصبح الحليف الأقوى لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية، والأكثر فعالية، على مستوى منطقة الشرق الأوسط بأكملها فيما يتعلق بـ(الحرب على الإرهاب)، وهي نفس المنزلة التي كان يحتلها جهاز المخابرات الإسرائيلي في السابق! وأشارت الصحيفة الأمريكية إلى أن الأردن والولايات المتحدة قد حدث بينهما تعاونٌ وثيقٌ في مجال استجواب العناصر المشتبه في صلتها بالإرهاب، وهو الأمر الذي تعرض لانتقاداتٍ واسعة النطاق من قبل وسائل الإعلام العالمية ومنظمات حقوق الإنسان؛ نظرًا لاتهامات التعذيب الذي مورسَ خلال تلك الاستجوابات، وكشفت الصحيفة عن أن المخابرات المركزية الأمريكية خصّصت جزءًا من ميزانيتها لتدريب المخابرات الأردنية وكوادرها في مقرهم بعمان!

سادسًا: أما في الحالة العراقية؛ فقد كانت الأردن ولا تزال قاعدة إمدادٍ خلفية للجيش الأمريكي؛ فقد قام هذا النظام بفتح أبواب البلاد على مصراعيها للعدو الصليبي، يفعل فيها ما يشاء؛ فقد اتخذ من هذه البلاد قاعدة خلفية تنطلق منها الطائرات الأمريكية بصبِّ جام حممها على أهل الإسلام في العراق، ولا ننسى جيش المترجمين من العملاء الأردنيين في العراق، وكذا للأسف أسطول ناقلاتٍ محملة بالزاد والعتاد الذي ينقل بوساطة الشاحنات الأردنية للجيش الأمريكي في العراق، حتى يستعينوا بها على حرب الإسلام وقتل المجاهدين!

وهذه رسالة إلى أهل الإسلام في الأردن: إنا نحب أن نطمئنكم بأننا من أحرص الناس على دمائكم، كيف لا؟ وأنتم أحبُّ إلينا من أنفسنا وأبنائنا، وإننا لنعلم بأنكم ضحية هذا النظام الإجرامي، الذي ذبح أبناءكم كما فعل بالمسلمين في مدينة معان، واستحيى نساءكم، وسامكم الذل والهوان، وأما ما صوّره هذا النظام الخائن من أنكم بتم ضحية للمجاهدين؛ فهذا كله محض افتراءات وتزوير، ومعاذ الله أن نجترئ على إراقةِ دمائكم؛ فلو أردنا أن نقتل الأبرياء من الناس كما زعم هذا النظام المرتد: لَما تكلفنا عناءَ المخاطرة بهؤلاء الأسود في تجاوز الحواجز الأمنية المحيطة بفنادق الضرار تلك، بل لو أردنا سفك دمائكم والعياذ بالله: لَكان أسهل علينا أن يفجر هؤلاء الاستشهاديون أنفسهم في الأماكن العامة، التي يجتمع فيها المئات من الناس، والتي هي من الأهداف السهلة؛ كالساحة الهاشمية أو مجمع العبدلي أو المجمعات التجارية كالسيفوي وغيرها، ألم يكن باستطاعة أسود تنظيم القاعدة ممن أطلقوا الصواريخ على البارجات الأمريكية في إيلات، أن يقوموا بإطلاقها على التجمعات السكنية للأبرياء في عمان، بدل تعريض أنفسهم للمخاطر في الوصول إلى العقبة، المحاطة بسياج أمني والتي أضحت منطقة أمنية مغلقة؟ ولكن علم الله أننا ما أقدمنا على اختيار هذه الفنادق إلا بعد أن ترجح لدينا من خلال التحري والاستطلاع المتأني بهذه الفنادق لمدة تزيد عن الشهرين، ومن خلال المعلومات التي زودتنا بها مصادرنا الموثوقة من داخل هذه الفنادق وخارجها؛ تفيد بأن هذه الفنادق باتت مقرات لأجهزة المخابرات اليهودية والأمريكية والعراقية، فأما فندق الرادسون؛ فيقطنه معظم موظفي السفارة الإسرائيلية، وهو مقصد السياح الإسرائيليين، وكذلك فندق الدايز إن، أما فندق حياة عمان، وما أدراك ما حياة عمان! وكر الاستخبارات الصهيونية والأمريكية والعراقية، ولك أن تعرف حقيقة هذا الفندق: أن الجاسوس الإسرائيلي (عزّام عزّام) كان يلتقي بالموساد الإسرائيلي في هذا الفندق! والذي يعرف هذه الفنادق، يعلم علم اليقين من الذي يرتادها، بل إن فندق حياة عمان فيه جناح خاص لطاغية الأردن (عبد الله الصغير) يقضي فيه الليالي ذوات العدد!

فيا أهلنا في الأردن؛ ما لنا وللتفجير وسط حفلات الأعراس؟ فإن كان مرادنا التفجير في أماكن كهذه؛ فصالات الأعراس منتشرة في طول البلاد وعرضها، مفتوحة الأبواب، لا حسيب عليها ولا

رقيب، وأما ما أُشيع أن الأخ الاستشهادي قام بتفجير نفسه في صالة للأعراس وسط الحضور؛ فهذا كله كذب وتلفيق من أجهزة الشر الأردنية، فالذي خدع الناس طيلة هذه السنين الطوال بأنه عدو لبني صهيون: قادر على أن يقلب الحقائق ويلبّس على السذج من الناس.

وأما من قُتل من المسلمين في هذه العملية؛ فنسأل الله أن يرحمهم وأن يغفر لهم، فوالله لم يكونوا هم المستهدفين، ولم نفكر ولن نفكر لحظةً واحدة في استهدافهم، حتى وإن كانوا أصحاب فسقٍ وفجور، هذا على فرض أن الانفجار وقع بالقرب منهم؛ لأن الإخوة الاستشهاديين كانوا قد استهدفوا الصالات التي ضمت اجتماعًا لضباط المخابرات لبعض دول الكفر الصليبي وأوليائه، وما نال المقتولين من أذى، بفعل سقوط جزء من السقف الثانوي عليهم بفعل قوة الانفجار، ولا يخفى أن هذا الأمر وقع تبعًا لا قصدًا ولم يكن بالحسبان، وقد ذكر شقيق العريس كما أوردت القدس برس: أنه يستبعد أن يكون الانفجار سببه عملية انتحارية؛ لأن الوضع كما وصفه كان طبيعيًّا من البداية، فلم تكن هناك أيُّ دلائل أو إشارات بوجود شيء ما، وأضاف أن السقف سقط بكامله؛ الديكور والإسمنت مع الحديد، كما أن الغبار والأتربة كانوا يغطّون المكان، مما يشيرُ إلى أن العملية سببها كما يعتقد قنبلة مزروعة بالسقف، فلم يكن هناك نار أو حريق.

وأما الفندقان الآخران؛ فقد كان فيهما عدد من الشخصيات الأمريكية واليهودية، وقد تمكن الإخوة -بفضل الله تعالى- من تحديد مكان وزمان تواجدهم بعد الاستطلاع المتكرر لموقع العملية، وبالتالي: فإن الإخوة كانوا يعرفون هدفهم وحدوده بدقةٍ كبيرة.

وفي ذات المقام أقول: إني لأتحدى هذه الحكومة المرتدة أن تظهر حقيقة الخسائر في صفوف اليهود والصليبيين، وعملائهم من المرتدين، أو أن تسمح بعرض فلم لحظة التفجير! فمن المعلوم أن مثل هذه الفنادق تصور وتراقب على مدار الساعة جموع المتواجدين فيها، فلماذا أخفتها حكومة الردة؟! بل لو كان فيها ما يؤيدها لسارعت إلى ذلك، ولكن علمت أن ذلك سيُدينها فامتنعت عن عرضه! وما هذا التكتيم الإعلامي إلا دليل على عِظم الخسائر في أسياد هذا النظام الخائن من اليهود والصليبيين، وإلا فقد حصلت عمليات مباركة مماثلة لهذه العملية في شرم الشيخ وممباسا وفي

تركيا وفي الرياض وغيرها، وحتى في تل أبيب، ولم تفتعل مثل هذه الضجة الإعلامية، فهل يعقل أن تسارع ملة الكفر وتتنادى فيما بينها إلى عقد جلسة طارئة لمجلس الأمن لأجل مناصرة المقتولين في حفلة عرس؟!! وهم الذين سكتوا بالأمس القريب عن مقتل أكثر من ٤٠ مسلمًا في حفلة عرس في القائم!! وهل إرسال الخبراء من المخابرات الأمريكية والبريطانية، ومجيء كوفي عنان ومطالبة مجلس الأمن بالتحقيق السريع في هذه العمليات، واستعداد الكيان الصهيوني لتقديم المساعدة الأمنية والطبية، وزيارة بل كلينتون إلى فندق الرادسون؛ لحرص هؤلاء الصليبيين على دماء المسلمين في الأردن؟!!

فأين هم من دماء أهل فلسطين التي تُراق صباح مساء على يدِ أحفاد القردة والخنازير؟!

بل أين هم من دماء المسلمين في العراق التي تدفقت أنهارًا على يدِ الأمريكان وأحفاد ابن العلقمي؟!

وأين هم من مدن مسلمة هدمت على رؤوس أهلها؛ كالقائم وتلعفر وحديثة والرمادي والفلوجة وسامراء؟!

بل أين كان هؤلاء يوم كانت طائرات هذا النظام تدك مدينة معانٍ الأبية؟!

ثم ألا تسألون أنفسكم أيها العقلاء: هل يعقل أن يكون ضباط الاستخبارات الذين نفقوا في العملية من المدعوّين للعرس؟!!

أليس هنالك ما يثير الاستغراب من غضّ وسائل الإعلام الطرف عن انفجاريِ الفندقين الآخرين؟! ولا سيما الفندق الذي زاره كلينتون وزوجته؟!

فهل كان هنالك عرسٌ آخر؟!!

ومع كل هذا التكتيم الإعلامي غير المسبوق: بدأت تتكشف حقيقة الخسائر وحجمها في صفوف اليهود والصليبيين من خلال أجهزة الإعلام المختلفة؛ فبتنا نسمع عن وجود ٣ ضباط صينيين برتبة عميد، و٦ قتلى من السلطة الفلسطينية المرتدة على رأسهم رئيس جهاز الاستخبارات

العسكرية في الضفة الغربية، وخبراء نفط عراقيين من الحكومة العراقية ويهود وكوريين وبريطانيين وأمريكيين، وما خفي أكبر وأعظم.

يا أهل الأردن؛ أفي كل موطن تقبلون لأنفسكم قسط الاستغفال؟! إلى متى تبقون مستعبدين لهذا النظام المرتد؟! ينزع دينكم من أعناقكم، ويلوث فطركم السليمة، ويعبث بأعراضكم وأموالكم، ويتخذ من أبنائكم درعًا ومجنّة، يحول بهم بين المجاهدين الصادقين وبين بني صهيون! ففي الوقت التي تقصف فيه طائرات عدو الله (شارون) المسلمين في غزة: يُدعى طاغية الأردن لافتتاح حديقة في تل أبيب بمناسبة ذكرى هلاك والده! وفي الوقت الذي كانت طائرات بني الأصفر تقصف فيه بيوت المسلمين في تلعفر: كان هذا الولد المطاع يعقد الصفقات، ويُحيك المؤامرات مع حكومة ابن العلقمي!

ونحن نقول لهذا النظام المرتد: ها نحن اليوم بفضل الله وحده نذيقك شيئًا يسيرًا مما أذقته لأهل الإسلام، منذ عشرات السنين؛ فقد ولّى الزمان الذي تقبل فيه الأمة الذل والهوان، ونبشرك بأنه قد دقت ساعة الصفر، وحانت ساعة الحساب، ولن نوقف الغارات عن اليهود والصليبيين في بلادٍ سالت عليها دماء رجال من أطهر دين عرفه التاريخ؛ كأبي عبيدة وجعفر وابن رواحة وزيد بن حارثة ومعاذ بن جبل وشرحبيل وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين، إلا بالشروط الآتية:

أولًا: إخراج القوات الأمريكية والبريطانية الموجودة على الأراضي الأردنية، والتي يستخدمها الصليبيون قاعدة خلفية لحرب المجاهدين في العراق.

ثانيًا: إغلاق السفارة الأمريكية والإسرائيلية في عمان، والتي تدار منها خطط المكر والحرب على أهل الإسلام، لإنجاز ما بات يعرف بـ(الشرق الأوسط الكبير).

ثالثًا: الامتناع عن تدريب وتخريج القوات الرافضية من الشرطة والجيش العراقي العميل.

رابعًا: إغلاق السجون السرية للمجاهدين.

خامسًا: سحب التمثيل الدبلوماسي من بغداد، وعدم إرسال أي بعثة دبلوماسية أخرى، أيًّا كان مستوى تمثيلها.

ولا ننسى أن ننبه إخواننا المسلمين في الأردن إلى أن يبتعدوا وينأوا بأنفسهم عن التواجد في الأماكن الآتية؛ حفاظًا على أرواحهم وأنفسهم:

أولًا: القواعد والمطارات العسكرية التي توجد فيها القوات الأمريكية والبريطانية، سواء تلك التي داخل المدن أو خارجها.

ثانيًا: الفنادق السياحية التي يوجد فيها اليهود والصليبيون، في عمان والبحر الميت والعقبة والبتراء وجرش وغيرها.

ثالثًا: جميع السفارات والقنصليات التي شاركت حكوماتها في الحرب على العراق.

وهذه رسالة أخرى إلى طاغية الأردن الصغير: أخاطبك بعد أن أزبدت وأرعدت، وتوعدت بالعذاب الأليم لمن كان وراء هذه التفجيرات المباركة؛ فاسمع مني هذه الكلمات؛ لعلها تلاقي منك أذنًا مصغية، وقلبًا واعيًا: ذكر أهل السّير عن عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه- أنَّهُ قال: (بينما أنا واقفٌ في الصَّفِّ يوم بدرٍ نظرتُ عن يميني وشمالي، فإذا أنا بين غُلامين من الأنصارِ، حديثةٍ أسنانُهُما، تَمَنَّيتُ لو كُنتُ بين أضلعَ مِنهُما، فغمزني أحدهما، فقال: يا عمِّ؛ هل تعرف أبا جهلٍ؟ قال: قلتُ: نعم، وما حاجتك إليه يا ابن أخي؟

قال: أُخبِرتُ أنَّهُ يسُبُّ رسول الله ﷺ، والَّذي نفسي بيده؛ لئن رأيتُهُ لا يُفارقُ سوادي سوادَهُ حتَّى يمُوت الأعجلُ منَّا، قال: فتعجَّبتُ لذلك، فغمزني الآخر فقال لي مِثلها.

قال: فلم أَنشَبْ أن نَظَرَتُ إلى أبي جهلٍ يجول في النَّاس، قلت: ألا تريان؟ هذا صاحبكما الَّذي تسألانِ عنهُ، قال: فابتدراهُ بسيفيهما، فضرباهُ حتَّى قتلاهُ، ثُمَّ انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراهُ.

فقال ﷺ: "أَيُّكُما قَتَلَهُ؟"، فقال كُلُّ واحدٍ مِنهما: أنا قتلته، فقال: "هلْ مَسَحْتُما سَيْفَيْكُمَا؟"، قالا: لا، فنظر في السَّيفينِ فقال: "كِلَاكُما قَتَلَهُ")[1].

وفي حديث عبد الله بن مسعود –رضي الله عنه– قال: (أدركت أبا جهلٍ يومٍ بدرٍ صريعًا، فقلت: أَيْ عدُوَّ اللهِ قد أخزاك الله، قال: وبما أخزاني الله من رجلٍ قتلتموهُ، ومعي سيفٌ لي، فجعلتُ أضربهُ ولا يحيكُ فيه، ومعهُ سيفٌ له جيِّدٌ، فضربتُ يدهُ فوقعَ السَّيفُ من يده، فأخذتُهُ ثمَّ كشفتُ المِغفرَ عن رأسه فضربتُ عُنقه، ثمَّ أتيت النبي ﷺ فأخبرته فقال: "آللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ؟"، قلت: اللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، قال: "انْطَلِقْ فَاسْتَثْبِتْ"، فانطلقت، فأنا أسعى مِثل الطَّائر، ثمَّ رجعتُ، وأنا أسعى مثل الطَّائر أضحكُ فأخبرته، فقال رسول الله ﷺ: "فَانْطَلِقْ فَأَرِنِي"، فانطلقتُ معه فأريتهُ، فلمَّا وقف عليه ﷺ قال: "هَذَا فِرْعَوْنُ هَذِهِ الْأُمَّةِ")[2].

فهذا عدو الله أبو جهل فرعون هذه الأمة، لطالما سعى سعيًا حثيثًا في حرب الله ورسوله، وكم لاقى المستضعفون من المسلمين في مكة على يديه من العذاب والهوان، كابن مسعود وغيره، ثم انظر كيف دارت الدائرة عليه بعد أن خذل الله جيشه وجنوده واعتلى ابن مسعود صدر هذا الطاغية! هي ذي مصائر أجدادك من طواغيت قريش، فتفكر جيدًا فيما آلوا إليه من خزي في الدُّنيا والآخرة، ثم تذكر أنك قد حذوت حذوهم واقتفيت أثرهم، بل قد فُقْتهم عمالةً وخيانة لله ورسوله، بل إن أجدادك هؤلاء مع كفرهم وحربهم للإسلام والمسلمين: كانوا أكثر منك مروءةً ورجولة؛ فمع كفرهم وضلالهم كانوا إذا مروا بقبر أبي رغال يسبونه ويلعنونه؛ لأنه هو من دل أبرهة الحبشي وجيشه لهدم الكعبة، فكيف بك وأنت الذي فتحت البلاد، وقيّدت العباد لليهود والصليبيين، ومن ديارك انطلقت جحافل جيوشهم الجرارة لغزو العراق، فإن أول طليعة للجيش الصليبي دخلت العراق كانت من بوابة الأردن الشرقية، قبل أن تدخل قوات الصليب من الخليج وكردستان، فاسألوا صحراء الأنبار تُجِبْكم عن ذلك.

---

[1] متفق عليه.

[2] رواه الطبراني، وقال الهيثمي في الزوائد: رجاله رجال الصحيح غير محمد بن وهب، وهو ثقة. ورواه النسائي في السنن الكبرى من طريق آخر.

فيا سليل الخيانة؛ تذكر أن الذي مكّن ابن مسعود أن يعتلي صدر أبي جهل ويَحُزّ رأسه: قادرٌ على أن يصنع بك ما صنع به على أيدي المستضعفين من المسلمين، الذين ما ادخرت جهدًا لحربهم ولصدهم عن دينهم، ودعني أزيدك من الشعر بيتًا: فوَالذي جعل موت أبيك عبرةً لكل طاغية؛ إننا لا نشك لحظة واحدة أن نجمك آفلٌ لا محالة، تلك سُنة الله في الذين ظلموا: {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الأحزاب:٦٢]، {فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف:٩٨].

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ[١] بِالْحَصَى *** وَلَا زَاجِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ[٢]

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}،

والحمد لله رب العالمين.

---

[١] في الديوان: الضَّوَارِبُ. وذكر غير واحد من أهل العربية: الطوارق.

[٢] بيت لقصيدة لبيد بن ربيعة -رضي الله عنه-. انظر: ديوان لبيد بن ربيعة (ص٥٧).

الكلمة الثانية عشرة: فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ [صوتية]

٨ ذو الحجة ١٤٢٦ هـ || ٨ يناير ٢٠٠٦ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فإن من سنن الله تعالى في عباده: ألا ينتصر هذا الدين إلا على يد من ثبت على الحق وتمسك بالصراط المستقيم، ولأجل هذا قدّر الله تعالى الابتلاء على عباده ونوّع في الفتن؛ حتى تتميز الصفوف ويُنَقّى فسطاط المؤمنين؛ قال تعالى: {مَّا كَانَ اللهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ} [آل عمران: ١٧٩]، قال ابن القيم[١]: (فالناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين: إمَّا أن يقول أحدهم: آمنَّا، وإما ألا يقول: آمنَّا، بل يستمر على عمل السيئات؛ فمن قال: آمنا، امتحنه الرب عزّ وجل وابتلاه، وألبسه الابتلاء والاختبار؛ ليبين الصادق من الكاذب)[٢].

فتنة تعقبها أخرى تتصاعد باضطراد، حتى يضطر كل مدعٍ وكل من حسب نصرة الدين نزهةً: أن يحدد موقفه بوضوح، ولقد كانت ولا تزال سيرة النفاق هي هي: في عدم وضوح الموقف من الإيمان والكفران؛ حيث ترى ظاهرهم مع أهل الإيمان، وفي السر يتصلون بالكفار؛ ليضمنوا لأنفسهم خلاصًا من احتمال إدالة أهل الكفر على المؤمنين؛ قال ابن القيم: (فهم واقفون بين الجمعين ينظرون أيُّهم أقوى وأعزُّ قبيلًا، {مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا} [النساء: ١٤٣]، يتربَّصون الدَّوائرَ بأهل السُّنَّة والقرآن، فإن كان لهم فتحٌ من الله، قالوا: ألم نكُن معكُم؟ [...]، وإن كان لأعداء الكتاب والسُّنَّة من النُّصرةِ نصيبٌ، قالوا: ألم تعلموا أنَّ عقد الإخاء بيننا مُحكمٌ وأنَّ النَّسب بيننا قريبٌ؟)[٣]، قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: (وقوله تعالى: {مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء} [النساء: ١٤٣]، يعني: المنافقين محيَّرين بين

---

[١] في الأصل هو كلام ابن تيمية، انظر: جامع المسائل، ابن تيمية، (ج٣/ص٢٥٤).
[٢] إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان، (ج٢/ص٩٣٩).
[٣] مدارج السالكين، (ج١/ص٣٥٩).

الإيمانِ والكُفرِ، فلا هُم مع المؤمنين ظاهرًا وباطنًا، ولا مع الكافرين ظاهرًا وباطنًا، بل ظواهرهم مع المؤمنين، وبواطنهم مع الكافرين، ومنهم من يعتريهِ الشَّكُّ، فتارةً يميلُ إلى هؤلاء، وتارةً يميل إلى أولئك، {كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} الْآيَةَ [الْبَقَرَة:٢٠]، قال مجاهد: {مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء} [النساء: ١٤٣]، يعني: أصحاب محمد ﷺ، {وَلاَ إِلَى هَؤُلاء} [النساء: ١٤٣]، يعني: اليهود، وقال رسول الله ﷺ: "مَثَلُ الْمُنَافِقِ كَمَثَلِ الشَّاةِ الْعَائِرَةِ بَيْنَ الْغَنَمَيْنِ، تَعِيرُ إِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَإِلَى هَذِهِ مَرَّةً، وَلَا تَدْرِي أَيَّتَهُمَا تَتَّبِعُ"[١]، قال ابن جرير عن قتادة: (ليسوا بمؤمنين مخلِصين، ولا مشركين مصرِّحين بالشركِ)[٢].

إن لهذا النفاق ثلاثة منابع؛

الأول: نفاق عقائدي:

يتمثل بضعف اليقين وسوء الظن بالله تعالى، ومن ذلك إبطان الكفر وإظهار الإسلام، والإعانة على هدم الإسلام في الخفاء، وهذا من سوء الظن بالله تعالى؛ قال ابن القيم: (ومن ظن به أنه يُنال ما عنده بمعصيته ومخالفته، كما يُنال بطاعته والتقرُّب إليه: فقد ظن به خلافَ حكمته وخلافَ موجَبِ أسمائه وصفاته، وهو مِن ظنِّ السوء)[٣].

الثاني: نفاق طبعي أو خُلقي:

وأبرز أنواعه: الجبن والبخل وعدم الغيرة على الدين، والمعضلة أن هؤلاء يأبون الاعتراف بأنهم جبناء، ويرفضون وصفهم بعدم الغيرة، ويوجهون سهام النقد واللمز نحو المتمسكين بالحق، واصفين إياهم بـ(المتهورين) وبـ(الحماسيين) أو (الذين لا يفهمون الواقع)؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وتارةً يقولونَ: أنتم مع قِلَّتِكم وضعفِكُم تُريدُون أن تَكسِروا العَدَّو! وقد غرَّكُم دِينكُم! كما قال تعالى: {إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ عَزِيزٌ

---

[١] رواه مسلم.
[٢] جامع البيان، ابن جرير الطبري، (ج٧/ص٦١٦).
[٣] زاد المعاد، (ج٣/ص٢٧٢).

حَكِيمٌ} [الأنفال: ٤٩]، وتارةً يقُولُون: أنتم مجانينُ لا عقل لكم، تريدون أن تهلكوا أنفسكم والنَّاس معكم!)[١]، ولأن الله تعالى كتب على عباده المجاهدين الامتحان، بإدالة الكفار عليهم قبل التمكين؛ فإنا على يقين بأنا سنشهد اليوم الذي نرى فيه فريق النفاق المتسلق وقد اضطر إلى إظهار نفاقه، وسيقول يومها للكفار: (ألم نكن معكم؟! ألم ندخل البرلمان ورضينا بالديموقراطية وكنا شركاء لكم في القضاء على المتشددين والغرباء؟!). قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: (يخبرُ تعالى عنِ المنافقين؛ أنَّهم يتربَّصُون بالمؤمنين دوائرَ السُّوءِ؛ بمعنى ينتظرون زوال دولتهم، وظهور الكفرة عليهم وذهاب ملَّتهم؛ {فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ} [النساء: ١٤١]؛ أي: نصرٌ وتأييدٌ وظفر وغنيمةٌ، {قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ} [النساء: ١٤١]؟ أي: يتودَّدون إلى المؤمنين بهذه المقالة، {وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ} [النساء: ١٤١]؛ أي: إدالةٌ على المؤمنين في بعض الأحيان، كما وقع يوم أُحُدٍ، فإنَّ الرُّسل تُبتلى ثمَّ يكون لها العاقبةُ، {قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النساء: ١٤١]؛ أي: ساعدناكم في الباطن، وما ألوناهم خبالًا وتخذيلًا، حتَّى انتصرتم عليهم)، إلى أن قال: (فإنهم كانوا يُصانِعُون هؤلاءِ وهؤلاءِ؛ ليحظوا عندهم ويأمنوا كيدهم، وما ذاك إلَّا لِضعفِ إيمانهم، وقِلَّةِ إيقانهم)[٢].

الثالث: نفاق في المنهج:

ومثاله اليوم: ما عليه الوطنيون والمنحرفون عن هدي السنة في الجهاد، الذين يقاتلون لأجل الحدود، ويرضون بالعلمانية حكمًا، وبالثوابت الوطنية ميزانًا للولاء والبراء، وهؤلاء قد انحرفوا عن منهج النبوة إلى منهج بني علمان! قال حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه-: (المنافقون الَّذين فيكُمُ اليوم شرٌّ من المنافقين الَّذين على عهدِ رسول الله ﷺ)، قيل: وكيف ذاك؟! قال: (إنَّ أولئِك كانوا يُسِرُّون نفاقهم، وإنَّ هؤلاء أعلنوه)[٣].

وأما نفاق المنهج اليوم؛ فإن أخطر وجوهه: الوطنيون والمنتسبون للسلف زورًا؛ فهم يلبسون على الناس أمر دينهم، ويخدعون الجهال بمقاتلتهم الأعداء، وسعيهم إلى تحرير البلاد من نيل المحتل، وهم

---

[١] مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص٤٥٧).
[٢] تفسير القرآن العظيم، (ج٢/ص٤٣٦).
[٣] رواه ابن أبي شيبة، والطبراني والبخاري بنحوه.

في الوقت ذاته يسرون العداء للشريعة؛ بمحاربة دعاتها، شعروا أو لم يشعروا، علموا أو لم يعلموا، ولعمر الله تعالى؛ إن هؤلاء هم العدو القادم، وهم من جنس شر غائب منتظر، وسيستخدمهم الصليبيون لضرب المجاهدين.

وعند هذه النقطة: نحتاج إلى الوقوف على تاريخ الصليبيين وأساليبهم، وكيف غرر بالمسلمين في أكثر من موطن بسبب أهل النفاق؛

– ففي مطلع القرن العشرين: عقدت بريطانيا اتفاقها الشهير مع المدعو الشريف حسين، وأعطته الضمانات على تنصيبه ملكًا للعرب في حال وقوفه إلى جانبهم في الحرب ضد العثمانيين؛ وما أن انتهت من العثمانيين حتى التفتت إلى حليفها الذي قاتل عوضًا عنها، وألقت به منفيًّا يصارع الأمراض و تأكله الحسرات! يقول لورانس في أعمدة الحكمة السبعة: (لقد كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب: أن عهودنا للعرب ستصبح أوراقًا ميتة، ولو كنت ناصحًا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم، لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهمًا عشائريًّا بدويًّا، وكان البريطانيون والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادًا على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم، ولهم ثقة بالعدو، إنني أكثر فخرًا أن الدم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضتها؛ لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد)[١].

– وقبل ما يقارب ثمانية عقود خلت: هبت في مصر ثورة عارمة، انطلقت شرارتها من المساجد، والتف عليها بنو الأصفر حينها، واستدعوا على جناح السرعة ما أسموه: (زعيم الأمة المصرية) سعد زغلول من منفاه، وارتضوه أمينًا على مصالحهم ووكيلًا على مصر، فهو علماني من بني جلدتهم، وسيتكفل لهم بتقويض الشرع وتغييب التحاكم إلى الكتاب والسنة، فلم يخافون منه إذًا؟!

[١] مقتطفات من عدة مواضع في الكتاب جمعهن الزرقاوي في اقتباس واحد، (الطبعة الإنجليزية).

– وفي تلك الحقبة: تفجرت في العراق (ثورة العشرين)، وعلى الرغم من أنها لم تكن دعوة إلى الجهاد أو تحكيم الشرع؛ إلا أن الإنجليز وجدوا أنفسهم في ورطة، واضطروا صاغرين إلى الإتيان بفيصل بن الحسين وتنصيبه ملكًا على العراق.

– وفي ثلاثينيات القرن الماضي: قامت الثورة الكبرى، التي أشعلها عز الدين القسام في فلسطين ضد اليهود، وعجزت بريطانيا عن إخمادها؛ فاستنجدت بخادمها الملك عبد العزيز آل سعود، الذي أرسل ولده فيصل ليتحايل على زعماء الثورة من أجل إيقافها بعد أن تكفل لهم بوفاء (صديقتنا بريطانيا) –على حد وصفه– وتراخى الثوار؛ ليعطوا لبريطانيا فرصة استعادة أنفاسها وترتيب صفوفها، لتنقض عليهم، وتتمكن من إخماد الثورة، وتصفية رؤوسها.

ويلاحظ مما تقدم: أن تنازل الصليبيين عن بعض مطامعهم لا يلغي مخططهم الأكبر؛ فهم من جهة: يتنازلون عن شيء ما، ومن جهة أخرى: يرتبون أوضاعهم على إنجاز مشروعهم الأعظم.

ويلاحظ كذلك: أن حصولهم على فرصة إسكات الثائرين قد وفر عليهم في كل مرة احتمالية هزيمتهم، فمتى يدرك اللاهثون وراء وعود الكفار أنهم واهمون، وأنهم بتفاوضهم على التهدئة قد أعطوا للكفار فرصة الانقضاض عليهم؟!

ويراد لتلك المشاهد أن تتكرر اليوم مع قصة الحرب الصليبية الجديدة، التي تدور رحاها في أرض الرافدين، وهي تطمع في التمكين لليهود، وتتوسل إلى إطالة عمر تفردها عبر سيطرتها على أغنى بلاد الدُّنيا، ولما كانت تعلم أنها لن تجد في المنطقة خيرًا من دين الرَّافِضَة عونًا لها ومعولًا لهدم الإسلام، فقد جعلت من دعمهم والاعتماد عليهم جزءًا لا يفترق أبدًا عن مرافقة خطوات مخططهم الأثيم، وبعد الاجتياح السريع للعراق الذي اعتبرته ضيعة تابعة لها: عُيِّن بريمر حاكمًا عسكريًّا عليها، واستقدمت معه أكثر من عشرين وزيرًا أمريكيًّا، ولما انطلقت عجلة الجهاد: تنازلت قليلًا، واستدعت الراضين لأنفسهم بنصيب الخيانة؛ لتشكل منهم مهزلة (مجلس الحكم) السيئ الصيت؛ وحيث منيت خطوتها هذه بالهزيمة فقد عمدت هذه المرة إلى تمثيلية (تسليم السيادة)، وعينت حكومة انتقالية، وبعد استحقاق خياني واضح؛ سلموا مسؤولية الخادم المطيع إلى الرَّافِضَة، وأطلقوا يدهم في التنكيل

بأهل السنة، وقد هدفت من ذلك إلى جرهم إلى حظيرة الخيانة، وجعلهم على قناعة من عدم جدوى قتالها، وما دار في خلد دهاقنة (البيت الأسود) أن تكون أرض الرافدين مستنقعًا يغوص فيه الجيش الأمريكي حتى هامته، وظنوا أن دار الخلافة بعد عقود من حكم البعث الكافر: قد تخللتها حربان وحصار أهلك الحرث والنسل، ولن تكون إلا غنيمة باردة؛ فأرداهم ظنهم، وانبرى ليوث التوحيد لأقوى جيوش الأرض، متسلحين بإيمانهم بالله أولًا، وبالخفيف من الأسلحة ثانيًا، فأذلوا كبرياء (هُبل العصر)، ومرغوا أنف جيشها الجرار ومن تحالف معها بالوحل، وبعد لاءات أمريكا في بداية مشروعها الصليبي في أرض الرافدين: بدأ مسلسل التنازلات يزداد باضطراد؛ كلما ازداد حجم خسائرها في أرض الرافدين، لينتهي بها المطاف أخيرًا تستجدي العون والمساعدة ممن كانت قد ركلتهم وداست على رؤوسهم قبل وقت قريب!

فقد عملت أمريكا على خطين للخروج من ورطتها؛

الخط الأول: وينشط خارج أرض الرافدين؛ وذلك بإلزام حلفائها بتحمل جزءٍ من التزاماتها المالية والعسكرية، لكن دون أن يجديها ذلك نفعًا، وهذا ليس بخفي على أحد؛ فهذه أفغانستان قد سلمت لجيوش حلف الناتو لما رأوا ورطة زعيمة النظام العالمي الجديد، وقد بدأت الأرقام تتحدث عن حجم الكارثة التي ألمت بها، ومن فم ساسة ما يسمّى بـ(الكونجرس الأمريكي)، وبدأت تتكشف الأرقام الحقيقة للخسائر؛ فبالإضافة لأكثر من خمسة عشرة ألف إصابة بين قتيل وجريح؛ جاءت أرقام الخسائر المادية لتعلن عن أكثر من نصف تريليون دولارًا؛ هذا ناهيك عن هيبة أمريكا التي تلاشت مع تبخر أحلامها في أرض الرافدين، ونحن نقول: بأن هذه الإحصائية هي إحصائية العدو الصليبي، والتي هي أقل بكثير من الأرقام الحقيقة، ويكفي أن نذكر للسامع مثالًا بسيطًا ليعلم حجم الخسائر في قوات التحالف الصليبي: أنه ومنذ أن بدأت عمليات المجاهدين بعد سقوط النظام البعثي إلى يومنا هذا: نفذت قرابة ٨٠٠ عملية استشهادية على أهداف وأرتال عسكرية صليبية بحتة، وهذا من غير الاقتحامات والكمائن والعبوات الناسفة والقصف الصاروخي وغيره، والذي نعتقده أن خسائر عباد الصليب في العراق لا تقل عن أربعين ألف جندي حتى الآن، والله أعلم، وأيضًا استنجادهم بجامعة الدول العربية، ممثلة بأمينها العام عمرو موسى، ودعوته لمؤتمر المصالحة المزعوم في

القاهرة، مع أناس مفاخرين بموالاتهم للصليبيين كالرَّافِضَة وعلماني الأكراد وغيرهم، وأناس آخرين محسوبين على أهل السنة زورًا وبهتانًا، يمسكون العصا من الوسط، يخافون الدوائر، ويطمعون أن يكون لهم سهم في هذه الغنيمة، وبئس ما ظنوا.

وحيال هذه المؤامرة؛ نحتاج إلى فهم طريقة الكفار في التعامل مع القضايا التي تماثل الوضع في العراق، ونحتاج إلى التعريف بحقيقة المجتمعين؛ لأنك إن أردت أن تفهم خطورة دورهم، وتتمكن من توقع ما سيأتون به؛ فتعرّف على تاريخ هؤلاء، واطلع على أسلافهم؛ فإن لهم تاريخًا أسودَ مع جميع قضايا المسلمين، وعلى مدار الوقت الفائت من عمر المعركة الدائرة بين ملة الكفر وبين أمة الإسلام، لقد لعبوا دائمًا دور المنقذ لأمريكا ولعموم الغرب الصليبي كلما اشتدت الأزمة بالكفار وادلهمت الخطوب بأعداء الأمة، ونأتي الآن على ذكر الجامعة العربية والدول الأعضاء فيها، والذين وقفوا عاجزين عن حل أي قضية، أو تحريك أي قطاعات عسكرية لدفع هجوم ما عن الدول العربية، وهي بهذا الاعتبار فاشلة حتى على المفهوم القومي والمقياس الوطني الذي تحتكم إليه، واللحظة الوحيدة التي عرفت تحركًا محمومًا للجامعة العربية: هي تلك التي شهدت غزو البعثيين للكويت، وهنا حركوا الجيوش وقاتلوا مع سيدهم الأمريكي لتحرير الكويت، لصالح الأمريكان، وتحويلها من يد صدام إلى يد بوش! إن هذه الدول التي اجتمعت في القاهرة لإتمام مشروع (الوفاق الوطني): هي ذاتها التي شاركت في ذبح العراق، وتعاونت مع الأمريكان على ذلك؛ عبر فسح المجال البري والجوي والبحري، وتقديم المعلومات الاستخباراتية للأمريكان.

ألم يكن أول صاروخ أطلق على بغداد من بارجة أمريكية كانت راسية بالقرب من الإسكندرية؟!

وكيف كان للأمريكان أن يصلوا إلى بغداد دون معاونة هذه الدول المحيطة بالعراق؟!

وهل كانت أمريكا تسمح لهذه الدول الخائرة أن تتكلم بالشأن العراقي لولا ورطتها في العراق؟!

وأما الخط الثاني؛ فإنه ينشط داخل أرض الرافدين، وهو طوق النجاة الأخير، وعليه يعوّل عتاولة البيت الأسود، ولهذا أعد الكفر عدته وعبأ ذخيرته، وكلما خابت محاولة أعاد الكرة؛ فتارة (مجلس حكم)، وتارة أخرى (حكومة انتقالية)، ومن علاوي العلماني إلى الجعفري العلقمي، أخذت أمريكا

تجتر عملاءها لعلها تخرج بحل لمأزقها، والحق يقال: فأمريكا حبلى بالعملاء؛ ولكن في كل مرة لا يرى وليدها النور، كيف لا؟ وهي في أرض سعد والمثنى، التي لم تزل عرينًا للأسود، واليوم: وبعد أكثر من سنتين ونصف، وبعد فشل أحفاد ابن العلقمي في كل شيء إلا في التنفيس عن حقدهم الرافضي: وجد سيدهم الأمريكي أن الأوان قد حان للتخلي عنهم ظاهرًا، وأن الدور اليوم لنوع آخر من العمالة لا يستطيع القيام به إلا نوع خاص من العملاء، فمن يا ترى أفضل ممن يدعي دعوى الإسلام، ويظهر بمظهر المخلِّص لأهل السنة؟!

ويمكننا تصنيف أصحاب هذا اللون من النفاق بفريقين؛

الفريق الأول: وهو ذاك الصنف الذي أدرك منذ اليوم الأول لدخول الصليبيين أرض العراق ألا سبيل لقبول دعوته إلا بنسبتها إلى الإسلام، فكان منهم من اختار الانتساب للإسلام العام، ومنهم من انتسب إلى دعوة السلف وأهل السنة والجماعة، وها نحن نراهم اليوم مضطرين للرجوع إلى أصولهم العقدية، وهم من بات على اتصال مع الكفار وحاميًا للمقرات الانتخابية، وهم من لا يزال يتلاعب بأتباعه ويخادع الناس من خلال تصريحه بشيء، وبعمله في السر شيئًا آخر! ولله در الشيخ أبي قتادة حين يقول: (مرت فتراتٌ متقطّعة من أعمال الجهاد، واقعة يتقمّصها غير أصحابها، ويتاجرُ بها غيرُ أبنائها، وسبب ذلك عائدٌ إلى عواملَ؛

منها: رضا الجماهير المسلمة عن هذا الجهاد، ومن أجل الرِّفعة والظُّهور على أكتاف المجاهدين، فتسارع هذه التّنظيمات الطفيليّة إلى تقمُّص دور البطولة، وإظهار نفسها في موقع الرّيادة في هذا الجهاد، فترتفع الأرصدة الإعلاميّة، وبالتّالي ترتفع الأرصدة الماليّة، وحينئذٍ يصبح الجهاد في مأزق حقيقيّ؛ حيث يضرب المجاهدون ضربًا شرسًا؛ وذلك ليصبحوا تحت وطأة هؤلاء اللصوص وقطّاع الطّريق إلى الله تعالى، فتظهر الأمراض العجيبة، وتتكشّف النُّفوس الخبيثة، ويقع الفِصام النّكد بين المجاهد الحقيقيّ والمموّل الخبيث -لص بغداد-، وأمثلة هذا كثيرة الوقوع وعديدة، فمِن أفغانستان إلى فلسطين إلى البوسنة والهرسك إلى سوريا.

ومن هذه العوامل كذلك: إرضاء القواعد التّحتيّة المتململة؛ فالإنسان المسلم الفطري السويّ تتوق نفسه فطريًّا إلى الجهاد، وإلى المشاركة في مواطن العبوديّة لله ضدّ الكفر بجميع صنوفه وأشكاله، فمن أجل تفريغ هذا المرجل من بخاره الغاضب؛ فلا بد من بعض المنفّسات للتّفريغ الذّكيّ الخبيث، فتسارع الجماعة إلى تبنّي أعمال جهاديّة، لتقنع القيادة قواعدها أنّها لم تغيّر الطّريق، أو لتعريف قواعِدها: أنّ هناك فرقًا بين ما هو معلن من أجل الغطاء السّياسي، وبين ما هو مخفيّ حقيقيّ)[١]، انتهى كلامه رفع الله قدره وفك أسره.

الفريق الثاني: الحزب الإسلامي العراقي وحلفاؤه، وتاريخه مع الجهاد وأهل السنة معروف؛ فهو من رضي أن يكون طوق النجاة الذي أنقذ أمريكا في معركة الفلوجة الأولى، والتي كادت تعصف بالوجود الأمريكي في العراق، لولا الهدنة التي سعى إلى إبرامها هذا الحزب؛ لإنقاذ السيد الأمريكي من المستنقع الذي غرق فيه، بعد أن ضيق الخناق على القوات الصليبية والرافضية حول الفلوجة، وبعد أن قطع المجاهدون -بفضل الله تعالى- طرق الإمداد عنهم، واشتعلت الأرض من تحت أقدامهم، حتى أن ناقلاتهم وعرباتهم علقت في الطريق نتيجة نفاذ الوقود، ولقد حدثنا الإخوة ممن كانوا أسارى في سجن أبي غريب: أن إدارة السجن أثناء معركة الفلوجة قد أيقنت بالهلكة، بعد أن قام المجاهدون بقطع جميع الطرق المؤدية إلى السجن، وأن المجاهدين قادمون إليهم لا محالة، فجاءت إدارة السجن يسألونهم: (ماذا أنتم فاعلون بنا إذا جاءنا المجاهدون؟)، فقال لهم الإخوة: (تسلمون أسلحتكم لنا مقابل أن نؤمنكم)، واتفق الطرفان على ذلك، فقام الحزب الإسلامي بمبادرته -غير مشكور عليها- بإنقاذ سيده الأمريكي، أرأيتم كيف يذبح الإسلام على يد هؤلاء المتسلطين؟!

وهو من أدخل الفرحة على قلب بوش وزمرته؛ بعقد اتفاق (اللحظة الأخيرة)، كما سمتها مجلة النيوز ويك، والذي نفخ الروح في دستور كان مقررًا أن يولد ميتًا، فهذا الدستور كان مرفوضًا حتى من دعاة القومية والوطنية، ولكن جهابذة هذا الحزب لم يجدوا حرجًا من القبول به، واتخاذه منظمًا لحياة المسلمين في هذا البلد، بدلًا من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، تحت دعوى وعود من كافر صليبي،

---

[١] المقال ٦٧ من مقالات بين منهجين.

زعم لهم إمكان إدخال بنود إضافية إليه، تضمن تعديله مستقبلًا، وهو من نسق الاتصالات مع زلماي خليل زاده (السفير الأمريكي الحاكم للعراق) يوم أن اجتمع برموزهم في المنطقة الخضراء قبل التصويت على الدستور الكفري، قائلًا لهم: (صوتوا على الدستور ولكم ما تريدون)، فتمت الصفقة، وراح الحزب يعطي الرشاوي المغرية لبعض شيوخ العشائر من أجل إقناعهم بضرورة المشاركة في الانتخابات، ولكن مقابل ماذا؟! مقعد في البرلمان مقابل تعهد شيوخ العشائر بحفظ أمن القوات الأمريكية في مناطقهم! دين يباع وجهاد يعطل مقابل مقعد في برلمان لا يدفع شرًّا ولا يغني من كفر! أبلغت الحماقة حد بيع المرء دينه بعرض من الدُّنيا قليل؟! هذا هو الحل السياسي الذي يبشر به الحزب الإسلامي والمتحالفون معه! فيا لله ما أذلّكم! إذ تستبدلون فتات موائد إخوة القردة والخنازير وعباد الصليب بمرضاة ربكم! واعجبي! أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض!

وما كانت أمريكا لتستجدي الحلول من بعض المنتسبين للسنة إلا بعد عجز آلتها العسكرية عن القضاء على المجاهدين، وفشل خدمها من الروافض وغيرهم في إطفاء جذوة الجهاد في نفوس شباب هذه الأمة، وأيقنت أنها لن تستطيع -بأمر الله- القضاء على المجاهدين، فراحت تبرم الاتفاقات على تولي هؤلاء مهمة القضاء على الجهاد، بإدخال أهل السنة في دياجير اللعبة السياسية، مقابل إشراكهم في جريرة التخلي عن الجهاد لصالح الحلول السلمية الانهزامية! والنتيجة المرجوة: هدوء يوفر للصليبيين فرصة لترتيب أوضاعهم وتهيئة القوات اللازمة لحماية قواعد الصليبيين، ولقد قال من قبل لويس التاسع (ملك فرنسا) بعدما هُزم جيشه في مصر في الحملة الصليبية الثانية في مذكراته[١]: (إنه لا سبيل إلى السيطرة على المسلمين عن طريق الحرب والقوة؛ وذلك بسبب عامل الجهاد في سبيل الله، وإن المعركة مع المسلمين يجب أن تبدأ أولًا: من تزييف عقيدتهم الراسخة التي تحمل طابع الجهاد، ولا بد من التفريق بين العقيدة والشريعة)[٢]، ويقول منظّر العقيدة العسكرية الأمريكية كوردسمان: (إن فشل المشروع السياسي الأمريكي في العراق يعني فشلًا أكيدًا للعسكر)[٣].

---

[١] مذكراته كتبها المؤرخ المصاحب للويس التاسع، انظر: مذكرات جوانفيل: القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام.
[٢] لم أجد في مذكراته مثل هذا الكلام. وذكر غيرمصدر من المصادر العربية قوله ذلك لكن لا أثر في المذكرة.
[٣] انظر لكوردسمان: The Iraq War : strategy، tactics، and military lessons

إن مؤتمر القاهرة (وكذا الانتخابات الأخيرة) لم يُعقدا إلا للالتفاف على المجاهدين، والإتيان بالوطنيين بدلًا عنهم؛ ولو كان ذلك مما يضر بأمريكا: لَما سمحت بقيام شيء من ذلك، وعلى أي حال: فقد انتهى المخطط الأمريكي والاتفاق المبرم مع الخونة.

فإن لنا مطالب، لن نتراجع عنها حتى نعذر عند ربنا بالقتل شهداء، أو بالنصر والعيش تحت حكم الله سعداء؛ ومطالبنا هي:

أولًا: طرد الغزاة من أرضنا في فلسطين والعراق وفي باقي أرض الإسلام.

ثانيًا: إقامة شرع الله تعالى في الأرض كلها، ونشر عدل الإسلام والقضاء على ظلم الأديان، ولن نوقف الغارات حتى ينتصر الإسلام ويقام الشرع، أو نهلك دونه.

وننبه إخوتنا وأهلنا من أهل السنة في العراق إلى أمور هامة؛ وهي:

الأمر الأول: إنه ليحزننا اعتقال أحدكم أو مجرد المساس به، ولو بشطر كلمة، لكن السبيل للخلاص من ذلك ليس بالاستكانة للكفار، ولا بالرضا بحكم الجاهلية، ولكن بالجهاد تستجلب العزة وتتنزل الرحمات، فإن تعسر حصوله أو تأخر نزوله: فبحسبكم إخبار الله تعالى عن نبيه وعن أصحابه الكرام يوم استبطؤوا النصر، فقال: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: ٢١٤].

الأمر الثاني: ليس الذلة أن يُقتل المرء أو يُعتقل، ولكن الذلة أن يعيش عاجزًا عن تطبيق شرعة ربه في الأرض، والذلة أن ترى اليهود يسرحون ويمرحون بين ظهراني المسلمين وأنت صامت لا تستطيع حراكًا، ومكبل لا تستطيع فكاكًا، والذلة أن يتمكن الصليبيون وأعوانهم من بسط سيطرتهم وبناء قواعد لهم، ثم الانطلاق منها لقتل المسلمين ومحاربة الله ورسوله، والذلة أن ترى أخواتك وهن يصرخن من قهر السجان الصليبي وأنت مرتاح البال قرير العين! لا يستوي المصرفان، وحاشا؛

فالأول: في غضب الله وسخطه، مع الذلة والهوان والخسران في الدُّنيا والآخرة.

والآخر: في رضى الله ورضوانه، مع العزة والكرامة والفوز المبين في الدُّنيا والآخرة.

وهذا يبين أن القعود عن الجهاد، والركون إلى الدُّنيا والإخلاد إليها، والاستكانة لحكم الطاغوت وقهره، وتطاول الزمن على ذلك: ينتج أجيالًا خانعةً، ذليلةً، مهانةً، استمرأت الذل والمهانة، وألفت حياة القهر والعبودية لغير الله؛ فلم تعد تنكر شيئًا من ذلك، فضلًا عن أن تدفعه، فهي أجيال تساق، فتنساق، وكفى من ذلك فتنة من جراء ترك الجهاد لمن في قلبه أدنى مثقال ذرة من إيمان؛ ولذا فإن إطفاء شعلة الجهاد وجذوته في الأمة: هو في حقيقة الحال وبالنظر للمآل تسليم لهذه الأمة لأعدائها طيعة ذليلة، وحسبنا الله ونعم الوكيل في هؤلاء الذين شغفوا بالحديث عن فتنة الجهاد ومفاسده، ولم ينبسوا ببنت شفة عن فتنة ترك الجهاد ومفاسد القعود عنه، وما أصدق قول شوقي:

وَمِنَ العُقولِ جَداوِلٌ وَجَلامِدٌ *** وَمِنَ النُفوسِ حَرائِرٌ وَإِماءُ[1]

فضريبة الجهاد في سبيل الله، مهما تعاظمت وكبرت؛ فإنها لا يمكن أن ترقى إلى ضريبة الذل والهوان وما يتبعها من ذهاب الدين والدُّنيا إن لم ترفع، مع التذكير بأن الطاغوت لا يقف عند حد من طلب العبودية له، حتى يسلخ العباد تمامًا من دينهم مع ضياع الدُّنيا، وفي الآخرة عذاب النار وبئس المصير، فهل هناك فتنة أعظم من هذه الفتنة؟ وهل هذه الفتنة تقارن بالحرص على نفس أو مال أو منصب أو جاه أو مكانة تنظيمية أو منزلة علمية؟! بل هذا الحرص الذي يُترك من أجله الجهاد هو عين ما قد يُبتلى به عبد من فتنة حقيقية تقتلع دينه من أعماقه!

يقول المستشرق غِبّ في كتابه وجهة الإسلام: (تغريب الشرق: إنما يقصد به قطع صلة الشرق بماضيه جهد المستطاع، في كل ناحية من النواحي، حتى إذا أمكن صبغ ماضي الشرق بلون قاتم

[1] بيت في قصيدة (الْهَمْزِيَّةُ النَّبَوِيَّةُ)، الشاعر أحمد شوقي. انظر: ديوان شوقي (ص٦٠٢).

مظلم، يرغب عنه أهله: فقدت شعوب الشرق صلتها بماضيها، ففقدت بذلك أعظم جانب من حيويتها، وترى بعد ذلك في خضوعها شرفًا كبيرًا)[١]!

وصدق رسول الله ﷺ حين قال: "إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ، وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ، وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ، وَتَرَكْتُمُ الْجِهَادَ: سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًّا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ"[٢].

الأمر الثالث: لقد كان بإمكاننا -بإذن الله- إفساد الانتخابات في أكثر مناطق العراق، ولكننا أحجمنا عن ذلك؛ دفعًا لاحتمالية مقتل عوام أهل السنة، الذين لُبّس الأمر عليهم من قبل أئمة الضلالة، ولقد كنا نتوقع غدر الصليبيين بهم، وأنهم استُدرجوا لفخ نصب لهم بإحكام.

الأمر الرابع: رسالة نوجهها إلى الحزب الإسلامي: ندعوه فيها لترك هذا الطريق الوعر والمنزلق المهلك، الذي سار فيه، وكاد يُهلك أهل السنة، ويورطهم في الخلود إلى الدُّنيا، والرضا بحكم الجاهلية التي ألبسوها زي (المصالح الشرعية)، ولقد كان الأولى بهم دعوة الناس إلى الجهاد في سبيل الله تعالى، والحزن على أخواتنا وإخواننا في سجون عباد الصليب، وليس الفرح والرقص في الشوارع ابتهاجًا بنصر موهوم، وفتح مزعوم، فأين الغيرة على الدين وعلى المسلمين؟!

وهذه صرخة أخرى إلى أهل السنة عامة، وأتباع الحزب الإسلامي خاصة: أين يُذهب بكم؟! وفي أي طريق تسيرون؟! ألا تتقون الله تعالى في هذا الجهاد المبارك؟!

ففي الوقت الذي بان للقريب والبعيد خسارة العدو الصليبي في حربه مع المجاهدين؛ تمدّون له حبل النجاة وأنتم غافلون؟! ووالله إنا عليكم لحريصون، وعلى حالكم لمشفقون، فاحذروا من دعاة على أبواب جهنم، فوالله إن حالنا وحالكم كالمثل القائل: (أُكِلتُ يوم أُكِلَ الثور الأبيض)! فإن

---

[١] لا يوجد هذا الاقتباس بهذا اللفظ في مقالة وجهة الإسلام، بل بصريح العبارة يقول: الإسلام والمسلمين بدل المشرق، ويدعو إلى (الاستغراب) والتخلي عن الأصول القديمة. والاقتباس كأنه ذكر بالمعنى وليس منسوخًا من الأصل. انظر: وجهة الإسلام نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي (ص٢٠٤-٢٤٨).

[٢] رواه أبو داود (قال ابن حجر في بلوغ المرام: فِي إِسْنَادِهِ مَقَالٌ. ولأحمد: نحوه من رواية عطاء، ورجاله ثقات وصححه ابن القطان).

المجاهدين هم درع الأمة وسياجها المتين، وهم الذين يدافعون عن دينكم وعن أعراضكم، وقد بذلوا الغالي والنفيس؛ فوالله لو ضعف المجاهدون، فلن تأمنوا على نسائكم وأعراضكم طرفة عين.

فيا أهل السنة؛ لقد ضحيتم وبذلتم الكثير، وقُتل منا من قُتل في سبيل هذا الدين، وفي سبيل الحفاظ على أمة الإسلام؛ فلا تكونوا شؤمًا على أمة نبيكم، ولا ترتضوا لأنفسكم مصير الخذلان، فإن عاقبته عاقبة سوء وندامة. قال شيخنا وأميرنا الأسد المجاهد أسامة بن لادن -حفظه الله ورعاه- في رسالته لأهل العراق: (واعلموا أن هذه الحرب هي حملة صليبية جديدة على العالم الإسلامي، وهي حرب مصيرية للأمة بأسرها، ولها من التداعيات الخطيرة والآثار السيئة على الإسلام وأهله ما لا يعمل مداه إلا الله، فيا شباب الإسلام في كل مكان، ولا سيما في دول الجوار واليمن؛ عليكم بالجهاد والتشمير عن ساعد الجد، واتبعوا الحق، وإياكم أن تتبعوا الرجال الذين يتبعون أهواءهم، ممن تثاقلوا إلى الأرض، أو ممن ركنوا إلى الذين ظلموا، فيرجفوا بكم ويثبطوكم عن هذا الجهاد المبارك، فقد تعالت أصوات في العراق -كما تعالت من قبل في فلسطين ومصر والأردن واليمن وغيرها- تنادي بـ(الحل السلمي الديموقراطي)[1] في التعامل مع الحكومات المرتدة أو مع الغزاة من اليهود والصليبيين، بدلًا عن القتال في سبيل الله؛ لذا لزم التنبيه باختصار على [مدى] خطورة هذا المنهج الضال المضل المخالف لشرع الله المعوّق عن القتال في سبيله، [...]، فكيف تطيعون -مع تعيّن الجهاد- مَن لم يغزُ في سبيل الله أبدًا؟! أفلا تتدبرون! فإن أولئك هم الذين عطلوا طاقات الأمة من الرجال الصادقين، واحتكموا إلى أهواء البشر، إلى الديموقراطية -دين الجاهلية- بدخول المجالس التشريعية، أولئك قد ضلوا ضلالًا بعيدًا وأضلوا خلقًا كثيرًا)[2]، انتهى كلامه حفظه الله.

وهذه رسالة إلى أمة الإسلام؛ تقبل الله منا ومنكِ صالح الأعمال، وأعاد الله علينا هذا العيد وأنتِ تنعمين بالعز والتمكين، حديثي اليوم إليك يتجدد، ولكنه ليس تذكيرًا بالجراحات، أو استنهاضًا للأنفس الأبيّات، بل هو حديث البشارات في أيام الفداء والتضحيات؛ فما هي العمليات

---

[1] استمع: لكلمة (السلمية دين من؟!)، أبو محمد العدناني.

[2] إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة، شعبان ١٤٢٤هـ.

تتوالى، -وبإذن الله تعالى- لتكونن كسرة الصليبيين هذه، الكسرة التي ما لهم بعدها قائمة في أرض الرافدين.

أبشري أمتي! فقد دنا وقت الحصاد، واقترب وقت الجداد.

أبشري أمتي! فالنصر للمؤمنين والعاقبة للمتقين، مهما طال ليل الظالمين.

أبشري أمتي! بقرب هلاك رأس الكفر أمريكا؛ فقد جرت سنة الله أنه سبحانه يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، وأنه يهلك الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة، وقد طغت حاملة الصليب وتجبرت، وعم ظلمها مشارق الأرض ومغاربها، وقد أذن الله بسقوطها، فسلط عليها جنود الأرض والسماوات، فهؤلاء أهلها قد تتابع عليهم الإعصار تلو الإعصار؛ فلا يكادون ينسون جراحات وآلام إعصار حتى يعقبه آخر ينسيهم من قوته وبطشه أهوال ما قبله، وهؤلاء جنودهم تتخطفهم أيدي المجاهدين على أرض الرافدين وأفغانستان؛ فإن أمريكا اليوم تلفظ أنفاسها الأخيرة، وتترنح أمام ضربات المجاهدين في أفغانستان والعراق، وكل ما تسمعونه على لسان (كذاب البيت الأبيض) بأن الوضع في العراق في تحسن مستمر، وأن الجيش العراقي بدأ بتحمل مسؤولياته، وبات يبسط سيطرته على بغداد وغيرها: فهذا كله محض كذب وتزوير؛ فوالله إن هذا الجيش الرافضي الذي ينفخ فيه عدو الله بوش ليحتمي خلفه من ضربات المجاهدين: لا يستطيع أن يحمي نفسه من سيوف أولياء الله، وإن معنويات هذا الجيش في أدنى مستوياتها، وقد دب الخوف والهلع والرعب في صفوف هذا الجيش، حتى بلغ بهؤلاء الجنود أن يحمل أحدهم حقيبة صغيرة بيده يضع فيها لباسه المدني، حتى إذا حمي الوطيس واقترب منه جنود الرحمن خلعوا بدلاتهم العسكرية، وارتدوا اللباس المدني، واندسوا بين الناس! ولقد بلغ قتلى هذا الجيش الرافضي خلال الأسبوعين الماضيين أكثر من ٥٠٠ جندي؛ ففي محافظة ديالي وحدها: قام الإخوة بالهجوم المسلح والمنظم باقتحام ثلاثة مراكز للشرطة والجيش في بعقوبة وبهرز والعظيم، فتم قتل ما لا يقل عن ١٥٠ جنديًّا من العدو، وتدمير هذه المراكز تدميرًا كاملًا، فهذا في مدينة واحدة، فكيف بالمدن الأخرى؟ -طهرها الله من رجس الصليبيين والروافض الحاقدين- كبغداد والأنبار وصلاح الدين ونينوى وغيرها، ولولا تواطؤ الإعلام الخبيث

بشتى وسائله مع العدو الصليبي، لَهَالكم ما ترون من حجم خسائر العدو الصليبي وأعوانه، وبإذن الله لَيُنْسِيَنَّهم ما يلاقونه على أيدي المجاهدين أهوالَ فيتنام.

وما رأيتموه في الأيام الماضية من قصف مُركّز بالصواريخ على أحفاد القردة والخنازير من جنوب لبنان؛ لهو باكورة عمل مبارك في ضرب العدو الصهيوني في عمق وجوده -بإذن الله-، وكل ذلك بتوجيه من شيخ المجاهدين الشيخ أسامة بن لادن -حفظه الله-؛ لتعلم أمريكا وربيبتها دولة بني صهيون: أن تطهير مسرى رسول الله ﷺ من صميم عقيدة المسلمين، وأن وراء المسلمين في فلسطين أمة لا تنام على الضيم، طليعتها يجاهدون في سبيل الله، آلوا على أنفسهم ألا يغمض لهم جفن ولا يهنأ لهم عيش وهناك يهودي واحد على ثرى الأرض المباركة، {وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا} [الإسراء: ٥١].

وأقسم بالله الذي لا إله إلا هو؛ أن الله ناصر أوليائه المجاهدين على أعدائه الصليبيين، ولكأني بضياء فجر العز يلوح في الأفق، وإن غدًا لناظره لقريب، {أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: ٢١٤]، قال سبحانه: {لاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩].

اللهم أنزل بأمريكا وحلفائها بأسك الذي لا يُرَدّ عن القوم الظالمين، اللهم عذّبهم بعذاب من عندك أو بأيدينا، اللهم كل من تآمر على الجهاد والمجاهدين فَرُدَّ كيده في نحره، واكشف خبيئته، وافضح سريرته، واجعله عبرة لمن يعتبر، اللهم سلط عليهم الأسقام والبلايا، اللهم عليك بقادة (الحزب الإسلامي) ومن تواطأ معهم، اللهم شتت شملهم، وفرّق جمعهم، وخالف بين قلوبهم، اللهم مزقهم كل ممزق، واجعلهم في الأرض أحاديث.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}، والحمد لله رب العالمين.

سلسلة محاضرات

"لا يضرهم من خذلهم"



المحاضرة الأولى: القِتَالُ، قَدَرُ الطَّائِفَةِ المَنصُورَةِ

٣ شعبان ١٤٢٦هـ || ٦ سبتمبر ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبة للمتقين بفضله، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفه، أمَّا بعد:

فإنَّ اللهَ سبحانَه وتعالى خلقَ الخلقَ لعبادته واتّباعِ شريعته، ولم يتركهم هملًا، بل أرسل إليهم رُسُلًا يدعونهم إليه، ويدلونهم عليه؛ فانقسم العبادُ إلى فريقين: فريقٍ هداهُ الله بفضله ورحمته، وفريقٍ أضلّهُ اللهُ بعلمه وعدله، ومضى قدرُ الله وجرت سنته أن يقع التدافع والصراع بين هذين الفريقين؛ الحقِّ وأنصاره، والباطلِ وأعوانه، وذلك على مر العصور، وكرِّ الدهور، وإلى أن يرث اللهُ الأرضَ ومن عليها، {سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الأحزاب: ٦٢].

فصل: اختلاف الحق والباطل[١]

وذلك أن الحقَّ والباطل ضدان لا يجتمعان أبدًا؛ فوجودُ أحدِهما على أرض الواقع يستلزم -ولا بد- محوَ الآخر أو إضعافه، بتجريده من الأسس التي يرتكزُ عليها، والمبادئِ التي قيامه بها، فلا يتصور في ميدان الواقع أن يتعايشَ الحق والباطل معًا على أرضٍ واحدة من دون غلبة لأحدهما على الآخر، أو سعيٍ لتحقيق هذه الغلبة، ولو فُرِضَ أن الحق استكان حِقبة من الزمن، وأحجَمَ عن مزاحمة الباطل ومدافعته؛ فإن الباطل لن يقابل هذه الاستكانةَ إلا بصولةٍ يستعلي بها على الحق وأهله، يروم من خلالها النيلَ منهم والقضاءَ عليهم، أو على الأقل تجريدهم من أهم ما يميزهم عن الباطل وأهله، عبر سلسلةٍ من التنازلات والتي لا تبقي لهم من الحق غير اسمه، ومن منهجه غير رسمه؛ ليغدو في نهاية المطاف جزءًا من مملكة الباطل، وذيلًا من أذياله، وبئست النهاية!

---

[١] تعليق إتقان: العناوين الفرعية هي زيادة مقترحة لفهم سياق الكلام.

والقرآنُ الكريم يزخر بالآيات التي تُقررُ هذه الحقيقة وتؤصِّلها؛ يقول الله سبحانه وتعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا} [إبراهيم: ١٣]، إنها حقيقةُ المعركة بين الحق والباطل، حقيقةٌ ثابتة مستقرة، لا تتغير بتغير الزمان، ولا تتبدل بتبدلِ المكان، فليس لأهل الأيمان من الرسل وأتباعهم عند ملل الكفر قاطبةً إلا أحدُ سبيلين: إمّا أن يُخْلُوا لهم الأرض بالقتلِ والتصفية والتشريدِ والطرد والإبعاد؛ ليعيثوا فيها كفرًا وفسادًا، وإما أن يتنازلوا عن الحقِّ الذي معهم، ويستسلموا للباطل وحزبه، ويذوبوا في مجتمعهم، وهذا ما تأباه طبيعة هذا الدينِ لأتباعه.

وقال تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} [البقرة: ٦١]، وقال تعالى: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ} [الأنبياء: ٦٨]، وقال تعالى: {فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ} [العنكبوت: ٢٤]، وقال تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللّهُ وَاللّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ} [الأنفال: ٣٠].

يقول سيّد –رحمه الله–: (وهذا التقرير الصادق من العليم الخبير يكشف عن الإصرار الخبيث على الشر، وعلى فتنة المسلمين عن دينهم؛ بوصفها الهدف الثابت المستقر لأعدائهم، وهو الهدف الذي لا يتغير لأعداء الجماعة المسلمة في كل أرض وفي كل جيل، إن وجود الإسلام في الأرض هو بذاته غيظ ورعب لأعداء هذا الدين [...]، وتتنوع وسائل قتال هؤلاء الأعداء للمسلمين وأدواته، ولكن الهدف يظل ثابتًا: أن يردّوا المسلمين الصادقين عن دينهم إن استطاعوا، وكلما انكسر في يدهم سلاح انتضوا سلاحًا غيره، وكلما كلت في أيديهم أداة شحذوا أداة غيرها، والخبر الصادق من العليم الخبير قائم يحذر الجماعة المسلمة من الاستسلام، وينبهها إلى الخطر؛ ويدعوها إلى الصبر على الكيد، والصبر على الحرب، وإلا فهي خسارة الدنيا والآخرة، والعذاب الذي لا يدفعه عذر ولا مبرر)[١].

---

[١] في ظلال القرآن (ج١/ص٢٢٧–٢٢٨).

وتأمّل قوله تعالى: {قَالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ} [هود: ٩١]، فرغم إقرار الباطل بضعف أهلِ الحق المادي، وخلوّهم من أسباب القوة؛ فليس غير القوة الغاشمة التي لا تعرف أي معنى للرحمة، ولا تأبه بأي رابطة، {وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ}، بل عندما طلب منهم نبيهم شعيب -عليه الصلاة والسلام- أن يتركوهُ والطائفةَ التي آمنت معه، ويصبروا إلى أن يكون الله وحده هو الذي يحكم بين الطائفتين بأمر قدري من عنده سبحانه: أبوا إلا خيار الطاغوت في كل زمان ومكان، مع الحق وأهله؛ إما الطرد والإبعاد والقتلُ والنكال والعذاب، أو الفتنة عن الدين.

وقال الله تعالى حكايةً عن شعيبٍ عليه السلام: {وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُواْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يْؤْمِنُواْ فَاصْبِرُواْ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ * قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ} [الأعراف: ٨٧-٨٨]؛ فالباطل لا يطيق وجود فئة تؤمن بالله وبرسالتِه في ديارِهم، وإن كانْت هذه الفئة فئةً ضعيفة، مجردةً من كلِّ أسبابِ القوَّةِ الماديّة، بل ولو كانت هذه الفئةُ تدعو الباطلَ إلى الصبرِ إلى أن يكون الله هو الحكَمَ بما يقدره بينهما!

فصل: الصراع حتميٌ بين الحق والباطل

وقد اقتضت حكمةُ الله -سبحانه- ابتلاءً لعباده وتمحيصًا لهم، أن يتسلط الباطلُ وحزبُه على الحقّ وأهله تسلطًا قدريًّا؛ قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نِبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاء رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ} [الأنعام: ١١٢]، وهذا قضاءٌ كوني واقعٌ لا محيص عنه، ولا دافع له، فكل من استمسك بغرز هذا الدين، وأخذ على عاتقه تطبيقَ حكمه بين العالمين: فلا بد أن ينالهُ قسطٌ من ذلك التسليط، ونصيبٌ من تلكم العداوة، ويتضحُ ذلك جليًّا في قول ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: (لم يأتِ رجلٌ قطُّ بمثل ما جئت به إلاَّ عُودي)[١]، فكل من سار على درب النبي ﷺ وأصحابِهِ -رضوان الله عليهم-، ودعا إلى مثل ما

[١] رواه البخاري.

كانوا عليه: فلا بدَّ أن يناله نصيب من العداوة، ويصيبَه شيء من الأذى من الباطل وأهله بحسب حاله والتزامه بمنهجهم، ومنشأ هذه العداوة وسببُها: أن مجرد رؤيةِ أهل الباطل للحق، وإن كان الحق في أضعف حالاته وأعجزها: تذكّر أهل الباطل بباطلهم، فتقطع عليهم نشوتهم، وتُنغّصُ عليهم تمتعهم بشهواتِهم، وتوقفهم مع أنفسهم لتفضح هذه الأنفس، وتبينَ ضعفها، وزيف قوتها وذلتها، حيث غدت عبدة ذليلة مهانة لشهواتها وأهوائها، وقال تعالى: {قلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِاللّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ} [المائدة: ٥٩]، فنقمتهم على المؤمنين، كما هو صريحُ الآية: لا سببَ لها غيرَ قيامِ المؤمنين بدينهم، وتمسُّكِهم به، مع عدم قدرتهم على فعل الشيء نفسه؛ لفسقهم المانع لهم من ذلك، وهذا مما يملأُ قلوبَ أهل الباطل حقدًا وغيظًا تتقطع معه قلوبهم، وتتحرق معه نفوسهم، حيثُ هذا العلو والسمو والذي لا يستطيعونه: يذكّرهم ويشهد عليهم بانحطاطهم وسفلهم، فيودّون أن لو فتن أهل الحق عن حقهم وشاركوهم في باطلهم، كما قال العليم بمكنون صدورهم: {وَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَاء} [النساء: ٨٩]؛ ولذا فإن أهل الباطلِ لا يجدون أمامهم فرارًا مما يجدون غير التمادي في سياسة البطش والتنكيل والتشريد والتقتيل، غير مراعين لحرمة ولا حافظين لعهدٍ ولا ذمة؛ تشفّيًا من الحق وأهله، وإرضاءً لأنفسهم المهزومة، وانتصارًا لها.

وإذا كان قد سبق في قضاء الله معاداةُ الباطل للحق وأهله وتسلطهم عليهم بأنواع الأذى وألوان العذاب؛ فقد أمر سبحانه أولياءه بإشهار سيف العداوة والبغضاء في وجه الباطل وأهله، ورفعِ لواء البراءَةِ من الكفر وحزبه؛ قال سبحانه: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة: ٤]، قال الشيخ حمد بن عتيق -رحمه الله-: (وها هنا نكتةٌ بديعة في قوله تعالى: {إِنَّا بُرَءاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ}؛ وهي أن الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله، على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله؛ لأن الأول أهم من

الثاني، فإنه قد يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها، فلا يكون آتيًا بالواجب عليه، وأما إذا تبرأ من المشركين: فإنَّ هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم)[١].

إلى أن قال: (فعليك بهذه النُكتة؛ فإنها تفتح لك بابًا إلى عداوة أعداء الله، فكم من إنسان لا يقع منه الشرك، ولكنه لا يعادي أهله، فلا يكون مسلمًا بذلك، إذ ترك دين جميع المسلمين! ثم قال تعالى: {كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ}، فقولُه: {وَبَدَا} أي: ظهر وبان، وتأمل تقديمَ العداوة على البغضاء؛ لأنَّ الأولى أهمُّ من الثانية، فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم، فلا يكون آتيًا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء، ولا بد أيضًا من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين، أي: ظاهرتين بيِّنتين)[٢].

فصل: أنواع الجهاد ضد الباطل

وقد اتخذ جهادُ أهل الحق للباطل أشكالًا متنوعة، وصورًا متعددة؛ فتارةً يكونُ بالقلم والبيان، وهو جهاد أهل الحق للمنافقين وأهل الزيغ والمبتدعين؛ بكشف خبيئتهم، وتبيين باطلهم، وزيفِ مذهبهم، قال تعالى: {فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا} [الفرقان: ٥٢]، وتارةً يكون بالسيف والسنان، وهو جهادُ أهل الحق للكفرة والمرتدين؛ حتى يدخلوا في الإسلام، أو يخضعوا ويُذعنوا لحكمه، قال تعالى: {قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: ٢٩]، وقال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّهِ} [الأنفال: ٣٩].

وأهلُ الحق يمارسون الجهاد بنوعيه: جهادَ البنان، وجهادَ السنان، ولكنهم يوقنون أن هذا الحق الذي يحملونه لا بد له من درع يحميه، وقوة تنصره وتسانده، وإلا فَقَدَ محلّه من العقول وتأثيره في القلوب مهما كانت حججه قاطعة وبراهينه ساطعة؛ ولهذا أمر اللهُ سبحانه أهلَ الحقّ بإعداد القوة لإرهاب أهل الباطل ومنعهم من التحرش بأهل الحق والتعدي عليهم، قال تعالى: {وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا

---

[١] سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين والأتراك، (ص٢٥-٢٦).
[٢] المرجع السابق.

اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ} [الأنفال: ٦٠].

ولهذا كان دينُ الله الحق يقومُ على الكتابِ والسيف؛ فالإسلامُ دين الحق لا يقوم إلا على ساقين: علمٍ وجهاد، فإذا اختل أحدهما؛ اضطرب حبله وفسد نظامه، وتمكن منه أعداؤه يفعلون به ما يشاؤون، فإن قوام الدين بالكتاب الهادي والحديد الناصر، كما قال الله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ} [الحديد: ٢٥].

ولقد أحسن من قال في مثل هذا:

وما هُوَ إِلّا الوَحيُ أَو حَدُّ مُرهَفٍ *** تُزيلُ ظُباهُ أَخدَعَي كُلِّ مائِلِ
فَهَذا دَواءُ الداءِ مِن كُلِّ جاهلٍ *** وَهَذا دَواءُ الداءِ مِن كُلِّ عاذِلِ[1]

فالعاقِلُ ذو الفطرة السليمة ينتفع بالبينة، ويقبل الحق بدليله، أما الظالم التابع لهواه فلا يردَعُه إلا السيف، فالحقُّ الذي لا يملكُ القوّةَ ليطبقَ في واقع الحياة، ودنيا الناس: حقٌّ ضائع، مهما بلغت براهينُه، وقوَّةُ حججه، وسطوعُ أدلته، بل وكونُه البيانَ الذي لا يقهر، والحقُّ الضائع لا معنى له ولا قيمة؛ حيث يظل حبيسًا مقهورًا: لا يجد الناسُ له أثرًا، ولا يسمعون له صوتًا، إلا همهماتٍ ضعيفة مشوهة بفعل الباطل وعلوّه.

متَى تَجْمَعِ القَلْبَ الذَّكِيَّ وصارِمًا *** وأنفًا حِميًّا تَجْتَنِبْكَ المظالِمُ[2]

وقد قال الفاروق المحدثُ الملهم -رضي الله عنه-: (لَا يَنْفَعُ كَلِمَةُ حَقٍّ لَا نَفَاذَ لَهُ)[3]، وأولى الناس وأحقهم بالعلم هم أهل الجهاد، وأولى الناس وأحقهم بالجهاد هم أهل العلم، وهذا ما جاء به رسول الله ﷺ.

---

[1] البيتان من قصيدة لأبي تمام في مدح المعتصم، تصرف فيهما الزرقاوي. ديوان أبي تمام (ص٢٤٩).
[2] عزاه أبو علي القالي في الأمالي (ج٢/ص١٢٢) إلى عمرو بن براقة الهمذاني، وعزاه ابن قتيبة في عيون الأخبار (ج١/ ص٢٣٧) إلى مالك بن حريم.
[3] رواه البيهقي في السنن الكبرى.

وقد جاء في الأثر: (صِنْفانِ إذا صَلحوا صَلحَ الناسُ: العلماءُ والأمراء)[١].

وما أدق قول الغزالي –رحمه الله–: (إنَّ الدُّنيا مزرعةُ الآخرةِ، ولا يتمُّ الدينُ إلا بالدُّنيا، والملكُ والدينُ توأمان، والدينُ أصلٌ والسلطانُ حارسٌ، وما لا أصلَ لهُ فمهدوم، وما لا حارس لهُ فضائعٌ)[٢].

دعا الْمُصْطَفى دهرًا بِمَكَّة لم يجب *** وَقد لَان مِنْهُ جَانب وخطاب
فلما دعا والسيفُ صلتٌ بكفه *** [له أسلموا] واستسلموا وأنابوا[٣]

والنبي ﷺ الذي جاء بالكتاب والسنة والدعوة إليهما، هو كذلك ﷺ الذي جاء بالسّيف وأمر به وحرض عليه قولًا وفعلًا؛ قال ﷺ: "بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيْ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ"[٤]، وقد قال ﷺ أيضًا: "إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُحَرِّقَ قُرَيْشًا، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ؛ إِذًا يَثْلَغُوا رَأْسِي فَيَدَعُوهُ خُبْزَةً، فَقَالَ: اسْتَخْرِجْهُمْ كَمَا اسْتَخْرَجُوكَ، وَاغْزُهُمْ نُغْزِكَ وَأَنْفِقْ فَسَنُنْفِقَ عَلَيْكَ، وَابْعَثْ جَيْشًا نَبْعَثْ خَمْسَةً مِثْلَهُ، وَقَاتِلْ بِمَنْ أَطَاعَكَ مَنْ عَصَاكَ"[٥]، وهو ﷺ القائل: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ"[٦].

إن حياته ﷺ كانت تمازُجًا لا يقبلُ الانفكاك بين التعليم والدعوة وبين القتال في سبيل الله، حتى أنه ﷺ خرج بنفسه للغزو سبعًا وعشرينَ مرة، مدةَ العشر سنوات التي قضاها عليه الصلاة والسلام في المدينة، أي بمعدل ثلاثِ مراتٍ في السنة الواحدة، فضلًا عن السرايا التي أمر بإرسالها

---

[١] رواه أبو نعيم في الحلية (ج٤/ ص٩٦) وابن عبد البر في الجامع (ج١/ ص٦٤١) من طريق محمد بن زياد اليشكري عن ميمون بن مهران عن ابن عباس مرفوعًا، (ضعفه الحافظ العراقي ووضعه غيره بعلة محمد بن زياد).

[٢] إحياء علوم الدين، (ج١/ص٦٧).

[٣] بيتان لقصيدة إبراهيم الهندي اليمني. انظر: تاريخ طبق الحلوى وصحاف المن والسلوى، الوزير الصنعاني، (ص٣٤٧-٣٤٨)، وسلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ابن معصوم الحسني (ص٢٨٠).

[٤] رواه أحمد وابن أبي شيبة وأبو داود بعضه (احتج به أحمد وجوده ابن تيمية في الاقتضاء. وقال الذهبي في السير، (ج١٥/ ص٥٠٩): إسناده صالح. وصححه العراقي في تخريج الإحياء، (ج١/ ص٢١٧)، وحسنه ابن حجر في الفتح، (ج١٠/ ص٢٨٢). لكن ضعف سنده السخاوي –وغيره– في المقاصد: (ص٤٠٧). وروى البخاري بعضه: "جُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي".

[٥] رواه مسلم وأحمد والطبراني والبيهقي.

[٦] رواه مسلم وأحمد وابن أبي شيبة وابن ماجه.

ولم يخرج معها، وهذا يوضح بجلاءٍ أنّ القتالَ في سبيلِ الله هو المحور الذي كانت تدور عليه حياةُ الصدرِ الأول.

ومن أسمائه التي سُمي بها ﷺ: الضَّحوكُ القتَّال[١]؛ قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (اسمه في التوراة: أحمد الضَّحُوك القَتَّال، يركب البعير، ويلبس الشَّمْلة، ويجتزئ بالكِسْرَة، سيفه على عاتقه)[٢].

قال الماوردي -رحمه الله- وهو يتحدث عن فضائله ﷺ؛ منها: (انتصابه لجهاد الأعداء وقد أحاطوا بجهاته، وأحدقوا بجنباته، وهو في قطب مهجور، وعدد محقور، فزاد به من قل، وعز به من ذل، وصار بإثخانه في الأعداء محذورًا، وبالرعب منه منصورًا، فجمع بين التصدي لشرع الدين حتى ظهر وانتشر، وبين الانتصاب لجهاد العدو حتى قهر وانتصر، والجمعُ بينهما مُعوِزٌ إلا لمن أمدَّهُ اللهُ بمعونته، وأيَّدهُ بلُطفِه)[٣].

وهذا التمازج الذي لا يقبل الانفكاك بين الكتاب والسيف، الذي كان عليه ﷺ: هو ما فهمه الصحابة رضوان الله عليهم من طبيعةِ هذا الدين وما جاء به، وقد قال تعالى: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٤٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى-: (وسيوفُ المسلمين تنصرُ هذا الشَّرع وهو الكِتاب والسُّنةُ؛ كما قال جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-: (أمرنا رسول الله ﷺ أنْ نضرِب بهذا -يعني السَّيف- من خرج عن هذا -يعني المصحف-)[٤])[٥].

---

[١] قال ابن فارس: سمّي به لحرصه على الجهاد ومسارعته إلى القتال.

[٢] رواه ابن فارس في أسماء رسول الله ﷺ ومعانيها (ص٣١، ٣٧). وانظر: تفسير السمعاني (ج٥/ص٢٩٦) عن كعب موقوفًا.

[٣] أعلام النبوة (ص٢٣٠).

[٤] رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ج٥٣/ص٢٧٩)، ورواه سعيد بن منصور والحاكم بلفظ آخر ليس من قول جابر وصححه الحاكم على شرط الشيخين.

[٥] مجموع الفتاوى، (ج٣٥/ص٣٦٥).

فصل: جهاد أهل العلم

ومن ثم؛ فالإسلام يُسجل تاريخ عزِّهِ، ويسطر صفحات مجده أهلُ العلم المجاهدون، ولقد كان الصحابة الكرام -رضوان الله عليهم-، وهم من سجلوا المجد صدر هذه الأمة علماء دعاةً مجاهدين، لم يُقْعِدهم العلمُ عن الدعوةِ والجهاد، بل كان علمهم وجهادهم متلاحمين متمازجين أعظمَ ما يكون التلاحم والتمازج، فكان المجد في أعقابهم، والعزُّ في إثرهم، وكان علمُهم حجة لهم لا عليهم، وهكذا كان دور أصحاب النبي ﷺ، وهذا كان أملهم هداية الخلق إلى الحق مع تقويم من أعرض وتعدى، لا عملَ لهم في حقيقةِ الأمر إلا هذا، فلما توفي رسول الله ﷺ خرجت جموع الصحابةِ لقتال من ارتدّ من العرب عن الإسلام، ثم ما لبثوا أن انتشروا في الآفاق دعاةً مجاهدين يبلغون الإسلام بسيوفهم وبيانهم، ولقد حضَرَ حجَّةَ الوداع مع الرسول ﷺ أكثر من مئة ألف من الصحابة رضي الله عنهم، بينما المدفونون في البقيع منهم لا يجاوز عددهم المئتين وخمسين صحابيًّا، أما الكثرة الكاثرة فقد قضوا نحبهم في بلاد الله البعيدة جهادًا في سبيل هذا الدين وتمكينًا له في الأرض، قال الإمامُ الأوزاعي -رحمه الله-: (كان يقال: خمسٌ كان عليها أصحابُ محمد ﷺ والتَّابعون بإحسانٍ: لُزومُ الجماعة، واتِّباعُ السُّنَّة، وعمارة المسجدِ، وتلاوةُ القرآن، والجهاد في سبيل الله)[١].

ولقد سار على نهج الصحابة واقتفى أثرهم بين العلم والدعوة والجهاد أئمة الطائفة المنصورة التابعونَ لَهُم بِإحسانٍ؛ ليبرهنوا على عظمة هذا الدين في صنعِ الرِّجال، وأنها عظمة تتجاوز حدودَ الزمانِ والمكان، فما أروعَ أن يُسَجِّل العالِمُ مجدَ الإسلام وعزَّهُ بمداده ودمه! والنماذج هنا كثيرةٌ جدًّا يضيق المقام بذكرها؛

- فهذا الإمام العلم سيد التابعين سعيد بن المسيب -رحمه الله تعالى-، أحد فقهاءِ المدينة السبعة: خرج إلى الغزو، وقد ذهبت إحدى عينيه؛ فقيل له: (إنَّك عليل!)، فقال: (استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنِّي الحرب: كثَّرتُ السواد، وحفظتُ المتاع)[٢].

---

[١] رواه أبو نعيم في الحلية (ج٦/ص١٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (ج٤/ص٣٨٤).
[٢] نقله الثعلبي في تفسيره عن الزهري دون سند، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (ج٥/ص٤٩)، وتناقله المفسرون من بعد كذلك.

– وقال العجلي في ترجمة المحدث الكبير أبي إسحاق الفزاري –رحمه الله–: (كان ثقةً، رجلًا صالحًا، صاحبَ سنة، وهو الذي أدَّب أهل الثغر وعلمهم السنة، وكان يأمرهم وينهاهم، وإذا دخل الثغرَ رجلٌ مبتدعٌ: أخرجه)[١].

– وقال الذهبي في ترجمة عبد الله بن المبارك: ([الإمامُ] الحافظ العلاَّمة شيخ الإسلام فخر المجاهدين قدوة الزاهدين، أبو عبد الرحمن الحنظلي مولاهم المروزي [...]، والله إني لأحبه في الله، وأرجو الخير بحبه، بما أمنحه الله من التقوى، والعبادةِ والإخلاص والجهاد، وسعةِ العلم والإتقان، والمواساة والفتوة، والصفات الحميدة)[٢]، وعن محمد بن فضيل قال: (رأيتُ عبد الله بن المبارك في المنام؛ فقلت: أيَّ الأعمال وجدتَ أفضل؟ قال: الأمر الذي كنتُ فيه، قلتُ: الرِّباط والجِهاد؟ قال: نعم)[٣].

– وقال الذهبي في ترجمةِ أسد بن الفرات –رحمه الله تعالى–: (الإمامُ، العلاَّمة القاضي، الأمير، مقدَّمُ المجاهدين [...]، وكان مع توسُّعِهِ في العلم فارسًا، بطلًا، شجاعًا، مقدامًا، زحف إليه صاحبُ صقلِّيِّة في مائةِ ألفٍ وخمسين ألفًا، قال رجلٌ: فلقد رأيتُ أَسدًا، وبيده اللِّواء يقرأُ سورة يس، ثمَّ حمل بالجيش، فهزم العدوَّ، ورأيتُ الدَّم، وقد سال على قناة اللِّواء، وعلى ذراعه، ومرض وهو محاصِرٌ سَرَقُوْسِيَةَ)[٤].

– وقال الذهبي في ترجمة أبي العرب: (محمَّد بن أحمد بن تميمٍ، العلاَّمة المفتي، ذو الفنون [...]، وكان أحد من عقد الخروج على بني عبيد في ثورة أبي يزيد عليهم، ولمَّا حاصروا المهديَّة: سمع النَّاس على أبي العرب هناك كتابي الإمامة لمحمَّد بن السحنون، فقال أبو العرب: كتبتُ بيدي ثلاثة آلاف وخمس مائة كتاب، فوالله لقراءة هذين الكتابين هنا أفضلُ عندي من جميع ما كتبت)[٥].

---

[١] الثقات، (ج١/ص٢٠٥).
[٢] طبقات الحفاظ، (ج١/ص٢٠٢).
[٣] رواه ابن أبي الدنيا في المنامات (ص٥٣).
[٤] سير أعلام النبلاء، (ج١٠/ص٢٢٥، ٢٢٧–٢٢٨).
[٥] سير أعلام النبلاء، (ج١٥/ص٢٩٤–٣٩٥).

– وقد ذكر القاضي عياض –رحمه الله تعالى– أنه في هذا الخروج على الدولة العبيدية لم يتخلّف من فقهاء المدنيين المشهورين إلا أبو ميسرةَ لعماه، ولكنه مشى شاهرًا للسلاح في القيروان مع الناس؛ لاجتماع المشيخة على الخروج[١].

– وذكر الذهبي –رحمه الله– أنه في موقعة واحدة مع العبيديين استُشْهِدَ خمسة وثمانون نفسًا من العلماء والزُّهَّاد[٢]، ويوم أن نهضت الأمة لجهاد الصليبيين إعلاءً لكلمة الله، ثم ردًّا لأراضيها السليبة، وحقوقِها المضاعة: كانَ العلماءُ العاملون في مقدمةِ ركب الجهاد، وأُسر منهم من أُسر، وقُتل منهم من قُتل.

– قال ابن خلكان: (حتى وافى –أي السلطان– الفرنج على الرملة، وذلك في أوائل جمادى الأولى سنة ثلاثٍ وسبعين، وكانت الكسرة على المسلمين في ذلك اليوم، فلما انهزموا لم يكن لهم حصنٌ قريبٌ يأوون إليه، فطلبوا جهةَ الديارِ المصرية، وضلّوا في الطريق وتبددوا، وأُسر منهم جماعة؛ منهم: الفقيهُ عيسى الهكّاري، وكان ذلك وهنًا عظيمًا جبرهُ الله تعالى بوقعة حطينَ المشهورة)[٣]، وقال ابن كثير عن هذه الوقعة: (وأُسر الفقيهان الأخوان: ضياءُ الدين عيسى وظهير الدين، فافتداهما السلطان بعد سنتين بتسعين ألف دينار[٤])[٥].

– ولما توجَّهَ المسلمونَ لفتح بيت المقدس: شارك العلماء بقوّة، حتى قيل بأنّه لم يتخلف أحدٌ من أهلِ العلم عن الحضور والمشاركةِ في الفتح، قال ابن كثير: (وطار في الناس أَنَّ السلطان عزم على فتحِ بيت المقدس، فقصده العلماء والصالحون تطوعًا، وجاؤوا إليه)[٦]، وكان على رأسِ هؤلاء العلماء المجاهدين للصليبيين المشاركين في فتح بيت المقدس وغيره من الغزوات: المقادسة الحنابلة

---

[١] ترتيب المدارك وتقريب المسالك، (ج٥/ص٣٠٤).
[٢] سير أعلام النبلاء، (ج١٥/ص١٥٣).
[٣] وفيات الأعيان، (ج٧/ص١٦٨).
[٤] في الكامل والروضتين: بعد سنين بستين ألف دينار. وفي طبعة دار هجر: سبعين ألف دينار.
[٥] البداية والنهاية، (ج١٦/ص٥٢٣).
[٦] المرجع السابق، (ج١٦/ص٥٨٤).

خصوصًا عمداؤُهم الكبار رحمهم الله تعالى؛ كالشيخ العالم العامل الزاهد القدوة أبي عمر المقدسي، وأخيه الإمام الموفق صاحب المغني، وابن خالهم الحافظِ الكبير عبد الغني، وأخيه العماد[١].

- وأما جهادُ شيخ الإسلام ابن تيمية للتتار؛ فهو علمٌ في رأسه نار؛ قال ابن كثير -رحمه الله- في كلامه على هجوم التتار على دمشق: (وكان الشيخ تقي الدين ابن تيمية يدور كل ليلة على الأسوارِ؛ يُحرّضُ النَّاس على الصَّبرِ والقتالِ، ويتلو عليهم آياتِ الجهاد والرِّباط)[٢]، وقال عنهُ الذهبي: (نصرَ السُّنَّة بأوضح حُججٍ وأبهر براهين، وأُوذي في ذاتِ الله من المخالفين، وأُخيف في نصر السُّنَّةِ المحضةِ، حتَّى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التَّقوى على محبَّته، والدُّعاءِ له، وكبت أعدائه، وهدى به رجالًا كثيرة من أهل الملل والنِّحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالبًا، وعلى طاعته، وأحيي به الشَّام بل الإسلام بعد أن كاد ينثلم، [خصوصًا في كائنة التتار ...][٣]، وهو أكبرُ من أن يُنبِّه على سيرته مثلي، فلو حلفتُ بين الرُّكنِ والمقام: لَحلفتُ أنِّي ما رأيت بعينيَّ مثله، وأنَّه ما رأى مثل نفسه)[٤].

فصل: بطلان الفصل بين العلم والجهاد

أما الفصلُ بين العلمِ والجهاد، والدعوةِ باللسان والدعوة بالسنان: فحاشا أن يكون منهجَ الطائفةِ المنصورة؛ إذ هو فصامٌ نكد، وطامّةٌ كبرى، وبدعةٌ منكرة، ودخنٌ في الدين، أورث ما يُدمِي القلب، ويُدمِع العين، ويملأ النفوس حسرة وأسى! وإن المتأمِّلَ لسيرة النبي ﷺ، ليَلحَظُ أن النبي ﷺ ومنذ مطلع فجر هذه الدعوة يسعى لامتلاك أسباب القوة، ويتجلى ذلك واضحًا في عرضه ﷺ نفسَهُ في تلك المرحلة المكية على القبائل بُغيَةَ أن يجدَ قبيلةً تقومُ دونَه بسيوفِها، وتقاتلُ عنه ليتمكنَ من المضي في أمر ربه؛ قال أميرُ المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: (لـمَّا أمرَ الله نبيَّهُ ﷺ

---

[١] لم أجده في المصادر التاريخية.
[٢] المرجع السابق، (ج١٧/ص٧٢٧).
[٣] اختصار من ابن سمحان نقله الزرقاوي في الصواعق المرسلة الشهابية (ص٢١٢).
[٤] في الأصل هذا النص في معجم الشيوخ للذهبي، لكن لا يوجد في معجم الشيوخ الكبير. نقل قول الذهبي، ابن راجب في ذيل طبقات الحنابلة (ج٤/ص٤٩٧).

أن يعرضَ نفسهُ على قبائل العرب؛ خرج وأنا معه وأبو بكر إلى منى، حتَّى دفعنا إلى مجلسٍ من مجالس العرب، فتقدَّمَ أبو بكر، وكان نسّابةً، فقال: ممَّن القوم؟

فقالوا: من ربيعة، قال علي: ثم انتهينا إلى مجلسٍ عليه السَّكينةُ والوقارُ، فتقدَّم أبو بكر، وكان مقدَّمًا في كل خيرٍ، وقال: ممَّن القوم؟

فقالوا: من شيبان بن ثعلبة، فالتفت أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، فقال: بأبي وأمِّي أنت يا رسول الله؛ ما وراء هذا القوم غرٌّ هؤلاء غررٌ قومهم! وفيهم مفروق بن عمروٍ، وهانئ بن قبيصة، والمثنى بن حارثة، والنُّعمانُ بن شريكٍ، فقال أبو بكر: كيف العددُ فيكم؟

فقال مفروقٌ: إنا لنزيد على ألفٍ، ولن يُغلب ألفٌ من قلةٍ، فقال أبو بكرٍ: وكيف المنعةُ فيكم؟ قال مفروق: علينا الجهد، ولكلِّ قومٍ جِدٌّ؛ قال أبو بكر: كيف الحرب بينكم وبين عدِّوكم؟

فقال مفروقٌ: إنَّا لأشدُّ ما نكون غضبًا حين نلقى، وإنَّا لأشدُّ ما نكون لقاءً حين نغضب، وإنَّا لنؤثرُ الجيادَ على الأولاد، والسِّلاح على اللِّقاح، والنَّصرُ من عند الله، يديلنا مرَّةً، ويديلُ علينا أخرى، لعلَّك أخو قُريشٍ؟

قال أبو بكر: وقد بلغكم أنَّه رسول الله ﷺ، فها هو ذا، قال مفروقٌ: قد بلغنا أنه يذكر ذلك، قال: فإلامَ تدعو يا أخا قريشٍ؟

قال: "أَدْعُوكُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنْ تُؤْوُونِي وَتَنْصُرُونِي؛ فَإِنَّ قُرَيْشًا قَدْ تَظَاهَرَتْ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، فَكَذَّبَتْ رُسُلَهُ، وَاسْتَغْنَتْ بِالْبَاطِلِ عَنِ الْحَقِّ، وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ"، فقال المثنّى: قد سمعتُ مقالتك يا أخا قريشٍ، وإني أرى هذا الأمر الَّذي تدعو إليه ممَّا تكرهه الملوكُ، فإن أحببتَ أن نؤويك وننصرك ممَّا يلي مياه العرب فعلنا، فقال رسول الله

ﷺ: "مَا أَسَأْتُمْ فِي الرَّدِّ إِذْ أَفْصَحْتُمْ بِالصِّدْقِ، وَإِنَّ دِينَ اللَّهِ لَنْ يَنْصُرَهُ إِلا مَنْ أَحَاطَهُ اللَّهُ مِنْ جَمِيعِ جَوَانِبِهِ")[١].

والحديثُ ظاهر الدلالة بأنه ﷺ كان ينشد السيف الذي ينصر به دعوته، بل لما أعلن القوم استعدادهم أن ينصروه ﷺ من العرب دون الفرس؛ رفض ﷺ مبايعتهم مصرًّا أن تكونَ النصرة بالسيف مطلقة على كل من قد يقف أمام الدعوة من عرب أو عجم، ألا فليتأمل الذين يريدون نصرة الدين بقتال الصليبيين دون قتال أعوانهم من بني جلدتنا من المرتدين: ألهم في هذه النصرة حظٌّ أو نصيب؟!

إنما أمر الله سبحانه وتعالى من البراءةِ من المشركين والعداوةِ للكافرين له صور متنوعة، وأشكال متعددة؛ لكن أعظم مظاهره وأبرزَ معالمه على الإطلاق هو القتالُ والجهادُ في سبيلِ الله، ولكنه شاقٌ عسير على النفوس، ولذلك لم يتصدّ لهُ إلا طائفةٌ من أهل الحقّ اصطفاها الله سبحانه وتعالى، هذه الطائفة خطت لنفسها المضي في طريقٍ تقاعسَ عنه الجمُّ الغفير، وأحْجَمَ عن سلوكِ دربه الكثير، طريقٍ مكروهٍ لقلوب البريات، محبوبٍ لخالق الأرض والسماوات، طريقٍ قامت أرضهُ على الجماجم والأشلاء، ورُويت تربته بطاهر الدماء، طريقٍ بدايته آلام ومشاق وأحزان، وخاتمته نعيمٌ وراحةٌ وغُفران، طريقٍ السير فيه عظيمُ التكاليف؛ مفارقةٌ للأهل والأوطان، هجر للأحباب والخلان، هجرة للواحد الديان، طريقٍ كَثُرَ عنه المخذلون، وعَظُمَ فيه المخالفون، طريقٍ مُمَحِّصٍ للقلوب، وفاضحٍ للنُّفوس، إنّه طريقُ القتال، وسبيلُ النِّزال، يا لَهُ من طريق موفّقٌ من هُدِي لسلوكه، محرومٌ والله من ضلَّ عن سبيله!

قال رسولُ الله ﷺ: "لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[٢]، وعن جابر بن سَمُرة -رضي الله عنه- عن النبي ﷺ أنه قال: "لَنْ يَبْرَحَ هَذَا الدِّينُ قَائِمًا، يُقَاتِلُ عَلَيْهِ

---

[١] ذكره الزرقاوي مختصرًا. رواه ابن حبان في الثقات (ج١/ص٨٠-٨٨)، ورواه بنحوه أبو نعيم في الدلائل (ص٢٨٢) والحاكم والبيهقي في الدلائل (ج٢/ص٤٢٢) وابن عساكر في تاريخه (ج١٧/ص٢٩٣). قال القسطلاني في المواهب: أخرجه الحاكم والبيهقي وأبو نعيم بإسناد حسن. وحسنه ابن حجر في الفتح. وقال ابن كثير: هذا حديث غريب جدًّا كتبناه لما فيه من دلائل النبوة ومحاسن الأخلاق ومكارم الشيم وفصاحة العرب، وقد ورد هذا من طريق أخرى.

[٢] رواه مسلم وأحمد.

عِصَابَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ"[١]، ومن حديث عقبةَ بن عامر -رضي الله عنه- قال: قال ﷺ: "لا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ الله قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمْ السَاعَةُ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ"[٢]، وعن عمران بن حصين -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "لا تَزَالُ طَائفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الحَقِّ، ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ حَتَّى يُقَاتِلَ آخِرُهُمْ المَسِيحَ الدَّجَّالَ"[٣].

كلماتٌ من نور الوحي ومعين الرسالة؛ ترسم بريشة الحقيقة سبيل هذه الطائفة المصطفاة، وتحدُ معالمَ طريقها، وعنوانَ منهجِها، ودامغةً في الوقت نفسه كل متخاذل من أهل فقه الذل والصغار، وتقعيد الخنوع للواقع وضغطه؛ فالقتال في سبيل الله شرطُ الطائفةِ المنصورة، وأساس صحة الانتسابِ إليها، وإن رغمت أنوف! إنه القتال قدرُ كل من أراد الانتساب لهذه الطائفة المنصورة، وقولهُ ﷺ: "لا تزال" و"يقاتلون" و"حتى يقاتل آخرهم الدجال": يدلُّ على أن هذه الطائفةَ المقاتلة طائفةٌ ممتدة كحبَّاتِ العقد يأخذ خلفُها عن سلفِها، ويفضي سابقها للاحقها في تتابع واتصالٍ تامين ليس بينهما فراغ؛ لتظل الرايةُ مرفوعة دائمًا وأبدًا، فهي وحدةٌ واحدة، لها أول ولها آخر عبر عمر الأمة كله، وقد ترجم كثيرٌ من الأئمة لأحاديث الطائفة المنصورة بما يدل على ما ذكرناه من كون القتال قدر الطائفة المنصورة؛ قال الإمام أبو داود في سننه: (باب في دوام الجهاد)، وقال ابنُ الجارود -رحمه الله- في المنتقى: (باب دوام الجهاد إلى يوم القيامة). هذا القتال هو أخص أوصافِ أهل هذه الطائفة المنصورة، وألصقُها بهم؛ فهو شعارهم ودثارهم، وهو دنياهم وآخرتهم، وهو فراغهم وشغلهم، وهو حلهم وترحالهم، عكفوا عليه، وتنادوا إليه، فكان التسابق زرافاتٍ ووحدانًا.

قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُواْ الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]، وقال تعالى: ﴿قَاتِلُواْ

[١] رواه مسلم وأحمد.

[٢] رواه مسلم.

[٣] رواه أحمد وأبو داود والطبراني والحاكم، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: ٢٩].

وقد جاء التعبير عن هذه الصفة الحَدِّية من صفات الطائفة المنصورة بلفظ القتال، ولم يأت بلفظ الجهاد، قاطعًا الطريق على من أُشربوا في قلوبهم حبَّ التأويل -والذي حقيقته التحريف-؛ ليمنعهم من تحريف هذه الصفة عن حقيقتها إرضاءً لشهواتِهم وخضوعًا لشبهاتهم، وليضعَهم في مواجهَةِ أنفسهم مواجهةً يتبعُها إما القيام بأمر الله وتحقيق شرط صحة النسبة للطائفة المنصورة وأهلها، وإما التخاذل والتقهقر وبطلان النسبة وانكشاف الادعاء، بل وقع في بعض روايات الحديث أن ذكر النبي ﷺ للقتال إنما هو لزعم بعضهم ألاَّ جهاد وأن الحرب قد وضعت أوزارها؛ فعن سلمة بن نفيل الكندي -رضي الله عنه- قال: (كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَذَالَ النَّاسُ الْخَيْلَ، وَوَضَعُوا السِّلَاحَ، وَقَالُوا: لَا جِهَادَ؛ قَدْ وَضَعَتِ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَجْهِهِ، وَقَالَ: "كَذَبُوا؛ الْآنَ الْآنَ جَاءَ الْقِتَالُ، وَلَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ، وَيُزِيغُ اللَّهُ لَهُمْ قُلُوبَ أَقْوَامٍ، وَيَرْزُقُهُمْ مِنْهُمْ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ، وَحَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ، وَالْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ")[١].

إنه قدرُ القتال، وسبيلُ المواجهة مع الباطل، حقيقةٌ كان النبي ﷺ يصدع بها في وجه أعدائه والدعوة في أصعب ظروفها، وأحلك مراحلها، من قلةٍ في العدد وضعفٍ في العُدة.

قيل لعبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه-: ما أكثر ما رأيت قريشًا أصابت من رسول الله ﷺ؟ قال: (حضرتهم وقد اجتمع أشرافهم يومًا في الحجر، فذكروا رسولَ الله ﷺ، فقالوا: ما رأينا مثل ما صبرنا عليه من هذا الرَّجل قطُّ؛ سفَّه أحلامنا، وشتمَ آباءنا، وعابَ ديننا، وفرَّقَ جماعتنا، وسبَّ آلهتنا، لقد صبرنا منه على أمر عظيمٍ. قال: فبينما هم كذلك، إذ طلع عليهم رسول الله ﷺ فأقبل يمشي، حتى استلم الرُّكن، ثمَّ مرَّ بهم طائفًا بالبيت، فلمَّا أن مرَّ بهم غمزوه ببعض ما يقول، قال: فعرفتُ ذلك في وجهه، ثمَّ مضى، فلمَّا أن مرَّ بهم الثَّانية، غمزوه بمثلها، فعرفتُ ذلك في وجهه،

---

[١] رواه النسائي، وأحمد بنحوه، (إسناده صحيح).

ثمَّ مضى، ثمَّ مرَّ بهم الثَّالثة فغمزوه بمثلها، فقال: "تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ؟ أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ: لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ"، فأخذتِ القوم كلمته، حتَّى ما منهم رجلٌ إلا كأنَّما على رأسه طائرٌ واقعٌ، حتَّى إنَّ أشدَّهم فيه وصاةً قبلَ ذلك ليرفؤه بأحسن ما يجد من القول، حتَّى إنَّه ليقول: انصرف يا أبا القاسم، انصرف راشدًا فوالله ما كنت جهولًا)[١]. قال البيهقي -رحمه الله-: (وفي هذا الحديث: أنَّه ﷺ أوعدهم بالذَّبح وهو القتل في مثل تلك الحال، ثمَّ صدق الله تعالى قوله بعد ذلك بزمانٍ فقطع دابرهم، وكفى المسلمين شرَّهم)[٢].

تلكم الحقيقة كان النبي ﷺ يغرس بذورها في نفوس أصحابه، ولا سيما في تلك المرحلة التي لم يؤذن لهم فيها بالقتال، وأمروا فيها بالعفو والصفح وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فأثمر ذلك الغراس وأينعت ثمرته في نفوس الصحابة -رضوانُ الله عليهم-، فأدركوا حقيقةَ الصراعِ بينهم وبين الكفر، وأن هذه المرحلة مرحلةٌ مؤقتة ما تلبثُ أن تزول، وأن القتال بينهم وبين معسكر الباطل وحزبه أمرٌ كائنٌ لا محالة، ذلكم هو قدر هذه الدعوة منذ يومها الأول، وأن السيف هو الفيصلُ بينهم وبين أعدائهم، وهو من سيزيحُ هذه الرؤوسَ عن طريق الحق وأهله.

لما أخذ النبي ﷺ البيعة من الأوس والخزرج يوم العقبة؛ قالوا: يا رسول الله، علام نبايعك؟ فقال ﷺ: "تُبَايِعُونِي عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي النَّشَاطِ وَالْكَسَلِ، وَعَلَى النَّفَقَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَعَلَى الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَعَلَى أَنْ تَقُولُوا فِي اللهِ، لَا تَأْخُذُكُمْ لَوْمَةُ لَائِمٍ، وَعَلَى أَنْ تَنْصُرُونِي إِذَا قَدِمْتُ عَلَيْكُمْ، وَتَمْنَعُونِي مِمَّا تَمْنَعُونَ مِنْهُ أَنْفُسَكُمْ وَأَزْوَاجَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ، وَلَكُمُ الْجَنَّةُ"، قال جابر -رضي الله عنه-: (فقمنا نبايعه فأخذ بيده أسعد بن زرارة وهو أصغر السَّبعين، فقال: رويدًا يا أهل يثرب، إنَّا لم نضرب إليه أكباد المطيِّ إلَّا ونحن نعلم أنَّه رسول الله، وإنَّ إخراجه اليوم مفارقةُ العرب كافَّةً، وقتلُ خياركم، وأن تعضَّكم السُّيوفُ، فإمَّا أنتم قومٌ تصبرون على ذلك؛ فخذوه وأجركم على الله، وإمَّا أنتم قومٌ تخافون من أنفسكم خيفةً؛ فذروه، فهو أعذرُ لكم عند الله، فقالوا: يا أسعدُ؛

---

[١] رواه أحمد، والبزار وابن حبان والبيهقي في الدلائل (إسناده حسن).
[٢] دلائل النبوة، (ج٢/ص٢٧٦).

أمط عنَّا يدك، فوالله لا نذرُ هذه البيعة ولا نستقيلها، فقمنا إليه رجلًا رجلًا، فأخذ علينا ليعطينا بذلك الجنة)[١].

لله درك يا ابن زرارة على هذه المقالة! يا لها من كلمات تنبئُ عن معرفة بحقيقة الصراع بين الحق والباطل، ومنذ اللحظةِ الأولى قبل البيعة، كلماتٌ خرجت من فِيِّ مَن سلمت فطرتُه، ولم تلوثها تلكم المتاهات النظرية، والسفسطات الكلامية، والفلسفاتُ العقيمة، كلماتٌ نسوقها إلى أولئك الذين ما عقلوا طبيعة هذا الدين، ولم يعوا بعدُ حقيقته، وليتهم اكتفوا بتخاذلهم وقعودهم عن الجهاد، لهان المصابُ إذن، ولما انشغلنا بتوجيه اللوم لهم؛ ولكنهم أبوا إلا أن يضفوا على هذا القعود والتخاذل الصبغة الشرعية، فخرجوا على الأمة بمناهج دخيلة على ما كان عليه سلف الأمة وعلماؤها، كانت بمنزلة معول الهدم في بنيان هذا الدين، شعروا أو لم يشعروا، حقنوا أجساد أبناء هذه الأمة بجرعات من التخدير والتثبيط، وعقدوا على ناصية رؤوسهم ثلاثًا، وكلما همّ أبناء الأمة لينفضوا غبار الذل الذي تغشاهم، ويهبوا نصرة لدينهم، ودفاعًا عن حرماتهم: نادوا عليهم أن ارقدوا عليكم ليلٌ طويل، إن الدواء لما ترونه في جسد أمتكم من جراح وما تحسون فيه من آلام: إنما هو بأن تُغمدوا سيوفكم، وتكسروا رماحكم وتلزموا دوركم!

هكذا يُخدّرُ أبناءُ هذه الأمة! وهكذا توأد فيهم روح الجهاد، وبماذا؟! إنه بالسلاح الذي يستنهض به أبناؤها ليحاربوا أعداءهم، يُخَدَّرون بحقن شعار التصفية، ويثبطون تحت دعاوى التربية، كلماتُ حق أريد بها باطل، عن أي تصفية يتكلمون؟! وهل التصفية لما التصق بهذا الدين مما ليس منه إلا بالجهاد؟!

قلِّب بصرك أينما شئتَ في بلاد المسلمين؛ هل ترى تربَّعَ على عروشها من يحكمُ بشريعة رب العالمين؟! أو أخذ على نفسه نُصرة هذا الدين والذود عن حياضه والدفاع عن حرماته؟!

---

[١] ذكره الزرقاوي مختصرًا، رواه أحمد وابن حبان والبيهقي في الدلائل والحاكم، وقال: (صحيح الإسناد، ولم يخرجاه). وقال ابن كثير في البداية والنهاية: (هذا إسناد جيّد على شرط مسلم)، وحسّنه ابن حجر في الفتح.

لا أظن إلا وسيرتد إليك بصرك كليلًا حسيرًا، ولن ترى إلا حربًا ضروسًا لتقويض بنيان هذا الدين، وسعيًا حثيثًا لاستئصال شأفة المجاهدين الصادقين، وموالاةً للكافرين، وبراءةً من الموحدين، ووالله ما رأينا ولا سمعنا أحدًا من هؤلاء الأدعياء قام مقام صدقٍ فكشف لأبناء هذه الأمة عوار هؤلاء الطواغيت، ولا حرض على قتالهم ووجوب جهادهم؛ بل ما رأينا منهم إلا إضفاء الشرعية على حكمهم، وتحريمَ الخروجِ عليهم، ونبزَ كل من يحاول جهادهم بأبشع الألقاب وأشنع الصفات!

ها قد هلك متقلد الصليب، طاغية آل سلول خائن الأمة والدين، وحامل راية لواء الحرب على المجاهدين والذي مكن للصليبيين وجودهم على جزيرة محمد ﷺ؛ لينهبوا خيراتها، ويعيثوا فيها فسادًا؛ فما سمعنا أحدًا من هؤلاء الأدعياء كشف جرائم عدو الله، ولا ذكر مخازيه في حق الأمة وأبنائها! ووالله إن ما قام به هذا الطاغية في حرب الإسلام والمسلمين لا يقل عن فعل أي طاغية من طواغيت العرب، ولكن لكل أرض حكمها، ولكل بلاد طبيعتها، بل ما رأينا منهم إلا المسارعة في مبايعة أخيه الذي تلطخت يداه بدماء إخواننا المجاهدين، ومن آخرهم الأخ المجاهد صالح العوفي وإخوانه تقبلهم الله في الشهداء، أمَا بلغكم قول سفيان الثَّوريّ -رحمه الله-: (من دعا لظالمٍ بالبقاء؛ فقد أحبَّ أن يُعصى اللهُ في الأرض)[١]؟! فكيف بمن بايع طاغيةً مرتدًّا، وبارك صنيعه؟!

يا حسرة على أمة تبارك لطواغيتها قتل خيار أبنائها! لكُم الله أيها المجاهدون!

إن المجاهدين لو كانوا في أمة تعرف لأبنائها حقهم، وتقدرهم حق قدرهم: لَما تركوهم يمشون على الأرض، ولغسّلوا عن أقدامهم، فيا أسود جزيرة محمد ﷺ؛ اصبروا على ما أقامكم الله فيه، واعلموا أن الله ما ابتلاكم إلا وهو يريد بكم خيرًا، وأُقسم بالذي لا إله غيره: أن دماء إخواننا لن تذهب سدى -بإذن الله-، ألا فارتقبوا يا طواغيت آل سلول، وإن غدًا لناظره لقريب.

[١] رواه أبو نعيم في الحلية (ج٧/ص٤٦) من قول سفيان و(ج٨/ص٢٤٠) من قول يوسف بن أسباط، ورواه البيهقي في الشعب (ج١٢/ص٤٢)، وابن أبي الدنيا في الصمت وآداب اللسان (ص١٤٤) من قول الحسن البصري -رحمهم الله-.

أم أن التصفية التي يقصدون والتنقية التي ينشدون: طباعة كتاب من ها هنا، وإخراج جزء من هناك يتكسبون الرزق من خلالها؛ حتى أضحوا بهذه المهنة يُعرفون، وبها يُذكرون، ثم لتنحر الأمة بعد ذلك، ولتغتصب أراضيها، وليعتدِ على مقدساتها؟! فبئست التصفيةُ والله!

إن الأمة اليوم لا تحتاجُ إلى مزيدٍ من المصنفات والمؤلفات، فمكتباتُها تزخر بعشرات الآلاف من المجلدات، وإنما هي في حاجة إلى مناراتٍ تضيء لها الطريق وتنير لها السبيل، بحاجة إلى قُدُوات يروون بدمائهم ترابَ أرضها؛ فتدب روح الحياة في صفوف أبنائها من جديد.

وعن أي تربية يتحدثون؟! وهل التربيةُ على التوحيد الصافي والكفر بالطاغوت والولاء للمؤمنين والبراء من الكافرين، وبذل النفوس والمهج رخيصةً فداءً لهذا الدين: إلا في ساحات الجهاد وميادين القتال؟! وهل كان جل تربية نبينا محمد ﷺ لأصحابه إلا في ساحات الجهاد؟! روى البخاري عن البراء -رضي الله عنه- قال: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ بِالحَدِيدِ، فقالَ: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ أُقَاتِلُ وَأُسْلِمُ؟ قالَ: "أَسْلِمْ ثُمَّ قَاتِلْ"، فَأَسْلَمَ ثُمَّ قَاتَلَ، فَقُتِلَ، فقالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا"، فتأمل كيف أمره النبي ﷺ بالإسلام ومن ثم أمره بالقتال تربية له على التضحية والفداء لهذا الدين، ولم يأمره بالرجوع إلى المدينة حتى يتربى كما يزعم هؤلاء، وهذا في فرض الكفاية وجهاد الطلب، فكيف بالعدو الصائل وجهاد الدفع؟!

إن العلم الشريف عند أهل الطائفة المنصورة ليس بحفظ المتون، وجمع الفنون، وكثرة التصنيف، ومجالس الوعظ والتدريس والإفتاء، مع ترك القيام لله بالأمر الذي يحبه ويرضاه من صدع بحق، وأمرٍ بمعروف ونهي عن منكر، وغضبٍ صادق إذا انتُهكتْ محارم الله، وإعلاءٍ لكلمةِ الله دعوة وجهادًا، فمن كان حظه من العلم ما ذكر، مع تضييعه لواجبات الدين الكبار إيثارًا للسلامة أو إخلادًا للراحة والدعة، أو حبًّا للدنيا وتثاقلًا للأرض، أو ركونًا للذين ظلموا؛ فقد خان الرسالةَ، وضيع الأمانة، ومن ثمّ خرج عن حد العلم الشريف ورسمه، وفارق تلك القافلة المباركة، قافلة العلم الشريف التي يقف على رأسها الأنبياءُ والمرسلون، فإما أن ينتظمه رسمهم أو يشمله حدهم أو أن يجمعه وإياهم وصفٌ واحد، ولمثل هذا يقال: لست والله عالمًا أو حكيمًا، إنما أنت تاجرٌ في العلوم؛ فبغير القتال

تبقى الفتنة، وهيهات أن يكون الدين كله لله، ومن أحسن من الله حكمًا لقوم يوقنون. قال أبو بكر الجصاص -رحمه الله-: (وليس بعد الإيمان بالله ورسوله فرضٌ آكد ولا أولى بالإيجاب من الجهاد؛ وذلك أنَّه بالجهاد يمكن إظهار الإسلام، وأداء الفرائض، وفي ترك الجهاد غلبةُ العدوِّ، ودُرُوسُ الدِّينِ وذهابُ الإسلام)[1].

فإذا قعد أهلُ الحقِّ عن نصرة الحق، ودفعِ الباطل، وإزالتِهِ بسيوفهم، جهلًا منهم بمعاني الحق ومقتضياته ولوازمه، أو غفلةً منهم عن حقيقةِ الصراع، وعن طبيعة الباطل وصفته، أو استسلامًا لقراءةٍ فاسدةٍ في نواميس الكون وسننه الإلهية، أو خداعًا بأوهام وأمانيَ باطلة، أو خضوعًا لمتاهاتٍ نظرية، وفلسفاتٍ جدلية، وأطروحاتٍ إنشائية، تدورُ في حَلَقة مفرغة تبدأ من حيث انتهت، وتنتهي من حيث بدأت، أو خورًا وضعفًا، وعجزًا عن القيامِ بالقتال وتحمُّلِ أعبائِه؛ فإن سننَ الله لا تُحابي أحدًا أيًّا كان، ومن ثم فليس غير الذل والهوان وفتنة المسلمين عن دينهم، مع تبدُّل أحكام الدين وطمس معالمه، وتغيير حقائقه والتلاعب بها، وغير ذلك من العقوبات القدرية التي تنزل بمن خذل الحقّ وأسلمه، وهذا فضلًا عن وعيدِ الآخرة. قال تعالى: ﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٩]، قال ابن العربي -رحمه الله-: (هذا تهديدٌ شديدٌ، و وعيدٌ مؤكَّدٌ، في تركِ النَّفير: [...]، فوجب بمقتضاها النَّفيرُ للجهاد، والخروجُ إلى الكُفَّار لمقاتلتهم على أن تكون كلمة الله هي العليا [...]، فالعذاب الأليم هو الَّذي في الدُّنيا باستيلاء العدُوِّ على من لم يستول عليه، وبالنَّارِ في الآخرة، وزيادةً على ذلك استبدال غيركم، كما قال الله سبحانه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨])[2]، وقال ﷺ: "مَا تَرَكَ قَوْمٌ الْجِهَادَ إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ"[3]، والعذاب: كما هو ظاهرٌ من النصوص، هو عذابُ الدُّنيا بالذل والهوان والصغار الذي يُضرب على البلاد والعباد، وهو بعدُ عذابُ الآخرة الذي لا يقارن به ولا يدانيه عذاب الدُّنيا وبئس المصير.

---

[1] أحكام القرآن، (ج٣/ص١٤٩).
[2] أحكام القرآن، (ج٢/ص٥١١).
[3] رواه الطبراني في المعجم الأوسط (إسناده حسن).

فإذا لم يكن لأهل الكفر مع أهل الإيمان غيرُ خيارين اثنينِ لا ثالث لهما: إما الفتنةُ عن الدين، وإما السيف؛ فإنه كذلك ليس لشرع الله مع المؤمنين غير خيارين اثنين لا ثالث لهما: إما الاستجابة لأمره بقتال الكفر ودفعه بحد السيف، وإما التعرض لعذاب الله وغضبه وسخطه في الدُّنيا والآخرة، مع استبدال من يكون أولى منهم وأجدر وأحقُّ بفضل الله بهم. فتعيَّنَ شرعًا وعقلًا وواقعًا كونُ القتالِ قدر الطائفةِ المنصورة.

إن أصحاب الطائفة المنصورة من أكثر الناس مراعاةً لفقه مراتب الأعمال؛ فهم إذا ثبت في حقهم من الفروض العينيات، فإنهم لا يقدمون بين يديه شيئًا من الفروض الكفايات فضلًا عن غيره من المستحبات والمباحات، وبيان ذلك فيما يتعلق بشأن الجهاد والقتال: أن الجهاد في أصله فرضٌ كفائِي، فإذا قام به من تتحقّقُ بهم الكفاية سقط الوجوب عن الآخرين، والفضل فيه لمن قام به دون غيره، ولذا كان الاشتغال به حال كونه فرض كفاية مشروطًا بأن لا يضيّع العبد فرضَ عين أو فرض كفاية أهمَّ منه في حقه إن وجد.

قال الحافظ ابن حجر –رحمه الله تعالى– في شرحه لحديث أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه– (قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ"[١]): (وكأنَّ المراد بالمؤمن من قام بما تعيَّن عليه القيام به، ثمَّ حصَّل هذه الفضيلة، وليس المراد من اقتصر على الجهاد وأهمل الواجبات العينيَّة، وحينئذٍ فيظهر فضل المجاهد لما فيه من بذل نفسه وماله لله تعالى، ولما فيه من النَّفع المتعدِّي)[٢].

ويتعين الجهادُ عند أهل الطائفة المنصورة في مواضع ثلاث؛

أولًا: إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان،

ثانيًا: إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم النفير،

---

[١] رواه البخاري.

[٢] فتح الباري، (ج٦/ص٦).

ثالثًا: إذا نزل العدو ببلدٍ من بلدان المسلمين تعين على أهل هذه البلدة الجهاد، ويتعين على غيرهم من المسلمين عند عدم قيام أهل هذه البلدة بواجبهم في دفع هذا العدو، أو عدم كفاية من قام بذلك الأقرب فالأقرب.

والحالةُ الثالثة من حالات تعين الجهاد هي أشد الحالات الثلاث وألزمُها، كما أنها متضمنةٌ للحالتين الأوليين وزيادة؛ وتُعرف بالنفير العام؛ قال أبو بكرٍ الجصاص -رحمه الله-: (معلومٌ في اعتقاد جميع المسلمين: أنَّه إذا خاف أهل الثُّغور من العدوِّ، ولم تكن فيهم مقاومةٌ لهم فخافوا على بلادهم وأنفسهم وذراريِّهم، أنَّ الفرض على كافَّة الأُمَّة أن ينفر إليهم من يكُفُّ عاديتهم عن المسلمين، وهذا لا خلاف فيه بين الأُمَّةِ)[1]، وقال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (وإذا دخل العدوُّ بلاد الإسلام: فلا ريب أنَّه يجب دفعه على الأقربِ فالأقربِ؛ إذ بلادُ الإسلام كلُّها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنَّه يجبُ النَّفير إليهِ بلا إذن والدٍ ولا غريمٍ)[2].

ونصوصُ العلماءِ في تقرير الفرضية العينية للجهاد في حالة نزول العدو ببلد من بلدان المسلمين: كثيرةٌ جدًّا يصدق بعضها بعضًا، لا يختلف علماء الإسلام المحققون في هذا[3]؛ فإذا تعيّن الجهاد فهو مقدمٌ عند أهل الطائفة المنصورة على غيره من النوافل، كما أنه مقدمٌ على غيره من الواجبات الكفائية أيًّا كانت بلا أدنى نزاع؛ بل ومقدم على غيره من الواجبات العينية عند عدم إمكان الجمع بينه وبينها، وهذا مقررٌ من الوجوه الآتية:

الوجه الأول: أن الجهاد إذا تعيّن فتاركه فاسقٌ مرتكبٌ كبيرة؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنيا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنيا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ قَلِيلٌ * إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلاَ تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨-٣٩]، فقوله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾: دالٌّ على توجه الوعيد الشديد في حق القادر على الجهاد التارك له عند

---

[1] أحكام القرآن، (ج٣/ص١٤٦-١٤٧).
[2] الفتاوى الكبرى، (ج٥/ص٥٣٩).
[3] انظر: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، (ج٦/ص٣١-٣٤)، دار الفضيلة.

تعينه، قال القرطبي -رحمه الله-: (وهذا تهديدٌ شديدٌ، ووعيدٌ مؤكَّد في ترك النفِير)[١]، قال ابن العربي: (ومن محقَّقات مسائل الأصول: أنَّ الأمر إذا ورد فليس في ورودِهِ أكثرُ من اقتضاء الفعل، فأمَّا العقاب عند التَّرك: فلا يُؤخذُ من نفس الأمر، ولا يقتضيه الاقتضاء، وإنما يكون العقاب بالخبر عنه؛ كقوله: إن لم تفعل كذا عذَّبتك بكذا، كما ورد في هذه الآية، فوجب بمقتضاها النَّفيرُ إلى الجهاد، والخروج إلى الكفَّار لمقاتلتهم، على أن تكون كلمةُ الله هي العليا)[٢]، وقد وردت هذه الآيات في حق من استنفرهم النبي ﷺ لقتال الروم في غزوة تبوك بعيدًا عن بلاد المسلمين وبيضتهم؛ فكيف بمن قعد عن الجهاد عند نزول العدو بلاد المسلمين ذاتها، وحلولهم بالعُقر من الديار، واستباحتهم للبيضة، والاستيلاء عليها؟

ومن علامات الكبائر التي نص عليها الأئمة: أن يرد فيها وعيد في الآخرة؛ قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (الكبائرُ: كلُّ ذنبٍ ختَمه اللهُ بنارٍ أو غضَبٍ، أو لعنةٍ، أو عذابٍ)[٣]، قال ابن حجر الهيتمي -رحمه الله تعالى-: (الكبيرة التِّسعون والحادية والثَّانية والتِّسعون بعد الثَّلاثمائة: ترك الجهاد عند تعيُّنه بأن دخل الحربيُّون دار الإسلام أو أخذوا مسلمًا وأمكن تخليصه منهم، [وأيضًا] ترك النَّاس الجهاد من أصله، [وأيضًا] ترك أهل الإقليم تحصين ثغورهم بحيثُ يخافُ عليها من استيلاء الكُفَّار بسبب ترك ذلك التَّحصين)[٤]، ثم قال: (عدُّ هذه الثلاثة ظاهرٌ -أي من الكبائر-؛ لأنَّ كُلَّ واحدٍ منها يحصل به من الفساد العائد على الإسلام وأهله ما لا يتدارك خرقه، وعليها يحمل ما في هذه الآية والأحاديث من الوعيد الشَّديد، فتأمَّل ذلك فإنِّي لم أر أحدًا تعرَّض لعدِّ ذلك مع ظهوره)[٥].
إذا تبيّن ذلك: فإذا تعين الجهاد، فتاركه القادر عليه مرتكب كبيرة، فاسق أشد فسقًا من الزاني والسارق والشارب؛ حيث خذل الدين، وأسلم البلاد والعباد لأعداء الله ورسوله ﷺ، مع ما يترتب على ذلك من الفساد المتعدي.

---

[١] الجامع لأحكام القرآن، (ج١٠/ص٢٠٨). في الأصل هذا كلام ابن العربي.
[٢] أحكام القرآن، (ج٢/ص٥١١).
[٣] رواه الطبري في تفسيره، (ج٦/ص٦٥٢).
[٤] الزواجر عن اقتراف الكبائر، (ج٢/ص٢٦٩).
[٥] المرجع السابق، (ص٢٧١).

وبناءً على ذلك: فغير مقبول ممن تعلق به هذا الحكم أن ينشغل بغير الجهاد من الأعمال؛ إذ انشغاله بهذه الأعمال -أيًّا كانت- لا يرفع عنه وصف الفسق المتعلق به من جراء تخلفه عن الجهاد المتعين.

الوجه الثاني: أن الفرائض مقدمة على النوافل؛ فالفرائض التي فرضها الله على عباده عند أهل الطائفة المنصورة: هي الأصل والأساس في تعبد المكلف لربه ومولاه، وهي من ثم أحب إلى الله وأقوم في نيل رضاه، وتارك الفرائض اشتغالًا عنها بالنوافل عاص لله لم يخرج بعد من دائرة العصيان أيًّا كانت تلك النوافل التي اشتغل بها عن الفرائض، وأيًّا كان مبلغ اجتهاده فيها، وفي الحديثِ القدسي الصحيح؛ يقول الله تعالى: {مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...}[١] الحديث، فنص الحديث على أن الفرائض -ومنها الجهاد-: أحب ما تقرب به العبد إلى الله سبحانه وتعالى، وقد اتفق أهل العلم بلا خلاف على أن الفرائض مقدمة على غيرها من النوافل، وأن الانشغال بالنوافل مع تضييع الفرائض عملٌ معكوس وجهد ضائع، ولا شك أن المراد من التقرب بالنوافل أن تقع ممن أدى الفرائض لا من أخل بها، كما قال بعض الأكابر: من شغله الفرض عن النفل فهو معذور، ومن شغله النفل عن الفرض فهو مغرور، بل مجرد التسوية بين جنس الفرائض وجنس النوافل ممنوعة بيقين؛ فلا يجوز أن يسوى بين الواجب والمندوب لا في القول ولا في الفعل ولا في الاعتقاد، كما لا يُسَوَّى بين الحرام والمكروه، بل ولا بين المباح وبين المندوب والمكروه؛ قال الشاطبي -رحمه الله-: (المندوب من حقيقة استقراره مندوبًا ألا يُسوَّى بينه وبين الواجب، لا في القول ولا في الفعل، كما لا يُسوَّى بينهما في الاعتقاد)[٢]، والخلاصة: أن أعلى رتب مصالح الندب دون أدنى رتب مصالح الواجب[٣].

---

[١] رواه البخاري.

[٢] الموافقات، (ج٤/ص٩٧).

[٣] انظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، (ج١/ص٥٥)، ونفائس الأصول في شرح المحصول، القرافي، (ج١/ص٣٥٢).

وقد بعث الإمام المجاهد عبد الله بن المبارك إلى من كان يوصف بعابد الحرمين الإمام الفضيل بن عياض بأبيات يقول فيها:

يا عابدَ الحَرَمينِ لوْ أبصرْتَنا *** لَعلمْتَ أنّك في العبادةِ تَلْعبُ
مَنْ كان يَخْضِبُ خدَّهُ بدموعِهِ *** فَنُحُورُنا بِدِمَائِنا تَتَخَضَّبُ
أو كان يُتْعِبُ خيلَهُ في باطلٍ *** فخيولُنا يومَ الصَّبِيْحَةِ تَتْعبُ
رِيْحُ العَبِيْرِ لكمْ ونحنُ عبيرُنا *** رَهْجُ السَّنابكِ والغبارُ الأطْيبُ
ولقد أتانا مِنْ مَقالِ نبيِّنا *** قَوْلٌ صحيحٌ صادقٌ لا يَكْذِبُ
لا يَسْتَوِي وغُبارُ خَيْلِ اللهِ في *** أَنْفِ امرئٍ ودُخَانُ نارٍ تَلْهَبُ
هذا كتابُ اللهِ ينطِقُ بَيْنَنا *** ليس الشَّهيدُ بميّتٍ لا يَكْذِبُ[1]

فتأمل كيف وصف انشغال الإمام الفضيل بن عياض بالعبادة ومجاورة الحرم باللعب والباطل مقارنةً بتركه للقتال في سبيل الله؛ هذا مع كون الجهاد المتحدث عنه فرض كفاية لا فرض عين! فكيف لو رأى الإمام ابن المبارك –رحمه الله– حال القاعدين عن الجهاد المتعين انشغالًا بنوافل وتطوعات؟ بماذا يا ترى سيصف أعمالهم التي قعدوا بها عن هذا الجهاد؟

الوجه الثالث: أن الواجبات العينية تقدَّمُ على الواجبات الكفائية، وهو الوجه الثالث الذي يتقرر به أن الجهاد إذا تعين فإنه يقدم على غيره من الأعمال، وتقديمُ الواجبات العينية على الواجبات الكفائية أصلٌ مقررٌ عند أهلِ الطائفة المنصورة، وهو من العدل الذي أُمروا به في أمرهم كله، ومن ثم يضعون كل شيءٍ موضعه بلا شطط؛ فينالون رضوان الله بالمسارعة إلى محابّه واجتناب مساخطه. قال الغزالي –رحمه الله– وهو يتكلم عن شروط الاشتغال بالمناظرة الفقهية، وهي من فروض الكفاية؛ قال: (الأوَّلُ: ألاَّ يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرَّغ من فروض الأعيان: ومن عليه فرضُ عينٍ فاشتغل بفرض الكفاية، وزعم أنَّ مقصوده الحقُّ؛ فهو كذَّابٌ، ومثاله مثال من يترك الصلاة في نفسه ويتَّجرُ في تحصيل الثياب ونسجها، ويقول: غرضي به ستر عورة من يصلِّي عريانًا

[1] انظر: سِيَر أعلام النبلاء، الذهبي (ج٨/ ص٤١٢)، وتاريخ دمشق، ابن عساكر (ج٣٢/ ص٤٤٩).

ولا يجدُ ثوبًا)[١]، إلى أن قال –رحمه الله–: (فلا يكفي في كون الشخص مطيعًا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشروط والترتيب)[٢]، فنصَّ –رحمه الله– على أن من اشتغل بفرض كفاية، مع عدم تفرغه من فرض العين: أنه كذاب، وإن زعم أن قصده الحق.

الوجه الرابع: الذي يتقرر به تقديم الجهاد عند تعينه على غيره: أن الواجب المضيَّق يقدم على الواجب الموسَّع، والفوري يقدم على المتراخي، وما يخشى فواته على ما لا يخشى فواته، وقد ذكر القرافي –رحمه الله– وهو يتحدث عن مسألة تعارض الواجبات وما يقدم منها وما يؤخر أن هذا: (مبنيٌّ على معرفة قاعدةٍ في التَّرجيحات –وضابط ما قدَّمه الله تعالى– على غيره من المطلوبات، وهي أنَّه إذا تعارضت الحقوق قُدِّم منها المضيَّق على الموسَّع؛ لأنَّ التَّضييق يُشعر بكثرة اهتمام صاحب الشَّرع بما جعله مضيَّقًا، وأنَّ ما جوَّز له تأخيره وجعله موسَّعًا عليه دون ذلك، ويقدَّم الفوريُّ على المتراخي؛ لأنَّ الأمر بالتَّعجيل يقتضي الأرجحيَّة على ما جُعل له تأخيره، ويقدَّم فرضُ الأعيان على الكفاية؛ لأن طلب الفعل من جميع المكلَّفين يقتضي أرجحيَّة ما طُلِب من البعض فقط، ولأنَّ فرض الكفاية يعتمد عدمَ تكرُّر المصلحة بتكرُّر الفعل، [...] والفعلُ الذي تتكرَّر مصلحتُه في جميع صوره أقوى في استلزام المصلحة من الَّذي لا توجد المصلحة معه إلَّا في بعض صوره، ولذلك يقدَّم ما يخشى فواته على ما لا يخشى فواته، وإن كان أعلى رتبةً منه)[٣].

وبهذه الوجوه الأربعة المتقدمة؛ يتقرر أن الجهاد إذا تعين فهو مقدم عند أهل الطائفة المنصورة على غيره من النوافل، كما أنه مقدم على غيره من الواجبات الكفائية أيًّا كانت بلا أدنى نزاع، بل ومقدمٌ على غيره من الواجبات العينية عند عدم إمكان الجمع بينه وبينها؛ كالصلاة والصيام والحج وغيرِها، وقد وصف شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– فقهَ مراتب الأعمال بأنها حقيقة الدين، وحقيقة العمل بما جاءَت به الرسل، وبأنه خاصةُ العلماءِ بهذا الدين فقال –رحمه الله–: (فتفطن لحقيقة الدين، وانظر ما اشتملت عليه الأفعال من المصالح الشرعية والمفاسد؛ بحيث تعرف ما [ينبغي]

---

[١] إحياء علوم الدين، (ج١/ص١٥٩).
[٢] المرجع السابق، (ص١٦٠).
[٣] أنوار البروق في أنواء الفروق، (ج٢/ص٢٠٣).

من مراتب المعروف، ومراتب المنكر، حتى تقدم أهمها عند الازدحام، فإنَّ هذا حقيقة العلم بما جاءت به الرُسُل، فإنَّ التمييز بين جنس المعروف، وجنس المنكر، أو جنس الدليل، وغير الدليل: يتيسر كثيرًا، فأمَّا مراتب المعروف والمنكر، ومراتب الدليل، بحيث يقَدَّم عند التزاحم أعرف المعروفين، فتدعو إليه، وينكر أنكر المنكرين، ويرجح أقوى الدليلين: فإنه هو خاصة العلماء بهذا الدين)[١].

يتبين مما سبق أن المجاهدين، أهل الطائفة المنصورة، فيما ذهبوا إليه: لم يأتوا ببدع من القول أو مستحدث من الفعل، كيف؟ ودربهم دربٌ مسلوك، وسبيلٌ مطروق، أسلافهم فيه خير من وطئ الحصى من الأنبياء والمرسلين والتابعين لهم بإحسان، وهم بهم يقتدون، ولآثارهم يقتفون، أقدامُهم في الثرى، وهاماتهم في الثريا، ونفوسهم ترى إراقة دماء الحياة دون إراقة ماء الـمُحيّا، ساروا وحاديهم قولُ الزبير –رضي الله عنه–: (نحنُ أمةٌ لا نموتُ إلا قتلًا، فمالي أرى الفُرُش قد كثر عليها الأموات؟)[٢].

يردد السالك لدربهم قولَ الأول:

وَلَسْتُ أُبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا *** عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ *** يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ[٣]

أو قولَ الآخر:

لَكِنَّنِي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً *** وَضَرْبَةً ذَاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا
أَوْ طَعْنَةً بِيَدَيْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً *** بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَبِدَا
حَتَّى يُقَالَ إذَا مَرُّوا عَلَى جَدَثِي *** أَرْشَدَكَ اللَّهُ مِنْ غَازٍ وَقَدْ رَشَدَا[٤]

أو قولَ الجمع المبارك:

نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا *** عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا[٥]

---

[١] اقتضاء الصراط المستقيم، (ج٢/ص١٢٧).
[٢] لم أجده عند أحد.
[٣] بيتا خبيبٍ الأنصاري –رضي الله عنه– عندما قتلته قريش صبرًا، رواه البخاري.
[٤] أبيات عبد الله بن رواحة –رضي الله عنه–، رواها ابن إسحاق. سيرة ابن هشام (ج٢/ص٣٧٤).
[٥] إجابة الصحابة –رضوان الله عليهم– للنبي ﷺ عندما قال: "اللَّهُمَّ إِنَّ الْخَيْرَ خَيْرُ الآخِرَهْ ***. فَاغْفِرْ لِلأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرَهْ"، رواه البخاري.

فأئمتهم قد أوضحوا لهم الحجة، ورسموا لهم المحجة، وعبّدوا لهم دربهم، وحذَّرُوهم مِن بُنيّاته، وخطّوا لهم خطة الهدى والرشاد، تقدَّمُوهُم في المسير، وسَبَقُوهُم في الوصول، وقد ضَرَبُوا لهم موعِدَ اللقاء مع من وفى دون من نكص؛ {وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ} [التوبة: ١٠٠]، فهم يخافون أشدَّ الخوف من أن يتخلّفوا عن هذا الموعد ويفوتهم الوفاء، فيُحرموا اللقاء، فهاجسهم أبدًا: غدًا ألقى الأحبة، محمّدًا وصحبه.

فأرواحهم تهيم هناك لا هنا.

جِسْمِي مَعِي غَيْرَ أَنَّ الرُّوحَ عِنْدَكُمُ *** فَالْجِسْمُ فِي غُرْبَةٍ وَالرُّوحُ فِي وَطَنِ
فَلْيَعْجَبِ النَّاسُ مِنِّي أَنَّ لِي بَدَنًا *** لَا رُوحَ فِيهِ وَلِي رُوحٌ بِلَا بَدَنِ[١]

وأنّى لمن هذا شأنهم أن يقعدهم ابتلاءٌ عن النفير، أو تثني عزائمهم محنةٌ عن الجهاد؟ بل يبادرون ويسابقون، ويرددون وهم يُنحرون تقديمًا لبرهان المحبة الصادق:

فَلَيْتَكَ تَحْلُو وَالْحَيَاةُ مَرِيرَةٌ *** وَلَيْتَكَ تَرْضَى وَالأَنَامُ غِضَابُ
وَلَيْتَ الَّذِي بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَامِرٌ *** وَبَيْنِي وَبَيْنَ الْعَالَمِينَ خَرَابُ
إِذَا [صَحَّ] مِنْكَ الوُدُّ فَالكُلُّ هَيِّنٌ *** وَكُلُّ الَّذِي فَوْقَ التُّرَابِ تُرَابُ[٢]

إنَّ المجاهدين، أهل الطائفة المنصورة: ليسوا بقومٍ ضاقت عليهم أنفسهم فتبرموا بها وأرادوا لها خلاصًا، أو قومٍ سُدَّت عليهم سبلُ العيش ومنافذُ الرزق، أو أسرى عاهاتٍ نفسية تعشقُ الموت لذاته، وتسعى له بكل سبيل، وقد رأت الدُّنيا سوداء مظلمة، كلا وربي! وإنما هم قومٌ عرفوا واجبهم، وحقيقةَ المراد منهم؛ فشمروا عن ساق الاجتهاد، وسلكوا سبيلَ الجهاد، ولم يتعللوا بواهي العلل، وساقط الحُجج، ليعذروا في ترك هذا الواجب، بل هانت عليهم أنفُسهم في ذاتِ الله، وعايَنُوا العاقبة وأيقنوا بها، فآثروا الباقية على الفانية، والآجلة على العاجلة، فكان منهم المسارعة لبذل الغالي

---

[١] البيتان لأبي الفتوح نصر بن علي البغدادي. انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٧/ص١٧٧). ونسب البيتان لأكثر من واحد في كتب الشعر والأدب.
[٢] أبيات لقصيدة أبي فراس الحمداني وهو في الأسر، انظر: ديوان أبي فارس الحمداني (ص٤٨).

والرخيص، والنفسِ والنفيس، محبة لمولاهم وتقرّبًا لخالقهم، وقد رأوا أن الدُّنيا بما فيها أحقرُ مِن أن تُقعِدَهم عن نيلِ محبة الله ورضاه، فمضوا وحاديهم: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: ٥٤]، فجادوا بنفوسهم يوم أن ضنَّ بها الكثيرون، وبذلوا دماءهم رخيصة يوم أن بخل بها المدعون، وهذا والله إنما هو محض فضل من الله عليهم، {ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: ٥٤]، وفضل الله هذا لا يوفق له كلُّ أحد؛ فأهلُه هم المصطفون الأخيار، المفضلون على غيرهم من العالمين، والله أعلم حيث يضع فضله ومنته، فالمجاهدون هم خيرة الله من خلقه، لبّوا نداء خالقهم لإمضاء العقد وتسليم المبيع: {إِنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ} [التوبة: ١١١]، وهم المتأسون المقتدون بسيّد الخلق ﷺ القائل: "وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ لَوْلَا أَنْ أَشُقَّ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلَافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبِيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلَكِنْ لَا أَجِدُ سَعَةً فَأَحْمِلُهُمْ وَلَا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي، وَالَّذِي نَفْس مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ؛ لَوَدِدْتُ أَنْ أَغْزُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أَغْزُوَ فَأُقْتَلَ"[١].

ورحم الله القائل: (إنما هو بذل الرُّوح؛ وإلَّا فلا تشتغل في التُّرَّهات)[٢].

إن أول قدم في الطريق بذلُ الرُّوح، هذه الجادة؛ فأين السالك؟

ورحم الله الشيخَ أبا أنس الشَّامي يوم أن قال لي يومًا مثبّتًا ومسلّيًا: (يا فلان! سنبقى نحفرُ بالصخر حتى نصنع مجدًا لأمتنا).

قال لي صاحبي والبينُ قد حل *** ودمعي مرافقٌ لشهيقي
ما تُرى تصنع في الطَّريق بعدي؟ *** قلتُ أبكي عليك طول الطريق[٣]

---

[١] رواه مسلم، وروى البخاري بعضه.

[٢] روى نحوه البيهقي في الزهد الكبير (ص٢٨٣) وأبو نعيم في الحلية (ج١٠/ص٢٩٧)، من قول رويم بن أحمد.

[٣] البيتان للوزير المهلبي بتصرف من الزرقاوي، انظر: يتيمة الدهر، أبو منصور الثعالبي (ج٢/ص٢٨٣).

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

المُحاضَرَةُ الثانيةَ: وَطَوَاعِيَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ أَنفَعُ لَنَا

١٦ شعبان ١٤٢٦ هـ || ١٩ سبتمبر ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فإنّ المتأمّلَ لحالِ الأمّةِ الإسلامية اليومَ ليتملكُ قلبَهُ شعورٌ بالحزنِ والأسى على ما آلَ إليه حالُها؛ من تكالُبِ أعدائِها عليها، والذلّةِ والمهانةِ التي وصلت إليها، بعد أن كانت أعزّ الأمم! أمةٌ بعثها اللهُ –سبحانَه وتعالى– لتكونَ خيرَ أمة أخرجت للناس، أمةٌ وُجِدتْ لتعلو ولا يعلى عليها، لتكونَ في مقدمة ركبِ الأمم، لا في مؤخرها!

إِنِّي تَذَكَّرْتُ وَالذِّكْرَى مُؤَرِّقَةٌ *** مَجْدًا تَلِيدًا بِأَيْدِينَا أَضَعْنَاهُ
أَنَّى اتَّجَهْتَ إِلَى الإِسْلَامِ فِي بَلَدٍ *** تَجِدْهُ كَالطَّيْرِ مَقْصُوصًا جَنَاحَاهُ[١]

هذه الأمة إنما اكتسبت عزَّها وسموَّهَا ورفعتَها بقيامِها بأمْرِ ربها، وتطبيقِها لحُكمِه؛ قال تعالى: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [آل عمران: ١٣٩]، وقال تعالى: {وَلَن يَجْعَلَ اللهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا} [النساء: ١٤١]، وهذا الوعدُ لا يتخلّفُ في أيّ زمانٍ أو مكان ما أتى العباد بسببه وشرطِه؛ ألا وهو الإيمانُ بالله سبحانهُ وتعالى، والذي يتحقق بامتثال شرعِ الله وإعلاءِ كلمتِه، والجهادِ في سبيله. ولكن لما غفلَ أبناءُ هذه الأمّة عن وصية الله في قوله: {يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} [النور: ٥٥]، وتغاضَوا عن التخويفِ والتهديد في قوله: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣]، وتهاونوا بالأمر الذي وُكِلَ إليهم في قوله: {فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ} [الزخرف: ٤٣]، وتنكّبوا عن جادّةِ العزّ في قوله: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ

---

[١] البيتان من قصيدة وقفة على طلل، الشاعر محمود غنيم. انظر: الأعمال الكاملة لمحمود غنيم (ص٧٩).

قُلُوبِهِمْ} [التوبة: ١٤-١٥]: حينها ألبسَهم عدوُّهم رداءَ الذُّل، وأشعرَهم شعَارَ الهوان، وسامَهم سوء العذاب، وضامَهم بأليمِ العقاب، وخيّمَ ظلامُ الغفلة على هذه الأمة، وطال ليل رقادِها.

فصل: دعاة على أبواب جهنم[1]

ولكنَّ هذه الأمة أمةٌ عصيّةٌ أبية تأنَفُ الذلَّ وتأبى الضيم، فهي وإن أصاب جسدَها الآلامُ وأثخنتهُ الجراح، إلا أنه لا يلبث أن يستجمعَ قواه، ويستعدّ للنهوض إيذانًا ببزوغ فجرِ الإسلام وطلوعِ شمسِ التوحيد من جديد. وها نحنُ اليومَ أمام صفحةٍ جديدة من صفحاتِ الصحوةِ في هذه الأمة، بعد أن أدركت حقيقةَ معركتِها ووعتْ مخططاتِ أعدائها بها؛ ولكنّ هذه الصحوة صاحَبَ مسيرَها الكثيرُ من الدخل، وعكَّرَ صفوَها الكثيرُ مِن الدّغَل، وهذا مصداقُ حديث الصادِقِ المصدُوق ﷺ كما في الصحيحين من حديثِ حُذيفة قال: (كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ إنَّا كُنَّا فِي جاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجاءَنا اللَّهُ بِهَذا الْخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قالَ: "نَعَمْ"، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ هذا الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قالَ: "نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ"، قُلْتُ: وَما دَخَنُهُ؟ قالَ: "قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ"، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قالَ: "نَعَمْ؛ دُعاةٌ إِلَى أَبْوابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجابَهُمْ إِلَيْها قَذَفُوهُ فِيها"، قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ؛ صِفْهُمْ لَنا، فَقالَ: "هُمْ مِنْ جِلْدَتِنا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنا").

نعم هذا الدَخَلُ والزغل إنما هو من أناسٍ آلمهم حال أمتهم؛ فأرادوا النهوض بها، ولكنّهم بغير هدي نبيهم ﷺ اهتدوا، وغيرِ سبيله سلكوا؛ فبتنا نرى مناهجَ أجنبية غريبة دخيلة على ديننا، فتارة نراهم في البرلمانات الشركية، والمجالس التشريعية، وتارة ينادون بالديموقراطية، وأخرى يدعونَ إلى الانخراط في الجيوش الطاغوتية، وضرورة المشاركة في العملية السياسية، وكتابة دستور البلاد المحادّ لدين ربِّ العباد، وأخرى يمدُّون حبالَ الود بينهم وبين الصليبيين وأذنابِهم من الحكام المرتدين، وأخرى وأخرى في سلسلة يطولُ ذكرها وسردها، وإذا ما جُوبِهَ أصحابُها بضلالِ هذه المناهج وفسادها؛ أشهروا في وجهِ خصومِهم سلاحَ شُبهتهم: إنّ في ذلك مصلحةَ الدعوة! هذه المصلحة التي أضحت

[1] تعليق إتقان: العناوين الفرعية هي زيادة مقترحة لفهم سياق الكلام.

متّكئًا يتكئون عليه لتبرير مواقفهم وتنازلاتهم، وإن كان في هذه المواقف وتلكم التنازلات الانسلاخَ من دين ربِّ الأرض والسماوات! هذه المصلحة التي غدت بحقّ طاغوتًا يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى، وترى أصحابَ هذه المصلحة المزعومة لا يتورعون عن نبزِ مخالفيهم ومنتقديهم بأشنع الألقاب، ونعتِهم بأبشع الصفات، ورميِهم بعدم فقههم للواقع، وعدمِ إلمامهم بمقاصد الشرع!

وقد قضى اللهُ سبحانه وتعالى قضاءً مُبرَمًا: أنه لا تزال طائفة من هذه الأمّة ظاهرينَ على الحقِّ، لا يضرُّهم من خالفهم ولا من خَذَلهم حتى يأتي أمرُ الله وهم على ذلك، وانطلاقًا من هذا: أحببتُ أن أذكرَ مفهوم مصلحةِ الدعوةِ عندَ هذه الطائفة، وكيفية تطبيق أفرادِها لهذا المفهوم؛ مُسترشِدًا بأقوالِ أئمةِ الهُدى ومصابيحِ الدجى؛ لعله يكونُ نبراسًا تنيرُ درب الهدايةِ لمن زلّت به قدمُه، وحاد به عقلُه عن طريقِ الله القويم وصراطِه المستقيم.

فصل: مصلحة الدعوة

إنّ أهلَ الطائفةِ المنصورة يحرصونَ غايةَ الحرصِ على تحقيقِ مصلحةِ الدعوة؛ إذ همْ لم ينطلقوا دعاةً إلى الله إلا ابتغاء تحقيق هذه المصلحة، ومصلحةُ الدعوةِ عندَهم تكمنُ في الحفاظِ على هذه الدعوة بيضاءَ نقية من أن يشوبَها دخلٌ أو دغل؛ فيؤدونها كما أُنزِلت لم يُسلب عرضُها، ولم يشوّه وجهها؛ وذلك بالتقوّل على الله بغير علم، أو الإحداث والابتداعِ في دينه، أو الترخُّصِ بالباطل، أو الركونِ للذين ظلموا، فضلًا عن التلطخ والتدنس بأرجاسِ الشرك وأوحاله، فإن فعل ذلك بزعم تحقيق مصلحة الدعوة هو جهلٌ مدقع، وهوى متبع، وشبهةٌ راسخة، وشهوةٌ غالبة، فضلًا عن كونه خِدعَةَ إبليس، وهو مسلكُ من لم يرد مصلحةَ الدعوة طرفة عين، وإنما أراد تدميرَ الدعوةِ من أساسِها، وخلعَها من جذورها، واستبدالَ الأوهام والظنون بها، وإن ظن أنه يحسن صنعًا!

وأهلُ الطائفة المنصورة لا يخدعون أنفُسهم تحت زعم تحقيق مصلحة الدعوة توصلًا لتحقيق مصالحَ خاصة، وحظوظٍ ذاتية، تصبغ ويخلع عليها رداءُ الشرعية تلبيسًا وتمويهًا، كما لا يتخذ أهلُ الطائفة المنصورة من مصلحة الدعوة تكأة للتنصل والتفلت من القيام بأمر الله والقوامَة عليه علمًا وعملًا دعوةً وجهادًا؛ إيثارًا للسلامة وحبًّا للدعة، ورغبة عن التعرض للبلاء في ذات الله، كما يودُّ

أحدُهم أن لو كان باديًا في الأعراب يسألُ عن أخبار المسلمين، بل غايةُ مصلحةِ الدعوة عند أهلِ الطائفةِ المنصورة: القيامُ بأمرِ الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه، وإن تلفت في سبيل ذلك الأجساد، وأُزهقت لتحقيقه الأنفسُ والأرواح.

إن الطائفةَ المنصورة غاياتها ربانية، ووسائلُها شرعية، وعندما تنحرف طائفةٌ عن هذه الجادة، وتتخذُ لنفسِها طرقًا ووسائلَ غير منضبطةٍ بالشرع بحجة مصلحة الدعوة؛ فإنها تخرجُ عن حدِّ ورسم ووصف الطائفةِ المنصورة حيث فارقتها في سيرِها ومسيرها فلا لقاء.

سَارَتْ مُشَرِّقَةً وَسِرْتَ مُغَرِّبًا *** شَتَّانَ بَيْنَ مُشَرِّقٍ ومُغرِّبِ[1]

والكلامُ على مصلحة الدعوة يتمثل في عدةِ محاور؛

المحور الأول: تحديدُ حقيقةِ مصلحَةِ الدّعوة.

قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ* إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: ٥٦-٥٨]؛ فهذا نصٌّ من العليمِ الخبير بمنتهى الحصر والقصر على أنّه لم يخلقِ الخلق إلا لتحقيق غاية واحدة وهدفٍ محدد؛ وهو القيام بعبادته وحده، وأنه سبحانه قد فرّغهم لذلك.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (العبادةُ لله هي الغايةُ المحبوبة له، والمرضيَّة له، الَّتي خلق الخلقَ لها، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]، وبها أرسلَ جميع الرُّسُل كما قال نوحٌ لقومه: {اعْبُدُواْ اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف: ٥٩]، وكذلك قال هودٌ وصالحٌ وشعيبٌ وغيرهم لقومهم، وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ} [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا

[1] البيت بلا نسبة في البصائر والذخائر (ج٨/ص١٧٨). وكان ينشده أبو إسحاق الشيرازي كما في الوافي بالوفيات (ج٦/ ص٤٣)، والروض المعطار (ص ٤٤٤).

مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون: ٥٢])[1].

فعلم مما سبق أن مصلحة الدعوة هي في تحقيق العبودية لله رب العالمين وفق ما جاء به رسله صلوات الله وسلامه عليهم، وبذلك تتحددُ مصلحة الدعوة بصورةٍ قاطِعة بعد مبعثه ﷺ في تحقيق أصلين:

- **إفرادِ الله وحده بالعبادة،**

- **وإفرادِ رسوله ﷺ بالمُتابعة.**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى–: (وجماعُ الدِّينِ شيئان؛ أحدهما: ألا نعبدَ إلا اللهَ تعالى، والثاني: أن نعبده بما شرَّع؛ لا نعبده بالبدع كما قال تعالى: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا} [هود: ٧]، قال الفضيل بن عياضٍ: أخلصُه وأصوبُه، قيل له: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إنَّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكونَ خالصًا صوابًا، والخالصُ أن يكون خالصًا لله، والصوابُ أن يكونَ على السنّة. وكان عمر بن الخطَّاب يقول في دعائه: اللَّهمَّ اجعل عملي كلَّه صالحًا، واجعله لوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا. وهذا هو دينُ الإسلام الذي أرسل الله به رسلَه، وأنزل به كتبَهُ)[2].

ولذلك كان تحقيق هذين الأصلين هو المقصودُ الأصيل للولاية في الإسلام على التحقيق، وليس للولاية من مقصد آخرَ غيره، ومن روائع ما يدل على هذا قوله تعالى: {وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ} [الأنعام: ٥٢]، روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص –رضي الله عنه– قال: (كُنَّا مع النَّبيّ ﷺ ستَّة نفرٍ، فقال المشركون للنَّبيّ ﷺ: اطرد هؤلاءِ لا يجترئون علينا، قال: وكنتُ أنا وابن مسعودٍ ورجلٌ من هذيلٍ وبلالٌ ورجلان لستُ أسميهما، فوقع في نفس رسول

---

[1] مجموع الفتاوى، (ج١٠/ص١٥٠).
[2] المرجع السابق، (ج٢٨/ص٢٣).

الله ﷺ ما شاءَ الله أن يقع، فحدَّث نفسه، فأنزل الله عز وجل: {وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الأنعام: ٥٢])؛ قال القرطبي -رحمه الله-: (وكانَ النبي ﷺ إنما مال إلى ذلك طمعًا في إسلامهم، وإسلامِ قومهم، ورأى أنَّ ذلك لا يفوِّتُ أصحابَه شيئًا، ولا يُنقِصُ لهم قدرًا، فمالَ إليه، فأنزلَ الله الآية، فنهاه عمَّا همَّ بهِ من الطَّرد، لا أنَّه أوقع الطَّرد)[١]، فرغم أن إسلامَ زعماءِ الكفرِ وقادته مما لا يختلف في كونه مصلحة عظيمة للدعوة؛ بل هو نصرٌ وفتح كبير لها، ورغم أن مفسدةَ طردِ وإبعادِ هؤلاءِ النفر المستضعفين من المسلمين عن مجلس أولئك الزعماء والقادة، مما يظهر لأكثر العقول أنها أقل بكثير من مصلحة زعماءِ الكفر وقادته، لا سيما مع استرضاءِ هؤلاء المستضعفين، وإعلامهم بأن هذا الإجراء إنما هو إجراء مؤقت لمصلحة الدعوة، إلا أن اللهَ سبحانه وتعالى بيَّن أن تلكَ المصلحةَ مُلغاة لا اعتبار لها إذ جاءت من هذا الطريق، كما بيّن تعالى أن حفظَ دينِ هؤلاءِ النفر المستضعفين هو المصلحة الحقيقية التي يجب الاهتمامُ بها، والتعويلُ عليها، وبتأمل الوصف الذي علّق عليه المولى سبحانه هذا الحكم، وهو قولُهُ: {يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ} [الأنعام: ٥٢]، ندرك أن عبادتَهُ سبحانه على النحو الذي يحبُّه ويرضاه هي مصلحة الدعوة التي يريدها الله سبحانه، والتي من أجلها أنزلَ هذا الدين، وأرسلَ عبادَهُ المرسلين.

وهذه الآيات السابقة نصوص ظاهرة في أن مسألة مصلحةِ الدعوة ليست مسألةَ تنازلات يسارعُ أهل الدعوة لتقديمها للباطل وأهله استرضاء لهم واستجذابًا؛ وإنما هي مسألة التزام بتبليغ تلك الدعوة على الصفة التي يحبُّها الله ويرضاها، وإن كانت النتيجة إعراضَ ذوي القوة والجاه والسلطان في مقابلِ الحفاظِ على نفرٍ قليلٍ من المستضعفين.

قال سيد -رحمه الله تعالى- عند تفسيره لقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج: ٥٢]: (ولقد تدفع الحماسة والحرارة أصحابَ الدعواتِ -بعد الرسل- والرغبةَ الملحة في انتشار الدعوات وانتصارها؛ تدفعُهم إلى استمالةِ بعضِ الأشخاص

---

[١] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، (ج٦/ص٢٨٤-٢٨٥). ونقل نفس الشرح في تفسير الآية.

أو بعضِ العناصر بالإغضاء في أوّل الأمر عن شيء من مقتضيات الدعوة، يحسبونه هم ليس أصيلًا فيها، ومجاراتهم في بعض أمرهم كي لا ينفروا من الدعوة ويخاصموها! ولقد تدفعهم كذلك إلى اتخاذِ وسائلَ وأساليب لا تستقيمُ مع موازينِ الدعوةِ الدقيقة، ولا مع منهجِ الدعوة المستقيم؛ وذلك حرصًا على سرعةِ انتصارِ الدعوةِ وانتشارها، واجتهادًا في تحقيقِ «مصلحة الدعوة» ومصلحةُ الدعوة الحقيقية في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير، أما النتائج فهي غيبٌ لا يعلمُه إلا الله.

فلا يجوز أن يحسب حملة الدعوة حساب هذه النتائج؛ إنما يجب أن يمضُوا على نهجِ الدعوة الواضحِ الصريحِ الدقيق، وأن يدعوا نتائِج هذه الاستقامة لله، ولن تكونَ إلا خيرًا في نهاية المطاف، وها هو القرآن الكريم ينبههم إلى أن الشيطانَ يتربّصُ بأمانيهم تلك لينفذَ منها إلى صميم الدعوة، وإذا كان الله قد عصم أنبياءَهُ ورسلَه فلم يمكن للشيطان أن ينفذ من خلال رغباتِهم الفطرية إلى دعوتهم؛ فغيرُ المعصومينَ في حاجةٍ إلى الحذرِ الشديد من هذه الناحية، والتحرج البالغ؛ خيفة أن يدخل عليهم الشيطان من ثغرة الرغبة في نصرة الدعوة والحرص على ما يسمُّونَه «مصلحة الدعوة».

إن كلمة «مصلحة الدعوة» يجبُ أن ترتفع من قاموسِ أصحاب الدعوات؛ لأنها مزلةٌ، ومدخلٌ للشيطان يأتيهم منه، حين يعز عليه أن يأتيهم من ناحية مصلحة الأشخاص! وقد تتحولُ «مصلحة الدعوة» إلى صنمٍ يتعبده أصحاب الدعوة وينسون معه منهجَ الدعوةِ الأصيل! إن على أصحاب الدعوة أن يستقيموا على نهجها ويتحروا هذا النهج، دون التفاتٍ إلى ما يعقبه هذا التحري من نتائج قد يلوحُ لهم أن فيها خطرًا على الدعوة وأصحابِها! فالخطرُ الوحيد الذي يجب أن يتّقوه هو خطر الانحراف عن النهج لسبب من الأسباب، سواء كان هذا الانحراف كثيرًا أو قليلًا، والله تعالى أعلم منهم بالمصلحة وهم ليسوا بها مكلفين، إنما هم مكلفون بأمرٍ واحد: ألا ينحرفوا عن المنهج، وألا يحيدوا عن الطريق)[١].

---

[١] في ظلال القرآن، (ج٤/ص٢٤٣٦).

إنَّ محاولاتِ كفار قريش لم تتوقف لصرف النبي ﷺ عن الحق الذي جاء به ليلتقي معهم ولو في شيء قليل؛ وذلك بالترغيبِ تارة، وبالترهيبِ أُخرى، يقولُ الله سبحانه: {فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ * وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم: ٨-٩]، وقال تعالى: {وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا} [الإسراء: ٧٣-٧٤]؛ قال الشاطبي -رحمه الله-: (فكذلك كانوا مع النبي ﷺ، فأنكروا ما توقَّعوا معَهُ زوالَ ما بأيديهم؛ لأنَّه خرج عن معتادهم، وأتى بخلاف ما كانُوا عليه من كفرهم وضلالِهم، حتَّى أرادوا أن يستزلوه على وجه السِّياسة في زعمهم، ليوقعوا بينهم وبينه المؤالفة والموافقة ولو في بعض الأوقات، أو في بعضِ الأحوال، أو على بعض الوجوه، ويقنعوا منه بذلك، ليقفَ لهم بتلك الموافقة واهي بنائهم، فأبى -عليه الصَّلاة والسَّلام- إلا الثُّبوتَ على محض الحقِّ، والمحافظةَ على خالِصِ الصَّواب، وأنزل الله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُون * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ} إلى آخر السُّورة، فنصبوا له عند ذلك حربَ العداوة، ورموهُ بسهام القطيعة، وصار أهل السلم كلهم حربًا عليه، وعاد الوليُّ الحميمُ عليه كالعذابِ الأليم)[١].

المحور الثاني: العمل بالشرعِ والتمسكُ به هو عينُ تحقيق المصلحة.

وهذا مقررٌ إجمالًا من وجهين؛

الوجهُ الأول: أنّ اللهَ لم يشرع هذا الدينَ إلا للعمل به، وابتلاء العباد بالتكاليف، والمكلفُ عبدٌ مربوب، فكانت مصلحة الاستجابة للتكاليف، والتمسكُ بالشرع: هي أسُّ ورأس المصالح التي يريدها الله -سبحانه وتعالى- من المكلفين، وهي كذلك أس ورأسُ المصالح التي يحققها العبد، والنصوصُ المقررةُ لهذا الأصلِ كثيرةٌ جدًّا إذ هو أصلُ الإسلام ومبناه وغايةُ التعبد ومنتهاه، وقد قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} [الأحزاب: ٣٦]، قال ابن كثير -رحمه الله-: (فهذهِ الآية عامّةٌ في جميعِ الأمور، وذلكَ أنه إذا حكمَ اللهُ ورسولُه بشيءٍ فليس لأحد مخالفته، ولا اختيار لأحد

---

[١] الاعتصام، (ج١/ص١١-١٢).

ههنا، ولا رأي ولا قول كما قال تبارك وتعالى: {فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىَ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]، ولهذا شدَّدَ في خلافِ ذلك فقال: {وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا} [الأحزاب: ٣٦]، وقوله تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣])[١]، قال ابن القيم -رحمه الله-: (فأخبر سبحانه أنه ليس لمؤمنٍ أن يختارَ بعد قضائِه وقضاءِ رسوله، ومن تخيّرَ بعد ذلك؛ فقد ضلَّ ضلالًا مبينًا)[٢].

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [النور: ٦٣]، عن ابن عباسٍ -رضي الله عنهما- قال: (لا تقولوا خلافَ الكتابِ والسُّنةِ)[٣]، وبنحو الآية السابقة قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: ٢]؛ قال ابن القيم -رحمه الله-: (فإذا كان رفعُ أصواتهم فوق صوته سببًا لحبوطِ أعمالهم؛ فكيف تقديمُ آرائهم وعقولهم وأذواقهم وسياساتهم ومعارفهم على ما جاءَ به ورفعُها عليه؟ أوَ ليس هذا أولى أن يكون مُحبطًا لأعمالهم؟)[٤].

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: (خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا، ثُمَّ قَالَ: "هَذَا سَبِيلُ اللهِ"، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: "هَذِهِ سُبُلٌ عَلَى كُلِّ سَبِيلٍ مِنْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ"، ثُمَّ قرأ: {وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} [الأنعام: ١٥٣])[٥]، وقد أخرج ابن حبان -رحمه الله- هذا الحديثَ في صحيحه ثم ترجم له بقوله: (ذكرُ الإخبارِ عمَّا يجبُ على المرء من لزوم سنن المصطفى ﷺ، وحفظِهِ نفسَهُ عن كلِّ من يأباها من أهل البدع، وإن حسَّنوا ذلك في عينه وزيَّنوه)[٦].

---

[١] تفسير القرآن العظيم، (ج٦/ص١٩٦).
[٢] أعلام الموقعين، (ج١/ص١٠٥).
[٣] رواه الطبري في تفسيره، (ج٢١/ص٣٣٥).
[٤] أعلام الموقعين، (ج١/ص١٠٦).
[٥] رواه أحمد والنسائي والدارمي والحاكم وابن حبان (إسناده حسن، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي).
[٦] صحيح ابن حبان: التقاسيم والأنواع، (ج٤/ص٤٠١).

الوجهُ الثاني: أن الشريعة إنما جاءت لتحقيق مصالح العباد على خير وجهٍ وأكملِ صورة في الدُّنيا والآخرة، فحيثما كان الشرع كانت المصلحة، بل لا مصلحة بخلاف الشرع أبدًا؛ ولذا كان التمسك بالشرع هو عين الحرص على تحقيق المصلحة لمن أراد المصلحة.

وقد وصف اللهُ -سبحانه وتعالى- كتابَه بأنه هدى وشفاء ورحمة، وبشرى وضياء ونور وغير ذلك من الأوصاف الدالة على أن المصلحة -كل المصلحة- محصورة في اتباعه والتمسك بما فيه، قال تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ} [البقرة: ٢]، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [يونس: ٥٧]، وقال رسول الله ﷺ كما في حديث العرباض بن سارية -رضي الله عنه-: "فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ"[١]، قال ابن رجب -رحمه الله-: (قولُه: "عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ": كناية عن شدَّةِ التَّمسُّك بها، والنواجذ: الأضراس)[٢].

وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ يُقَرِّبُكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ"[٣].

فهذه النصوص السابقة كلُّها قاطعة الدلالة في أن هذه الشرعَةَ المطهرة لم تأتِ أصلًا إلا لتحقيقِ مصالحِ العباد في الدارين في أجلِّ صورها وأرفعها، كما تدل تلك النصوص على أن المصلحة كل المصلحة هي في اتباع الشرع والتمسك به.

قال العز بن عبد السلام: (الشريعةُ كلُّها مصالح، إمَّا تدرأ مفاسدَ أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}؛ فتأمَّل وصيَّته بعد ندائه، فلا تجد إلَّا خيرًا يحثُّك عليه أو شرًّا

---

[١] رواه المروزي في السنة بلفظه، وأحمد وأبو داود وابن ماجه والتِّرْمِذِيُّ دون "من بعدي"، وقال التِّرْمِذِيُّ: حديث حسن صحيح. وقال أبو نعيم: هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين.

[٢] جامع العلوم والحكم، (ج٢/ص١٢٦).

[٣] رواه البيهقي في الشعب (ج١٣/ص١٩)، والبغوي في شرح السنة (ج١٤/ص٣٠٣).

يزجرك عنه، أو جمعًا بين الحثِّ والزَّجر، وقد أبان في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثًّا على اجتناب المفاسد، وما في بعضِ الأحكام من المصالح حثًّا على إتيانِ المصالح)[1].

ومن ثمّ كان أهل الطائفة المنصورة لا يتألّونَ على اللهِ –سبحانه وتعالى– بحجة مصلحة الدعوة، ولا يقولونَ عليه بغير علم؛ وذلك أنهم يوقنون أن الذي أنزلَ هذه الدعوة وأمر بتبليغها والمحافظة عليها كما أنزلت هو الأعلم بالدعوة ومصلحتها، وأنه سبحانه لم يأمر بما أمر به إلا تحقيقًا لمصلحةِ الدعوة ومصلحة الداعين والمدعوين على السواء. فحيثما كان الشرع كانت المصلحة؛ وهذا من لوازم اليقين في صحة هذا الشرع وأحقيته، فالشريعة كلها مصالح من رب الأرباب لعباده، فيا خيبة من لم يقبل نصحه في الدُّنيا والآخرة.

فعن رافعِ بن خديج –رضي الله عنه–، قال: (كُنَّا نحاقِلُ الأرضَ على عهد رسول الله ﷺ، فنكريها بالثُّلث والرُّبع والطَّعام المسمَّى، فجاءَنا ذاتَ يومٍ رجلٌ من عمومتي فقال: نهانا رسولُ الله ﷺ عن أمرٍ كان لنا نافعًا، وطواعيةُ اللهِ ورسولهِ أنفع لنا، نهانا أن نُحاقل بالأرض فنكريها على الثُّلث والرُّبع والطَّعام المسمَّى وأمر ربَّ الأرض أن يزرعها أو يُزرِعَها، وكره كراءها وما سوى ذلك)[2]، فتأمل قول الصحابي –رضي الله عنه–: (عَنْ أَمْرٍ كَانَ لَنَا نَافِعًا، وَطَوَاعِيَةُ اللهِ وَرَسُولِهِ أَنْفَعُ لَنَا)، فالصحابي يصرح بأنهم كانوا يرون ما نهاهم عنه ﷺ نافعًا إلا أنهم رغم ذلك تركوه يقينًا منهم –رضي الله عنهم– أن المصلحة هي طاعته ﷺ والامتثال لما جاء به، مع القطع بأن أمره ﷺ هو عين المصلحة في الدُّنيا والآخرة، فما قال رسول الله ﷺ فهو حق، وإن أدى ذلك إلى تعطيلِ وإلغاءِ ما قد تستحسنه العقول وتستصلحه، قال الشاطبي –رحمه الله–: ([إنَّ] كتابَ الله وسنَّة نبيّه لم يتركا في سبيل الهداية لقائلٍ ما يقول، ولا أبقيا لغيرِهما مجالًا يُعتدّ فيه، وأنَّ الدِّينَ قد كمل، والسَّعادة الكبرى فيما وضع، والطِّلْبَة فيما شرع، وما سوى ذلك فضلالٌ وبهتانٌ، وإفكٌ وخسرانٌ، وأنَّ العاقِدَ عليهما بكلتا يديه مستمسك بالعروة الوثقى، ومحصلٌ لكلية الخير دنيا وأخرى، وما سواهما فأحلامٌ وخيالاتٌ وأوهامٌ)[3].

---

[1] قواعد الأحكام في مصالح الأنام، (ج١/ص١١).
[2] رواه مسلم.
[3] الاعتصام، (ج١/ص١٩).

فصل: تلاعب أهل الضلال بالدين بحجة مصلحة الدعوة

أما السعيُ لالتماس المصلحة بمخالفة الكتاب والسنة؛ فهو فعلُ أهل الشكِّ والارتياب الذين ابتلوا بضعفِ اليقين وهم لا يشعرون، وحالهم مع هذه الشريعة كما يقول ابن القيم -رحمه الله-: (جعلوا الشَّريعة قاصرةً لا تقوم بمصالح العباد، مُحتاجةً إلى غيرها، وسدُّوا على نفوسهم طرقًا صحيحةً من طرق معرفة الحقِّ)[1]، فكأنّ الذي أنزل هذه الشريعة لا يعلم أحوال الناس وما يصلح لهم وما لا يصلح، وأن العبد الظلومَ الجهول قد أدرك المصلحة التي فاتت المولى -سبحانه وتعالى- الذي يعلم السر وأخفى -تعالى الله عما يفتريه الظالمون أهل الجهل والهوى والارتياب-؛ ولذا كان التماس المصلحة بمخالفة الكتاب والسنة مجاوزة من العبد لقدره، وتطاولًا لما لا يصلح له مع كونه تعديًا على مقام الألوهية، ومنازعةً سمجةً للرب الجليل -سبحانه وتعالى-؛ إذ الله هو الذي خلق الخلق وهو الأعلم بمصالحهم وما يصلحهم في كل زمان ومكان، فهو سبحانه العليم بهم وبما يصلح لهم. قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤]، وكم من أمر تظنه العقول المصلحة وهو عينُ المفسدة! وكم من أمر تظنه العقول المفسدة ويكون هو عين المصلحة! والنسبةُ بين علم الله -سبحانه وتعالى- بالمصلحة وعلم العبد بها: هي النسبة بين الخالق والمخلوق، والعبدُ عبدٌ مربوب ليس له من الأمر شيء، وواجبُه هو الخضوعُ والطاعة والامتثال، لا الاعتراض والمعارضة مع تيقنه بأن ما شرعَهُ اللهُ له هو عين المصلحة؛ فقد قال تعالى: {إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} [يوسف: ٥٣]، وقال سبحانه {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ} [القصص: ٥٠]؛ قال ابن حزم -رحمه الله-: (في هذه الآي إبطالُ أن يتبع أحد ما استحسن بغير برهان من نصٍّ أو إجماع، ولا يكون أحدٌ أحوط على العباد المؤمنين من الله خالقِهم ورازقِهم وباعثِ الرسل إليهم، والاحتياط كله اتباع ما أمر الله به، والشناعة كلها مخالفته)[2].

وقال تعالى: {قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ} [البقرة: ١٤٠]، وقال كذلك: {وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦]، فهيهات للمصلحَة أن تكون في خلاف النص، بل خلافُ النص هو عينُ المفسدة،

---

[1] الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، (ج١/ص٣٠).

[2] الإحكام في أصول الأحكام، (ج٦/ص١٩).

وإنما المصلحة ما قرره النص من فعلٍ أو ترك، وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى– كذلك: (والعملُ إذا اشتملَ على مصلحةٍ ومفسدةٍ فإنَّ الشَّارع حكيمٌ؛ فإن غلبت مصلحتُه على مفسدتِه شَرعَهُ، وإن غلبت مفسدتُه على مصلحتِه لم يُشرِّعهُ؛ بل نهى عنه؛ كما قال تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} [البقرة: ٢١٦] (...)، إلى أن قال: (وهكذا ما يراه النَّاس من الأعمال مقرّبًا إلى الله ولم يُشرِّعه الله ورسوله؛ فإنَّهُ لا بُدَّ أن يكون ضررُه أعظمَ من نفعه، وإلَّا فلو كان نفعُه أعظم غالبًا على ضرره لم يهمله الشَّارعُ؛ فإنَّهُ ﷺ حكيمٌ لا يهمل مصالحَ الدِّين، ولا يفوِّت المؤمنين ما يقرِّبهم إلى ربِّ العالمين)[١].

ولذا فإن مجرّد تصوُّر هذا القول بتقديم المصلحة على النص كافٍ في إبطاله؛ إذ يفتحُ بابَ المروقِ من الدين والانسلاخ من أحكام الشرع على مصراعيه، هذا فضلًا عن فتح باب الإحداث والابتداع والتحكم بالشرع بنجاسة الآراء وزبالة الأفكار والأهواء؛ إذ لا يعجزُ كلُّ مبطلٍ عن القول بأنه ينشد المصلحة من باطله الذي جاء به وأحدثه، وقدّمه على النص، وقد قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لاَّ يَشْعُرُونَ} [البقرة: ١١–١٢]، قال الشيخ سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب –رحمهم الله جميعًا–: (في الآية دليلٌ على وجوبِ اطِّراحِ الرأيِ مع السُّنةِ، وإن ادَّعى صاحبُه أنه مُصلِحٌ، وأنَّ دعوى الإصلاحِ ليسَ بعذرٍ في تركِ ما أنزلَ اللهُ)[٢].

وتأمّل قوله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآؤُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا} [النساء: ٦٠–٦٢]، فإرادتُهم الإحسان والتوفيق لم تُغنِ عنهم فيما وقعوا فيه من الكفر؛ بل كانت هي من

[١] مجموع الفتاوى، (ج١١/ص٦٢٣–٦٢٤).
[٢] تيسير العزيز الحميد، (ص٤٩١).

أسبابِ ذلك، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (أخبر تعالى عن هؤلاء بأنَّهم إذا قيل لهم: تعالوا إلى ما أنزلَ اللهُ وإلى الرَّسول أعرضوا عن ذلك، ولم يستجيبوا للدَّاعي، ورضُوا بحكم غيره، ثمَّ توعَّدهم بأنَّهم إذا أصابتهم مصيبةٌ في عقولهم وأديانهم وبصائرهم وأبدانهم وأموالهم، بسبب إعراضهم عمَّا جاء به الرَّسول وتحكيمِ غيره والتَّحاكُمِ إليه، كما قال تعالى: {فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ} [المائدة: ٤٩]، اعتذروا بأنَّهم إنَّما قصدوا الإحسان والتَّوفيق، أي بفعل ما يُرضِي الفريقين ويوفِّق بينهما، كما يفعله من يَرُوم التَّوفيقَ بين ما جاء به الرَّسول ﷺ وبين ما خالفه، ويزعُم بذلك أنَّه مُحسِن قاصِد للإصلاح والتَّوفيق، والإيمانُ إنَّما يقتضي إلقاءَ الحرب بين ما جاء به الرَّسول وبين كلِّ ما خالفه من طريقةٍ وحقيقةٍ وعقيدةٍ وسياسةٍ ورأيٍ. فمَحْضُ الإيمانِ في هذا الحرب، لا في التَّوفيق؛ وبالله التَّوفيق)[١]، وما أعجبَ قول الإمام أبي عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي -رحمه الله تعالى- قال: (الواجبُ على جميع أهل العلم والإسلام: أن يلزموا القصد للاتباع، وأن يجعلوا الأصول التي نزل بها القرآن وأتت بها السنن من الرسول ﷺ غاياتٍ للعقول، ولا يجعلوا العقول غاياتٍ للأصول)[٢]!

فصل: قاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد

وهنا لا بدّ من التنبيهِ على أمرٍ هو غاية في الأهمية؛ وهو أنّ الموازنةَ عند إنزال الأحكام الشرعية على أرضِ الواقع مما جاء به الشرع وحث عليه وندب إليه، وهذا من الفقه الواجب حال تعاطي الأحكام الشرعية والتعامل معها، إلا أنّ أهل الطائفة المنصورة عندما يتقيدون بقاعدة الموازنة هذه؛ فإنهم يجعلون الشرع هو المرجعَ في تقدير المصالِح والمفاسد، فالمصلحةُ عندهم هي ما ثبت كونُه مصلحةً في شرع الله ودينه، والمفسدةُ هي ما ثبتَ كونه مفسدة في شرع الله ودينه لا غير، ومن ثم فلا يتخذ أهل الطائفة المنصورة من شعار: (فقه الموازنات) تكأة لهم للإحداث والابتداعِ، والقولِ على الله بغير علم، والركونِ إلى الذين ظلموا، وتحليلِ الحرام وتحريم الحلال، والتلاعبِ بالأحكام الشرعية فِعلَ الكثيرين ممن قد جعلوا المرجع في تقدير المصالح والمفاسد إلى عقولهم وأهوائهم، فأضلوا

---

[١] أعلام الموقعين، (ج١/ص١٠٤).

[٢] رواها أبو إسماعيل الهروي في ذم الكلام وأهله (ج٤/ ص٣٤٨).

كثيرًا وضلوا عن سواء السبيل! حيث استحسنوا ما استقبحه الشرع، واستقبحوا ما استحسنه الشرع؛ ثم جعلوا القول بالموازنات حصنًا يلوذونَ بهِ وملجأ يلجؤون إليه، ووسيلة لنيل أغراضهم، ودرعًا يدرؤونَ به عن أنفسهم، وسيفًا يُشهرونَه في وجه مخالفهم.

وهذا ما دل عليه قوله تعالى: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنيا وَاللَّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: ٦٧]، جاء في سبب نزول هذه الآيات أنهم لما أسروا الأسارى يوم بدر؛ قال رسول الله ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: "مَا تَرَوْنَ فِي هذِهِ الْأُسَارَى؟"، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ هُمْ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ، أَرَى أَنْ تَأْخُذ مِنْهُمْ فِدْيَةً فَتَكُونُ لَنَا قُوَّةً عَلَى الْكُفَّارِ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُمْ لِلْإِسْلَامِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟"، قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا أَرَى الَّذِي رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنَا فَنَضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ؛ فَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنِّي مِنْ فُلَانٍ فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ -نسيب لعمر-؛ فَإِنَّ هؤُلَاءِ أَئِمَّةُ الْكُفْرِ وَصَنَادِيدُهَا، قال عمر -رضي الله عنه-: فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ جِئْتُ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ؛ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ وَإِلا تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هذِهِ الشَّجَرَةِ"، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عز وجل: {مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ} [الأنفال: ٦٧][١]، فدلت هذه الآياتُ وما ثبتَ في سببِ نُزولها على أن تقدير المصلحة إنما مرده لما يشرعه الله ويرتضيه لخلقه، خلافًا لما قد تستحسنه العقول، وإن كانت هذه العقول هي عقول كبارِ رجالات هذا الدين علمًا وعملًا، فكيف بمن دونهم ممن لا نسبة بينه وبينهم علمًا أو عملًا؟

ولا بدّ هنا من الإشارةِ إلى مسلكٍ يتخذ منه الكثيرون تكأة لتبرير وتمرير ما يهوون، وهو مسلكُ الاستدلال بالقواعد العامة، والجوابُ عليه: أن الذي قرره أهلُ العلم أن إعمال القواعدِ العامة مقيدٌ بالإجماع بعدم مخالفة النصوص، فالاجتهاد وفقًا لتلك القواعد اجتهادٌ باطل بيقين متى خالف ما

[١] رواه مسلم والتِّرْمِذِيُّ والبيهقي.

دل عليه النص، بل هو على التحقيق اجتهاد لم يصادف محلًا فلا محل له؛ ولذا قرر أهل العلم في قواعدهم المتفق عليها أنه لا مساغ للاجتهاد في مورد النص.

ومن صُوَرِ الخلط في قاعدةِ الموازنة والترجيح بين المصلحة والمفسدة وفقًا لمعيارِ الشّرع: أنّ الكثيرين ربما لاموا غيرهم على فعل الأحسن والأكمل، وحمدوه على فعل الأقل؛ لضعف نظرهم أو لإيثارهم ما يظنونه السلامة والورع لضعف فقههم، وإلا فالورعُ ليس في ترك المشتَبِهِ بالمحرم أو المكروه فقط، بل من الورع فعلُ المشتَبِه بالمستحب أو بالواجب أيضًا، ومن ذلك ما فعله غلامُ أصحابِ الأخدود؛ حيثُ بذل الغلام نفسَه مؤثرًا القتلَ على الحياة لإظهار الدينِ ونشرِ الدعوة؛ فكان اختياره رضي الله عنه للقتل وحرصه عليه هو عين مصلحَةِ الدعوة.

المحور الثالث: المصلحة كمصدرٍ من مصادر الأحكام الشرعية.

اتفق أهلُ العلمِ قاطبةً على أنَّ المصلحة ليست مصدرًا أو دليلًا من أدلة الأحكام الشرعية، وأن تعليل الأحكام بمجرد المصلحة ضلالٌ مبين وقولٌ على الله بغير علم، واتباع للهوى، قد يفضي بصاحبه للكفر، قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} [المائدة: ٣]، وقال أيضًا: {مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ} [الأنعام: ٣٨]، وقالَ جلَّ وعلا: {اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء} [الأعراف: ٣].

إلا أنّ هناك دائرة ضيقة جدًّا اختلف أهلُ العلم في جوازِ تعميل الأحكام بالمصلحة فيها، وهي دائرة (الأوصاف) التي لم يشهد لها الشرع بالاعتبار أو الإلغاء؛ وهي ما اصطلح عليه بالمصالح المرسلة أو الاستصلاح، قال شيخُ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله تعالى–: (لا يجوز إثبات الأحكامِ بمجرَّد الاستحسان والاستصلاح؛ فإن ذلك شرعٌ للدين بالرأي وذلك حرام، لقوله تعالى: {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ} [الشورى: ٢١])[١]، وقال الشنقيطيُّ –رحمه الله–: قرَّر أهلُ المذاهب أن المصلحة المرسلة ليست حجة في دين الله، كما أوضحه القرافي في التنقيح[٢].

---

[١] الصارم المسلول، (ص٣٣١).

[٢] ذكره الزرقاوي مختصرًا، مذكرة أصول الفقه، (ص٢٦٤).

وقولُ البعض بأن الشريعة راعت مصالح العباد، ولكنها لم تنص على جميع جزئيات المصالح إلى يوم الدين وإنما نصت على بعضها: هو خلطٌ بينَ الوقائع والمصالح؛ فالوقائعُ أو النوازل أو الحوادث هي الجزئيات المستجدة إلى يوم الدين، والتي نسلم بأن الشريعة لم تأتِ بالنص على كل مفردة منها، أما المصالح التي تعلل الأحكام بناءً عليها: فمن شأنها أن تكون أوصافًا عامة كلية تنتظم تحتها ما شاء الله من مفردات أو جزئيات الوقائع أو النوازلِ أو الحوادِثِ، ما وقع منها أو ما يستجد إلى يوم الدين، وما من مصلحةٍ حقيقية هنا إلا وقد شهد لها الشرع بالاعتبار، فالحق الذي يجبُ اعتقاده هنا: أنه لا وجود لمثل هذا النوع من المصالح التي لم يشهد لها الشرع، وإلا لزم من ذلك اتهام الشرع بالنقصان، وعدم الكمال والحاجة إلى غيره، ولا يخلو الأمر هنا من أحد احتمالين؛

الأول: أن تكون هذه المصلحة التي ذهب العبد إلى تقريرها مصلحة حقيقية فعلًا شهد الشرع لها بالاعتبار وقررها، غير أن العبد لعدم تمام وكمال خبرته بالشرع وطرق الدلالة والاستنباط خُيِّل إليه أن الشرع لم يعتبرها، في حين أنه قد اعتبرها وقرّرها.

الثاني: أن تكون هذه المصلحة التي ذهب العبد إلى تقريرها مصلحةً موهومة، وليست مصلحة شرعية حقيقية وإن استحسنتها العقول واستصلحتها.

المحور الرابع: تحقيقُ التوحيد أعظم المصالح بإطلاق.

إن تحقيق التوحيد غايةُ الغايات التي خلقَ اللهُ الخلق وأنشأهم من العدم من أجلها، وهو من ثم أعظم المصالح التي يحبها الله ويرضاها من خلقه؛ كيف؟ وهو سبحانه وتعالى لم يخلقهم إلا لتحقيقه والقيام به؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]، قال ابن كثير -رحمه الله-: (ومعنى الآية: أنَّه تباركَ وتعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتمَّ الجزاء، ومن عصاه عذَّبه أشدَّ العذاب، وأخبر أنَّه غير محتاجٍ إليهم؛ بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم ورازقهم)[١]، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا

---

[١] تفسير القرآن العظيم، (ج٧/ص٤٢٥).

يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣١]، وقال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦].

ومما يبيّن أن تحقيقَ التوحيدِ أعظمُ المصالح التي بُعثَ الأنبياء والمرسلون لتحقيقها والحفاظِ عليها: أنّ الله –سبحانه وتعالى– قد بيّن أن جميع الأعمال غير المبنية على التوحيد: محبطة باطلة فاسدة كاسدة لا وجود لها، فهي كعدمها بل أسوأ، قال تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} [الزمر: ٦٥]، كما بين تعالى أن هذه الأعمال غير المبنية على التوحيد هي كالسراب؛ الذي ينخدع به الرائي فيحسبه ماءً، فإذا جد في طلبه وجد بين يديه سرابًا تتقطع معه النفس حسرة وندمًا، قال تعالى: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاء حَتَّى إِذَا جَاءهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ} [النور: ٣٩]، وعن عائشةَ –رضي الله عنها– قَالَتْ: (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟)، قَالَ: "لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ"[١]، والمراد أنّه لم يكن موحدًا، ولذا لم ينفعه ما جاء به من عملٍ صالح، ولو كثر وعظم، وعن العباس بن عبد المطلب –رضي الله عنه– أنه قال: (يَا رَسُولَ اللهِ؛ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ؟)، قَالَ: "نَعَمْ؛ وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ"[٢]، ورغم أن نصرةَ النبي ﷺ والغضب له والذود عنه من أعظم الأعمال الصالحة وأجلّها عند الله؛ إلا أنها لما لم تكن مبنية هنا على التوحيد لم تنفع صاحبها شيئًا، ولم تصرف عنه دخول النار والخلود فيها.

فتحقيق التوحيد وإقامتُه عند أهل الطائفة المنصورة أصلحُ المصالح وأعلاها، والتفريطُ فيه وتضييعُه بالتلبس بضده وهو الشرك أفسد المفاسد وأشدها وأعظمها؛ ولذا كانت مصلحة تحقيق التوحيد خارجةً تمامًا عن نطاقِ قاعدة الموازنات التي تكلمنا عليها؛ إذ ليس هناك على الإطلاق مصلحة أعظم من مصلحة تحقيق التوحيد لتُقدَّمَ عليه، بل ليس هناك مصلحة تدانيه أو تقترب منه فضلًا

---

[١] رواه مسلم.
[٢] رواه مسلم.

عن أن تكون هناك مصلحة تجاوزه وتتقدم عليه، كما أنّه ليس هناك مفسدة أعظم وأشد من مفسدة تضييع التوحيد، والتفريط فيه بالتلبس بضده من الشرك؛ فتحقيقُ التوحيد أعظم مصالح الدعوة بإطلاق، كما أن تضييعه والتفريط فيه أفسد المفاسد بإطلاق.

ما لم يك التوحيدُ أصلًا راسخًا *** للعابدين فكل فرعٍ فاسدُ
أرأيت بنيانًا تطاول أهله *** في رفعه والأسُّ هارٍ هامِدُ[1]؟

وصحَّ أنّ قريشًا أرسلَتْ عتبة بن ربيعة، وهو من ساداتها، إلى رسولِ الله ﷺ، فأتاهُ فقال له: يا ابن أخي؛ إنَّك منَّا حيث علمت من السِّطَةِ في العشيرة، والمكان في النَّسب، وإنَّك قد أتيت قومَكَ بأمرٍ عظيمٍ فرَّقت به جماعتهم، وسفَّهت به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفَّرتَ به من مضى من آبائهم، فاسمع منِّي أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلَّك تقبل منها بعضًا، فقال له رسول الله ﷺ: "قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ"، قال: يا ابن أخي؛ إن كنت إنَّما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا: جمعنا لك من أموالنا حتَّى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد به شرفًا: سوَّدناك علينا، حتَّى لا نقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به مُلكًا: ملَّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رئيًّا تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك: طلبنا لك الطِّبَّ، وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه؛ فإنَّه ربَّما غلب التَّابع على الرَّجل حتَّى يداوى منه، حتَّى إذا فرغ عتبة، ورسول الله ﷺ يستمع منه؛ قال: "أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟"، قال: نعم، قال: "فَاسْمَعْ مِنِّي"، قال: أفعل، قال: {بسم الله الرحمن الرحيم * حم * تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ} [فصلت: ١-٤]، ثمَّ مضى رسول الله ﷺ فيها وهو يقرؤها عليه، فلمَّا سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمدًا عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السَّجدة منها فسجد، ثمَّ قال: "قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فَأَنْتَ وَذَاكَ"[2]، ولا شكّ أن عشر معشار هذه العروض، فضلًا عن ذات العروض نفسها، هي مما يسيل له لعابُ الكثيرين اليوم من الحريصين على مصلحةِ الدعوة، لا سيما وقد يقال: إن النبي ﷺ كان بإمكانه بعد أن يستجيب

[1] لا يعلم قائلها.
[2] رواه ابن إسحاق، سيرة ابن هشام (ج١/ص٢٩٣-٢٩٤)، (إسناده حسن مرسل)، ورواه ابن أبي شيبة والبيهقي في الدلائل (إسناده حسن).

له سادات قريش وزعماؤها، وبعد أن يُذعنوا له بالسيادة والُملك وبعد أن يُسلموا له زمام وقياد أمرهم، وبعد أن يتأكدّ هو ﷺ من استحكام الأمر في يديه: أن يستخدم هذا كله ويوظفه لتحقيق مصلحة الدعوة، وهذا بلا شك أسهل وأهون من البداية بالدعوة من حيث لا شيء، غير أن هذا هو فهم من لم يفهم حقيقة الدعوة، رغم حرصه الشديد على مصلحتها؛ فما كان للدعوة أن تسير ولو لحظة واحدة تحت شعار آخر غير (لا إله إلا الله) لفظًا ومعنى، فتُنْفَى العبادة في أي صورة من صورها عن كلِّ المعبوداتِ الباطلة التي تُنازعُ اللهَ سلطانه، ويُفرَدُ اللهُ وحدَهُ بالعبادة في كل صورها ومعانيها الظاهرة والباطنة، مع البراءة من الشرك وأهله؛ ولذا كان رده ﷺ قويًّا حاسمًا قاطعًا كلَّ أمل المشركين في صرف الدعوة وحرفها عن جوهرها.

وتأمل بعين البصيرة وعين البصر حديثَ أمِّ سلمة –رضي الله عنها– حين قالت:

(لمَّا نزلنا أرض الحبشة؛ جاورنا بها خير جارٍ النَّجَاشِيَّ، أمِنَّا على ديننا، وعبدنا اللهَ، لا نُؤذى، ولا نسمعُ شيئًا نكرهه، فلمَّا بلغ ذلك قُريشًا: ائتمروا أن يبعثوا إلى النَّجَاشِيِّ فينا رجلين جلدين، وأن يُهدوا للنَّجَاشِيِّ هدايا ممَّا يستطرف من متاع مكَّة، وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأَدَمُ، فجمعوا له أَدَمًا كثيرًا، ولم يتركوا من بطارقته بطريقًا إلَّا أهدوا له هديَّةً، ثمَّ بعثُوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزوميّ وعمرو بن العاص بن وائل السَّهميّ، وأمروهما أمرهم، وقالوا لهما: ادفعوا إلى كُلِّ بطريقٍ هديَّتَه قبل أن تُكلِّموا النَّجَاشِيَّ فيهم، ثمَّ قدِّموا للنَّجَاشِيِّ هداياه، ثمَّ سلوه أن يسلمهم إليكم قبل أن يكلِّمهم، قالت: فخرجا فقدما على النجاشي ونحن عنده بخير دار، وعند خيرِ جار، فلم يبق من بطارقته بطريق إلا دفعا إليه هديَّته قبل أن يكلِّما النَّجَاشِيَّ، ثمَّ قالا لكلِّ بطريقٍ منهم: إنَّه قد صبا إلى بلد الملك منَّا غلمانٌ سفهاء، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم، وجاؤوا بدينٍ مبتدعٍ لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثَنَا إلى الملك فيهم أشراف قومِهم لنردَّهم إليهم، فإذا كلَّمنا الملكَ فيهم، فَتُشِيرُوا عليه بأن يُسلّمهم إلينا ولا يكلِّمهم؛ فإنَّ قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم، ثمَّ إنَّهما قرَّبا هداياهم إلى النَّجَاشِيِّ فقبلها منهما، ثم كلَّماه، فقالا له: أيُّها الملك؛ إنَّهُ قد صبا إلى بلدك منَّا غلمانٌ سفهاء، فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا في دينك، وجاؤوا بدينٍ مبتدعٍ لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثَنَا إليك فيهم أشرافُ قومِهم؛ من آبائهم

وأعمامهم وعشائرهم؛ لتردَّهم إليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلمُ بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه، قالت: ولم يكن شيءٌ أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النَّجَاشِيُّ كلامهم، فقالت بطارقته حوله: صدقوا أيُّها الملك، قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم؛ فأسلمهم إليهما، فليردَّاهم إلى بلادهم وقومهم، قالت: فغضب النَّجَاشِيُّ، ثمَّ قال: لا هَيْمُ الله لا أسلمهم إليهما، ولا أُكادُ قومًا جاوروني، ونزلوا بلادي، واختاروني على من سواي؛ حتَّى أدعوهم فأسألهم ما يقول هذان في أمرهم، فإن كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهما ورددتهم إلى قومهم، وإن كانوا على غير ذلك منعتُهم منهما، وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني، قالت: ثمَّ أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم، فلمَّا جاءهم رسوله اجتمعوا، ثمَّ قال بعضهم لبعضٍ: ما تقولون للرَّجل إذا جئتموه؟ قالوا: نقول والله ما علَّمنا وما أمرنا به نبيُّنا ﷺ، كائنٌ في ذلك ما هو كائنٌ، فلمَّا جاؤوه، وقد دعا النَّجَاشِيُّ أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله، سألهم فقال: ما هذا الدِّين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحدٍ من هذه الأمم؟ قالت: فكان الذي كلَّمه جعفر بن أبي طالب، فقال له: أيُّها الملك؛ كُنَّا قومًا أهلَ جاهليةٍ نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيءُ الجوار، يأكل القويُّ منا الضَّعيف، فكنَّا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولًا منَّا نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه، "فَدَعَانَا إِلَى اللهِ لِنُوَحِّدَهُ، وَنَعْبُدَهُ، وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الحِجَارَةِ وَالْأَوْثَانِ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الحَدِيثِ، وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَحُسْنِ الجِوَارِ، وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ، وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ، وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَالصِّيَامِ"، قال: فعدَّد عليه أمور الإسلام، فصدَّقناه وآمنَّا به واتَّبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئًا، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومنا، فعذَّبونا وفتنونا عن ديننا ليردُّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحلَّ ما كنَّا نستحلُّ من الخبائث، فلمَّا قهرونا وظلمونا، وشقُّوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا؛ خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سِواك، ورغبنا في جِوارك، ورجونا أن لا نُظلمَ عندك أيُّها الملك، قالت: فقال له النَّجَاشِيُّ: هل معك ممَّا جاء به عن الله من شيءٍ؟ قالت: فقال له جعفرٌ: نعم، فقال له النَّجَاشِيُّ: فاقرأه عليَّ، فقرأ عليه صدرًا من

﴿كهيعص﴾، قالت: فبكى والله النَّجَاشِيُّ حتَّى أخضل لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثمَّ قال النَّجَاشِيُّ: إنَّ هذا والله والَّذي جاء به موسى لَيَخرُجُ من مشكاةٍ واحدةٍ، انطلقا فوالله لا أسلمهم إليكم أبدًا، ولا أُكَادُ، قالت أمُّ سلمة: فلمَّا خرجا من عنده، قال عمرو بن العاص: والله لأنبئنَّهم غدًا عيبهم عندهم، ثمَّ أستأصل به خضراءهم، قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة -وكان أتقى الرجلين فينا-: لا تفعل فإنَّ لهم أرحامًا، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنَّه أنَّهم يزعمون أنَّ عيسى ابن مريم عبدٌ، قالت: ثمَّ غدا عليه من الغد، فقال له: أيُّها الملك؛ إنَّهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا، فأرسل إليهم فاسألهم عمَّا يقولون فيه، قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثله، فاجتمع القوم، فقال بعضهم لبعضٍ: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال الله، وما جاء به نَبِيُّنَا كائنًا في ذلك ما هو كائنٌ، فلمَّا دخلوا عليه، قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الَّذي جاء به نَبِيُّنَا: هو عبد الله ورسوله، وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النَّجَاشِيُّ يده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثمَّ قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا؛ فأنتم سُيُومٌ -أي: آمنون- بأرضي، من سبَّكُم غُرِّمَ ثمَّ من سبَّكُم غُرِّمَ، فما أُحِبُّ أنَّ لي دبرًا -أي: جبلًا- ذهبًا، وأنِّي آذيت رجلًا منكم، ردُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله منِّي الرِّشوة حين ردَّ عليَّ ملكي، فآخذ الرِّشوة فيه، وما أطاع النَّاسَ فيَّ فأطيعُهم فيه، قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دارٍ مع خير جارٍ)[١]. فهذا الحديث حديثٌ عظيم القدر كبير الشأن مليء بالفوائد الجليلة، والتي من أبينها: أنّ قضية التوحيد لدى الصحابة الكرام وإن اشتدّ ضعفهم وعظم تكالب الجاهلية عليهم وقهرها لهم: لم تكن يومًا ما موضع مساومة أو موازنة بغيرها من جلب مصلحة وإن عظمت، أو دفع مفسدة وإن اشتدت.

ومما يدل أيضًا على أن مصلحة تحقيق التوحيد لا توزن بغيرها من المصالح من جلب نفع أو دفع ضر؛ ما جاء في قصة إسلام ثقيف، وقد كانوا سألوا رسول الله ﷺ أن يدع لهم الطاغية -وهي

[١] رواه أحمد، (إسناده حسن)، ورواه ابن إسحاق، في السيرة النبوية لابن هشام: (ج١/ ص٣٣٤ - ٣٣٨).

اللات- لا يهدمها ثلاث سنين، فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم، فما برحوا يسألونه سنة ويأبى عليهم، حتى سألوا شهرًا واحدًا بعد مقدمهم، فأبى عليهم أن يدعها شيئًا مسمًّى، وإنما يريدون بذلك فيما يُظهرون أن يسْلَموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهوا أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام؛ فأبى رسول الله ﷺ إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها[١]، فلم يعتبر النبي ﷺ تلك المصالح التي أشار بها وفد ثقيف ليترك لهم بها طاغيتهم اللات؛ من خوفهم من سفهاء قومهم، وإرادتهم تأليف قومهم، وعدم ترويعهم حتى يدخلوا الإسلام، هذا بالإضافة لكونهم حدثاء عهد بإسلام؛ فيحتاجون إلى التأليف حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم فلا يرتدوا.

ولم يستثن الله تعالى من ذلك غير حالة الإكراه الملجئ؛ فهي الحالة الوحيدة التي رخَّص فيها الشارع في إظهار الشرك والكفر عند تحقق شروطها، وحتى في حالة الإكراه الملجئ فإن الإجماعَ منعقدٌ بغير تردد على أن الأخذ بالعزيمة هنا أفضل وأحب إلى الله، وكل هذا تعظيمًا لهذا الأمر، وتنويهًا بخصوصيته؛ قال ابن بطال -رحمه الله-: (أجمع العلماء أن من أكره على الكفر فاختار القتل: أنه أعظم أجرًا عند الله ممن اختار الرخصة)[٢].

ونختم الكلامَ في بيان أن تحقيق التوحيد نفيًا وإثباتًا أعظمُ المصالحِ بإطلاق، وأن دعوى تحقيق مصلحة الدعوة بالاستهانة بأمر التوحيد والتلبس بضده من الشرك هو عينُ الفسادِ في الأرض، بل هو أساس كل شر وفساد، بكلامٍ نفيس لشيخ الإسلام ابن تيمية في قوله تعالى: {وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ} [الأعراف: ٥٦]، قال -رحمه الله-: (قالَ أكثرُ المفسِّرين: لا تُفسدوا فيها بالمعاصي، والدَّاعي إلى غيرِ طاعة الله بعد إصلاح الله إيَّاها ببعثِ الرُّسل وبيان الشَّريعة والدُّعاء إلى طاعة الله مفسدٌ؛ فإنَّ عبادة غيرِ الله والدَّعوةَ إلى غيرِهِ والشِّركَ به هو أعظم الفساد في الأرض، بل فساد الأرض في الحقيقة إنَّما هو الشِّرك بالله ومخالفةُ أمره؛ قال الله تعالى: {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} [الروم:

[١] انظر: مغازي الواقدي، (ج٣/ص٩٦٧-٩٦٨)، والبداية والنهاية، ابن كثير، (ج٧/ص٢٠٦).
[٢] شرح صحيح البخاري، (ج٨/ص٢٩٥).

٤١] [...]، ومن تدبَّرَ أحوالَ العالم وجد كلَّ صلاحٍ في الأرض: فسببه توحيد الله وعبادتُه، وطاعةُ رسوله ﷺ، وكلُّ شرٍّ في العالم وفتنةٍ وبلاءٍ وقحطٍ وتسليط عدوٍّ وغير ذلك: فسببُه مخالفةُ الرسولِ ﷺ والدَّعوة إلى غير الله)[١].

نسألُ الله -سُبحانه وتعالى- أن يجعل فيما سقناه من نور الوحيين، وأقوالِ أهل العلم حياةً لنفوسِ أولئكَ الذين مادَتْ بهم الأهواء، وماجت بهم الفتن؛ فأفرزوا للأمة مناهجَ دخيلةً عليها، وسلكوا بها سبلًا نأت بها عن طريق العبودية وجادةِ التوحيد بحجة مصلحة الدعوة تارة، وضغط الواقع أخرى؛ فدعوا إلى المشاركة في جريمة كتابة الدستور الشركي، وجوّزوا الانتساب إلى الجيش والحرس الوثني؛ لتُضجَعَ دعوة التوحيدِ والحق وتنحرَ بسلاح الشرك والباطل، لكن هيهات هيهات لأمةٍ بزغ فجرُ توحيدها، وسطعَ ضياءُ مجدِها، وأشرقَ شمسُ عزِّها: أن يُثنِيَها عن السير في طريقها أمثالُ هذه المواقف، أو يصدها عن المضيِّ في دربها أمثالُ هذه الدعوات.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}،

والحمد لله رب العالمين.

---

[١] مجموع الفتاوى، (ج١٥/ص٢٤-٢٥).

المُحاضَرَةُ الثالِثَة: القَابِضُونَ عَلَى الجَمْرِ

٢٧ شعبان ١٤٢٦ هـ || ٣٠ سبتمبر ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فمِمَّا لا شك فيه أن الواقع هو الوعاء الذي تتجمع فيه الفتن والمحن المتعددة (من شبهات وشهوات وابتلاءات)، على اختلاف صنوفها وأشكالها، في مواجهة أهل الطائفة المنصورة؛ لفتنتهم عن القيام بأمر الله، علمًا وعملًا، دعوة وجهادًا.

ولا شك أن هذه الفتن والمحن لا تُدفع بغير الصبر واليقين، ومن المُسَلَّمِ به أن للواقع الجاهلي القائم على غير قاعدة العبودية لله وحده: ضغطًا شديدًا على كاهل كل من يريد القيام بأمر الله؛ حيث المسافة الشاسعة والهوة الواسعة بين أمر الله والواقع، وهذا مع الحرب الضروس التي تُشَنّ لكل مَن نصّب نفسه لهذه المهمة العظيمة من قِبل أركان هذه الجاهلية والعناصر المتعددة المشاركة فيها بوجهٍ أو بآخر؛ وهم:

أولًا: طواغيت الأرض، أهل الحكم، وما في أيديهم من إمكانات وقدرات فائقة للفتنة رغبًا ورهبًا.

ثانيًا: علماء السوء، الذين اشتروا الحياة الدُّنيا بالآخرة، ورضوا بالحظ الخسيس، ولقيمات الذل والعار التي يلقيها إليهم الطاغوت من فتات موائده لإضلال العباد وفتنتهم عن أمر الله.

وَهَلْ أَفْسَدَ[1] الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ *** وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا[2]؟!

---

[1] اختلفت الروايات: بدل، أهلك، أفسد.

[2] بيت لعبد الله بن المبارك، انظر: حلية الأولياء، أبو نعيم (ج٨/ص٢٧٩)، وتاريخ دمشق، ابن عساكر، (ج٣٢/ص٤٦٧).

ثالثًا: أهل الأهواء وطوائف البدعة، على اختلاف بدعهم وتعدد أهوائهم؛ وذلك أن الاتباع الصادق يكشف زيف ما هم عليه، ويفضح ضلالهم وإضلالهم، ومن ثم يعلنونها حربًا على كل من أراد رد الناس إلى الأمر الأول، وهم في هذا السبيل لا يستحيون من التحالف مع الطواغيت وعلماء السوء، لتكوين جبهة واحدة مشتركة، لصد الناس وفتنتهم عن دينهم.

رابعًا: العوام من الهمج الرعاع، أتباع كل ناعق، ووقود كل فتنة، ممن لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يركنوا إلى ركن وثيق، فهمّهم الأكبر إشباع غرائزهم وقضاء شهواتهم ونيل لذائذهم، لا يعرفون للحياة معنى غير هذا، وبئست الحياة! ومن الطبيعي أن يكون هؤلاء في خندق الطاغوت وحلفه، وأن يكونوا هم قطيعه الذي يقوده حيث شاء، وعصاته التي يبطش بها بكل من أراد القيام بأمر الله والثبات عليه، وهؤلاء أصناف شتى جمعهم حب الدُّنيا، وألّف بينهم التعلق بزينتها وشهواتها؛ من جاه ومنصب ونساء ومطعم ومشرب وغيرها من حظوظها الفانية، ورحم الله الإمام ابن بطة حيث قال: (والنَّاس في زماننا هذا أسرابٌ كالطير، يتبع بعضهم بعضًا، لو ظهر لهم من يدَّعي النُّبوَّة مع علمهم بأنَّ رسول الله ﷺ خاتمُ الأنبياء، أو من يدَّعي الرُّبوبيَّة: لوجد على ذلك أتباعًا وأشياعًا)[١]! وإذا كان كلامه -رحمه الله- عن زمانه، فهل يستغرب على أهل عصرنا -إلا من رحم الله- الوقوف في صف الباطل وأشياعه لمحاربة الحق وأتباعه؟!

فصل: أشد الناس فتنة[٢]

ويساهم في هذا الواقع ويكرّسه فتنة هي أشد على الكثيرين مما سبق؛ وهي ممن عرف الحق أو قام بشيء منه، ولكنه عجز عن القيام به كاملًا، وعلى الوجه الذي يحبه الله ويرضاه، لسببٍ أو لآخر؛ فراح ينشر الشبهات والأراجيف، لتثبيط كل من أراد القيام بأمر الله على الوجه الذي يرضيه سبحانه، ليسلم له حاله، وتبقى له مكتسباته، وإنما كانت هذه الفتنة أشد وضررها أعظم، لما يمثله التلبيس والتدليس من خصوصية في إخفاء الحق وصد الناس عنه، ورحم الله شيخ الإسلام ابن تيمية

---

[١] الإبانة الكبرى، (ج١/ص٢٧٢).

[٢] تعليق إتقان: العناوين الفرعية هي زيادة مقترحة لفهم سياق الكلام.

حيث قال: (ولا يُنفقُ الباطل في الوجود إلا بشوب من الحقِّ)[١]، وبهذا الترتيب العجيب والتمازج الشديد؛ أضحى الأمر كما قال القائل:

وَلَتَشْهَدَنَّ بِكُلِّ أرْضٍ فِتْنَةً *** فِيهَا يُبَاعُ الدِّيْنُ بَيْعَ سَمَاحِ
يُفْتى عَلَى ذَهَبِ المُعِزِّ وَسَيْفِهِ *** وَهَوى النُّفُوسِ وَحِقْدِهَا المِلحَاحِ[٢]

وهكذا يضغط الواقع على الكثيرين ممن يسعون للقيام بأمر الله؛ حيث يشعر هؤلاء أن كل من حولهم يخالفهم فيما هم عليه، بل وينابذهم على ذلك بكل ما يستطيع؛ فهم يسيرون في طريق موحشة، لا معين فيها ولا أنيس، والجميع حولهم يدعوهم ليسالموا أو يداهنوا، أو يقفوا موقفًا وسطًا ويلتقوا مع الجاهلية في منتصف الطريق، بدعاوى وشعارات معلومة مشهورة.

وتزداد الفتنة وتعظم البلية، عند صبغ هذه الدعاوى بصبغةٍ شرعية، وتخريجها تخريجًا فقهيًّا، يعتمد الوسطية وينبذ ويحارب التشدد؛ فتنهال الاتهامات من مختلف المستويات على من يريد القيام بأمر الله، متهمين إياه بالتطرف والغلو بل بالإرهاب، فضلًا عن الخارجية؛ ليجد العبد نفسه محاصرًا بدائرة محكمة من الاتهامات والإدانات، والتي لا ينقصها التدليل الشرعي، تصمُّ مسامعه صيحاتها، من كل حدب وصوب منادية عليه ببطلان ما هو عليه، ومروقه عن الطريق القويم، وحيدته عن الصراط المستقيم، وبعده عن الدين، ومخالفته للعالمين أجمعين، والهدف هو الضغط على العبد ليتجنب الانتساب للحق في خاصة نفسه، فضلًا عن دعوة الآخرين إليه، ومن ثم التنازل والتراجع والنكول والنكوص عن أمر الله، ومسايرة الواقع القائم، وقد جاء عن الإمام الفضيل بن عياض –رحمه الله– أنه قال: (كيف بك إذا بقيت إلى زمانٍ شاهدت فيه ناسًا لا يُفرِّقون بين الحقِّ والباطل، ولا بين المؤمن والكافر، ولا بين الأمين والخائن، ولا بين الجاهل والعالم، ولا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا؟)[٣]؛ قال الإمام ابن بطة –معلقًا على قول الفضيل–: (فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، فإنَّا قد بلغنا ذلك، وسمعناه، وعلمنا أكثره وشاهدناه، فلو أنَّ رجلًا ممَّن وهب الله له عقلًا صحيحًا، وبصرًا

---

[١] مجموع الفتاوى، (ج٣٥/ص١٩٠).
[٢] البيتان في لقصيدة رثاء الخلافة، أحمد شوقي، ديوان شوقيات.
[٣] رواه ابن بطة في الإبانة الكبرى (ج١/ص١٨٨).

نافذًا، فأمعن نظره وردَّد فكره، وتأمَّل أمر الإسلام وأهله، وسلك بأهله الطَّريق الأقصد، والسَّبيل الأرشد: لتبيَّن له أن الأكثر والأعمَّ والأشهر من النَّاس قد نكصوا على أعقابهم، وارتدُّوا على أدبارهم، فحادوا عن المحجَّة، وانقلبوا عن صحيح الحُجَّة، ولقد أضحى كثيرٌ من النَّاس يستحسنون ما كانوا يستقبحون، ويستحلُّون ما كانوا يحرِّمون، ويعرفون ما كانوا يُنكرون)[١]، والجملة الأخيرة من كلام ابن بطة: هي إشارة جليّة إلى فتنة ضغط الواقع؛ حيث ينضغط الكثيرون بضغط الواقع، ومن خلال طوق الجاهلية المحكم والذي يحيط بالعبد من كل مكان إحاطة السوار بالمعصم؛ فيسعون وقد انكسرت قلوبهم وهُزمت نفوسهم وناحت كواهلهم، تحت مطارق هذا الضغط العنيف: لنفي تلك الاتهامات عن أنفسهم، بل والتبرؤ منها ومن أصحابها وإظهار أنهم أصحاب منهج مغاير، يقوم على الاعتدال والواقعية والوسطية، وينبذ التشدد والمثالية الخيالية، ويلتقي مع الواقع القائم، فلا يحاربه أو يسعى إلى الاستبدال به، وإنما هو الإصلاح الرقيق والتغيير السلمي، الذي ينطلق من هذا الواقع ويسايره، ويرجع إليه لا غير، وهم في سبيل ذلك يتكيفون في كل قالب، ويتطاوعون لكل ضاغط، ولهذا المنهج الانهزامي التلفيقي سلسلة أليمة من المفردات والمظاهر المتعددات، والتي يجمعها كلها كونها إفرازات ضغط الواقع الجاهلي، فمحاولة الالتقاء والانسجام مع هذا الواقع، ومسايرته وعدم الظهور بمظهر الخارج عليه: هو مصدر هذه السلسلة من المفردات ومرجعيتها، و إن كان ذلك على حساب تطويع المُحَكَّمات والقطعيات الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع لهذا الواقع، بل والتجاسر على ادعاء النسخ فيها، ومن ذلك ما قرره بعضهم في تجاسر وجرأة على دين الله، يحار فيها العقل السليم: من أن أحكام أهل الذمة قد نُسخت كليًّا وجزئيًّا، بما يعرف اليوم بـ(أحكام المواطنة)! ومهما قيل حول هذه السلسلة الأليمة من المفردات والمظاهر تبريرًا أو تفسيرًا؛ فليس لأصحابها من موقع في صفوف الطائفة المنصورة أبدًا.

ومن أخطر نتائج الوقوع في هذه الفتنة: هو استمراء المنكر واعتياده، حتى قد يزول إنكاره بالكلية من القلب؛ نتيجة هذه المسايرة المنهجية للواقع، والتي تؤدي إلى استمراء المنكر والرضا به، بل قد يستقر في القلب استحسانه والإنكار على من أنكره؛ إذ كلما انضغط العبد وتراجع للوراء

---

[١] الإبانة الكبرى، (ج١/ص١٨٨).

خطوة بفعل ضغط الواقع: ازداد استعداده للانضغاط والتراجع خطوات، وما يزال به هذا النهج حتى يصبح الانضغاط للواقع، والتراجع والتنازل له خلقًا ودينًا للعبد، وتضعف لديه إرادة الثبات بصورة مستمرة حتى تتلاشى تمامًا، وتصير لديه القابلية التامة للتنازل والتراجع عن كل شيء وأي شيء بسهولة و يسر! قال سيد –رحمه الله–: (الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الانحراف الكامل في نهاية الطريق، وصاحب الدعوة الذي يقبل التسليم في جزءٍ منها ولو يسير [...]: لا يملك أن يقف عند ما سلّم به أول مرة؛ لأن استعداده للتسليم يتزايد كلما رجع خطوة إلى الوراء)[1].

فصل: فتنة ضغط الواقع قد تجر للكفر

وقد تتعاظم فتنة ضغط الواقع، وتستفحل في نفوس البعض، حتى تكون سببًا في الوقوع في الكفر والشرك الصراح! وقد أعلمنا الله سبحانه وتعالى أن هذه الفتنة كانت السبب الرئيس في وقوع الكثيرين في الكفر والشرك، رغم ما قام لديهم من العلم بل واليقين في صحة وصدق ما جاء به الأنبياء والرسل؛ قال تعالى حكاية عن قوم نوح –عليه السلام– أنهم قالوا ردًّا عليه: {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ} [المؤمنون: ٢٤]، وحكى الله تعالى عن قول هود قولهم له: {قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [الأعراف: ٧٠]، وقال تعالى عن قوم صالح: {قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا} [هود: ٦٢]؛ فنظائر هذه الآيات في القرآن كثيرة معلومة وكلها مصرحة أن العبد قد يخرج من الحق إلى الباطل؛ خضوعًا لضغط الواقع ومسايرة للناس ولما هم عليه، حيث للجموع والحشود الغفيرة والعادة المتأصلة والإرث المتداول المحفوظ: سطوة قوية وهيبة في نفوس الكثيرين، تدفعهم لمخالفة الحق، وموافقة الباطل والإذعان له.

وكأن حذيفة صاحب السر وخبير الفتن –رضي الله عنه– كان يشير إلى فتنة ضغط الواقع تلك؛ حين قال: (أخوفُ ما أخافُ على النَّاس اثنتان: أن يُؤثروا ما يرون على ما يعلمون، وأن يضلُّوا وهم لا يشعرون)[2].

---

[1] في ظلال القرآن، (ج٤/ص٢٢٤٥).

[2] رواه أبو نعيم في الحلية، (ج١/ص٢٧٨)، ومحمد بن وضاح في البدع (ص٧٦)، وغيرهم بألفاظ متقاربة.

فصل: غربة أهل الطائفة المنصورة

أما أهل الطائفة المنصورة؛ فهم يدفعون ضغط الواقع ولا ينضغطون له أو به؛ إذ عملهم هو في الأساس والمقام الأول: إخضاع الواقع لأمر الله، وأطره عليه أطرًا، وهم يقومون بذلك بفضل الله أولًا ثم بيقينهم وصبرهم ثانيًا؛ إذ فتنة ضغط الواقع هي فتنة الغربة بجوانبها المتعددة ومظاهرها المختلفة، والتي يعيشها أهل الطائفة المنصورة في سعيهم نحو إقامة أمر الله، وقد كان الحسن –رحمه الله– يقول: (صدق الله ورسوله؛ باليقين طُلبت الجنَّة، وباليقين هُرب من النَّار، وباليقين أُدِّيَت الفرائض، وباليقين صُبر على الحقِّ، وفي معافاة الله خيرٌ كثيرٌ، قد والله رأيناهم يتقرَّبون في العافية، فإذا نزل البلاء تفارقوا)[1]، فأهل الطائفة المنصورة يصبرون على غربة الطريق ولا يوحشهم قلة السالكين، ولهم في ذلك الأسوة التامة بخير خلق الله وصفوتهم من الأنبياء والرسل –عليهم السلام–، عن ابن عباس –رضي الله عنهما–، قال: خرج علينا النبي ﷺ يومًا فقال: "عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيسَ مَعَهُ أَحَدٌ"[2]، فقلة السائرين وغربة الطريق وتفرد السير: من نهج الأنبياء والمرسلين في القيام بأمر الله، وقال رسول الله ﷺ: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ"[3]، فنص النبي ﷺ على أن الغربة هي أصل هذا الأمر، وأساسه وإليه يرجع، وقال الطرطوشي –رحمه الله–: (ومعنى هذا الحديث: أنه لما جاء الله بالإسلام، فكان الرجل إذا أسلم في قبيلته وحيّه غريبًا فيهم، مستخفيًا بإسلامه، قد جفاه الأهل والعشيرة، فهو بينهم ذليل حقير خائف، يتغصص بجرع الجفاء والأذى، ثم يعود غريبًا؛ لكثرة الأهواء المضلة، والمذاهب المختلفة، حتى يبقى أهل الحق غرباء في الناس، لقلتهم وخوفهم على أنفسهم)[4]، وقال القرطبي –رحمه الله–: (إنَّ قرنه [ﷺ] إنَّما فُضِّل لأنَّهم كانوا غرباء في إيمانهم؛ لكثرة الكفَّار، وصبرهم على أذاهم، وتمسُّكهم بدينهم، وإنَّ أواخر هذه الأمَّة إذا أقاموا الدِّين وتمسَّكوا به، وصبروا على طاعة ربِّهم في حين ظهور الشَّرِّ والفسق والهَرَج والمعاصي والكبائر؛ كانوا عند ذلك أيضًا غرباء،

---

[1] رواه البيهقي في السنن الصغير، (ج١/ص١٥)، ورواه أحمد في الزهد (ص٢٢٨)، وابن أبي الدنيا في اليقين (ص٣٦) بألفاظ متقاربة.
[2] متفق عليه.
[3] رواه مسلم وأحمد وابن ماجه.
[4] الحوادث والبدع، (ص٣٢).

وزكت أعمالهم في ذلك الوقت، كما زكت أعمال أوائلهم، وممَّا يشهد لهذا قوله -عليه الصلاة والسَّلام-: "بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ")[1].

وأعظم ما تكون غربة الإسلام وأهله القائمين به علمًا وعملًا، دعوة وجهادًا: إذا ارتد الداخلون فيه عنه، وقد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ} [المائدة: ٥٤]، فهولاء يقيمونه إذا ارتد عنه أولئك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وقد تكون الْغُرْبَةُ في بعض شرائعه، وقد يكون ذلك في بعض الأمكنة.؛ ففي كثيرٍ من الأمكنة يخفى عليهم من شرائعه ما يصير به غريبًا بينهم، لا يعرفه منهم إلَّا الواحد بعد الواحد،. ومع هذا: فطوبى لمن تمسَّك بتلك الشَّريعة كما أمر الله ورسوله؛ فإنَّ إظهاره، والأمر به، والإنكار على من خالفه هو بحسب القوة والأعوان)[2].

وقال شمس الحق آبادي -رحمه الله-: (فطوبى للغرباء من أُمَّتي، يُريد المنفردين عن أهل زمانهم)[3]، وقد وصف الشارع هؤلاء الغرباء بجملة من الأوصاف؛ منها: أنهم نزاع الناس، أو النزاع من القبائل، والنزاع جمع نزيع ونازع، وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته، والنزائع من الإبل الغِراب، قال الهروي -رحمه الله-: (أراد بذلك المهاجرين الَّذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى)[4]، وجاء في وصف الغرباء: أنهم الفرارون بدينهم، أو الذين يفرون بدينهم من الفتن، وأنهم أناسٌ صالحون قليل في أناس سوء كثير، ومن يعصيهم أكثر ممن يطيعهم، وأنهم الذين يُصلِحونَ إذا فسد الناس، وأنهم الذين يتمسكونَ بكتاب الله حين يترك ويعملون بالسنة حين تُطفى، وأنهم الذين يُحيُون ما أمات الناس من سنة النبي ﷺ، وهذه الأوصاف المختلفة من النبي ﷺ للغرباء، وإن كانت تظهر من جهة عظم الدور الذي يقوم به هؤلاء الغرباء في أزمنة الغربة في القيام بأمر الله والثبات عليه؛ فإنها من جهة أخرى تظهر عِظم غربة هؤلاء وشدّتها، وعظم صبرهم عليها، وقد نُقل عن سيد العباد بعد الصحابة (أويس القرني)، أنه قال: (إِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، والنهي عن المنكر لم يدع لِلْمُؤْمِنِ صَدِيقًا، نَأْمُرُهُمْ

---

[1] الجامع لأحكام القرآن، (ج٣/ص٢٦٣).
[2] مجموع الفتاوى، (ج١٨/ص٢٩٨).
[3] عون المعبود، (ج١١/ص٣٣٣).
[4] شرح النووي على مسلم، (ج٢/ص١٧٧).

بِالْمَعْرُوفِ فَيَشْتُمُونَ أَعْرَاضَنَا، وَيَجِدُونَ على ذَلِكَ أَعْوَانًا مِنَ الْفَاسِقِينَ، حَتَّى وَاللَّهِ لَقَدْ رَمَوْنِي بِالْعَظَائِمِ، وَايْمُ اللَّهِ لَا أَدَعُ أَنْ أَقُومَ فِيهِمْ بِحَقِّهِ)[١].

(فمن هذا الباب يرجع الإسلام غريبًا كما بدأ؛ لأن المؤالف فيه –على وصفه الأوَّل– قليلٌ، فصار المخالف هو الكثير، فاندرست رسوم السُّنَّة حتى مدَّت البدع أعناقها، فأُشكل مرماها على الجمهور، فظهر مصداق الحديث الصحيح)[٢]، كما بيّن ذلك الشاطبي –رحمه الله–.

فقد ذكر الصادق المصدوق ﷺ أن غربة القائمين بأمر الله الثابتين عليه: قد تشتد وتستحكم إلى أن يصبح حال هؤلاء الغرباء كحال القابض على الجمر؛ فعن أبي ثعلبة الخشني أن النبي ﷺ قال: "إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَى الْجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهِمْ مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ"، قالوا: يا رسول الله؛ أجر خمسين منهم؟ فقال ﷺ: "أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ"[٣]، وفي تشبيهه ﷺ المتمسك بدينه الصابر عليه، بالقابض على الجمر، دلالات هامة؛ منها:

أولًا: شدة غربة الدين، وشدة غربة أهله القائمين به.

ثانيًا: شدة وعظم وهول ضغط الواقع على هؤلاء القائمين بأمر الله؛ لصرفهم وفتنتهم عنه.

ثالثًا: عظيم صبر هؤلاء القائمين بأمر الله، وعظيم ثباتهم في هذه الغربة الحالكة.

رابعًا: أن اشتداد الغربة في الدين وأهله القائمين به إلى الدرجة التي تجعل العبد كالقابض على الجمر: ليس مبررًا للنكول والنكوص عن أمر الله والحيدة عنه، والتفريط فيه، وأنّه ليس هناك غير الاستمرار في القبض على الجمر، ولما قيل للإمام أحمد أيّام المحنة: يا أبا عبد الله؛ أَوَ لا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟ قال: (كلا؛ إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلال، وقلوبنا بعدُ لازمةٌ للحق)[٤].

---

[١] طبقات ابن سعد (ج٦/ ص١٦١)، حلية الأولياء لأبي نعيم (ج٢/ ص٧٩)، وصفة الصفوة لابن الجوزي (ج٣/ص٤٣).
[٢] الاعتصام، (ج١/ص٣٢).
[٣] رواه التِّرْمِذِيُّ وابن ماجه وأبو داود واللفظ له، (قال: التِّرْمِذِيُّ: حسن غريب).
[٤] مناقب الإمام أحمد، ابن الجوزي، (ص٤٢١).

خامسًا: أن ضغط الواقع الشديد من هذه الغربة المستحكمة: لا يدفع بغير الصبر؛ لا بالأخذ في بُنيّات الطريق والعدول عن الجادّة؛ ولذلك كلّه نسب النبي ﷺ هذه الأيام للصبر، وإنما نُسبت كذلك لأن العبد بدون الصبر، بل والصبر العظيم الذي يقارع صبر القابض على الجمر: هيهات هيهات أن يسلَمَ له دينه، مع هذه المحن والأهوال التي تحيط به من كل جانب، وقد جاء عن حذيفة -رضي الله عنه- أنَّه أخذ حجرين، فوضع أحدهما على الآخر، ثمَّ قال لأصحابه: (هل ترون ما بين هذين الحجرين من النُّور؟)، قالوا: يا أبا عبد الله؛ ما نرى بينهما من النُّور إلا قليلًا، قال: (والَّذي نفسي بيده؛ لتظهرنَّ البدع حتى لا يُرى من الحقِّ، إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النُّور، والله لتفَشُونَّ البدع حتَّى إذا تُرك منها شيءٌ، قالوا: تُرِكت السُّنَّة)[١]! وقال سهل بن عبد الله: (عليكم بالاقتداء بالأثر والسُّنَّة، فإنِّي أخاف أنَّه سيأتي عن قليلٍ زمانٌ؛ إذا ذكر إنسانٌ النَّبيَّ ﷺ والاقتداء به في جميع أحواله: ذمّوه ونفروا عنه، وتبرؤوا منه، وأذلُّوه وأهانوه)[٢]! وما أعجب كلمة هشام بن حسَّان[٣] حين قال: (ليأتينَّ على النَّاس زمانٌ يشتبِهُ فيه الحق والباطل، فإذا كان ذلك: لم ينفع فيه دعاءٌ إلا كدُعاء الغرِق)[٤]!

قال ابن القيم: (فإذا أراد المؤمن الذي قد رزقه الله بصيرةً في دينه، وفقهًا في سنة رسوله وفهمًا في كتابه، وأراه ما النَّاس فيه من الأهواء والبدع والضَّلالات، وتنكُّبِهم عن الصِّراط المستقيم الذي كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه؛ فإذا أراد أن يسلك هذا الصِّراط: فليوطِّن نفسَه على قدح الجُهَّال وأهل البدع فيه، وطعنهم عليه، وإزرائهم به، وتنفير النَّاس عنه، وتحذيرهم منه، كما كان سلفهم من الكفّار يفعلون مع متبوعه وإمامه ﷺ، فأمّا إن دعاهم إلى ذلك، وقدَحَ فيما هم عليه: فهناك تقومُ قيامتُهم، ويبغون له الغوائل، وينصبون له الحبائل، ويجلبون عليه بخيل كبيرهم ورَجِلِه)[٥]! ومن ثم؛ فمن رغب أن يكون من أهل الطائفة المنصورة، وسط هذه الغربة الحالكة بحيث يكون كما

---

[١] رواه محمد بن وضاح في البدع والنهي عنها (ص١١٤).
[٢] الجامع لأحكام القرآن، (ج١٠/ص١١٩).
[٣] ذكره الشاطبي عن ابن وهب، ظنه الزرقاوي من كلام هشام لترابط النصين في الاعتصام، وما نقله الشاطبي أيضًا خطأ، والصواب أنه لحذيفة -رضي الله عنه- كما رواه ابن أبي شيبة في المصنف.
[٤] رواه ابن أبي شيبة، والهروي في ذم الكلام (ج٤/ص٢٨٥)، ونعيم بن حماد في الفتن (ج١/ص١٨٨) عن حذيفة -رضي الله عنه-.
[٥] مدارج السالكين، (ج٤/ص٧٦).

قال ابن القيم -رحمه الله-، رأسًا في ذلك: فيحتاج أن يكون شجاعًا مقدامًا، حاكمًا على وهمه، غير مقهور تحت سلطان تخيّله، زاهدًا في كل ما سوى مطلوبه، عاشقًا لما توجه إليه، عارفًا بطريق الوصول إليه، والطرق القواطع عنه، مقدام الهمّة، ثابت الجأش، لا يثنيه عن مطلوبه لوم لائم، ولا عذل عاذل، كثير السكون، دائم الفكر، غير مائلٍ مع لذة المدح ولا ألم الذم، قائمًا بما يحتاج إليه من أسباب معونته، لا تستفزّه المعارضات، شعاره الصبر وراحته التعب.

فصل: استعلاء الإيمان

ومما يدفع به أهلُ الطائفة المنصورة فتنة ضغط الواقع أو فتنة الغربة: استعلاء الإيمان؛ حيث تمتلئ صدورهم ونفوسهم بالعزة التي جعلها الله لأهل دينه دون غيرهم؛ قال تعالى: {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا} [النساء: ١٣٩]، وقال تعالى: {وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} [يونس: ٦٥]، فالعزة كلها لله وحده، وليس لمن حادّ الله ورسوله ودينه فيها أدنى نصيب، وإن ملكوا أسباب السماء والأرض، وقد قال تعالى في صفة أوليائه القائمين بدينه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [المائدة: ٥٤]، فهم ينضحون بالعزة في وجه أعداء الدين وإن كانت لهم الغلَبة، وإن كان لهم السلطان المادي؛ إذ العزة بالإسلام لا بغيره، وفي مقابل وصف أهل الإيمان بالعزة، قال تعالى في حق المحادّين له ولرسوله: {إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ} [المجادلة: ٢٠].

وقد قال رسول الله ﷺ: "الإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى"[١]، وللحديث قصة ذات دلالة هامّة؛ فعن عائذ بن عمرو أنَّه جاء يوم الفتحِ مع أبي سفيان بن حربٍ، ورسول الله ﷺ حوله أصحابه، فقالوا: هذا أبو سفيان، وعائذ بن عمرٍو، فقال رسول الله ﷺ: "هَذَا عَائِذُ بْنُ عَمْرٍو وَأَبُو سُفْيَانَ، الْإِسْلَامُ

[١] رواه الدارقطني والبيهقي وغيرهما موصولًا مرفوعًا عن عائذ بن عمرو المزني، قال ابن حجر: سنده حسن. وضعفه غيره لجهالة عبد الله بن الحشرج. ورواه ابن حزم في المحلى والبخاري معلقًا موقوفًا عن ابن عباس، قال ابن حجر: سنده صحيح ولم يعرف من خرجه.

أَعَزُّ مِنْ ذَلِكَ، الْإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَا يُعْلَى"[١]، فمجرّد تقديم اسم الكافر على اسم المسلم منافٍ لعلو الإسلام، بل مجرد العلو المكاني لا ينبغي أن يكون لغير أهل الإسلام، وإن كانت الدولة والجولة لأعدائهم، ففي غزوة أحد وبعد أن دارت الدائرة على المسلمين، علت عالية من قريش الجبل، فقال رسول الله ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنَّهُ لا يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا"[٢]، فقاتل عمر بن الخطاب ورهطٌ معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل.

ومن اللطائف ما جاء في تفسير قوله تعالى: {فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ} [آل عمران: ١٥٣]، قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (الغمُّ الأوَّل: بسبب الهزيمة، وحين قيل: قُتلَ محمَّدٌ ﷺ، والثَّاني: حين علاهم المشركون فوق الجبل، وقال النَّبيُّ ﷺ: "اللَّهُمَّ لَيسَ لَهُمْ أنْ يَعْلُونا"[٣])[٤]، فمجرد علو الكفار المكاني على المسلمين، رغم كون الهزيمة من نصيبهم، والدائرة عليهم مما يصيبهم بالهم والغم، فالمسلم الحق تمتلئ نفسه وتفيض بكل معاني العلو المطلق: بما خصه الله تعالى وشرّفه به دون سائر خلقه، وإن كان في أبعد حالاته عن النصر والتمكين، وهذا ما ترسخ في نفوس الصحابة رضي الله عنهم؛ فعن طارق بن شهاب قال: خرج عمر بن الْخطَّابِ إلى الشَّام ومعنا أبو عبيدة بن الجرَّاح، فأتوا على مخاضةٍ وعمر على ناقةٍ له، فنزل عنها، وخلع خفَّيه، فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته، فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: (يا أمير المؤمنين؛ أنت تفعل هذا؟ تخلع خُفَّيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك وتخوض بها المخاضة؟ ما يسُرُّني أنَّ أهل البلد استشرفوك)، فقال عمر -رضي الله عنه-: (أوّه، لو يقل ذا غيرك أبا عبيدة، جعلته نكالاً لأمَّة مُحَمَّدٍ ﷺ؛ إنَّا كنَّا أذلَّ قومٍ، فأعزَّنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزَّة بغير ما أعزَّنا الله به أذلَّنا الله)[٥].

وقد خاطب الله تعالى المؤمنين، عند الحديث عمّا نزل بهم من البلاء، وما جرى لهم من إدالة عدوهم منهم، فقال تعالى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] رواه ابن إسحاق، سيرة ابن هشام (ج٢/ص٨٦).

[٣] رواه أحمد والحاكم، (إسناده حسن، وصححه الحاكم والذهبي).

[٤] تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، (ج٢/ص١٤٣).

[٥] رواه الحاكم. قال الحاكم: (صحيح على شرط الشيخين).

فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ} [آل عمران: ١٣٩-١٤٢]، فنهى الله عباده المؤمنين عن الوهن والحزن، رغم ما نزل بهم من البلاء والمحنة، ورغم أن الدائرة كانت عليهم؛ وذلك لكونهم هم أهل العلو والعزة ما كانوا متمسكين بدينهم وإيمانهم، فأساس العلو العزة هذا الدين الذي أكرمهم الله به، ولا عبرة بعد ذلك بضعفهم المادي، وكون الصولة والجولة لأعدائهم عليهم، قال السعدي -رحمه الله-: (يقول تعالى مشجعًا لعباده المؤمنين، ومقويًا لعزائمهم ومنهضًا لهممهم: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا}؛ أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابتكم المصيبة، وابتليتم بهذه البلوى؛ فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان: زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن، وتصلبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك، ولهذا قال تعالى: {وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ})[١].

فمن مقتضيات ولوازم كون أهل الإيمان هم الأعلين: عدم الوهن والحزن والانكسار في طلب الأعداء ومواجهتهم، وإن اشتد ضغط الواقع على المؤمنين بكون الصولة والجولة والدولة لأعدائهم، فكيف بالتنازل والتراجع استجابةً لهذا الضغط؟ وذلك أن ترسخ هذه الحقيقة في قلب ونفس العبد المؤمن، يورثه ثباتًا عظيمًا في مواجهة ضغط الواقع وإن اشتد وعظم؛ حيث يدرك المؤمن أنه الأعز والأعلى، من كل ما حوله، رغم ضعفه المادي وتجرده من أسباب القوة المادية، كما يدرك أن ما يلوح للواقع الجاهلي من مظاهر العزة والعلو، والتي لها سطوة وهيبة على كثير من النفوس: إنما هي مظاهر كاذبة خادعة، وإنما هذا العلو والعزة وهم وسراب لا حقيقة له.

---

[١] تيسير الكريم الرحمن، (ص١٤٩).

وختامًا نقول: إن من يعيش الواقع من خلال كتاب أو مطالعة لوسائل إعلام أو غيرها، فلا يمكن أن يحكم على الواقع الذي يعيشه المجاهدون بطريقةٍ صحيحة؛ فلا بد أن يعيش بينهم ويعرف همومهم وأفراحهم وأحزانهم، وهذا هو شأن النبي ﷺ؛ فقد كان الأعرابي يدخل إلى المجلس فيسأل: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟[١] لأنَّه ﷺ كانت حياته بين أصحابه، ولمّا فزع أهل المدينة ليلةً، انطلقوا قِبلَ الصَّوت، فتلقَّاهم النَّبيُّ ﷺ، وقد سبقهم إلى الصَّوت، وهو على فرسٍ لأبي طلحة، ما عليه سرجٌ، وفي عنقه السَّيف، وهو يقول: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ؛ لَنْ تُرَاعُوا"[٢]، فالذي يعايش الواقع عن بُعد، ولا يعيش تفاصيله، ولا يواجه نوازله وابتلاءاته: فلا شك أنه سيبقى بمنأًى عن سهام أهل الكفر وانتقاداتهم، حسن السيرة نقي الصورة، وأما المجاهدون فإنهم يخوضون مع أعدائهم غمار الحروب، فطريقهم واضح المعالم والأهداف، وهم في سيرهم إلى ربهم يوالون فيه ويعادون فيه، ويحبون فيه ويُبغضون فيه، وحاديهم: اللهم لك العتبى حتى ترضى، وهم في سيرهم غير مبرئين عن الأخطاء والمعائب؛ فإذا أصابتهم قروحٌ وابتلاءات أو هزائم وجراحات: سلقهم القاعدون بألسنةٍ حداد، ونظّروا سبب هزيمتهم بما يرونه على طريقتهم! فليتهم كانوا في أوائل الصفوف، وخاضوا معهم غمار الحروب، وعاشوا الجهاد بحلوه ومرّه، وما يتعرض له المجاهدون من ضغوطات تنوء بحملها الجبال؛ إذًا فلو نَصَحوا ونظّروا لقبل منهم.

اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد، يعز فيه أهل طاعتك، ويذل فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر.

اللهم ارفع الضيم والذل عن هذه الأمة، وارفع راية الجهاد في كل واد وباد.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}،

والحمد لله رب العالمين.

---

[١] روى البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم بألفاظ متقاربة عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رضي الله عنه- قَالَ: (نُهِينَا فِي الْقُرْآنِ أَنْ نَسْأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ، فَكَانَ يُعْجِبُنَا أَنْ يَجِيءَ الرَّجُلُ الْعَاقِلُ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَيَسْأَلَهُ وَنَحْنُ نَسْمَعُ فَبَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ عَلَى جَمَلٍ فَأَنَاخَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ ثُمَّ قَالَ لَنَا: **أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟** -وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِئٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْنا- فَقُلْنَا: هَذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِئُ).

[٢] رواه الستة، واللفظ لابن ماجه.

المُحاضَرَةُ الرابِعَة: {قُلْ أَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ}

٤ رمضان ١٤٢٦ هـ || ٧ أكتوبر ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فإن أي جماعة تنشد تغيير واقع الأمة وذلّها، وإعادة مجدها السالف وعزها؛ لا بد أن تمتلك في نفسها مجموعة من العوامل التي تؤهلها وتمكّنها من تحقيق بغيتها والوصول إلى غايتها، وأُسُّ هذه العوامل وأصلها أن يكون لها خطاب دعوي ديني واضح المعالم، ثابت الأركان، يقوم على أسس محكمة متينة تستمد منه الجماعة أسباب حياتها ومقومات استمرارها، فإذا ما ترافق هذا الخطاب مع عمل جهادي منظّم التزم أفراده مقتضيات هذا الخطاب؛ تأتّى للجماعة الحصول على ما تطلبه وتحقيق ما تنشده.

فصل: فتنة المصطلحات[١]

وإن المتتبع لسير العديد من الحركات الإسلامية المعاصرة: ليتبيّن له بجلاء أن خطابها الديني مشوّه في معالمه، غامض في مصطلحاته، فضفاض في عباراته وشعاراته؛ وما ذاك إلا لابتعادهم عن استخدام المصطلح الشرعي في خطابهم واستبدالهم به مصطلحات عصرية حادثة، يقطر منها منهج الانهزامية ويرشح منها سبيل التبعية الفكرية؛ فبتنا نسمع لفظ المقاومة وصراع الحضارات بدل الجهاد في سبيل الله، ولفظ المدنيين والأبرياء بدل الكفار والمحاربين، ولفظ الطرف الآخر بدل اليهود والنصارى، إلى غير ذلك من الألفاظ التي يطول ذكرها، والتي هي في حقيقتها سبيل إلى تفريغ المصطلحات الشرعية من مضمونها ودلالاتها التي أرادها الشارع الحكيم من وضعها.

---

[١] تعليق إتقان: العناوين الفرعية هي زيادة مقترحة لفهم سياق الكلام.

إن حدود الشرع مبنية على فهم هذه المصطلحات، وإن الخلل في فهم هذه المصطلحات التي خاطبنا الشارع بها يؤدي إلى إفساد فهم المخاطبين بهذا الدين، ومن ثمّ إفساد عبادتهم لله رب العالمين، ويتضح ذلك بتأمل مصطلح الإيمان، فقد رتب الله سبحانه وتعالى على الإتيان به أمورًا وعلّق عليه وعودًا، فقال سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا} [الحج: ٣٨]، وقال سبحانه: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ} [النور: ٥٥]، فالخلل والجهل في فهم معنى الإيمان عن شرع الله قد يؤدي بالمرء إلى تكذيب القرآن أو الشك في موعوده حيث لم يتحقق هذا الوعد؛ ولذا كان الخطاب الدعوي للمجاهدين أهل الطائفة المنصورة، يقوم على المصطلح الشرعي في مخاطبة المدعوّين لا غيره ما أمكن ذلك؛ وذلك أن المصطلح الشرعي هو الأقوم والأهدى لما وضع له، أما غيره من المصطلحات المخترعة المولّدة، فلا يؤمن معها الزلل والخلل لكونها من نِتاج العقول غير المعصومة، فضلًا عما فيها من إعراض عن هدي الكتاب والسنة وما ورد عن سلف هذه الأمة، فكان التمسك بهذه المصطلحات المبتدعة والشغف بها والتنافس فيها ليس له من مبرر غير اتباع الهوى، مع التسليم بأنه استبدال للذي هو أدنى بالذي هو خير، فأهل الطائفة المنصورة يعتصمون بالكتاب والسنة لفظًا ومعنى، فكما يعتصمون بمعاني الكتاب والسنة خوف الزيغ والضلال، كذلك يعتصمون بألفاظهما خوف الزيغ والضلال؛ إذ الزيغ والضلال كما يعرض من جهة المعاني: فإنه يعرض كذلك من جهة الألفاظ والمباني، بل الألفاظ بوابة المعاني ومدخلها وقوالبها التي تصب فيها، فما لم تكن تلك الألفاظ محكمة للحق جامعة وللباطل مانعة، فستكون مدخلا للزيغ والضلال؛ إذ الألفاظ للمعاني أزمَّة، وعليها أدلة، وإليها موصلة، وعلى المراد منها محصلة؛ ولذا فأهل الطائفة المنصورة يقصدون الألفاظ الشرعية ليضبطوا بها تلك المعاني فلا يشذّ عنهم منها شيء.

قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: ٣]، فنص تعالى على أنه قد أكمل لنا الدين وأحكمه، وهذا الكمال شامل للمعاني والمباني، فالإعراض عن استعمال المصطلح الشرعي فيه انتقاص لهذه الشريعة الغراء، ويقول الله سبحانه وتعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ} [الإسراء: ٩]، وهذه الهداية هداية مطلقة،

فهو يهدي للتي هي أقوم معنًى ومبنًى، وذلك في كل زمن من الأزمان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وقد نفى سبحانه وتعالى العِوج عن كتابه فقال سبحانه: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ} [الزمر: ٢٧-٢٨]، قال ابن كثير: (وقوله جلَّ وعلا: {قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}؛ أي هو قرآن بلسان عربي مبين لا اعوجاج فيه، ولا انحراف ولا لبس، بل هو بيان ووضوح وبرهان، وإنما جعله الله تعالى كذلك، وأنزله بذلك {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ}؛ أي يحذرون ما فيه من الوعيد، ويعملون بما فيه من الوعد).

فكان الخطاب الدعوي المبني على المصطلح الشرعي: خطابًا دعويًّا غير ذي عوج؛ وبالمقابل يكون الخطاب الدعوي المبني على غير المصطلح الشرعي: خطابًا دعويًّا ذا عوج، وإن ظن أصحابه أنهم قد اعتلوا ذروة سنام الفصاحة وامتلكوا ناصية البيان.

فصل: مصطلحات الطائفة المنصورة

إن أهل الطائفة المنصورة يدركون بأن الشرع في استخدامه لمصطلحات دون غيرها: قد أعطى هذه المصطلحات معاني ودلالات خاصة، وما ذاك إلا رغبة في ربط هذه المعاني والدلالات بتلك المصطلحات، بحيث إذا تم التعبير عن هذه المعاني والدلالات بغير تلك المصطلحات واستبدال مصطلحات محدثة بها: لم يفد ذلك قطعًا أيًّا مما أراده الشرع من معانٍ ودلالات نفيًا وإثباتًا، ومن اليقين عند أهل الطائفة المنصورة أن ربط الشرع لمعنى من المعاني بمصطلح ما: يعني أن هذا المصطلح هو وحده الأجدر والأصلح في التعبير عن هذا المعنى، مهما تبدلت الأحوال وتغيرت الأزمان، إذ هذا الدين تنزيل رب العالمين.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (ينبغي للمفتي أن يفتي بلفظ النصِّ مهما أمكنه؛ فإنه يتضمَّن الحكم والدليل مع البيان التام. [...] وقد كان الصحابة والتابعون والأئمة الذين سلكوا على منهاجهم يتحرَّون ذلك غاية التحرِّي، حتَّى خلفت من بعدهم خلوفٌ رغبوا عن النصوص، واشتقُّوا لهم ألفاظًا غير ألفاظ النصوص؛ فأوجب ذلك هجرَ النصوص، ومعلومٌ أن تلك الألفاظ لا تفي بما تفي به النصوص من الحكم والدليل وحسن البيان، فتولَّد من هجران ألفاظ النصوص، والإقبال على الألفاظ

الحادثة، وتعليق الأحكام بها: على الأمة من الفساد ما لا يعلمه إلا الله، فألفاظ النصوص عصمة وحجة بريئة من الخطأ والتناقض والتعقيد والاضطراب، ولما كانت هي عصمة [عهدة] الصحابة وأصولهم التي إليها يرجعون: كانت علومهم أصحَّ من علوم من بعدهم، وخطؤهم فيما اختلفوا فيه أقل من خطأ من بعدهم، ثم التابعون بالنسبة إلى من بعدهم كذلك [...]. ولما استحكم هجرانُ النصوص عند أكثر أهل الأهواء والبدع: كانت علومُهم في مسائلهم وأدلَّتهم في غاية الفساد والاضطراب والتناقض، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا سُئِلوا عن مسألة يقولون: قال الله كذا، قال رسول الله ﷺ كذا، وفعل رسول الله كذا، ولا يعدِلون عن ذلك ما وجدوا إليه سبيلًا قطُّ، فمن تأمَّل أجوبتهم وجدها شفاءً لما في الصدور)[١]، وكلام ابن القيم هذا، وإن كان نصًّا في حق المفتي؛ فإنه شامل كذلك للداعية، بجامع التبليغ عن الله لدينه وشرعه، مع ما في كلامه -رحمه الله- من عموم ضرر هجر ألفاظ النصوص، وقال ابن القيم: (فلما طال العهد وبعُد الناس من نور النبوة صار هذا عيبًا عند المتأخرين: أن يذكروا في أصول دينهم وفروعه: قال الله، وقال رسول الله)[٢].

وقد قال الغزالي وهو يتحدث عن بيان ما بدل من ألفاظ العلوم قال: (اعلمْ: أنَّ منشأ التباسِ العلومِ المذمومة بالعلومِ الشرعيَّةِ تحريفُ الأسامي المحمودةِ وتبديلُها، ونقلُها بالأغراضِ الفاسدةِ إلى معانٍ غيرِ ما أرادَهُ السلفُ الصالح والقرنُ الأوَّلُ)[٣]، وقال ابن حزم في حديثه عن الألفاظ الدائرة بين أهل النظر: (هذا باب خلَّط فيه كثيرٌ ممن تكلم في معانيه، وشبك بين المعاني وأوقع الأسماء على غير مسمياتها، ومزج بين الحق والباطل؛ فكثر لذلك الشغب والالتباس، وعظمت المضرة، وخفيت الحقائق)[٤]، وهذه الصورة التي أشار إليها كل من الغزالي وابن حزم -رحمهما الله تعالى-: لا شك أنها من أخطر صور تحريف حقائق الدين وتغيير مفاهيمه؛ حيث يتم تجريد المصطلح الشرعي من معناه الحق، وإسقاطه على معنى آخر غير ما وضع له، ثم ترويجه بهذا الآخر الجديد بغية التحريف والتبديل، فإذا انضاف إلى ذلك الاستعاضة بالكلية عن المصطلح الشرعي بمصطلح آخر محدث:

---

١ أعلام الموقعين، (ج٥/ص٣٠-٣١).
٢ المرجع السابق.
٣ إحياء علوم الدين، (ج١/ص١٢٠).
٤ الإحكام في أصول الأحكام، (ج١/ص٣٥).

تأكدت الخسارة؛ لانقطاع الصلة بالأصل الذي من خلاله وحده، يكون تصحيح المعنى أو تقويم اللفظ، وقد يكون هذا المصطلح الجديد مما زخرفه أصحابه وحسّنوه، ببهرج القول وزخرفه، تمويهًا وتمريرًا لما في باطنه من باطل، فينخدع به أسرى الظاهر ممن يعميهم الشكل عن المضمون فيروج عليهم باطله فيهلكون.

قال ابن القيم –رحمه الله–: (بل من تأمل المقالات الباطلة والبدع كلَّها: وجدها قد أخرجها أصحابها في قوالب مستحسنة، وكسَوها ألفاظًا يقبلها بها من لم يعرف حقيقتها)[١]، (فلا إله إلا الله، كم ها هنا من مزلَّة أقدام ومحلِّ أوهام! وما دعا مُحِقٌّ إلى حقٍّ إلا أخرجه الشيطان على لسان أخيه ووليِّه من الإنس في قالبٍ تنفِر عنه خفافيشُ البصائر وضعفاءُ العقول وهم أكثر الناس، وما حذَّر أحد من باطلٍ: إلا أخرجه الشيطان على لسان وليِّه من الإنس في قالبٍ مزيَّف مزخرَف يستخِفُّ به عقولَ ذلك الضرب من الناس، فيستجيبون له، وأكثر الناس نظرهم قاصر على الصور، لا يتجاوزونها إلى الحقائق، فهم محبوسون في سجن الألفاظ، مقيَّدون بقيود العبارات، كما قال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ * وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ} [الأنعام: ١١٢–١١٣])[٢].

ولعل خير مثال لما ذكره هؤلاء الأئمة: ما يروّج له في هذه الأزمان؛ وهو ما اصطلح عليه الناس من تسمية الكفار والمشركين غير العسكريين بالمدنيين، وعليه فلا يجوز عندهم استهدافهم بالقتل أو التعرض لهم، وهذا المصطلح وما ترتب عليه من أحكام باطل منقطع النسبة والنسب لشرع الله ودينه لفظا ومعنى؛ لأن ميزان التفريق في الإسلام لا يقوم بين مدني وعسكري، وإنما يقوم على أساس التفريق بين المسلم والكافر، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ} [التغابن: ٢]، فالمسلم معصوم الدم أيًّا كان عمله ومحله، والكافر مباح الدم أيًّا كان عمله ومحله، ما لم يكن له عهد أو أمان، وقد قال تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال:

---

[١] أعلام الموقعين، (ج٥/ص١٢٦).
[٢] المرجع السابق، (ص٦٥).

٣٩]، قال ابن العربي: (سَبَبَ الْقَتْلِ هُوَ الْكُفْرُ بِهَذِهِ الْآيَةِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: {حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} [الأنفال: ٣٩]؛ فَجَعَلَ الْغَايَةَ عَدَمَ الْكُفْرِ نَصًّا، وَأَبَانَ فِيهَا أَنَّ سَبَبَ الْقَتْلِ الْمُبِيحَ لِلْقِتَالِ [هو] الْكُفْرُ)[١]، قال ابن كثير -رحمه الله-: (وقد حكى ابن جريرٍ الإجماع على أنَّ المشرك يجوز قتله، إذا لم يكن له أمانٌ، وإن أمَّ البيت الحرام أو بيت المقدس)[٢]، قال الشوكاني: (فالمشرك سواء حارب أو لم يحارب، مباح الدم ما دام مشركًا)[٣].

فكل أهل الأرض مع الإسلام ثلاثة أقسام لا رابع لها؛

القسم الأول: أهل الإسلام المنتسبون له.

والقسم الثاني: المسالمون للإسلام، المهادنون لأهله بذمة أو هدنة أو أمان.

وهذان القسمان دماؤهم وأموالهم معصومة، إلا أن يأتي أحدهم بما يباح به دمه أو ماله بحكم الشرع.

والقسم الثالث: وهم كل ما عدا ذلك من أهل الأرض؛ فكل كافر على وجه الأرض لم يسالم الإسلام، ولم يهادن أهله بذمة أو هدنة أو أمان: فهو كافر محارب لا عصمة له مطلقًا، ما لم يكن ممن نهي عن قتله ابتداءً كالصبيان والنساء، فالكفر وإباحة الدم والمال قرينان لا ينفكان في دين الله وشرعه، ولا يعصم من ذلك إلا من عصمه الإسلام بذمة أو هدنة أو أمان.

فصل: مصطلح الجهاد

وكذلك مفهوم الجهاد في الإسلام، الذي يتعرض لأعتى هجمات التشويه، من قبل أعداء الدين من مستشرقين ومستغربين وعلمانيين وغيرهم، بدعوى أنه مفهوم يتنافى مع مبادئ حقوق الإنسان التي شرعوها، وأنه إنما يعني: سفك الدماء ونشر القتل وإحداث الدمار، وقد تأثر بهذه الحملة

---

[١] أحكام القرآن، (ج١/ص١٥٥).
[٢] تفسير القرآن العظيم، (ج٢/ص١١). انظر: جامع البيان، الطبري، (ج٨/ص٣٩-٤٠).
[٣] السيل الجرار، (ص٨٦٧).

التغريبية كثيرٌ من المسلمين حتى باتوا يستحيون من ذكر هذا المصطلح العظيم؛ خشية اتهامهم بالإرهاب! واستبدلوا به مصطلحات فضفاضة لا تؤدي ما أراده الشارع من هذه الكلمة العظيمة، استبدلوا به لفظ المقاومة وحق الدفاع عن النفس، وغير ذلك من الألفاظ التي شرعتها وأقرتها دساتير الأمم المتحدة وغيرها؛ مجاراةً منهم للتيار الجارف من العلمانيين والليبراليين الجدد رموزًا وكتّابًا وأدباء وصحفيين وباحثين وغيرهم، مما رجع سلبًا على الجهاد وأهله؛ حيث أدى ذلك إلى إدخال جماعات وأحزابٍ وفصائل لا تمت إلى الجهاد بصلة في مدلول هذا المصطلح العظيم؛ كحزب الله الرافضي وحركة فتح العلمانية وغيرهما، بل إنه يدخل في هذه الألفاظ من ليس من هذه الملة الغراء؛ كالجيش الإيرلندي، والحركة الشعبية الصليبية، والجبهة الشعبية الشيوعية وغيرها؛ وذلك بجامع أن كل من يدفع عن بلاده العدو الصائل يسمى مقاومًا، وكل من يقاتل محتلًّا يسمى مقاومًا، أما لفظ الجهاد ومصطلحه فهو أعمق وأوضح، وله مدلولاته وأبعاده العظيمة في نفوس أبناء الأمة؛ فعندما يطلق لفظ الجهاد يخرج منه كل من لم يقاتل في سبيل الله، سواء قاتل لعصبية أو قومية أو وطنية أو لمال أو منصب أو جاه أو أرض أو غيرها، وإن صُبغ ذلك ببعض الشعارات الإسلامية زورًا وبهتانًا، فإن قيل: يا فلان؛ لقد حجرت واسعًا، قلت: لعمر الله ليس كذلك، بل هو دين الله وشرعه، ولكن أنتم ممن ميع دين الله وجعله كثوب السابري، روى البخاري عن أبي موسى -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرَّجلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قال ﷺ: "مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ"[1].

ومثل هذا المصطلح ما فتن به كثير من رجالات الدعوة اليوم، وظنّوه طريقًا للتمكين لدين الله وشرعه، ورموا كل من لا يوافقهم عليه بكل نقيصة، وهو ما يعرف اليوم بعلم السياسة، المأخوذ عن كفرة الغرب والشرق، وفتنته اليوم كفتنة علم الكلام، يوم أن ظهر للصد عن دين الله الحق، والإعراض عن هدي الكتاب والسنة، وكلاهما مما جاءنا من كفرة الغرب أساسًا مع فسادهما في أنفسهما، قال ابن القيم: (وتقسيم بعضهم طرق الحكم إلى شريعة وسياسة: كتقسيم غيرهم الدين إلى شريعة وحقيقة، وكتقسيم آخرين الدين إلى نقل وعقل، وكلُّ ذلك تقسيم باطل، بل السياسة والحقيقة والطريقة

---

[1] متفق عليه، واللفظ للبخاري.

والعقل؛ كلُّ ذلك ينقسم إلى قسمين: صحيح، وفاسد؛ فالصحيح قسم من أقسام الشريعة لا قسيم لها، والباطل ضدُّها ومنافيها، وهذا الأصل من أهم الأصول وأنفعها، وهو مبني على حرف واحد؛ وهو عموم رسالته ﷺ بالنسبة إلى كلِّ ما يحتاج إليه العباد في معارفهم وعلومهم وأعمالهم، وأنه لم يُحْوِج أمته إلى أحد بعده)[1]، وقال طاش كبري زاده في مفتاح السعادة: (وأما الذين يقولون: لا بد للشرع من انضمام السياسة؛ فهذا خطأ الجهلة والعوام؛ إذ الشرع لا يحتاج إلى غيره، ومضمون قولهم هذا: أن الشرع لم يرد بما يكفي في السياسة، فاحتجنا إلى تتمة من آرائنا [...] وكيف يحتاج الشرع إلى السياسة؟ والأنبياء تكمل بهم أمور الدارين، وما يصلح به البشر كليًّا علميًّا وعمليًّا وذوقيًّا وكشفيًّا وشهودًا، سيما ولا أكمل ولا أفضل مما نطق به خير البشر، وأشار إليه سيد الأنبياء، حتى لو اجتمع عقول العقلاء، وفهوم الحكماء والأصفياء: لم يقدروا المزيد عليها ولو بجزء من ألف ألف جزء من ذرة صغيرة)[2].

وإنما أعرض من أعرض عن الكتاب والسنة هنا فتنة بهذه الجهالات أولًا، ثم جهلًا بالكتاب والسنة وما فيهما من خير وهدى ورشاد ثانيًا، ومن جهل شيئا عاداه؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فلا يعدلُ أحدٌ عن الطُّرق الشَّرعيَّة إلى البدعيَّة إلا لجهل، أو عجزٍ، أو غرضٍ فاسدٍ)[3].

ولا والله ما كان المسلمون في حاجة لما يسوسون به دنياهم بما يحقق لهم خير الدين والدُّنيا بشيء خارج عن الكتاب والسنة، وهم من أقام أعظم مملكة عرفها تاريخ البشر قاطبة، سياسة ونظامًا وحكمًا وعدلًا، وكيف للمسلمين أن يستبدلوا بالكتاب والسنة غيرهما، وهما ما أنزلا أصلًا إلا لسياسة الدُّنيا بشرع الله المطهر؟! وقد قيل: (جميع العلم في القرآن، لكن تقاصر عنه أفهام الرجال)[4]، وقد جاء عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: (من أراد العلم فليقرأ القرآن؛ فإن فيه علم الأوَّلين والآخرين)[5].

---

[1] أعلام الموقعين، (ج٥/ص٤١١-٤١٢).
[2] (ج١/ص٣٨٢).
[3] مجموع الفتاوى، (ج١١/ص٦٢٥).
[4] منسوب لعلي وابن عباس -رضي الله عنهما- دون سند، ومنهم من ذكره كبيت شعري وآخرون غير ذلك.
[5] رواه ابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد (ص١٢٩) باختلاف يسير (إسناده صحيح).

وقد أحسن القائل:

كُلُّ الْعُلُومِ سِوَى الْقُرْآنِ مَشْغَلَةٌ *** إِلَّا الْحَدِيثَ وَعِلْمَ الْفِقْهِ فِي الدِّينِ
الْعِلْمُ مَا كَانَ فِيهِ قَالَ حَدَّثَنَا *** وَمَا سِوَى ذَاكَ وِسْوَاسُ الشَّيَاطِينِ[1]

قال شيخ الإسلام: (العلماء إذا أقاموا كتاب الله وفقهوا ما فيه من البينات التي هي حجج الله، وما فيه من الهدى، الذي هو العلم النافع والعمل الصالح، وأقاموا حكمة الله التي بعث الله بها رسوله ﷺ وهي سنته: لوجدوا فيها من أنواع العلوم النافعة ما يحيط بعلم عامة الناس، ولميزوا حينئذ بين المحق والمبطل من جميع الخلق، بوصف الشهادة التي جعلها الله لهذه الأمة؛ حيث يقول عز وجل: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: ١٤٣]، ولاستغنوا بذلك عما ابتدعه المبتدعون من الحجج الفاسدة، التي يزعم الكلاميون أنهم ينصرون بها أصل الدين، ومن الرأي الفاسد الذي يزعم القياسيون أنهم يتمّون به فروع الدين)[2].

وقال –رحمه الله–: (المقصود أن يُعرف أنَّ الصَّحابة خير القرون وأفضل الخلق بعد الأنبياء، فما ظهر فيمن بعدهم ممَّا يظنُّ أنَّها فضيلةٌ للمتأخِّرين ولم تكن فيهم فإنَّها من الشَّيطان، وهي نقيصةٌ لا فضيلةٌ، سواءٌ كانت من جنس العلوم أو من جنس العبادات، أو من جنس الخوارق والآيات أو من جنس السِّياسة والمُلك، بل خير النَّاس بعدهم أتبعهم لهم)[3].

فصل: المصطلحات الموهمة لمعنى باطل

بل إن القرآن الكريم قرر لنا قاعدة هامة: وهي عدم جواز استخدام المصطلح الذي قد يوهم معنى باطلًا، وإن كان هذا المعنى الباطل غير مرادف لهذا المصطلح أصلًا، بل ولم يخطر ببال المتكلم؛ فكيف بما هو فوق ذلك من المصطلحات المتضمنة للمعاني الباطلة في أصل وضعها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [البقرة: ١٠٤]، قال السعدي –رحمه الله–: (كان المسلمون يقولون حين خطابهم للرسول عند تعلمهم أمر الدين:

[1] البيتان للشافعي، ديوان الشافعي (ص١١٣).
[2] اقتضاء الصراط المستقيم، (ج٢/ص١٠٥).
[3] مجموع الفتاوى، (ج٢٧/ص٣٩٤).

{رَاعِنَا}، أي: راعِ أحوالنا، فيقصدون بها معنى صحيحًا، وكان اليهود يريدون بها معنى فاسدًا، فانتهزوا الفرصة، فصاروا يخاطبون الرسول بذلك، ويقصدون المعنى الفاسد، فنهى الله المؤمنين عن هذه الكلمة سدًّا لهذا الباب)[١]، ونحو هذا قوله ﷺ: "لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ لِلْعِنَبِ الْكَرْمُ؛ فَإِنَّ الْكَرْمَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ"[٢]، قال الخطابي -رحمه الله-: (إنما نهاهم عليه السلام عن تسمية هذه الشجرة كرمًا؛ لأن هذا الاسم مشتق عندهم من الكرم، والعرب تقول رجل كرم، بمعنى: كريم، وقوم كرم، أي: كرام [...] فأشفق ﷺ أن يدعوهم حسن اسمها إلى شرب الخمر المتخذة من ثمرها، فسلبها هذا الاسم وجعله صفة للمسلم الذي يتوقى شربها، ويمنع نفسه الشهوة فيها، عزّة وتكرّمًا)[٣]، وقال ابن القيم: (ومَن عرف سرَّ تأثير الأسماء في مسمَّياتها نُفرةً وميلًا عرف هذا، فسلبها النبي ﷺ هذا الاسم الحسن، وأعطاه ما هو أحق به منها، وهو قلب المؤمن)[٤].

والناظر في تاريخ الإحداث في دين الله؛ يجد أن المصطلحات المجملة التي قد يُفهم منها معان بعضها حق وبعضها باطل: كانت هي من أهم طرائق المبتدعة لإبطال الحق وإحقاق الباطل تسترًا خلفها ولوذًا بها، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وأمَّا الألفاظُ الَّتي ليست في الكتاب ولا في السُّنَّةِ، ولا اتَّفق السَّلف على نفيها أو إثباتها: فهذه ليست على أحدٍ أن يوافق من نفاها أو أثبتها حتَّى يستفسر عن مراده، فإن أراد بها معنًى يوافق خبر الرَّسُولِ ﷺ أقرَّ به، وإن أراد بها معنًى يخالف خبر الرَّسُولِ ﷺ أنكره.، ثمَّ التَّعبير عن تلك المعاني؛ إن كان في ألفاظه اشتباهٌ أو إجمالٌ: عُبِّر بغيرها أو بيَّن مُرادهُ بها؛ بحيث يحصل تعريفُ الحقِّ بالوجه الشَّرعي؛ فإنَّ كثيرًا من نِزَاعِ النَّاس سببه ألفاظٌ مجملةٌ مبتدعةٌ، ومعانٍ مشتبهةٌ)[٥].

فالنجاة هي في التمسك بما جاء به الشرع، وما كان عليه الصحابة -رضي الله عنهم-؛ فنطلق ما أطلقوا من الألفاظ والمصطلحات، ونسكت عما عنه سكتوا، قال أبو حامد الغزالي: (ما سكت

---

[١] تيسير الكريم الرحمن، (ص٦١).
[٢] رواه مسلم وأحمد وأبو داود والبخاري في الأدب المفرد.
[٣] معالم السنن، (ج٤/ص١٣٠-١٣١).
[٤] تهذيب سنن أبي داود، (ج٣/ص٣٧٧).
[٥] مجموع الفتاوى، (ج١٢/ص١١٤).

عنهُ الصحابةُ معَ أنَّهم أعرفُ بالحقائقِ وأفصحُ بترتيبِ الألفاظِ مِن غيرِهم، إلَّا لعلمِهِم بما يتولَّدُ منهُ من الشرِّ)[١].

فصل: المصطلح في الخطاب الدعوي

إن قضية المصطلح في الخطاب الدعوي قضية عظيمة الأهمية جدًّا؛ إذ المصطلح يتجاوز صورته الظاهرة كمجموعة حروف أو كلمات بما هو أكثر أبعادًا وأعظم غورًا؛ ذلك أن المصطلح في خطاب الداعية هو المعبر الأول عن الهوية، كما أنه المعبر عن درجة الانتماء لهذه الهوية؛ فإن اللسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (اعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل، والخُلُق، والدِّين تأثيرًا قويًّا بينًا، ويؤثر أيضًا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخُلُق)[٢]، ومن ثم كان التمسك بالمصطلح الشرعي علامة على زيادة العقل والدين والخُلُق، مع كونه في الوقت نفسه علامة على الاستعلاء والاعتزاز بالموروث الأصيل، وعدم التبعية الممقوتة والضعف والانهزامية للوافد الدخيل، وهذه الأمور كلها من أظهر مقومات صحة الأمة وعافيتها، ودلائل قوتها وثقتها بنفسها، فضلًا عن كونها صفات ذاتية للطائفة المنصورة.

ثم إن أهل الطائفة المنصورة في دعوتهم الخلق للحق: لا يخاطبونهم بلغة مجملة مضطربة هروبًا من التصريح بما يجب التصريح به؛ كما لا يخاطبونهم بتكلفٍ وتقعرٍ مذموم، أو بمصطلحات مولّدة غريبة، قد تحمل من الباطل أكثر مما تحمله من حق، فضلًا عما فيها من هجر للمصطلحات الشرعية، وهم في ذلك كله ينطلقون من القرآن الكريم ذلك الكتاب المعجز، فخطابهم الدعوي خطاب قرآني في لغته، كما أنه قرآني في مضمونه؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠-٧١]، فأمرنا الله تعالى بأن نقول قولًا سديدًا، والقول السديد: هو ما كان سديدًا في معناه،

---

[١] إحياء علوم الدين، (ج١/ص٣٤٨).

[٢] اقتضاء الصراط المستقيم، (ج١/ص٥٢٧).

سديدًا في مبناه، تبعًا للمخاطب به، وأسدُّ القول وأحسنه: قول الله سبحانه وتعالى الذي أنزل للناس كافة.

إن الخطاب الدعوي لأهل الطائفة المنصورة يتميز عن غيرهم بميّزات؛ منها:

أولًا: عدم التكلف في العبارة؛ فالتكلف مذموم مطلقًا، وقد جاءت الشريعة بالنهي عنه، ومن أسوأ التكلف: التكلف في الخطاب الدعوي بتشديق الكلام، والتقعر به والتفاصح فيه، والولع بالتراكيب اللغوية المتكلفة، والتفنن فيها والاهتمام الزائد بها، والذي يصل في أحيان كثيرة إلى التفريط في المضمون لصالح الشكل، مع ترك الاسترسال السلس في العبارة والكلمات قريبة التداول سريعة الوصول للعقول والقلوب، شغفًا بهذه التراكيب لدعم البلاغة والرصانة في العرض، والعمق والجدية في الطرح، وليس هذا من ذاك في شيء؛ فالقرآن الكريم وهو مقياس الفصاحة والبلاغة سهل المأخذ، داني القطاف، ينساب في عذوبة واسترسال إلى القلوب والعقول بغير تكلف، وقد وصف الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بأنه مُبين فقال تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ} [المائدة: ١٥]، وقال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ * نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ} [الشعراء: ١٩٢-١٩٥]، قال ابن كثير: (وقوله تعالى: {بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ}؛ أي: هذا القرآن الَّذي أنزلناه إليك، أنزلناه باللسان العربيّ الفصيح الكامل الشَّامل؛ ليكون بيّنًا واضحًا ظاهرًا، قاطعًا للعُذرِ، مقيمًا للحُجَّة، دليلًا إلى المحجَّة)[1].

فسهولة الخطاب ويسره مع وضوح المقصود وظهوره لا تعني الركاكة، كما أن التكلف وليّ الألفاظ لا يعني البلاغة والبيان، والنبي ﷺ هو أفصح من نطق بالضاد، وقد أوتي جوامع الكلم وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بالبلاغ المبين فقال: {وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} [التغابن: ١٢]، فبلغ ﷺ البلاغ المبين مع امتلاكه ناصية الفصاحة، واعتلائه صهوة البلاغة والبيان، ومع هذا كله فأحاديثه وأقواله ﷺ أبعد ما تكون عن التكلف والتعمق في لفظها ونظمها وتراكيبها، قالت عائشة -رضي الله عنها-: (كان كلامُ رسول الله ﷺ كلامًا فصلًا، يَفْهَمُهُ

[1] تفسير القرآن العظيم، (ج٦/ص١٦٢).

كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ)[١]، وعن أبي ثعلبة الخشني –رضي الله عنه– أن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَى اللَّهِ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي: الثَّرْثَارُونَ الْمُتَفَيْهِقُونَ، الْمُتَشَدِّقُونَ"[٢]؛ قال المناوي: (الثَّرْثَارُونَ: أي الذين يكثرون الكلام تكلفًا وتشدقًا، والثرثرة: كثرة الكلام وترديده، [و]الْمُتَفَيْهِقُونَ: أي الذين يتوسعون في الكلام، ويفتحون به أفواههم، ويتفصحون فيه، [و]الْمُتَشَدِّقُونَ: الذين يتكلمون بأشداقهم ويتمقعرون في مخاطبتهم)[٣].

فَهمُّ أهل الطائفة المنصورة الأكبر في دعوتهم الخلق إلى الحق: هو إيصال هذا الحق إلى القلوب والعقول؛ لتعقل عن الله دينه وشرعه، لا لإظهار القدرات اللغوية والمهارات الأدبية والتصرف في فنون القول؛ مما يخرج بالدعوة عن هدفها ومقصودها الأساس، والمتأمل في كتبه ورسائله ﷺ، التي كان يرسلها للدعوة: يجد فيها التركيز على إيصال الدعوة للغير، والإفصاح عن مقصودها دون تكلف لفظ أو ترتيب، وإنما هو وضوح المقصد وسلاسة العبارة وقوة المنطق ونفاذ المعنى، وعلى هذا جرى خير من حمل هذا الدين في دعوة الناس إليه؛ قال الشاطبي –رحمه الله–: (وعلى هذا النَّحو مرَّ السَّلف الصَّالح في بثِّ الشَّريعة للمؤالف والمخالف، ومن نظر في استدلالهم على إثبات الأحكام التكليفيَّة: علم أنَّهم قصدوا أيسر الطُّرق وأقربها إلى عقول [المخاطبين و] الطَّالبين، لكن من غير ترتيبٍ متكلَّف ولا نظمٍ مؤلَّفٍ، بل كانوا يرمون بالكلام على عواهنه، ولا يبالون كيف وقع الكلام في ترتيبه، إذا كان قريب المأخذ سهل المُلتمس)[٤].

ثانيًا: البعد عن الإجمال الملبس، الذي يوقع المدعو في الحيرة والتخبط، فلا يدري معه ما الذي يريده الله منه، فقد أنزل الله تعالى كتابه مفصلًا، خاصة فيما يتعلق بأصل الدين من الإيمان والتوحيد، وما يتعلق بما يجب فعله، وما يجب تركه من الواجبات والمحرمات، فكان الإجمال في هذه المواضع عند العلم بالتفصيل، من الكتمان الذي حرمه الله وتوعد صاحبه؛ قال تعالى: {وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ

---

[١] رواه أحمد، وأبو داود، والتِّرْمِذِيُّ، والنسائي، وابن أبي شيبة، وغيرهم، باختلاف يسير. قال الأرنؤوط: إسناده حسن من أجل أسامة بن زيد: وهو الليثي، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين.

[٢] رواه ابن حبان واللفظ له، وأحمد، والتِّرْمِذِيُّ، وقال: حديث حسن.

[٣] فيض القدير، (ج٣/ص٤٦٤).

[٤] الموافقات، (ج١/ص٧٠-٧١).

مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} [الأنعام: ١٢٦]، قال السعدي -رحمه الله-: (أي: معتدلًا، موصلًا إلى الله، وإلى دار كرامته، قد بُينت أحكامه، وفُصلت شرائعه، وميز الخير من الشر)[١]، وقال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ} [التوبة: ١١٥]، فالتفصيل لمسائل الدين الكبار ومسائله الأصلية: مانع من الضلال ووقاية من الانحراف؛ فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الْمُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ"[٢].

وهذا الإجمال غالبًا ما يكون دافعه الجهل أو إيثار السلامة، وكلاهما مما لا يتحقق معه وضوح وبيان الخطاب الدعوي، وإن المتأمل لحال أهل العلم في عصرنا: ليلمس أن إيثار السلامة هو السمة العامة لكثير منهم إلا من رحم ربي؛ فكثر الإجمال في مقالهم، وعمّ التلبيس في كتاباتهم، وسكتوا عن ظلم الطواغيت، وتنكيلهم بأهل الحق الصادعين بالصدق، وليتهم إذ جبنوا عن الصدع بالحق: كفوا ألسنتهم وأمسكوا أقلامهم عن الطعن في أهل الحق المجاهدين، الذين عقدوا على عاتقهم نصرة هذا الدين وتبليغه للعالمين، وقد نص العلماء على أن الإجمال فيما حقُّه التفصيل والبيان: هو من زلة العالم التي تُحذَر ويُحذَّر منها، والتي يتولد منها شر مستطير وفساد عظيم، قال المناوي: «(احذروا زلة العالِم»؛ أي: احذروا الاقتداء به فيها ومتابعته عليها)، ثم ذكر أمثلة لذلك؛ ومنها: (تسارعه إلى الجواب من رأس القلم أو اللسان، وإجماله في محل التفصيل والبيان، فهذه ذنوب يتبع العالم فيها العالِم، فيموت العالِم ويبقى شره مستطيرًا في العالم)[٣].

اللهم ارزقنا أن نكون بكتابك وسنة نبيك ﷺ من المتمسكين، وبحقهما من القائمين، وإليهما من الداعين، وعنهما من المنافحين.

---

[١] تيسير الكريم المنان، (ص٢٧٣).
[٢] متفق عليه.
[٣] فيض القدير، (ج١/ص١٨٧).

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}،

والحمد لله رب العالمين.

المُحاضَرَةُ الخامِسَة: {وَاللهُ أحقُّ أنْ تَخشَوْهُ}

١١ رمضان ١٤٢٦ هـ || ١٤ أكتوبر ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فإنَّ المتأمِّلَ في أحوالِ أُولي الأمر من العُلماءِ والأمراء: ليجدُ أنَّ مراتبهم في نفوسِ الخلقِ تتفاوت، سُمُوًّا ورفعة، وخفضًا وضَعَة، بحسب اقتران فعالهم بأقوالهم؛ فإن النفوس فطرت على تعظيم وتقدير من أتبع قوله فعله، والعكس بالعكس.

ولذا كان اقتضاءُ القول العمل أحد الأسس التي تقوم عليه الدعوة عند أهل الطائفة المنصورة؛ إذ هو دليل صدق الدعوة، ودليل صدق أصحابها، وعلامة يقينهم فيما يدعون الناس إليه، بل هو ذاته دعوةٌ أبلغ من دعوة القول؛ إذ قد فطر الله النفوس على أن تستجيب للسان الحال أعظمَ من استجابتِها للسان المقال؛ ولذا فكلَّما اتسعت مسافة الخُلفِ بين القول والعمل كلما قل تأثير القول في المدعوين، فكان عِيّ الفعال كَعِيِّ المقال، بل هو أشد.

وقد نهى الله تعالى عن مخالفة العمل للقول؛ فقال سبحانه: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٤٤]، قالَ القُرطبي: (هَذَا اسْتِفْهَامٌ معناه التَّوْبِيخُ، وَالْمُرَادُ فِي قَوْلِ أَهْلِ التَّأْوِيلِ: عُلَمَاءُ الْيَهُود؛ قَالَ ابْن عَبَّاس: «كَانَ يَهُودُ الْمَدِينَةِ يَقُولُ الرَّجُل مِنْهُمْ لِصِهْرِهِ وَلِذِي قَرَابَته، وَلِمَنْ بَيْنه وَبَيْنه رَضَاعٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: أُثْبُتْ عَلَى الَّذِي أَنْتَ عَلَيْهِ، وَمَا يَأْمُرك بِهِ هَذَا الرَّجُلُ -يُرِيدُونَ مُحَمَّدًا ﷺ-؛ فَإِنَّ أَمْره حَقٌّ. فَكَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاس بِذَلِكَ، وَلَا يَفْعَلُونَهُ»[١])[٢].

---

[١] نقله الواحدي في أسباب التنزيل (ص٢٤) بسند معضل عن أبي صالح عن الكلبي عن ابن عباس، قال السيوطي في الإتقان: أوهى طرق التفسير عن ابن عباس (إسناده ضعيف جدًّا).

[٢] الجامع لأحكام القرآن، (ج١/ص٥٦).

وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: ٢-٣]؛ قال السعدي: (أي: لَمِ تقولون الخير، وتحثون عليه، وربما تمدحتم به، وأنتم لا تفعلونه، وتنهون عن الشر، وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون متصفون به؟ فهل تليقُ بالمؤمنين هذه الحالة الذميمة؟ أم مِن أكبرِ المقت عند الله، أن يقول العبد ما لا يفعل؟ ولهذا ينبغي للآمر بالخير: أن يكون أول الناس إليه مبادرة، وللناهي عن الشر: أن يكون أبعد الناس عنه)[1].

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: (فمن وافق قولُه فعلَه فذاك الَّذي أصابَ حظَّه، ومن خالف قولُه فعله فإنَّما يُوبِّخ نَفسهُ)[2].

ومن حديث أسامةَ بن زيد -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: "يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَما يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ؛ ما شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنا بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهانا عَنِ المُنْكَرِ؟ قالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ"[3].

وعن أنس -رضي الله عنه- قال، قال رسول الله ﷺ: "رَأَيْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي رِجَالًا تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ النَّارِ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ فَقَالَ: «الْخُطَبَاءُ مِنْ أُمَّتِكَ؛ يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَنْسَوْنَ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ، أَفَلَا يَعْقِلُونَ؟»"[4]، وقد ترجم ابن حبان -رحمه الله- لهذا الحديث بقوله: (ذكر وصف الخطباء الَّذين يتَّكلون على القول دون العمل حيث رآهم ﷺ ليلة أسري به)، فكان مَثَل من خالف عمله قوله:

كَحَامِلٍ لِثِيَابِ النَّاسِ يَغْسِلُهَا *** وَثَوْبُهُ غَارِقٌ فِي الرِّجْسِ وَالنَّجَسِ[5]

---

[1] تيسير الكريم الرحمن، (ص٨٥٨).
[2] رواه أحمد في الزهد (ص١٣٢).
[3] رواه البخاري.
[4] رواه ابن حبان (إسناده صحيح).
[5] بيت للشافعي، ديوان الشافعي (ص٧٥).

ولقد كان أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام يدعون الناس بأفعالهم قبل دعوتهم إيَّاهم بأقوالهم، فكانوا -عليهم السلام- أولَ مبادر لما يأمرون به، وأوَّل منتهٍ عما ينهون عنه، قال تعالى عن شعيبٍ عليه السلام أنه قال لقومه: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ} [هود: ٨٨]، قال ابن جرير: (يَقُول: وَمَا أُرِيد أَنْ أَنْهَاكُمْ عَنْ أَمْرٍ، ثُمَّ أَفْعَل خِلَافه، بَلْ لَا أَفْعَل إِلَّا مَا آمُرُكُمْ بِهِ، وَلَا أَنْتَهِي إِلَّا عَمَّا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ)[١]، وتأمّل مليًّا قوله تعالى في قصة نبيه الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسُفَ -عليه السلام-: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} [يوسف: ٣٦]، فرؤيتهما له -عليه السلام- من المحسنين هي التي دعتهما للركون إليه والثقةِ في قوله، فكان حاله -عليه السلام- أسبق وأسرع وأشد في التأثير في نفسهما من مقاله، بل كان هذا الحال هو الأساس الذي قامت عليه دعوة المقال بعد ذلك.

فصل: موافقة القول للعمل[٢]

إن للفعل تأثيرًا في النفوس يفوق تأثير القول المجرد مما يجعل استجابتها للفعل أكثر من استجابتها للقول، وقد قامت الدلائل الكثيرة على ذلك؛ منها: ما رواه ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: (اتَّخَذَ النَّبِيُّ ﷺ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ، فَاتَّخَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَمًا مِنْ ذَهَبٍ"، فَنَبَذَهُ وَقَالَ: "إِنِّي لَنْ أَلْبَسَهُ أَبَدًا"، فَنَبَذَ النَّاسُ خَوَاتِيمَهُمْ)[٣]، وقد استنبط أهل العلم من هذا الحديث: أن الفعل أبلغ من القول، ومما يدل على ذلك أيضًا ما جاء في قصة صُلح الحديبية؛ وفيها: (فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ قَضِيَّةِ الْكِتَابِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِأَصْحَابِهِ: "قُومُوا فَانْحَرُوا ثُمَّ احْلِقُوا"، قَالَ: فواللهِ مَا قَامَ مِنْهُمْ رَجُلٌ حَتَّى قَالَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا لَمْ يَقُمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ دَخَلَ عَلَى أُمِّ سَلَمَةَ فَذَكَرَ لَهَا مَا لَقِيَ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ؛ أَتُحِبُّ ذَلِكَ؟ اخْرُجْ ثُمَّ لَا تُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ

---

[١] جامع البيان، (ج١٢/ص٥٤٩).

[٢] تعليق إتقان: العناوين الفرعية هي زيادة مقترحة لفهم سياق الكلام.

[٣] رواه البخاري.

كَلِمَةً حَتَّى تَنْحَرَ بُدْنَكَ وَتَدْعُوَ حَالِقَكَ فَيَحْلِقَكَ، فَخَرَجَ فَلَمْ يُكَلِّمْ أَحَدًا مِنْهُمْ حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ؛ نَحَرَ بُدْنَهُ وَدَعَا حَالِقَهُ فَحَلَقَهُ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ قَامُوا فَنَحَرُوا، وَجَعَلَ بَعْضُهُمْ يَحْلِقُ بَعْضًا)[١]، وقد انتزع أهلُ العلم من هذا الحديث أن البيان بالفعل أقوى من البيان بالقول، وقال الإمام مالك: بلغني أن القاسمَ بن محمَّدٍ كان يقول: (أدركت النَّاس وما يَعْجَبُونَ بالقول)، قال مالكٌ: (يريد بذلك العمل، إنَّما يُنظرُ إلى عمله، ولا يُنظرُ إلى قوله)[٢].

ومن المعلوم أن مخالفة العملِ للقول: مما يؤدي إلى أعظم ما يكون من الفساد والفتنة في الدين؛ حيث يختلط عند الناس الحق بالباطل، بل ويكون الدين في أعينهم في صورة شديدة، من جراء ما يرونه من مفارقة العمل للقول في واقع حَمَلَة الدين ورجاله المتحدثين باسمه، وما أفقه قول وهيبٍ حيث قال: (ضُرب مثلٌ لعُلماء السُّوءِ فقيل: إنَّما مثلُ عالمِ السُّوءِ كمثل الحجر في السَّاقية، فلا هو يشربُ الماء، ولا هو يُخلِي الماء إلى الشَّجرة، فتحيا به)[٣]! قال ابن القيم: (علماءُ السُّوْءِ جلسوا على بابِ الجنَّةِ يدعونَ إليها الناسَ بأقوالِهِم ويَدْعونَهُم إلى النار بأفعالِهِم؛ فكلَّما قَالتْ أقوالُهُم للناس: هَلُمُّوا! قالتْ أفعالُهُم: لا تَسْمَعوا منهم! فلو كان ما دَعَوْا إليه حقًّا كانوا أولَ المستجيبين له! فهم في الصورة أدِلَّاءُ وفي الحقيقةِ قُطَّاعُ الطريق)[٤].

ولذا فإنَّ أبصارَ المدعوين شاخصةٌ نحو الدعاة، تحصي عليهم كل شيء وإن دق؛ إذ لما نصَّبوا أنفسهم لدعوة الناس: نصَّب الناسُ إليهم وجوههم، وقد قال تعالى في حقِّ أُمَّهات المؤمنين -رضي الله عنهن-: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [الأحزاب: ٣٠]، وما ذاك إلا لأنهن قُدوات، مع ما فيه من صيانةٍ لجنابهن وجناب رسول الله ﷺ، فلما كانت مكانتهنّ رفيعة: ناسَب أن يجعل الله الذنب الواقع منهم عقوبتُهُ مغلظة؛

---

[١] رواه البخاري.
[٢] الموطأ رواية أبي مصعب، (ج٢/ص٤٢٠).
[٣] رواه أبو نعيم في الحلية، (ج٨/ص١٤٦).
[٤] الفوائد، (ص٨٥).

فأفاد ذلك أن من عظُمت منزلته وشخصت الأبصارُ إليه: ليس كغيره من الخاملين الذين لا يُؤبَه لهم؛ إذ الأول محل النظر، والاقتداء دون الثاني.

قال ابن القيم: (فقواعدُ الشرع تقتضي أن يُسامَحَ الجاهلُ بما لا يُسامَحُ به العالِم، وأنه يُغْفَرُ له ما لا يُغْفَرُ للعالِمِ؛ فإنَّ حُجَّةَ الله عليه أقْوَمُ منها على الجاهل، وعلمَه بقُبْح المعصية وبُغْض الله لها وعقوبته عليها أعظمُ من علم الجاهل، ونعمةَ الله عليه بما أودعه من العلم أعظمُ من نعمته على الجاهل، وقد دلَّت الشريعةُ وحكمُ الله على أنَّ من حُبِيَ بالإنعام، وخُصَّ بالفضل والإكرام، ثمَّ أسامَ نفسَه مع هَمَل الشهوات، فأرتَعَها في مراتع الهَلَكات، وتجرَّأ على انتهاك الحرمات، واستخفَّ بالتَّبِعات والسيئات: أنَّه يقابلُ من الانتقام والعَتْب بما لا يقابَلُ به من ليس في مرتبته)[1].

فالقاعدة هنا: أنه كلما كانت الدرجة أعلى كان العذاب عند المخالفة أعظم؛ لخصوصية المنزلة والمحل، وقد كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- إذا صعد المنبر فنهى الناس عن شيء جمع أهله؛ فقال: (إِنِّي نَهَيْتُ النَّاسَ عَنْ كَذَا وَكَذَا، وَإِنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ إِلَيْكُمْ نَظَرَ الطَّيْرِ إِلَى اللَّحْمِ، وَأُقْسِمُ بِاللَّهِ لا أَجِدُ أَحَدًا مِنْكُمْ فَعَلَهُ إِلا أَضْعَفْتُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ)[2]، بل إن الداعية قد لا يسعه ما يسع الناس لخصوص منزلته، وخصوص ما نصَّب نفسه له، وعلى هذا جرى الدعاة الهداة، قال الإمام الأوزاعيُّ: (كُنَّا نضحك ونمزح، فلمَّا صرنا يُقتدى بنا خشيتُ ألا يسعنا التَّبسُّمُ)[3]، وقال القاضي عياض: (لا ينبغي لمن يُقتدى به إذا ترخَّصَ في أمرٍ لضرورة، أو تشدَّد فيه لوسوسة، أو لاعتقاده في ذلك مذهبًا شذَّ به عن الناس أن يفعله بحضرة العامة الجهلة؛ لئلا يترخَّصوا بترخصه لغير ضرورة، أو يعتقدوا أن ما يُشدَّد فيه هو الفرض واللازم)[4]، فكيف بما هو فوق ذلك من المخالفات الظاهرة المنادى عليها؟ وقد قيل: إذا اشتغل العلماء بجمع الحلال: صار العوام أكلة الشُبهة، وإذا صار العلماء أكلة الشبهة: صار العوام أكلة الحرام، وإذا صار العلماء أكلة الحرام: صار العوام كفَّارًا.

---

[1] مفتاح دار السعادة، (ج١/ص٥٠٣).
[2] رواه الطبري في تاريخه (ج٤/ص٢٠٧)، ورواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق بنحوه.
[3] رواه البيهقي في المدخل، (ص٣٣٦).
[4] إكمال المعلم بفوائد مسلم، (ج٢/ص٥٣-٥٤).

ومن ثمَّ؛ فالظالم لنفسه بمخالفة عمله لقوله لا يكون إمامًا يقتدى به أبدًا، وهو ما يدل عليه عموم قوله تعالى: {وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لاَ يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٢٤]، عن مجاهدٍ أنه قال في الآية السابقة: (لا أجعل إمامًا ظالمًا يُقْتَدى به)[١]، وإنما لا يكون من خالف عملُه قولَه إمامًا؛ لأن النفوس مجبولةٌ على عدم الانقياد على من يخالف قوله فعله، فاقتداؤهم بالأفعال أبلغ من اقتدائهم بالأقوال المجردة.

وقد قيل:

يَا وَاعِظَ النَّاسِ؛ قَدْ أَصْبَحْتَ مُتَّهَمًا *** إِذْ عِبْتَ مِنْهُمْ أُمُورًا أَنْتَ تَأْتِيهَا[٢]

ومن هذا القبيل: قولُ الإمام عبد الله بن المبارك في إسماعيل بن علية –رحمهما الله جميعًا– لما تولى ولاية للصدقة عند الرشيد؛ حيث كتب له يقول:

يَا جَاعِلَ العِلْمِ لَهُ بَازِيًا *** يَصْطَادُ أَمْوَالَ المَسَاكِيْنِ
احْتَلْتَ لِلدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا *** بِحِيْلَةٍ تَذْهَبُ بِالدِّيْنِ
فَصِرْتَ مَجْنُوْنًا بِهَا بَعْدَ مَا *** كُنْتَ دَوَاءً لِلْمَجَانِيْنِ
أَيْنَ رِوَايَاتُكَ فِيْمَا مَضَى *** عَنِ ابْنِ عَوْنٍ وَابْنِ سِيْرِيْنَ؟
وَدَرْسُكَ العِلْمَ بِآثَارِهِ *** فِي تَرْكِ أَبْوَابِ السَّلاَطِيْنِ؟
تَقُوْلُ: أُكْرِهْتُ، فَمَاذَا؟ كَذَا *** زَلَّ حِمَارُ العِلْمِ فِي الطِّيْنِ
لاَ تَبعِ الدِّيْنَ بِالدُّنْيَا كَمَا *** يَفْعَلُ ضُلاَّلُ الرَّهَابِيْنِ[٣]

هذا وابن علية ابن علية، والرشيد الرشيد.

وعن سفيان الثوري قال: (المال داءُ هذه الأمَّة، والعالمُ طبيبُ هذه الأمَّة؛ فإذا جرَّ العالم الدَّاء إلى نفسه، فمتى يُبرِئُ النَّاس؟)[٤].

---

[١] رواه الطبري في تفسيره، (ج٢/ص٥١٣).
[٢] البيت لأبي العتاهية. انظر: الأغاني للأصفهاني (ج٤/ ص٣٨)، وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (ج١/ص٦٧١).
[٣] رواها ابن عبد البر في الجامع (ج١/ص٦٣٧). انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، (ج٩/ص١١٠).
[٤] هذا اللفظ ذكره الذهبي في السير (ج٧/ص٢٤٣)، ورواه أبو نعيم في الحلية (ج٦/ص٣٦١)، والبيهقي في الشعب (ج٢/ص٣٠٧) باختلاف يسير.

قال المناوي[١]: (فانظر إذا كُنتَ إمامًا أيَّ إمامٍ تكون، فربَّما نجتِ الأمَّة بالإمامِ الواحد، وربَّما هلكت بالإمام الواحد؛ وإنَّما هما إمامان؛

إمام هدًى: قال الله عز وجلَّ: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا} [السجدة: ٢٤]، يعني: على الدُّنيا، وإنَّما صاروا أئمَّةً حين صبروا عن الدُّنيا، ولا يكون إمامُ هُدًى حَجَّةً لأهل الباطل فإنَّه قال: {يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا} [السجدة: ٢٤]، لا بأمر أنفسهم، ولا بأمور النَّاس.

وإمامٌ آخر: قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ} [القصص: ٤١]، ولا تجد أحدًا يدعو إلى النَّار، ولكنَّ الدُّعاةَ إلى معصية الله. فهذان إمامان هما مثلٌ من الَّذين خلوا من قبلكم وموعظةٌ للمتقين)[٢].

ومتى خالف العمل القول: فقد القول مصداقيته، وشك المدعوون في يقين قائله فيه؛ إذ لو كان القائل على يقين من صحة وصدق ما يدعو إليه: لكان أول مبادر إليه مستمسك به، قال المناوي: (منزلة الواعظ من الموعوظ كالمُداوي من المداوى، فكما أن الطبيب إذا قال للناس: لا تأكلوا كذا فإنه سم، ثم رأوه يأكله: عُدّ سخرية وهزوًا؛ كذا الواعظ إذا أمر بما لم يعمله، ومن ثم قيل: يا طبيب طب نفسك، فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من المطبوع، فكما يستحيل انطباع الطين من الطابع بما ليس منتقشًا فيه، فمحال أن يحصُل في نفس الموعوظ ما ليس في نفس الواعظ)[٣].

لا تَنهَ عَن خُلُقٍ وَتَأتِيَ مِثلَهُ *** عارٌ عَلَيكَ إِذا فَعَلتَ عَظيمُ
ابدأ بِنَفسِكَ وَانهَها عَن غَيِّها *** فَإِذا انتَهَت عَنهُ فَأَنتَ حَكيمُ
فَهُناكَ يُقبَلُ ما وَعَظتَ وَيُقتَدى *** بِالعِلمِ مِنكَ وَيَنفَعُ التَعليمُ[٤]

---

[١] الصواب من قاله سعيد بن العباس الرازي.
[٢] رواه أبو نعيم في الحلية (ج١٠/ص٧٠).
[٣] فيض القدير، (ج١/ص٧٨).
[٤] أبيات لقصيدة أبي الأسود الدؤلي، انظر: ديوان أبي الأسود، جمع أبي سعيد السكري، (ص٤٠٤).

فصل: معرفة الحق لا ترتبط بالرجال

إن أهل الطائفة المنصورة، وإن كانوا يحفظون لأهل العلم الذين اتبعوا أفعالهم أقوالهم قدرهم ومكانتهم؛ إلا أنه ليس في ميزان أهل الطائفة المنصورة أن يعرفوا الحق بهم، وإنما هم يعرفون الرجال بالحق؛ فالرجال ما هم إلا وسيلة لمعرفة الحق ببيان دليله، وما يقوم عليه، لا أن الحق يعرف بهم، فيدار معهم في جميع أقوالهم وأفعالهم! إذ اتباع الرجال أيًّا كان شأنهم من الدين علمًا وعملًا، بغير حجة قائمة: من أوسع أودية الباطل، ومن أعظم أسباب الضلال، فضلًا عن كونه سبيل ضعاف العقول، وقد اتفق أهل العلم كافة على أن معرفة الحق بالرجال (وهو التقليد): خارج عن طرق العلم وسبله ممن هو دال على كون من عرف الحق بالرجال يسير على غير بصيرة من أمره، وإنما لم يزل بعد في ظلمات الجهل يتخبط؛ قال ابن القيم: (لا خلاف بين الناس أنَّ التقليد ليس بعلم، وأنَّ المقلِّد لا يطلَق عليه اسمُ عالم)[1]، ولما كان العلم هو ما قام عليه الدليل، وكانت معرفة الحق بالرجال خارجةً عن طُرق العلم وسبله: كان من عَدَل عن الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، وعن معرفة الحق بالدليل مع تمكنه منه إلى التقليد، كمن عدل إلى الميتة مع تمكنه إلى المُذكاة؛ فإن الأصل ألا يقبل قول الغير إلا بدليل إلا عند الضرورة، كما قال ابن القيم -عليه رحمة الله-: وقد ذم أتباع الرجال بغير حجة قائمة غاية الذم، بل وجعل ذلك من أعظم أسباب الإعراض عن دينه الذي أنزله وارتضاه[2].

قال تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلاَ يَهْتَدُونَ * وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لاَ يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاء وَنِدَاء صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ} [البقرة: ١٧٠-١٧١]؛ قال القرطبي: (قال علماؤنا: وقُوَّةُ ألفاظِ هذه الآية تعطي إبطالَ التقليد، ونظيرُها: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَى مَا أَنزَلَ اللهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا} [المائدة: ١٠٤])[3]؛ قال الشوكاني في قولهم: {حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءنَا} [المائدة: ١٠٤]: (وقد صارت هذه المقالة الَّتي قالتها الجاهليَّةُ نصب أعيُن المقلدة، وعصاهم التي

---

[1] أعلام الموقعين، (ج١/ص٩٥).
[2] ذكره الزرقاوي بالمعنى. أعلام الموقعين، (ج٣/ص١٥٤-١٥٥).
[3] الجامع لأحكام القرآن، (ج٢/ص١٥).

يتوكؤون عليها إن دعاهم داعي الحقّ، وصرخ لهم صارخ الكتاب والسُّنَّة، فاحتجاجُهم بمن قلَّدوه ممَّن هو مثلهم في التَّعبد بشرع الله، مع مخالفةِ قوله لكتاب الله أو لسنَّة رسوله: هو كقول هؤلاء، وليس الفرق إلَّا في مجرَّد العبارة اللَّفظيَّة، لا في المعنى الذي عليه تدور الإفادة والاستفادة)[1]، وقال الشوكاني في قوله: {أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ} [لقمان: ٢١]: (ما أقبح التَّقليد، وأكثر ضررهُ على صاحبه، وأوخم عاقبته، وأشأم عائدته على من وقع فيه؛ فإنَّ الدَّاعي إلى ما أنزل الله على رسوله كمن يُريدُ أن يذود الفراش عن لهب النَّار لئلا تحترق، فتأبى ذلك وتتهافت في نار الحريق وعذاب السَّعير)[2]، وهذه الآيات السابقة؛ إن كانت قد نزلت أساسًا في الكفار، إلا أنها تشمل بعمومها كل من عرف الحق بالرجال موافقة لهم وتقليدًا بغير حجة من الله وبرهان، أيًّا كان محل التقليد وموضعه؛ إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، مع اختلاف الحكم تبعًا لمحل التقليد وموضعه، قال ابن عبد البر: (ومثل هذا في القرآن كثيرٌ من ذمِّ تقليد الآباء والرُّؤساء، وقد احتجَّ العلماء بهذه الآيات في إبطال التَّقليد، ولم يمنعهم كفر أولئك من الاحتجاج بها؛ لأنَّ التَّشبيه لم يقع من جهة كفر أحدهما وإيمان لآخر، وإنَّما وقع التَّشبيه بين التَّقليدين بغير حجةٍ للمُقلِّد، كما لو قلَّد رجلٌ فكفر، وقلَّد آخر فأذنب، وقلَّد آخر في مسألة دنياه فأخطأ وجهها: كان كُلُّ واحدٍ ملومًا على التَّقليد بغير حجة؛ لأنَّ كلَّ ذلك تقليدٌ يشبه بعضه بعضًا، وإن اختلفت الآثام فيه)[3].

ومعرفة الحق بالرجال موافقة لهم وتقليدًا بغير حجة: هو دين أهل الكتاب، الذي حذرنا الله تعالى من الوقوع فيه، وهو مما كان سبب خروجهم عن الملة التي أنزل الله إليهم؛ قال تعالى: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ} [التوبة: ٣١]؛ عن عدي بن حاتم -رضي الله عنه-، وكان قد قدم على النبي ﷺ وهو نصراني فسمعه يقرأ هذه الآية: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣١]؛ قال: فقلت: يا رسول الله؛ إنَّا لسنا نعبدهم، قال ﷺ: "أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ،

---

[1] فتح القدير، (ج٢/ص٩٤).
[2] المرجع الساق، (ج٤/ص٢٧٨).
[3] جامع بيان العلم وفضله، (ج٢/ص٩٧٧).

وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟"، قال قلت: بلى، فقال ﷺ: "فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ"[1]، قال الربيع بن أنس: (قلت لأبي العالية: كيف كانت الرُّبُوبِيَّةُ في بني إسرائيل؟ قال: كانت الرُّبُوبِيَّةُ أنَّهم وجدوا في كتاب الله ما أمروا به ونهوا عنه، فقالوا: لن نسبق أحبارنا بشيء؛ فما أمرونا به ائتمرنا، وما نهونا عنه انتهينا لقولهم، فاستنصحوا الرِّجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم)[2].

ومن لطيف ما ينشد هنا في بيان حال أمثال هؤلاء، ممن يعرف الحق بالرجال وقوفًا عندهم وإعراضًا عن الكتاب والسنة: قول منذر بن سعيد الْبَلُّوطِيّ حيث قال:

عَذِيرِيَ مِنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ كُلَّمَا *** طَلَبْتُ دَلِيلًا: هَكَذَا قَالَ مَالِكُ!
فَإِنْ عُدْتُ قَالُوا: هَكَذَا قَالَ أَشْهَبٌ *** وَقَدْ كَانَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ المَسَالِكُ
فَإِنْ زِدْتُ قَالُوا: قَالَ سَحْنُونُ مِثْلَهُ *** وَمَنْ لَمْ يَقُلْ مَا قَالَهُ فَهْوَ آفِكُ!
فَإِنْ قُلْتُ: «قَالَ اللهُ» ضَجُّوا وَأَكْثَرُوا *** وَقَالُوا جَمِيعًا: أَنْتَ قِرْنٌ مُمَاحِكُ
وَإِنْ قُلْتُ: «قَدْ قَالَ الرَّسُولُ» فَقَوْلُهُمْ: *** أَتَتْ مَالِكًا فِي تَرْكِ ذَاكَ المَسَالِكُ[3]

وهذا لسان حال، بل ولسان مقال كل من عرف الحق بالرجال: (أتت فلانًا في ذلك المسالك)، وهي شبهة لرد الحق واهية، ومفادها تعطيل الدين بالكلية وتفريغ النصوص من محتواها، ومن المقطوع به عند الجميع أن الحق لا يدور مع معين، إلا النبي ﷺ؛ لأنه لو كان كذلك لوجب اتباعه في كل ما قال، فحال المقلد في الباطل:

وَهَل أنا إلَاّ مِنْ غَزِيَّةَ إنْ غَوَتْ *** غَوِيْتُ وَإنْ تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدِ[4]

وقد رسم أئمة الطائفة المنصورة عبر تاريخها المتصل هذا المعلم الهام من معالم الحق، وأمروا به ونهوا عن ضده؛ فعلي بن أبي طالب –رضي الله عنه– حين قال له الحارث بن عبد الله الأعور: أتظن أن

---

[1] رواه أحمد والتِّرْمِذِيُّ، وحسَّنه.
[2] هذا لفظ ابن تيمية في الإيمان الكبير، مجموع الفتاوى (ج٧/ص٦٧)، ورواه الثعلبي في تفسيره (ج١٣/ص٣٠٧)، ورواه الطبري في تفسيره (ج١١/ص٤٢٠) بنحوه.
[3] جامع بيان العلم وفضلِه، ابن عبد البرّ (ج٢/ ص١١٣٤).
[4] بيت في قصيدة لدريد بن الصمَّة، انظر: جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي (ص٤٦٩) نهضة مصر، الأصمعيات، الأصمعي (ص١٠٧).

طلحة والزبير –رضي الله عنهما– كانا على الباطل؟ فقال علي –رضي الله عنه–: (يا حارث! إنه ملبوسٌ عليك، إنَّ الحقَّ لا يُعرف بالرجال، اعرف الحق تعرف أهله)[١]، وعن أبي مليكة –رحمه الله–: (أن عروة بن الزبير –رحمه الله– قال لابن عَبَّاسٍ: أضللت النَّاس، قال: «وما ذاك يا عُرَيَّةُ؟»، قال: تأمر بالعمرة في هؤلاء العشر، وليست فيهنَّ عمرةٌ، فقال: «أوَ لا تسألُ أُمَّك عن ذلك؟»، فقال عروة: فإنَّ أبا بكرٍ وعمرَ لم يفعلا ذلك! فقال ابن عَبَّاسٍ –رضي الله عنهما–: «هذا الَّذي أهلككم –والله– ما أرى إلا سيعذِّبكم، إنِّي أُحدِّثكم عن النَّبِيِّ ﷺ وتجيئونني بأبي بكرٍ وعمر»)[٢]، وكتب عمر بن عبد العزيز –رحمه لله– إلى النَّاس: (أنَّه لا رأي لأحدٍ مع سُنَّةٍ سَنَّها رسول الله ﷺ)[٣]، ودخل القعنبي –رحمه الله– على مالك فرآه يبكي، فسأله: ما الذي يُبكيك؟ فقال الإمام مالك: (يا ابن قعنَب؛ وما لي لا أبكي؟ ومن أحقُّ بالبكاء منّي؟ لوددت أنِّي ضُربت لكلِّ مسألة أفتيت فيها بالرأي سوطًا، وقد كانت لي السعة فيما قد سُبقت إليه، وليتني لم أُفتِ بالرأي)[٤]، وما أحسن كلمة الشافعي –رحمه الله– لتلميذه المزني! حيث قال له: (يا أبا إبراهيم؛ لا تقلدني في كل ما أقول، وانظر في ذلك لنفسك؛ فإنه دين)[٥]، وقيل للإمام أحمد –رحمه الله–: (إن قومًا يدّعون الحديث ويذهبون إلى رأي سفيان)، فقال –رحمه الله–: (أعجب لقوم سمعوا الحديث وعرفوا الإسناد وصحَّته يدعونه، ويذهبون إلى رأي سفيان وغيره، قال تعالى: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [النور: ٦٣]، وتدري ما الفتنة؟ الكفر، قال الله تعالى: {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ} [البقرة: ٢١٧]، يدعون الحديث عن رسول الله ﷺ، وتغلبهم أهواؤهم إلى الرأي)[٦].

فأهل الطائفة المنصورة يتلمسون الحق من مظانه، فما أعياهم من حكم، أو نزل بهم من نازلة: طلبوا الحق من أصوله المستقرة لغير نظر منهم لما عليه الرجال من ذلك، أحياء كانوا أو أمواتًا، وأهل الطائفة المنصورة أول ما يحاكِمون إلى هذا الأصل أنفسهم، قبل أن يحاكموا غيرهم، فحاشاهم أن

---

[١] اختصره الزرقاوي. رواه البلاذري في أنساب الأشراف (ج٣/ ص٦٤).
[٢] رواه الخطيب البغدادي في الفقيه والمتفقه، (ج١/ص٣٧٧)، ورواه بنحوه ابن عبد البر في التمهيد (ج٨/ص٣٥٩)، وروى مسلم بعضه.
[٣] رواه المرزوي في السنة، (ص٣١)، والآجري في الشريعة، (ج١/ص٤٢٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (ج١/ص٢٦٢)، (إسناده صحيح).
[٤] رواه ابن حزم في الإحكام (ج٦/ص٥٧) ورواه ابن عبد البر في الجامع (ج٢/ص١٠٧٢).
[٥] لم أجده مرويًا عند أحد من المتقدمين. نقله الشعراني لواقح الأنوار (ج١/ص٦٣٤)، والدهلوي في حجة الله البالغة (ج١/ص٢٦٨) دون سند.
[٦] نقله ابن تيمية في الصارم المسلول، (ص٥٧)، وابن مفلح في الفروع (ج١١/ص١٠٧) عن أبي طالب.

يكونوا أصحاب دعوة هم أول من يخالفها، وهم لذلك يضعون على هذا المحك أقوال وأفعال أقرب الناس وأحبهم إليهم؛ من شيخ أو عالم أو أمير و زعيم أو غيره، أو غير ذلك من كل مطاع لهم ومتبع، قال ابن رجب: (وها هنا أمرٌ خفيٌّ ينبغي التَّفطُّن له؛ وهو أنَّ كثيرًا من أئمَّةِ الدِّينِ قد يقولُ قولًا مرجوحًا ويكون مجتهدًا فيه، مأجورًا على اجتهاده فيه، موضوعًا عنه خطؤه فيهِ، ولا يكونُ المنتصِرُ لمقالته تلك بمنْزلته في هذه الدَّرجة؛ لأنَّه قد لا ينتصِرُ لهذا القولِ إلاَّ لكونِ متبوعه قد قاله، بحيث أنَّه لو قاله غيرُه من أئمَّة الدِّينِ: لما قبِلَهُ ولا انتصر له، ولا والى من وافقه، ولا عادى من خالفه، وهو مع هذا يظن أنَّه إنَّما انتصر للحقِّ بمنْزلة متبوعه، وليس كذلك؛ فإنَّ متبوعه إنَّما كان قصدُه الانتصارَ للحقّ، وإنْ أخطأ في اجتهاده، وأمَّا هذا التَّابعُ؛ فقد شابَ انتصارَه لما يظنُّه الحقَّ إرادة علوِّ متبوعه، وظهور كلمته، وأنْ لا يُنسَبَ إلى الخطأ، وهذه دسيسةٌ تَقْدَحُ في قصد الانتصار للحقِّ، فافهم هذا؛ فإنَّه فَهْمٌ عظيم، والله يهدي مَنْ يشاء إلى صراطٍ مستقيم)[١].

إن أهل الطائفة المنصورة، وإن كانوا يحيطون أهل العلم العاملين بهالةٍ من الإجلال والتقدير؛ إلا أنهم مع ذلك يوقنون بأن العصمة منتفية عن غير الأنبياء عليهم السلام؛ ولذا فإذا بدا من أحد هؤلاء العلماء زلة، أو ظهر منه خطأ: فإنهم يدعون إلى اجتناب زلته، وعدم متابعته على خطئه، وإن كان صاحبها قد يكون معذورًا بل مأجورًا إن كان مجتهدًا، قال ابن عبد البر: (وإذا ثبت وصحَّ أنَّ العالم يُخطئ ويزلُّ، لم يجز لأحدٍ أن يُفتي ويدين بقولٍ لا يعرفُ وجهه)[٢].

وقد حذر أئمة الطائفة المنصورة من زلة العالم، وبينوا خطرها، ووجوب اجتنابها وطرحها، وعدم متابعته فيها؛ قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: (ثَلَاثٌ يَهْدِمْنَ الدِّينَ: زَلَّةُ عَالِمٍ، وَجِدَالُ مُنَافِقٍ بِالْقُرْآنِ، وَأَئِمَّةٌ مُضِلُّونَ)[٣]، وقال معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: (وأحذِّرُكم زَيغَةَ الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافقُ كلمةَ الحق، قيل له:

---

[١] جامع العلوم والحكم، (ج٢/ص٢٦٧-٢٦٨).
[٢] جامع بيان العلم وفضله، (ج٢/ص٩٨٢).
[٣] رواه الدارمي وابن عبد البر في الجامع (ج٢/ص٩٧٩)، وغيرهما. وقال ابن كثير في مسند الفاروق (ج٣/ص٧٨)، بعد ذكر طرقه: (فهذه طرق يشدّ القوي منها الضعيف، فهي صحيحة من قول عمرَ -رضي الله عنه-، وفي رَفْعِ الحديث نظرٌ).

وكيف زيغةُ الحكيم؟ قال -رضي الله عنه-: هي الكلمة تُرَوِّعُكُمْ وَتُنْكِرُونَهَا، وتقولون: ما هذه؟ فاحذروا زيغته)[١].

وقد قيل زلة العالم يضرب بها الطبل، وزلة الجاهل يخفيها الجهل؛ وذلك لأن الجاهل غير محتج به، غير متبع في أمره.

ولله در القائل:

العَيْبُ فِي [الجاهل] المغْمُوْرِ مَغْمُوْرُ *** وَعَيْبُ ذِي الشَّرَفِ المَذْكُوْرِ مَذْكُوْرُ
كَفُوْفَةِ الظُّفْرِ تَخْفِي مِنْ حَقَارَتِهَا *** وَمِثْلهَا فِي سَوَادِ العَيْنِ مَشْهُوْرُ[٢]

فالعالم منظور إليه، محتج به، متبع في أمره؛ ولذا كانت زلة العالم زلة له ولمن يقتدي به، فأثرها متعد لا لازم؛ فأمر العلماء خطر، وعليهم وظيفتان: ترك الذنب، ثم إخفاؤه إن وقع، وكما يتضاعف ثوابهم على الحسنات، فيضاعف عقابهم على الذنوب والسيئات إذا اتبعوا، فحركات العلماء في طوري الزيادة والنقصان تتضاعف آثارها، إما بربح أو خسران، وقد روي عن عيسى عليه السلام: أنه سئل من أشد الناس فتنة فقال: "زَلَّةُ الْعَالِمِ إِذَا زَلَّ الْعَالِمُ زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالَمٌ"[٣]، وأهل العلم بعد أن حذروا من زلة العالم، وأمروا بطرحها واجتنابها: بيّنوا موقعها من دين الله؛ فنصوا على كونها خارجة عن موارد الاجتهاد المعتبرة، منقطعة الصلة بمدارك الحق ومسالكه، ولذا كانت باطلة النسبة لدين الله وشرعه، ولكأن أبناء الأمة في هذه الأزمان أحوج ما يكونون للاستفادة من كلام هؤلاء الأئمة في تحذيرهم من زلة العالم، ودعوتهم إلى اجتنابها، ولا سيما في هذه الأزمان حيث كثرت فيه زلات أهل العلم، ولا سيما في موقفهم من الجهاد وأهله، وفي الآونة الأخيرة: بدت من بعض إخواننا أهل العلم، الذين كانت لهم سابقة في الدعوة إلى الله: هلاك وأخطاء؛ كان سببها بُعدهم عن ساحات الجهاد وعدم ممارستهم الفعلية للجهاد، فضربت بزلاتهم الطبول، وطارت بها وسائل الإعلام المسيرة

---

[١] اختصره الزرقاوي، رواه ابن عبد البر في الجامع (ج٢/ص٩٨١)، ورى أبو داود والدرامي وعبد الرزاق وغيرهم بنحوه من طرق وألفاظ متقاربة (إسناده صحيح).
[٢] بيتان لطاهر الحسين المخزومي، الدر الفريد وبيت القصيد، محمد بن أيدمر (ج٤/ص١٣٦).
[٣] رواه ابن المبارك في الزهد، (ص٥٢٠)، والهروي في ذم الكلام (ج٤/ص٢٨١).

كل مطار، كل ذلك بغية شق الصفوف، وتفريق الكلمة، وصد الناس عن الجهاد، وتنفيرهم من المجاهدين؛ فكان لزامًا علينا التنبيه على زلات إخواننا حتى لا يقتدي بهم فيها؛ عملًا بقول النبي ﷺ: "انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا"[١].

فصل: فتنة المنظرين

إن مصطلح (منظري التيار الجهادي): مصطلح دخيل، كثر ذكره وامتهانه في الآونة الأخيرة، ولا سيما من قبل وسائل الإعلام؛ ليصدوا أبناء الأمة عن الجهاد، وهذا المصطلح في حقيقته هو فصام نكد بين القول والفعل؛ فإن أهل العلم على مر العصور، وكر الدهور: كانوا في مقدمة ركب الجهاد، كما سبق ذكره بشواهده غير مرة، ولم نسمع أن أحدًا منهم نظّر للأمة أحكام الجهاد، ثم هو قعد وتخلف عن الجهاد الواجب المتعين عليه، وكأنه ليس معنيًّا بهذا الخطاب، وإن المتأمل اللبيب ليلحظ أن هذا المصطلح في حقيقته: ذمٌّ وطعنٌ في أصحابه؛ حيث يدخلهم في قول الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ} [الصف: ٢-٣].

إن المقرر عند أهل العلم أن الذي يفتي في مسألة ما: لا بد أن يكون عنده علم بالحكم الشرعي، وعلم بالواقع الذي يطبق عليه هذا الحكم، وإلا كانت فتواه مجانبة للصواب؛ قال ابن القيم: (ولا يتمكَّن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحقِّ إلا بنوعين من الفهم؛

أحدهما: فهمُ الواقع، والفقهُ فيه، واستنباطُ علمِ حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات حتى يحيط به علمًا.

والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع؛ وهو فهمُ حكمِ الله الذي حكَم به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ في هذا الواقع، ثمَّ يطبق أحدهما على الآخر)[٢].

---

[١] رواه البخاري، وأحمد، والترمذي، وابن حبان.
[٢] أعلام الموقعين، (ج١/ص١٨٩-١٩٠).

ولذا كان المجاهدون هم أسعد الناس بالدليل؛ لجمعهم بين الأمرين؛ حيث جمعوا بين الحكم الشرعي المبني على الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف، وعلمهم بالواقع الذي هم في الأصل يعايشونه؛ قال سفيان بن عيينة لابن المبارك -عليهما رحمة الله-: (إذا رأيت النَّاس قد اختلفوا فعليك بالمجاهدين وأهل الثُّغور، فإنَّ الله تعالى يقول: {لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩])[١]، وقال الإمامان عبد الله بن المبارك وأحمد بن حنبل -عليهما رحمة الله-: (إذا اختلف النَّاس في شيءٍ فانظروا ماذا عليه أهل الثَّغر؛ فإنَّ الحقَّ معهم؛ لأن الله يقول: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [العنكبوت: ٦٩])[٢].

فـ(منظرو التيار الجهادي) هم الذين حملوا الكتاب والسيف بأيديهم، وتقدموا الصفوف، وقادوا الجموع، وهجروا لذائذ الدُّنيا الفانية، وآثروا ثواب الآخرة الباقية، وتركوا القصور والدور لهم مأوى، واختاروا الكهوف والجبال لهم سكنى؛ حفاظًا على دينهم، وتصديقًا لأقوالهم بفعالهم، أما أن يبقى العالم بعيدًا عن ساحات الجهاد والواقع الذي يعيشه المجاهدون، مقيمًا في بلاد الكفار، ثم يفتي الأمة في مسائل، أدنى ما يقال فيها إنها مسائل اجتهادية قابلة للنظر يريد إلزام المجاهدين بها: فهذا لا يقبل ولا كرامة، بل إن أهل العلم قرروا أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد التي لا تُخالف نصًّا أو إجماعًا أو قياسًا جليًّا، ذكر القاضي أبو الحسن الماوردي في الأحكام السلطانية خلافًا بين العلماء في أن من قلده السلطان الحسبة: هل له أن يحمل الناس على مذهبه فيما اختلف فيه الفقهاء، إذا كان المحتسب من أهل الاجتهاد أم لا، يغير ما كان على مذهب غيره؛ فقرر: أن الأصح أنه لا يغير، وأنه لم يزل الخلاف في الفروع بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم -رضي الله عنهم أجمعين-، ولا ينكر محتسب ولا غيره[٣]، [قال النووي:] (وكذلك قالوا: ليس للمفتي ولا للقاضي أن يعترض على من خالفه إذا لم يخالف نصًّا أو إجماعًا أو قياسًا جليًّا، والله أعلم)[٤].

---

[١] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (ج٩/ص٣٠٨٤)، وراه بنحوه ابن عدي في الكامل (ج١/ص١٨٥).
[٢] نقله ابن تيمية في مسألة في المرابطة بالثغور أفضل أم المجاورة بمكة، جامع المسائل (ج٥/ص٣٥٨)، وابن مفلح في الفروع (ج١٠/ص٢٣٥).
[٣] الأحكام السلطانية، (ص٣٥١).
[٤] شرح مسلم، (ج٢/ص٢٤).

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: عن حكم إلزام ولي الأمر الناس بمذهبه في مسائل الاجتهاد التي اختلف فيها العلماء؛ فأجاب: (ليس له منع النَّاس من مثل ذلك، ولا من نظائره ممَّا يسوغ فيه الاجتهاد، وليس معه بالمنع نصٌّ من كتاب ولا سنَّةٍ ولا إجماعٍ، ولا ما هو في معنى ذلك، لا سيَّما وأكثر العلماء على جواز مثل ذلك، وهو ممَّا يعمل به عامَّة المسلمين في عامَّة الأمصار، وهذا كما أنَّ الحاكم ليس له أن ينقض حكم غيره في مثل هذه المسائل، ولا للعالم والمفتي أن يلزم النَّاس باتِّباعه في مثل هذه المسائل، ولهذا لما استشار الرَّشيد مالكًا [في] أن يحمل النَّاس على مُوطَّئِهِ، في مثل هذه المسائل: منعه من ذلك، وقال: «إنَّ أصحاب رسول الله ﷺ قد تفرّقوا في الأمصار، وقد أخذ كُلُّ قومٍ من العلم ما بلغهم»، وصنَّف رجلٌ كتابًا في الاختلاف فقال أحمد: «لا تسمَّه كتاب الاختلاف، ولكن سمِّه كتاب السُّنَّة»، ولهذا كان بعض العلماء يقول: إجماعهم حجَّةٌ قاطعةٌ، واختلافهم رحمةٌ واسعةٌ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول: «ما يسرُّني أنَّ أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا؛ لأنَّهم إذا اجتمعوا على قولٍ فخالفهم رجلٌ كان ضالًّا، وإذا اختلفوا فأخذ رجلٌ بقول هذا ورجلٌ بقول هذا كان في الأمر سعة»، وكذلك قال غير مالكٍ من الأئمَّة: «ليس للفقيه أن يحمل النَّاس على مذهبه»، ولهذا قال العلماء المصنِّفون في الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر من أصحاب الشَّافعيِّ -رحمه الله- وغيره: «إنَّ مثل هذه المسائل الاجتهاديَّة لا تنكر باليد، وليس لأحد أن يلزم النَّاس باتِّباعه فيها، ولكن يتكلَّم فيها بالحجج العلميَّة، فمن تبيَّن له صحَّة أحد القولين: تبعه، ومن قلَّد أهل القول الآخر فلا إنكار عليه»)[1].

كما بَيَّنَ شيخ الإسلام أن المسائل: (التي لم يعلم قطعًا مخالفتها للكتاب والسُّنَّة، بل هي من موارد الاجتهاد الَّتي تنازع فيها أهل العلم والإيمان؛ فهذه الأمور قد تكون قطعيَّةً عند بعض من بيَّن الله له الحقَّ فيها، لكنَّه لا يمكنه أن يلزم النَّاس بما بان له ولم يبن لهم)[2].

وعليه: فما ذهب المجاهدون إليه في بعض المسائل الاجتهادية؛ كالعمليات الاستشهادية، وضرب الكفار وتبييتهم في عقر دارهم؛ ردعًا لهم، وكفًا لشرهم عن المسلمين، وإن أدى تبعًا إلى قتل من لا

---

[1] مجموع الفتاوى، (ج٣٠/ص٧٩-٨٠).
[2] المرجع السابق، (ج١٠/ص٣٨٣-٣٨٤).

يجوز قتله استقلالًا كالنساء والأطفال: لا يجوز الإنكار عليهم في ذلك، فضلًا عن الطعن والتشهير، وإصدار الأحكام الجائرة بالتبديع والتفسيق والتضليل؛ فقد أمرنا الله تعالى بالعدل مطلقًا ولو مع أبغض الناس إلينا؛ قال تعالى: {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} [المائدة: ٨]، قال ابن القيم -رحمه الله-: (فإذا كان قد نهى عبادَه أن يحملهم بغضهم لأعدائهم على ألا يعدلوا عليهم، مع ظهور عداوتهم ومخالفتهم وتكذيبهم لله ورسوله، فكيفَ يسوغُ لمن يدّعِي الإيمانَ أن يحمله بغضُه لطائفةٍ منتسبةٍ إلى الرسول تصيبُ وتخطئ على أن لا يعدلَ فيهم؟ بل يجرِّد لهم العداوة وأنواع الأذى، ولعله لا يدرى أنهم أولى بالله ورسوله وما جاء به منه علمًا وعملًا ودعوةً إلى الله على بصيرة، وصَبْرًا من قومهم على الأذى في الله، وإقامةً لحجةِ الله، ومعذرةً لمن خالفهم بالجهل)[1].

والمجاهدون وإن خالفهم مخالف؛ فلهم من حقوق الإسلام بحسب ما هم عليه من الإيمان علمًا وعملًا، فكيف والقوم ما قاموا إلا بما أوجبه الشرع عليهم، وهم أسعد بالدليل وأشد اتباعًا له من المتكلم فيهم؟! كما أنهم ما خرجوا إلا لإعلاء كلمة الله والتمكين لدينه، وقد علم القاصي والداني صدق نواياهم وخلوص قصدهم، ولنا ظاهرهم وحسابهم على الله، وهذا مع ما شهد به العدو قبل الصديق من بذلهم أنفسهم وأموالهم نصرة لهذا الدين، وإعزازًا وتحملهم في سبيل ذلك من الابتلاء ما الله وحده به عليم.

كما أن المتكلم في هؤلاء القوم وإن خالفهم فيما ذهبوا إليه؛ يعلم يقينًا أنه يغيظون أعداء الله، وهم شجًا في حلوقهم، فكان الكلام فيهم إعانة عليهم لمن لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة من أعداء الملة والأمة، وإن أراد المتكلم وجه الله بكلامه: فسبيله النصح، لا الطعن والتشهير والنبز والرمي بكل سوء وقبيح، والنصح قد علم طريقه كل عاقل، فضلًا عن أهل العلم، فكان الكلام في هؤلاء القوم بالطعن والنقص والذم ونحوه؛ ليس له من معنى: إلا أن يكون دخنًا في الدين، أو غلًّا للمؤمنين، أو دهنًا بالشرع، أو انتصارًا للنفس وأهوائها، ومن ذلك اتخادهم مطية لإظهار الاعتدال والوسطية

[1] بدائع الفوائد، (ج٢/ص٦٥٠).

المزعومة، والله يعلم المفسد من المصلح، وقد قال تعالى: {سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُون} [الزخرف: ١٩]، وليحذر العبد أن يأتي يوم القيامة وخصماؤه المجاهدون في سبيل الله، المدافعون عن دينه، الباذلون مهجهم حبًّا فيه وإرضاء له.

ولله در القائل:

إِلَى دَيَّانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي *** وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي الْحِسَابِ إِذَا الْتَقَيْنَا *** غَدًا عِنْدَ الْإِلَهِ مَنْ الْمَلُومُ[1]

غير أن الطعن والتشهير والتجريح في هؤلاء القوم: هو المركب الأرغد، والفراش الممهد، والطريق المعبد، أما الدفاع عنهم، وإنصافهم وإعطاؤهم حقهم من الموالاة: فذاك درب لا تؤمن غوائله، ولا تحمد عواقبه.

{وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}،

والحمد لله رب العالمين.

[1] بيتان لقصيدة أبي العتاهية، بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبد البر، (ص٨٠). وانظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٤/ص٣٩).



فترة مجلس
شورى المجاهدين
في العراق





الكلمة المرئية الأخيرة: هَذَا بَلاغٌ للنَّاسِ

٢٦ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ || ٢٤ أبريل ٢٠٠٦ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه، أمَّا بعد:

فيا أمتي الغالية؛ إني محدثكِ حديثًا ليس بالأغاليط، لعلي أجد منكِ آذانًا صاغية، وقلوبًا واعية؛ فإن الرائدَ لا يكذب أهله، إن العدو الصليبي عندما دخل العراق كان ينوي من دخوله السيطرة على الأمة، والتمكين لدولة بني صهيون، من النيل إلى الفرات، فمكَّنَ الله أبناءَكِ المجاهدين من الوقوف في وجه أشرس حملة صليبية داهمة على بلاد المسلمين، فوقفوا في وجه هذا الزحف لمدة ثلاث سنين ويزيد، بذلوا خلالها الغالي والنفيس وضحوا بالنفس والنفيس؛ مالهم وأوقاتهم وأعراضهم وأنفسهم، وتحملوا الهجمة الشرسة عسكريًّا وإعلاميًّا واقتصاديًّا؛ لا لشيء، إلا للدفاع عنكِ وعن دينكِ وأبنائك، وغيرةً على حُرُماتِك، فبدد الله جموعهم، وشتت شملهم، وبانت هزيمتهم لكل ذي عين باصرة وقلب واعٍ، فها هم أبناؤك -بفضل الله تعالى- ينفذون الغزوة تلو الغزوة، والهجمة تلو الهجمة، فملكوا -بفضل الله تعالى وحده- زمام المبادرة في أرض المعركة، ولولا التكتيم الإعلامي المتواطئ والمتصاعد: لرأيتم العجب العُجاب، فوالله إنها الملاحم والبطولات، تهب علينا نسائمها تترى، فحقيق عليكِ يا أمتي أن تشكري الله وتحمديه على هذه النعمة العظيمة، بأن هيأ الله ثلة من أبنائكِ المجاهدين يذودون عن حياضك، ويحفظون بيضتكِ، وإلا لكان حال أهل السنة في العراق بين صليبي حاقد، ورافضي غادر، ولكان نساء أهل السنة سبايا في أحضان الصليبيين والروافض الحاقدين، وما سجن أبي غريب وسجون الداخلية الرافضية عنا ببعيد.

أمتي الغالية؛ إننا في العراق على مرمى حجرٍ من مسرى رسول الله ﷺ، فنقاتل في العراق وعيوننا على بيت المقدس، الذي لا يسترد إلا بقرآن يهدي وسيف ينصر، وكفى بربك هاديًا ونصيرًا، ولقد أثبتت التجارب والأيام، والمحن والخطوب: أن ليس لكِ بعد الله تعالى إلا أبناؤك المجاهدون؛ فهُم

حصنك الحصين، ودرعكِ المتين، وقلبك النابض، يفرحون لفرحِك، ويبكون لحزنكِ، يسهرون الليل لأجلكِ، ويغارون عليكِ، وتتفطر قلوبهم ألمًا على حالكِ، ولسانُ همِّهم الأول والأخير: اللهم ارفع الذل والضيم عن أمتي، اللهم أعد مجد أمتي وعزها.

أما الإدارة الأمريكية وعلى رأسها حامل راية الصليب بوش؛ فنقول له ولمن دار في فلكه من اليهود والصليبيين، ومن الروافض والمرتدين وغيرهم: بِأَنَّكُم لَنْ تَنْعَمُوا في دِيَارِ الإسلامِ، وَوَاللهِ لَنْ يهنَأَ لكُمْ عَيشٌ وَفِينَا عِرقٌ يَنبُضُ، وَعَينٌ تَطْرِفُ، لقد عرض عليكم من قبل أميرنا وولي أمرنا الشيخ أسامة -حفظه الله ورعاه- هدنةً طويلة الأمد[١]، كانت خيرًا لك ولمن معك لو أجبت يومئذٍ، ولكن صدك عن ذلك كِبرُك واستعلاؤك، وها أنت اليوم بفضل الله تبارك وتعالى تفزع إلى الشرق والغرب، حائرًا حسيرًا كسيرًا، كالذي يتخبطه الشيطان من المس، حتى غدوت كذابًا أفاكًا، تُخادع شعبك وأنصارك؛ فكلما ازداد المجاهدون بضرباتهم: كلما ازددت كذبًا وبهتانًا، بأن الوضع تحت السيطرة، ثم يظهر للقريب والبعيد كذب ما ادعيت، وهَلُمَّ جَرًّا، فأصبح حالك يشبه الذي يتداوى مِنَ الخمرِ بالخمر، فلم تكن صادقًا مع نفسك وشعبك لحظةً واحدة، رغم أنه وُجِدَ من أجدادِكَ الأوائل صِدقٌ قد حُرِمْتَ مِنه.

لماذا لا تُظهِر حقيقة جنودك، وانهيار إرادتهم القتالية، حتى يعلم شعبك حقيقة المعركة؟!

لماذا لا تخبرهم عن انتحار جنودك المتواصل؟!

لماذا لا تخبرهم بأن جنودك لا ينام الواحد منهم إلا بعد أن يأخذ حبوب التخدير والهلوسة؛ بحيث تفقده عقله ويصبح كالبهائم العجماوات، يسوقه جنرالات حربك المتصهينون الإنجيليون إلى مسالخ الذبح والهلاك؟!

---

[١] انظر: رسالة إلى شعوب أوربا (مبادرة صلح) في ٢٤ صفر ١٤٢٥هـ. وكلمة (السبيل لإنهاء الحرب) في ذي الحجة ١٤٢٦هـ؛ قال فيها: (ولا مانع لدينا من إجابتكم لهدنة طويلة الأمد، بشروط عادلة نفي بها، فنحن أمة حرم الله علينا الغدر والكذب، لينعم في هذه الهدنة الطرفان بالأمن والاستقرار، ولنبني العراق وأفغانستان اللتين دمرتهما الحرب، ولا عيب في هذا الحل؛ لولا أنه يحول دون انسياب مئات المليارات إلى أصحاب النفوذ وتجار الحروب في أمريكا، الذين دعموا حملة بوش الانتخابية بمليارات الدولارات، ومن هنا نستطيع أن نفهم إصرار بوش وعصابته على استمرار الحرب. فإن صدقتم في إرادتكم للأمن والصلح فها قد أجبناكم، وإن أبى بوش إلا مواصلة الكذب والبغي فمن المفيد إذن أن تقرؤوا كتاب الدولة المارقة).

لماذا لا تخبرهم عن هرب جنودك الجماعي، والتمرد المتنامي بين صفوف جنودك؟!

فاعلم أيها الكذاب الأشر: بأن أحلامك دونها دماؤنا وأشلاؤنا، والقادم أدهى وأمر بعون الله تعالى.

فمسرحية الديمقراطية العفنة والتي جئت بها إلى أرض الرافدين، بعد أن منّيتَ الناس بالحرية والسعادة والاستقرار المادي والنفسي: كلها ذهبت أدراج الرياح، وولت مدبرة من غير رجعة بحول الله وقوته، وها أنت اليوم تحاول بكل حيلة ووسيلة أن تجمع بين الفرقاء والخلطاء والشركاء من أذنابك المرتدين؛ لتشكّل بهم حكومة مشوهة؛ لعلها تنقذك من مأزقك الحاد، والحرج أمام شعبك وأنصارك، ونحن بدورنا نعتقد أن أي حكومة تشكل في العراق اليوم كائنًا من كان رموزها، سواءً أكانوا من الروافض الحاقدين، أو من علمانيي الأكراد المتصهينين، أو العملاء المحسوبين زورًا على أهل السنة: هي حكومة عميلة موالية متواطئة مع الصليبيين، وإنما جاءت لتكون خنجرًا مسمومًا في قلب الأمة الإسلامية.

لقد أدركت أمريكا اليوم بأن دباباتها وطائراتها، وجحافل جيوشها وعملائها من جيش الروافض الحاقدين: أنها لن تستطيع -بأمر الله تعالى- حسم المعركة مع المجاهدين؛ فعمدت إلى خطة ماكرة، تنشد من خلالها الالتفاف على الجهاد والمجاهدين، بالإيعاز إلى عملائها من المحسوبين على أهل السنة، ممن ارتضوا أن يكونوا حبلًا يلتف على رقاب أهل السنة وينقذ الأمريكان من مستنقعات فشلهم وهلاكهم بالعراق؛ فاستخدموا من اتَّخَذَ شعارات الإسلام نقابًا يسدل ويخفى به فضائح أعمالهم المسودة! فأصبحوا يروجون عن أسيادهم: ضرورة تشكيل أجهزة الجيش والشُرَط، ويلقون بالمسلمين متشابه القول، فدسوا السم بالعسل، ونسوا وتناسوا غفلة وتغافلًا أنه وعلى مر التاريخ الحديث، أن كل محتل ومستعمر لبلد من البلدان يجعل له من ينوب عنه من أبناء البلد واجهة عند الملأ؛ كي يتسنى لهذا المحتل تثبيت دعائمه، ونهب خيرات البلاد والعباد، وتحقيق ما يضمن مصالحه الخبيثة! قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]؛ أي: في أحكام الدُّنيا والآخرة، وقال جل شأنه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ﴾ [القصص: ٨].

ومن هنا نكرر نداءنا في التحذير لمن يسعى لنشر وتشكيل أجهزة الجيش والشُرَط، والتي أقيمت لتنفيذ مخططات المحتلين، وتطبيق الحكم بغير ما أنزل رب العالمين، فالحذر الحذر ممن ينخرط بمثل هذه الأجهزة العميلة؛ فوالله ليس لديهم عندنا إلا السيف البتار، وبيننا وبينهم ليالٍ ووقائع تشيب لهولها الولدان، قال تعالى {الَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاء الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا} [النساء: ٧٦].

ومع ما تقدم من فشلٍ ذريعٍ للعدو ووسائله الخربة؛ يحاول اليوم أن يستدرج صنفين من الناس إلى مسرحية البرلمانات المزعومة، لقطف ثمرات المجاهدين، الذين يسعون لجعل كَلِمَة اللهِ هِيَ الْعُلْيَا؛

فالصنف الأول منهم: هو من يحاول أن يلصق نفسه بالمجاهدين والتزلف لهم، مع كونهم لم يعيشوا أعباء الجهاد وأجواءَه وقت احتلال العراق.

والثاني منهم: هو من كانت له مشاركة أول الأمر في قتال الصليبيين، إلا أن الأعمال بخواتيمها؛ فهؤلاء لن تكون أعمالهم صالحةً شرعًا، ما لم يكن منهم سعي عملي لجعل كَلِمَة اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، بما شرع لنا من وسائل وطرق شرعية، لا ببرلمانات شركية طاغوتية، تكون كلمة الله فيها مسلوخة أو منسوجة ومُشرَّكة بغيرها من القوانين الوضعية، فالغاية لا تبرر الوسيلة هنا.

وحتى لو زعم هذان الصنفان ومن يؤيدهما أنهم يسعون بهذه البرلمانات إلى تطبيق الشريعة، فالواقع العملي، والتجربة التاريخية: يناقضان ويكذبان ذلك؛ حيث إن المتتبع في الخارطة السياسية في العراق يعلم أن غالبية أصحاب المقاعد البرلمانية هم من الشيعة، وعلمانيي الأكراد والسنة، ناهيك عن أصحاب المنهج العقدي المتموع، وهذا يدلنا أن الكفة الراجحة الغالبة دومًا في ميزان البرلمانات ستكون بحكم الطواغيت، قال سبحانه وتعالى: {وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللهُ إِلَيْكَ} [المائدة: ٤٩]، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلًا بَعِيدًا} [النساء: ٦٠].

أما أنتم أيها المجاهدون الصادقون الصابرون؛ فتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وبارك الله في جهادكم ورباطكم، فلقد استطعتم بفضل الله وتوفيقه من وَقفِ هذا الزحف الصليبي الداهم على الأمة، وأثخنتم فيه الجراح، فأصبح في حالٍ لا يحسد عليها أبدًا، فواصلوا جهادكم، وكثفوا من عملياتكم، وضاعفوا من ضرباتكم، فإنها والله الفتوحات، وإنها واللهِ اللحظات الأخيرة، قبل أن يعلن عباد الصليب هزيمتهم في بلاد الرافدين، فانهيار الإرادة القتالية أصبحت السمة البارزة للجيوش الصليبية، فجددوا النوايا وأصلحوا الطوايا، واحملوا على عدوكم حملة رجل واحد، فقد أصبح عدوكم اليوم -بفضل الله وحده- مكشوف الظهر، مسلوب الإرادة، واهن العزم، مكسور العظم؛ فلا تعطوه فرصة لالتقاط أنفاسه، فواصلوا الطعنات تلو الطعنات.

فيا خيل الله اركبي، ويا حملة الراية قوموا!

أين أسود الأنبار؟! أين ليوث صلاح الدين؟! أين رجالات بغداد؟! أين فرسان نينوى وأبطال ديالى؟! أين صناديد كردستان؟! أين أنتم يا أسود التوحيد، يا أحفاد خالد والمثنى وسعد والمقداد وصلاح الدين؟!

أين المهاجرون؟! أين الأنصار؟! أين أصحاب التوبة والأنفال؟! أين أهل سورتي الفتح والقتال؟!

يا طليعة الأمة؛ مَنْ لِلثكالى؟! مَنْ للحرائر في سجون الصليبيين؟! مَنْ لِلطاهرات في سجون الروافض الحاقدين؟!

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة؛ فانصر الأنصار والمهاجرة.

واحذروا أشد الحذر من قطاع الطرق الذين يحاولون وبالتواطؤ مع الصليبيين: أن يلتفوا على جهادكم؛ فإياكم ثم إياكم أن تلقوا السلاح؛ فإنها حينئذٍ الحسرة والندامة، والخزي والملامة، والذلة والعار، في الدُّنيا والآخرة، فإنكم كنتم تدعون الله سبحانه وتعالى، ليلَ نهار؛ أن ييسر لكم طريقًا للجهاد في سبيل الله، في أفغانستان والشيشان أو غيرهما، ثُمَّ بعد ذلك اختصكم الله سبحانه وتعالى، فأقام تجارة الجهاد في دياركم، وفتح لكم أبواب الجنان، فأراد بكم خيرًا، فإياكم ثم إياكم أيها

المجاهدون أن توصدوا هذه الأبواب بذنوبكم، وإياكم أن تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثًا، فلئن انفض سوق الجهاد عن دياركم ليضربن الله عليكم الذل، وليسلطن عليكم أراذِلَ الناس، يسومونكم سوء العذاب؛ يذبحون أبناءكم، ويستحيون نساءكم، وليرفعنَ هذه النعمة من بين ظهرانيكم، {وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ} [محمد: ٣٨].

وختامًا: نُبَشِّرُ الأُمَّةَ بِتَشكِيلِ مجْلِسِ شُورَى المجاهدينَ فِي العِرَاقِ، وَالذِي سَيَكُونُ بحولِ اللهِ وَقُوَّتِهِ نواةً لقيامِ دَولَةٍ إسلامِيَّةٍ، تَكُونُ فِيهَا كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فالحمد لله؛ بدأت الجهود تتكاثف، والأيادي تمتد وتتصافح، على طاعة الله ورسوله، والجهاد في سبيله، وهذا المجلس سيكون بعون الله تعالى مظلة لكل مجاهدٍ صادق، وإني لأتشرف أن أكون أحد أعضاء هذا المجلس المبارك، بقيادته المباركة، مع كوني أميرًا لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين.

خادم الجهاد والمجاهدين، المعتز بالله تعالى

أخوكم

أبو مصعب الزرقاوي

في يوم الجمعة، الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول، لسنة ألفٍ وأربعمئة وسبع وعشرين للهجرة، الموافق لواحد وعشرين من شهر نيسان سنة ألفين وستٍ للميلاد.

والحمد لله رب العالمين.

وَاللهِ لَتُهْزَمَنَّ أَمْرِيكَا فِي العِرَاقِ، بِإِذْنِ اللهِ تَعَالَى!

وَلَتَخْرُجَنَّ مِنْ أَرضِ الرَّافِدَيْنِ مَهْزُومَةً ذليلةً حَسِيرَةً حقِيرَةً، بِعَوْنِ اللهِ تَعَالَى!

سلسلة محاضرات

هل أتاك حديث الرافضة؟

٥ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ | ١ يونيو ٢٠٠٦ م



الفصل الأول

بسم الله الذي له الحكم والأمر كلّه وإليه المعاد، والحمد لله الذي قدَّر الافتراق لهذه الأمّة فرقًا، فلا تقارب ولا يكاد، والصَّلاة والسَّلام على من استثنى من هذه الفرق بالنَّجاة واحدةً ومن عداهم وعاداهم يُكاد، وبعد:

فلقد قرأنا التَّاريخ واستقرأناه، فلم نجد في ماضيه وحاضره ولا حتَّى إرهاصات مستقبله، كمثل سيرة بل سوءة أصحاب الرَّفض، رفضهم الله كما لفظوا دينه ومنهاجه القويم، واستبدلوا به الّذي هو أدنى من خليط حقد وخزعبلات الفرس وتضاليل اليهود وضلال النَّصارى؛ ليتناسب مع جميع أصحاب الدّيانات المعادين لأهل الإسلام، فخرجوا بدينٍ ممسوخ، يوجبون فيه على الأُمَّة أن يلعن آخرها أولها، وأن يكفر بالكتاب كله، وأن تعطَّل شرائعه، وأن يشرك مع قبلة المسلمين، بل تُغيَّر هذه القبلة من مكَّة فتشدَّ الرِّحال إلى كربلاء ومشهد، وأن تشيع الفاحشة بين المسلمين باسم الدِّين، ولذا كان لزامًا علينا أن نذكِّر بطرفٍ من جرائم القوم؛ {مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُم وَلَعَلّهُم يَتّقُوْن}.

حقيقة الرافضة[1]

وقبل الخوض في ذكر جملةٍ من خيانات الرَّافِضَة عبر التَّاريخ، واستعراض لأبرز جرائمهم: لا بدَّ من التنبيه على أمر: ألا وهو أنَّنا حين نطلق لفظ الرَّافِضَة؛ فإنما نريد بهم السَّواد الأعظم الموجود منهم في هذه الأيَّام ألا وهم الشِّيعة الجعفرية الاثنا عشرية.

ويلاحظ أن أئمَّتهم اعتبروا جميع هذه الفرق المغالية عندهم مما ينسب إلى الإماميَّة، فإذا تحدَّثوا عن طائفتهم ورجالها ودولها: نسبوا لها كُلَّ الفرق والدُّول والرِّجال المنتمين للتَّشيُّع، وإن كانوا من الإسماعيلية والباطنية، أو من الزَّنادقة الدَّهرية، أو من المجسمة الغلاة؛ فهم إذا تحدَّثوا مثلًا عن دول الشَّيعية ذكروا الدَّولة الفاطميَّة في صدر دولهم مع أنها غير الاثني عشرية.

[1] تعليق إتقان: العناوين الفرعية هي زيادة مقترحة لفهم سياق الكلام.

وبعد هذا نقول وبالله التَّوفيق:

أولًا: إنَّ الرفْض دينٌ يختلف تمامًا عن الإسْلام الذي جاء به النّبي ﷺ، ولا يمكن أنْ يلْتقي معه في كثيرٍ من الفروع والأصول، كيف لا؟ وكبار آياتهم وعلمائهم قد قعّدوا لهم قاعدةً في التّرْجيح بين الأدلّة إذا اختلفت عندهم أو تعارضت؛ بأنّ ما خالف قول أهل السنة (ويسمونهم العامة) هو القول الأقرب للصّواب؛ مستندين على رواياتٍ مكذوبةٍ عندهم كأصلٍ لهذه القاعدة، الّتي تدلّ على مخالفة دينهم أصولًا وفروعًا لدين الإسلام من حيث منهج الحقّ؛ ففي بابٍ عقده (الحر العاملي) –وهو من علماء الرَّافِضَة– في كتابه (وسائل الشّيعة) تحت عنوان: عدم جواز العمل بما يوافق العامة ويوافق طريقتهم[١]؛ قال فيه: (والأحاديث في ذلك متواترة)، –أي: في عدم جواز العمل بما يوافق العامة–؛ (فمن ذلك قول الصادق –عليه السلام– في الحديثين المختلفين: «[...] اعرضوهما على أخبار العامَّة –أي أهل السنة والجماعة–؛ فما وافق أخبارهم فذروه، وما خالف أخبارهم فخذوه»[٢]، وقال عليه السلام: «خذ بما فيه خلاف العامة؛ فما خالف العامة ففيه الرشاد»[٣])، وَجَاءَ فِيْ عُيُونِ أَخْبَارِ الرِّضَا: (روى الصَّدوق عن علي بن أسباط قال: قلت للرضا عليه السلام: يحدث الأمر لا أجد بدًّا من معرفته، وليس في البلد الذي أنا فيه من أستفتيه من مواليك، قال: فقال: ائتِ فقيه البلد فاستفتهِ في أمرك، فإذا أفتاك بشيء فخذ بخلافه؛ فإنَّ الحقَّ فيه)[٤].

ومعلومٌ أنَّ الإسلام قائمٌ جملةً وتفصيلًا على توحيد الخالق وتعبيد المخلوقات كلّها لله تعالى وعلى الاقتداء بالنّبي ﷺ اقتداء متّبعٍ لا مبتدعٍ، وكلّ هذا مبنيٌ على ما جاء بالكتاب والسنة، والرفض أساسًا يقوم على الإشراك بالله وتعبيد الخلق لغير الله توسلًا وتضرعًا وتأليهًا، كما يقوم على رفض الكتاب بدعوى تحريفه بالنّقصان والزيادة فيه، وعلى رفض سنّة النّبي ﷺ، ولا سيما صحيحها بتكذيب وتخوين من نقلها لنا وهم أشراف الأمة وأخصّ صحابته، حتّى رفضوا أصحّ كتب الأحاديث الّتي تلقّتها الأمة بالقبول، لما كان رواتها من أشدّ الناس حرصًا وتوثقًا عمن ينقلونها عنهم، وعلى

---

[١] الصواب أنه في (الفصول المهمة في أصول الأئمة)، لنفس الرافضي.
[٢] وسائل الشيعة، (ج٢٧/ص١١٨).
[٣] وسائل الشيعة، (ج٢٧/ص١٠٦-١٠٧)، اختصر الزرقاوي القول.
[٤] الرافضي ابن بابويه القمي، (ج١/ص٣٧٥).

رأس هذه الكتب صحيحا البخاري ومسلم، فكان ما عداهما من الكتب أولى بالرفض عندهم، كما يقوم دينهم على رفض إمامة وخلافة من أجمع الناس حينها على إمامته وخلافته، الذين نعتهم رسول الله ﷺ بالراشدين، وحض على التَّمسك بسنَّتهم بل وقرنها بالتّمسك بسنّته، إنّ دين الرفض يرفض تبرئة أم المؤمنين عائشة مما برأها الله تعالى بكتابه الكريم وعاقب بجلد من اتّهمها أو خاض في عرضها.

يقول نعمة الله الجزائري في الأنوار النُّعمانية: باب نور في حقيقة دين الإمامية والعلّة الَّتي من أجلها يجب الأخذ بخلاف ما تقوله العامة: (إنَّا لا نجتمع معهم -أي مع السُّنَّة- على إله ولا على نبيٍ ولا على إمام؛ وذلك أنّهم يقولون: إنَّ ربهم هو الذي كان محمد نبيه، وخليفته من بعده أبا بكر؛ ونحن لا نقول بهذا الرب، ولا بذلك النَّبي، بل نقول: إنَّ الرب الذي خليفة نبيه أبو بكرٍ ليس ربنا، ولا ذلك النَّبي نبينا)[١].

ويقول السيد حسينٌ الموسوي -وهو أحد علمائهم القلائل الذين نقّى الله فطرته فمجّت باطلهم- معلّقًا على موقف الرَّافِضَة في كتابه (لله ثم للتّاريخ): (ويتبادر إلى الأذهان السؤال الآتي: لو فرضنا أنَّ الحقَّ كان مع العامة في مسألةٍ ما، أيجب علينا أن نأخذ بخلاف قولهم؟

أجابني السيد محمدٌ باقر الصّدر مرةً فقال: نعم يجب [القول] بخلاف قولهم؛ لأنَّ [القول] بخلاف قولهم وإن كان خطأً: فهو أهون من موافقتهم على افتراض وجود الحقِّ عندهم في تلكم المسألة)[٢].

ثانيًا: إنَّ دين الرفض لم يقم أساسًا ومنذ بداية ظهوره، وعلى مر الأزمان وحتّى أيامنا هذه: إلا لغرض هدم الإسلام وبثّ الفتنة والفرقة بين المسلمين وتقويض دولة الإسلام؛ من خلال محاربة أهل السنَّة والجماعة، أعني بهم الجماعة الأولى الَّتي استثناها الرسول ﷺ من الثّلاث والسبعين فرقةً بالنّجاة من النّار ومن سار على نهجهم، وليس هذا كلامًا مبالغًا أو متوهّمًا، ولا هو منكرًا من القول وزورًا، بل هذا ما قرره علماء السلف والخلف؛ فهو مخطّط دُبِّر بليلٍ لم يقم من الأساس إلا لغرض هدم الدّين؛ من خلال أمرين هامين:

---

[١] (ج٢/ص١٩١).
[٢] (ص٨٦).

الأوّل: التّشكيك في حقيقة هذا الدّين وزعزعة العقيدة؛ إما ببثّ الشبهات على مذهب أهل الحقّ، والَّتي تشكّك في أصول هذا الدّين وتصدّ عنه بالكلّية، وإما بتحريف كثيرٍ من أصوله وفروعه ليكون دينًا مسخًا.

وَالأَمرُ الثَّانِي: يتمثّل في الجانب السياسي؛ وذلك عن طريق زعزعة أركان الدّولة الإسلامية من الدّاخل والخارج على السواء؛ فأما من الدّاخل: فمن خلال استثارة الشّعب، ولا سيما ضعاف النّفوس وأصحاب المطامع وتحريضهم على الخروج على خليفة وإمام المسلمين أو اغتياله، بدعاوى وشبهاتٍ باطلةٍ أو غير مسوّغةٍ. وأما من الخارج: فمن خلال التّعاون مع أعداء الدّين والتّحالف معهم، حتّى يتمكّنوا من إسقاط الدّولة الإسلامية. وهذان الأمران هما المنهج والخطّة الأساسية الَّتي قام عليهما دين الرفض منذ بداية نشأته وتأسيسه على يد اليهودي المعروف (عبد الله بن سبأ)، الذي لم يجد أفضل ولا أجدى من التّستّر بلباس التّشيع والتّشيع بحب آل البيت، بعد أن أظهر الإسلام وأبطن الكفر والدّسيسة لهذا الدّين، ولما وجد أتباع هذا اليهودي أنّ هذا المنهج الذي رسمه ابن سبأ قد نجح في استقطاب أصحاب الهوى، وتأليب الكثير من ضعاف النّفوس وأصحاب المطامع ضدّ أمير المؤمنين عثمان -رضي الله عنه- وأرضاه، ولما وجدوه نجح في التّعاون مع أعداء الدّين من خارج عاصمة الخلافة وإثارة الفتن والشّبه حتى قتلوا الخليفة وفتنوا رعيته، ولما وجدوه نجح كذلك في التّفريق بين الصّحابة على أساس العصبية القبلية، الَّتي جاء الدّين أساسًا وقام على هدمها، يرومون فتنة آل البيت وفتنة النّاس بهم، وصدّ النّاس وتشكيكهم في مصداقية وأمانة نقلة الكتاب والسنّة من الصّحابة -رضوان الله عليهم-، من خلال مناداتهم بموالاة بل بالمغالاة في آل البيت وادّعاء العصمة فيهم، حتّى تطوّر الأمر فيهم إلى تأليه عليٍ -رضي الله عنه- كما عند السبئية؛ أقول: لما رأى أتباع ابن سبأٍ أنّه نجح في ذلك كلّه: استمر هؤلاء الأتباع في نفس السيرة وعلى نفس المنهج الأوّل، على مر الزمان وإلى أيامنا هذه.

ولقد أفاض علماء السلف واستفاض في كتبهم بيان حقيقة الرَّافِضَة وحقيقة دينهم، ومن ذلك ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في منهاج السنّة: (والرَّافِضَة ليس لهم سعيٌ إلا في هدم

الإسلام، ونقض عُراهُ، وإفساد قواعدِهِ)[١]، وقال أيضًا: (ولا يطعنُ على أبي بكرٍ وعمر –رضي الله عنهما– إلا أحد رجلين: إمَّا رجلٌ منافقٌ زنديقٌ ملحدٌ عدوٌّ للإسلام، يتوصَّل في الطَّعن فيهما إلى الطَّعن في الرَّسول ودين الإسلام، وهذا حال المعلِّم الأوَّل لِلرَّافِضَةِ، أوَّل من ابتدع الرَّفض وحال أئمَّة الباطنيَّة، وإمَّا جاهلٌ مفرطٌ في الجهل والهوى، وهو الغالب على عامَّة الشِّيعة، إذ كانوا مسلمين في الباطن)[٢]، وقال في فتاويه: (قال الإمام أحمد في رسالة عبدوس بن مالكٍ: «أصول السُّنَّة عندنا: التَّمسُّك بما كان عليه أصحاب رسول الله والاقتداء بهم، وترك البدع وكُلُّ بدعةٍ ضلالةٌ، والسُّنَّة عندنا: آثارُ رسول الله ﷺ، والسُّنَّة تفسِّر القرآن وهي دلائل القرآن»[٣]، أي: دلالاتٌ على معناه؛ ولهذا ذكر العلماء: أنَّ الرَّفض أساس الزَّندقة، وأنَّ أوَّل من ابتدع الرَّفض إنَّما كان منافقًا زنديقًا، وهو عبد الله بن سبأٍ، فإنَّه إذا قدح في السَّابقين الأوَّلين فقد قدح في نقل الرِّسالة أو في فهمها أو في اتِّباعها، فالرَّافِضَة تقدح تارةً في علمهم بها، وتارةً في اتِّباعهم لها، وتُحِيلُ ذلك على أهل البيت وعلى المعصوم الذي ليس له وجودٌ في الوجودِ)[٤]! وجاء في المنتقى من منهاج الاعتدال: (ومن جهل الرَّافِضَة أنَّهم يوجبون عصمة واحدٍ من المسلمين، ويجوِّزون على مجموع المسلمين إذا لم يكن فيهم معصومٌ الخطأ[٥]، وقد ذكر غير واحدٍ أنّ أوَّل من ابتدع الرَّفض والقول بالنَّصِّ على عليٍّ وعصمته كان زنديقًا، أراد إفساد الدِّين، وأراد أن يصنع بالمسلمين كما صنع بولص بالنَّصارى)[٦]، وأكبر دليلٍ على بطلان أصل هذا المذهب وخرافته: أنّ عليًّا –رضي الله عنه– تبرأ منه، ومن أصحابه، بل وعاقب من يعتنقه كلٌّ بحسب بدعته؛ فمن كان يسب الشيخين أبا بكرٍ وعمر –رضي الله عنهما– يُجلد حدّ المفتري، ومن غالى فيه حرقه بالنّار.

ثالثًا: إنّ جمهرةً من علماء السلف –رحمهم الله تعالى– بينوا لنا القول الفصل في حكم الشّرع على الرَّافِضَة، وهو القول بكفرهم ووجوب قتال من أظهر بدعته منهم، خاصّةً وإن كان بطائفةٍ

---

[١] (ج٧/ص٤١٥).
[٢] منهاج السنة، (ج٦/ص١١٥).
[٣] رواه ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد، (ص٢٣٠).
[٤] مجموع الفتاوي، (ج٤/ص١٠٢).
[٥] انظر: منهاج السنة، (ج٦/ص٤٠٩).
[٦] الذهبي، (ص٤١٠).

ممتنعةٍ منهم، وفي تكفيرهم ووجوب قتالهم أدلّةٌ من الكتاب والسنّة، بل حتّى كتب الرَّافِضَة أنفسهم تنقل لنا الروايات في تبرؤ آل البيت منهم، ونسبة ذلك إلى النبي ﷺ، وإخراجهم من الإسلام.

الأدلة الشرعية على بطلان عقائدهم

فأمّا الأدلّة من الكتابِ:

فقولُهُ تعالَى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ} [الفتح: ٢٩]، قال ابن كثيرٍ -رحمه الله-: (ومن هذه الآية انتزع الإمام مالكٌ -رحمه الله- في روايةٍ عنه بتكفير الرَّاوفض، الَّذين يبغضون الصَّحابة -رضي الله عنهم-، قال: لأنَّهم يغيظونهم، ومن غاظ الصَّحابة -رضي الله عنهم- فهو كافرٌ بهذه الآية، ووافقه طائفةٌ من العلماء رضي الله عنهم على ذلك)[1].

وقال القرطبي -رحمه الله- في تفسيره: (روى أبو عروة الزبيريُّ من ولد الزبير: كنَّا عند مالك بن أنس، فذكروا رجلًا ينتقصُ من أصحاب رسول الله ﷺ فقرأ مالكٌ هذه الآية: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ...}، حتَّى بلَغَ: {يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ}، فقال مالكٌ: من أصبح من النّاس في قلبه غيظٌ على أحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ أصابته هذه الآية، ذكره الخطيب أبو بكرٍ[2]، قلت: -والقول للقرطبي- لقد أحسن مالكٌ في مقالته، وأصاب في تأويله؛ فمن نَقَصَ واحدًا منهم، أو طعن في روايته: فقد ردَّ على الله رب العالمين، وأبطل شرائع المسلمين)[3].

وَكَذلكَ استدلُّوا منْ قَولِهِ تَعالَى: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور: ١٦-١٧]، قال ابن

---

[1] تفسير القرآن العظيم، (ج٧/ص٣٦٢).
[2] الصواب أن من رواه أبو نعيم في الحلية، (ج٦/ص٣٢٧).
[3] الجامع لأحكام القرآن، (ج١٩/ص٣٤٧).

عبد القوي عن الإمام أحمد: (وكان الإمام أحمد يكفّر من تبرأ منهم -أي الصَّحابة-، ومن سب عائشة أم المؤمنين، ورماها مما برَّأها الله منه، وكان يَقرأُ: {يَعِظُكُمَ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ})[1]، وقال القرطبي -رحمه الله-: (قال هشام بن عمار: سمعت مالكًا يقول: من سبَّ أبا بكرٍ وعمر أُدِّب، ومن سبَّ عائشة قُتِل؛ لأنَّ الله تعالى يَقولُ: {يَعِظُكُمَ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور: ١٧]، فَمَن سبَّ عائشَةَ فقدْ خَالَفَ القرآنَ، وَمَن خَالَفَ القرآنَ قُتِلَ)[2].

قالَ ابنُ العَرَبِيّ: (قالَ أصحابُ الشَّافِعِيِّ: مَن سبَّ عائشَةَ -رضيَ الله عَنهَا- أُدِّبَ كما في سائرِ المؤمنين، وَليسَ قولُه: {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} في عائِشَة؛ لأنَّ ذلكَ كُفرٌ، وَإِنَّمَا هُوَ كَمَا قالَ -عليه السَّلام-: "لَا يُؤْمِنُ مَنْ لَا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ"[3]، وَلَو كانَ سَلْبُ الإيمانِ في سبِّ مَن سبَّ عائشَةَ حقيقَةً: لكان سَلْبُهُ في قَولِهِ: "لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ"[4] حقيقةً، قلنا: ليس كما زعمتم؛ فإنَّ أهل الإفك رموا عائشة المطهَّرة [بالزنا]، فكُلُّ من سبَّها بما برأها الله منه مكذِّبٌ لله، ومن كذَّب الله فهو كافرٌ، فهذا طريق قول مالكٍ، وهي سبيلٌ لائحةٌ لأهل البصائر، ولو أنَّ رجلًا سبَّ عائشة بغير ما برَّأها الله منه لكان جزاؤه الأدب)[5].

وَقولُه تَعالَى: {فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} [الأنعام: ٨٩]، وبقولِهِ تَعالَى: {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: ١٤٣]، يقول الإمام أبو المحاسن الواسطي في استدلاله من هذه الآيات على كفر من يكفّر أو ينتقص من عدالة الصّحابة الثّابتة بالكتاب: (إنهم يكفرون لتكفيرهم لصحابة رسول الله ﷺ، الثابت تعديلهم وتزكيتهم في القرآن، في قولِه تَعالَى: {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ} [البقرة: ١٤٣]، وبِشَهَادةِ اللهِ تعالَى لهُم أنَّهُم لا يكْفُرُونَ بقولِهِ تَعالَى: {فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ} [الأنعام: ٨٩])[6].

---

[1] مما يذهب إليه الإمام أحمد بن حنبل، رزق الله التميمي، (ورقة ٢١) [مخطوط].
[2] الجامع لأحكام القرآن، (ج٥/ص١٧٦).
[3] رواه البخاري.
[4] رواه البخاري ومسلم، وأحمد والنسائي، وأبو داود وابن حبان وغيرهم بطرق مختلفة.
[5] أحكام القرآن، (ج٣/ص٣٦٦).
[6] المناظرة بين أهل السنة والرافضة، (الورقة ٦٦) [مخطوط].

وَأمَّا السُّنَّة:

فِيمَا جاءَ في مَجْمَعِ الزَّوائِدِ بإسنادٍ حَسَنٍ، عن ابن عبَّاسٍ قَالَ: كُنتُ عِندَ النَّبِيّ ﷺ وَعِندَهُ عَلِيّ، فقَالَ النبيُّ ﷺ: "يَا عَلِيُّ؛ سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يَنْتَحِلُونَ حُبَّ أَهْلِ الْبَيْتِ، لَهُمْ نَبَزٌ يُسَمَّوْنَ الرَّافِضَةَ، قَاتِلُوهُمْ فَإِنَّهُمْ مُشْرِكُونَ"[١].

وَمَا أخرَجَهُ الإمامُ أحمدُ في مُسْنَدِه، وَالبَزَّارُ عَن إبراهيمَ بن الحسنِ بن عَلِيّ بن أبي طالِب عَنْ أبيهِ عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قالَ عليُّ بن أبي طالب -رضِيَ اللهُ عَنْهُ-: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: "يَظْهَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، قَوْمٌ يُسَمَّوْنَ الرَّافِضَةَ، يَرْفُضُونَ الْإِسْلَامَ"[٢].

والعجيبُ أنَّ ذلك النَّبْزَ -أعني الرَّافِضَة- قدْ نقَلَه أيضًا أئمة الرَّافِضَة في أصولهم المعتبرة عن الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-؛ فقد نقل لنا صاحب كتاب (لله ثم للتّاريخ) عن كتاب الكافي روايةً عن أبي عبد الله -عليه السلام-: أنَّهم جاؤوا إليه -أي الرَّافِضَة-، (فقالوا له: إنّا قد نبزنا نبزًا أثقل ظهورنا، وماتت له أفئدتنا، واستحلّت له الولاة دماءنا، في حديثٍ رواه لهم فقهاؤهم، فقال لهم أبو عبد الله -عليه السلام-: الرَّافِضَة، قالوا: نعم، فقال: لا والله ما هم سموكم، ولكنّ الله سماكم به)[٣]، ويقول السيد حسين بن موسوي معلّقًا على ذلك: (فبيّن أبو عبد الله أنَّ الله سماهم الرَّافِضَة، وليس أهل السُنَّة)[٤].

وَمِمَّا استُفِيضَ مِنْ أَقْوَالِ السَّلَفِ في الحُكْمِ بِكُفْرِهِمْ:

فمما ورد عن الإمام أحمد -رحمه الله-، ما روى الخلال عن أبي بكرٍ الْمَرُّوذِيّ، قال: سألت أبا عبد الله عمن يشتم أبا بكرٍ وعمر وعائشة، قال: (ما أُرَاهُ على الإسلام)، وقال الخلال: أخبرني عبد

---

[١] رواه الطبراني في المعجم الكبير.
[٢] قال الهيثمي: ضعيف.
[٣] الكافي، الرافضي الكليني، (ج٨/ص٣٤).
[٤] لله ثم للتاريخ، (ص١٨).

الملك بن عبد الحميد، قال: سمعت أبا عبد الله قال: (من شتم أخاف عليه الكفر مثل الرَّوَافِضِ)، ثم قال: (من شتم أصحاب النَّبِيِّ ﷺ: لا نأمن أن يكون قد مرق عن الدِّين)[١].

وجاء في كتاب السُنَّة للإمام أحمد قوله عن الرَّافِضَة: (هم الذين يتبرَّؤون من أصحاب محمدٍ ﷺ، ويسبُّونهم وينتقصونهم، ويسبون الأئمة إلا أربعًا: عليًّا وعمارًا والمقداد وسلمان، وليست الرَّافِضَة من الإسلام في شيء)[٢].

وقال الإمام البخاري -رحمه الله تعالى- في خلق أفعال العباد: (ما أُبالي صلَّيت خلف الجهميّ والرَّافضيّ أم صلَّيت خلف اليهود والنَّصارى، ولا يُسلَّم عليهم، ولا يُعَادُونَ، ولا يُنَاكَحُونَ، ولا يَشْهَدُونَ، ولا تؤكل ذبائحهم)[٣].

وقال الإمام أحمد بن يونس، الذي قال عنه الإمام أحمد بن حنبل وهو يخاطب رجلًا: (اخرُج إلى أحمد بن يونس، فإنَّهُ شيخُ الإسلام)[٤]، قال - أي: الإمام أحمد بن يونس-: (لو أنَّ يهوديًّا ذبح شاةً، وذبح رافضيٌّ: لأكلت ذبيحة اليهودي، ولم آكل ذبيحة الرافضي؛ لأنَّهُ مرتدٌّ عن الإسلام)[٥].

وقال الإمام ابن حزمٍ -رحمه الله تعالى- في ردّه على النَّصارى الذين يستدلّون بتحريف القرآن من أقوال الرَّافِضَة، فقال: (وأما قولهم -يعني النَّصارى- في دعوى الروافض تبديل القرآن، فإنَّ الروافض ليسوا من المسلمين)[٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في الصّارم المسلول: (من زعم أنَّ القرآن نقص منه آياتٌ، أو كتمت، أو زعم أنَّ له تأويلات باطنة تسقط الأعمال المشروعة، [...] فلا خلاف في كفرهم، ومن زعم أنَّ [الصَّحابة] ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفرًا قليلًا لا يبلغون بضعة عشر نفسًا، أو أنّهم فسقوا عامتهم؛ فهذا لا ريب أيضًا في كفره؛ لأنّه مكذّبٌ لما نصّه القرآن في غير

---

[١] (ج٣/ص٤٩٣).
[٢] رواه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (ج١/ص٣٣) عن أبي العباس الإصطخري. انظر: السنة، حرب الكرماني (ص٦٥) طبعة دار اللؤلؤة.
[٣] خلق أفعال العباد، (ص ٣٣).
[٤] رواه يعقوب الفسوي في المعرفة والتاريخ، (ج٢/ص١٨٠).
[٥] الصارم المسلول، ابن تيمية، (ص٥٧٠).
[٦] الفصل، (ج٢/ص٦٥).

موضعٍ من الرضا عنهم، والثّناء عليهم، بل من يشكّ في كفر مثل هذا فإنّ كفره متعينٌ، فإنّ مضمون هذه المقالَة أنّ نقلة الكتاب والسنّة كفّارٌ أَوْ فُسَّاق، وَأنَّ هذهِ الآيةَ الَّتي هيَ: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} [آل عمران: ١١٠]، وخيرها هو القرن الأوّل كان عامتهم كفّارًا أو فساقًا، ومضمونها أنَّ هذه الأمة شر الأمم، وأنَّ سابقي هذه الأمة هم شرارها، وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام)[١]، وَقالَ أيضًا عن الرَّافِضَة: (إنَّهُم شرٌّ من عامَّةِ أهلِ الأهواءِ، وَأَحَقُّ بالقِتالِ من الخوَارِجِ)[٢].

وَقالَ الإمامُ السَّمْعَانيّ -رَحِمَهُ الله- في الأنسَابِ: (واجتمعت الأمة على تكفير الإمامية؛ لأنّهم يعتقدون تضليل الصَّحابة، وينكرون إجماعهم، وينسبونهم إلى ما لا يليق بهم)[٣].

ومن عجيب التناقضات والمفارقات: أنّ الحكومة السعودية -وقس عليها غيرها ممن كانوا ينادون بالعداء، ويطلقون التحذيرات من الخطر القادم من الرَّافِضَة-: نراهم اليوم يقربونهم، ويجلسون معهم، ويتحاورون في مجالس محاوراتهم الرسمية، فها هي لجنتهم الدّائمة للبحوث والإفتاء: كانت قد أفتت بتكفير الرَّافِضَة، إثر سؤالٍ وجّه للجنة آنذاك من قبل سائلٍ يقول: (أنا من قبيلةٍ تسكن في الحدود الشّمالية، ومختلطون نحن وقبائل من العراق، ومذهبهم شيعةٌ وثنية، يعبدون قببًا ويسمونها بالحسن، والحسين، وعلي، وإذا قام قال: يا علي، يا حسين، وقد خالطهم البعض من قبائلنا في النّكاح، وفي كلّ الأحوال، وقد وعظتهم ولم يسمعوا، وهم في القرايا والمناصيب، وأنا ما عندي أعظهم بعلمٍ، ولكنّي أكره ذلك ولا أخالطهم، وقد سمعت أنّ ذبحهم لا يؤكل، وهؤلاء يأكلون ذبحهم، ولا يتقيدون، ونطلب من سماحتكم توضيح الواجب نحو ما ذكرنا).

فَكَانَ ردُّ اللّجنَة: (إذَا كانَ الواقِعُ ما ذكرتَ من دعائِهِم عليًّا وَالحسين الحَسَن وَنَحْوَهُم؛ فهم مشركون شركًا أكبر، يخرج من ملّة الإسلام، فلا يحلّ أن نزوّجهم المسلمات، ولا يحلّ لنا أن نتزوّج من نسائهم، ولا يحلّ لنا أن نأكل من ذبائحهم؛ قالَ اللهُ تَعَالَى: {وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ

---

[١] (ص٥٨٦-٥٨٧).

[٢] مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص٤٨٢).

[٣] (ج٦/ص٣٦٥).

يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ ۖ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ۖ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ} [البقرة: ٢٢١]، وَباللهِ التوفِيقُ، وَصَلَّى اللهُ على نبيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعلى آلِهِ، وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ. اللّجنةُ الدائمَةُ للبحوثِ العلميَّةِ والإفتاءِ)[١].

وَمِمَّا جاءَ في كتبِ الرَّافِضَة أنفُسِهم في تَبرؤِ آل البيتِ وَالرّسولِ ﷺ منهُم، وَإِخْراجِهم من هذه الأمَّة: مَا جَاءَ في كتاب الاحتجاج قال الإمام زين العابدين –عليه السلام– لأهل الكوفة: (هل تعلمون أنَّكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق [، ثمَّ] قاتلتموه وخذلتموه؟ بأية عينٍ تنظرون إلى رسول الله ﷺ وآله، وهو يقول لكم: قاتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أمتي؟)[٢].

رابعًا: إنّنا حين نستشهد برواياتٍ وأقوالٍ من كتب الرَّافِضَة المعتبرة المعتمدة عندهم؛ فإنّنا لا نقر بالضرورة بهذه الأقوال والروايات، وإنّما نحن نستأنس بها من باب {وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ}، وقد استشهدنا بكثيرٍ من هذه الروايات.

خَامِسًا: إنّ جرائم الرَّافِضَة وخياناتهم عبر التّاريخ، كانت كلّها جرائم من حيث المعتقد الديني، لكننا تناولنا كلًّا منها بحسب جانبها، وبحيثياتٍ متعدّدة؛ فهناك جرائم دينية محضة تتعلّق بجانب العبادات، وشعائر لهدم الدّين أو تحريفه، وهناك جرائم سياسية من خلال الغدر والاغتيالات من الدّاخل، والمؤامرة مع العدوّ من الخارج لزعزعة أركان الدّولة الإسلامية، وهناك جرائم اجتماعية وأخلاقية لنشر الرذيلة لتفكيك الأسرة المسلمة، وتفكيك البنية التّحتية للأمة الإسلامية باسم: (المتعة في الدِّين)؛ فذكرنا كلًّا في محلّه، وهي في مجموعها بالجملة لا تخرج عن كونها جرائم دينية.

---

[١] فتاوى اللجنة الدائمة مجموعة١، (ج٢/ص٣٧٣).
[٢] الاحتجاج، الرافضي الطبرسي، (ج٢/ص٢٤-٢٥).

جرائمهم في عهد الخلافة الراشدة

وبعد أن قررنا ما سبق توضيحه نقول: لقد رصد لنا التّاريخ منذ عهد الخلافة الراشدة مرورًا بالعهد الأموي، والعباسي والعثماني، وحتّى هذا العصر كمًّا هائلًا من خيانات القوم وجرائمهم وغدراتهم، لو أردنا حصرها استيفاءً وتتبّعها استقراءً: لاحتجنا لمحاضراتٍ ومحاضراتٍ، بل وإلى أسفار متتالياتٍ، وحسبنا هنا أن نذكر ونذكّر بجملةٍ من أبرز خياناتهم وجرائمهم عبر التّاريخ؛ من خلال ذكر ماضي خياناتهم، والربط بينها وبين حاضرها، حتّى تكون الصّورة حاضرةً في أذهاننا، لا مجرد سردٍ تاريخي من ماضٍ تليدٍ منقطع عن حاضره.

فأما في عهد الخلافة الراشدة؛ فقد بدت أولى جرائمهم وخياناتهم، في عهد الخليفة العادل الراشد الذي أعز الله به الإسلام -ببركة دعوة نبينا ﷺ له- عمر بن الخطّاب -رضي الله عنه-، متمثّلة الجانب السياسي منها خاصّة، إذ لم يكن الفكر والمخطّط الرافضي تبلور تمامًا، وقد مثّل هذه الخيانة المجوسي الفارسي أبو لؤلؤة، الذي كان من سبي فارسٍ بعد أن فتحها الله على المسلمين في عهد الفاروق عمر، فما كان من هذا المجوسي الفارسي بعد أن فاض بالحقد قلبه، واستفاض بالغدر همه، إلا أن دبر مؤامرةً مع من يقاسمونه الكراهية والعداء لهذا الدّين؛ وهما: الهرمزان وجفينة؛ فالهرمزان الذي كان ميمنة القائد الفارسي رستم في القادسية، ثم هرب بعد هلاك رستم، ثم ملك خوزشستان، وقاتل المسلمين، ولما رأى عجزه، طلب الصّلح فأجيب إليه، ولكنّه غدر، وقتل المجزأة بن ثور والبراء بن مالكٍ، فقاتله المسلمون وأسروه وساقوه إلى عمر بن الخطّاب، فأظهر الإسلام وحسن الطّوية، وعاش في المدينة، وجفينة النّصراني من أهل الحيرة، كان ظئرًا لسعد بن مالكٍ، أقدمه للمدينة للصلح الذي بيننا وبينهم، وليعلّم أهل المدينة الكتابة، وبالرغم أنّ أمير المؤمنين وجميع المسلمين أحسنوا إليهم، إلا أنّ الحقد المجوسي الفارسي على الدّين وعلى دولة الإسلام: كانت أكبر بكثيرٍ من هذا الإحسان، فحاكوها مؤامرةً كبرى، وخيانةً تعد في حكم الشّرع عظمى؛ حيث سنّوا أوّل سنّة سيئة في الإسلام، وأوّل لبنة أساسٍ من مخطّطات الرَّافِضَة في مجال الغدر والخيانة، ألا وهي سنّة الخروج على الحاكم المسلم، وسنّة اغتيال الخليفة، والذي بموته أو بالخروج

عليه تضطرب البلاد ويفتتن العباد، ونحن هنا ندرج هذه الخيانة، وهذه الجريمة، ونعدّها أولى جرائم الرَّافِضَة، بالرغم من أنّ دين الرفض لم يكن قد ظهر بالفعل كمنهجٍ وكدينٍ وكفكرٍ لسببين؛

الأوَّلُ: هو أنّ هذا المجوسي هو أوّل من سنّ جريمة الاغتيال السياسي الموجّهة ضدّ الحاكم المسلم؛ نتيجة للحقد على الإسلام وأهله، فكانت هي النّبراس الذي به اهتدى بقية الرَّافِضَة من بعده.

وَالثَّاني: أنّ الرَّافِضَة بعد ذلك اعتبروه رمزًا من رموزهم، واعتبروا سنّته في الاغتيال أساسًا من أسسهم، وأدبيات جرائمهم؛ لدرجة أنّهم يترضون عنه في كتبهم، بل وصل بهم الأمر في تعظيمه أن بنوا له قبرًا ومزارًا في مستقر وكرهم في إيران، يطوفون به ويقدّمون عنده القرابين، وفي ذلك يقول صاحب كتاب (لله ثم للتّاريخ): (واعلم أنَّ في مدينة كاشان الإيرانية في منطقة تسمى (باغي فين) مشهدًا على غرار الجندي المجهول، فيه قبرٌ وهمي لأبي لؤلؤة فيروز الفارسي المجوسي، قاتل الخليفة الثّاني عمر بن الخطَّاب -رضي الله عنه وأرضاه-؛ حيث أطلقوا عليه ما معناه بالعربية: (مرقد بابا شجاع الدّين)، وبابا شجاع الدِّين، هو لقبٌ أطلقوه على أبي لؤلؤة لقتله عمر بن الخطّاب، وقد كتب على جدران هذا المشهد بالفارسي: (مرگ بر أبو بكر، مرگ بر عمر، مرگ بر عثمان)؛ ومعناه بالعربية: الموت لأبي بكرٍ، الموت لعمر، الموت لعثمان! وهذا المشهد يزار من قبل الإيرانيين، وتلقى فيه الأموال والتّبرعات، وقد رأيت هذا المشهد بنفسي، وكانت وزارة الإرشاد الإيرانية قد باشرت بتوسيعه وتجديده، وفوق ذلك قاموا بطبع صورة المشهد على كارتات تستخدم في تبادل الرسائل والمكاتيب)[١].

وَيَقُولُ الإمامُ ابن تَيْمِيَّة -رحِمَهُ الله تَعَالَى- في منهاج السنّة النّبوية: (ولهذا تجدُ الشّيعة ينتصرون لأعداء الإسلام المرتدّين، كبني حنيفة أتباع مسيلمة الكذّاب، ويقولون إنَّهم كانوا مظلومين، كما ذكر صاحب هذا الكتاب، وينتصرون لأبي لؤلؤة الكافر المجوسيّ، ومنهم من يقول: (اللَّهمَّ ارض عن أبي لؤلؤة واحشرني معه). ومنهم من يقول في بعض ما يفعله من محاربتهم: (وثارات أبي لؤلؤة).

---

[١] (ص٨٨).

كما يفعلونه في الصُّورة الَّتي يُقدِّرون فيها صورة عمر من الجبس أو غيره، وأبو لؤلؤة كافرٌ باتّفاق أهل الإسلام، كان مجوسيًّا من عبَّاد النِّيران، وكان مملوكًا للمغيرة بن شعبة، وكان يصنع الأرحاء، وعليه خراجٌ للمغيرة كُلَّ يومٍ أربع دراهمَ، وكان قد رأى ما عمله المسلمون بأهل الذِّمَّة، وإذا رأى سبيهم يقدم المدينة: يبقى من ذلك في نفسه [شيء])[1].

ثم ظهرت ثاني جريمةٍ سياسيةٍ من جرائم الرَّافِضَة؛ ألا وهي جريمة مقتل الخليفة عثمان –رضي الله عنه–، بعد بثّ الشّبه واستثارة الشّعب ضدّه؛ لكن هذه المرة: الجريمة مستندةٌ على مخطّطٍ وفكرٍ متبلورٍ وناضجٍ وأكثر حبكةً من سابقتها، على يد المؤسس الحقيقي لمذهب الرفض: اليهودي ابن سبأ، حتى أنّ فرقةً من فرق الرَّافِضَة انتسبت له وسموا بـ(السبئية)، وعبد الله بن سبأ هذا وإن كان يتبرأ منه الرَّافِضَة اليوم ظاهرًا إلا أنّه يرسخ في أمهات كتبهم باطنًا، حتّى أنّ المحقّقين من علمائهم، أكّدوا أنّ هذه الشّخصية مثبتةٌ في أمهات كتب الرَّافِضَة، بل وفي كتبٍ متنوّعةٍ ومصادر مختلفةٍ، بعضها في كتب الرجال وبعضها في الفقه وبعضها في الفرق؛ ومن ذلك ما جاء في كتاب شرح نهج البلاغة، ما ذكره ابن أبي الحديد أنّ عبد الله بن سبأ قام إلى علي وهو يخطب، ومن كتاب الأنوار النّعمانية ما ذكره سيدهم نعمة الله الجزائري، قال عبد الله بن سبأ لعلي: (أنت الإله حقًّا)[2]، ومع أنّ هذا اليهودي الأصل، الرافضي المنهج والدّعوة: قد نجح في بثّ الفتن وتشكيك النّاس في شرعية خلافة عثمان –رضي الله عنه–، ومع أنّه تم وبإيعازٍ منه قتل الخليفة عثمان –رضي الله عنه–؛ إلا أنّه لم يهدأ له بالٌ بذلك؛ لأنّه حقيقةً لا يقصد عزل أميرٍ وتنصيب آخر، بل أراد أن يفتن المسلمين ويلبس عليهم دينهم؛ فاستمر يحيك المؤامرات، ويفتل حبائلها حتَّى في زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب –رضي الله عنه–؛ فبعد أن كادت تخمد فتنة (وقعة الجمل)، ويصطلح الفريقان، ويسلّمون لأمير المؤمنين علي؛ وإذا به وبأتباعه يغدرون ويصرون على قتال المسلمين، فيهجمون على أصحاب الجمل، ويبدؤون بقتالهم ليوقعوا الحرب الَّتي كادت تنطفئ دون قتال، ليس هذا فحسب؛ بل إنَّ الذين أظهروا تشيعهم لأمير المؤمنين عليٍ –رضي الله عنه– في ذلك الوقت، وطلبوا

---

[1] (ج٦/ص٣٧٠-٣٧١).
[2] (ج٢/ص١٦٢).

منه الخروج إلى العراق وتحويل عاصمة الخلافة إلى الكوفة: خذلوه وتخلّوا عنه مرارًا، فحين عزم على الخروج إلى أهل الشّام، ليمسك بزمام أمور المسلمين حتّى لا تكون فرقةٌ واختلافٌ ولتتوحّد كلمة المسلمين: تسلّلوا من معسكره دون علمه عائدين إلى بيوتهم، حتّى بات معسكره خاليًا؛ حَتَّى قَالَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فِيهِم: (ما أنتم إلا أسود الشِّرى في الدَّعة، وثعالبُ روَّاغةٌ حين تدعون إلى بأس، [و] ما أنتم لي بثقةٍ)، حتَّى قال: ([و] ما أنتم بركبٍ يصال بكم، ولا ذي عزٍّ يعتصم إليه لعمر الله، لبئس حُشَّاشُ الحرب أنتم! إنَّكم تُكادون ولا تَكيدون، وتُنتَقَصُ أطرافكم ولا تتحاشون)[١].

وخانوه كذلك وخذلوه تارةً أخرى، لما أقدمت جيوش خال المؤمنين -رغم أنف الرَّافِضَة- معاوية -رضي الله عنه-، متوجّهة لعين التّمر من أطراف العراق، فاستنهضهم للدّفاع عن أرض العراق فلم يجيبوه، حتّى قال فيهم: (يا أهل الكوفة؛ كُلَّما سمعتم بمنسرٍ من مناسر أهل الشّام [...]، انجحر كلّ امرئٍ منكم في بيته، وأغلق بابه انجحار الضَّبِّ في جُحره والضَّبع في وجارها! المغرور من غررتموه، ولمن فاز بكم فاز بالسَّهم الأخيب، لا أحرارٌ عند النِّداء، ولا إخوان ثقةٍ عند النَّجاء، إنَّا للهِ وإنَّا إليه راجعون!)[٢].

ولمَّا رأى ذلك اليهودي الرافضي أنَّ الأمور السياسية في البلاد صارت كما خطَّطَ لها: لم يكتف بذلك؛ فأراد أن يهدم من الدّين جانبه الأصيل حتّى لا يكون للمسلمين مردٌّ يردّهم للحقّ إذا ما تنازعوا سياسيًّا؛ فبدأ بالجانب الدّيني الّذي يمس عقيدة الإسلام، يروم زعزعته كما زعزع سياسة البلاد في أركانها؛ فكان من جرائمه الدّينية الّتي كان سنّها حتّى صارت دينًا وأصلًا من أصول الرَّافِضَة فيما بعد: الطّعن والسب في الصّحابة الكرام، وكان أوّل من دعا إلى القول بتأليه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، حتّى هم بتحريقه ثمّ نفاه، وحرق السبئية الّذين اتّبعوا قوله وتمسكوا بتأليهه، بعد أن رفضوا استتابته لهم، وأخذ هذا اليهودي الرافضي يروّج لخليطٍ من فاسد معتقداتٍ يهودية ونصرانية

[١] رواه الطبري في التاريخ، (ج٥/ص٩٠).
[٢] المرجع السابق، (ص١٣٤).

ومجوسية، حتّى ثبتت هذه المعتقدات في نفوس أصحابها، فكانت أسس وأصول مذهب الروافض على جميع فرقهم.

وها هي خيانتهم تتواصل حتّى بعد موته لتصل إلى ابنيه الحسن والحسين؛ سبطي رسول الله ﷺ وسيدي شباب أهل الجنّة، فخانوا الحسن حين أصروا عليه محرضين له بالخروج إلى الشّام لقتال معاوية –رضي الله عنه–، فما كان منه –وهو الّذي خبر مكرهم ووافقهم مسايرةً لهم لإخراج خبيئتهم، وهو يميل برأيه إلى مصالحة معاوية–؛ إلّا أن جهّز جيشًا على رأسه قيس بن عبادة، فلما نادى منادٍ بمقتل قيس سرت فيهم الفوضى وأظهروا حقيقتهم وعدم ثباتهم؛ فانقلبوا على الحسن ينهبون متاعه، حتّى نازعوه البساط الّذي كان تحته بعد أن طعنوه وجرحوه، بل وصلت خيانتهم إلى أبعد من ذلك؛ فقد فكّر المختار بن أبي عبيد الثّقفي –وهو أحد شيعة العراق– بأن يهادن معاوية مقابل تسليم الحسن، فعرض على عمه سعد بن مسعود الّذي كان واليًا على المدائن بقوله: (هل لك في الغِنى والشَّرف؟)، فقال له عمه: (وما ذاك؟)، قال: (توثق الحسن، وتستأمن به إلى معاوية)، فقال له عمّه: (عليك لعنة الله! أثبُ على ابن بنت رسول الله ﷺ فأوثقه! بئس الرجل أنت!)[1].

وها هو الحسن –رضي الله عنه– يحكي خيانتهم له مفضلًا الصّلح مع معاوية –رضي الله عنه–، والتّنازل له، وحفظ بيضة وهيبة آل البيت قائلًا: (أرى معاوية خيرًا لي من هؤلاء، يزعمون أنَّهم لي شيعة، ابتغوا قتلي وأخذوا مالي، والله لئن آخذ من معاوية ما أحقن به دمي في أهلي وآمن به في أهلي خيرٌ من أن يقتلوني؛ فيضيع أهل بيتي وأهلي، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتَّى يدفعوا بي إليه سِلمًا، والله لئن أسالمه وأنا عزيزٌ: خيرٌ من أن يقتلني وأنا أسيرٌ)[2].

جرائمهم في عهد الدولة الأموية

وأمّا في عَهْدِ الدّوْلَةِ الأُمَوِيّةِ الّذِيْنَ اسْتَمَرّ حُكمُهُم مِنْ ٤١ إلى ١٣٢ للهجرة؛ فلقد برزت خياناتهم في جانبها السياسي أكثر من الجانب العقدي؛ ذلك لأنّهم يعلمون أنّه متى كان للمسلمين

[1] رواه الطبري في تاريخه، (ج٥/ص١٥٩).
[2] الاحتجاج، الرافضي الطبرسي، (ج٢/ص٩).

خليفةٌ مسلمٌ يحسن حراسة دينهم وسياسة دنياهم: فإنّه لن يكون للجانب العقدي أي أثرٍ يذكر؛ لأنّه ساعٍ في قمع وإخماد كلّ فتنةٍ وشبهة، فكان لا بدّ لهم في هذه المرحلة من التّركيز والاهتمام أوّلًا وبشكلٍ أكبر على خلخلة الجانب السياسي، والذي من خلاله يتخلخل الدّين.

فراحوا يستثيرون حمية الحسين بن علي -رضي الله عنهما- على دينه بأخبارٍ ورواياتٍ مبالغٍ فيها ومكذوبةٍ عن يزيد بن معاوية؛ مِن أنّه: ظلم الخلق وعطّل الشّريعة الحقّة، حتّى بادر بإرسال ابن عمه مسلمٍ بن عقيل ليتحقّق الأمر، وما أن وصل وعلم به أهل الكوفة حتّى سارعوا إليه، فأخذ البيعة منهم ثم أرسل ببيعة أهل الكوفة إلى الحسين، فلما علم والي الكوفة عبيد الله بن زياد بأمر البيعة: جاء فقتل مسلمًا بن عقيل كما قتل مضيفه هانئ بن عروة المرادي على مرأى ومسمع من شيعة أهل الكوفة الذّين كانوا للتّو مبايعين ومتحمسين ومحمسين للبيعة، ومع ذلك فلم يحركوا ساكنًا للدفاع عن مسلم ولا عن هانئ بعد أن اشترى عبيد الله بن زياد ذممهم بالأموال، فليت شعري أي عهد، بلّ أي بيعةٍ هذه الَّتي نقضوها قبل أن يقيموها! وليت شعري أي تاريخٍ هذا الّذي يسطر خيانة القوم ليعيد نفسه كما هو في أيامنا هذه! فهذه الذمم أرخص ما تكون عند أصحاب الرفض في هذه الأيام، كما في سالفها، حتى أنّهم ليبيعوها بثمنٍ بخسٍ دراهم معدودة، نَقُولُ: مَعَ هذا كُلّهِ أَبِي الحُسَين -رَضِيَ الله عَنه- إلّا أن هرع لنجدتهم على ما ادعوه من وقوع الظلم بهم، واستباحة الحرمات وتعطيل الحدود، من قِبَل عمال يزيدَ بن معاوية، وإرسالهم بالبيعة له، فخرج على قلّةٍ من أصحابه المتابعين وكثرةٍ من المحذرين له من عدم الخروج وبما حصل لأبيه وأخيه من غدرتهم مذكّرين، ولكن أبى الله إلّا أن يتم أمره، فلما علم يزيد بمقدم الحسين أرسل إليه جنده ليصدّوه ويحولوا بينه وبين صدع كلمة المسلمين، فلما رأى الحسين أنّه قد أحيط به ورأى خذلان شيعته له، وخذلانهم عن مناصرته: علم أنّه وقع في فخ خيانتهم، فعرض على قائد جند يزيد أحد ثلاثة: إما أن يعود من حيث أتى، أو يتركوه يمضي ليقابل يزيد بنفسه، وإلّا فيدعوه يلحق بأهل الثغور مجاهدًا مرابطًا، ولكن عبيد الله بن زياد أبى إلاّ أن يقاتله حتى قُتِل[1].

---

[1] انظر: تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر الطبري، (ج٥/ص٤٠٠). سرد الروايات حول مقتل الحسين -رضي الله عنه-.

ومن غرائب وعجائب وقاحتهم: أنَّ علماءَهم يسطّرون الروايات عن الحسين في ذمه لهم والدّعاء عليهم قبل مقتله؛ فقد جاء في كتاب أعلام الورى للطبرسي، دعاء الحسين على شيعته قبل استشهاده: (اللّهم إن متَّعتهم ففرّقهم فرقًا، واجعلهم طرائق قددًا، ولا ترضي الولاة عنهم أبدًا، فإنَّهم دعونا لينصرونا، ثمَّ عدوا علينا فقتلونا)[1].

وإنّنا هنا نقف وقفة المتفكر، ونتأمل لهذه الخيانات لأهل البيت تأمل المعتبر؛ فإذا كان هذا حالهم مع من يدّعون محبتهم، بل والمبالغة والغلوّ في محبتهم؛ فكيف يكون حالهم مع غيرهم؟ ولئن طالت محبيهم خياناتهم، فمن باب أولى أن تطال غيرهم من المسلمين، على ما نراه اليوم من مسارعتهم إلى الكفّار وموالاتهم ومخادنتهم.

ومن أهم الخيانات الّتي تمت في عصر بني أمية: ما ذكر في وفيات الأعيان: أنّهم ساهموا في خروج بني العباس على الخلافة الأموية، وإسقاطها بسقوط خراسان على يد أبي مسلمٍ الخراساني، والّذي أخذ يدعو ببيعة إبراهيم بن محمد، فلما علم نصر بن سياط نائب مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية بخراسان؛ كتب إلى مروان يعلمه بأمر البيعة، فكتب مروان إلى نائبه بدمشق بإحضار إبراهيم موثقًا، فأحضره وقام بحبسه، ولما تحقق أنّ مروان لا بدّ قاتله أوصى إلى أخيه السفّاح، وهو أوّل من ولي الخلافة من أولاد العباس، وبقي إبراهيم بالحبس شهرين حتى مات وقيل: قُتل[2].

جرائمهم في عهد الدولة العباسية

وَأمّا فِي العَهدِ العَبّاسِيّ، والَّذِي استَمَرَ حُكمُهُم فِيهِ ما بَينَ سَنَةِ ١٣٢، إلى ٦٦٥ للهجرة؛

فحدّث ولا حرج عن ظهور أمر الرَّافِضَة، وتشعب خياناتهم وتفننهم في أساليبها، ومن جميع الجوانب سياسيةً كانت أو دينية أو أخلاقية؛ فأمَّا الاغتيالات: فأكثر من أن تحصى، وأمَّا قلاقل الانقسامات والدّويلات الخارجة عن الخلافة: فأشّد من أن ترسى، فكانت بداية جرائمهم في هذا العصر سياسيَّة تروم إسقاط الخلافة الأُمَوِيَّةِ، والخروج على ولاية الحاكم الأمويّ، ثمَّ بعد ذلك التستر

---

[1] أعلام الورى بأعلام الهدى، (ص٢٥٣).
[2] وفيات الأعيان، ابن خلكان، (ج٤/ص١٨٧).

بدعوى أحقية بني العبَّاس في الخلافة، والَّتي نادى ودعا إليها أبو مسلم الخراساني؛ ليتمكنوا من السيطرة على مقاليد البلاد بعد أن أظهروا موالاتهم ومشايعتهم لبني العبَّاس زورًا، فبدؤوا بخراسان الَّتي كانت أوَّل ما سقط من البلاد على يد أبي مسلم، ومع بداية العهد العبَّاسيّ، فأخذ الفرس الحاقدون يشفون غليلهم من العرب المسلمين هناك، فأشبعوهم قتلًا وبطشًا وتنكيلًا، وحاول أبو مسلم نفسه شقَّ عصا الطاعة على المنصور الّذي ولي الخلافة بعد موت أخيه السفّاح، وحاول أن يغدر به، ولكنّ المنصور بدهائه وفطنته تنبه لما يحيكه أبو مسلم له، فاستدرجه حتى تمكن من قتله شرَّ قتلة[١]، ودارت بعد ذلك محاولاتٌ فاشلة من أنصار أبي مسلم للانتقام له؛ تارةً من خلال الفتن السياسية، وتارةً من خلال بثّ الشبهات؛ ومن هذه المحاولات: خروج سِنْبَاذ، الَّذي طالب ببدن أبي مسلم، فأرسل له المنصور جيشًا فهزمه[٢]، ثمَّ ظهرت الراوندية قرب أصفهان أيضًا، من جماعة أبي مسلم؛ يدعون لمعتقداتٍ فاسدةٍ فنادوا بألوهية المنصور، وأرادوا بذلك خداعه والإيقاع به لقتله، ولكنّه حاربهم وانتصر عليهم[٣]، ثم ظهر بعد ذلك منهم رجلٌ لقّب نفسه بـ(المقنَّع)؛ زعم أنَّ الله سبحانه وتعالى حلَّ في آدم ثم في نوح ثمَّ في أبي مسلم ثمَّ حلَّ به أخيرًا، واستطاع أن يكون له جماعة، وتغلَّب على بلاد ما وراء النَّهر متحصنًا بقلعة كش، ولكن الخليفة المهديّ -والَّذي اشتهر بشدَّته على الملاحدة والزنادقة- تعقّبه، فأرسل له جيشًا يحاصره، فلما تيقن هلكته سقى نفسه وأهل بيته السمَّ وهلك[٤]، ومع ذلك فلم يستطع المهديّ أن يقضي على فتنتهم؛ نظرًا لتسترهم الدَّائم بالتّقية والسِّريَّة؛ فهم دائمًا يعملون ويخططون بالخفاء، مستخدمين النِّفاق الاجتماعي بالتقرب والتزلف إلى كبار رجالات الدَّولة في الخلافة العباسية، حتى تمكنوا من الوصول للمناصب الوزاريَّة، فاستوزر كثيرٌ من خلفاء بني العبَّاس هؤلاء الرَّافِضَة المجوس؛ كالبرامكة وأبي مسلم الخرساني، والمجوسي الفضل بن سهل الَّذي كان وزيرًا للمأمون وقائدًا لجيشه وكان يلقّب بـ(ذي الرياستين)[٥]؛ أي: الحرب والسياسة، بل وزوجوا أبناءهم من بنات الفرس؛ فأم المأمون (مراجل) فارسيَّة، ما أدّى إلى تأثره وظهور هذا الأثر

---

[١] البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٣/ص٣٠٦-٣٢٧).
[٢] المرجع السابق، (ص٣٢٧-٣٢٨). انظر: تاريخ الرسل والملوك، الطبري، (ج٧/ص٤٩٥).
[٣] المرجع السابق، (ص٣٣٦).
[٤] المرجع السابق، (٥١٩-٥٢٠). انظر: الكامل في التاريخ، ابن الأثير، (ج٥/ص٢١٠-٢١١).
[٥] المرجع السابق، (ج١٤/ص٨٧).

عندما انتهى الحكم إليه؛ حيث اتَّخذ من مروى عاصمةً للخلافة بدلًا من بغداد، ونادى بأفكارٍ وفلسفاتٍ غريبةٍ عن الإسلام؛ كقوله: بـ(خلق القرآن)[١]، وجاءت هذه الدعوة من رواسب تربيته الفارسيَّة المجوسيَّة، فكان نتيجة هذا التقارب أن تمكن رافضة المجوس من بثِّ أفكارهم ومعتقداتهم بين المسلمين، وراحوا يدسون الأحاديث المكذوبة، ويلصقونها بالدّين، وراحوا يصورون التَّاريخ الإسلاميّ على أنّه تاريخ فتن وخصومةٍ بين الصَّحابة، ويطعنون بأبي بكرٍ وعمر خاصَّة، وفي الصَّحابة عامة. بل انبرى شعراؤهم يتفاخرون بمجد فارس القديم؛ مما حدا بالأصمعي هجاءه بقوله:

إذا ذُكِرَ الشِّركُ في مَجلِسٍ *** أضاءَت وُجوهُ بَني بَرمَكِ
وإِن تُلِيَت عِندَهُم آيةٌ *** أَتَوا بِالحديثِ عَلى مَزدَكِ[٢]

بل نتج عن هذا التقارب ما هو أشدّ على دولة الإسلام ودينه؛ ألا وهو تآمرهم على الخلافة وخروجهم واستقلالهم في مناطق متعددة، فكان أوّل من خرج على الخلافة العباسية: هو ما قام به طاهر بن الحسين الخزاعي؛ حيث استقلّ بخراسان كما فعل من قبل أبو مسلم[٣]، وتوالت بعد ذلك الانقسامات عن الخلافة، وظهرت الخيانات والجرائم العظيمة من هذه الدّويلات؛ فكان القرامطة في الأحساء والبحرين واليمن وعمان وفي بلاد الشّام، والبويهيون في العراق وفارس، والعبيديون في مصر والشّام، ولكن من فضل الله تعالى أنَّه لم يكن يظهر لِلرَّافِضَةِ يدٌ ودولةٌ، إلا ويظهر الله عليهم من يقوم بجهادهم ويسومهم العذاب، فقيض لِلرَّافِضَةِ في تلك الفترة السلاجقة الأتراك السُّنّيين، الذين كان ولاؤهم تابعًا للعباسيين، ولكنّهم كانوا أشدّاء على الرَّافِضَة، فقامت هذه الدّويلات الرَّافِضَة بالتّعاون مع الصّليبيين، ومكّنتهم من الدّخول إلى بلاد المسلمين للقضاء على أهل السُّنَّة الذين عجزوا عن الصُّمود في مجالدتهم.

---

[١] انظر: المحنة، رواية حنبل بن إسحاق,
[٢] أخبار أبي القاسم الزجاجي، الزجاجي، (ص٣٩).
[٣] انظر: البداية والنهاية، (ج١٤/ص١٦١-١٦٣).

جرائم القرامطة

فمن جرائم القرامطة الَّتي رصدها لنا التّاريخ في العهد العباسي؛ في المجال السياسيِّ:

خروجهم على الدّولة العباسية ومناوأتها، وتحريقهم منازل بني عبد قيسٍ، ثم اجتياحهم الكوفة عام ٢٩٣ للهجرة، وقيامهم بالمذابح الرهيبة الَّتي حدثت في ذلك العام حتّى أرخ لها المؤرخون[١].

ومن جرائمهم في جانب العقيدة وشعائر الدِّين:

أنّهم نشروا العقائد الفاسدة ابتداءً، بدعوى التّشيع لآل البيت، ثم قالوا بالرجعة وعلم عليٍّ – رضي الله عنه– للغيب، ثم التّنكّر لآل البيت، وذكر مثالب علي وأولاده، وبطلان هذا الدّين؛ ولذلك فإنَّ القرامطة كانوا يقربون الفلاسفة ويعتمدون على نظرياتهم وكتبهم، ويوصون دعاتهم: (وإن وجدت فيلسوفًا فهم عمدتنا؛ لأنَّا نتَّفق وهم على إبطال نواميس الأنبياء وعلى قدم العالم)[٢].

وفي سنة ٢٩٤ للهجرة؛ قام القرامطة الإسماعيليون بالاعتداء على حجّاج بيت الله الحرام بعد أن أمنوهم على أنفسهم؛ فقتلوا جميع القوافل، وتعقّبوا من فر منهم، حتّى أنّ نساء القرامطة كنَّ يقفن بين القتلى يعرضن الماء فمن كان به رمقٌ يقمن بالإجهاز عليه، ولم يكتفوا بقتل الحجيج؛ بل راحوا يفسدون مياه الآبار بالجيف والتّراب والحجارة[٣].

وفي عام ٣٢١[٤] للهجرة؛ قاموا كذلك باعتراض قوافل الحجيج وقتل الرجال، وسبي النّساء والذّرية، وهذا يذكّرنا بجريمتهم في هذا العصر؛ حينما أرسلت إيران مجموعةً من شيعة الكويت لترويع الحُجَّاج في مكَّة عام ١٤٠٩ للهجرة، فقاموا بزرع المتفجِّرات المدمرة في أحد الجسور بمكَّة المكرمة، بعد أن سلمهم إياها السفير الإيراني في الكويت، وهربوها إلى مكّة، وقد فجّروا منها حول

[١] انظر: الكامل، ابن الأثير، (ج٦/ص٥٤٩-٥٥٣).
[٢] المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، (ج١٢/ص٢٩٣).
[٣] انظر: الكامل، ابن الأثير، (ج٦/ص٥٥٥- ٥٥٧).
[٤] الصواب أن في هذه السنة لم يذكر المؤرخون مثل هذه الأحداث، وحصل ما ذكره في السنوات بين ٢٩٤هـ و٣١٩هـ.

المسجد مساء يوم السابع من شهر ذي الحجّة من ذلك العام، مما أدّى إلى مقتل رجلٍ وإصابة ١٦ شخصًا بجروحٍ عدا الخسائر المادية.

ومن فظائع جرائمهم الدّينية: أنّهم تطاولوا حتّى على بيت الله الحرام وعلى الكعبة المشرفة، فسرقوا منها الحجر الأسود، وبقي عندهم حتّى عام ٣٣٥ للهجرة؛ وفي ذلك يقول ابن كثيرٍ في البداية والنّهاية: (ذكر أخذ القرامطة الحجر الأسود إلى بلادهم: فيها خرج ركب العراق، وأميرهم منصورٌ الدَّيلمي، ووصلوا إلى مكَّة سالمين، وتوافت الركوب هناك من كلِّ مكانٍ وجانبٍ وفجٍّ، فما شعروا إلا بالقرمطيِّ قد خرج عليهم في جماعته يوم التَّروية، فانتهب أموالهم، واستباح قتالهم، فقتل في رحاب مكَّة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة من الحجّاج خلقًا كثيرًا، وجلس أميرهم أبو طاهر -لعنه الله- على باب الكعبة، والرِّجال تُصرعُ حوله، والسيوف تعمل في النَّاس في المسجد الحرام في يوم التَّروية، الَّذي هو من أشرف الأيام، وهو يقول: أنا لله وبالله، أنا الله أخلق الخلق وأفنيهم، فكان النَّاس يفرُّون منهم فيتعلَّقون بأستار الكعبة، فلا يجدي ذلك عنهم شيئًا، بل يُقتلون وهم كذلك، ويطوفون فيُقتلون في الطَّواف، فلما قضى القرمطي أمره، وفعل ما فعل في الحجيج من الأفاعيل القبيحة: أمر أن تُدفن القتلى في بئر زمزم، ودفن كثيرًا منهم في أماكنهم من الحرم، وفي المسجد الحرام، ويا حبَّذا تلك القتلة وتلك الضجعة، وذلك المدفن والمكان! ومع هذا لم يُغسَّلوا ولم يكفَّنوا ولم يُصلَّ عليهم؛ لأنَّهم محرمون شهداء في نفس الأمر، وهدم قبَّة زمزم، وأمر بقلع الكعبة ونزع كسوتها عنها، وشقَّقها بين أصحابه، وأمر رجلًا أن يصعد إلى ميزاب الكعبة فيقتلعه، فسقط على أم رأسه فمات إلى النَّار، فعند ذلك انكفّ الخبيث عن الميزاب، ثمَّ أمر بأن يقلع الحجر الأسود، فجاءه رجلٌ فضربه بمثقلٍ في يده، وقال: أين الطَّير الأبابيل؟ أين الحجارة من سجِّيل؟ ثمَّ قلع الحجر الأسود، وأخذوه حين راحوا معهم إلى بلادهم، فمكث عندهم ٢٢ سنةً حتَّى ردُّوه، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون)[١].

---

[١] (ج١١/ص١٨٢)، تنويه هذا الاقتباس فقط من طبعة دار إحياء التراث العربي.

جرائم البويهيين

وأما البويهيون؛ فكذلك خرجوا على الخلافة العباسية، واستولوا على العراق عام ٣٣٤ للهجرة، وخلعوا الخليفة العباسي المستكفي بالله، وجاؤوا بالفضل بن المقتدر، فنصّبوه خليفةً، ولقّبوه بالمطيع لله[١].

ومن جرائمهم الدّينية: أنّهم فرضوا التّشيع دينًا، واتّخذوه ستارًا لنشر الأفكار والمعتقدات المجوسية، وبثّوا الفتن بين المسلمين على أساس التّفريق بين أهل السنّة وبين الشيعة، وانتشر في عهدهم سب الصّحابة، وهم أوّل من أظهر بدعة إغلاق الأسواق في يوم عاشوراء من المحرم، ونصب القباب، وأظهروا معالم الحزن، وأخرجوا النّساء يلطمن وينحن على الحسين، وهنّ سافراتٌ ناشراتٌ لشعورهنّ، وتجرؤوا على ذات الله تعالى؛ حيث تسمى آخر ملوكهم بالملك الرحيم؛ منازعةً لله في اسمه.

جرائم العبيديون

وأما العبيديون، الذين ينسبون أنفسهم زورًا إلى نسل فاطمة بنت نبينا محمدٍ ﷺ؛ فحدّث ولا حرج عن جرائمهم؛ فقد خرجوا على الخلافة العباسية، بعد أن مهّدوا لهذا الخروج بمرحلةٍ سريةٍ بثوا من خلالها دعوتهم، متستّرين ومتمسّحين بمسوح آل البيت، في بلاد المغرب، ثم لما تمكنوا من السيطرة على بلاد المغرب: انتقلوا إلى مصر فاستولوا عليها، وخلعوا الخليفة هناك.

وكان من أبرز جرائمهم في الجانب العقدي:

أنّ حاكمهم وقبل دخولهم لمصر؛ أرسل مبعوثه لأهل مصر يقطع على نفسه العهود بعدم إظهار البدع وإبقاء السنّة وإحيائها، ولكنّهم بعد دخولهم غدروا بأهل مصر، وفرضوا التّشيع وألزموا النّاس بإظهاره، واستخدموا منابر المساجد للدّعاية إلى مذهبهم، ونشر بدعهم، وصار ينادى في الأذان

[١] انظر: البداية والنهاية، (ج١٥/ص١٦٧-١٦٩)، طبعة دار هجر.

بـ(حي على خير العمل)[١]، وظهر منهم الحاكم بأمر الله، الذي ادّعى الألوهية، وبثّ دعاته في كلّ مكانٍ من مملكته، يبشّرون بمعتقدات المجوس؛ كالتّناسخ والحلول، ويزعمون أنّ روح القدس انتقلت من آدم إلى عليٍّ، ثم انتقلت روح عليٍّ إلى الحاكم بأمر الله، وكان من أبرز دعاته محمدٌ بن إسماعيل الدّرزي المعروف بـ(أنشتكين)، وحمزة بن عليٍّ الزوزني، وهو فارسيٌّ من مقاطعة زوزن، وجاء إلى القاهرة لهذه المهمة[٢]؛ (أي: لبثّ الدّعوة إلى ألوهية الحاكم).

ومن جرائمهم الدّينية كذلك: محاولتهم نبش قبر النَّبي ﷺ، ونقل جثمانه الطّاهر مرتين في زمن الحاكم بأمر الله الذي ادّعى الألوهية.

المحاولة الأولى: يوم أن أشار عليه بعض الزنادقة بنقل النَّبِيِّ ﷺ من المدينة إلى مصر؛ فقام فبنى حائطًا بمصر، وأنفق عليه مالًا جزيلًا، وبعث أبا الفتوح لنبش الموضع الشّريف، فهاج عليه النّاس وحصل له من الهم والغم ما منعه من قصده[٣]، ولله الحمد والمنّة.

الثانية: حينما أرسل من ينبش قبر النَّبِيِّ ﷺ؛ حيث سكن هذا الرسول بقرب المسجد، وحفر تحت الأرض؛ ليصل إلى القبر، فاكتشف النّاس أمره فقتلوه[٤].

ثم لـما قيَّض الله السلاجقة الأتراك يرومون نشر السُّنَّةِ والقضاء على دين الرَّافِضَة؛ شعر العُبَيدِيُّونَ بعزيمة وقوَّة هؤلاء الأبطال، وعلموا من أنفسهم العجز عن مواجهتهم، ولجؤوا إلى خُطَّتهم القديمة ومكرهم السَّالف؛ حيث أرسلوا لأعداء الدِّين من الصَّليبيّين، وأغروهم بدخول بلاد المسلمين والتَّوطين لهم، مفضلين استيلاء النَّصارى على بلاد المسلمين على أن ينتشر مذهب السُّنَّةِ، ويظهر السلاجقة، فكان ممَّن وطَّن لهم وكاتبهم وأرسل لهم: أمير الجيوش الفاطمي الأفضل، وفي ذلك يقول ابن الأثير: (إنَّ أصحاب مصر من العلويّين؛ لما رأوا قوَّة الدَّولة السُّلْجُوقِيَّةِ، وتمكُّنها واستيلاءها على

---

[١] انظر: البداية والنهاية، (ج١٥/ص٣٢٨-٣٢٩).
[٢] انظر: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، المقريزي، (ج٢/ص١١٣).
[٣] انظر: إمتاع الأسماع، المقريزي، (ج١٤/ص٦٢٥)، نقل الحادثة من كتاب تاريخ بغداد لابن النجار.
[٤] انظر: وفاء الوفاء بأخبار المصطفى، السمهودي، (ج٢/ص١٨٩)، نقلها من كتاب ابن عذرة عن ابن سعدون القيرواني.

بلاد الشَّام إلى غَزَّة، ولم يبق بينهم وبين مصر ولايةٌ أخرى تمنعهم، ودخول أَقْسِيسَ إلى مصر وحصرها؛ خافوا، وأرسلوا إلى الإفرنج يدعونهم إلى الخروج إلى الشَّام ليملكوه)[١].

ويقول د. مصطفى الكناني، نقلًا عن المؤرخ اللاتيني المعاصر للحملة الصّليبية الأولى (كفارو الكاسكيفلوني): (ليكن معلومًا لدى الجميع الآن وفي المستقبل، وفي عهد البابا أوربان الثَّاني الطَّيب الذِّكر: أنَّ الدّون جونفريد بصحبة الكونت فراندلينيس، وعددًا آخر من النُبلاء والسادة، الذين رغبوا في زيارة ضريح السيد المسيح -عليه السلام-: قد ذهبوا إلى مدينة جنوة، ومنها ركبوا السفينة الجندية المعروفة باسم: (بوميلا)، ليبحروا إلى الإسكندرية، ولما وصل الوفد إلى ميناء الإسكندرية: اتجهوا بصحبة الجنود الفواطم إلى ميناء مدينة بيت المقدس -أي يافا-، وعندما أرادوا دخول المدينة عبر بوّابتها، لزيارة ضريح السيد المسيح: رفض حراس المدينة دخولهم إلا أن يدفعوا الرسوم المفروضة عليهم حسب ما هو مقررٌ كالعادة، ومقدارها بيزنط واحدٌ ليتمكّنوا من الدّخول)[٢]، ويفسر د. الكناني هذا الحدث بقوله: (إنَّ هذه الرحلة الَّتي قام بها الأمراء الصّليبيون لم تأت من فراغٍ، وبلا معتقداتٍ واتّصالاتٍ مسبقةٍ، بين هؤلاء الأمراء الفاطميين في مصر، فلا يعقل أن يقوم هؤلاء الأمراء الصّليبيون بزيارة ميناء الإسكندرية، دون أن يستقبلهم مسؤولو الأمن في الميناء، ودون وجود اتصالاتٍ سابقةٍ وترتيبٍ سالفٍ، وهذا يؤيد ما قام به الفاطميون من إرسال جند حراسةٍ اصطحبوا السفينة بوميلا إلى ميناء بيت المقدس، وكان الهدف من ذلك حماية هؤلاء الأمراء من خطر السلاجقة، إبان رحلة الذّهاب والعودة من الإسكندرية إلى بيت المقدس، الَّتي استغرقت أكثر من عامين)[٣].

وبعد أن تحركت الجيوش الصّليبية قادمةً من أوروبا في أول الحملات الصّليبية على بلاد المسلمين، وأثناء مرورها بمضيق البسفور في أراضي الدّولة البيزنطية: أخذ منهم الإمبراطور كوفين يمين الولاء والطّاعة، وكان فيما أمرهم به أن يسعوا للوصول إلى الاتّفاق مع الفاطميين في مصر؛

---

[١] الكامل في التاريخ، (ج٨/ص٤١٦).

[٢] العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي، (ج٢/ص٨٨-٨٩).

[٣] المرجع السابق.

لأنّهم كانوا أشدّ النّاس خصومةً للتّرك السلاجقة السنّيين، ولا يقبلون مطلقًا مصالحتهم، بينما عرف عنهم التّسامح مع الرعايا المسيحيين، وكانوا دائمًا مستعدّين للتّفاهم مع الدّول المسيحية[١]، وذلك يدلّ على مدى التّواطؤ الذي كان بين الرَّافِضَة العبيديين وبين الصّليبيين.

وهذا نفسه ما حصل بين رافضة إيران والأمريكان في مساعدتهم على الإطاحة بدولة طالبان، بالتّنسيق مع رافضة الشّمال في أفغانستان، وكذلك تعاون رافضة إيران مع الأمريكان في احتلال العراق بتنسيقٍ ومعاونةٍ من رافضة العراق.

وليتهم اكتفوا بمواقفهم السلبية تجاه الغزو الصّليبي لبلاد المسلمين! ولكنّهم لما رأوا أنّ مدّة حصار أنطاكيا قد طالت: خافوا من أن يتسلّل الملل واليأس إلى نفوس الجنود الصّليبيين فيتراجعوا وينتصر السلاجقة، مما حدا بالأفضل إلى إرسال سفراء مخصوصين يحضون القادة الصّليبيين على مواصلة الحصار، وأكّدوا لهم أنّهم سيرسلون لهم -أي الصّليبيين- كلَّ ما يحتاجون له من الإمدادات العسكرية والغذائية، فاستقبلهم القادة الصّليبيون بحفاوةٍ بالغةٍ، وعقدوا معهم عدّة اجتماعاتٍ تسلموا خلالها رسالة الأفضل، وفي ذلك يقول وليام صوري الذي نقله د. يوسف غوانمة: (إنّ محاصرة الصّليبيين لأنطاكيا أثلجت صدر الأفضل، واعتبر أنَّ خسارة الأتراك السلاجقة لأي جزءٍ من أملاكهم إنّما هو نصرٌ له نفسه)[٢]، ولما قفلت سفارة الأفضل راجعةً، صحبتهم سفارةٌ صليبيةٌ، تحمل الهدايا للتّباحث مع الأفضل في الأمور الّتي تم الاتّفاق عليها[٣]، وأرسلوا مع السفارة الفاطمية العائدة من ضمن الهدايا حمولة أربعة جيادٍ من رؤوس القتلى السلاجقة هديةً لخليفة مصر[٤].

ولم يكتف الأفضل بذلك، بل استغلّ فرصة انشغال السلاجقة من أهل السنّة بقتالهم وجهادهم للصّليبيين، فأرسل قوّاته إلى صور، وفتحها بالقوّة[٥]، ثمَّ أرسل قوّاته من العام التّالي إلى بيت المقدس

---

[١] أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، يوسف بن إبراهيم بن عيد، (ص١٣٩)، والعلاقات بين جنوة والفاطميين، مصطفى الكناني، (ج١/ص١٢٦).

[٢] دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين، (ص١٢٤).

[٣] المرجع السابق.

[٤] أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة حسن حبشي، (ص٦٣).

[٥] الكامل، ابن الأثير، (ج١٠/ص٢٦٤).

وانتزعه من أصحابه الأراتقة[١]، ثمَّ سرعان ما توجّه الصّليبيون لبيت المقدس كأنّها مؤامرةٌ واتّفاقيةٌ بين الطّرفين، يستولي الأفضل على بيت المقدس؛ ليتم تسليم البلاد بدمٍ باردٍ إلى يد الصّليبيين، وليس أدلّ على ذلك من أنّ الأفضل لما علم بتوجّه الصليبيين إلى بيت المقدس توجّه عائدًا إلى القاهرة.

وكانت القوّات الصّليبية الّتي حاصرت بيت المقدس في غاية التّعب والإنهاك من شدّة الحرارة الّتي لم يعتادوا عليها في بلادهم، حتّى أنّ الماشية والأغنام الّتي كانت معهم هلك عددٌ كبيرٌ منها، بل إنّ عدد الجيش الصليبي الذي كان متوجّهًا لحصار بيت المقدس لم يكن كبيرًا، بحيث يستطيع أن يصمد في ظلّ هذه الظّروف لولا خيانة الرَّافِضَة، وتواطؤهم مع الصَّليبين؛ إذ بلغ عددهم ١٥٠٠ فارسٍ، و٢٠ من المشاة[٢]، حتَّى أنّ المؤرخ ابن تغري بردي قال متعجّبًا: (والعجب أنَّ الفرنج لما خرجوا إلى المسلمين؛ كانوا في غاية الضعف من الجوع وعدم القوت، حتَّى أنَّهم أكلوا الميتة، وكانت عساكر الإسلام في غاية القوّة والكثرة، فكسروا -أي الصّليبيون- المسلمين وفرّقوا جموعهم)[٣].

وبعد حصارٍ دام أربعين يومًا؛ تمكّن الصليبيون من دخول بيت المقدس واحتلالها في شهر شعبان، في سنة ٤٩٢ للهجرة، وراحوا يقتّلون المسلمين، ويحرقون ما كان ببيت المقدس من مصاحفَ وكتبٍ، حتّى بلغ عدد القتلى ما يزيد على ٧٠ ألفًا من المسلمين منهم الأئمة والعلماء والعباد[٤]، وظلّوا على هذه الحالة من التقتيل والتنكيل أسبوعًا كاملًا، لدرجة أنّه لمّا أراد قائدهم الصّليبي ريموند زيارة ساحة المعبد: أخذ يتلمس طريقه تلمسًا من كثرة الجثث والدّماء الّتي بلغت ركبتيه[٥]!

وكان من جرائم الخلفاء العبيديين: أنّهم يتخلّصون من كل وزيرٍ ينادي بفريضة الجهاد ويرفع لواءه على وجه السرعة، ويظهر ذلك من خلال الفترة الّتي حكموا بها؛ فهذا الوزير الأفضل، لما كان

---

[١] اتعاظ الحنفاء، المقريزي، (ج٣/ص٢٢).
[٢] دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين، يوسف بن غوانمة (ص١٢٢).
[٣] النجوم الزاهرة، (ج٥/ص١٤٨).
[٤] الكامل، ابن الأثير، (ج١٠/ص٢٨٣-٢٨٤)، اتعاظ الحنفاء، المقريزي، (ج٣/ص٢٣).
[٥] تاريخ الحملات الصليبية، ستيفن رانسيمان (ج١/ص٤٣٥).

متحالفًا مع الصّليبيين كان منهم مقربًا، ولما بدأ يتحالف مع الدّماشقة الأتراك لمواجهة الصليبيين: قاموا باغتياله في عهد الخليفة الآمر[1].

وهذا الوزير رضوان بن الولخشي؛ كان من أشدّ النّاس تحمسًا للجهاد ضدّ الصليبيين، حتّى أنّه أنشأ ديوانًا جديدًا، أطلق عليه اسم: (ديوان الجهاد)[2]، وأخذ يطارد الأرمن، ويقصيهم من مناصبهم الّتي تولّوها من قبل الرَّافِضَة العبيديين، بل إنّه ندّد بالخليفة الحافظ العبيدي آنذاك على مواقفه المستكينة تجاه الصليبيين بالشّام، فعمد الخليفة الحافظ إلى تمكين الأرمن والتّعاون معهم سرًّا، وأخذ يثير طوائف الجيش الفاطمي ضدّ الوزير ابن الولخشي؛ الأمر الذي أعاق سير حركة الجهاد الّتي عزم ابن الولخشي على إدارتها، فاضطرّ إلى الفرار متحيزًا نحو الشّمال، حيث يوجد أسدٌ من أسود الجهاد، وهو عماد الدّين زنكي؛ ليستعين به في جهاده ضدّ الصليبيين[3].

وهذا الوزير ابن السلار السنّي الشّافعي؛ بذل قصارى جهده لمواجهة الصّليبيين، وحاول التّعاون مع نور الدّين والاتّصال به؛ ليتمكّنوا من مشاغلة الإفرنج في جهةٍ، وضربهم في جهةٍ أخرى، إلا أنّ الخليفة آنذاك الظّافر دبر له مؤامرةً فاغتاله في عام خمس مائة وثمانيةٍ وأربعين للهجرة.

وهذا الوزير العادل طلائع بن رزيك؛ الذي ما لبث بعد تولّيه الوزارة أن رفع راية الجهاد، وجهّز الأساطيل والسرايا لمهاجمة الصليبيين، لكنّه ما لبث أن قُتل قبل أن يحقّق حلمه في تحرير بيت المقدس، من قبل مؤامرة دبرها له (شاور السَّعْدِيّ)، الذي كان واليًا على الصّعيد في عهد الخليفة العاضد عام ٥٥٨ للهجرة[4]، ولما خرج أحد قادة الجيش وهو أبو الأشبال الضرغام على شاورٍ، وانتزع منه الوزارة وقتل ولده الأكبر طي بن شاور؛ اضطرَّ شاور إلى أن يرسل إلى الملك العادل نور الدّين محمود زنكي يستجير به[5]، ويطلب منه النّجدة على أن يعطيه ثلث خراج مصر[6]، وأن يكون

---

[1] الكامل، ابن الأثير، (ج١٠/ص٥٨٩-٥٩٠).
[2] شخصية الدولة الفاطمية، سعيد بن عاشور (ص٤١)، نقله عن ابن ميسر في تاريخ مصر.
[3] المرجع السابق.
[4] الكامل، ابن الأثير، (ج١١/ص٢٩٨)، وفيات الأعيان، ابن خلكان، (ج٧/ص١٤٥).
[5] المرجع السابق.
[6] التاريخ الباهر، ابن الأثير (ص١٢٠)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، (ج١/ص٥١).

نائبه بها؛ حيث قال: (أكون نائبك بها، وأقنع بما تعين لي من الضياع، والباقي لك)[١]، ومع أنَّ نور الدِّين كان متردِّدًا في إرسال حملة عسكريةٍ مع شاور، إلا أنَّه استخار، فأرسل له أكبر قوّاده أسد الدّين شيركوه، وأرسل معه ابن أخيه صلاح الدّين، وأمر بإعادة شاور إلى منصبه[٢]، واستطاع أسد الدِّين في حملته أن يقضي على ضرغام، وأن يعيد الوزارة إلى شاور في شهر رجب عام ٥٥٩ للهجرة[٣].

ولكنّ الغدر والخيانة بدت في محيا شاور؛ فأساء معاملة النَّاس وتنكَّب عن وعوده المعسولة لنور الدِّين، وأراد أن يغدر بأسد الدِّين شيركوه؛ حيث طلب منه الرجوع إلى الشَّام، دون أن يرسل إليه ما كان قد استقر بينه وبين نور الدِّين، ولما رفض أسد الدِّين الرجوع إلى الشّام: أرسل نوّابه إلى مدينة بلبيس فتسلَّمها وتحصَّن بها[٤]، فما كان من شاور إلا أن يغدر كما هي عادة الرَّافِضَة، فأرسل إلى ملك بيت المقدس الصّليبي يستنجده على شيركوه، ويطمعه في ملك مصر إن هم ساعدوه في إخراج شيركوه[٥].

وبالفعل سارع الصّليبيون بالتّوجّه إلى مصر، ومن ثم التقوا بـ(شاور) وعساكره، حتّى توجّهوا جميعًا إلى بلبيس وحاصروا أسد الدّين فيها[٦]، ولكن من رحمة الله تعالى أنّه وأثناء حصارهم لهم: وصلتهم الأنباء بهزيمة الإفرنج على حارم وتملّك نور الدّين لها، وتقدّمه إلى بانيسا لأخذها، فأصابهم الرعب واضطروا إلى أن يراسلوا أسد الدّين المحاصر في بلبيس يطلبون منهم الصّلح وتسليم ما أخذه سلمًا، فاضطر لموافقتهم على ذلك؛ إذ إنّ الأقوات قلّت عندهم، وعلم عجزه عن مقاومة الفريقين؛ فصالحهم وخرج من بلبيس عام ٥٥٩ للهجرة وهو في غاية القهر[٧].

هذا الأمر وهذه الخيانة من قبل شاور وتحالفه مع الصّليبيين؛ جعلا الملك الصّالح نور الدّين محمود يوجّه نظره إلى غزو مصر ثانيةً؛ للقضاء على مصدر الفرقة في العالم الإسلامي ومنبع الخيانة

---

[١] النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي، (ج٥/ص٣٤٦).
[٢] الروضتين، أبو شامة، (ج١/ص١٦٦)، التاريخ الباهر، ابن الأثير، (ص١٢١)، وفيات الأعيان، ابن خلكان، (ج٧/ص١٤٥).
[٣] الكامل، ابن الأثير، (ج١١/ص٢٩٩)، وفيات الأعيان، ابن خلكان، (ج٧/ص١٤٦-١٤٧).
[٤] التاريخ الباهر، ابن الأثير، (ص١٢١)، النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي (ج٥/ص٣٤٧).
[٥] الروضتين، أبو شامة، (ج١/ص١٦٦)، التاريخ الباهر، ابن الأثير، (ص١٢١).
[٦] مفرج الكروب، ابن واصل، (ج١/ص١٤٠).
[٧] التاريخ الباهر، ابن الأثير، (ص١٢١-١٢٢)، النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي (ج٥/ص٣٤٨).

للأمة؛ ألا وهي الخلافة الفاطمية، بالإضافة إلى رغبته في نشر المذهب السنّي والقضاء على مذهب الرفض؛ فخرجت حملةٌ من دمشق في منتصف شهر ربيعِ الأوّل من عام ٥٦٢ للهجرة، بقيادة أسد الدّين وابن أخيه صلاح الدّين وكانوا على موعدٍ مع النّصر[١]، ومن مقدّمات هذا النّصر وإرهاصاته أن قذف الله الرعب في قلوب أعدائه من الصّليبيين والرَّافِضَة المرتدّين، وبرغم تحالف شاور وقوّاته مع قوّات الصّليبيين واستنجاده بهم؛ إلا أنّهم قدموا والرجاء يقودهم والخوف يسوقهم[٢].

فبدأت أولى المعارك بين قوّات أسد الدّين وقوّات الصّليبيّين المتحالفين مع شاور في منطقة الصّعيد بمكانٍ يعرف باسم: (البابين)؛ فدارت معركةٌ حاسمةٌ انتهت بهزيمة الصّليبيين والفاطميّين أمام جنود شيركوه، (فكان من أعجب ما يؤرخ: أنَّ ألفي فارس –عدد أفراد جيش شيركوه– تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل)[٣]، واستمر الكر والفر بين الفريقين حتّى كان من فضل الله تعالى: أن بثّ الله الفرقة والنّزاع بين شاور والخليفة الفاطمي (العاضد) من جهةٍ، وتنكّر الصّليبيين للوزير شاور من جهةٍ أخرى[٤]، وكلّ ذلك بالإضافة إلى العزم الصّادق على جهاد الصّليبيّين ونشر الدّين الإسلامي الصّافي على منهج الجماعة الأولى، ما عليه الرسول ﷺ وأصحابه، أدّى بالنّهاية إلى انتصار حملة نور الدّين بقيادة أسد الدّين وابن أخيه صلاح الدّين، واستيلائهم على مصر في نهاية المطاف، ولكنّ الحقد الرافضي لم ينتهِ إلى هذا الحدّ؛ بل راح الرَّافِضَة يدبرون المؤامرات والمكايد بعد سقوط الدّولة العبيدية الفاطمية للتّخلّص من أسد الدّين، الذي تولّى الوزارة في مصر، ومن بعده ابن أخيه صلاح الدّين، الذي قطع الخطبة للخليفة الفاطمي في ثاني جمعةٍ من المحرم عام خمسمائةٍ وسبعةٍ وستّين للهجرة، وخطب للخليفة العباسي المستضيء بأمر الله.

محاولات اغتيال صلاح الدين الأيوبي

فتمت عدّة محاولاتٍ لاغتيال القائد صلاح الدّين؛

---

[١] مفرج الكروب، ابن واصل، (ج١/ص١٤٩)، الروضتين، أبو شامة، (ج١/ص١٦٨).
[٢] التاريخ الباهر، ابن الأثير، (ص١٣٢).
[٣] التاريخ الباهر، ابن الأثير، (ص١٣٢-١٣٣)، مفرج الكروب، ابن واصل، (ج١/ص١٥٠-١٥١).
[٤] التاريخ الباهر، ابن الأثير، (ص١٤٠)، مفرج الكروب، ابن واصل، (ج١/ص١٦٣).

ففي عام ٥٧٤ للهجرة من شهر ذي القعدة: اتّفق مؤتمن الخلافة –وهو خصيٌّ كان بقصر العاضد، وكان الحكم في القصر إليه– مع جماعةٍ من المصريين على مكاتبة الإفرنج مع شخصٍ يثقون به، يقترحون فيه عليهم: أن يتوجّه الصّليبيّون إلى الدّيار المصرية، فإذا وصلوا إليها وأراد صلاح الدّين الخروج إليهم: قام هو ومن معه من المصريين في الدّاخل بقتل مخالفيهم من أنصار صلاح الدّين، ثم يخرجون جميعًا في إثره حتّى يأتون من الخلف فيقتلون ومن معه من العسكر، ولكنّ الله تعالى أفشل مخطّطهم ذلك، وانكشف حامل الرسالة، فأرسل صلاح الدّين من فوره جماعةً من أصحابه إلى مؤتمن الخلافة، حيث كان يتنزه في قريةٍ له، فأخذوه وقتلوه، وأتوا برأسه، وعزل جميع الخدم الذين يتولّون أمر قصر الخلافة[١].

ثم جاءت المحاولة الثّانية لاغتيال صلاح الدّين من قبل الرَّافِضَة؛ لما ثار جند السودان الذين كانوا بمصر لمقتل مؤتمن الخلافة؛ لأنّه كان يتعصّب لهم، فجمعوا ٥٠ ألفًا من رجالهم، وساروا لحرب صلاح الدّين؛ فدارت بينهم عدّة معارك وكثر القتل في الفريقين، فأرسل صلاح الدّين إلى محلّتهم المعروفة بالمنصورة، فأحرقها على أموالهم وأولادهم وحرمهم، فلما علموا بذلك ولّوا منهزمين، فركبهم السيف وظلّ القتل فيهم مستمرًّا إلى أن قضى على آخرهم توران شاه، أخو صلاح الدّين في منطقة الجيزة[٢].

ولم يستكن الرَّافِضَة إلى هذا الحد؛ بل اتّفق جماعةٌ من شيعة العلويّين بمصر؛ ومنهم: عمارة اليمني (الشّاعر المعروف)، وعبد الصّمد الكاتب، والقاضي العويرسي، وداعي الدّعاة عبد الجبار بن إسماعيل بن عبد القوي، وقاضي القضاة هبة الله بن كامل، ومعهم جماعةٌ من أمراء صلاح الدّين وجنده؛ واتّفق رأيهم على استدعاء الفرنج من صقلّية ومن ساحل الشّام إلى الدّيار المصرية، على شيءٍ يبذلونه لهم من المال والبلاد؛ فإذا قصدوا البلاد، وخرج إليهم صلاح الدّين لمقاتلتهم: ثاروا هم من الدّاخل في القاهرة ومصر، وأعادوا الدّولة الفاطمية[٣]، ولكن من لطف الله تعالى بأمة الإسلام

---

[١] الكامل، ابن الأثير (ج١١/ص٣٤٥-٣٤٧)، اتعاظ الحنفاء، المقريزي، (ج٣/ص٣١١-٣١٣).
[٢] المرجع السابق.
[٣] الكامل، ابن الأثير (ج١١/ص٣٩٨-٣٩٩).

أن كشف مخطّطهم قبل أن يتم؛ حيث كان من ضمن من أدخلوه معهم في المؤامرة وأطلعوه على خبيئتهم: الأمير زين الدّين علي بن الواعظ، الذي أبت نفسه أن تقبل بهذه الدّنيئة وهذه الخيانة؛ فأخبر صلاح الدّين بما تعاقد عليه القوم، فكافأه على ذلك، ثم استدعاهم واحدًا واحدًا، وقررهم بذلك فأقرّوا، ثم اعتقلهم، واستفتى الفقهاء في أمرهم فأفتوه بقتلهم، فقتل رؤوسهم وأعيانهم، وعفا عن أتباعهم وغلمانهم، وأمر بنفي من بقي من جيش العبيديين إلى أقصى البلاد[١].

وبذلك تكون مصر قد بدأت صفحةً منيرةً من تاريخها؛ إذ أعاد صلاح الدّين البلاد إلى المذهب السنّي من جديد، وأرجع تبعيتها للدّولة العباسية، ثم راح يرتّب صفوفه من جديدٍ، ولولا مشاغلة الرَّافِضَة له ومحاولاتهم العديدة في تدبير المؤامرات لاغتياله: لَمَا تأخرّ بعد ذلك النّصر الكبير للأمة الإسلامية إلى عام ٥٨٣ للهجرة؛ حيث انشغل صلاح الدّين بقتال الرَّافِضَة، ولمّا تمكّن من القضاء عليهم كدولةٍ وكقوّةٍ: استطاع بعدها أن يتفرغ لقتال الصّليبيين، ومن ثم استعادة بيت المقدس من أيديهم في موقعة حطّين الفاصلة.

ولهذا كلّه؛ فإنّ شخصية صلاح الدّين -رحمه الله تعالى- بقدر ما هي تمثّل الرمز النّاصر لدين الله والمجدّد لعز هذه الأمة عند أهل السنة؛ بقدر ما تغيظ منها رؤوس الرَّافِضَة، وبقدر ما يبغضون هذه الشّخصية.

---

[١] المرجع السابق.

الفصل الثاني

باسم الله، والحمد لله، والصّلاة والسلام على سيد الخلق محمد، وعلى آله وأصحابه الكرام، ومن تبعهم إلى يوم القيامة من الأخيار، أما بعد:

تعاون الرافضة مع التتار لإسقاط الدولة الإسلامية[1]

ففي أثناء الطّور الثّاني للخلافة العباسية؛ نجد أنّ الرَّافِضَة يظهرون من جديدٍ، ولكن بلباس التّقية الذي يدينون بها حتّى تظهر لهم الدّولة واليد؛ كالثّعلب يلبس جلد الشّاة، فلا ينخدع به إلا الراعي المضيع لرعيته، والغافل بأمور دنياه عن أمور دينه.

فراحوا يتملّقون ويتقربون نفاقًا من كبار المسؤولين في الدّولة، ويعلنون الولاء والطّاعة جهرًا، ويبيّتون ما لا يرضى من القول سرًّا، حتّى انخدع بهم كثيرٌ من الخلفاء العباسيين؛ فنراهم يقلّدونهم المناصب الهامة والحساسة في الدّولة؛ ومثل هذا الرافضي الشّهير (ابن العلقمي)، الذي قلّده الخليفة المستعصم الوزارة غفلةً منه وتضييعًا، وإلا أفمَا كانت تكفيه العبر من التّاريخ القريب مما فعله الرَّافِضَة بأجداده؟! ولكن ليقضي الله أمرًا كان مفعولًا، وليرصد لنا التّاريخ جرائم القوم وخياناتهم، وقعودهم لأهل السنّة كلّ مرصدٍ، وهم يتربّصون بهم الدّوائر، فماذا كان جزاء الخليفة العباسي إلا أن تآمر الحاقد ابن العلقمي مع شيخه الرافضي نصير الدِّين الطُّوسي على هدم البلاد وقتل العباد وخلع الخليفة[2]؟! بعد أن راسلوا هولاكو ملك التّتار بدخول بغداد، ووعدوه بمناصرته والتّوطين له؛ من خلال خطّةٍ وحيلةٍ مكر بها ابن العلقمي؛ حيث أوهم الخليفة العباسي بأنّ عدد الجنود كثر وزاد على ديوان الجند، حتّى باتوا من كثرتهم يشكّلون عبئًا اقتصاديًّا على الدّولة، وأنّ الدّولة تحتاج في مرافقها الأخرى أكثر من حاجتها في الجند، فأشار عليه أن يقلّل نسبة الجند، فما أن وافق على هذه الفكرة وهذا

[1] تعليق إتقان: العناوين الفرعية هي زيادة مقترحة لفهم سياق الكلام.
[2] انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٧/ص٣٥٦-٣٥٩)، تاريخ الإسلام، الذهبي، (ج١٤/ص٦٧٠-٦٧٢).

المبدأ؛ حتّى راح يسرّح الكتائب تلو الكتائب؛ فبعد أن كان عدد الجنود ما يقارب المائة ألفٍ: صاروا قرابة العشرة آلاف جندي!

وفي ذلك يقول ابن كثيرٍ: (وكان الوزير ابن العلقميّ قبل هذه الحادثة؛ يجتهد في صرف الجيوش وإسقاط اسمهم من الدِّيوان، فكانت العساكر في آخر أيّام المستنصر قريبًا من ١٠٠ ألفٍ، منهم من الأمراء من هو كالملوك الأكابر الأكاسر، فلم يزل يجتهد في تقليلهم إلى أن لم يبق سوى ١٠ آلافٍ، ثمَّ كاتب التَّتار وأطمعهم في أخذ البلاد، وسهّل عليهم ذلك، وحكى لهم حقيقة الحال، وكشف لهم ضعف الرِّجال؛ وذلك كلُّه طمعًا منه أن يزيل السُّنَّةَ بِالْكُلِّيَّةِ، وأن يظهر البدعة الرَّافضية، وأن يقيم خليفةً من الفاطميّين، وأن يبيد العلماء والمفتين، والله غالبٌ على أمره)[1].

حينها أرسل ابن العلقمي إلى هولاكو يبلغه مدى الضعف الذي حلّ بالدّولة وبالخليفة، وخرج هولاكو لاجتياح بغداد، حتّى إذا صار على حدود البلاد: خرج له ابن العلقمي في جماعةٍ من خاصّته وأهله، واجتمعوا بهولاكو، وأشار ابن العلقمي على أن تُدَبّر للخليفة خطّةٌ لاستخراجه وكبار قادته وأمرائه وخاصّته من حواشيه خارج البلد؛ ليسهل القضاء عليه، ويسهل عليهم اجتياح بغداد، فجاء ابن العلقمي ينسج خيوط المكر والخيانة للخليفة المستعصم، ويشير عليه بأن يخرج لهولاكو ليعقد معه اجتماع صلحٍ يصطحب فيه خاصّته من الحاشية والأمراء والقضاة والقادة، وبالفعل وثق الخليفة بوزيره الرافضي، كيف لا؟ وهو الذي قربه إليه وعيّنه له وزيرًا! فماذا كانت نتيجة هذا التّقارب السنّي الرافضي الشّهير؟ النّتيجة هي ما استمرأ عليه الرَّافِضَة وألفوه: إنّه الغدر والخيانة، حتّى أنّ الخليفة لما قدم على هولاكو لم يكن هولاكو عازمًا على قتله بل تهيّب ذلك، ولكنّ ابن العلقمي والطّوسي شجّعاه على ذلك، ونصحاه بقتله وقتل من جاء معه، حتّى تم لهم ذلك بالفعل[2].

ودخل التّتار إلى بغداد؛ فأوقعوا فيها مذبحةً عظيمةً في النّفوس، ومحرقةً هائلةً في الكتب والمكتبات، فلم ينجُ من ذلك إلا أهل الذّمة من اليهود والنّصارى، ومَن التجأ إلى بيت ابن

---

[1] البداية، والنهاية، (ج١٧/ص٣٦٠).
[2] انظر: البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٧/ص٣٥٦-٣٥٩).

العلقمي، وفي ذلك يقول الإمام الذّهبي: (وفي سنة ٦٥٦ هـ؛ أحاط أمر الله ببغداد، فأصبحت خاويةً على عروشها، وبقيت حصيدًا كأن لم تغنَ بالأمس، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، نازلها المغول في أخلاطٍ من السفّل وأوباشٍ من المنافقين، وكلّ من لم يؤمن بالرب، وكان ابن العلقمي الوزير واليًا على المسلمين، وكان رافضيًّا جلدًا، فلمّا استداروا ببغداد، وخارت القوى وجف الرِّيق، وانخلعت الأفئدة؛ أشار الوزير على الخليفة المستعصم بالله بمصانعة العدوّ، وقال: (دعني أخرج إليهم في تقرير الصُّلح)، فخرج واستوثق لنفسه ولمن أراد، وجاء إلى الخليفة، وقال: (إنَّ الملك قد رغب أن يزوّج ابنته بابنك أبي بكرٍ، ويبقيك في الخلافة كما كان الخلفاء مع السلجوقية، ويرحل عنك، فأجبه إلى ذلك؛ فإنّ فيه حقن الدِّمَاء، وأرى أن تخرج إليه).

فخرج الخليفة في جمعٍ من الأعيان إلى السُّلْطَان هولاكو، فأنزله في خيمةٍ، ثمَّ دخل الوزير فاستدعى الأكابر لحضور العقد، فحضروا وضربت أعناقهم، وصار كذلك يخرج طائفةً بعد طائفةٍ، فيُقتَّلون، ثمَّ صيح في البلد، وبذل السَّيف، واستمرَّ القتل والسبي والحريق والنّهب، وقامت قيامة بغداد فلا حول ولا قوّة إلا بالله بضعًا وثلاثين يومًا، كلُّ صباحٍ يدخل فرقةٌ من التَّتار، فيحصدون محلَّةً، حتَّى جرت السُّيول من الدِّماء، وردمت فجاج المدينة من القتلى، حتَّى قيل إنَّه راح تحت السيف ألف ألفٍ وثمانمائة ألفٍ، والأصحّ: أنَّهم بلغوا نحوًا من ثمانمائة ألفٍ، وهذا شيءٌ لا يكاد ينضبط؛ فإنَّهم قتلوا في الطُّرق والجوامع والبيوت والأسطحة وبظاهر البلد: ما لا يحصى، بل هي ملحمةٌ ما جرى قطُّ في الإسلام مثلها، وسبوا من النِّساء والصِّغار ما ملأ الفضاء، وممَّن أُسر ولد الخليفة الصَّغير وإخوانه، وقتل الخليفة وابناه أحمد وعبد الرَّحمن، وممَّن قُتل مع الخليفة من الأعيان: أعمامه علي والحسين ويوسف، وجماعةٌ من أهل البيت.

وأخرج الصّاحب محيي الدِّين الرئيس العلامة ابن الجوزي وبنوه عبد الله وعبد الرحمن وعبد الكريم، فضُربت أعناقهم، وممن قتل صبرًا جماعةٌ مستكثرون من العلماء والأمراء والأكابر، وخلت بغداد من

أهلها، ودثرت المحال، واستولى عليها الحريق، واحترقت دار الخلافة، والجامع الكبير، حتَّى وصلت النَّار إلى خزانة الكتب، وعم الحريق جميع البلاد، وما سلم إلا ما فيه من هؤلاء الملاعين)[١].

من جرائمهم ضد أهل السنة بعد سقوط بغداد

ولم يقف هؤلاء الروافض الحاقدون في جرائمهم السياسية عند حدّ الإضرار بالخليفة وحاشيته لإسقاط الدّولة الإسلامية وحسب؛ بل تمادى ضررهم إلى عامة المسلمين؛ فأخذوا يقطعون الطّرق، ويقتلون الآمنين من النَّاس، ويأخذون القوافل، بل أخذوا يبتكرون وسائل مختلفةً للفتك بالنّاس ونشر الرعب بينهم؛ فقد بلغ من جرأة هؤلاء المفسدين أنّهم كانوا يخطفون النّاس من الشّوارع والحارات بأغرب الطّرق، وكان الرجل يتبع خاطفه من سكونٍ والخوف ملجمه، والويل له إن أبدى مقاومةً أو تحرك لسانه طلبًا للنّجدة؛ فإذا فعل ذلك استقرّ خنجر خاطفه في قلبه؛ فكان الإنسان إذا تأخَّر عن بيته عن الوقت المعتاد لرجوعه: تيقَّن أهله بأنّ الباطنية قتلوه، فيقعدون للعزاء به، ويسودهم الحزن والأسى حتّى يرجع[٢]، فأصبح النّاس لا يمشون في الشّوارع منفردين، وكانوا على غايةٍ من الحذر، ويصوّر لنا المؤرخ ابن الأثير صورةً لما فعله الباطنية بمؤذنٍ خطفوه؛ فيقول: (وأخذوا –الباطنية– في بعض الأيَّام مُؤَذِّنًا، أخذه جارٌ له باطنيٌّ، فقام أهله للنِّياحة عليه، فأصعده الباطنيَّةُ إلى سطح داره وأروه أهله كيف يلطمون ويبكون، وهو لا يقدر أن يتكلَّم خوفًا منهم)[٣].

ومن أساليبهم الأخرى الَّتي استخدموها للفتك بأفراد المجتمع الإسلامي، ونشر الرعب بينهم: أنّهم كانوا يخطفون النّاس بحيلٍ مختلفةٍ، ويحملون إلى منازل ودورٍ غير معروفةٍ؛ حيث يسجنونهم أو يقتلونهم، وكان إذا مر بهم إنسانٌ أخذوه إلى إحدى تلك الدّور، وهناك يعذّبونه ثم يقتلونه، ويرمونه في بئرٍ في تلك الدّار أعدّت لذلك الغرض! وكانت طريقتهم في خطف النّاس: أنّه كان يجلس على أوّل الدّرب المؤدية إلى إحدى هذه الدّور رجلٌ ضريرٌ من الباطنية، فإذا مر به إنسانٌ سأله أن يقوده

---

[١] المقاصد شرح نونية ابن القيم، أحمد بن عيسى، (ج١/ص٣٦٢–٣٦٣)، وقال فيه: أنه عن تاريخ الإسلام للذهبي، لكن لا يتوفر هذا اللفظ في النسخ الموجودة من الكتاب، بل بعض منه. انظر: تاريخ الإسلام، الذهبي، (ج١٤/ص٦٧٢–٦٧٣).

[٢] الكامل، ابن الأثير، (ج٨/ص٤٥٠).

[٣] المرجع السابق.

خطواتٍ في هذا الدّرب، فتأخذه الرأفة والإحسان لعمل الخير، فيقوده في هذا الدّرب حتّى إذا وصل إلى دارٍ من دورهم: قبضوا عليه وقتلوه، ورموه في البئر[1]، ولكن لم يلبث أن اكتشف النّاس حيلة الباطنية هذه، ففتكوا بهم وقتلوهم، ففي أحد الأيام صادف أن رجلًا دخل دار صديقٍ له فرأى فيها ثيابًا وأحذيةً وملابس لم يعهدها، فخرج من عنده، وتحدّث للناس بما رآه، فداهم النّاس البيت، وكشفوا عن الملابس والثّياب، فعرفوا أنّها من المقتولين[2]، فثار النّاس وأخذوا يبحثون عمن قتل منهم، وتجردوا للانتقام من الباطنية بقيادة العالم أبي القاسم مسعودٍ بن محمدٍ الخُجَنْدِيّ الفقيه الشّافعي، فجمع النّاس بالأسلحة، وأمر بحفر الأخاديد، وأوقد فيها النّيران، وأمر العامة من النّاس بأن يأتوا بالباطنية أفواجًا ومنفردين فيلقوهم في النّار، حتّى قتلوا منهم خلقًا كثيرًا[3].

وللعلم؛ فإنّ ما سبق ذكره من تاريخهم الأسود في قطع الطّريق، وقتل الآمنين وخطفهم، وخوف النّاس وانقطاع رجائهم فيمن يفتقدونه من أهليهم: هو ذات ما يحدث اليوم في أرض العراق وبلاد الرافدين من قبل الروافض، بل إنّهم يتستّرون في لباس الجيش والشّرطة؛ لتكون لهم السلطة جهارًا نهارًا في اقتياد الرجال من بيوتهم، ومن ثم تعذيبهم وقتلهم، والاعتداء على النّساء، ونهب البيوت بحجّة تفتيشها، فلا يستطيع أحدٌ منعهم، بل إنّ جرائمهم صارت تتقصّى أصحاب المؤهّلات والكوادر العلمية خاصّة؛ فمن يقوم بجرائم اغتيال الأساتذة الأكاديميين والقضاة والعلماء من أهل السنّة؟ ومن يتصيّدهم غير هؤلاء الروافض؟ وبأوامرَ من مرجعياتهم تعطى لفيالقهم على شكل بياناتٍ منسوخةٍ، وقد تسربت نسخ من هذه البيانات عبر الإنترنت، فقرأها القاصي والدّاني، ولا مجال لإنكارها.

---

[1] المنتظم، ابن الجوزي، (ج١٧/ص٦٣).
[2] الكامل، ابن الأثير، (ج٨/ص٤٥٠).
[3] المرجع السابق.

جرائمهم في عهد الدولة العثمانية

وفي عهد العثمانيين[1]، الَّذين جدّدوا حركة الجهاد الإسلامي، وبدؤوا يجتاحون العالم حتّى وصلوا إلى أوروبا، مستعيدين بذلك البلاد الإسلامية الَّتي خسرها المسلمون أثناء الغزو الصّليبي: قامت يد الغدر والخيانة الرافضية الفكر والمنهج، اليهودية الأصل والمنشأ، والَّتي اعتادت أن تطعن ظهر الأمة لتحول بين المسلمين وبين جهادهم ضدّ الكفر والكفّار: امتدّت من جديد لتستغلّ انشغال العثمانيين أثناء توغّلهم في قلب أوربا مجاهدين؛ ليقوموا بحركاتٍ انفصاليةٍ خارجين عن الخلافة الإسلامية العثمانية براءةً، ومتحالفين مع أعداء الإسلام ولاءً، فتعاونوا مع البريطانيين، والبرتغاليين، والفرنسيين، والروس، حتّى أضعفوا الخلافة العثمانية وأنهكوها؛ فكانوا من أكبر أسباب سقوطها؛ حيث شكّلوا عدّة جبهاتٍ، وعدّة حركاتٍ انفصاليةٍ، فكان الصفويون في شروان، والعراق، وفارس، والبهائيون في بلاد فارسٍ، ولهم نشاطاتٌ في مناطق متفرقة، والقاديانيّة في الهند، والنّصيرية، والدّروز في بلاد الشّام.

فمن جرائم الصفويين في الجانب السياسي: خروجهم على الخلافة العثمانية، وتأسيس دولةٍ مستقلّةٍ لهم عام ١٥٠٠م، معلنين دين الرفض على البلاد كدينٍ أساس، ولم يكتفوا بهذا؛ بل حاربوا أهل السنّة الّذين كانوا يشكّلون أكثريةً فيها، حيث بلغت نسبتهم ما يقارب ٦٥ ٪[2]، ثم تحالفوا بعد ذلك مع الإنجليز في عهد الشّاه عباسٍ الصّفوي عام ١٥٨٨ م، ومكّنوا لهم في البلاد، وجعلوا لهم فيها أوكارًا يتم الاجتماع فيها معهم للتآمر ضدّ الخلافة العثمانية؛ لدرجة أن مستشاريه كانوا من الإنجليز، وأشهرهم السير أنطوني، وروبرت تشيرلي[3].

وأما جرائمهم فيما يتعلّق بجانب الدّين والعقيدة؛ فمنها صرفهم الحجّاج الإيرانيين من الحجّ إلى مشهد، بدل أن يحجّوا إلى بيت الله الحرام في مكّة المكرمة؛ حيث قام شاه عباس الصّفوي بالحجّ

---

[1] انظر، تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، (ج١/ص٢٠١) وما بعدها يذكر المؤرخ جرائم الرافضة الصفويين في عدد من الوقائع، مثل (ص٢١٩، و٣٣٩-٣٤٨ و٣٩٨-٤٠١ و٤٠٨، و٤١٩، و٤٤٨، و٤٧٥-٤٨٤، و٦٠٣، و٦١٢، و٦٣٤).

[2] وجاء دور المجوس، محمد بن سرور، (ص٨٦). انتشر هذا الكتاب باسم مستعار: (عبد الله بن محمد الغريب).

[3] تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، (ص٥٠٣).

إلى مشهد مبتدئًا بنفسه سيرًا على الأقدام؛ ليصرف النّاس عن الحجّ إلى مكّة وليكون قدوتهم، ومن ذلك الحين أصبحت مشهد مدينةً مقدّسةً لدى الرَّافِضَة الإيرانيين[1]، وفتح الصّفويون في عهد الشّاه عباسٍ بلادهم للمبشّرين الغربيين، حتّى سمحوا لهم ببناء الكنائس ومدّ جسورٍ من التّعاون الاقتصادي والعسكري والسياسي، وفي ذلك يقول سليم واكيم في كتابه (إيران في الحضارة): (وإثر ظهور البرتغاليين في المنطقة؛ بدأت إيران علاقاتٍ تجاريةً مع إنجلترا وفرنسا وهولندا، ومهّدت هذه العلاقات إلى اتّصالاتٍ على مستوى دبلوماسيٍ وثقافيٍ ودينيٍ، عند اعتلاء شاه عباس الأوّل عرش فارس عام ١٥٨٧م، وسُجّلت تغييراتٌ أساسيةٌ في البلاد وفي علاقاتها مع الغرب؛ وكان من نتائج التحول السياسي الذي أحدثه شاه عباس: أن غصّ بلاطه بالمبشّرين والقسس، فضلًا عن التجار والدّبلوماسيين والصنّاع والجنود المرتزقة؛ فبنى الغربيون الكنائس في إيران)[2].

جرائم فرق وطوائف أخرى

وأما البهائيون؛ فقد خرجوا على الدّولة العثمانية، وتعاونوا مع الاستعمار الإنجليزي، ونادوا بتعطيل الجهاد بل إلغائه أمام زحف الاستعمار الإنجليزي، مما يعني الاستسلام والخنوع للاستعمار، وكانوا مرتبطين بالمحافل الصّهيونية؛ كالماسونية السرية، والّتي يدار من خلالها التّآمر على دين الإسلام ودولته حتّى لا تقوم له قائمةٌ، ويدبر لقادة الإسلام والجهاد خطط الاغتيالات والقتل[3].

وأما القاديانيون؛ فقد تعاونوا مع الإنجليز، بل إنّ الإنجليز هم الذين ساهموا في نشأتهم، فخرج زعيمهم غلام أحمد يدّعي أنّه المهدي المنتظر، ثم استمر حتّى ادّعى النّبوّة، وأمر بتعطيل الجهاد؛ حتّى يخذّل أتباعه عن جهاد الإنجليز الذي كان على أشدّه، الأمر الذي يدلّ على أنّهم ما أُنشِئوا إلا من أجل تعطيل الجهاد؛ فلذا نجد أتباعهم اليوم ينشطون أكثر في فلسطين، حتّى يخذّلوا عن الجهاد ضدّ اليهود المحتلّين.

---

[1] إيران، حسن بن جوهر، ومحمد أبو الليل، (ص٧٦).
[2] (ص١٠٠).
[3] وجاء دور المجوس، محمد بن سرور، (ص٩٠).

وأما النّصيريون؛ فكذلك تعاونوا مع الصّليبيين أثناء الغزو الصّليبي، وكانوا سببًا في سقوط بلاد الشّام وبيت المقدس، كما تعاونوا من قبل مع التّتار ضدّ المسلمين، وكانوا سببًا في اجتياح بلاد الشّام[1].

وأما الدّروز؛ فقد تطوّع عددٌ كبيرٌ من أبنائهم في جيش الدّفاع الصّهيوني؛ طمعًا في إنشاء دولةٍ مستقلّةٍ لهم في كلٍّ من سوريا ولبنان، وفي حرب سنة ١٩٦٧ م؛ ذاق المسلمون في الجولان والأردنِ الويلات من الدّروز العاملين في جيش الدّفاع الإسرائيلي، ولم يرحموا شيخًا كبيرًا ولا طفلًا صغيرًا[2].

نشأة الدولة الخمينية

وعلى أنقاض الدّولة العثمانية، وبعد تفتيت العالم الإسلامي إلى دويلاتٍ قوميةٍ كما خطّط لها الصّهاينة والصّليبيون، وعلى رأسهم الرَّافِضَة: تشكّلت في بلاد فارس إيران، وتبلورت دولةٌ مركزيةٌ لِلرَّافِضَةِ، ولمرجعياتهم الدّينية، وصارت المقر الرئيس للاجتماعات الدّورية الَّتي تجري بين فترةٍ وأخرى، كلّما استجدّ لِلرَّافِضَةِ أمرٌ من أمورهم الهامة، أو كلّما أرادوا أن يخرجوا بفتاوى جديدةٍ لعوامهم تتوافق مع مجريات الأمور الَّتي يواجهونها في دولهم المختلفة في العالم؛ تمامًا كاليهود في اجتماعاتهم السرية الدّورية، متّخذين من هذه الدّولة الأم مركزًا ومستندًا لتصدير المذهب والمنهج الفكري أوّلًا، ثم بعد ذلك إعادة بسط النّفوذ والسيطرة السياسية، وإلى هذه الحقيقة أشار الخميني في كتابه (الحكومة الإسلامية)، وصرح بذلك ما يسمى بـ(آية الله شريعة مداري) في لقاءٍ له مع صحيفة السياسة الكويتية بتاريخ ٢٦ يونيو عام ١٩٨٧م، وقال بالحرف الواحد: (إنَّ زعامة الشِّيعة في إيران وفي قم بالذَّات)، وأضاف قائلًا: (لا بدَّ من مجلسٍ أعلى للشِّيعة في العالم)، وهذا بالفعل ما قام به آيتهم وإمامهم (الخميني)؛ حين نادى بإسقاط حكم الشّاه متذرعًا بعلمانيته، وأنّه لا بدّ من قيام ثورةٍ إسلاميةٍ لنشر مبادئ الإسلام عليها، وهو يقصد بذلك الإسلام الرافضي لا الإسلام الحقيقي، بل

---

[1] انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (ج٣٥/ص١٤٥) يجيب سؤالًا عن النصيرية وأفعالهم بالمسلمين.
[2] وجاء دور المجوس، (ص٩٣-٩٤).

حتّى تفاعل معه الكثير من أهل السنّة متغافلين عن تاريخهم الإسلامي، وكأنّهم حين يقرؤون ويدرسون في كتب الملل والعقائد والنّحل عن أخبار وأحكام الرَّافِضَة: يعدّونهم من القرون الخالية والأمم الغابرة الَّتي لا وجود لها ولا امتداد لأصولها في حاضرنا! حتّى إذا ما جئت تسألهم عن أحكام الرَّافِضَة يفصّلون لك الجواب؛ فيحكمون لك بكفرهم ووجوب قتالهم من النّاحية النظرية، وعمليًّا: يدعونك إلى التّقارب معهم فيما يمكن أن يُتّفق عليه، علمًا بأنّ الخميني ما هو إلا صنيعةٌ أمريكيةٌ، طبخت ثم أعدّ لها من منفاه في فرنسا.

وهكذا دأبت أمريكا بل الصّهيونية على تبديل وتغيير عملائها من فترةٍ لأخرى؛ إما لأنَّ تاريخ صلاحية أحدهم يكون قد انتهى، وإما للحفاظ على العميل للعب دورٍ آخر، وفي النّهاية: آلية تبديل العملاء تعطي شيئًا من الجدّ، وتفعيل حركة المصالح الَّتي تربط العملاء بأسيادهم؛ ليكون العميل الجديد أفضل عطاءً وأكثر حماسًا.

ومما جاء في كتاب (وجاء دور المجوس): (ملأ الخميني وأنصاره الدُّنيا صراخًا ضد الولايات المتّحدة، فقالوا: أمريكا وراء اضطهاد معظم شعوب العالم شرقيةً وغربيةً، ووعد الخميني بتقليم أظافر أمريكا، وظنّ النّاس أنّ هناك طحنًا وراء الجعجعة، وعندما قامت جمهوريته: فوجئ النَّاس بمواقف مغايرةٍ لما كان الثوار يتحدثون عنها؛

أوّلًا: كانت أمريكا في طليعة الدّول الَّتي سارعت في الاعتراف بهذا النظام الجديد.

ثانيًا: لم تغلق ثورة الخميني سفارة أمريكا.

ثالثًا: عاد النفط الإيراني يتدفق على مستودعات التخزين في أمريكا، ومن ثم إلى إسرائيل.

رابعًا: عودة الجنرالات الأمريكان إلى أماكن عملهم، وقدّرتهم بعض الصحف بسبعة آلاف خبيرٍ.

خامسًا: عقد (بروس لينجن) القائم بالأعمال الأمريكي ثلاث لقاءاتٍ مع الخميني، ولم يكشف النّقاب عن حقيقة هذه اللقاءات.

سادسًا: قال الشّاه في مذكراته إنه علم بوجود الجنرال هويزر –وهويزر هو نائب رئيس أركان القيادة الأمريكية في أوروبا–، وقال الشّاه: (إنّ جنرالاتي لم يكونوا يعلمون شيئًا عن زيارة هويزر)، وعندما انتشر خبر زيارته قالت أجهزة الإعلام السوفييتية: (إنَّ هويزر وصل لطهران لتدبير انقلابٍ عسكريٍ)، (وأنا أعرف أنّ هويزر كان منذ فترةٍ على اتّصالٍ بمهدي بازاركان –المهندس النّاجح الذي تزعّم ثورة الخميني، وعينه الخميني رئيسًا للوزراء بعد الإطاحة بي– ومهدي بازاركان وهويزر يعلمان جيدًا فيما إذا كانت طبخةٌ كانت تمت من وراء الجميع»[١].

ثم إنَّ الخميني وبعد أن سبق ثورته من مستقر منفاه بفرنسا بدعاية دينية كاذبة، وبعد أن تفاعل معه ومع ثورته الإسلامية جميع طوائف الرَّافِضَة، وكثيرٌ من أهل السنّة، وبعد أن تمكن من خلع الشّاه، وبسط نفوذه ويده على البلاد؛ وإذا به لا يخرج عن فلك أسلافه من العبيديين والقرامطة، يمكر بأهل السنّة، ويلبسهم لباس الهوان في دولته، وينادي في مجالسه الخاصّة: باستباحة دمائهم وأموالهم وفروج نسائهم، ويدعو إلى تصدير ثورته بالقوّة[٢]، حتى أنّ الإشاعة الَّتي زعموا بأنّ النظام العراقي البائد هو الّذي أعلن الحرب على إيران، فإنّها مجانبةٌ للحقيقة والصواب؛ ذلك أنّ الخميني هو الّذي أرادها حربًا لضم العراق إلى بلاد فارس، كما كانت عليه قبل أن يستولي عليها المسلمون الأوائل؛ فقد قامت إيران ببثّ عملائها داخل العراق بعد وصول الخميني إلى الحكم بقليل، وقام النّظام الإيراني باعتداءاتٍ متكررة على المغافر العراقية.

هذا هو ماضي الرَّافِضَة وتاريخهم الّذي يرتكزون عليه اليوم في حاضرهم ومستقبلهم، ويستقون منه، ويقتفون نهج أسلافهم في الجريمة والخيانة، ويعتبرونه سفرًا يتزودون منه لمتغيرات عصرهم؛ نفس التقية، ونفس المخططات السرية، ونفس المعتقدات، وزد على ذلك أنّ رافضة هذا العصر لهم دولة وسيادة سياسية موحدة، ومرجعية مركزية تصدر لهم الأوامر والفتاوى الَّتي يلتزمون بها، وقد برزوا وبرزت خياناتهم اليوم للناظرين، وأوضح ما تكون في أفغانستان بمساعدة الدولة الأم إيران، وفي

---

[١] بتصرف واختصار من الزرقاوي، (ص٢٥٢–٢٦٢).
[٢] انظر: موقف الخميني من أهل السنة، محمد بن مال الله.

العراق بمساعدة إيران كذلك، وفي بلاد الشّام ولا سيما رافضة لبنان والّذين يمثلهم حزب الله، وكذلك مستمدين قوتهم وتعاليمهم من إيران مركز الشر ومحضن أتباع مهديهم المنتظر (المسيح الدجّال).

جرائم الحركات الرافضية في لبنان

فأما في لبنان؛ فقد كان ما تمخضته هذه الدولة الأم: أن قامت بتصدير ثورتها في بلاد الشّام، وفي لبنان على وجه الخصوص؛ عبر حركة أمل الشيعية المسلّحة، والَّتي أسسها موسى الصّدر -تلميذ الخميني وصهره-، منطلقًا من إيران ومستقرًّا في لبنان ليحصل على الجنسية اللبنانية؛ حتى تمكنه أن يمارس نشاطاته داخل الأراضي اللبنانية بسهولة، وبما أنّ منشأ هذه الحركة إيران؛ فإنّها بالضرورة هي المتكفلة بدعم هذه الحركة من أجل القضاء على أهل السنّة في المخيمات الفلسطينية في لبنان، بعد استبعادهم من أراضيهم في فلسطين، وبعد ضغط دول الجوار على لبنان ليتم احتضان أهالي المخيمات، فتحالف الرَّافِضَة متمثلين في هذه الحركة المغرضة مع الكيان الصهيوني ضدّ أبناء هذه المخيمات؛ حتى يتم القضاء على أي ثورة وأي تمرد ضد اليهود الصهاينة، ويتم من خلالهم حماية ظهر العدو، وكذلك حتى لا تقوم لأهل السنّة من الفلسطينيين الّذين يسكنون المخيمات أية قائمة؛ فقاموا بمذابح عديدة: منها هجومهم على مخيم عين الرمانة، ومخيمي صبرا وشاتيلا عام ١٩٨٢م، وقد تحدثت صحف العالم آنذاك عن فظائع حركة أمل الرَّافضيَّة؛ فقد ذكرت صحيفة الوطن في عددها ٣٦٨٨ الصادر في ٢٧ مايو ١٩٨٥م نقلًا عن صحيفة ريبو بليكا الإيطالية: (أنَّ فلسطينيًّا من المعاقين لم يكن يستطيع السير منذ سنوات؛ رفع يديه مستغيثًا في شاتيلا أمام عناصر أمل طالبًا الرحمة، وكان الردّ عليه قتله بالمسدسات مثل الكلاب)، وقالت الصحيفة: (إنَّها الفظاعة بعينها).

وقال مراسل الصنداي تايمز: (إنّه من الاستحالة نقل أخبار المجازر بدقّة؛ لأنَّ حركة أمل تمنع المصورين من دخول المخيمات، وبعضهم تلقى تهديدًا بالموت، وقد جرى سحب العديد من المراسلين خوفًا عليهم من الاختطاف والقتل، ومن تبقى منهم في لبنان يجدون صعوبة في العمل)[١]!

[١] خبر الصنداي تايمز نشرته الصحف العربية في ٣ يونيو ١٩٨٥م.

وذكرت صحيفة الصنداي تايمز أيضًا: (أنَّ عددًا من الفلسطينيين قتلوا في مستشفيات بيروت، وأنّ مجموعة من الجثث الفلسطينية ذبح أصحابها من الأعناق)[١].

ونقلت وكالة الأنباء في ٦ يونيو ١٩٨٥ م عن رئيس الاستخبارات العسكرية اليهودية (إيهود باراك) قوله: (إنّه على ثقة تامة من أنَّ أمل ستكون الجبهة الوحيدة المهيمنة في منطقة الجنوب اللبناني، وأنَّها ستمنع رجال المنظمات، والقوى الوطنية اللبنانية: من التواجد في الجنوب، والعمل ضد الأهداف الإسرائيلية).

وبعد أن تكشف للعالم عوار هذه الحركة الخبيثة، وظهر للعيان مدى بشاعة ما ارتكبوه من جرائم ومجازر في حق أهل السنّة من الفلسطينيين؛ فقد مجّها النّاس، واحترق الكرت الّذي تلعب به إيران؛ لذا كان لزامًا عليها أن تستحدث طريقة أخرى، وحركة أخرى تختلف عن ظاهر توجهها عن حركة أمل، هذه المرة لا بدّ من اللّعب على وتر التّقارب الشيعي السني، والدعوة إلى الوحدة وإعلان الحرب على إسرائيل، والمطالبة بتحرير فلسطين من إسرائيل؛ فتمت اجتماعات سرية في إيران تم من خلالها التحضير لولادة حركة جديدة قررتها إيران الأم، يترأسها أعضاء جدد لامعون ومفوّهون؛ فعلاقة حزب الله بإيران علاقة الفرع بالأصل؛ ففي البيان التأسيسي للحزب، والّذي جاء بعنوان: (من نحن؟ وما هي هويتنا؟)؛ عرّف الحزب بنفسه فقال: (نحن أبناء أمة حزب الله الَّتي نصر الله طليعتها في إيران، وأسّست من جديد نواة دولة الإسلام المركزية في العالم، نلتزم بأوامر قيادة واحدة حكيمة عادلة، تتمثَّل بالوليِّ الفقيه الجامع للشرائط، وتتجسَّد حاضرًا بالإمام المسدَّد: آية الله العظمى روح الله الموسوي الخميني دام ظلّه، مفجّر ثورة المسلمين وباعث نهضتهم المجيدة)[٢]! وقد عبر إبراهيم الأمين وهو قيادي في الحزب عن هذا التوجه فقال: (نحن لا نقول إننا جزءٌ من إيران، نحن إيران في لبنان، ولبنان في إيران)[٣].

---

[١] في ٢٧ مايو ١٩٨٥م.

[٢] الرسالة المفتوحة إلى المستضعفين في لبنان والعالم (البيان التأسيسي للحزب)، الرافضي إبراهيم أمين السيد، ١٦ فبراير ١٩٨٥م.

[٣] جريدة النهار ٥ مارس ١٩٨٧م.

نقول: إذا كانت الثورة الإيرانية بقيادة الخميني، قد وقفت مواقف العداء من أهل السنّة وقامت بإحداث بلابل وفوضى وتفجيراتٍ داخل عدد من البلدان؛ كما حصل في البحرين والكويت واليمن وأفغانستان والعراق، وفي مكة المكرَّمة في الشهر الحرام وفي البلد الحرام: فإنّ هذه السياسة تعتبر دينًا يدين به رافضة إيران، والّذي يتفرع منه حزب الله الّذي اعترف من خلال قيادته بانتمائه وموافقته لإيران، فكل عدو لإيران هو عدو لحزب الله، فحزب الله عدو لأهل السنّة، وإن تستر بمائة تقية، لا ينخدع به إلا غافل صاحب هوى، أو ساذجٌ أخو جهل.

نشأة حركة حزب الله الرافضية

فعلى هامش المؤتمر الأوّل للمستضعفين؛ اجتمع الخميني بعدد من علماء ودعاة الشيعة الّذين شاركوا في هذا المؤتمر، وكان من بينهم محمد حسين فضل الله، وصبحي الطّفيلي، وممثل حركة أمل في طهران إبراهيم أمين، وتدارس معهم الخطوات الأولى اللّازمة من أجل إنشاء هذا الحزب الجديد[١]، ثم عاد الوفد إلى لبنان وكثّف من اتصالاته مع وجهاء وعلماء الطائفة الّذين لم يشاركوا في لقاء طهران، ثم تكرر لقاؤهم بالخميني، ووضعوا وإياه الخطوط العريضة لحزب الله، يقول أحمدُ الموسوي في مقالٍ له بمجلّة الشّراع: من أنتم؟ حزب الله: (ثمّ استكملت الخطوط التّنظيمية الأولى، باختيار هيئةٍ قياديةٍ للحزب ضمت ١٢ عضوًا هم: عباسٌ الموسوي، وصبحي الطّفيلي، وحسينٌ الموسوي، وحسن نصر الله، وحسين خليل، وإبراهيم أمين، وراغب حرب، ومحمد يزبك، ونعيم قاسم، وعلي كوراني، ومحمد رعد، ومحمد فنيش)[٢]، ولم يكن هؤلاء وحدهم نواة التّأسيس لحزب الله، إنّما كان معهم عشراتٌ من الكوادر والشّخصيات الإسلامية الأخرى من حركة أمل، وحزب الدّعوة، وقوى ومجموعاتٍ تبلورت شخصيتها الإسلامية السياسية مع الثّورة الإسلامية، وقائدها الإمام الخميني، وكوادر أمنيةٍ أخرى ما زالت أسماؤها طي الكتمان[٣].

---

[١] حقيقة انتصار إيران: الحلقة الثانية، محمد سرور، مجلة السنة (العدد ٩٨).
[٢] لم أجد العدد لأنه قديم، ونقله من المصدر السابق.
[٣] المرجع السابق.

وبالفعل قامت إيران بتأسيس حزب الله وقامت بتمويل هذا الحزب، وتأمين كافّة احتياجاته عسكريًّا واجتماعيًّا، وأغدقت عليه الأموال الطّائلة، وهي تعوّل على هذا الحزب الآمال الكبار، وبلغ دعم إيران للحزب أوجه في هذه المرحلة.

وقد جاء في تقريرٍ وجّهه أحد الدّبلوماسيين الأوروبيين إلى حكومته في مطلع صيف ١٩٨٦م، وكشف فيه كذلك الدّور السوري في رعايته لهذا الحزب، ما يلي: (تقوم طائرات الشّحن الإيرانية من طراز بوينج ٧٤٧ بالإقلاع والهبوط ثلاث مراتٍ في الأسبوع على طرف مدرج مطار دمشق، ناقلة حمولاتٍ غامضةً؛ فالبضائع الّتي تفرغ عبارةٌ عن أسلحة خفيفة مرسلة إلى حراس الثّورة، الذين يشرفون على تدريب أتباع حزب الله في معسكر الزبداني بالقرب من دمشق، أو في المعسكرات الكائنة في منطقة بعلبك، أما البضائع المحملة؛ فهي مدافع هاون، وصواريخ مضادّةٌ للطّيران من طراز سات، كذلك يحفل ميناء اللاذقية بنشاطٍ من هذا النّوع)[١].

وقد بلغ مقدار التّكاليف المادية الّتي تصبها إيران لصالح حزب الله عام ١٩٩٠م للميلاد بثلاثة ملايين دولارٍ ونصف المليون، حسب بعض التّقديرات، وخمسين مليونًا عام ١٩٩١م وقدّرت ١٢٠ مليونًا في عام ١٩٩٢م، و ١٦٠ في عام ١٩٩٣م[٢]، وتشير بعض المصادر إلى ارتفاع ميزانية حزب الله في عهد رفسنجاني إلى ٢٨٠ مليون دولار[٣]، هذه الميزانية الكبيرة جعلت الحزب يهتم فقط بالأوامر الّتي تملى عليه، دون التّدخّل في نزاعاتٍ داخليةٍ ضيقةٍ، وساعدته على توسيع قاعدته المقاتلة والشّعبية، فاشترى ولاء النّاس وحاجتهم، وضمن ولاءهم وإخلاصهم له، فهم منه وهو منهم، وقد ظهر أثر ضخامة تلك التّكاليف على واقعهم المعيشي، حتّى باتوا يشكّلون دولةً مستقلّةً داخل لبنان؛ فظهرت المؤسسات الصّحية والاجتماعية والتّربوية.

---

[١] انظر: كتاب السراب، مركز الوحدة الإسلامية للدراسات والتوثيق، (ص١٥٧)، وجريدة النهار في ٣٠ أكتوبر ١٩٨٣م.

[٢] حزب الله من الداخل، أسرار وخفايا، زين محمود، مجلة الشراع، في ١٤ أوغسطس ١٩٩٥ م. انظر: وليد عبد الناصر، إيران دراسة عن الثورة والدولة، (ص ٨٣) نقلًا عن: حزب الله رؤية مغايرة، لعبد المنعم شفيق (ص ١٦٢).

[٣] مجلة المجلة، العدد: ١٠١٣، في ١١ جولاي ١٩٩٩م. نقلًا عن: حزب الله رؤية مغايرة، لعبد المنعم شفيق (ص١٦٢).

وقد تزامن تأسيس هذه الحركة، وهذا الحزب عام ١٩٨٢م مع الاجتياح الصّهيوني للبنان، ما يعطي دلالةً خطيرةً على العلاقة بين الحزب وبين إسرائيل؛ وذلك حتّى تكون الغطاء الواقي الذي يستر الجيش الصّهيوني من ضربات المجاهدين في لبنان، ولكن بطريقةٍ تختلف تمامًا عن حركة أملٍ المحروقة؛ فهذه المرة زعم حزب الله بأنّه القادر على التّصدّي لضربات الكيان الصّهيوني، وإخراجه من جنوب لبنان، وراحوا يرفعون شعاراتٍ كاذبةً ينادون فيها بتحرير فلسطين، كلّ فلسطين، وتوعّد الكيان الصّهيوني بالويل والثّبور، بينما هم في الواقع يقفون كحاجزٍ أمنيٍ لا يسمحون لأهل السنّة بتخطّي الحدود، ولا مواجهة الإسرائيليين.

وقد قام الحزب بافتعال بعض الأكاذيب والفقاعات الدّعائية الكاذبة لتلميع الحزب إعلاميًّا، وشدّ الجماهير إليه؛ ومن ذلك:

أوّلًا: أكذوبة تحرير جنوب لبنان ودحر المحتلّ الصّهيوني، علمًا بأنّ كبار ضباط الجيش الصّهيوني اعترفوا على الملأ وفي وسائل الإعلام المختلفة، بأنّ انسحابهم من الجنوب: لم يكن بسبب قوّة حزب الله، وإنَّما جاءت أوامر القيادة والألوية بالانسحاب والخروج، عند ذلك دخل حزب الله، إذن: بعد الانسحاب الصّهيوني، وليس قبله ولا أثناءه: دخل حزب الله للجنوب اللبناني يصطحب معه هالةً إعلاميةً مأجورةً، من أجل التّصوير الدّعائي للحزب على أنّه من المحاربين الفاتحين.

ثانيًا: أكذوبة القتلى الذين يسقطون من الطّرفين، حزب الله والكيان الصّهيوني، وذلك حقيقةٌ لا خيالٌ، ولكنّ هؤلاء القتلى الذين يسقطون: هم من الجنود الذين لا يعرفون بمخطّطات أسيادهم وقادتهم، وهم وعددهم محدودٌ جدًّا بالنّسبة لقتلى الأطراف المتحاربة الحقيقية، وما هم إلا كبش فداءٍ يضحّون بهم من أجل استدامة مصالحهم غير المعلنة باطنًا، ومن أجل إظهارهم كطرفي حربٍ ظاهرًا.

وها هو القناع باديًا في الانكشاف والسقوط لمن كان له قلبٌ أو ألقى السمع وهو شهيدٌ؛ فبعد أن كان حسن نصر الله يدندن في خطبه على وتر القضية الفلسطينية، وينادي بتحرير فلسطين

كلّها: بدأ الخطاب بالتّراجع والانكماش، وها هو الحزب يعلن عدّة مراتٍ أنّه لا دخل له في الشّؤون الخارجية، وأنّ مهمته هي تحرير أرضه وليس تحرير فلسطين، وبعد أن كان الخطاب متوجّهًا إلى تحرير فلسطين كلّها: حصر الأمر على الاكتفاء ببيت المقدس، واتّخذوا من ذلك مجرد شعارٍ رمزيٍ دعائيٍ ليستمر كذبهم على الجماهير الساذجة، واكتفوا بالاكتفاء بما يسمى: (يوم القدس العالمي)، ويجعلون من هذا اليوم يوم استعراضٍ عسكريٍ.

لماذا يستثنى حزب الله؛ فلا تطبق عليه بنود اتّفاقية الطّائف، والّتي تقضي بنزع سلاح جميع المليشيات ومن وراء الأمر بإبقاء بل بجلب السلاح له؟! يقول المثل: (إذا اختلف السراق ظهر المسروق)، ويقال: (الاعتراف سيد الأدلّة)، ولا أحسن من شهادة من يشهد بالحقّ على أهله، فاستمعوا إلى الكلام الخطير الذي قاله الأمين العام الأوّل لحزب الله (صبحي الطّفيلي) بعد أن عارض الحزب في كثيرٍ من توجّهاته، في لقاءٍ له مع قناة الجزيرة الفضائية: (لو كان أناسٌ غير حزب الله على الحدود -يقصد الفلسطينيين وأهل السنّة-: لَمَا توقّفوا عن قتال إسرائيل مطلقًا، والآن إذا أرادوا الذّهاب يعتقلهم الحزب، ويسلّمهم إلى الأمن اللبناني، وتقولون لي إنّه لا يدافع عن إسرائيل؟)[١]، وتزامن هذا الكلام الخطير مع مقالٍ للعميد سلطان أبي العينين، أمين سر حركة فتح في لبنان نشرته جريدة القدس العربي في ٢٠٠٤/٤/٥م بعنوان: (حزب الله يحبط عمليات المقاومة الفلسطينية من الجنوب)؛ قال فيه: (حزب الله قال: سنكون إلى جانبكم عند المحن، ولكنّنا منذ ثلاثة أعوامٍ نعيش الشّدائد، ولم نعد نقبل شعاراتٍ مزيفةً من أحدٍ؛ ففي الأسبوع الأخير أحبط حزب الله أربع محاولاتٍ فلسطينيةٍ على الحدود، وقامت عناصر حزب الله باعتقال المقاومين الفلسطينيين، وتقديمهم للمحاكمة)، وأكّد أبو العينيين: (أنّ الانسحاب الإسرائيلي من الجنوب اللّبناني في أيار؛ تم بترتيباتٍ أمنيةٍ واتّفاقٍ أمني بألا تطلق طلقةٌ واحدةٌ على شمال فلسطين من جنوب لبنان، وهذا الاتّفاق يطبق منذ الانسحاب الإسرائيلي، فلم يتمكّن أي مقاومٍ من اختراق الحدود الشّمالية، وجرت أكثر من محاولةٍ من جميع الفصائل الفلسطينية، وجميعها أحبطت من حزب الله وقدّمت إلى المحكمة)، وأضاف: (إنّ حزب الله يريد المقاومة كوكالةٍ حصريةٍ له، وحصرًا في مزارع شبعا، ولا ينتظر أحدٌ

---

[١] ذكره الزرقاوي باختصار، انظر: برنامج زيارة خاصة: صبحي الطفيلي، حزب الله اليوم والأمس (ج١)، الجزيرة نت.

من حزب الله أن يقوم بقصف شمال فلسطين بالصّواريخ، وأنا شاهدٌ على ما يجري)، وأشار إلى: (أنّ سيطرة حزب الله على المقاومة من الجنوب اللبناني نابعةٌ من اتّفاقياتٍ وترتيباتٍ أمنيَّةٍ، أي اتّفاقاتٍ مع إسرائيل بواسطة طرفٍ ثالثٍ)، وقال: (على الشّعب الفلسطيني ألا يعوّل على حزب الله ولا على حزب الشّيطان، بل عليه الاتّكال على نفسه فقط؛ لأنّ لحزب الله أولوياته ومواقفه السياسية، وهو يريد أن يقاتل بآخر فلسطينيٍ منّا على آخر فلسطين، ونحن نريد من حزب الله موقفًا صريحًا وواضحًا).

وأخيرًا نقول: هل يعقل أن يكون الحزب عدوًّا لدودًا للكيان الصّهيوني كما يزعمون، ثم يقوم هذا الحزب باستعراضٍ عسكريٍ حاشدٍ في ميدانٍ واسعٍ في بيروت، تنقله القنوات الفضائية نقلًا مباشرًا، يجلس فيه حسن نصر الله على منصّته وحوله حاشيته وضيوفه، وتمر من أمامه الفرق والكتائب والسرايا العسكرية تهتف وتتوعّد بالموت لإسرائيل، ثم تقف إسرائيل طيلة هذه السنوات موقف المتفرج ومكتوفة الأيدي عاجزةً عن صنع أي شيءٍ حيال هذا العدوّ القادم؟! وهي الَّتي لم تحتمل رجلًا مقعدًا على كرسيه الصّغير المتحرك؛ فاغتالته عن بعدٍ في ظلمة الفجر!

ثم لماذا كلّ هذا الاهتمام من جانب الدّولة الرافضية بلبنان؟! يجيب عن هذا التّساؤل حجّة إسلامهم روحاني سفير إيران في لبنان في مقابلةٍ أجرتها معه صحيفة إطلاعات الإيرانية في نهاية الشّهر الأوّل من عام ١٩٨٤م، يقول روحاني عن لبنان: (لبنان يشبه الآن إيران عام ١٩٧٧م، ولو نراقب ونعمل بدقةٍ وصبرٍ فإنَّه -إن شاء الله- سيجيء إلى أحضاننا، وبسبب موقع لبنان وهو قلب المنطقة، وأحد أهم المراكز العالمية؛ فإنه عندما يأتي لبنان إلى أحضان الجمهورية الإسلامية فسوف يتبعه الباقون)، ويقول: (لقد تمكنا عن طريق سفارتنا في بيروت من توحيد آراء السنة والشّيعة حول الجمهورية الإسلامية والإمام الخميني، والآن غالبية خطباء السنة يمتدحون الإمام الخميني في خطبهم).

تاريخ جرائمهم في أفغانستان والعراق

وأما عن جرائم الرَّافِضَة اليوم ضدّ المسلمين من أهل السنة في أفغانستان والعراق؛ فحدّث ولا حرج؛ فها هي أمريكا اليوم تقر بالتّعاون والدّعم الإيراني الرافضي خلال حربها على أفغانستان

والعراق؛ قالت وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس في مقابلةٍ مع إحدى وكالات الأنباء: (إنَّ الأمم المتحدة قد قامت بتيسير اتّصالاتٍ بين الولايات المتحدة وإيران بصورةٍ منتظمةٍ عبر ما يطلق عليه اسم: (عملية جنيف)؛ لمناقشة مسائل عمليةٍ كانت تتعلّق أصلًا بأفغانستان، ثم اتّسع نطاقها لتشمل العراق)[١]، وقد أشارت (رايس) قبل فترةٍ وجيزةٍ إلى أنّ مبعوث الرئيس الأمريكي (زلماي خليل زاد) قد شارك في محادثاتٍ مع مسؤولين من إيران الَّتي انبثقت مباشرةً –كما قالت رايس– (من الحاجة إلى معالجة أمر بعض المسائل العملية المتعلّقة بأفغانستان، ثم وسعنا ذلك ليشمل العراق)[٢].

وها هم الرَّافِضَة يعترفون، بل يفتخرون، بهذا التّعاون والدّعم الذي قدّموه لأمريكا؛ حيث يقول محمد علي أبطحي، نائب الرئيس الإيراني للشؤون القانونية والبرلمانية، الذي وقف بفخرٍ في ختام أعمال مؤتمر الخليج وتحدّيات المستقبل، الَّذي ينظّمه مركز الإمارات للدّراسات والبحوث الإستراتيجية سنويًّا بإمارة أبي ظبي مساء الثلاثاء ٢٠٠٤/١/١٥ م؛ ليعلن أنّ بلاده قدّمت الكثير من العون للأمريكيين في حربيهم ضد أفغانستان والعراق، ومؤكّدًا أنّه لولا التّعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة.

وقد نقلت جريدة الشّرق الأوسط في ٢٠٠٢/٢/٩ م، عن رئيس مجلس تشخيص مصلحة النّظام (رفسنجاني) قوله في خطبته بجامعة طهران: (إنّ القوّات الإيرانية قاتلت طالبان وساهمت في دحرها، وأنه لو لم تساعد قوّاتهم في قتال طالبان لغرق الأمريكيون في المستنقع الأفغاني)، وتابع قائلًا: (يجب على أمريكا أن تعلم أنه لولا الجيش الإيراني الشّعبي: لَما استطاعت أمريكا أن تسقط طالبان).

بل هذا ما وصّى به الخميني حزب الوحدة الشّيعي، عقب خروج الروس من أفغانستان مدحورين؛ حيث قال: (يا حزب الوحدة، يا شيعة أفغانستان؛ جهادكم يبدأ بعد خروج الروس)[٣]، ويقصد

---

[١] لم أجد هذه المقابلة لكن مقابلة تتحدث بكلام مشابه: 'Condoleezza Rice: 'It's Now Up to Iran، موقع NPR الإخباري، ٢ جون ٢٠٠٦م.
[٢] US in secret talks with Iran، الجزيرة الإنجليزية، في ١٣ مايو ٢٠٠٣م.
[٣] ذكرها الرافضي محسن رضائي، في برنامج بلا حدود: إيران والحرب الأميركية ضد أفغانستان، قناة الجزيرة، في ٤ يونيو ٢٠٠٤م.

بذلك جهاد أهل السنة، وإيقاع الفتن والاضطرابات الدّاخلية في البلاد، وبالفعل هذا ما حصل على أرض الواقع، حتى إنَّ دولة طالبان قامت بقتل ما لا يقل عن ٦٠٠٠ مقاتلٍ من الخونة الروافض، ممن حاولوا التّمرد على حكم طالبان[١]، فكل هذا التآمر على دولة أفغانستان، ومدّ يد العون لأمريكا وحلفائها، خوفًا من أن يكون لإيران الرافضية جارةٌ سنيةٌ قوية؛ لأنّ حربهم الأساسية ليست مع اليهود ولا مع النّصارى، بل حربهم الأولى والأخيرة هي مع أهل السنة، وهذا ما صرح به قديمًا د. علي ولايتي بقوله: (لن نسمح أن تكون هناك دولةٌ وهابيةٌ في أفغانستان)[٢]، أي دولة سنيةٌ وفقًا لمصطلحات الرَّافِضَة الشائعة الآن!

أليس هذا الموقف نفسه الذي وقفه خلفاء ووزراء الدّولة العبيدية الفاطمية من السلاجقة الأتراك السنيين يوم أن حاربوهم وناصروا الصّليبيين؟!

وقد أفاد عديدٌ من الخبراء العسكريين، بأنّ الطائرات الَّتي انطلقت من قواعد أمريكيةٍ في الدّول العربية: لا يمكن أن تعبر لأفغانستان إلا عن طريق الأجواء الإيرانية، في وقتٍ كان المسؤولون الإيرانيون يشدّدون على دعاية حرمة الأجواء الإيرانيَّة، إلا على الطّائرات المضطرة للهبوط اضطراريًّا في إيران، وأشارت مصادر عسكرية في الاستخبارات الأمريكية في الوقت ذاته: أن عناصر من القوّات الخاصة الأمريكية الموجودة في مدينة هيرات غرب أفغانستان قرب الحدود الإيرانية، أفادت بأنّ عملاء إيرانيين يتسللون إلى المنطقة ويهدّدون زعماء القبائل، وهذا ما أكّدته منظّمة حقوق الإنسان الأمريكية (هيومان رايت واتش)[٣] في أكتوبر ٢٠٠١ م، من أنّ ثمة تقارير صحفية تفيد أنّ الحكومة الإيرانية وضعت أعدادًا إضافيةً من الجنود على حدودها، بعد بدء الضربات العسكرية، وأنّها بدأت في ترحيل مئات اللاجئين إلى أفغانستان، وهذا تمامًا ما يفعله العملاء الإيرانيون وعناصر من الاستخبارات الإيرانية في العراق، وبعلمٍ ورضا من القوّات الأمريكية وحلفائها في الحرب على العراق؛ ففي الوقت الذي نرى فيه التّشديد والتّضييق على المناطق الحدودية مع العراق مع جميع

---

[١] انظر: لواء فاطميين بأفغانستان، مقاتلون ولاؤهم لإيران ويثيرون حفيظة طالبان، الجزيرة نت.

[٢] لم أجد مصدرًا.

[٣] تقرير جزء ١٤، رقم ٢، في فبراير ٢٠٠٢م، CLOSED DOOR POLICY: Afghan Refugees in Pakistan and Iran. يتحدث هذا التقرير عما حل في أكتوبر ٢٠٠١م من وقائع.

البلدان الَّتي يمكن أن ينفذ عبرها المجاهدون لمساعدة إخوانهم في العراق ضدّ المحتل الأمريكي؛ نجد أنّ الحدود الإيرانية العراقية تفتح على مصراعيها لتسلّل عددٍ كبيرٍ من العملاء لأغراضٍ سياسيةٍ رافضية! وعلى رأسها تغيير نسبة التّركيبة السكانية لأهل العراق لصالح الرَّافِضَة، ولا سيما بعد المجازر والمذابح الجماعية الَّتي تمت لأهل السنة؛ حتّى يتمكّنوا من فرض سيطرتهم على جنوب العراق على الأقل ما داموا لم يتمكّنوا من بسط نفوذهم على العراق كله، بالإضافة إلى الأغراض الاستخباراتية الَّتي تروم تتبع المجاهدين ومتابعة المصالح الإيرانيّة، والتّنسيق بينها وبين الأحزاب والحركات الشّيعية الأخرى داخل العراق.

علمًا بأنّ الرَّافِضَة كما هي عادتهم؛ كانوا يعلنون معاداة أمريكا، ويرفعون شعار: (الموت لأمريكا)، ويسمونها بـ(الشّيطان الأكبر)، بل إنّ وزير الدّفاع الإيراني علي شمخاني خلال تحضيرات أمريكا للهجوم على طالبان: أطلق تصريحاتٍ مدويةً هدّد فيها بإسقاط أي طائرةٍ أمريكية تعبر الأجواء الإيرانية[١]، وبعد عدّة أيامٍ ظهرت للعيان اتفاقيةٌ تمت تحت طاولة المفاوضات الأمريكية الإيرانية؛ يقوم الإيرانيون بموجبها بإعادة أي أمريكي يُفقد أو يَسقط في إيران إلى أمريكا سالمًا معافى.

ولا يفوتني أن أذكر كلام الرئيس الإيراني الحالي أحمدي نجاد، والذي يفصح فيه على أنهم اليوم يسيرون على مخطّطات آبائهم الرَّافِضَة؛ حيث قال ما مفاده: (لقد جاءت حكومتي لتمهد الطّريق لاستقبال المهدي)[٢].

الجرائم الأخلاقية

وأما فيما يتعلّق بجرائمهم وخياناتهم الأخلاقية؛ فحدّث ولا حرج؛ فها هي مجتمعاتهم تغص بالرذيلة والخنا والفجور، وتنتشر فيهم الفواحش ظاهرًا وباطنًا، ولا تجد مجتمعًا ملوّثًا بهذه الرزايا إلا والرَّافِضَة قد فاقه فحشًا وفجورًا؛ كلُّ ذلك يتم من خلال شريعة الرَّافِضَة ودينهم وبفتوى من مرجعياتهم وآياتهم! فكيف ذاك؟

---

[١] Iran warns U.S. to stay out of its airspace، موقع CNN الإنجليزي، في ١ أكتوبر ٢٠٠١م.

[٢] انظر: الحُجّتيّة في مواجهة الخمينية (٢-٢)، عادل الغامدي، مجلة البيان (عدد٤٢٢). قالها نجاد أمام لقاء مع خطباء إيرانيين.

أوّلًا: زواج المتعة

الذي أباحه الشّرع فترةً من الزمن، وللضرورة مع غير المسلمات قبل تقسيم ملك اليمين والأخذ به؛ حيث كان الصّحابة في زمن النّبي ﷺ يغزون بلادًا بعيدةً، وتطول بهم مدّة السفر ذهابًا وإيابًا وإقامةً، فرفع عنهم الحرج والمشقّة، في نكاح التّمتّع لإبعادهم عن مظنّة الوقوع في المحظور، ولما تغير الحال، وزالت الضرورة بانتشار الإسلام وتفرق المسلمين في البلاد نسخ حكم المتعة، نظرًا لما يحويه من مفاسد أكبر من مصالحه، ولكونه ينافي مقاصد الزواج الذي أحله الله تعالى، والذي منها استدامة الزواج وبناء الأسرة المسلمة، وإنجاب الولد والقيام على تربيته، فإنّ الرَّافِضَة يتعلقون بهذا الزواج الذي هو مفتاحٌ للزنا ولكل شرٍّ، وهم لا يقولون بإباحته وجوازه فحسب، بل إنّهم يعتبرون من لا يتمتّع ومن يرى حرمة هذا الزواج بأنّه كافرٌ؛ بناءً على رواياتٍ مكذوبةٍ نسبوها إلى الأئمة من آل البيت؛ كما جاء في كتاب (من لا يحضره الفقيه): (روى الصّدوق عن الصّادق عليه السلام قال: إنّ المتعة ديني ودين آبائي، فمن عمل بها عمل بديننا، ومن أنكرها أنكر ديننا واعتقد بغير ديننا)[1]، بل يتوسعون فيه ليشمل التّمتّع حتّى بالرضيعة، وفي ذلك يقول الخميني في كتابه (تحرير الوسيلة): (لا بأس بالتّمتّع بالرضيعة ضمًّا وتفخيذًا وتقبيلًا)[2].

ويذكر لنا صاحب كتاب (لله ثم للتّاريخ) حادثةً وقعت أمام ناظريه حين كان الخميني مقيمًا في العراق، وكان في زيارةٍ لشخصٍ إيرانيٍ يدعى (سيد صاحب)؛ فيقول: (فرح سيد صاحب بمجيئنا، وكان وصولنا إليه عند الظّهر، فصنع لنا غداءً فاخرًا، واتّصل ببعض أقاربه فحضروا، وازدحم منزله احتفاءً بنا، وطلب سيد صاحب إلينا المبيت عنده تلك الليلة، فوافق الإمام، ثمَّ لما كان العشاء، أتونا بالعشاء، وكان الحاضرون يقبلون يد الإمام ويسألونه ويجيب عن أسئلتهم، ولما حان وقت النّوم، وكان الحاضرون قد انصرفوا إلا أهل الدّار؛ أبصر الإمام الخميني صبيةً بعمر أربع سنواتٍ أو خمسٍ

[1] لا وجود له بهذا اللفظ في المراجع الرافضية، وبحثت في طبعتين في (من لا يحضره الفقيه) ولا أثر له، وهذا خطأ من صاحب كتاب لله ثم للتاريخ تابعه غير واحد. والموجود هو قوله: (التقية ديني ودين آبائي، ولا دين لمن لا تقية له) في وسائل الشيعة (ج١١/ص٤٦٥)، وقوله: (ليس منَّا من لم يؤمن بكرَّتنا، ويستحل متعتنا)، فيما لا يحضره الفقيه (ج٣/ص٤٥٨).
[2] (ج٢/ص٢٢١).

ولكنّها جميلةٌ جدًّا، فطلب الإمام من أبيها سيد صاحب إحضارها للتّمتّع بها، فوافق أبوها بفرحٍ بالغٍ، فبات الإمام الخميني والصّبية في حضنه ونحن نسمع بكاءها وصريخها!

المهم أنّه أمضى تلك الليلة، فلما أصبح الصّباح وجلسنا لتناول الإفطار، نظر إلي فوجد علامات الإنكار واضحةً في وجهي؛ إذ كيف يتمتّع بهذه الطّفلة الصّغيرة وفي الدّار شاباتٌ بالغاتٌ راشداتٌ، كان بإمكانه التّمتّع بإحداهنّ فلم يفعل؟ فقال لي: سيد حسين؛ ما تقول في التّمتّع بالطّفلة؟ فقلت له: سيد القول قولك، والصّواب فعلك، وأنت إمامٌ مجتهد، ولا يمكن لمثلي أن يرى أو يقول إلا ما تراه أنت أو تقوله، ومعلومٌ أنّي لا يمكنني الاعتراض وقت ذاك، فقال: سيد حسين؛ إنَّ التَّمتُّع بها جائز، ولكن بالمداعبة والتّقبيل والتّفخيذ، أما الجماع فإنّها لا تقوى عليه)[١].

وتتوسع دائرة التّمتّع عند الشّيعة لتشمل حتّى التّمتّع بالنّساء المتزوّجات، وهذا ما تحرمه جميع الشّرائع السماوية، بل ولا تقره حتّى غيرة العقلاء من الكفّار؛ فالرَّافِضَة يجيزون التّمتّع بالمرأة المحصنة زوجة الغير دون علم زوجها ودون رضاه، علمًا بأنّ بعض فقهاء الشّيعة يقرون بتحريم نكاح المتعة، كما جاء في وسائل الشّيعة، وفي التّهذيب وفي الاستبصار: (قال أمير المؤمنين صلوات الله عليه: حرم رسول الله ﷺ وآله يوم خيبر لحوم الحمر الأهلية ونكاح المتعة)[٢]، وجاء في التّهذيب: (وسئل أبو عبد الله عليه السلام: كان المسلمون على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله يتزوّجون بغير بينةٍ؟ قال: لا)[٣]، ويقول السيد حسينٌ الموسوي معلّقًا: (لا شكّ أنّ هذين النّصّين حجّةٌ قاطعةٌ في نسخ حكم المتعة وإبطاله)[٤]، وجاء في وسائل الشّيعة: وعن عمارٍ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام لي، ولسليمان بن خالد: (قد حرمت عليكما المتعة)[٥].

وقد نقل د. ناصرٌ القفاري في كتابه (أصول مذهب الشّيعة الإمامية الاثني عشرية) عن الألوسي قوله: (من نظر إلى أحوال الرَّافِضَة في المتعة في هذا الزمان، لا يحتاج في حكمه عليهم بالزنا إلى

---

[١] (ص٣٦-٣٧).
[٢] وسائل الشيعة، (ج١٤/ص٤٤١)، تهذيب الأحكام، (ج٧/ص٢٥١)، الاستبصار، الرافضي الطوسي، (ج٤/ص٧٣).
[٣] تهذيب الأحكام، (ج٧/ص٢٦١).
[٤] لله ثم للتاريخ، (ص٣٩).
[٥] الرافضي الحر العاملي، (ج١٤/ص٤٥٠).

برهانٍ؛ فإنَّ المرأة الواحدة تزني بعشرين رجلًا في يومٍ وليلةٍ، وتقول إنّها متمتّعةٌ، وقد هيئت عندهم أسواقٌ عديدةٌ للمتعة توقف فيها النِّساء ولهنّ قوّادون يأتون بالرجال إلى النِّساء وبالنِّساء إلى الرجال؛ فيختارون ما يرضون، ويعينون أجرة الزنا، ويأخذون بأيديهنّ إلى لعنة الله تعالى وغضبه)[١].

فماذا نتج عن زواج المتعة؟ وما هي آثاره على المجتمع الرافضي؟

فمن آثاره: اختلاط الأنساب، والذي بسببه حرم الله الزنا، وذلك من خلال التّمتّع بزوجات الغير، ودون علم أزواجهنّ، فتحمل المرأة، ولا تدري هذا الولد من يكون والده، ومن ذلك كثر بسببه الزواج من المحارم. فمن كثرة ما يتمتّعون صار الرجل يتمتّع بالمرأة، وقد تكون ابنته من زوجةٍ سابقةٍ كان قد تمتّع بها، أو تكون زوجة ابنه الذي سبق أن تمتّع بها، أو زوجة أبيه، وفي ذلك يقول السيد حسينٌ الموسوي: (جاءتني امرأةٌ تستفسر منّي عن حادثةٍ حصلت معها؛ إذ أخبرتني أنَّ أحد السادة –وهو السيد حسينٌ الصّدر–، كان قد تمتّع بها قبل أكثر من عشرين سنة، فحملت منه، فلما أشبع رغبته منها فارقها، وبعد مدّةٍ رزقت ببنتٍ، وأقسمت أنّها حملت منه هو؛ إذ لم يتمتّع بها وقتذاك أحدٌ غيره، وبعد أن كبرت البنت وصارت شابةً جميلةً متأهلةً للزواج، اكتشفت الأم أنّ ابنتها حبلى، فلما سألتها عن سبب حملها: أخبرتها البنت أنّ السيد المذكور استمتع بها فحملت منه، فدهشت الأم وفقدت صوابها؛ إذ أخبرت ابنتها أنّ هذا السيد هو أبوها، وأخبرتها القصّة، فكيف يتمتّع بالأم، واليوم يأتي ليتمتّع بابنتها الّتي هي ابنته هو؟!)[٢].

ومن آثاره: استغلال أرباب الهوى والفساد المتعة في إشباع الغرائز؛ لدرجةٍ وصلت حدّ الجنوح إلى الفجور، وإلصاق ذلك بالدّين من خلال المتعة.

ومن آثاره أيضًا: أنّ السادة والمرجعيات الذين يبيحون هذا الزواج، ليتم لهم من خلاله التّمتّع ببنات النّاس: يمنعون بناتهم وأخواتهم وقريباتهم من التّمتّع؛ لأنّهم يستقذرونه لهم، ويرونه كالزنا على ما يشعرون هم به من خلال تمتّعهم ببنات الغير، وعن ذلك يروي لنا السيد حسينٌ الموسوي روايةً

[١] (ج٣/ص١٢٣٥-١٢٣٦). كشف غياهب الجهالات (الورقة ٣) (مخطوط).
[٢] (ص٤٤).

وقعت معه هو حيث يقول: (فدخل علينا شابان يبدو أنَّهما اختلفا في مسألةٍ فاتفقا على سؤال الإمام الخوئي ليدلهما على الجواب.

فسأله أحدهما قائلًا: سيد؛ ما تقول في المتعة؟ أحلالٌ هي أم حرامٌ؟

نظر إليه الإمام الخوئي وقد أوجس من سؤاله أمرًا، ثم قال له: أين تسكن؟

قال الشَّاب السائل: أسكن الموصل، وأقيم هنا في النَّجف منذ شهرين تقريبًا.

قال له الإمام: أنت سنِّيٌّ إذن؟

قال الشَّاب: نعم.

قال الإمام: المتعة عندنا حلالٌ وعندكم حرامٌ.

فقال له الشَّاب: أنا هنا منذ شهرين تقريبًا غريبٌ في هذه الدّيار، فهلا زوّجتني ابنتك لأتمتّع بها ريثما أعود إلى أهلي؟

فحملق فيه الإمام هنيهةً، ثم قال له: أنا سيدٌ، وهذا حرامٌ على السادة وحلالٌ عند عوام الشّيعة.

ونظر الشّاب إلى السيد الخوئي، وهو مبتسمٌ ونظرته توحي، أنَّه علم أنَّ الخوئي قد عمل بالتَّقية.

ثم قاما فانصرفا، فاستأذنت الإمام الخوئي في الخروج فلحقت بالشَّابين، فعلمت أنَّ السائل سنِّيٌّ وصاحبه شيعي؛ اختلفا في المتعة أحلالٌ أم حرامٌ، فاتفقا على سؤال المرجع الدّيني الإمام الخوئي، فلما حادثت الشَّابين انفجر الشَّاب الشّيعي قائلًا: يا مجرمون؛ تبيحون لأنفسكم التّمتّع ببناتنا وتخبروننا بأنَّه حلالٌ، وأنَّكم تتقربون بذلك إلى الله، وتحرمون علينا التّمتّع ببناتكم؟

وراح يسب، ويشتم، وأقسم أن سيتحوّل إلى مذهب أهل السنّة، فأخذت أهدئ به، ثم أقسمت له أنّ المتعة حرامٌ، وبينت له الأدلّة على ذلك)[١].

---

[١] (ص٣٧-٣٨).

ومن آثاره أيضًا: قطيعة الأرحام والوشائج؛ وذلك لأنّ كثيرًا من الرَّافِضَة لا يعرفون أنسابهم، ولا آباءهم، ولهذا قد يكون للرجل إخوةٌ وأخواتٌ ومحارم لا يعرفهم؛ لأنّه أصلًا لا يعرف من يكون والده.

ومن الآثار الأخرى الخطيرة لزواج المتعة الّذي يحلّه الرَّافِضَة، ويتسامح معهم، ويتغاضى عن الاختلاف معهم فيه كثيرٌ من دعاة التّقارب اليوم: أنّه ومن خلال إباحة المتعة استطاع كثيرٌ من دعاتهم بثّ دعوتهم ونشر مذهب الرفض بين كثيرٍ من قبائل أهل السنّة؛ وما ذلك إلا من خلال إغرائهم بهذا الزواج، ومداعبة أهوائهم بالقول بإباحته؛ فقد نشرت مجلة المنار في المجلّد ١١ رسالةً للشيخ محمد كامل الرافعي، كان قد أرسلها من بغداد لصديقه الشّيخ رشيد رضا في سنة ١٣٢٦هـ، كشف له أثناء سياحته في تلك الدّيار ما يقوم به علماء الرَّافِضَة من دعوة الأعراب إلى الدّخول في دين الرفض، واستعانتهم في ذلك بإحلال متعة النّكاح لمشايخ قبائلهم الذين يرغبون الاستمتاع بكثيرٍ من النّساء في كلّ وقتٍ[1].

وذكر لنا د. ناصر القفاري، في كتابه (أصول مذهب الشّيعة الإمامية) عن الحيدري بيانًا خطيرًا بالقبائل السنّية الَّتي ترفّضت بجهود الروافض، وخداعهم في كتابه: (عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد)، فيقول: (وأما العشائر العظام في العراق الَّذين ترفَّضوا من قريبٍ فكثيرون؛ منهم: ربيعة، ترفّضوا منذ سبعين سنةً، وتميمٌ وهي عشيرةٌ عظيمةٌ ترفّضوا في نواحي العراق منذ ستّين سنةً بسبب تردّد شياطين الرَّافِضَة إليهم، والخزاعل ترفّضوا منذ أكثر من ستِّين سنةً بتردد الرَّافِضَة إليهم وعدم العلماء عندهم، ومن العشائر المترفِّضة: بنو عمير وهم بطنٌ من تميم، والخزرج وهم بطنٌ من الأزد، وشمر وهي كثيرةٌ، وغيرها، ومن المترفّضة أيضًا عشائر العمارة آل محمد، وهي لكثرتها لا تحصى، وترفّضوا من قريبٍ، وعشيرة بني لام، وهي كثيرة العدد، وعشائر الدِّيوانية، وهي خمس عشائرَ: آل أقرع، وآل بدير، وعفجٌ، والجبور، وجليحة)[2].

---

[1] مجلة المنار، (المجلد ١١، عدد١، ص٤٨-٤٩). أخطأ رشيد بن رضا في رسائل السنة والشيعة (ج١/ص٣١) أنها في المجلد ١٦، وتابعه عليه ناس، وصحح هنا.

[2] (ج٣/ص٢٠١-٢٠٢). انظر: عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، إبراهيم البغدادي، (ص١١٣-١٢٢).

ثانيًا: إعارة الفروج

وما أدراك ما إعارة الفروج! فإنّه وإن كان هو الزنا بعينه من حيث الحكم الشّرعي، إلا أنّه من حيث طريقة مباشرته: فهو أفظع وأقبحُ؛ حيث إنّ الزناة يتستّرون ويستشعرون الخطيئة والذّنب الذي يرتكبونه، أما في إعارة الفروج؛ فإنّ الرجل إذا أراد السفر يأتي بزوجته عند صديقه أو جاره أو قريبه أو من شاء، فيبقيها عنده ويبيح له أن يصنع بها ما شاء طيلة فترة سفره، ويأذن له التّمتّع بها؛ لكي يطمئنّ على زوجته من الوقوع في الزنا! وهناك حالةٌ أخرى يعيرون فيها الفروج؛ وهي إذا حلّ الرجل ضيفًا فإنّ من دواعي إكرام هذا الضيف أن يقدّم زوجته للضيف، ويروون في ذلك رواياتٍ مكذوبةً، ينسبونها إلى الإمام الصّادق، وإلى أبيه أبي جعفر عليهم السلام؛ روى الطوسي في الاستبصار عن محمدٍ عن أبي جعفر -عليه السلام- قال: قلت له: (الرَّجل يحلُّ لأخيه فرج جاريته؟ قال: نعم، لا بأس به، له ما أحلّ له منها)[١]، وروى الكليني في فروع الكافي عن أبي عبد الله قال: (يا محمد؛ خذ هذه الجارية تخدمك، وتصيب منها، فإذا خرجت فارددها إلينا)[٢]، وهذا الأمر أفتى به علماء الرَّافِضَة في إيران والعراق، وهو منتشرٌ بناءً على فتاوى كثيرةٍ من سادات ومرجعيات الرَّافِضَة؛ يقول السيد حسين الموسوي: (زرنا الحوزة القائمية في إيران، فوجدنا السادة هناك يبيحون إعارة الفروج، وممن أفتى بإباحة ذلك السيد لطف الله الصّنافي وغيره؛ ولذا فإنّ موضوع إعارة الفرج منتشرٌ في عموم إيران، واستمر العمل به حتّى بعد الإطاحة بالشّاه محمدٍ الرضا بهلوي ومجيء آية الله العظمى الإمام الخميني الموسوي، وبعد رحيل الإمام الخميني استمر العمل عليه)، وقال: (ومما يؤسف له أنّ السادة هنا -يعني العراق- أفتوا بجواز إعارة الفرج، وهناك كثيرٌ من العوائل في جنوب العراق وفي بغداد، في منطقة الثّورة، ممن يمارس هذا الفعل بناءً على فتاوى كثيرٍ من السادة؛ منهم: السيستاني، والصّدر، والشّيرازي، والطّبطبائي، وغيرهم، وكثيرٌ منهم إذا حلَّ ضيفًا عند أحدٍ منهم: استعار منه امرأته إذا رآها جميلة، وتبقى مستعارة عنده حتَّى مغادرته)[٣].

---

[١] (ج٣/ص١٣٦).

[٢] المرجع السابق، ومروي في وسائل الشيعة وغيرها من كتب الأكاذيب عندهم.

[٣] لله ثم للتاريخ، (ص٤٩).

ثالثًا: إتيان النّساء في أدبارهنّ

والّذي لا يخفى على عاقلٍ مدى الأضرار الجسيمة الّتي تلحق بالمجتمع عامةً جراء الوطء في الدّبر عدا انتكاسة الفطرة والعياذ بالله، وهناك الأحاديث الصحيحة والصّريحة في لعن فاعلها وتحريم إتيان النّساء في أدبارهنّ، والله تعالى يقول: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ} [البقرة: ٢٢٢]؛ فهذه الآية حجّةٌ على من يحلّ إتيان المرأة في دبرها؛ إذ لو كان جائزًا لما كان لأمر الله تعالى في اعتزال النّساء في المحيض معنى، فليس الحيض في الدبر وإنّما في القبل، والأمر باعتزالها يدلّ على أمر اعتزال وطئها في القبل، والرَّافِضَة -رفضهم الله- يحلّون ذلك، ويأتون بروايات يزعمون زورًا وكذبًا نسبتها إلى أئمة آل البيت، كما يتأوّلون آيات القرآن بالباطل من بعد ما جاءتهم البينات بغيًا بينهم.

ومما جاء عندهم في ذلك: ما ذكر في الاستبصار؛ ما رواه الطّوسي عن عبد الله بن أبي اليعفور: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يأتي المرأة من دبرها قال: لا بأس إذا رضيت، قلت: فأين قول الله تعالى: {فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمْ}؟ فقال: هذا في طلب الولد، فاطلبوا الولد من حيث أمركم الله، إنّ الله تعالى يقول: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ})[١].

وروى الطّوسي أيضًا عن موسى بن عبد الملك عن رجلٍ قال: (سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن إتيان الرجل المرأة من خلفها في دبرها فقال: أحلّتها آيةٌ من كتاب الله تعالى، قول لوطٍ عليه السلام: {هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ}، فقد علم أنّهم لا يريدون الفرج)[٢]، والعياذ بالله.

فانظر كيف يتأوّلون كلام الله بالباطل ليحلّوا ما حرم الله! فإنّ الله تعالى لا يحلّ الخبائث، وإتيان الدّبر من الخبائث الّتي حرمها الله بالجملة، وقد أورد السيد حسين الموسوي ردًّا شافيًا على تأوّلهم هذا بقوله: (إنّ تفسير الآية قول الله تعالى: {هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ} [هود: ٧٨]، قد ورد في

[١] (ج٣/ص٢٤٣).
[٢] المرجع السابق.

آيةٍ أخرى في قوله تعالى: {وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ} [العنكبوت: ٢٨-٢٩]، وقطع السبيل لا يعني ما يفعله قطّاع الطّرق وحدهم، لا! وإنّما معناه أيضًا قطع النّسل بالإتيان في غير موضع طلب الولد -أي في الأدبار-، فلو استمر النّاس في إتيان الأدبار -أدبار الرجال والنِّساء- وتركوا أيضًا طلب الولد لانقرضت البشرية وانقطع النسل، فالآية الكريمة تعطي هذا المعنى أيضًا، وبخاصّة إذا لاحظنا سياق الآية مما قبلها، ولا مرية أنَّ هذا لا يخفى على الإمام الرضا -عليه السلام-، فثبت بذلك كذب نسبة تلك الرواية إليه)[١].

ولقد تفكّرت في حال هؤلاء طويلًا، وما الّذي أوصلهم إلى هذا الحدّ المريع من الفساد، إذ هم في الظّاهر يدّعون الإسلام، وبالتّالي يدّعون العفّة والطّهارة، وهم من قبائل عاشت بين أهل الإسلام، وتزيّت بزيّ الاحتشام، فقد وصل بهم الفساد إلى حدّ لم تصل إليه أمةٌ من الأمم! فلو نظرنا إلى أكثر المناطق إباحيةً في أوروبا وأمريكا وغيرها: لَوجدنا هؤلاء الروافض قد سبقوهم سبقًا بعيدًا، بل ونجد أنّ كثيرًا من القوانين الَّتي تحكم هؤلاء تستقذر وتستنكر كثيرًا من هذه الأفعال المخزية والمخجلة وإن فعلتها شعوبهم!

فمثلًا: نكاح المحارم ممنوع في تلك القوانين، وكذلك الخيانة الزوجية، فضلًا عن الشّذوذ الجنسي وغيره، وإن مارسوه فإنّهم يمارسونه شهوةً لا دينًا، أما هؤلاء الراوفض الملاعين؛ فكلّ شيءٍ مباحٌ باسم الدّين؛ فتجد في البيت الواحد في كثيرٍ من الأحيان عددًا من الأبناء، وكلّ واحدٍ منهم من أبٍ مختلفٍ نتيجة المتعة الَّتي أباحوها باسم الدّين؛ ولذلك تلحظ أنّ قطيعة الرحم ظاهرةٌ في هذه الطّائفة، بل إنّهم من أغلظ النّاس قلوبًا فيما بينهم! كيف لا! وقد اختلطت مياه الأنساب بينهم، فما كان وما سيكون في أمةٍ من الأمم السابقة واللاحقة من الفساد الأخلاقي، ففي الرَّافِضَة أضعاف أضعافه! بل إنّ البهائم العجماوات تستقبح وترفض فطرتها أن تفعل مثل ما يفعل هؤلاء.

[١] (ص٥١-٥٢).

وقد حدّثني أحد إخواني الثّقات بحادثةٍ رآها بأم عينيه فيقول: (رأيت في مقتبل حياتي حادثةً لم أر مثلها قطّ في غيرة ثورٍ قتل نفسه بعد أن عصبت عيناه ليطأ أمه، فجاءت به جدّتي تجره إلى والدته، وهو لا يعلم أنّها أمه؛ لأنّه معصوب العينين، وبعد عملية التّلقيح كشفت عينه، وأيقن بأنّه أتى أمه، فما كان من ذلك الثّور إلا أن قام هائجًا وثائرًا يناطح الجدار برأسه حتّى سالت منه الدّماء الغزيرة وهو يتحرك بجنونٍ وهيجانٍ، ثم اتّجه إلى نهر دجلة والدّم يقطر من جسده، وألقى بنفسه في النّهر حتّى غرق ومات من جراء ذلك! لأنّ الغيرة أخذته على أمه، وهو دابةٌ قد استبيح لها ذلك فطرةً وجبلّةً، فقلت في نفسي آنذاك: البهائم تأنف الزنا بالمحارم، وتغار على حريمها؛ فكيف بالبشر لا يعقل ذلك؟!).

وقد أخرج البخاري عن ميمونِ بن مهرانٍ أنّه رأى في الجاهلية قردةً زنت فاجتمع عليها القردة فرجموها، وروى مسلمٌ مثله عن أبي رجاءٍ العطاردي.

فنعوذ بالله من أمةٍ البهائمُ العجماواتُ الَّتي لا تعقل: فطرتها أصفى وأنقى منها! وعلم الله؛ أنَّني تفكّرت في حال هؤلاء طويلًا، وما الذي أوصلهم إلى هذا الحدّ كما أسلفت؛ فتبين لي أنّ الذي أوصل هؤلاء إلى هذا المستنقع الآسن هو أنّ الجزاء من جنس العمل، ومثلما تدين تدان؛ فعندما تجرأ هؤلاء على الطّعن في خير بيتٍ وجد على وجه الأرض، ألا وهو بيت نبينا محمدٍ ﷺ؛ إذ تجرؤوا على ذات النّبي ﷺ إذ قالوا: كما نقل السيد حسينٌ الموسوي عن عليٍ الغروي، أحد أكبر العلماء في الحوزة: (إنَّ النّبي صلّى الله عليه وعلى آله؛ لا بدّ أن يدخل فرجه النّار؛ لأنّه وطئ بعض المشركات)![1] يريد بذلك زواجه من عائشة وحفصة، وهذا كما هو معلومٌ به إساءةٌ إلى النّبي ﷺ، وسوء ظنٍّ به وبالله سبحانه الذي أرسله، وكلّ ذلك كفرٌ وضلالٌ لم يتجرأ على قوله كافرٌ سواهم، كما اتّهموا أمهات المؤمنين، وعلى رأسهنّ أمنا المبرأة المطهّرة الصّافية النّقية الصّدّيقة بنت الصّدّيق عائشة –رضي الله عنها–، ولم يراعوا حرمة النّبي ﷺ في عرضه وبيته، فلما فعلوا ذلك مزق

[1] لله ثم للتاريخ، (ص٢١).

الله أعراضهم شر تمزيقٍ، فليس هناك أمةٌ من الأمم ابتليت بعرضها كما هم الروافض، ولذلك ترى أنّ عرض الرافضي لا يساوي عنده شيئًا، وإن أظهر خلاف ذلك.

ولا يفوتنا أن نثبت هنا أنّ من يذب ويدافع عن صحابة رسول الله ﷺ، ونخصّ منهم أمهات المؤمنين؛ فسيذب الله عنه وعن عرضه، ويحفظه له -بإذن الله- لدفاعه هذا، فكما هو معروفٌ شرعًا: الجزاء من جنس العمل.

ولا ننسى هنا أن نذكر كلام الإمام الشّوكاني حول مشاهداته الشّخصية وتجاربه من خلال معايشته لرافضة اليمن؛ فكشف لنا أمورًا عجيبةً وخطيرةً في كتابه (طلب العلم وطبقات المتعلّمين)، نقلًا عن د. القفاري من كتابه (أصول مذهب الشّيعة الإمامية)؛ فقال: (لا أمانة لرافضيٍ قطّ على من يخالفه في مذهبه ويدين بغير الرَّفض، بل يستحل ماله ودمه عند أدنى فرصةٍ تلوح له؛ لأنَّه عنده مباح الدَّم والمال، وكلّ ما يظهره من المودَّة فهو تقيةٌ يذهب أثره بمجرَّد إمكان الفرصة)، ويقول: (وقد جربنا هذا تجريبًا كثيرًا، فلم نجد رافضيًّا يخلص المودَّة لغير رافضيٍ، وإن آثره بجميع ما يملكه، وتودّد إليه بكلّ ممكن، ولم نجد في مذهبٍ من المذاهب المبتدعة ولا غيرها ما نجده عند هؤلاء من العداوة لمن خالفهم، ثمَّ لم نجد عند أحدٍ ما نجد عندهم من التّجرؤ على شتم الأعراض المحترمة؛ فإنَّه يلعن أقبح اللّعن، ويسب أفظع السب: كلَّ من تجري بينه وبينه أدنى خصومةٍ وأحقر جدالٍ، وأقلّ اختلافٍ! ولعلَّ سبب هذا والله أعلم: أنّهم لما تجرؤوا على سب السلف الصّالح: هان عليهم سبُّ من عداهم، ولا جرم، فكلّ شديد ذنبٍ يهوّن ما دونه)، وقد أشار الشّوكاني -رحمه الله- إلى أنّهم لا يتورعون عن اقتراف أي جريمةٍ في المجتمع الإسلامي، ولا يتنزهون عن فعل أي محرمٍ؛ فقال: (وقد جربنا وجرب من قبلنا، فلم يجدوا رجلًا رافضيًّا يتنزه عن محرمات الدِّين كائنًا من كان ولا تغتر بالظواهر؛ فإنَّ الرجل قد يترك المعصية في الملأ ويكون أعفّ النَّاس عنها في الظَّاهر، وهو إذا أمكنته فرصةٌ انتهزها انتهاز من لا يخاف نارًا ولا يرجو جنَّةً)[1].

فلا تكاد تجد بيتًا رافضيًّا إلا وقد عاقب الله أهله في أعراضهم، والجزاء من جنس العمل.

---

[1] (ج٣/ص١٢٢٨-١٢٢٩). انظر: أدب الطلب ومنتهى الأدب، الشوكاني، (ص٩٥-٩٦، ٩٨)، هو نفس الكتاب بمسمى آخر.

الفصل الثالث

باسم الله، والحمد لله، والصّلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، محمدٌ وعلى آله وصحبه الأحرار، ومن تبعهم وسار على نهجهم من المسلمين الأبرار، وبعد:

مواقف أهل الإسلام منهم[١]

فلا بدّ بعد هذا الاستعراض التّاريخي لجملةٍ من فضائح وخيانات الرَّافِضَة: أن ننوّه لأمرٍ مهمٍ جدًّا؛ ألا وهو أنّنا حين نذكر طرفًا من خيانات وجرائم الرَّافِضَة ونذكّر بأصل عقيدتهم الفاسدة، وأنّ المؤسس لهذا الدّين هو اليهودي الحاقد ابن سبأ، وحين نربط فروعهم الحالية بأصولهم الماضية، وحين نقوم إزاء هذه الجرائم بما نقوم به من تحكيمٍ لدين الله تعالى فيهم قتلًا وتنكيلًا؛ فإنّنا والحالة هذه: لسنا والله بدعًا من المجاهدين، وإنّما نحن نطبق عليهم حكم الله كما طبقه فيهم خيرة أسلافنا؛

- فها هو أمير المؤمنين عليٌ -رضي الله عنه-؛ لم يجامل، ولم يهادن في دين الله، ولم يبحث عن أنصاف الحلول إزاء من ادّعوا محبته ومشايعته، بل إنّه حرق الغاليّة منهم الذين يدّعون فيه الألوهية، أو جزءًا منها[٢]، وها هو يحكم بجلد من يسب صاحبي الرسول ﷺ (أبا بكرٍ وعمر -رضي الله عنهما)[٣].

---

[١] تعليق إتقان: العناوين الفرعية هي زيادة مقترحة لفهم سياق الكلام.

[٢] انظر: فتح الباري/ ابن حجر، (ج١٢/ص٢٧٠)، نقل عن (الإسفرايني في الملل والنحل أن الذين أحرقهم علي طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السبائية، وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهوديا ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة)، وذكر رواية تؤيدها.

[٣] روى أبو عاصم في السنة وأحمد في الفضائل والآجري في الشريعة، عن علي -رضي الله عنه قوله: (لا يفضلني عن أبي بكر وعمر، أو لا أجد أحدا يفضلني على أبي بكر وعمر، إلا وجلدته جلد حد المفتري).

– وها هو الحسن بن عليٍ –رضي الله عنه–؛ ينبذهم كما نبذوا عهودهم، يتبرأ منهم ويتنازل عن الخلافة لمعاوية –رضي الله عنه–، فيبايعه حقنًا لدماء المسلمين، ومخالفةً لأهوائهم وشهواتهم، حيث طالبوه بمقاتلته[1].

– وهذا الحسين؛ يدعو عليهم ومن مصادرهم، بعد أن خذلوه وتخلوا عنه قبل مقتله؛ فيقول: (اللهم إن متَّعتهم إلى حينٍ ففرقهم فرقًا، واجعلهم طرائق قددًا، ولا ترضي الولاة عنهم أبدًا؛ فإنّهم دعونا لينصرونا ثم عدوا علينا فقتلونا)[2].

– وهذا الخليفة المهدي العباسي؛ عرف بشدّته على مبتدعيهم وزنادقتهم، حيث انتشرت في العهد العباسي بدعهم وراجت سوقهم، حتّى إنّه كلّف الجدليين من المتكلّمين بتأليف الكتب في الردّ عليهم ودحض شبههم، ولم يكتف بذلك؛ بل أنشأ هيئةً متخصّصةً في ملاحقة الزنادقة، وجعل لها رئيسًا أطلق عليه اسم (صاحب الزنادقة)، يلاحقهم ويقتل كلّ من داهن عن الدّين أو ألحد فيه، وفوق ذلك: كلّف ابنه الهادي، بتتبع الزنادقة والبطش بهم؛ قال المسعودي في المهدي: ([إنَّه] أمعن في قتل الملحدين، والمداهنين عن الدِّين لظهورهم في أيامه، وإعلانهم عن معتقداتهم في خلافته؛ لما انتشر من كتب ماني وابن ديصان، ومرقيون مما نقله عبد الله بن المقفّع، وغيره، وترجمت من الفارسية والفهلوية إلى العربية، وما صنّفه في ذلك ابن أبي العوجاء، وحَمَّادٌ عَجرَدٍ، ويحي بن زيادٍ، ومطيع بن إياسٍ: من تأييد المذاهب المانية والدَّيصانية، والمرقونية؛ فكثر بذلك الزنادقة، وظهرت آراؤهم في النَّاس، وكان المهدي أول من أمر الجدليين من أهل البحث من المتكلّمين، بتصنيف الكتب [في الردِّ] على الملحدين ممن ذكرنا من الجاحدين وغيرهم، وأقاموا البراهين على المعاندين، وأزالوا شُبَهَ الملحدين، فأوضحوا الحقّ للشّاكين)[3].

وأما السلاجقة الأتراك من أهل السُنَّة؛ فقد كان لهم كذلك مواقف حاسمةٌ من الرَّافِضَة الباطنية وقتالهم، ومن ذلك ما كان من السلطان ملك شاه من إرسال أحد علمائه لمناظرة الحسن بن الصَّباح

---

[1] انظر الفصل الأول.

[2] إعلام الورى بأعلام الهدى، الرافضي الطبرسي (ص٢٥٣).

[3] مروج الذهب ومعادن الجوهر، (ج٤/ص٢٥١).

(المؤسس الحقيقي للمزارية الإسماعيلية، ورئيسها الفعلي)[١]، بعد استيلائه على قلعة ألموت عام ٤٨٣ هـ[٢]، وبعد أن نشر جيشه من الفدائية الذين كانوا يعيثون في الأرض فسادًا، يغتالون الآمنين، وينهبون أموالهم، فأرسل إليه أولًا من يناظره فكريًّا؛ لردّه إلى جادّة الصّواب لو كان مريد حقٍّ وصاحب شبهةٍ، ولما تبين له أنّه صاحب هوى وشهوةٍ ورأى امتناعه: قرر السلطان ملك شاه ردعه بالقتال[٣]؛ فأرسل له جيشًا عام ٤٨٥ هـ، فحاصر قلعته ألموت، فاستنجد الصّباح في قزوين (ديدار أبي علي)، الذي بدوره هب لنجدته؛ مما ألحق الهزيمة بجيش ملك شاه، ومع ذلك لم يتوقّف ملك شاه عن مواصلة جهاده ضدّ هذا الباطني؛ بل راح يجهّز حملاتٍ أخرى للقضاء على الباطنية، إلا أنّ الموت حال دونه ودون إكمال هذه الحرب[٤].

وبعد موت ملك شاه؛ تولى ابنه السلطان بركيارق السلطة؛ فكان من أهم أعماله أن طهّر جيشه من هؤلاء الذين كانوا يندسون بين صفوف الجنود وهم يحملون الفكر والحقد الباطني؛ فقتل كلّ من ثبت عليه تهمة الانتساب للباطنية، أو حتّى من حامت حوله الشّبه، ثم هاجم الباطنية في كلّ مكانٍ، فأُخذوا من خيامهم ومنازلهم، وقُتلوا في ميدانٍ عامٍ، ولم يفلت منهم إلا من لم يعرف، وبلغ عدد القتلى منهم ثلاثمائة ونيفًا[٥]، ولم يكتف بذلك؛ بل إنّه أذن للنّاس أن يقتلوهم أينما ثقفوهم، فأخذ النّاس يتتبعون الباطنية ويقتلونهم، حتّى أنّ أحد فقهاء الشّافعية، واسمه (أبو القاسم مسعودٌ بن محمدٍ الخجندي): كان يحفر الأخاديد، ويوقد فيها النّيران ويحرق الباطنية فيها فرادى وجماعاتٍ[٦]، حتَّى أنَّه أوعز لعماله وأمرائه في الأقاليم التّابعة له، بتتبع الباطنية والفتك بهم؛ ففتك بهم الأمير جاولي ما يقارب الثّلاثمائة، وذلك بحيلةٍ دبرها مع أصحابه من داخل صفوف الباطنية، حتّى استطاع أن يظفر بهم ويقتلهم[٧].

---

[١] انظر: الأخبار والآثار، للمشرك الإسماعيلي أبو المكارم، قال فيه: (وعمل [نزار] مع الحسن بن الصباح على تأسيس النزارية).

[٢] البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٦/ص١٧٥).

[٣] حركة الحشاشين، محمد الخشت، (ص٦٨-٧٤).

[٤] المرجع السابق، (ص٧٥-٧٦).

[٥] المنتظم، ابن الجوزي، (ج١٧/ص٦٢).

[٦] المرجع السابق، (ج٨/ص٤٥٠).

[٧] المرجع السابق، (ج٨/ص٤٥٤).

ثم إنّه أرسل إلى الخليفة العباسي في بغداد يشير عليه بأن يتتبع الباطنية في بلاده، فأمر بالقبض على كلّ من يظنّ فيهم ذلك؛ وفي ذلك يقول ابن الجوزي في المنتظم: (ولم يتجاسر أحدٌ أن يشفع في أحدٍ لئلا يظنّ ميله إلى ذلك المذهب)[١]، وتعاون مع أخيه السلطان سنجر في محاربة الباطنية والقضاء عليهم.

وفي عام ٥٢١ هـ؛ أغار السلطان سنجر على الباطنية في قلعة ألموت؛ فقتل منهم ما يقارب ١٢ ألفًا[٢].

وفي عام ٥٤٦ هـ؛ أرسل السلطان سنجر أحد أمرائه (الأمير قجق)، على رأس جيشٍ كبيرٍ إلى قلعة طريثيث، فأغار عليها وأحرق مساكنها وسبى ما وقع على يديه، وفعل بهم الأفاعيل العظيمة، ثم عاد سالمًا[٣].

وأما في عهد السلطان محمدٍ السلجوقي، والذي عرف بغيرته الدّينية وجهاده في سبيل الله، وتفانيه في نشر المذهب السنّي، والقضاء على دين الرَّافِضَة والفكر الباطني؛ فقد أدرك منذ توليه السلطة أنّه لا يمكن أن تسلم بلاد المسلمين ويعلوها دين الله إلا بالقضاء أوّلًا على الباطنية وهدم معاقلهم، وأنّ من أهم الأعمال الّتي يجب عليه القيام بها هو القضاء عليهم؛ فكان من أهم أعماله الّتي قام بها: إرساله حملةً عسكريةً بقيادة الأمير آق سنقر لمحاصرة قلعة تكريت الباطنية، ثمَّ قام بالقبض على وزيره أبي المحاسن الآبي لتواطئه مع الباطنية، وتقديمه العون والدّعم لهم، الأمر الذي تسبب في تأخير سقوط قلعة أصبهان، فعاقبه وأربعةً من أعوانه فقتلهم ثم صلبهم على باب أصبهان[٤]، وقام بمحاصرة قلعة أصبهان بنفسه؛ حيث سار إليها على رأس جيشٍ كبيرٍ بعد أن كثر بها أذى الباطنية، حتَّى أنَّ داعيهم زعيم الباطنية أحمد بن عطّاش، الذي كان يرسل أتباعه منها لقطع الطّريق

---

[١] (ج١٧/ص٦٣).
[٢] الكامل، ابن الأثير، (ج٩/ص١٠)، ذكر أنهم يزيدون عن ١٠ آلاف.
[٣] المرجع السابق، (ج٩/ص١٨٣).
[٤] المرجع السابق، (ج٨/ص٥٤٦).

على النّاس فيقتل الأبرياء، وينهب الأموال مستحلّين تلك النّفوس والأموال بدينهم، حتَّى أنَّهم جعلوا على القرى المجاورة له وأملاك النّاس الضرائب الَّتي تجبى مقابل أن يكفّوا بأسهم عنها[١].

فحاصرهم السلطان محمدٌ في هذه القلعة لمدّة أربعة أشهرٍ، وأثناء الحصار لجؤوا إلى حيلةٍ خبيثةٍ يرومون من خلالها إثارة البلبلة والشّبه حول موقف السلطان محمد من قتالهم؛ تمامًا كما هو حالهم اليوم من المجاهدين، وتمامًا كما هو موقف من يدّعون العلم من مشايخ الفضائيات؛ فأرسلوا لفقهاء المسلمين يستفتونهم بطريقةٍ ملتويةٍ في قومٍ يؤمنون بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر، ولكن يخالفون في الإمام: هل يجوز للسلطان مهادنتهم وموادعتهم، وأن يقبل طاعتهم، ويحرسهم من كلّ أذى؟ وكادت هذه الحيلة بالفعل أن تفرق كلمة المسلمين، وتغير الموقف لصالح الباطنية حين أجابهم أكثر الفقهاء بجواز ذلك، لكن البعض توقّف، ولكنّ السلطان محمدًا بحكمته وفقهه وحنكته: جمع الفقهاء ودعاهم للمناظرة؛ فانتصر رأي الفقيه الشّافعي (أبي الحسن علي بن عبد الرحمن السمنجاني)، الذي أفتى بوجوب قتالهم وسفك دمائهم، وأنهم لا ينفعهم التّلفّظ بالشّهادتين لرأيهم في الإمام الذي يستطيع أن يحرم عليهم ما أحلّ الله، ويحلّ لهم ما حرم الله، وتكون طاعته لهم في هذه الحالة حسب اعتقادهم فيه واجبةً، فتباح دماؤهم بهذا السبب بالإجماع[٢].

وحاول بعد ذلك السلطان محمد أن يسقط قلعة ألموت، ويقاتل الحسن بن الصّبّاح الذي كان متحصّنًا فيها أكثر من مرةٍ، إلا أنّ المنية وافته عام ٥١١ هـ أثناء حصار جيشه بقيادة أنوشتكين، والَّتي دام مدّة حصارها ما يقارب الست سنواتٍ، فاضطر القائد أنشتكين، وبعد ضغط جنده إلى الانسحاب[٣].

وبعد وفاة السلطان محمد؛ تسلّم السلطة من بعده ابنه محمود، والذي واصل سياسة والده، وكان يحمل نفس الهم والمنهج في ملاحقة وقتال الرَّافِضَة الباطنيين والرغبة في تطهير البلاد من رجسهم

---

[١] المرجع السابق، (ج٨/ص٤٤٢).
[٢] المرجع السابق، (ج٨/ص٤٤٢-٤٤٣).
[٣] المرجع السابق، (ج٨/ص٦٢١).

وأذاهم، فحاصر قلعة ألموت حتّى سقطت في يده عام ٥٢٤ هـ[١]، ولكنّهم استطاعوا أن يسترجعوها بعد وفاته عام ٥٢٥ هـ[٢].

وكان من حكّام الولايات آنذاك الأمير عباس -صاحب الري-، وكان من غلمان السلطان محمودٍ، وكان من المجاهدين المخلصين؛ فاستطاع أن يفتك بالباطنية الذين عنده؛ فقتل منهم خلقًا كثيرًا، حتّى أنّه بنى منارةً من رؤوسهم بالري، كما أنّه حاصر مجدّدًا قلعة ألموت، واستطاع أن يدخل قريةً من قراهم، فقذفها بالنّار وأحرق كلّ من فيها من الرجال والنّساء والصّبيان[٣].

وكان للدّولة الغورية كذلك موقفٌ حازمٌ تجاه الرَّافِضَة الباطنية؛ ومن ذلك ما حصل في عام ٥٩٧ هـ؛ حين سار شهاب الدّين الغوري إلى قهستان لمحاصرتها ومن فيها من الباطنية، وحين مر في طريقه بقريةٍ ذكر له بأنّ أهلها إسماعيلية باطنيةٌ: أمر بقتل المقاتلة وسبي النّساء، ونهب الأموال غنيمةً، وخرب القرية وجعلها خاويةً على عروشها، وواصل سيره إلى كناباد -وهي من مدن الباطنية- فنزل عليها وحاصرها، وحين أرسل إليه صاحب قهستان الباطني إلى ملك غور يشكو إليه أخاه شهاب الدّين ويقول: (بيننا عهدٌ؛ فما الذي بدا منّا حتّى تحاصر بلدي؟)، ومع ذلك شدّد شهاب الدّين الحصار على المدينة، فلما اشتدّ خوفهم طلبوا الأمان ليخرجوا، فأمنهم وأخرجهم من المدينة، واستولى عليها وأقام فيها الصّلاة وشعائر الإسلام[٤].

وكذلك كان للدّولة الخوارزمية موقفٌ حازمٌ تجاه الباطنية؛ ومن ذلك ما حصل في عام ٦٢٤ هـ؛ حين عظم شر الباطنية وتعدّى ضررهم، حتّى أنّهم قتلوا أميرًا من أمراء جلال الدّين بن خوارزم شاه، فسار بعسكره من بلادهم من حدود ألموت إلى كرديكوك بخراسان، فخربها جميعًا، فقتل أهلها وغنم أموالهم وسبى الحريم، واسترقّ الأولاد، وقتل الرجال وعمل بهم الأعمال العظيمة[٥].

---

[١] المرجع السابق، (ج٩/ص٢٦).
[٢] لم أجده في المراجع التاريخية.
[٣] المرجع السابق، (ج٩/ص١٤٧).
[٤] المرجع السابق، (ج١٠/ص١٧٨).
[٥] المرجع السابق، (ج١٠/ص٤٢٤).

وأما موقف صلاح الدّين الأيوبي من الرَّافِضَة؛ فكان من أشدّ المواقف وأقساها عليهم؛ حيث أسقط دولتهم المنيعة، والّتي عمرت طويلًا من قبل، مع أنّ القادة قبله والأمراء من السلاجقة وغيرهم كان لهم صولاتٌ معهم وجولاتٌ، وكانت هناك مواجهاتٌ وحروبٌ وقتلٌ وسبيٌ، ولكنّ الضربات الّتي تلقّوها من صلاح الدّين كانت أشدّ على نفوسهم؛ حيث فرق جمعهم، وهدّم صرحهم الكبير، وقضى على كلّ أحلامهم بامتلاك دولةٍ مستقلّةٍ ذات سيادةٍ، ونشر مذهب السنّة بعد أن كان دين الرفض هو السائد؛ ولذلك حاولوا مرارًا قتله واغتياله، ولكنّهم بفضل الله وحده فشلوا في كلّ محاولاتهم، وكان مما قام به صلاح الدّين تجاه الرَّافِضَة على ما ذكرنا سابقًا، وبعد محاولات اغتياله العديدة: اعتقل المتآمرين عليه في مصر، والذين حاولوا الاتّصال بالإفرنج لإسقاط مصر، فقررهم واحدًا واحدًا، وبعد أن استفتى الفقهاء في أمرهم: قتل رؤوسهم وأعيانهم دون أتباعهم وغلمانهم، وحاصر قلعة مصيافٍ الرافضية بعد محاولتهم اغتياله حين كان محاصرًا لحلب، فقصد قلعتهم عام ٥٧٢ هـ، وحاصرها ونصب عليها المنجنيقات فأحرقها وخربها، وأوسع أهلها قتلًا وأسرًا، وغنم أموالهم ودوابهم، ولم يتركهم إلا بعد أن أدّبهم ولقّنهم درسًا قاسيًا[١]، ولما ثار عليه الرَّافِضَة من جند السودان الممتعضين لموت (مؤتمن الخلافة) غضبًا لمقتله: أرسل لمحلّتهم المعروفة بالمنصورة فأحرقها على أموالهم وأولادهم وحرمهم، فلما علموا بذلك ولّوا مدبرين فأجرى عليهم السيف، وظلّ فيهم القتل حتّى قضى أخو صلاح الدّين (توران شاه) على آخرهم في منطقة الجيزة[٢].

وأما موقف شيخ الإسلام ابن تيمية وجهاده لِلرَّافِضَةِ؛ فقد كان واضحًا في موقفين؛

الموقف الأوّل: برز في جانب التّأليف العلمي للردّ على بدعهم وكفرياتهم، وكشف حقيقة الروافض، وبيان أحوالهم، وحكم الشّرع فيهم؛ ككتاب (منهاج السنّة النّبوية) وغيره.

والموقف الثّاني: برز في قتاله العملي لهم حين فرغ من قتاله للتّتار، تأديبًا لهم لمشاركتهم وتحالفهم مع التّتار ضدّ المسلمين.

---

[١] المرجع السابق، (ج٩/ص٤٢٣).
[٢] المرجع السابق، (ج٩/ص٣٤٦).

وأما الملك المظفّر قطز؛ فقاتلهم في الشّام بعد انتصار المسلمين على التّتار في وقعة عين جالوت، فقد كان لهم أيضًا دورٌ كبيرٌ في محاربة ومعاقبة الرَّافِضَة؛ حيث قرروا الانتقام من الخونة من النّصارى والرَّافِضَة، الذين مالؤوا التّتار وصانعوهم على أموال المسلمين وقتل العامة[١].

خلاصة الحكم في الروافض

إذن، وبعد هذا الاستعراض التّاريخي المجمل، والمجمل جدًّا، لجرائم وخيانات الرَّافِضَة؛ نستطيع أن نخلص إلى عدّة أمورٍ مهمةٍ وكما يأتي:

أولًا: النّاظر والباحث في عقائد الرَّافِضَة يجد أنّهم قد أشركوا وأساؤوا إلى مقام الله تعالى الواحد الأحد؛ ومن ذلك وصفهم الله تعالى بصفات الحوادث والنّقص؛ كحلوله تعالى -حاشاه- ببعض أجساد الأئمة ورجالاتهم، والذين عبدوهم من دون الله. وكذا شركوا الإله الواحد بالعبادة المستحقّة لله تعالى وحده غيره؛ من نذرٍ ودعاءٍ وتقربٍ بالعبادة للأئمة الذين اعتبروهم مقدّسين ومعصومين، ولم يقف الأمر إلى هذا الحدّ؛ بل نسبوا الصّفات الَّتي يتّصف بها الله تعالى؛ كالرزق والعلم بالغيب ونحو ذلك لهؤلاء الأئمة، فلم يكتفوا بالإساءة لمقام الله تعالى بالربوبية والألوهية فحسب؛ بل تعدّى ذلك نسبتهم النّقيصة لأنبياء الله تعالى، وخاصّةً حينما جعلوهم في مقام التّفضيل والمقارنة لأئمتهم المعصومين؛ فنسبوا أوصافًا ومناقب لأئمتهم تفوق مناقب ومزايا هؤلاء الأنبياء والمرسلين، حتّى أنّهم ادّعوا أنّ هؤلاء المرسلين كانوا مما بعثوا به: عقيدة الولاية للأئمة الذين يزعمون أنّهم معصومون، ومع غيابات هذه الظّلمات أضافوا لمعتقداتهم الرذيلة قولهم بتحريف القرآن، سواءً أكان باللفظ أم بالمعنى والشّرح، وهم على هذا لم يجعلوا المرجعية الحقّة للكتاب والسنّة؛ لأنّهم طعنوا بالكتاب على أساس أنّهم لم يجدوا فيه نصًّا صريحًا لعقائدهم، فلم يكتفوا بما هو موجودٌ منه اليوم، وكذا طعنوا بالسنّة النّبوية من خلال طعنهم بأئمة أهل السنّة من روايات الحديث، أو أخذهم مروياتٍ وضعوها كذبًا

---

[١] انظر البداية والنهاية، ابن كثير، (ج١٧/ص٣٩٦-٣٩٩، ٤٠٢، ٤٥٨). السلوك لمعرفة الملوك، المقريزي، (ج١/ص٥٠٩).

على أئمة أهل البيت، برواةٍ زنادقةٍ أصحاب عقائد منحرفةٍ وباطلةٍ، لا تؤهّلهم لقبول رواياتهم ناهيك عن ضعفهم وجهالتهم[١].

ثانيًا: إنّ الرَّافِضَة مدّعي محبة آل البيت ونصرة عترته والمتباكين على الحسين نياحةً ولطمًا، والذين يتّهمون أهل السنّة بأنّهم نواصبُ ناصبوا أهل البيت العداء: هم من قام بقتل الحسين من بعد أن كادوا يقتلون الحسن ويسلّمونه لمعاوية -رضي الله عنهما-، وذلك ثابتٌ في أصول مراجعهم وأمهات كتبهم؛ فقد جاء في كتاب (الإرشاد للمفيد) قول الإمام الحسين -عليه السلام- في دعائه على شيعته الذي ذكرناه آنفًا، وجاء في كتاب الاحتجاج: (لكنّكم أسرعتم إلى بيعتنا كطيرة الدّبا، وتهافتّم كتهافت الفراش، ثم نقضتموها، سفهًا وبعدًا وسحقًا لطواغيت هذه الأمة، وبقية الأحزاب، ونبذة الكتاب، [...] ثمَّ أنتم هؤلاء تتخاذلون عنَّا، وتقتلوننا، ألا لعنة الله على الظّالمين)[٢]، ويعلّق السيد حسينٌ الموسوي بعد هاتين الروايتين بقوله: (وهذه النّصوص تبين لنا من هم قتلة الحسين الحقيقيون؛ إنّهم شيعة أهل الكوفة؛ أي: أجدادنا، فلماذا نحمّل أهل السُنَّة مسؤولية مقتل الحسين؟!)[٣]، ويقول السيد محسن الأمين في كتاب (أعيان الشّيعة): (بايع الحسين من أهل العراق عشرون ألفًا، غدروا به، وخرجوا عليه، وبيعته في أعناقهم، وقتلوه)[٤]، وجاء في كتاب (الاحتجاج): قال الإمام زين العابدين عليه السلام لأهل الكوفة: (هل تعلمون أنّكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه، وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق ثم قاتلتموه وخذلتموه؟! بأي عينٍ تنظرون إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله، وهو يقول لكم: قاتلتم عترتي، وانتهكتم حرمتي، فلستم من أُمَّتي؟)[٥]، وقال أيضًا عنهم: (إنَّ هؤلاء يبكون علينا فمن قتلنا غيرهم؟!)[٦]، وجاء في كتاب (الاحتجاج) أيضًا عن فاطمة الصّغرى -عليها السلام- في خطبةٍ لها في أهل الكوفة: (يا أهل الكوفة، يا أهل الغدر والمكر والخيلاء؛ إنَّا أهل البيت ابتلانا الله بكم، وابتلاكم بنا، فجعل بلاءنا حسنًا؛ فكفّرتمونا وكذّبتمونا،

---

[١] انظر: منهاج السنة النبوية، ابن تيمية. وأصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ناصر القفاري.
[٢] الاحتجاج، الرافضي الطبرسي، (ج١/ص٢١).
[٣] لله ثم للتاريخ، (ص١٥).
[٤] (ج١/ص٢٦).
[٥] الاحتجاج، الرافضي الطبرسي، (ج٢/ص٢٤-٢٥).
[٦] المرجع السابق، (ج٢/ص٢٥).

ورأيتم قتالنا حلالًا وأموالنا نهبًا، كما قتلتم جدّنا بالأمس، وسيوفكم تقطر من دمائنا أهل البيت. تبًّا لكم! فانتظروا اللعنة والعذاب فكأن قد حلّ بكم، ويذيق بعضكم بأس بعضٍ، وتخلدون في العذاب الأليم يوم القيامة بما ظلمتمونا، ألا لعنة الله على الظّالمين، تبًّا لكم يا أهل الكوفة! كم قرأتم لرسول الله صلَّى الله عليه وآله قبلكم، ثم غدرتم بأخيه علي بن أبي طالب وجدّي، وبنيه وعترته الطّيبين).

فردّ عليها أحد أهل الكوفة مفتخرًا؛ فقال:

نَحنُ قَتَلنَا عَلِيًّا وَابنَ عَلِيٍّ *** بِسُيُوفٍ هِندِيَّةٍ وَرِمَاحِ
وَسَبينَا نِسَاءَهُم سَبي تُركٍ *** وَنَطَحنَاهُمُ فَأَيُّ نِطَاحِ[1]!

ثالثًا: ينبغي على المسلم الامتثال لأمر الله تعالى، الأمر بالتّفكّر والاتّعاظ بأحوال الأمم والعصور السالفة، فنأخذ منها الدّروس والعبر، {أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ} [التوبة: ١٢٦]، وورد في الأثر: "لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ"[2]، وقد مرت بنا نتائج وأضرار هذا التّقريب مع الرَّافِضَة؛ حيث تجلّت لنا خيانتهم لله ولرسوله وللمؤمنين، فوالوا الكفّار وأعداء الدّين، وطغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد، فأوجبت موالاتهم هذه ردّتهم عن الدّين ومروقهم عن أمر رب العالمين، وناهيك بفساد طعنهم بأمهات المؤمنين، وبخاصّةٍ من برأها وزكّاها الله تبرئةً قطعيةً في كتابه العزيز.

ولِمَا تقدّم أقول منبهًا: إنّه كلّما تواجه المسلمون ضدّ الكفّار من اليهود والنّصارى، وفي كلّ حربٍ على مر التّاريخ (وحتّى في عصرنا الحاضر)؛ نجد الرَّافِضَة يتسلّلون لواذًا إلى معسكر الكفر، ويمدّونهم بجميع أنواع الإمدادات المتوفّرة إليهم عسكريًّا ومعلوماتيًّا، ويفضلون الموت أو انتصار الكفر على أن ينتصر المسلمون وتكون لهم اليد العليا، وهم لا يقاتلون أعداء الإسلام من الكفّار الأصليين، وأنّه حتّى في الحالات الّتي كانوا يظهرون أنهم يقاتلونهم، إما أن يكونوا تحت قيادةٍ سنّيةٍ

---

[1] المرجع السابق، (ج٢/ص٢٤-٢٥).
[2] رواه البخاري ومسلم وأبو داود وابن ماجه واللفظ له.

هي الَّتي تحركهم، ومن باب التّقية يتحركون، وذلك في حالاتٍ نادرةٍ، أو في حالة غدرٍ واستهتار الكفّار بهم، وبأراضيهم ومصالحهم؛ كما حصل مع الوزير الأفضل حين استنجد بالدّماشقة السنّيين لما رأى استهتار الصّليبيين به وبمصالحه، بعد أن قدّم لهم كلّ التّنازلات الممكنة، وطلب من عسكره فيما بعد الانضواء تحت قيادة طغتكين أتابك[1]، وكما حصل مع الخليفة العبيدي (العاضد)، لما رأى اجتياح الفرنج لبلاده وخشي على قصره ونسائه، فأرسل إلى نور الدّين يستنجد به ويستغيث، لدرجة أنّه أرسل شعور نسائه قائلًا: (هَذِه شُعُور نسَائِي من قصري يستغثن بك لتُنقذهن من الفرنج)[2].

رابعًا: إنّه لا يمكن أن يكون للمسلمين نصرٌ ولا غلبةٌ على المحاربين الكفّار من اليهود والنّصارى إلا بعد القضاء على من دونهم من العملاء المرتدّين، وعلى رأسهم الرَّافِضَة، تمامًا كما رصد لنا التّاريخ كيف أنّ بيت المقدس الذي سقط بيد الصّليبيين بمعاونة الرَّافِضَة العبيديين: لم يُستعَد إلا على يد صلاح الدّين، مع أنّ نور الدّين محمودًا كان أشدّ على الصّليبيين من صلاح الدّين، ولكن قدر الله تعالى أن يكون النّصر وتحرير بيت المقدس على يد صلاح الدّين، ولكن متى؟ بعد أن حارب الرَّافِضَة العبيديين لعدّة سنواتٍ، وقضى على دولتهم تمامًا وأسقطها، ثم بعد ذلك تفرغ للصّليبيين حتّى تم له النّصر عليهم، واستعاد بيت المقدس الذي ظلّ سنواتٍ تحت قبضتهم بسبب أهل الخيانة الروافض.

فهذا درسٌ مهمٌ جدًّا يقدّمه لنا التّاريخ لا يجب التّغافل عنه أبدًا: لن يكون لنا نصرٌ قطّ على الكفّار الأصليين إلا بعد قتال الكفّار المرتدّين مع الكفّار الأصليين، وما الفتوحات الإسلامية الَّتي تمت في عهد الراشدين إلا بعد تطهير جزيرة العرب من المرتدّين، ولذلك أبغض ما يبغضه الرَّافِضَة هو صلاح الدّين، فهم يطيقون الموت ولا يطيقونه!

---

[1] انظر: اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، (ج٣/ص٣٥).
[2] الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة المقدسي، (ج٢/ص٤٨-٤٩).

خامسًا: معلومٌ لذوي الفطرة السليمة أنّ أساس النّجاة للنّاس في الآخرة متعلّقٌ بعقيدةٍ صحيحةٍ سليمةٍ من الشّرك والبدع، فكيف يمكن التّقريب بين عقيدة الحقّ وعقيدة الرَّافِضَة الَّتي ذكرناها آنفًا؟! فبالله عليكم كيف يُتَقرّب منهم عمليًّا بعقيدةٍ لو أخذنا ببعض ما امتازت به ضلالاتهم وكفرياتهم لكنّا في الهلاك والخسران الدّيني؟! فالدّين جاء لنجاة العباد بما أراد رب العباد، فكيف تحصل النّجاة الأخروية بدون مقدّماتٍ مبنيةٍ على عقيدةٍ صحيحةٍ سليمةٍ؟!

فكما يقال: صحّة المقدّمات تستلزم صحّة نتائجها، وفسادها يؤدّي لفساد نتائجها، ولو ادّعى مدّعٍ أنّهم موافقون لنا في أصل الاعتقاد المنجّي من عذاب الله، فهذا عندهم حينئذٍ: إما من باب عقيدة التّقية الَّتي يدينون بها حال استضعافهم مع أهل السنّة، أو يكونون بهذا الاتّفاق العقدي معنا على مذهب الحقّ والصّراط المستقيم، فيخرجون حينئذٍ من وصف الرَّافِضَة وضلالاتهم، وعلى هذا فلا يسمى مثل هذا تقاربًا، بل ترجيعًا وعودةً وإنابةً منهم للحقّ المبين.

زيف التقارب مع الرافضة

ولما تقدّم أقول:

إنّه لا يمكن أن يكون هناك أدنى تقاربٍ عقديٍ وفكريٍ بين أهل السنّة وبين الروافض، وقد رأينا نتيجة التّقارب مع الرَّافِضَة عبر التّاريخ من خلال تقريب الخلفاء العباسيين لِلرَّافِضَةِ وجعلهم لهم وزراء وقادةً، كابن العلقمي ونصير الدّين الطّوسي، ومن خلال مصاهرتهم كما ذكرنا مع مراجل أم المأمون، فما كان من هذا التّقارب إلا أن عاد بالهلكة للأمة، وكان سبب سقوط دولةٍ إسلاميةٍ، وقيام دويلاتٍ رافضيةٍ على أشلائها، كما تسبب هذا التّقارب في إفساد العقيدة؛ بإلزام النّاس بالقول بمحدثات الأمور وبدعها، وبثّ الشّبه بين المسلمين، حتّى زعزعت عقائدهم وشابها كثيرٌ من الانحرافات؛ كما هو القول بخلق القرآن، وغير ذلك من الأفكار والعقائد الَّتي اكتسبها أبناء الخلفاء العباسيين من أمهاتهم الفارسيات.

وما أجدر بنا في هذا المقام أن نذكر أقوال كثيرٍ من العلماء والمثقّفين الذين كانوا يدعون جهلًا بالواقع القريب والبعيد إلى التّقارب مع الرَّافِضَة، ثم لما تبين لهم الحقّ عادوا إليه كرسالة وعظٍ وتذكيرٍ

وتنبيهٍ لدعاة التّقارب اليوم الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون؛ قال د. مصطفى السباعي في كتابه (السنّة ومكانتها في التّشريع الإسلامي): (فتحت دارًا للتّقريب بين السنّة والشّيعة بالقاهرة منذ أربعة عقودٍ، لكنّهم رفضوا أن تفتح دورٌ مماثلةٌ في مراكزهم العلمية كالنّجف وقم وغيرها؛ لأنّهم إنّما يريدون تقريبنا إلى دينهم)[1]! ويقول د. علي أحمد السالوس أستاذ الفقه وأصوله: (بدأت دراستي بالدّعوة إلى التّقريب بين السنّة والشّيعة بتوجيهٍ من أستاذي الجليل الشّيخ محمد المدني، على أنّ التّشيع مذهبٌ خامسٌ بعد أربعة أهل السنّة، غير أنّني بعدما بدأت البحث واطّلعت على مراجعهم الأصلية: وجدتُ الأمر يختلف تمامًا عما سمعت؛ فدراستي إذن بدأت بتوجيهٍ من الشّيخ المدني من أجل التّقريب، ولكنّ الدّراسة العلمية لها طابعها الذي لا يخضع للأهواء والرغبات)[2].

فإذن، بعد معرفة حكم الله فيهم، ومعرفة أنّ دين الرَّافِضَة لا يلتقي مع دين الإسلام لا بفرعٍ ولا بأصلٍ، وأنّه أنشئ أساسًا وأقيم لهدم الدّين؛ نقول: إنّه لا يدافع عن هؤلاء القوم وينادي ببراءتهم، ويدعو جهارًا نهارًا للتّقارب معهم ويستجدي وصالهم، ويعتذر لهم، ويبرر جرائمهم: إلا من هو جاهلٌ غافلٌ لا يعلم ما يقول، أو هو أجرم وأظلم وأخون للأمة منهم، وحكمه حكمهم، بل إنّه يصدق فيه قول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} [البقرة: ١٥٩].

وبعد ما تقدّم؛ نقول: إنّ دعاة التّقريب بين السنة والشّيعة هم أحد رجلين:

١- رجلٌ علم الحقّ؛ فخان دينه وأمته، وباعها بعرضٍ من الدّنيا يسير.

٢- وآخر جهل هؤلاء؛ فهو جاهلٌ يُعلَّم.

فكيف يا من تدعون إلى التّقريب بين السنة والرَّافِضَة، وهم على ما هو عليه من الشّرك الصّراح، والكفر البواح والطّعن في عرض نبينا ﷺ، وسب الصّحابة الكرام الذين مات عنهم النّبي ﷺ وهو

[1] لم يذكره السباعي بهذا النص، وتناقله عددٌ من الناس. انظر: في نفس الكتاب (ص٢٢-٢٣)، كلام مشابه لما ذكر.

[2] مذكور باختصار، انظر: مع الاثني عشرية في الأصول والفروع، علي السالوس (ص٩-١٠).

راضٍ عنهم؟! فوالله لو أنّ أهل أحد من هؤلاء طُعن في عرضه، ورُمي في زوجته؛ لأقام الدّنيا وأقعدها، ولما استطاع أن ينظر في وجه من رماه! فما باله يرضى ذلك على عرض نبيّه ﷺ؟!

اللهم إنّا نشهدك أنّ عرض نبيك ﷺ أحب إلينا من أعراضنا، ونشهدك أنّ شعرةً في رأس عائشة -رضي الله عنها- أحب إلينا من أنفسنا وأهلينا والنّاس أجمعين.

ولا يفوتنا القول: إنّه كلّما أطلق الرَّافِضَة شعارات العداء، وعبارات الموت والهلاك من الكفّار واليهود والنّصارى وغيرهم: كلّما عرفنا أنّ ذلك إنّما هو من باب التّقيّة الَّتي يدينون بها ويعتبرونها ركنًا ركينًا في دينهم، وبقدر ما تكون الشّعارات مدويةً أكثر: بقدر ما يكون كذبهم وادّعاؤهم في هذه الشّعارات، وأقرب مثالٍ لذلك في الوقت الحالي: ما يقوم به الرئيس الإيراني الجديد أحمدي نجاد؛ حين ملأ الدّنيا بصياحه بضرورة محو إسرائيل من الخارطة، إي والله، من الخارطة فقط!

سادسًا: إنّ دين الرَّافِضَة يقوم على هدم الضروريات -كلّ الضروريات- الَّتي جاء الدّين الإسلامي -بل وكلّ الأديان- بحفظها والمحافظة عليها؛ فهم يهدمون الدّين بتحريفه، والقول بالزيادة في القرآن ونقصه، ورفضهم للأحاديث الصّحيحة، وتكذيبهم وتشنيعهم على الصّحابة، وبثّهم للشبّه للتّشكيك في دين الله الحقّ، وإظهارهم للبدع الباطلة، والإلحاد في دين الله والزندقة، ويهدمون النّفس والمال باستحلال دماء أهل السنة وأموالهم بغير حقّ، ويهدمون النّسب وكلّ خلقٍ وأدبٍ سليم بقولهم بجواز المتعة وإتيان الدّبر وإعارة الفروج ونكاح الذّكران والعياذ بالله! ويهدمون العقل حين يجيزون استخدام الحشائش والمخدّرات؛ من أجل استخدامها للتّأثير بها على أتباعهم من الفدائيّة قديمًا، وعوامهم أصحاب اللطم حديثًا، وحين يضحك آياتهم على عقول العوام والجهّال بدعوى انتسابهم لآل البيت، ومن ثم ادّعاء العصمة، ومن ثم يبثّون فيهم ضلالاتهم المغرضة وفق مصالحهم وأهوائهم الشّخصية!

سابعًا: إنّه لا فرق عندنا بين رافضة إيران الصّفوية، وبين غيرهم من رافضة العرب؛ كرافضة العراق ولبنان والشّام؛ فدين الرَّافِضَة واحدٌ وأصولهم وإن تفرعت واحدة، ومركزهم ومرجعياتهم واحدة، وعداؤهم لأهل السنة هو نفس العداء.

ثامنًا: إنّ أصول الرَّافِضَة وأصول اليهود واحدة[1]؛ ولذلك فإنّ تعاليم الرَّافِضَة تشابه كثيرًا من تعاليم اليهود، واجتماعاتهم ومؤتمراتهم السرية، واستخدامهم للتّقية الّتي يظهرون بها ما لا يبطنون للمسلمين، كلّ ذلك يتعاطاه إخوانهم اليهود، وإنّ المطّلع على ما جاء في بروتوكولات اليهود[2] وتعاليم التّلمود نحو الأممين غير اليهود: يجده متطابقًا تمامًا مع فتاوى آيات وأسياد الرَّافِضَة نحو المسلمين خاصّة.

ومن ذلك: فإنّ تعاليم اليهود تحرم على اليهودي أن يتعامل بالربا والغشّ مع اليهودي، وتوجبه مع غير اليهودي! وكذلك في دين الرَّافِضَة؛ يحرمون التّعامل بالربا والغشّ فيما بينهم، ويعتبرون أموالهم بينهم حرام، ويحلّون ويوجبون استحلال أموال أهل السنّة!

ومن تعاليم اليهود أنّه يحرم على اليهودي أن يساعد أو ينقذ غير اليهودي إن رآه في حالة غرقٍ أو موشكًا على السقوط؛ بل يجب هدم الحائط عليه إن استطاع! وكذلك الرَّافِضَة يفتون لعوامهم مثل ذلك؛ ومن ذلك ما جاء في كتاب (الأنوار النّعمانية) لعالمهم المعروف بـ(نعمة الله الجزائري)، وكتاب (النّصب والنّواصب) لمحسن المعلم ما نصّه: (وفي الروايات أنّ علي بن يقطين -وهو وزير الرشيد- قد اجتمع في حبسه جماعةٌ من المخالفين، وكان من خواص الشّيعة، فأمر غلمانه وهدّوا سقف الحبس على المحبوسين؛ فماتوا كلّهم وكانوا خمسمائة رجلٍ تقريبًا، فأرادوا الخلاص من تبعات دمائهم؛ فأرسل إلى الإمام مولانا الكاظم، فكتب عليه السلام إلى جواب كتابه: بأنّك لو كنت تقدّمت إلي قبل مقتلهم لما كان عليك شيءٌ من دمائهم، وحيث إنّك لم تتقدّم إلي فكفّر عن كلّ رجلٍ قتلته منهم بتيسٍ، والتّيس خيرٌ منه)[3]! وهذا الأمر يطبّق حتّى في أيامنا هذه؛ فهناك طبيبٌ من تلعفر يدعى: (عباس قلندر)، تابع للمجلس الأعلى للثّورة الرافضية الذي يتزعّمه عبد العزيز الحكيم، وكان هذا الطّبيب مرشّحًا لأن يكون قائم مقام تلعفر: كان قد أعطى علاجًا لطفلٍ، وهذا العلاج كان يضاعف من الآثار الجانبية للمرض متعمدًا؛ ذلك لسببٍ بسيطٍ هو أنّ الطّفل اسمه: (عمر)!

---

[1] انظر: منهاج السنة، ابن تيمية، (ج١/ص٢١).

[2] تعليق: بروتوكولات حكماء بني صهيون مزورة على اليهود من قبل الروس، ثم نشرها هتلر ثم انتقلت إلى اليمين الأمريكي والإسلاميين.

[3] الأنوار النّعمانية، (ج٢/ص٢١٢)، النصب والنواصب، (ص٦٢٢).

وكان هناك طبيبٌ آخر في بعقوبة، مركز محافظة ديالى، يرفض أن يعالج أي مريضٍ اسمه (عمر)، أو أيّة مريضةٍ اسمها (عائشة)! وقد قام المجاهدون بفضل الله بمحاولة اغتيال هذا الرافضي الخبيث، فأطلقوا عليه النّار داخل عيادته، فأصيب إصابةً بالغةً في رقبته، واستطاع بعدها الفرار إلى إيران.

تاسعًا: إنّه لا بدّ من التّنبيه على أنّ الجرائم السياسية في مجال الغدر والاغتيالات عند الرَّافِضَة ليست جرائم فرديةً ولا عشوائية، وإنّما هي جرائم معدّةٌ من قبل علمائهم ورموزهم ورؤسائهم، وتقوم على أساسٍ عقدي سياسي، وهي مرتّبة ترتيبًا عسكريًّا منظّمًا، وأفراده يعتبرون من أهم فصائل وأجنحة الرَّافِضَة، كيف لا؟ ودولتهم وحكمهم ودعوتهم لا تقوم إلا على عاتقهم؛ ولذلك فإنّ أفراد هذه الفرق -فرق الاغتيالات- منتقون بعنايةٍ فائقة، وينفق على إعدادهم المبالغ الطّائلة، وهم حريصون على أن تكون ثقافتهم عالية، وأن تكون لديهم معرفةٌ بلغاتٍ متعدّدة، ولهم مخصّصاتٌ ورواتبُ عالية، بالإضافة إلى التّأثيرات الدّينية والإيحاءات النّفسية الدّافعة لتثبيتهم على ما يقومون به من جرائم، حتّى يعمد إلى تخديرهم من خلال إسقائهم الحشيش الأفيون (كما كانت قديمًا جماعة الفدائيّين عند القرامطة الإسماعيلية)، وحديثًا يمثّل هذه الفرق فروع متعدّدةٌ تنتمي جميعها من حيث استقاؤها وتلقّيها للمهمات السرية الخطيرة لمركزٍ واحد؛ ألا وهو مركز الإمام أو نوّابه، كلّ في قطره مباشرة، ومن ذلك أفراد الحرس الثّوري الإيراني، وقوّات التّعبئة العامة بالباسيج، والحركات المسلّحة؛ كحركة أمل، وفرق الاغتيالات في حزب الله، وغيره، وحتّى إن كانت هناك جرائم اغتيالاتٍ ونهبٍ فردية؛ فذلك أيضًا يرجع إلى فتاوى علمائهم وتحريضهم على قتل أهل السنة واعتبارهم مستباحي الدّم والمال، فقد جاء في كتابي (وسائل الشّيعة)، و(بحار الأنوار): (عن داوود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في قتل النّاصب؟ فقال: حلال الدّم، ولكن اتّقِ عليك، فإن قدّرت أن تُقلَّبَ عليه حائط أو تغرقه في ماءٍ لكيلا يشهد به عليك فافعل)[١]، وعلّق الإمام الخميني على هذا بقوله: فإن استطعت أن تأخذ ماله فخذه وابعث إلينا بالخمس)! يقول صاحب كتاب لله ثمّ للتاريخ: (لما انتهى حكم آل بهلوي في إيران على أثر قيام الثّورة الإسلامية، وتسلّم الإمام الخميني زمام الأمور فيها: توجّب على علماء الشّيعة زيارة وتهنئة الإمام بهذا النّصر العظيم؛ لقيام أوّل دولةٍ

[١] وسائل الشيعة، الرافضي، الحر العاملي، (ج٢٨/ص٢١٧). بحار الأنوار، الرافضي المجلسي، (ج٢٧/ص٢٣١).

شيعيةٍ في العصر الحديث يحكمها الفقهاء، وكان واجب التّهنئة يقع على شخصيًّا أكثر من غيري لعلاقتي الوثيقة بالإمام الخميني، فزرت إيران بعد شهرٍ ونصف -وربما أكثر- من دخول الإمام طهران إثر عودته من منفاه باريس، فرحّب بي كثيرًا، وكانت زيارتي منفردةً عن زيارة وفد علماء الشّيعة في العراق، وفي جلسةٍ خاصّةٍ مع الإمام قال لي: سيد حسين؛ آن الأوان لتنفيذ وصايا الأئمة صلوات الله عليهم؛ سنسفك دماء النّواصب، نقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم، ولن نترك أحدًا منهم يفلت من العقاب، وستكون أموالهم خالصةً لشيعة أهل البيت، وسنمحو مكّة والمدينة من وجه الأرض؛ لأنّ هاتين المدينتين صارتا معقل الوهّابيين، ولا بدّ أن تكون كربلاء أرض الله المباركة المقدّسة قبلةً للنّاس في الصّلاة، وسنحقّق بذلك حلم الأئمة عليهم السلام، لقد قامت دولتنا الّتي جاهدنا سنواتٍ طويلة من أجل إقامتها، وما بقي إلا التّنفيذ!)[١].

وإذا ربطنا هذه المقولة بواقع الرَّافِضَة اليوم في العراق؛ نجد أنّ فيلق الغدر وجيش المهدي المزعوم وغيرهما قد قام بهذه المهمة خير قيام؛ فهو يداهم بيوت أهل السنّة بحجّة البحث عن المجاهدين، وحتى لو لم يجدوهم: فإنّهم يقومون بقتل الرجال، واقتياد النّساء، وسجنهم، واستباحة أعراضهم، ونهب كل ما يمكن أن ينتهب من بيوت أهل السنّة، فأصبحت هناك العديد من الجرائم والانتهاكات والمآسي، الّتي قامت بها هذه العصابات والمليشيات الرافضية بمفردها أو بمساعدة القوّات الأمريكية المحتلّة وبتحريض منها، والّتي تدلّ على بشاعة ما حدث خلال هذه السنوات العجاف، فقُتل المئات من حملة الشّهادات العليا والخبرات العلمية والأكاديمية: في علوم الشّريعة، والطب والهندسة؛ ناهيك عن المئات من القتلى من أئمة المساجد والخطباء، والعاملين في المساجد من منتسبي ديوان الوقف السني، ومئات المعتقلين من أئمة المساجد والخطباء وأهل المساجد، ومئات من المساجد الّتي تم مداهمتها وإهانتها، وعشرات المساجد الّتي دمرت أو تضررت ضررًا كبيرًا، أو الّتي استُولي عليها وحُوّلت إلى حسينياتٍ أو أماكن للتعذيب، وخاصّةً في المحافظات الوسطى والجنوبية.

---

[١] (ص٩١-٩٢).

ولم يقف بغيهم وجورهم على الرجال، بل طال اعتقال النّساء واغتصابهنّ، وقتل الحوامل منهنّ، وكذلك قتل الأطفال حتّى الرضع منهم، ولا من نصير من المسلمين إلا من رحم الله، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

عاشرًا: لقد ثارت أمة الإسلام على ما رسمه أحد الصّليبيين من الدّنمرك مستهزئًا برسول الله ﷺ، وهو ما يدلّ على غيرتها على رسولها عليه الصّلاة والسلام، فكيف لا تثور غيرة علماء الإسلام ودعاته على شرف ومقام النبي ﷺ الذي ينتقصه هؤلاء الرَّافِضَة اللّئام، الّذين يتسترّون بثوب حب أهل البيت وهم منهم براءٌ؛ بالطّعن بأزواج النّبي وأصحابه، وحملة دينه إلى النّاس أجمعين؟! فوالله من يتقرب إلى هؤلاء الرَّافِضَة المبتدعة المفسدين بعد علمه بذلك؛ ما هو إلا رجلٌ قد قسَا قلبه، وأظلم وجهه، وجمدت عينه.

الحادي عشر: إنّ الرَّافِضَة هم أوّل من تبنّى وأسس المنهج التّكفيري الضال المنحرف؛ حيث كفّروا ابتداءً جلّ صحابة النّبي ﷺ ممن نقلوا لنا الدّين، وفتح الله بهم الإسلام إلى أرجاء المعمورة، ولم يكن خطر تكفيرهم محصورًا في الجانب النّظري فحسب، بل تعدّى ذلك إلى الجانب العملي؛ فهم أوّل من سنّ السنّة السيئة بقتل أئمة وخلفاء المسلمين؛ كما فعلوا مع سيدنا عمر الفاروق – رضي الله تعالى عنه– وغيره، وتتمادى عجلة عقيدة التّكفير عندهم إلى تكفير أهل السنّة كافّةً، ممن يسمونهم أبناء العامة النّواصب بحجّة إنكار أهل السنّة لأصلٍ أصيلٍ عندهم من أصول دينهم؛ ألا وهو أصل الإمامة والعصمة، والذي جعلوه من أهم مرتكزات وأصول عقائدهم الفاسدة، ومما يجسد هذا المعنى: واقعهم العملي على مر الأزمنة؛ فنراهم حيث تمكّنوا وتهيأ لهم ظرف الغدر والخيانة والعمالة، سعوا لتطبيق هذا المنهج التّكفيري المنحرف، واليوم استباحوا بما يغني به لسان الحال عن لسان المقال دماء وأعراض وأموال أهل السنّة؛ حيث اتّخذوا ذريعة ضرب بعض المراقد الشّركية، بنسبة ذلك لأهل السنّة على زعمهم، علمًا أنّ خطوطهم الحمراء قد تجاوزها ساداتهم الأمريكان بفراسيخ وأميالٍ عديدةٍ، ولم تحرك مراجعهم الهاربة خارج البلاد حينئذٍ –ناهيك عن عوامهم– ساكنًا كما فعلت اليوم مع أهل السنّة، بل وقابل وكافأ جيش مهديهم قوّات الاحتلال الّتي ضربت المرقد المزعوم للإمام علي –رضي الله عنه– بتسليم أسلحتهم بذلّةٍ وصغارٍ لمن قتلهم وأذلّ مقدّساتهم!

فكانت مسرحية ضرب مرقدي الهادي والعسكري المزعومين ذريعةً واهيةً زائفةً، كشفت عن قناع حقدهم الدّفين على جميع أهل السنّة دون أن تميز بين جماعةٍ منهم أو أخرى.

ومما يثير العجب: أنّ هذه الأفعال الوحشية منهم لم تنل أعداء الإسلام من اليهود والنّصارى في جميع أنحاء العالم كما نراه اليوم، بل على العكس: كانوا لهم خير عونٍ ونصير على مر العصور وكر الدّهور على الإسلام وأهله، وبهذا تتجلّى للناس كافة أنّ ثورتهم الغوغائية هذه بسبب مراقدهم الشّركية، والَّتي افتعلت أزمتها من سادتهم المجوس: لهي خير دليل على تعظيمهم بل وتقديمهم حرمات أئمتهم المعصومين على حرمات الله ورسوله والمسلمين حينما تنتهك من قبل أعداء الدّين في شتّى بقاع الأرض؛ فمثلًا: لم تثر ثائرتهم كما نراه من أفعالهم اليوم على من نشر الصّور المسيئة للرسول ﷺ، وعلى المحتلين الذين أساؤوا لعقيدة الإسلام وأهله؛ مما يدلّنا على تفضيلهم أئمتهم على مقام الله ورسوله الكريم.

فيا أهل السنّة؛ أفيقوا وانتهضوا، واستعدّوا للفظ وبتر سموم أفاعي الرَّافِضَة، الَّتي كانت تلدغ بكم وتسومكم سوء العذاب منذ احتلال العراق، وإلى يومنا هذا، وكفاكم من دعاوى ترك الطّائفية والوحدة الوطنية، والَّتي أصبحت تستخدم سلاحًا لترويضكم وتثبيطكم واستسلامكم، وتطبيعكم على الجبن حين تتعرضون لكيد ولؤم هؤلاء، الذين كانوا من أبرز من والى وساند المحتل، وسعى في تخريب ونهب خيرات البلاد، ولم يكتفوا بهذا؛ بل واستمروا بتنفيذ مخطّطاتهم وسمومهم عليكم بزي الحرس والشّرطة، فأوقعوا ما أوقعوا من جرائم وفتنٍ بين صفوفكم من قتلٍ ونهبٍ واعتقالٍ لرجالٍ وأطفالٍ ونساءٍ؛ سواءٌ أكان بمساندتهم لقوّات الاحتلال أو بمناصبهم الرسمية، والَّتي اتّخذوها غطاءً يسومونكم به سوء العذاب، فيذبحون به أبناءكم، ويستحيون نساءكم، ونراهم عقدوا الخطط المشتركة الخبيثة، وتقاسموا أدوارها؛ فالسيستاني الإيراني واعظ المحتل إمامٌ للكفر والزندقة يشرعن الفتاوى ذات البلاوى على أهل السنّة، وبما يخدم مصالح المحتلين، والحكيم والجعفري ومن والاهم من ذئابهم يتستّرون بجلود الخراف؛ بلبس ثوب العملية السياسية المزعومة ظاهرًا، وهي في الحقيقة والواقع لتثبيت وتوسيع الرقعة الجغرافية للحكم الفارسي الإيراني الرافضي.

وأما فيما وراء الكواليس؛ فيمارسون حملة الإبادة الجماعية المنظّمة الشّرسة منذ أكثر من ثلاث سنواتٍ على مختلف طبقات المجتمع، وبخاصّةٍ الفئة البنّاءة السنّية في المجتمع؛ من خلال الاغتيالات والاعتقالات في غيابات سجون الدّاخلية، وبعض حسينياتهم الّتي يسومون أهل السنّة فيها سوء العذاب.

أما جيش المهدي المزعوم عندهم؛ فقد كان تشكيله معقودًا أساسًا على حماية عقيدتهم الرافضية، ومحاربة أهل السنّة، وأرادوا من تهيئته: جعله ورقةً بديلةً يقامرون بها لتمكين العقيدة الرافضية فيما إذا كانت كفّة المقاومة راجحة على كفّة السياسيين لاعتلاء الحكم، ومما يدلّنا على عمق وجذور حقدهم: ما ذكره مقتدى الصّدر في أوّل خطبةٍ له في الكوفة بعد دخول الصّليبيين، وتشكيل جيشهم؛ قال فيها: (إنّ هذا الجيش أنشئ لمعاقبة من تخلّف عن بيعة أمير المؤمنين علي - رضي الله عنه-!)، فتأملوا -يا إخوتي- هذا الكلام الذي صدر منه قبل أن تطلق طلقةٌ بيننا وبينهم.

وقد جاء اليوم الذي بانت فيه سوءتهم للقاصي والدّاني وظهرت حقيقتهم لكل راءٍ وسامعٍ، بما لا يجعل مجالًا للشكّ؛ لأنّ هؤلاء الحاقدين لا يرقبون في مؤمن إلًّا ولا ذمة، وما تخفي صدورهم أكبر! ففعلوا ما فعلوا من بغيٍ وظلمٍ، وقتل المشايخ والمصلّين، وأبرياء النّاس: بعملية دبرت بليلٍ بالأمس القريب، وبفترةٍ قياسية على ما يقرب من المائتي مسجدٍ؛ مما يدلّ على أنّ هذا العمل الجبان منهم كان مدبرًا مفتعلًا ومدروسًا؛ لتثبيت الدّولة السبئية؛ فقد قال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [البقرة: ١١٤].

ولم يقف الأمر عند هذا الحدّ؛ بل فعلوا فعلةً يندى لها جبين التّاريخ المعاصر بتفردهم بأفعالٍ كفريةٍ مشينةٍ فاقوا، وامتازوا بها عن الكفّار الأصليين المحاربين لهذا الدّين؛ حيث مزقوا المصاحف والآيات القرآنية، والمعالم الإسلامية في العشرات من بيوت الله، حتّى أثبتوا أنّهم أعداء الله حقًّا! قاتلهم الله أنّى يؤفكون!

فنقول له[١]: لقد تعدّيت حدودك، واجترأت على حمى أهل السنّة، ثم بعد ذلك ادّعيت زورًا وكذبًا وتدليسًا وتمويهًا بأنّك ممن أمر أتباعه بحماية مساجد أهل السنّة؛ وعليه فنحن قد قبلنا دخول المعركة معك، ومع قطيع أغنامك، ولكن بشرطين اثنين، لا بدّ أن تقوم بهما، ولا أخالك تفعل؛

الشّرط الأوّل: أن تقف أنت ومن معك وقفة رجلٍ واحدٍ، تستردون فيها أسلحتكم الّتي بعتموها للصليبيين، وأنتم أذلّة صاغرون، يوم أن فرض عليكم شروطه، وقام بإهانتكم في عقرِ داركم، ووطئت أقدام جنوده الصّحن الحيدري المزعوم.

والشّرط الثّاني: ألّا يخرج في جيشك لقتالنا إلّا من عرف والده!

{والله غالبٌ على أمره ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون}.

[١] أي: الرافضي مقتدى الصدر.



قسم
الكتابات والرسائل





فترة جماعة التوحيد والجهاد

رِسَالَةٌ إِلَى عَشَائِرِ بَنِي حَسَنٍ: يَا قَومِ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ

٢٩ صفر ١٤٢٤ هـ || ١ مايو ٢٠٠٣ م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، ونذيرًا للناس أجمعين، وعلى آله وصحبه الغرّ الميامين، الذين استجابوا لله ورسوله فأقاموا الدين، أمَّا بعد؛

فلقد كان رسول الله ﷺ رحيمًا بقومه، حريصًا على هدايتهم، لم يترك خيرًا إلا ودلهم عليه، ولا شرًّا إلا وحذرهم منه، {لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨].

حثهم على الامتثال لأوامره سبحانه وتعالى ورغبهم بما عند الله من الأجر العظيم والثواب الجزيل، وحذرهم من معصيته سبحانه ومخالفة أمره، وخوّفهم من سخطه وأليم عقابه، وبيّن لهم السبل، وجلّى لهم الطريق الموصلة إلى رضوان الله تعالى: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} [الأنعام: ١٥٣]، فسبيل الله: طريقه ودينه الذي شرعه لكم وارتضاه؛ وهو الإسلام الذي وصى به الأنبياء وأمر به الأمم.

وأمرَ الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ أن يخص قومه وعشيرته بالنذارة؛ فقال تعالى: {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]...

قالت عائشة -رضي الله عنها-: (لَمَّا نَزَلَتْ {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ} [الشعراء: ٢١٤]؛ قام رسول الله ﷺ فقال: "يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ")[1].

فإليكم يا أبناء عشيرتي، يا أهلي وقرابتي؛ أوجه نصيحتي هذه؛ علّها تكون سببًا في عودة من انحرف منكم عن الجادة والصراط المستقيم؛ فإني والله لأشفق عليكم أن تمسكم النار، أو يصيبكم الخزي والعار، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

يا قوم؛ لقد أعز الله العرب بهذا الدين، وأخرجهم به من الظلمات إلى النور، ونقلهم به من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، وسوّدهم به على بني الإنسان، وإنها والله لنعمة عظيمة أن أرسل الله نبينا محمدًا ﷺ من قلب القبائل العربية؛ ليخرجها من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ضيق الدُّنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

{لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ} [آل عمران: ١٦٤].

إِنَّ البَرِيَّةَ يَوْم مَبْعَثِ أَحْمَد *** نَظَرَ الإِلَهُ لَهَا فَبَدَّلَ حَالَهَا
بَلْ كَرَّمَ الإِنْسَانَ حِينَ اخْتَارَ مِنْ *** خَيْرِ البَرِيَّةِ نَجْمَهَا وَهِلالَهَا[2]

والحكمة من خلق الله لعباده تتجلى في قوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: ٥٦]؛ قال المفسرون: (أي ليوحدوني وحدي، أو ليوحدوني بالعبادة)[3]؛ فتوحيد الله بالعبادة إذًا هو غاية خلق الله لخلقه، والعبادة لا تقتصر على الصلاة والزكاة والصيام والحج، بل هي

---

[1] رواه مسلم.
[2] البيتان في المقامة النبوية.
[3] نقل ذلك عن مقاتل بن سليمان، والكلبي، والهذيل بن حبيب وهنالك آثار أخرى حول نفس المعنى. انظر: موسوعة التفسير المأثور (ج٢٠/ص٦١١-٦١٣).

أوسع من ذلك وأشمل؛ فالعبادة كما فسرها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظَّاهرة والباطنة[1].

ورأس العبادة (إفراد الله بالعبادة)؛ أي لا حاكم ولا مشرع ولا رازق ولا خالق إلا الله، وهو التوحيد والعروة الوثقى التي لا تنفصم.

لما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن؛ قال له: "إنَّك تَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ؛ فَلْيَكُنْ أَوَّلُ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ: شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَجَابُوك لِذَلِكَ [...] فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ....." الحديث[2].

فهذا دليل على أن توحيد الله هو الباب الذي يلج منه المرء إلى الإسلام، وهذا مصداق قوله تعالى: {لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٥٦].

فالله جل شأنه ضمن لمن تمسك بهذه العروة ألا تنفصم -ولم يضمن لمن تشبث بغيرها من العرى- النجاة، وهذه العروة الوثقى هي كلمة النجاة؛ وهي كلمة التوحيد (لا إله إلا الله).

ولها شقان؛ نفي وإثبات: فـ(لا إله) نفي الألوهية عن غير الله، و(إلا الله) إثبات الألوهية لله وحده.

ولأجل هذه الكلمة العظيمة خلق الله الخلق وبعث الرسل وأنزل الكتب، ولأجلها قام سوق الجنة والنار، ولأجلها شرعت سيوف الجهاد، وانقسم الناس إلى حزبين: حزب أولياء الرحمن، وحزب أولياء الشيطان، وفريقين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

ولأجلها سالت الدماء، وتزينت الحور في الجنان، وكانت هذه الكلمة غاية دعوة كل نبي: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ} [النحل: ٣٦].

---

[1] مجموع الفتاوى، (ج١٠/ص١٤٩).
[2] أخرجاه في الصحيحين.

والطاغوت كما يقول ابن القيم رحمه الله: (ما تجاوز به العبدُ حدَّه من معبود أو مطاع أو متبوع.. فطاغوتُ كلِّ قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة).[1]

فالطواغيت تتجاوز الحجر والشجر، والشمس والقمر: إلى طواغيت البشر؛ فمن الطواغيت ما تكون عبادته بالسجود له والتمسح به، ومنها ما تكون عبادته بطاعته واتباعه والتحاكم إليه؛ كالأحبار والرهبان والمشرّعين، الذين أفسدوا البلاد والعباد بقوانينهم الوضعية، التي تُعَدّ طاعتها ومشرّعوها عبادة تصرف لغير الله عز وجل.

كما في حديث عدي بن حاتم -رضي الله عنه- الذي ظن أن عبادة الأحبار والرهبان إنما تكون بالسجود والركوع لهم فقط؛ وذلك حينما قدم على النبي ﷺ، وسمعه يقرأ: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ} [التوبة: ٣١]؛ فقال: يا رسول الله؛ إنَّا لسنا نعبدهم، قال ﷺ: "أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟"، قال: بلى، قال: "فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ".[2]

قال ابن كثير في تفسيره: (ولهذا قال تعالى: {وَمَا أُمِرُواْ إِلاَّ لِيَعْبُدُواْ إِلَـهًا وَاحِدًا} [التوبة: ٣١]؛ أي: الَّذي إذا حرم الشيء فهو الحرام، وما حلَّله فهو الحلال، وما شرعه اتُّبع، وما حكم به نُفِّذ).[3]

والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُون} [المائدة: ٤٤]، ويقول: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠]، فليس ثم إلا حكمان؛ إما حكم الله وإما حكم الجاهلية.

وها هم حكام البلاد يحكّمون الجاهلية من جديد، في الدماء والفروج والأموال، الجاهلية بأبشع الصور وأنتنها، جاهلية تسوغ لحثالة من البشر أن تستعبد العباد وأن تنازع الله سبحانه في أخص خصوصيات ألوهيته، في الحكم والتشريع، {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ} [يوسف: ٤٠].

---

[1] أعلام الموقعين، (ج١/ص١٠٣).
[2] رواه أحمد والتِّرمِذِيُّ وحسنه.
[3] تفسير القرآن الكريم، (ج٤/ص١٣٥).

ورأس الكفر ملكٌ يوالي أعداء الله ويناصرهم من طواغيت الشرق والغرب من اليهود والنصارى، ويصالحهم على اغتصاب مقدسات المسلمين وأراضيهم، هو ومن قبله أجداده[1]، فأي ولاء لأعداء الله أكبر من مصالحة اليهود ومعاونتهم ومناصرتهم؟ والله عز وجل يقول: {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: ٥١]، ويقول تعالى: {وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ} [البقرة: ١٢٠]، ويستهزئ بدين الله عز وجل وأهله وأوليائه في إعلامه وصحفه ويرخص لذلك ويباركه! {قُلْ أَبِاللّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة: ٦٥-٦٦]، بل لا يفتأ هو وزمرته ليل نهار يشيعون الفاحشة والفجور بين المسلمين، ويسعون لقتل الغيرة فيهم، ويزينون لهم الرذيلة والفاحشة والعياذ بالله[2]، وهذا أمر واضح لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته عن نور الهدى، ويحارب أولياء الله ويطاردهم، ويزج بأبناء هذه الدعوة المباركة في السجون؛ فها هو يقصف بطائرات الأباتشي المسلمين من أهل معان، في نفس الوقت الذي كانت فيه نفس الطائرات تقتل أبناءنا وإخواننا المسلمين في جنين، وما ذلك إلا لحماية أمن إسرائيل، ولخمد كل حركة قد تقض مضاجع أحفاد القردة والخنازير؛ فالأردن هي صمام الأمان لإسرائيل وسياجها المتين، وليس أدل على ذلك من تأهب الجيش الإسرائيلي واستعداده للتدخل في تلك المعركة في حالة رجحان كفة المسلمين من أهل معان على الطاغوت وأنصاره.

ومن قبل ذلك في أفغانستان، وما أدراكم ما أفغانستان! التي تجمع فيها أهل التوحيد والإيمان؛ لنصرة هذا الدين وللجهاد في سبيل الله، تقاتِل فيها القوات الأردنية جنبًا إلى جنب مع القوات الصليبية؛ لتطفئ نور هذه الدعوة المباركة، ولتقضي على أسودها!

---

[1] تعليق الزرقاوي: [أصدرت إسرائيل ميدالية ذهبية تحمل صورة حسين والعلم الأردني وطابعًا تذكاريًا تكريمًا لذكرى حسين، وقالت الحكومة: إن هذا تكريم لذكرى حسين الذي يتسم بالإنسانية، ولأنه نموذج للجار المخلص في علاقته بجيرانه.. علمًا أن مثل هذه الميداليات لا تصدر عادة إلا لتكريم قادة إسرائيل فقط، وحسين هو الأجنبي الوحيد الذي تكرمه إسرائيل بميدالية خاصة.. وكان حسين قد قال بنفسه في لقاء مع تلفزيون إسرائيل إنه طار بنفسه وبطائرته الخاصة إلى تل أبيب قبل حرب أكتوبر بيوم واحد، وأبلغ جولدامائير بموعد الهجوم المصري السوري].

[2] تعليق الزرقاوي: [وليس أدل على ذلك من المظاهرة الحاشدة التي خرجت من قلب عمان وعلى رأسها المسمى بالأمير علي وحاشيته؛ لتقدم عريضة لرئاسة الوزراء تطالب فيها بتغيير الحكم المخفف الذي كان يصدر بحق من يقتل بدافع الشرف، وتطالب بإنزال أشد العقوبات بحقه، فوا حسرتاه يا قوم على هذه الحال التي وصلتم إليها!].

ثم ها هي العراق تحت وطأة النصارى في حربهم الصليبية الجديدة[١]، وها هو النظام الأردني العميل يثبت للقاصي والداني: أنه صليبي أكثر من الصليبيين أنفسهم؛ بدعمه لهذه الحملة وترحيبه وتصفيقه، وفتحه البلاد وتسليمها للصليبيين؛ لكي يستغلوها كيف شاؤوا في حربهم هذه[٢].

والطاغوت ليس منفردًا في جرائمه هذه، بل له شركاء وأعوان يعينونه في ظلمه وغيّه وإفساده، ويؤمّنون له الحماية ممن يريد الاقتصاص منه؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، قال العلماء الركون هو الميل اليسير، وقال ابن تيمية رحمه الله: (وكذلك الأثر المرويُّ: "إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قِيلَ: أَيْنَ الظَّلَمَةُ وَأَعْوَانُهُمْ؟ -أَوْ قَالَ: وَأَشْبَاهُهُمْ-؛ فَيُجْمَعُونَ فِي تَوَابِيتَ مِنْ نَارٍ، ثُمَّ يُقْذَفُ بِهِمْ فِي النَّارِ"[٣]، وقد قال غير واحدٍ من السّلف: أعوان الظَّلمة من أعانهم، ولو أنَّهم لاق لهم دواةً أو برى لهم قلمًا، ومنهم من كان يقول: بل من يغسل ثيابهم من أعوانهم)[٤].

وعن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال لكعب بن عجرة: "يَا كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ؛ أَعَاذَنَا اللهُ مِنْ إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ"، قالوا: يا رسول الله؛ وما إمارة السُّفهاء؟ قال: "أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بَعْدِي لَا يَهْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُمْ، وَلَا يَرِدُوا عَلَيَّ حَوْضِي، وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ، وَسَيَرِدُونَ عَلَيَّ حَوْضِي"[٥].

وقال ابن تيمية رحمه الله في قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥]: (والشَّافع الَّذي يُعين غيره، فيصير معه

---

[١] تعليق الزرقاوي: [نحن لا نقصد بحال من الأحوال النظام العراقي؛ فهو نظام مرتد خبيث، وليس بأفضل حالًا من النظام الأردني].

[٢] تعليق الزرقاوي: [وما الرويشد والأزرق والصفاوي والمفرق إلا شاهد على وجود هذه القواعد العسكرية، التي تنطلق منها الطائرات الأمريكية؛ لتصب جام حممها من أطنان المتفجرات على المسلمين من أهل العراق].

[٣] رواه ابن بشران في الأمالي (ص١٣٢)، وأحمد في الورع (ص٩٣) عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-.

[٤] مجموع الفتاوى، (ج٧/ص٦٤).

[٥] رواه ابن حبان [إسناده صحيح].

شفعًا بعد أن كان وترًا، ولهذا فُسِّرت -الشَّفاعة الحسنة- بإعانة المؤمنين على الجهاد، -والشَّفاعة السَّيِّئة- بإعانة الكفَّار على قتال المؤمنين، كما ذكر ذلك ابن جريرٍ وأبو سليمان)[١].

هذا في الركون الذي هو الميل اليسير؛ فكيف إذًا بمن كان من جنود الطاغوت وأنصاره؟! قال تعالى: {إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} [القصص: ٨]، فالجنود دون شك شركاء في جرائم أسيادهم وكبرائهم.

وحقيقة الأمر: أن معركتنا اليوم لإقامة دولة الإسلام ليست مع الحكام أنفسهم فحسب؛ بل مع أنصارهم وأعوانهم؛ من جند وشرطة ومخابرات الذين شبههم الله تعالى بالأوتاد في قوله تعالى: {وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ} [الفجر: ١٠]، قال الطبري في تفسيره: (يقول جل ثناؤه: ألم تر كيف فعل ربُّك أيضًا بفرعون صاحب الأوتاد؟ واختلف أهل التأويل في معنى قوله: {ذِي الْأَوْتَادِ}، ولِمَ قيل له ذلك؛ فقال بعضهم: معنى ذلك: ذي الجنود الذين يقَوُّون له أمره، وقالوا: الأوتاد في هذا الموضع: الجنود)[٢].

(وإن العبودية للطاغوت وطاعته فاحشة للغاية، مهما لاح فيها من السلامة والأمن على الحياة والنفس والطمأنينة على الرزق ورغد العيش، فأي شر أشر من خضوع إنسان لإنسان طاغوت؟ وأي عبودية أشر من خضوع إنسان لما يشرعه إنسان مثله يبول ويتغوّط؟ وأي عبودية شر من تعلق قلب إنسان بإرادة إنسان أبله معتوه؟ وأي مهانة أعظم من أن يوضع في أنف الإنسان خطام يقوده إنسان مثله؛ يوجهه نحو رغباته وشهواته؟ وأي وأي.... على أن الأمر لا يقف عند هذا الحد فحسب؛ بل إنه يهبط بهم هذا الطاغوت متحكمًا في معتقداتهم وأرواحهم وأجسادهم وأعراضهم وأموالهم، حتى يقيم عليها وعلى أشلائهم وجماجمهم مجدًا لذاته!)[٣].

إن الأُسودَ إذا تولّى أمرَها *** راعٍ فقد حُشِرتْ مع الأغنام[٤]

---

[١] مجموع الفتاوى، (ج٧/ص٦٤).
[٢] جامع البيان، (ج٢٤/ص٣٧٠-٣٧١).
[٣] [من كلام أحد المشايخ المعاصرين]. تعقيب إتقان: انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، (ج٤/ص١٩٥١).
[٤] بيت في قصيدة لبنان مل، الشاعر رشيد الخوري القروي.

فيا قوم؛ أبعد كل هذا لا تعقلون؟!

أبعد كل هذا يا قوم ترضون لأنفسكم أن تكونوا جندًا محضرين، وخدامًا مخلصين: لمن باعوا الآخرة، ورضوا بالدُّنيا ومتاعها الزائل الرخيص؟

أبعد كل هذا يا قوم؛ تزجّون بفلذات أكبادكم ليكونوا أوتادًا لحماية الطاغوت، ولتحقيق شهواته ونزواته، وليبني على جماجمهم دعائم كرسيه الزائف الزائل؟!

فَيَا مُوقِدًا نَارًا لِغَيْرِكَ ضَوْءُهَا *** وَيَا حَاطِبًا فِي غَيْرِ حَبْلِكَ تَحْطِبُ[1]

ووالله إن أول من سيتبرأ منكم يوم القيامة: هو هذا الطاغوت الذي تنصرونه؛ قال تعالى:

{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ} [البقرة: ١٦٥-١٦٧].

دَلاَّهُمُ بِغُرُورٍ ثُمَّ أَسْلَمَهُمْ *** إِنَّ الخَبِيثَ لِمَنْ وَالاَهُ غَرَّارُ[2]

فيا قوم؛ تبرؤوا منهم في الدُّنيا، قبل أن يتبرأ منكم يوم الحساب، عندما ".. يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ...." الحديث.[3]

[1] بيت في قصيدة للشاعر الكميت بن زيد الأسدي. انظر: ديوان الكميت (ص٥٣٥).
[2] بيت في قصيدة لحسان بن ثابت -رضي الله عنه-. انظر: سيرة ابن هشام (ج١/ص٦٦٤).
[3] جزء من حديث طويل رواه البخاري.

فيا قوم؛ حذار ثم حذارِ أن تكونوا ممن سيتبع الطواغيت في ذلك اليوم العصيب، واسعوا أن تكونوا يومها ممن ".. يَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي صُورَتِهِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا، فَيَتْبَعُونَهُ..."[١].

يا قوم؛ عودوا لدينكم؛ فهو مجدكم وعزكم، ومجد آبائكم وأجدادكم الذين نالوا شرف الانضواء تحت لواء صلاح الدين الأيوبي في حطين، وشرف المشاركة في تحرير القدس مع قبائل أخرى، فأقطع صلاح الدين للقبائل التي شاركت معه أراضيَ حول القدس من أجل حمايتها من الصليبيين، وقال: (هذا مسرى جدكم فحافظوا عليه) يقصد النبي ﷺ، وكانت حصة (بني حسن) في الجزء الجنوبي الغربي من القدس؛ حيث عاشوا وتكاثروا في قرى الولجة وعين كارم والمالحة وغيرها.

يا قوم؛ أجدادنا يومها حافظوا على تلك الأراضي وحموا القدس الشريف، فعاشوا عزة الإسلام وقوته، أباةً مخلصين.

واليوم؛ أبناء قبيلتنا هم سياج متين يحمي كيان اليهود، وهم جند الطاغوت وشرطته ومخابراته، وهم شركاؤه في جرائمه ضد الإسلام وأهله.

كيف لا، وأبناؤكم في أفغانستان تحت راية الصليب يقاتلون أهل الإيمان؛ بحجة أنهم قوات حفظ السلام التابعة للأمم الملحدة؟

كيف لا، وأبناؤكم يقتلون المسلمين من أبناء معان؛ بحجة حفظ أمن النظام؟

كيف لا، والطائرات التي انطلقت لقصف المسلمين من أهل العراق انطلقت من مضارب بني حسن؟

أين أنتم يا وجهاء العشيرة وكبراءها من ذلك العز الذي عاشه أجدادكم، وذلك الفتح الذي فتحه الله عليهم تحت راية صلاح الدين؟

---

[١] جزء من نفس الحديث السابق.

بل أين هي نخوتكم ومروءتكم وغيرتكم على دين خير البرية؟

إِنَّ الـمُرُوْءَةَ لَيْسَ يُدْرِكُهَا امْرُؤٌ *** وَرِثَ المَكَارِمَ عَنْ أَبٍ فَأَضَاعَهَا
أَمَرَتْهُ نَفْسٌ بِالدَّنَاءَةِ وَالخَنَا *** وَنَهَتْهُ عَنْ سُبُلِ العُلَا فَأَطَاعَهَا[1]

يا قوم؛ كيف رضيتم بتسلط هذا الطاغية عليكم؟ هذا الذي تربى في أحضان الغرب، ليحكم فيكم بشرعة الشيطان، ويعطل فيكم شرعة الرحمن، ألا تخافون أن يصيبكم الله بعقاب منه؟ قال عليه الصلاة والسلام: "مَا مِنْ رَجُلٍ يَكُونُ فِي قَوْمٍ يَعْمَلُ فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي، يَقْدِرُونَ عَلَى أَنْ يُغَيِّرُوا عَلَيْهِ وَلَا يُغَيِّرُوا؛ إِلَّا أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ قَبْلَ أَنْ يَمُوتُوا"[2].

فيا قوم؛ أعدوا الجواب لرب الأرباب إذا سألكم يوم الحساب: عن دم كل امرئ مسلم شاركت في سفكه أياديكم، في العراق وفي معان وفي أفغانستان وغيرها؛ بزجكم لأبنائكم في جيش الطاغوت، وبسكوتكم عن هذه الجرائم[3]!

روى ابن ماجه عن أبي هريرة رفعه: (مَنْ أَعَانَ عَلَى قَتْلِ مُؤْمِنٍ وَلَوْ بِشَطْرِ كَلِمَةٍ؛ لَقِيَ الله مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ: آيِسٌ مِنْ رَحْمَةِ الله)[4].

وإن من أوجب الواجبات عليكم: السعي لتحكيم شرع الله، ورفع راية التوحيد عالية في البلاد، وموالاة أهل الحق والتوحيد، والتبرؤ من أهل الشرك والتنديد.

أما آن لكم أن تنفضوا غبار الذل عنكم؟

أما آن لكم أن تعودوا إلى الله وتعلنوها نقية بيضاء صافية: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق"، وتعودوا إلى فطركم السليمة ملة أبيكم إبراهيم، الذي كان أصل دعوته البراءة من الطواغيت والمشركين؟

---

[1] البيتان للحصين بن المنذر. انظر: أدب الدنيا والدين، الماوردي (ص٣٢١).
[2] رواه ابن حبان واللفظ له، وأبو داود وابن ماجه، وأحمد بنحوه، (إسناده حسن).
[3] تعليق الزرقاوي: [نحن نعلم أن من أبناء العشيرة من لم يتلوث دينه بشيء من هذا، ولكننا نعلم أيضا أن اليد التي عقرت ناقة صالح كانت يدًا واحدة، ولكن لعنة الله شملت قوم ثمود جميعا.. فهل مسلمو معان والعراق وأفغانستان أهون على الله من ناقة صالح؟؟].
[4] إسناده ضعيف، وقال أبو حاتم: باطل موضوع.

{قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة: ٤]؛ أي حتى تحكموا الله وحده؛ فلا يطاع غيره، ولا أمر إلا ما أمر، ولا شرع إلا ما شرع.

يا قوم؛ أطيعوني وأجركم على الله، فوالله لا طاقة لكم على عذاب الله، فكيف بكم إذا سعرت النار، وتطاير شررها، وكتمت الأنفاس، وعُضّ على الشفاه بالأضراس؟ {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا} [الفرقان: ٢٧-٢٩].

أيْنَ الذين طَغَوْا وجَارُوا واعْتَدَوْا *** وعَتَوْا وطَالُوا واسْتَخفُّوا بالوَرَى
وتمسكُوا بحِبَالها لكِنّهَا *** فَصَمَتْ لهم منها وثيقاتِ العُرَى؟
ما أَخْلَدَتْهم بَعدَ سَالِفِ رِفْعَةٍ *** بَلْ أَنْزَلَتْهُم مِن شَمَارِيْخ الذُّرَى
وإلى البِلَى قد نُقِّلُوا وتَشَوَّهَتْ *** تِلْكَ المَحَاسِنُ تَحتَ أطبَاقِ الثَّرَى
أفْنَاهُمُ مَنْ لَيْسَ يَفْنَى مُلْكُهُ *** ذُو البَطْشَةِ الكُبْرَى إذَا أَخَذَ القُرَى
فاصْرِفْ عن الدنيا طماعَكَ إنما *** مِيْعَادُهَا أبَدًا حَدِيْثٌ يُفْتَرَى[١]

وأنتم يا أبناء هذه الدعوة المباركة من أبناء عشيرتي؛ الله الله في دينكم، وسنة نبيكم، سيروا على درب العزة والمجد، ولا تغرنكم كثرة الهالكين والمتخاذلين، ولا تستوحشنكم قلة السالكين الصابرين.

ولا تطيعوا أحدًا في معصية الله لا كبير عشيرةٍ ولا وليّ نعمة، ولا تمنعكم هيبة أحد من الناس كثُرَ ماله أو علا جاهه أن تقولوا ما يرضي الله ورسوله، قال عليه الصلاة والسلام: "لَا يَحْقِرْ أَحَدُكُمْ نَفْسَهُ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ كَيْفَ يَحْقِرُ أَحَدُنَا نَفْسَهُ؟ قَالَ: "يَرَى أَمْرًا لِلَّهِ عَلَيْهِ فِيهِ مَقَالٌ، ثُمَّ لَا

[١] التبصرة، ابن الجوزي، (ج١/ص٧٧).

يَقُولُ فِيهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَا مَنَعَكَ أَنْ تَقُولَ فِيّ كَذَا وَكَذَا؟ فَيَقُولُ: خَشْيَةُ النَّاسِ، فَيَقُولُ: فَإِيَّايَ كُنْتَ أَحَقَّ أَنْ تَخْشَى"[١].

ولا تكونوا ممن يحسنون إذا أحسن الناس ويسيئون إذا أساؤوا، ولكن أحسنوا إن أحسنوا أو أساؤوا، قال عليه الصلاة والسلام: "أَلَا إِنَّ رَحَى الْإِسْلَامِ دَائِرَةٌ، فَدُورُوا مَعَ الْكِتَابِ حَيْثُ دَارَ، أَلَا إِنَّ الْكِتَابَ وَالسُّلْطَانَ سَيَفْتَرِقَانِ، فَلَا تُفَارِقُوا الْكِتَابَ، أَلَا إِنَّهُ سَيَكُونُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ يَقْضُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَقْضُونَ لَكُمْ، إِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ، وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ"، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ؛ كَيْفَ نَصْنَعُ؟ قَالَ: "كَمَا صَنَعَ أَصْحَابُ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ؛ نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ، وَحُمِلُوا عَلَى الْخَشَبِ، مَوْتٌ فِي طَاعَةِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ"[٢]، فشقوا طريقكم الصعب الطويل بتوحيدكم وصبركم وجهادكم، وعند الصباح يحمد القوم السرى، واحرصوا أن تكونوا مع ركب الفالحين؛ {فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا} [النساء: ٦٩].

وأخيرًا: يا قوم؛

ما كتبت كلماتي هذه إلا نصحًا لكم وإشفاقًا عليكم، وأسأله سبحانه أن تكون خالصة لوجهه الكريم، ومع كثرة الطالبين وقلة الناصرين: التجأت لركن ركين وحصن حصين إلى الله العزيز المتين، الذي من دخل حصنه كان من الآمنين، ومن قصده كان له خير معين، {أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ} [النمل: ٦٢]، ومن طرح نفسه عند بابه فلن يخزى، ومن انتسب إليه فلا يضل ولا يشقى.

دَعِيُّ القَوْمِ يَنْصرُ مُدَّعِيْهِ *** لِيُلْحِقَهُ بِذِي الحَسَبِ الصَّمِيْمِ
أَبِي الإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ *** إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيْمِ[٣]

---

[١] رواه ابن ماجه وأحمد باختلاف يسير، (رجاله رجال الصحيح وفي سنده انقطاع، قال البويصري في المصباح: إسناده صحيح).
[٢] رواه الطبراني، (إسناده ضعيف).
[٣] بيتان لنهار بن توسعة. انظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة، (ج١/ص٥٢٨).

ولسان حالي يقول كما قال خالد بن الوليد –رضي الله عنه–؛ عندما سأله ذلك الصحابي يوم مؤتة بعد أن كثرت الجراح في المسلمين: يا خالد؛ أإلى سلمى أم إلى أجا[1]؟ فبكى خالد –رضي الله عنه– وقال: لا إلى سلمى ولا إلى أجا، ولكن إلى الله الملتجأ[2].

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

كتبها نصحًا وإشفاقًا:

أحمد فضيل نزال الخلايلة

[1] تعليق الزرقاوي: جبلين في جنوب شرقي حائل.
[2] بتصرف من الزرقاوي، مختصر السيرة، ابن عبد الوهاب، (ص٢٦٢).

بيان الأمير أبي مصعب الزرقاوي يتبنى فيه عملية ميناء البصرة

٦ربيع الأول ١٤٢٥هـ || ٢٤ أبريل ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

بيان رقم «١»

غزوة قاهر الصليبيين الشيخ يوسف العييري –رحمه الله–

{فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ} [التوبة:٥].

الحمد لله العزيز الجبار، القوي القهار، ناصر الأبرار ومذل الفجار، والصلاة والسلام على نبي الملحمة الضحوك القتال قائد الأبطال، وعلى آله وصحبه أولي البأس الشديد. أما بعد..

فلقد حسمنا الخيار ورفعنا راية الجهاد، واتخذنا الأسنة والرماح مركبًا نبحر فيه إلى العز والتمكين، إيمانًا منا بأن صهيل الخيول وصليل السيوف هو مفتاح النصر وسبيل العز كما قال تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ} [التوبة:١٤].

نحن نزف البشرى إلى إخواننا المسلمين عامة والمجاهدين خاصة بانطلاق ثلة من الشم العرانين، الصناديد في زمن العبيد، الرجال صقور العز ليوث الشرى، تأسيًا بما فعله إخوانهم ليوث القاعدة بما كان يُعرف بالمدمرة (كول) في ميناء عدن، فأعادوا هذه الغزوة إلى الأذهان بثوب جديد وإصرار عنيد على ضرب مفاصل اقتصاد دول الكفر والإلحاد التي جاءت لترفع راية الصليب في بلاد المسلمين؛ فلقد استهدف إخوانهم بزوارقهم البحرية البوارج النفطية في ميناء العميق وميناء البكر التي تغطيها وتحميها القوات الأسترالية، حتى هرع رئيس الوزراء الأسترالي الخبيث إلى مكان الحدث ليرى ما حل بقواته مدعياً أنها: (زيارة تفقدية غير معلنة!!)؛ إلا أن بعض القنوات الفضائية أشارت إلى هذه الزيارة "المفاجئة".

أيها المسلمون:

ها هم أعداء الله جرياً على عادتهم تكتموا على هذه الغزوة المباركة فاكتفوا بالإشارة إليها بما لا يناسب المقام ولا يكشف اللثام ولا يفضح ما تنطوي عليه هذه العملية المباركة من النكاية والإثخان في أعداء الله تعالى.

فنحن نقول لكم يا أعداء الله لصوص النفط وسراق الثروات وتجار المخدرات كما قال سيف الله المسلول خالد بن الوليد –رضي الله عنه– لجيوش الكفر: (لو صعدتم إلى السماء لرفعنا الله إليكم، ولو نزلتم في البحار لأنزلنا الله إليكم).

ونحن يا أفاعي الشر ماضون قدماً في استئصال شأفتكم والإثخان فيكم براً وبحراً وجواً، حتى ينصرنا الله أو نهلك دون ذلك كما قال تعالى: {قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ} [التوبة:٥٢].

أيها المسلمون:

إن ما يردده المرتدون وأسيادهم من أن المجاهدين يقتلون الأبرياء ويستبيحون الدماء فهذه خدعة اللئيم على الحليم؛ فنحن أحرص على ديننا من أن نلقى الله بدم مسلم عصم الله ورسوله دمه. فلتسمع الدنيا بأسرها أنا جئناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة، درع الأمة وحصنها بعد الله عز وجل، ولنا معكم صولات وجولات بإذن الله تعالى...

والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمجاهدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أبو مصعب الزرقاوي (أمير جماعة التوحيد والجهاد)

٦ ربيع الأول ١٤٢٥

مِنْ أَبِي مُصْعَبٍ الزَّرْقَاوِيّ لِكَلبِ الأُرْدُنِ عَبدِ اللهِ الثَّانِي: أَبْشِرْ بِمَا يَسُوؤُكَ

٢٦ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ || ١٥ مايو ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

من **أبي مصعب الزرقاوي** إلى الطاغوت ابن الطاغوت عبد الله بن الحسين؛

أمَّا بعد:

فلم أدر حين تناهى إلى سمعي خبر تشاور حكومتكم في أمر سحب الجنسية الأردنية مني أأضحك أم أبكي!

أأضحك ساخرًا؟ أم أبكي لأن مثلكم صار يتحكم في أمر أمة محمد ﷺ؛ فيَصِل من يشاء، ويقطع من يشاء؟ وإلى الله المشتكى.

ودعني أهمس في أذنك الصماء عن سماع الحق بأمور؛

أولًا: أنا أنتسب -شئت أم أبيت- إلى عشيرة كريمة المحتد، عزيزة النسب، لا أرغب عنها، ولا يملك بشر مهما كان أن يخلعني من هذا النسب، مع امتعاضي وشدة حزني وألمي لما آل إليه حالهم حين دخلوا تحت عباءتك المهترئة، وصاروا أجنادًا لدولتك وعساكر، بعد أن كانوا للتوحيد حراسًا، وللحق رجالًا، شهد لهم التاريخ ببيض الصنائع تحت راية السلطان صلاح الدين.

نسب عربي صميم أفرح به *** ولكن فخري بديني وقرآني[1]

أَبِي الإِسْلَامُ لَا أَبَ لِي سِوَاهُ *** إِذَا افْتَخَرُوا بِقَيْسٍ أَوْ تَمِيْمِ[2]

---

[1] لا يعلم قائله.

[2] بيت لنهار بن توسعة.

أما الدولة الأردنية؛ فالانتساب إليها عار وخزي؛ فدولتك -أيها الملك- لقيطة، أنشاها غلاد ستون وزير المستعمرات البريطانية الذي كان يفخر في مجلس العموم البريطاني بأنه أقام دولة في يوم، هذه الدولة هي دولتك أيها الملك الإنكليزي.

أتدري لماذا أقيمت لكم؟

دعني أقولها صريحةً واضحةً: (لحماية دولة إسرائيل)، إنها الحقيقة التي يعرفها القاصي والداني، ويتهامس الناس بها في السر خوفًا من بطش زبانيتك.

وأقول لك مهنئًا: إنك ووالدك تستحقان وسام الشرف؛ فلقد قمتما بهذه المهمة بكفاءة واقتدار، وعلى الشيطان جزاؤكما.

ثانيًا: أنا، وإن كنت أحن إلى مهد طفولتي، وأشتاق إلى أهلي وإخواني وأصدقاء الطفولة والشباب؛

لكنني عَالَمِيٌّ لَيْسَ لِي *** أَرْضٌ أُسَمِّيهَا بِلادِي
وَطَنِي هُنَا أَوْ قُلْ هُنَالِكَ *** حَيْثُ يَبْعَثُهَا المُنَادِي[١]

لقد هجرت أرض الذكريات، وهاجرت إلى أرض الأمنيات، التي نقيم فيها دين رب الأرض والسماوات،

إلى بلاد الأفغان في طاعة الرحمن،

وأنا الآن في العراق أجاهد مع إخواني؛ لنقيم للإسلام وطنًا، وللقرآن دولة.

المؤمن -أيها الملك- أجَلُّ من أن يشده التراب، ويتعلق قلبه بحظائر رسم حدودها سايكس وبيكو؛ فذلك شأن البهائم التي تجتمع على الكلأ والمرعى والسياج والقطيع، وأما المؤمن فالنفخة

---

[١] بيتان في قصيدة أنا عالمي، الشاعر هاشم الرفاعي، لم أجدها في أعماله الكاملة.

الإلهية الكريمة التي تسري في حناياه هي وطنه وأهله وعشيرته، فيها يواصل ويفاصل، ومن أجلها يوالي ويعادي.

هذه المعاني لا يدركها مثلك -أيها الملك-؛ لأنك وباختصار Made in England، وهذه المعاني إنما يفهمها أبناء هذه الأمة وأهل هذه الملة، وأبشرك أنها غراس قرآني سيستمر وسيتضوع أريجه في الأمة من جديد، مهما حاولت منعها -أيها الملك-، فأنى لمثلك أن يغطي نور الشمس بغربال؟!

وأبشر بما يسوؤك!

ولا أنسى قبل الوداع أن أقول لك: اسحبها ولا تبالي؛ فجنسيتك تحت قدمي ونعالي!

وإلى لقاء عند الملك الحق، أيها الملك.

رِثَاءُ أَبِي البَرَاءِ الكُوَيْتِيّ (فَيْصَل المطِيرِي)

٢٩ ربيع الثاني ١٤٢٥ هـ || ١٧ يونيو ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وميض من وراء السديم *** أبا البراء أيها الساكن قلبي
كل يوم يمر يأخذ بعضي *** يورث القلب حسرة ثم يمضي

كثير هم الشخوص الذين يلقاهم الإنسان في رحلته على ظهر هذا الكوكب، وخاصةً إذا الإنسان قد امتطى صهوة جواده ضاربًا في فجاج الأرض، يطيف في الأصقاع، لا يكف عن التجوال والترحال، يبحث عن أخبية العز المتناثرة كواحة ظليلة في صحراء ملتهبة، تلحف بهجيرها وتحرق بشمسها وجوه الأحرار، ومع ذلك فقِلة هم الذين يوسعون في القلب محلًّا ويحفرون في القلب رسمًا لا تبلوه الأيام ولا يمحوه كر الأعوام، ولقد كنت من هؤلاء -علم الله- أبا البراء.

لقد كان وجهك وجه شهيد، ناطقًا بالصدق، لائحةً عليه سيماء الصلاح، نحسبك والله حسيبك ولا نزكي على الله أحدًا، إذا خالطك إنسان أحبك، ولمس بيدي قلبه طيب قلبك وبياض سريرتك، إذا ذُكِرَ التواضع فأنت غرته، موطئ الأكناف؛ لا يجد رفيقك منك إلا الخير والألطاف، سهلٌ سِمِح، لا يتكبر بالإساءة، ويغضي على الأذى فيطويه في جوانحه ويتجرعه بصمت ثم لا ينتقم إلا لله.

يطيف بوهلي -أبا البراء- أنك ربما لم تخاصم إنسانًا، ولم تؤذ مخلوقًا في حياتك قط، لا في جاهلية ولا في إسلام، نفس رقراقة، بالحب دفاقة، مع أصالة وعراقة، لا تعرف الكلال ولا الملال، مع عزيمة لا ترضى بالهزيمة، ومضاء وثاب، يأبى الذل والخنوع، ويطوي على الجوع حتى يبلغ ينبوع العز والكرامة، ليرتشف سلسبيلًا خالصًا.

تلك هي قصتك ومسار رحلتك في هذه الحياة، والتي ختمت لك بالشهد المستطاب، وتحقيق الأماني والرغاب؛ إنها الشهادة أبا البراء -إن شاء الله-.

لقد صبرت معي في درب الجهاد، وتجرعنا سويًّا الغصص في الله، وكنت تتلمظ تنتظر اليوم الموعود؛ لإصدار شريط -CD- لنقدمه للأمة، لتعرف بجلاء حقيقة الجهاد وصور التضحية والعطاء لأهل الإسلام في العراق مهاجرين وأنصارا.

فانعم عينًا أبا البراء، وأبشر بما يسرك، وعدًا منا غير مكذوب إن شاء الله، عن قريب نقدمه لأمتنا الغالية، لينضاف أجره إلى سجلك، عطاء غير مجذوذ.

وان كُنت شربتُ حسرةً في أمر شهادتك؛ فهي أني حيل بيني وبين أن أقبل جبينك الوضاء قبلة الوداع، وأن أباشر دفنك بيدي وفاءً لعهدك، فأسأل الله أن يعوضنا رؤياك في الجنان.

فنم قرير العين أبا البراء، وسلام على روحك في الخالدين.

رفيق دربك الحزين.

عِندَمَا يَبكِي الرِّجَالُ!

٢ جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ || ١٩ يونيو ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

لبست ثيابي، وامتشقت سلاحي، عازمًا على الخروج؛ لتفقد إخوة العقيدة ورفقاء الجهاد والسلاح، وإذا بالأخ عبد الرحمن الأنصاري يخبرني بقدوم الأسد أبي محمد اللبناني، ويستأذن بالدخول علي.

وأبو محمد هذا أسد من أسود التوحيد، وليث من ليوث الحمى، لطالما ذاد عن الإسلام بسيفه، وخاض المعارك واقتحم الأهوال، ولم ينثن أبدًا، صاحب عزيمة وقّادة وقلب كقلب الأسد، شارك في معارك القائم وراوة، مدينتين تقعان في العراق بالقرب من الحدود السورية وغيرهما، وكان معه في مقدمة الصفوف ابنه الذي لم يتجاوز الخامسة عشرة، راميًا به في وسط المعمعة تلفحه، وابنه بوهج نارها: ثابت ثبات الرجال، راسخ رسوخ الجبال، لسان حاله: (نفسي لنفس محمد الفداء، وعرضي لعرض محمد الوجاء)[١].

صدق الله فصدقه –نحسبه كذلك–، فاصطفى الله سبحانه فلذة كبده عندما سقط صريعًا يتشحط بدمه رخيصًا في سبيل الله في معارك راوة، وبكى أبو محمد ابنه بكاءً مرًّا، لا لفقده –والله–، ولكن لعدم مرافقته إياه إلى الجنان، ولا يزال محتسبًا صابرًا يقارع الكفار الذين جاسوا خلال الديار، رافضًا تبعات الخزي والعار وما زال.

وليت شعري؛ أيقف مثل أبي محمد بالأبواب؟

---

[١] انظر قصيدة حسان بن ثابت –رضي الله عنه– في عمرة الحديبية، زاد المعاد، (ج٣/ص٥١٠).

فأذنت له، ودخل مبتسمًا كعادته لا يرفع طرفه حياءً، وعانقته وأخذت بيده، وأجلسته إلى جانبي، وتحدثنا ساعة عن تطورات العمل ومستلزماته، وعن الإخوة واحتياجاتهم (أنصارًا ومهاجرين)، فقد كان أبو محمد المسؤول العسكري للإخوة.

وكنت ألحظ عليه -على غير عادته- شحوبًا في وجهه، وحزنًا يعلو ذلك الوجه الوضاء، فسألته: (ما بالك أبا محمد؟ هل ثمة شيء أحزنك؟)

فنكس رأسه هنيهة مطرقًا، ثم رفعه، فإذا عيناه تذرفان!

لا إله إلا الله! ما أغلى هذه الدموع! وما أرقها حين فاضت من قلبٍ مكلوم!

إنها دموع، ولكنها ليست كدموع سالت لفراق صديق، أو للقاء عشيق، أو لزوال نعمة، أو لحلول نعمة.

إنها دموع الوفاء!

إنها دموع الصفاء والنقاء!

ولو بُذلت للعيون لتجود بما جادت به عينا أبي محمد؛ لما استطاعت أن تسخو بمثلها، فليست النائحة الثكلى كالمستأجرة.

إنْ كُنْتَ تَنوحُ يا حَمامَ البانِ *** لِلْبَيْنِ فَأيْنَ شاهِدُ الأحْزانِ؟
أجْفانُكَ لِلدُّموعِ أمْ أجْفاني *** لا يُقْبَلُ مُدَّعٍ بِلا [بيانِ][1]

إنها لحظات صدق عالية، وشفافية عالية، فاض بها قلبه فسحّت عيناه حزنًا وألمًا، وحسرةً على وقوع رفيق دربه، وأنيس قلبه، وصاحب سره، الجبل الأشم «أبي عبد الله الراوي» في الأسر، فلطالما سارا سويًّا على هذا الدرب، وكانا أخوَين متحابّين لا يكادان يفترقان، براءة في الأخوّة، وطفولة في المحبة، وعذوبة في المودة.

[1] بيتان ذكرهما ابن رجب في لطائف المعارف، (ص١٧٤).

عندما يتراءيان لك؛ فأول ما يتبادر لذهنك قوله ﷺ في السبعة الذين يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَومَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: "رَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ"[١].

عينان لم تطعمها الكرى منذ ثلاث *** ولم أتلذذ بطعام منذ ذاك

قالها أبو محمد، فحاولت أن أخفف عنه وأسليه بما فتح الله علي، فاستأذن للخروج فقمت وعانقته مودعًا، ولكنه كان ليس كأي وداع؛ وداع أخذ معه قلبي وتركني حزينًا مهمومًا، حُبست الدمعة في عيني، شاطرته الشعور وعشت معه اللحظات الأليمة؛ لأني طالما عشت هذه اللحظات، وأصبحت محطات في قطار حياتي؛

فمنذ ١٤ عامًا وأنا أودع الأحباب!

وكم من حبيب جاءني خبر قتله في ثغر من الثغور!

وكم من شقيق وقع أسيرًا بين يدي كفور!

لا يشعر بألم فقد الأحباب إلا من لامس شغاف قلبه برد الأخوّة،

ولا يعرف ذوق الأخوة إلا من عاش لهم؛

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لاَ أَخَا لَهُ *** كَسَاعٍ إِلَى الهَيجَا بغَيرِ سِلاَحِ[٢]

فما طابت الدُّنيا إلا بهم، وما زانت الليالي إلا بنورهم.

فكم من أخ فارقني منذ سنين! ما زالت حسرته في قلبي، ففجعت بموت والدتي -رحمها الله- مؤخرًا وكانت من أحب الناس إلي، ولكن -علم الله- أن مصيبتي بـ (أبي عبيدة عبد الهادي دغلس) كانت أشد وقعًا على نفسي من وفاة حنونتي.

فكلما ذهب بعضهم ذهب بعضي..

---

[١] متفق عليه.

[٢] بيت لقصيدة مسكين الدارمي. ديوان المسكين الدارمي (ص٣٣).

كيف لا!! وهم اليد والمعصم..

كيف لا!! وهم السمع والبصر..

كيف لا!! وهم وهم..

رأى أحد إخواني في منامه (أن إحدى يدي شلّت)، ولم يخبرني بذلك إلا بعد مقتل (أبي البراء فيصل المطيري رحمه الله)، فعلم أن الرؤيا قد وقعت فقصّها علي، أمسكت قلمي، وعزمت أن أخط مداده على ورقي، متجلدًا صابرًا، مذكرًا أبا محمد وإخوانه قائلًا:

اصبر أبا محمد؛ فوالله الذي نفسي بيده؛ إني أرى بشائر النصر تلوح،

وإني لأرى الظفر قادم كما يعقب الليل النهار،

وما فقد الأحبة إلا دليل صدق الطريق،

فأيما فئة مؤمنة قامت تقاتل لنصرة هذا الدين، فجادت بأبنائها؛ فإنما هي تزكية لهذه الفئة، وهل يقوم الدين ويستوي عوده ويطلع فجره وتشرق شمسه إلا بدماء أبنائه؟

أبا محمد؛

إن الحرب بيننا وبينهم سجال،

ينالون منا وننال منهم؛

فبالأمس مزقنا أجسادهم، وتناثرت أشلاؤهم في مواطن عديدة،

وأصابهم في مقتل، وما زالوا يلعقون جراحهم.

أبا محمد؛

إننا نقاتل لأجل الله،

فهذه الآلام والجراحات هي أوسمة شرف نعتز بها ونفخر،

فأي شيء أعظم من أننا جنود للتوحيد وحراس للعقيدة؟

فالله مولانا ولا مولى لهم.

أبا محمد؛

إن أعظم ما يشد أزرك ويقوي عزمك، وتنتصر على حزنك وألمك:

أن هؤلاء الأعداء قد بارزوا الله سبحانه بالعداوة، وعطّلوا شريعته،

واستباحوا الديار، وهتكوا الأعراض، وانتهكوا الحرمات،

مما يجعلك تتغيظ أشد الغيظ، ويتمعر وجهك غضبًا لله ولرسوله،

ويعبس وجهك مكفهرًا لجريمتهم، وتمتشق سيفك صارخًا:

(ملة الكفر لا نجونا إن نجوتم)!

فالطريق طويل، والدرب شائك، ولا بد من تكاليف.

فرضى الله عز وجل مهره الدماء والنفوس، والغالي والنفيس، وكل ما تلاقيه من مصائب وبلاءات ومحن إذا مُزجت في ذات الله استحالت إلى شهدٍ حلو.

فوالله يا أبا محمد؛

لا طاب العيش إلا بمقارعة هؤلاء الطواغيت!

وإنني كلما أتذكر أنني ماضٍ إلى ربي يومًا، وأنا أرجو أن يدخلني جنته بمنه وكرمه، وأن ذلك اليوم سيكون آخر فصل من فصول مراغمتي لأعداء الله، وأن الحرب بيني وبينهم قد وضعت أوزارها وحطت رحالها؛ أصابني هم وحزن -عَلِمَ الله-.

فوالله إن لذة حربهم وبغضهم وعداوتهم -لأجل ربي- لا تعدلها لذة.

فاصبر أبا محمد؛

فما عهدتك إلا صابرًا ولا يضيرك كيدهم، وليكن لسان حالنا:

اللهم خُذ من دمائنا حتى ترضى،

اللهم خُذ من دمائنا حتى ترضى،

اللهم خُذ من دمائنا حتى ترضى،

اللهم من بطون السباع وحواصل الطير.

واسلَم لأخيك.

بيان من أبي مصعب الزرقاوي إلى علاوي

٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ | | ٧ يوليو ٢٠٠٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القوي المتعالي، والصلاة والسلام على الضحوك القتال وعلى آله وصحبه ذوي البأس في النزال. أما بعد:

أبشر بما يسوؤك -علاوي- فلئن كنت نجوت آخرًا من صواريخ الموت التي صبت حممًا على بيتك فإن الجعبة ما زالت ملأى بحمد الله بسهام المنية فلئن طاش منها سهم فيوشك عن قريب -بعون الله- أن نشكّ فؤادك بسهم قاض .. ونحن لك بالمرصاد.

ولا نعمت عينًا يا عدو الله.

أبو مصعب الزرقاوي

أمير جماعة التوحيد والجهاد

١٤٢٥\٥\٢٠

٢٠٠٤\٧\٧

فترة تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين

بَيَانٌ: البَيعَةُ لِتَنظِيمِ القَاعِدَةِ بِقِيَادَةِ شيخ المجاهدين أُسَامة بنِ لادِنَ[١]

٣ رمضان ١٤٢٥ هـ || ١٧ أكتوبر ٢٠٠٤ م

بسم الله الرحمن الرحيم

بيعة الأمير أبي مصعبٍ الزرقاوي لشيخ المجاهدين أسامة بن لادن

(بيان بشارة انضواء جماعة التوحيد والجهاد تحت لواء القاعدة)

إغاظة لأعداء الله، وإفراحًا لكل مسلم؛

إن الحمد لله الذي وَحَّدَ صفوفَ المجاهدين، وفرّق شَمْلَ الكافرين، الحمد لله القائل: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣]، والصلاة والسلام على مَن أَلَّفَ اللهُ به بين قلوب المؤمنين، فكانوا كالبنيانِ المرصوص في وجه أعداء الدين، أشداء على الكفار رحماء بينهم، وعلى آله وصحبه الذين رَفَعُوا سيف الحق يدًا واحدة فأزهقوا رؤوس الباطل، أمَّا بعد:

---

[١] حديث أبي عبد الله أسامة بن لادن –تقبله الله– عن البيعة: (وكذلك لا أحسب أنَّ الأمير المجاهد الأخ الكريم أبا مصعب الزرقاوي، والجماعات التي انضمت معه إلا أنَّهم من هؤلاء الخيار، ومن هذه الطائفة المنصورة المقاتلة على أمر الله –أحسبهم والله حسيبهم–.
ولقد سرنا عملياتهم الجريئة ضد الأمريكان وحكومة علاوي المرتدة، كما سرَّنا استجابتهم لأمر الله تعالى وأمر رسوله عليه الصلاة والسلام؛ بالوحدة والاجتماع والاعتصام بحبل الله؛ قال تعالى في محكم التنزيل: {واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا}.
وإننا في تنظيم القاعدة نرحب باتحادهم معنا ترحيبًا كبيرًا، وهذه خطوة عظيمة في طريق توحيد المجاهدين لإقامة دولة الحقّ، وإزهاق الباطل، فنرجو الله أن يتقبّلها ويباركها.
وللعلم؛ فإن الأخ المجاهد أبا مصعب الزرقاوي هو **أمير تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين**، وعلى الإخوة في الجماعة هناك أن يسمعوا له ويُطيعوا بالمعروف). من كلمة إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عامة (ذو القعدة ١٤٢٥هـ).

فقد كانت هناك اتصالاتٌ بين الشيخ (أبي مصعب) حفظه الله مع الإخوة في القاعدة منذ (٨) أشهر، وتم تبادل وجهات النظر، ثم حصل انقطاع قَدَري، وما لبث أن أكْرَمَنَا الله بعودة الاتصالات، فَتَفَهَّم إخواننا الكرام في "القاعدة" استراتيجية "جماعة التوحيد والجهاد" في أرض الرافدين أرضِ الخلفاء، وانشرَحَت صدورهم لمنهجها فيها.

ومع إطلالة شهرِ رمضانَ شهرِ العطاءِ والانتصارات، وفي ظرفٍ أحوجَ ما يكونُ فيه المسلمون إلى لَمِّ شَمْلِهم ليكونوا مخرزًا في أعين أعداء الدين؛ نَزُفُّ إلى أمتنا الغراءِ خيرِ أمة أخرجت للناس بشرى تُفْرِح المؤمنين وتُميت من شدة الغيظ الكافرين، وتُرْعِبُ كلَّ عدوٍّ للمسلمين.

نَزُفُّ إليها نَبَأَ بيعةِ جماعة التوحيد والجهاد أميرًا وجنودًا لشيخ المجاهدين "أسامة بن لادن" على السمعِ والطاعةِ، في المَنْشَطِ والمَكْرَهِ، للجهاد في سبيل الله؛ حتى لا تكونَ فتنةٌ ويكونَ الدين كله لله.

ولقد سَمِعْنا بقول نبينا فآمنا به وصدقناه: "لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى تَصِيرَ لِلُكَعِ ابْنِ لُكَعٍ"[١]، وقد رأينا مهازل رؤساء الحكومات اليوم، وإنا في انتظار وعده الآخر المُرْتَقَب في الأمراء: "تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، ثُمَّ سَكَتَ"[٢]، فعسى أن يكون هذا على أيدينا.

فوالله يا شيخ المجاهدين؛ لئن خضتَ بنا البحر لخضناه معك بإذن الله، ولئن أَمَرْتَ لَنَسْمَعنّ، ولئن نَهيتَ لَنَنْتَهِيَنَّ، فنِعْمَ القائدُ أنت لجيوش الإسلام ضد الكفار جميعِهم أصليين ومرتدين.

[١] رواه أحمد، (قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير كامل بن العلاء وهو ثقة).
[٢] رواه أحمد. قال الأرنؤوط: إسناده حسن.

فهيا يا شباب الأمة إلى لواء شيخ المجاهدين، نرفع معًا كلمة "لا إله إلا الله" عالية خفاقة كما رفعها أجدادنا الأبطال، ونُطَهِّر ديارَ الإسلام من كل كافرٍ أو مرتد أثيم، حتى يدخل الإسلام بيتَ كل مَدَرٍ ووَبَر.

جماعة التوحيد والجهاد،

بقيادة الأمير:

أَبِي مُصعَبٍ الزَّرقَاوِيّ

تم الإعلان عنه:

في يوم الأحد الثالث من شهر رمضان لسنة ١٤٢٥ هـ

الموافق ٢٠٠٤/١٠/١٧ م

تَنْظِيمُ القَاعِدَةِ فِيْ بِلادِ الرَّافِدَيْن

بَيَانٌ: التبَشيرُ بِاستِشهَادِ الشَّيخِ عَبدِ اللهِ الرُّشُود –تقبله الله–

١٦ جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ || ٢٣ يونيو ٢٠٠٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

{إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ} [آل عمران: ١٤٠-١٤١].

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمَّا بعد؛

فلتهنئي أمة الإسلام باستشهاد علم من أعلام الخير والجهاد والعلم.

نعم العالِم العامِل؛ شيخنا عبد الله الرشود تقبله الله في الشهداء، هاجر وجاهد بلسانه وسنانه، وقاتل وقُتل، ونصر الحق وأهله.

فلله در هؤلاء الركب؛ ركب دين وورع، وعلم وعمل.

خرج من جزيرة العرب فارًّا من طواغيتها، إلى ساحات الجهاد والوغى في بلاد الرافدين، حيث كتبت منيته على تلك الأرض، فقد دخل العراق مهاجرًا قبل شهر ونصف، قاطعًا الفيافي والقفار، متجاوزًا حدود الطواغيت إلى مدينة القائم، حيث كانت رحى الحرب دائرة وصولات الحق ثائرة.

لبى نداء ربه، وسارع لجنان خلده، وسابق لنصرة دينه؛ حيث شارك في ملاحم القائم –أقامها الله بالعز والظفر–.

ولما حاول الصليبيون أن يقوموا بإنزال على المنطقة؛ انبرى المجاهدون، وأقسموا ألا يعطوا الدنية في دينهم، فاشتاق الإخوان للقاء الرحمن ونيل الرضوان والحور الحسان، وما تمكن أعداء الله تعالى من كتيبة الخير، التي كان فيها الشيخ عبد الله الرشود رحمه الله تعالى.

وأي شجاعة وأي إقدام هذا الذي كان من شيخنا الرشود وثلة من إخوانه من مهاجرين وأنصار! فقتلوا من الصليبيين ما قتلوا، حتى انسحب أعداء الله وهربوا، فلما عجز الصليبيون من دخول المنطقة ما استطاعوا إلا أن يقصفوا مواضع المجاهدين بالطائرات المقاتلة.

ونال شيخنا ما تمنى، فالسعيد من نال مناه، وآثر أخراه على أولاه.

ويا من سألت عن طيب الشهيد وفرحه؛ فقد فاحت روائح المسك من دمه، فرحمه الله تعالى ورزقه جنته ونعيمه.

أنعم بالعالِم العامِل المتواضع!

ولا عجب؛ فهذا دأب العلماء الربانيين، وهذا هو دورهم لأنهم القدوة للأمة، فنعم القادة من تقدم الركب وحاز العلا.

فقوافل الشهداء قاد ركبها الشيخ أبو أنس من قبل، والآن شيخنا الرشود، فتقبلهما الله في الشهداء وجزاهما خير الجزاء.

فأين المشمرون للجنة؟ وأين الراجون رحمة ربهم؟ وأين أنصار دين الله تعالى؟

فَتَشَبَّهُوْا إِنْ لَمْ تَكُوْنُوا مِثْلَهُمْ *** إِنَّ التَّشَبهَ بِالْكِرامِ فَلاحُ[1]

ما أفل نجمنا بل أضاء نوره، فكان نارًا على أعداء الله تعالى، وهو نور يضيء للمؤمنين سبيلهم.

اللهم تقبل شهداءنا.

---

[1] بيت في قصيدة الشاعر السُهروردي، حسن التنبه لما ورد في التشبه، نجم الدين الغزي (ج٢/ص١٤٤)..

اللهم تقبل شهداءنا.

اللهم نصرك الذي وعدت.

والله أكبر، الله أكبر، ولله العزة ولرسوله وللمجاهدين.

دَعُوا عَطِيَّةَ اللهِ؛ فَهُوَ أَعلمُ بِمَا يَقُولُ

٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ || ٥ يوليو ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، وجعل العاقبةَ للمتقينَ بفضلِه، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد:

فبين الفَيْنَة والأخرى؛ يقومُ إخواني في القسم الإعلامي بتزويدي ببعض أخبار المسلمين المتناقلة في وسائل الإعلام المختلفة؛ المرئية منها والمسموعة، وبالأخصِّ أخبار المنتديات، وساحات الحوار الإسلامي، التي غالبًا ما تنقل أخبار المسلمين عامَّة، والمجاهدين خاصة.

وكثيرًا ما كانت تنقطع عني هذه الأخبار بسبب الظروف الأمنية التي أعيش، والتي تجعلني غالبًا في تَنَقُّل مستمر؛ مما يحرمني الاطلاعَ على كثير من أحوال الإخوة المسلمين.

وبعد انقطاع ليس بالقصير؛ يَسَّرَ الله لي في الآونة الأخيرة، أن أتابع بعض الأخبار والردود في بعض المنتديات؛ سواء ما يتعلق بأرض الرافدين عامَّة، أو ما يتعلق بالإخوة في تنظيم القاعدة خاصة.

ومما وقعت عليه عيناي: مقالٌ للأخ الكبير الشيخ عطيَّة الله، في منتدى الحدث على شبكة الإخلاص الإسلامية (جزى الله القائمين عليها خيرَ الجزاء)، وكان المقالُ يتضمن ردًّا من الشيخ عطيَّة الله، على بيانٍ سابق لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، بشأن انسحاب القوات الإيطالية من العراق، على لسان رئيس وزرائها بيرلسكوني.

فكان لي بعضُ الوَقَفات مع هذا المقال:

١. مما يحسُن بيانه ابتداءً أن يعرف الإخوة وهذا ليس من باب التواضع -عَلِمَ الله- بل هو حقيقة وواقع؛ بأن الأخ عطيَّة الله هو أخ كبير لأخيكم الصغير، وأنه أيضًا هو الشيخ لا أنا، فما

أنا إلا رجل من رجالات المسلمين، وجندي من جنود هذا الدين، زللي وخَطَلِي أكثر من صوابي، نسأل الله أن يُمَسِّكَني بالإسلام حتى ألقاه، وأن يختم لي بالحسنى.

فشتَّان بين من قضى شطرًا من عمره في اللهو والمعاصي، وبين من نبتت لحيته، واشتد عوده في أرض الجهاد.

٢. ما قلته سابقًا متعلق بما سأقوله لاحقًا؛ وهو أن يعلم الإخوة بأن الأخ الكبير عطية الله ممن كانت له تجارب سابقة في عِدَّة ساحات جهادية، مما أَكْسَب الرجلَ -نحسبه والله حسيبه، ولا نزكي على الله أحدًا- خبرةً ثريَّة، وتجربة ناضجة، وبُعْدَ نَظَرٍ في مآلات الأمور، تؤهله بأن يُدْلِيَ بدَلْوِه، ويبديَ ما يعتقد في النوازل التي تواجه الجهاد والمجاهدين.

٣. ذكر الأخ الكبير عطيَّة الله: (بأن الإخوة في العراق عندهم نوعٌ من العُجْبِ والفخر...)؛

وما أريد بيانه بأن اللَّبْسَ الحاصل في هذا الأمر عند الأخ عطية الله؛ إنما هو ناتج من طريقة الإخوة في القسم الإعلامي في صياغة البيانات؛

فقد يشعر الأخ القارئ بأن فيها نوعًا من التهويل، ونَفَسًا من التضخيم، فأحيانًا يذكر الإخوة في بياناتهم بعضَ الألفاظ مثل: وقُتِلَ منهم مقتلة عظيمة.. أو أحالهم أثرًا بعد عين.. وأن الأمريكان نغزوهم ولا يغزوننا.. وغير ذلك من الألفاظ والجمل المحتملة.

نعم؛ الأصل في البيانات -وخاصة المتعلقة بالعمليات التي يقوم بها الإخوة- أن تكون دقيقة، وغيرَ مُبالغ فيها، ولكن مع تعذُّر إحصاء خسارات العدو وقتلاه، يكون هناك نوع من الإطلاقات والتعميمات في هذه البيانات؛ وإلا -والله يشهد- بأن النتائج الحقيقية لخسائر العدو في أرض المعركة أكبر بكثير مما يتصوره المسلمون.

فإني -ولله الحمد والمنة- أباشر معظمَ الأمور مع إخواني، ومطلع على أغلب العمليات التي يقوم بها الإخوة، ويرى الشاهد ما لا يرى الغائب.

ولو أني أقسمت بالله ثلاثًا: بأن عُبَّاد الصليب قد أثخنتهم الجراحات، وأن خسائرهم بالآلاف لا المئات؛ لرجوت ألا أكون حانثًا في يميني.

بل دعني أُجَلِّي لك الصورة أكثر من ذلك؛ إنه لولا امتلاك الأمريكان لسلاح الطيران لكنا اليوم في بغداد، ولما استطاعوا أن يدخلوا مدينة واحدة، فَضْلًا عن أن يسيطروا عليها، فلو وصفت لك حالة الجندي الأمريكي، ومدى جُبْنِه وخَوَرِه وهَلَعِه؛ لقلتَ: بأن أخي الصغير يبالغ في وصفه، وأنه تجاوز العدل في توصيفه.

٤ . أخذ الأخ الكبير عطيَّة الله على الإخوة التعاطي مع بعض النوازل والمواقف بطريقة جامدة، وأنه لا بد أن يكون هناك نوع من المرونة السياسية (طبعًا يقصد الأخ المرونة التي لا تخالف الشرع)، وذكر مثالًا على هذا الجمود؛ وهو رد الإخوة على قرار الحكومة الإيطالية بسحب قواتها.

أقول له: نعم، هذا حقٌّ، فالمرونة السياسية؛ أو لنَقُل: موازين السياسة الشرعية في التعامل مع النوازل الجهادية أو غيرها: ليس من الحكمة أن تكونَ على وَتيرة واحدة؛ كالغلظة والشدة دائمًا، أو اللين والرفق دائمًا، ولكن توضع الأمور في موازينها، ونصابها الصحيح، فلا حرج أن نوسّع في شيء وَسَّعَ الشارع فيه، وكذلك لا ضَيْرَ أن نُضَيِّق في أمر ضَيَّق الشارع فيه.

وتقدير ذلك مرجعه إلى الإخوة؛ كونهم هم الذين يعايشون هذه التطورات ويباشرونها، بخلاف غيرهم ممن هو بعيد عن هذه الساحات والميادين، مما يجعل نظرته قاصرة، وغير كافية لإنزال الحكم الصحيح على هذه الواقعة أو تلك، بخلاف الذي يعيش الواقعة نفسها، ويدرك تفاصيلها وأبعادها، ما ظهر منها وبان، وما خفي منها ودق.

نعم؛ قد يكون النَّفَس العام لجهادنا في العراق يميل إلى الشدة والعزيمة، وهذا أمر لا نجهله، بل نسعى لتدعيم أركانه، ونتواصى به مع إخواننا، ونحاول أن نغرسه في نفوس المسلمين في العراق وخارجه، وما ذاك إلا لميل أكثر الناس في هذه البلاد إلى الدَّعَة والراحة وإيثار السلامة.

فإني أعتقد أيها الأخ الكبير بأن الأمة بحاجة لمن يُسَعِّر لها الحروب، وينفخ فيها روح التضحية والفداء لهذا الدين، ويربطها بماضيها المشرق؛ الذي سطره أجدادنا بدمائهم، وسقوه بعزهم وكرامتهم، والذي تكفلت سنوات الكَبْت والذل الطويلة التي عاشتها الأمة؛ بمحو أثره ودَرْسِ رَسْمِه من نفوس أبنائها، فلو استطعنا أن نزيل هذا الركام الهائل من الران الذي جثم على صدر الأمة، فإننا نكون قد بدأنا بوضع أقدامنا على بداية الطريق الصحيح.

فالشدة التي أقصد، والعزيمة التي أنشد، والغلظة التي إليها أدعو وأحشد؛ إنما هي التي تكون في موضعها أصيلة راسخة، أصّلها نبينا الكريم ﷺ وصحابته الأبرار رضوان الله عليهم، لا الشدة والعزيمة التي سبيلها التهور والاندفاع غير المحسوب.

وأضرب لك مثالين على سبيل الذكر والاستشهاد، لا الحصر والاستطراد، وإلا فالشرح يطول، والحديث متشعب وذو شجون؛

المثال الأول: أثناء أحداث المعركة الثانية التي جرت في الفلوجة؛ قام الإخوة بخطف ابن عم العميل إياد علاوي مع زوجته وزوجة ابنه، في محاولة لردع الخائن علاوي؛ من خلال الضغط عليه بهؤلاء الرهائن، وإن أَصَرَّت قوات الاحتلال الصليبي وأعوانهم على الاستمرار في قتل الأطفال والنساء في الفلوجة، عاملناهم بالمثل وقتلنا أقاربه، ولكن عندما تبين أنه ليس هناك أدنى علاقة بين الخائن علاوي وابن عمه، ولم يكن له أي مشاركة فعلية مع قوات الاحتلال الصليبي: ما كان من الإخوة إلا أن بالغوا في الإحسان إليهم، ثم قاموا بالإفراج عنهم.

الشاهد من هذه الحادثة: أنه لو كانت المسألة مسألةَ انتقام مجرد وعشوائي، غير مضبوطة بضوابط الشرع؛ لكان باستطاعة الإخوة أن يفعلوا ذلك (فتأمل).

المثال الثاني: في بعض الأحايين يترجح عند الإخوة بعض الأمارات والدلالات أن فلانًا من الناس ممن يتعامل مع الكافر المحتل، ويعين على حرب المجاهدين؛ فيقومون بقتله، ثم يتبين لهم بعد ذلك أن المقتول كان بريئًا مما نُسب إليه، وأن القتل كان خطأ، فما يكون من الإخوة إلا استرضاء ولي المقتول، ودفع ديته، والاعتذار عما قاموا به من القتل الخطأ.

والله يعلم؛ بأن الأمثلة كثيرة جدًّا، وأن حادينا في هذا الجهاد المبارك هو: طاعة الله ورسوله، والتزام الحكم الشرعي، وإن مَدَّ الله في العمر، وبارك في الوقت، ويسر لي الظروف؛ فالعزم مني منعقد على إخراج بعض الإصدارات التي تجلِّي كثيرًا من واقعنا على الساحة العراقية، وتُفَنِّد كثيرًا من الشبهات التي تلصق بالإخوة زورًا وبهتانًا، نسأل الله أن ييسر ذلك قريبًا.

٥. أما ما ذكرت من موضوع العجب والفخر؛ فهذا حقٌّ، فنحن بشر يعترينا النقص والضعف، نسأل الله أن يرزقنا التواضع، وأن يجنبنا الفخر والعجب.

فوالله يا أيها الأخ الكبير، إننا لا حول لنا ولا قوة إلا بالله، ولا نَصُول ولا نَجُول ولا نقاتل إلا به سبحانه وتعالى، فنسأله بأسمائه الحسنى ألا يكلنا لأنفسنا طرفة عين، فإياك ثم إياك أيها الحبيب؛ أن تهمل نصح إخوانك، واحرص دومًا على تذكيرهم في هذه الأمور، فوالله إنها من العظائم، وإنها لمن المهلكات.

ولا حرج عليك؛ انصح بالتي تريد، بالشدة أم باللين، أيهما اخترت فلا تثريب عليك، فَحُقَّ لمثلك أن يكون ناصحًا، فوالله ما علمناك شامتًا ولا معيرًا، ولا بصاحب (حظوظ نفس)، بل ناصحًا مشفقًا، حريصًا على إخوانه، ولقد كان شيخ الإسلام -رحمه الله- من أحرص الناس على أمته، وأنصحهم لها، مع شدَّة وحِدَّة تعتريه، لا تقلل من قيمة نصيحته، ولا تضع من قدره رحمه الله، وقد قال رحمه الله:

(فإنَّ المؤمنَ للمؤمنِ كاليدين؛ تغسلُ إحداهما الأخرى، وقد لا ينقلع الوسخُ إلاَّ بنوع من الخشونة، لكنَّ ذلك يوجب من النَّظافة والنُّعومة ما نحمد معه ذلك التَّخشين)[١].

هذا ما يسر الله في هذه العجالة، نسأل الله لنا ولكم الثبات وحسن الخاتمة، وسلامي لك ولمن حولك من الأحباب، الذين تتوق النفس للقياهم، وترنو العين لرؤيتهم نسأل الله أن يجمعنا على طاعته،

---

[١] مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص٥٣-٥٤).

والحمد لله رب العالمين[١].

[١] تعليق عطية الله الليبي على الرد:

اللهم اغفر لأخي أبي مصعب، وأعلِ قدره وارفع في الآخرين ذكره، وسدده وزده هدى وتوفيقًا، واختم لنا وله بالحسنى.. آمين.

بل أنا والله أحق بأن أنتصح بكلامكم وفعالكم؛ فقد سبقتم وتأخرنا، نسأل الله أن يعفو عنا وعنكم ويجعلنا وإياكم من المفلحين، وجزى الله الإخوة خيرًا من بلّغ ومن ظن خيرًا وقال خيرًا، وليعلم الإخوة أني لم أصف الإخوة في العراق بأن عندهم نوعًا من العجب والفخر كما هي عبارة أخي؛ فهو حكاها بالمعنى، فتغيرت بعض الشيء عن أصلها، ولا والله ما أصفهم بذلك وما رأيت إلا خيرًا إن شاء الله.

وإنما حذرت من الغرور، كما أحذّر نفسي، وقلت إن ما اقترحته من الرأي والبيان في قضية انسحاب الإيطاليين "يعطي انطباعًا لأصدقائنا وأحبابنا قبل أعدائنا أننا متواضعون لا مغرورون منتشون، وأننا حقًّا بالله مستعينون وعليه متوكّلون، ومن تقصيرنا خائفون...".

ويعلم الله أني فرحتُ بما ذكره أخي –حفظه الله ونصره– من التوضيحات حول تحرّي الإخوة (كما في مثال أقارب علاوي وسائر ما ذكره)، وهذا والله شيء يطمئن القلب ويثلج الصدر، وهو والله الظن بكم، ما حالَ ولا زال.. فبارك الله فيكم وقوّاكم ونصركم وتقبل منكم، وجعلنا الله وإياكم مفاتيح للخير مغاليق للشر.

وما ذكره أخي أبو مصعب حول مسألة الشدة، وما يراه من مدى مطلوبيتها؛ فالحكمة وضع كل شيء في محله شدة ولينا ورفقا وعنفًا وغيرها، والموفق من وفقه الله تعالى، فاستعينوا بالله فإنه مولاكم، نعم المولى ونعم النصير، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

عطية الله

١ جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ الموافق ٧ يوليو/تموز ٢٠٠٥ م.

بَيَانٌ وَتَوضِيحٌ لِمَا أَثَارَهُ المَقدِسِيُّ فِي لِقَائِهِ مَعَ قَنَاةِ الجَزِيرَةِ

٦ جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ || ١٢ يوليو ٢٠٠٥ م

الحمدُ للهِ معزِّ الإسلامِ بنصره، ومُذلِّ الشركِ بقهره، ومصرِّف الأمور بأمره، ومستدرجِ الكافرين بمكره، الذي قدّر الأيام دولًا بعدله، والصلاةُ والسلام على من أعلى اللهُ منارَ الإسلامِ بسيفِه.

أمَّا بعد:

فإن الله سبحانه وتعالى يبتلي عباده على مر الأيام والليالي بأنواع المحن والابتلاءات، فتنة لهم واختبارًا، وتمحيصًا لهم وامتحانًا، قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ} [محمد: ٣١]، وفي (صحيح مسلم) قال الله –سبحانه وتعالى– للنبي ﷺ: "إِنَّمَا بَعَثْتُكَ لِأَبْتَلِيَكَ، وَأَبْتَلِي بِكَ".

وها هي صورة من صور الابتلاء تتجدد على أرض الرافدين، بعد أن غزاها عباد الصليب، يرومون فتنة العباد، والسيطرة على البلاد، في أكبر حملة صليبية عرفها التاريخ المعاصر.

وقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى؛ فسلكنا طريق الجهاد في سبيله، نصرة لدينه، وإعلاء لكلمته، فرمانا الناس عن قوس واحدة، فصوَّبوا تجاهنا سهامهم، وسلَّطوا علينا ألسنتهم، تشويهًا لدعوتنا وجهادنا، وتنفيرًا للخلق منَّا.

فمضينا وحادينا قولُ النبي ﷺ: "لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ"[١].

وكان مما يؤنس وحشتنا في دربنا، ويخفف عنا غربتنا في طريقنا: أن منتقدينا هم من أولي المناهج الفاسدة، والمذاهب الباطلة.

وقد أكرم الله عباده المجاهدين، وأولياءه الصادقين؛ ففتح عليهم في معركة الأحزاب معركةِ الفلوجة الأولى، فأذَلَّ عدوهم، وردَّهم على أعقابهم خاسرين.

---

[١] رواه البخاري.

وبينما هم يتفيؤون ظلال هذا الفتح المبين، ويعيشون أيامه؛ إذا بهم بما يعكر عليهم صَفْوَه، ويذهب حلاوته، إنَّه سهم جديد مُصَوَّب إلى نحورهم، ولكنه هذه المرة ليس من كنانة من وصفتُ حالهم من قَبْلُ، بل هو من رجل محسوب على هذا المنهج، ومن أهل العلم، ذلكم كان مقالًا للشيخ أبي محمد المقدسي حفظه الله بعنوان: (الزرقاوي؛ آمال وآلام، مناصرة ومناصحة).

وظُلْمُ ذَوي القُرْبَى أَشَدّ مَضاضَةً *** على المرءِ مِنْ وَقعِ الحُسامِ المُهَنَّدِ[1]

وإن أنسَ، فلا أنسَ بكاء الشيخ أبي أنس –رحمه الله– عندما رأى الحزن باديًا على قسمات وجهي بعد قراءتي لهذه المناصحة؛ لما فيها من تجنٍّ، وعدم تثبت، وقلب للحقائق!

فواساني وقال: يا فلان؛ إن الله يدافع عن الذين آمنوا.

ولا أبيح سرًّا إن قلت: إني كنت أظن أن الأمر لا يعدو أن يكون كبوة من فارس، يوشك أن يقوم منها، وأن المسألة ستقف عند هذا الحد؛ لكن الشيخ المقدسي حفظه الله شفعها بـ(وقفات مع ثمرات الجهاد)، ثم أَكَّد ذلك كُلَّه في مقابلته مع (قناة الجزيرة) مع تصريحه بأنه يتكلم بمحض إرادته، وليس ثَمَّ من يجبره على مقاله.

فرأيت أن الأمر بدأ يتعدى حدود النصح والمناصرة، وأن هذا النصح فقد طريقه ومسالكه الشرعية، وبدأت له أبعاد أخرى، لا سيما في هذا الوقت الخطير، الذي أصبح انكسار شوكة جيش عباد الصليب واضحًا لكل ذي عينين، فرأيت لزامًا عليَّ أن أوضح بعض الحقائق، وأصحح بعض المغالطات، التي وردت في المناصحة، واللقاء مع (قناة الجزيرة)، دون استيعاب مني لكل ما ورد فيهما، فذاك يحتاج إلى تسويد صفحات وصفحات، (وما لا يدرك كُلُّه لا يترك جُلُّه)[2]، أسأل الله أن يسددني، وأن يقيني حظوظ نفسي.

فأقول وبالله توفيقي وعليه اعتمادي؛

---

[1] بيت في معلقة طرفة بن العبد، جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي (ص٣٣٣).
[2] من القواعد الفقهية الفرعية.

أولًا: سيكون كلامي منصبًّا على توضيح بعض الحقائق مما له علاقة بمنهج جهادنا في العراق وما يَمُتُّ إليه بصلة، وسأعرض عما ورد في مناصحة الشيخ حفظه الله فيما يتعلق بعلاقتي معه وما جرى بيني وبينه في غابر الأيام، مما أراه لا يخدم ما نحن بصدده، ولما فيه من منفعة لأعداء الدين.

ثانيًا: ذكر الشيخُ حفظه الله في مطلع مناصحته أنه حاول جاهدًا قبل نشرها إيصال أشياء كثيرة من محتواها إليَّ، فلم يتمكَّن من ذلك -على حدِّ قوله- فاضطر لنشرها، ولو سلَّمنا له بذلك، فما المبرر لإعادة ذكر هذا الكلام مرة أخرى في المقابلة مع الجزيرة، إذا كان مقصده إبلاغ النصيحة، وقد تَمَّ له ذلك من قَبْلُ في رسالته؟ ولماذا في هذا الوقت بالذات، مما لا يصب إلا في مصلحة الصليبيين، وأذنابهم من المرتدين؟

ثالثًا: ذكر الشيخُ حفظه الله أني كنت ممن استفاد منه، واستظل بمشيخته، وأني كنت لا أصدر إلا عن رأيه، ولا أقول إلا بقوله واختياره؛ فأقول:

لا شك أنَّ الشيخَ أبا محمد حفظه الله له فضل كبير وعظيم على العبد الفقير، فهو أحد من تلقيت عنه التوحيد وتفاصيله، وكنت أعتقد كثيرًا مما كان يعتقده أبو محمد، ولكن لا بد أن يُعلم أن متابعتي له إنما هو لاعتقادي بأن ما يطرحه ويكتبه في رسائله هو موافق للكتاب والسنة، وليس هو مجرد تقليد أعمى، ولو كان الأمر كذلك لكان تقليدنا لمن هو أكبر منه قدرًا، وأرفع منه علمًا أولى بنا، فأصل دعوتنا اتباع الكتاب والسنة، ومن ثَمَّ الأخذ بقول من وافقهما، وطرح ونبذ قول كل من خالفهما.

فكما أني استفدت من الشيخ أبي محمد -جزاه الله خيرًا- فقد استفدت من علماء آخرين؛ وهذا لا يعني أن ألتزم بكل ما يقوله المقدسي، والعلم ليس حكرًا عليه وحده، وما كل ما يقوله المقدسي صحيحاً ويجب اتباعه؛ ولا سيما في الأمور الاجتهادية والنوازل الحادثة.

وأنا في سيري في طريق الجهاد لا أقدم على أي مسألة إلا وضوابط الشرع أمام ناظري، ولا أتجرأ في مسألة حتى أستشير فيها أهل العلم الصادقين المجاهدين، والله يعلم أن الاتصالات لم تنقطع بيني

وبين بعض أهل العلم، ممن يفوق أبا محمد علمًا أستفتيهم في غالب ما يواجهني، وهم الآن مبتلون معتقلون في سجون الطواغيت، ولولا خشية تضررهم بذكر أسمائهم لصرحت بذلك.

وكل من يعرف العبد الفقير، ويعرف الشيخ داخل السجن وخارجه: يعلم علم اليقين أنني كنت أخالفه في كثير من المسائل، وخصوصًا المسائل المتعلقة بالجهاد والعمل الجماعي، وعندما خرجت من السجن وقررت أن أذهب إلى أرض الجهاد لم أستشر أبا محمد حفظه الله؛ بل كنت أرى طريقة أخرى لنصرة هذا الدين تختلف عن الطريقة التي يراها الشيخ المقدسي حفظه الله.

هذا مع حزني وأسفي أن تصدر مثل هذه المقالة من أبي محمد، الذي من أصول دعوته تعبيد الناس إلى الله؛ لا إلى ذواتهم وأشخاصهم... (مشيختي، وظلي، واستفادوا من اسمي...)[١] والله المستعان.

وهل مَرَّ بكم في الكتاب والسنة، أو في تاريخ سلفنا؛ أن المرء إذا استفاد من شيخ في علم ما؛ أنه يصبح عبدًا له، لا يجوز له أن يخالفه في اجتهاده، أو أن يقول بقول غيره من أهل العلم؟!

رابعًا: ذكر الشيخُ حفظه الله بأنني اشترطت على الشيخ أسامة بن لادن –حفظه الله– تدريس منهج أبي محمد كشرط للعمل معه.

أقول: هذا الكلام عارٍ عن الصحة تمامًا؛ فأنا لم أجلس يومًا مع الشيخ أسامة –حفظه الله– بخصوص هذا الشأن.

وأنا أسأل الشيخَ حفظه الله عن قوله: (منهج أبي محمد)؛ أهو منهج تفرد به لم يسبق إليه، أو أنه متبع فيه لغيره من أئمة سلفنا الصالح؟ فإن أجاب بالأول؛ فلا حاجة لنا بمنهجه، فديننا دين اتباع لا دين ابتداع، وفي منهج أسلافنا غُنْيَة عن منهج فلان وفلان، وإن أجاب بالثاني –وهو حَرِيٌّ

---

١ تعليق الطبعة الأولى: هذه كلمات استخدمها المقدسي خلال مقابلته مع الجزيرة.

به- فَعَلام ينسبه إلى نفسه، وهؤلاء مشايخ الجهاد في عصرنا قد دَعَوا إلى مثل ما كان يدعو إليه أبو محمد، وما سمعنا أحدهم يومًا أنه قال: هذا منهجي!!

ولا ينقضي عجبي كيف يطرح الشيخ مثل هذا الأمر؛ وهو لم يتبين مني، وثَمَّ تساؤلات تؤرقني: لماذا هذا الكلام في هذا الوقت بالغ الحساسية، ولا سيما أني الآن جندي من جنود الشيخ أسامة -حفظه الله-؟ وما المصلحة؟ ومن المستفيد من ذكره الآن؟

خامسًا: ذكر الشيخُ حفظه الله أني كنت أقلده في عدم جواز العمليات الاستشهادية، وأني قد توسعت فيها الآن في العراق.

أقول: ليس الأمر كما ذكر الشيخ؛ فأنا كنت أرى عدم جوازها عندما كنت في أفغانستان إبان الغزو الشيوعي لها؛ اتباعًا مني لبعض الفضلاء من هذا العصر، ولم أكن قد لقيت المقدسي بعد، وعندما التقيت به، وافق اعتقادي قوله، ثم عندما خرجنا من السجن وذهبت إلى أفغانستان مرَّة أخرى: التقيت بالشيخ أبي عبد الله المهاجر، وجرى حديث بيننا في حكم العمليات الاستشهادية، وكان الشيخ يذهب إلى جوازها، وقرأت له بحثًا نفيسًا في هذه المسألة، وسمعت له أشرطة مسجلة في ذلك، فشرح الله صدري لما ذهب إليه، ولم أتبنَّ جوازها فقط؛ بل بتُّ أرى استحبابها، وهذا والله من بركة العلم ولقاء أهله، ورتبت للشيخ المهاجر في معسكر هرات[1] دورة شرعية مصغرة لمدة عشرة أيام، قام خلالها ببيان حكم هذه العمليات للإخوة، مما كان له أعظم الأثر في نفوسهم.

ثم لماذا ينكر علي الشيخ تغير اجتهادي في حكم هذه العمليات، مع أنه كان يرى أولًا حرمتها، ثم هو الآن يرى جوازها بشروط وضعها؟ أليس من الإنصاف أنه إذا ذكر ذلك أن يذكر هذا؟!

روى البخاري تعليقًا، ووصله ابن أبي شيبة عن عمار، قال: (ثلاثٌ من جمعهنَّ جمع الإيمان: الإنصافُ من نفسك، والإنفاق من الإقتار، وبذل السَّلام للعالم).

[1] تعليق إتقان: أحد مدن خراسان.

سادسًا: ذكر الشيخُ حفظه الله بأنني سميت (جماعة التوحيد والجهاد) نسبة لموقعه المسمَّى بمنبر التوحيد والجهاد.

أقول: إن كَلِمَتَي: (التوحيد) و(الجهاد) مصطلحان شرعيان، كنا نرددهما ونتغنى بهما دائمًا في سجننا، فعلامَ ينكر علينا تسمية جماعتنا بهما؟ وهل هما حكر على أحد بعينه؟

وما ينقضي عجبي كيف يصدر هذا الكلام من مثل أبي محمد حفظه الله! وإن الذاكرة لتعود بي إلى تلك الأيام التي كنا نتذاكر فيها هموم الدعوة وما كنا نلاقيه من بعض أفراخ المرجئة والجهمية؛ كعلي الحلبي وغيره، الذين كانت مهمتهم تصنيف الناس على أساس الموافقة والمخالفة لهم؛ فمن وافقهم كان سلفيًّا، ومن خالفهم كان بدعيًّا، فكان الشيخ المقدسي –حفظه الله– يردِّد بأن السلفية ليست وكالة خاصة، ولا شركة مساهمة يحتكرها إنسان بعينه، ويحرمها على الآخرين، فما بال الشيخ حفظه الله اليوم يقع فيما كان ينكره بالأمس على الآخرين؟!

ولو أني شكلت جماعة باسم: (الجماعة السلفية للدعوة والقتال في العراق)، فهل يلزم من ذلك الانتساب للإخوة في الجزائر حفظهم الله؟

إن كثيرًا من علمائنا كانوا يصنفون التصانيف، مع تماثل مسمياتها، وما سمعنا إنكار أحدهم على الآخر، كـ(الزهد) لابن المبارك، وابن أبي عاصم، وأحمد بن حنبل، والبيهقي، و(أحكام القرآن) للجصاص، وابن العربي، و(فتح الباري) لابن رجب الحنبلي، وابن حجر العسقلاني، وغير ذلك كثير.

نعم، يمكن أن تكون محقًّا لو كنا سمَّينا جماعتنا بـ (جماعة التوحيد والجهاد المنبثقة عن منبر التوحيد والجهاد) أو التابعة لمنبر التوحيد والجهاد، أو التابعة للشيخ المقدسي، أو اتخاذ شعار المنبر نفسه، أو نحو ذلك.

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح لدى كل من يسمع هذا الكلام: ما المراد في ذكر هذه المسألة وتكرارها في كل محفل؟ وما الذي ستستفيده الأمة منها، مع أن جماعة التوحيد والجهاد أصبحت جزءًا من الماضي، وهي الآن منطوية تحت لواء تنظيم القاعدة؟

سابعًا: قال الشيخُ حفظه الله: إنه لا يرى تفجير الكنائس، وقتل المدنيين.

أقول: لا أدري من أين يأخذ الشيخ حفظه الله أخباره، ومن أين يتلقى معلوماته! مع العلم أنا قد صرحنا في شريط (وعاد أحفاد ابن العلقمي) بأننا لم نستهدف النصارى وغيرهم من المدنيين، ومما قلناه هناك: (وفي أَرض الرَّافدين طوائفُ عدة؛ كالصَّابئة، واليزيديِّين عبدة الشَّيطان، والكَلْدانيين، والآشوريين؛ ما مددنا أَيدينا بسوء إليهم، ولا صوبنا سهامنا نحوهم، مع أنَّها طوائف لا تَمُتُّ إلى الإسلام بصلة، ولكن لَمْ يظهر لنا أَنَّها شاركت الصَّليبيين في قتالهم للمجاهدين، ولَمْ تلعب الدَّور الخَسيس الذي لعبه الرَّافِضَة).

ثامنًا: تحفّظ الشيخُ على قتالنا للروافض، وذهب إلى أن عوامَّ الرَّافِضَة كعوامِّ أهل السنة.

أقول: أما قتالنا للروافض؛ فقد صرَّحنا مرارًا –ولا سيَّما في الشريط الآنف الذكر– أننا لم نبدأهم بقتال، ولا صوَّبنا إليهم النبال، وإنما هم بدؤوا بتصفية كوادر أهل السنة وتشريدهم، واغتصاب مساجدهم ودورهم، وما جرائم فيلق بدر عنا ببعيد، ناهيك عن تسترهم بلبوس الشرطة والحرس الوثني، ثم من قبل هذا كلِّه ولاؤهم للصليبيين، أفيسعنا بعد هذا كله أن نعرض عن قتالهم؟!

وأما القول بأن عوام الرَّافِضَة كعوام أهل السنة؛ فهذا –والله– من الظلم لعوام أهل السنة! أيستوي من الأصل فيهم التوحيد، مع من الأصل فيهم الاستغاثة بالحسين وبآل البيت، وصنيعهم في كربلاء وغيرها ما عاد يخفى على كل ذي عينين، هذا مع اعتقادهم العصمة في أئمتهم، ونسبة علم الغيب والتصرف في الكون إليهم، وغير ذلك من الشركيات التي لا يعذر أحد بجهلها؟

أيستوي من الأصل فيهم الترضي على أصحاب النبي ﷺ، مع من الأصل فيهم بغض الصحابة؛ بل لعنهم وعلى رأسهم صاحباه: أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما-، واتهام الصديقة عائشة -رضي الله عنها- بالفاحشة؟! فلا وربي لا يستويان.

واللهِ مَا اسْتَوِيَا وَلَنْ يَتَلَاقَيَا *** حَتَّى تَشِيبَ مَفَارِقُ الغِرْبَانِ[1]

ثم إن المطلع على أحوالهم في العراق؛ يعلم علم اليقين أنهم ما عادوا عوامَّ بالمفهوم الذي تريد؛ فقد أضحوا جنودًا للكافر المحتل، وعيونًا على المجاهدين الصادقين، وهل وصل الجعفري والحكيم وغيرهما من الرَّافِضَة إلى سدة الحكم إلا بأصوات هؤلاء؟! ومن الظلم أن يؤتى بفتوى ابن تيمية في عصره ثم تنّزل على واقع الرَّافِضَة اليوم (من دون النظر إلى الفوارق بين العصرين)، ثم هناك من العلماء من تكلم في كفر الرَّافِضَة بأعيانهم؛ كالشيخ حمود العقلاء رحمه الله، والشيخ سليمان العلوان والشيخ علي الخضير (فك الله أسرهما)، والشيخ أبي عبد الله المهاجر، والشيخ الرشود رحمه الله وغيرهم.

تاسعًا: ذكر الشيخُ حفظه الله في لقائه أنه لا يُحَبِّذُ ذهاب الشباب المجاهد إلى العراق؛ لأنها ستكون محرقة لهم، على حدِّ وصفه.

وهذه والله المصيبة الكبرى، أيعقل أن تصدر مثل هذه الفتوى عن مثل أبي محمد؟!

عن أي محرقة تتكلم أيها الشيخ الفاضل؟

إن المحرقة كل المحرقة في الإعراض عن تنفيذ حكم الله سبحانه وتعالى في النفير إلى ساحات الجهاد؛ قال تعالى: {انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ} [التوبة: ٤١].

إن المحرقة في التنكب عن القيام بما أجمعت عليه الأمة من وجوب نصرة المسلمين المستضعفين، الذين صال عليهم عدوهم، فاستباح ديارهم، وانتهك أعراضهم؛ قال تعالى: {وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ} [الأنفال: ٧٢].

---

[1] بيت في نونية ابن القيم (ج٢/ص٤٠٩).

إن المحرقة في التقاعس عن استنقاذ أسرى المسلمين من أبي غريب وغوانتنامو وغيرها.

إن المحرقة في التخاذل عن تحرير أخواتنا العفيفات الطاهرات، اللاتي ينتهك عرضهن صباح مساء على أيدي الصليبيين والروافض الحاقدين، على مرأى ومسمع من العالم.

إن الحجاج بن يوسف الثقفي -وهو من هو في ظلمه وبطشه- بلغه أن امرأة من المسلمين سُبيت بالهند فنادت: يا حجاجاه! فجعل يقول: لبيك لبيك، وأنفق سبعة آلاف ألفِ درهم، حتى افتتح الهند واستنقذ المرأة، وأحسن إليها[١].

أليس لازم الأخذ بهذا القول هو ترك الجهاد والقعود عنه، وتسليم بلاد المسلمين لعباد الصليب، ليفعلوا بهم ما يشاؤون؟!

إن النفير إلى ساحات الجهاد لا يقرب أجلًا ولا يباعد رزقًا، يقول النبي ﷺ: "إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا وأَجَلَها"[٢].

وهذا خالد بن الوليد -رضي الله عنه- شهد ما يربو على مائة غزوة، ثم هو -رضي الله عنه- يموت على فراشه.

ولهذا فإني أنصح المسلمين بالإعراض عن هذه الفتوى التي يرى فيها الشيخ أن نفير شباب الأمة للدفاع عن دينهم، والذود عن حرماتهم وأعراضهم: محرقة، مخالفًا بذلك إجماع الأمة في دفع العدو الصائل، وعليكم بعلماء المجاهدين وقادتهم؛ فهذا الشيخ أسامة بن لادن يرى أنكم على ثغر عظيم، ويقسم أنه لو وجد طريقًا إلى العراق لما تردد في النفير، والشيخ أيمن الظواهري يرى قتالكم فريضة وواجبًا، والشيخ سليمان العلوان، وكذا الشيخ أبو عبد الله المهاجر، والشيخ أبو الليث الليبي، والشيخ عبد الله الرشود رحمه الله، والشيخ يوسف العييري رحمه الله، والشيخ حمد الحميدي وغيرهم؛ يرون أن

---

[١] معجم البلدان، ياقوت الحموي، (ج٥/ص٣٥٠).

[٢] ذكر هذا اللفظ ابن الأثير في جامع الأصول، ورواه أبو نعيم في الحلية (ج١٠/ص٢٦) عن أبي أمامة -رضي الله عنه-، ورواه ابن حبان والحاكم وابن ماجه عن جابر -رضي الله عنه-، وله طرق أخرى، (إسناده صحيح).

الجهاد في العراق من أوجب الواجبات، فمرجعيتنا الكتاب والسنة، فما وافقها اتبعناه وما خالفها رددناه، وإن كان المخالف من أعلم الناس مع حفظنا لقدره وعلمه.

فوالله يا أبا محمد لو وقفت الأمة بأكملها، وقالت: إن الجهاد في العراق محرقة؛ لَما أطعتهم في ذلك إلا أن يأتوني بدليلٍ بين، كيف وكتاب الله ينطق بيننا بالحق، قال تعالى: {وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَـذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا} [النساء: ٧٥]؟

فلسنا -بحمد الله- رافضة، حتى نَصُمَّ آذاننا، ونعميَ أبصارنا، ونتبعَ مرجعيتنا على غير هدى وبصيرة، وهل هذه الفتوى، ولا سيما في هذا الوقت الذي غدا انكسار الجيش الأمريكي واضحًا للعيان؛ إلا وسيلة لإنقاذ بوش ومرتزقته، شعرنا أم لم نشعر، قصدنا أو لم نقصد؟

ولا أجد لرد شبهة الشيخ حفظه الله خيرًا من نقل كلام الشيخ حفظه الله نفسه في مقدمته لكتاب (جؤنة المطيبين) للشيخ أبي قتادة حفظه الله؛ حيث قال: (فلا يجوز أن نقف حجر عثرة بفتاوى أو أحكام قصيرة النظر، كليلة عن إدراك مقاصد الشريعة ومعرفة واقع المسلمين: فنصد عن كل قتال أو جهاد يقوم في الأرض يدفع فيه الصائل عن المسلمين المستضعفين أو مقدساتهم، بدعوى ما يتخلله من أخطاء أو انحرافات.. [...] فإن كنت يا عبد الله تروم جهادًا ربانيًّا خاليًا من تلك الشوائب والشبهات، وتشحّ بنفسك أن تبذلها إلا بمثل هذا الجهاد: فلك هذا، ولا يحل لأحد إنكاره عليك، فما هي إلا نفس واحدة، وليس ثم غيرها لتجرب بذلها ها هنا، ثم ها هنا.. ثم ها هناك.. [...]

لكن حذار أن تصدّن غيرك عن جهاد يجيزه بل يوجبه الشرع أحيانًا: لمجرد ما فيه من هنات أو أخطاء أو تشوهات.. بل سأذهب بحديثي أبعد من ذلك فأقول: حذار أن تصدّن عن قتال لأعداء الله، ولو كان المقاتلون ممن لا خلاق لهم وليسوا على سبيل المؤمنين.. [...]

أوَ ليس الوعي بسبيل المجرمين والنضوج في معرفة واقع المسلمين يقتضي إن لم نشارك: ألا نقف في وجه مثل هذه المواجهات، وألا نقف حجر عثرة في مثل هذه الميادين؟؟ [...]

ثم ما الدافع الذي يدفع مثل هؤلاء الشباب الأغرار إلى التخذيل والصد عن مثل هذه المواجهات والمدافعات؟ أهو حقًّا النصح لأهلها؟؟ فإن هذا متأتٍّ دون التخذيل عنها، والتهوين من شأنها وشأن الدماء النازفة فيها).

وأخيرًا: عملًا بقول النبي ﷺ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ"[1]؛ أقول للشيخ حفظه الله:

إن ما كتبته من المناصرة والمناصحة: هو في الحقيقة ليس من المناصرة في شيء؛ فقد ذكرتَ أمورًا لا تَمُتُّ إلى المناصحة بشيء؛ من سرد لوقائع ومحطات في تاريخنا الدعوي، بل للأسف لم تكن منصفًا فيها، ولم تتحرَّ الدقة في سردها، واعلم يا أبا محمد أنني قادر على تفنيد كثير من المغالطات التي ذكرتها وبكل قوة، ولكن هذه القوة والشدة والغلظة أدخرها لأعداء هذا الدين لا لإخواني، وهذا ما أمرنا به ربنا سبحانه وتعالى: {مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُم} [الفتح:٢٩].

وأحب أن أبشرك يا أبا محمد بأن عباد الصليب والعلمانيين، والروافض والحزب الإسلامي، والجهمية والمرجئة في العراق: يقومون بتوزيع هذه المناصرة على الناس؛ حتى يصدوهم عن اللحوق بركب المجاهدين.

واعلم يا شيخنا الفاضل أنه بُعيد لقائك مع قناة الجزيرة؛ بات أعداء الله بخير ليلة من العلمانيين وغيرهم من منافقي هذه الأمة؛ فهذا ذنب آل سلول (العواجي) يصرح مأمورًا من أسياده بأن المقدسي قد تراجع، وأن المجاهدين سيحصل بينهم انشقاق.

هذا الذي خرج على القنوات يوم مقتل (المقرن رحمه الله ورفع درجته) مناصرًا للطواغيت مخاطبًا المقرن والشيخ العييري رحمهما الله: بأنكما الآن في دار الحق، فماذا ستقولان لله عندما يسألكما عن النفوس المعصومة التي أُزهقت على أيديكما!

[1] رواه مسلم.

وإذا سُئِلت عن ذلك قلت بأن هؤلاء زوّروا كلامي، ولم أكن أقصد ما ذهبوا إليه (كما ذكرت في بيانك الأخير وما حصل من شأن الصحف).

فأقول: سامحك الله يا أبا محمد؛ ومتى كانت هذه الصحف والقنوات ممن يروم نصرة الحق وأهله وأنت الذي ممن كان يبصرنا بسبيلها؟!

فهلاّ انتظرت حتى يأتيك من أخبارنا ما يجلّي لك واقعنا الذي نعيش، ثم بعد ذلك اختر ما شئت من الطرق الشرعية للنصح؛ فما كان حقًّا أخذناه وعملنا به، وما كان غير ذلك بيّنّا لك وجهة نظرنا الشرعية واجتهادنا (حسب واقعنا الذي نعيش) والذي تجهله لبعدك عنه؟!

واعلم يا شيخنا الفاضل: أن هذا الأمر لا يضربي، بقدر ما يضر هذا الجهاد؛ فإنما أنا رجل من رجالات المسلمين، يوشك أن يُنادى عليَّ فألبي، ولكن الحزن كل الحزن على جهاد قائم؛ بادية بركاته لكل ذي عينين، يراد له أن يقوض بنيانه؛ فإن تمَّ لهم ما أرادوا –عياذًا بالله–: كان لك نصيب الأسد من ذلك.

أعيذك بالله أن تتبع خطوات الشيطان فتهلك؛ فاحذر يا شيخنا الفاضل من مكر أعداء الله، واحذر أن يستدرجوك لشق صف المجاهدين.

أما شعرت أيها الشيخ الجليل الاهتمام الملفت للأنظار من الإعلام بشتى وسائله بهذا اللقاء غير الموفق (توقيتًا ومضمونًا)؟!

ألم يدر بخلدك بأن هذه الأبواق المستأجرة لم تسعَ يومًا لإحقاق حق أو لإزهاق باطل؟ وإنما لتفريق كلمة المسلمين ودس السم بالعسل، لقد خرج علينا المراسل –الذي أجرى معك اللقاء– في برنامج (ما وراء الخبر)؛ يقول: إن الأجهزة الأمنية اتصلت بالشيخ وأنا عنده، تطلب منه إجراء مقابلة مع إحدى القنوات الفضائية.

أتدري ما معنى هذا الكلام يا شيخنا الفاضل؟

أما علمت ماذا ستترك هذه المقولة في أذهان المسلمين؟

اعلم أيها الشيخ الجليل؛ أنني قد أشك في نفسي ولكن لست ممن يشك لحظة في دينك، ولكن يا أبا محمد لماذا غفلت عن حديث (صفية)؟!

فعن عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ: كانَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، وَعِنْدَهُ أَزْواجُهُ، فَرُحْنَ، فقالَ لِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ: "لا تَعْجَلِي حَتَّى أَنْصَرِفَ مَعَكِ"، وَكانَ بَيْتُها فِي دارِ أُسامَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَها، فَلَقِيَهُ رَجُلانِ مِنَ الأَنْصارِ، فَنَظَرَا إلى النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ أَجازا، وَقالَ لَهُما النَّبِيُّ ﷺ: "تَعالَيَا، إِنَّها صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ"، قالا: سُبْحانَ اللَّهِ يا رَسُولَ اللَّهِ! قالَ: "إِنَّ الشَّيْطانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يُلْقِيَ فِي أَنْفُسِكُما شَيْئًا"[1].

فلماذا جعلت للأعداء سبيلًا على إخوانك؟! (حسبنا الله ونعم الوكيل).

وقبل الختام لا بد من القول؛ بأن الشيخ المقدسي حفظه الله ممن يُحفظ لهم حقهم وبلاؤهم، وهو ممن يُحسَن الظن به، وهو أولى الناس بالمعذرة وإقالة العثرة، ولا أظن موحدًا في هذا الزمان إلا وللشيخ عليه فضل، فلا يعني إن جانب الصواب في مسألة ما أن يحط من قدره وعلمه وحفظ سابقته وبلائه، ولولا خطورة ما تكلّم به الشيخ، وما سيترتب عليه من آثار سيئة على الجهاد والمجاهدين: لم يكن هذا الرد.

أسال الله أن يعفو عنا وعنه، وأن يغفر لنا وله، وأن يختم لنا وله بالحسنى، وألا يجعل لأعدائه علينا وعليه سبيلًا.

وصلِّ اللهم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

---

[1] رواه البخاري.

كتابات متفرقة

إِفَادَةُ أَسِير: وَيَا قَوْمِ مَا لِيْ أَدْعُوكُمْ إِلى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلى النَّارِ![١]

٤ ذو القعدة ١٤١٤ هـ || ١٥ أبريل ١٩٩٤ م

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، إله المرسلين، الذي أنزل الكتاب المبين على قلب نبيه ليكون نذيرًا للعالمين، مالك يوم الدين، الذي له الحمد في الأولى والآخرة، وله الحكم وإليه ترجعون، ثم الصلاة على خير من بعث فأدى، وبلغ فأوفى، وراوده المشركون للتنازل عن دينه فأبى، فصلوات الله وسلامه عليه تترى، حتى يتقبل ويرضى، أمَّا بعد:

فنحن قوم كنا في جاهلية جهلاء، في وقت عُطّلت فيه أحكام الله المطهرة ونُسي كتاب الله جانبًا، واستُبدِلت به شرائعُ شتى من أذهان وحثالات البشر؛ فأصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنةُ بدعةً والبدعةُ سنةً، وأُشيعت الفاحشة بين الناس، وفشَا الزنا في أشراف القوم وعامتهم، وأصبح الربا والخمر يسمَّيَان بغير اسمَيهما؛ تغطيةً للحق وتجميلًا لصورة الباطل، وصدق رسول الله ﷺ إذ يقول في الحديث الصحيح: "يَشْرَبُ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بغَيرِ اسْمِهَا"[٢]، وقطعت الأرحام، واستبيحت الحرم، وأُزهقت الأنفس، وسالت الدماء بغير حق؛ كل ذلك سببه غياب حكم الله عز وجل الذي فيه السعادة الأبدية، قال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠].

فمنَّ الله علينا بأن أنار لنا طريق الهداية بعد ظلام دامس خيم عليه الشرك والفسوق والعصيان، وبصر أعيننا وأفئدتنا إلى الحق، في وقت أصبحت فيه عيون كثيرٍ من الناس مصابة بالعشى -فنسأل الله العافية-؛ قال تعالى: {أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا} [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: {فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ

---

[١] ألقاها أمام المحكمة العسكرية في الأردن وحُكِمَ عليه في حينها ١٥ سنة، وهذه الإفادة نشرتها مجلة المنهاج في ذلك الوقت. وهنالك إفادات أخرى لم تنشر له.

[٢] رواه ابن ماجه عن عبادة بن الصامت -رضي الله عنهما-. قال الهيثمي في المجمع: ثابت بن السمط مستور، وبقية رجاله ثقات، وحسّن إسناده ابن حجر في الفتح، والمناوي في التيسير. ورواه أحمد من طريق آخر باختلاف يسير في اللفظ، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين.

صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاء} [الأنعام: ١٢٥].

فنهضنا بفضل الله عز وجل ندعو الناس للرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وإلى متابعة أمره ونهيه والتحذير من عصيانه ومخالفة أمره، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنيا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ} [غافر: ٣٨-٣٩]، فلا سبيل للرشاد إلا بالتمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فلا يطاع غيره، ولا يعبد غيره، ولا يحكم سواه في قليل ولا كثير، قال تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّين} [البينة: ٥]، وقال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلهِ رَبِّ الْعَالَمِين} [الأنعام: ١٦٢].

ولكن سنة الله ثابتةٌ في أن الحق والباطل يصطرعان إلى يوم القيامة، فما راق لأصحاب الباطل أن يروا أصحاب الحق يدعون الناس إلى التوحيد، وما طاب لأهل الشرك والتنديد أن يروا أهل التوحيد يخرجون الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، قال تعالى: {وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [الزمر: ٤٥].

فرجوع الناس إلى ربهم معناه انتهاء جولة الباطل وانتهاء حكمهم وفقدانهم لملذاتهم وشهواتهم، فكيف يعيش رؤوس القوم سواسية مع المساكين والضعفاء، لهم ما للمساكين وعليهم ما على المساكين؟ قال تعالى: {فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ} [هود: ٢٧]، وقال تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنيا} [الكهف: ٢٨].

روى الإمام أحمد وغيره في سبب نزول هذه الآية: أنه مر ملأ من قريش على رسول الله ﷺ –وعنده خباب بن الأرت وصهيب وبلال وعمار–؛ فقالوا: يا محمد؛ أرضيت بهؤلاء؟! أهؤلاء مَنّ الله عليهم من بيننا؟! لو طردت هؤلاء لاتَّبعناك![1]

فأرادوا أن يوقفوا هذا السيل الجارف للباطل، المطهر للأرض من الشرك، فعملوا على محاربتنا بشتى الوسائل، قال تعالى: {وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد} [البروج: ٨].

فهذه الدعوة نحملها لنزفها إلى الناس مبشرين بجنة عرضها السماوات والأرض إن أطاعوا، ومحذرين إياهم من عقاب الله إن خالفوا واتبعوا أهواءهم.

أيها القاضي بغير ما أنزل الله؛

تعلم أن خلاصة دعوتنا متمثلة بقوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوت} [النحل: ٣٦]، فإن أول وأهم ما افترض الله على عباده تعلمه والعمل به هو التوحيد –أي الكفر بالطاغوت والإيمان بالله–؛ قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُون} [الذاريات: ٥٦]، قال المفسرون: أي ليوحدوني وحدي.

وقد تظنون أيها القضاة أن العبادة إنما هي الصلاة والصيام والزكاة فقط، فتقولون: نحن نعبد الله، وهل ترانا نعبد غيره؟! فنصلي ونسجد ونصوم ونذبح لله! فأقول لكم: إن العبادة ليست كما تفهمونها بهذا الفهم الضيق، بل هي أوسع وأشمل مما تظنون؛ فكلمة التوحيد التي خلق الله من أجلها الخلق وأرسل الرسل وأنزلت عليهم الكتب هي: "لا إله إلا الله".

وتنقسم إلى شقين:

شق النفي؛ وهو "لا إله"؛ أي لا معبود بحق سوى الله، فتنفي الألوهية عن غير الله، فلا يعبد غيره في صيام ولا صلاة ولا حج ولا تشريع.

---

[1] رواه أحمد والطبراني والطبري في تفسيره، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير كردوس، وهو ثقة.

والشق الآخر، الإثبات؛ وهو: "إلا الله"؛ أي إثبات الألوهية لله وحده، فلا يطاع غيره في كل كبيرة وصغيرة.

فجاءت هذه الكلمة العظيمة –كلمة التوحيد– التي لا ينجو العبد من النار إلا بتحقيقها وبالإتيان بشروطها ومقتضياتها، فقول الله عز وجل: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا} [البقرة: ٢٥٦]، جاءت مفسرة لهذه الكلمة العظيمة، فقوله: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ}، أي: ينفي الألوهية والعبودية عن غير الله، وقوله: {يُؤْمِن بِاللهِ}، إقرار وإثبات لعبودية الله وحده.

وقد ضمن الله لمن آمن به وحده وكفر بالطاغوت بأنه المتمسك بالعروة الوثقى، تلك العروة التي لا نجاة إلا بالتشبث بها، فالصلاة عروة والزكاة عروة والحج عروة وأعمال البر عرى كلها، ولكن من تمسك بأي عروة من هذه العرى ولم يستمسك بعروة التوحيد: فلا شك أنها تنفصم ولن تنفعه عند الله، قال تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا} [الفرقان: ٢٣]؛ لأنها لم تؤسس على التوحيد الخالص، قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ} [الغاشية: ٢-٣].

مَرَّ عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– بدير راهبٍ، فناداهُ: (يا راهب)، فأشرف، فجعل عمر ينظر إليه ويبكي، فقيل له: يا أمير المؤمنين؛ ما يبكيك من هذا؟ قال: (ذكرت قوله عز وجل: {عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً} [الغاشية: ٣-٤]، فذاك الذي أبكاني)[1]، عملت كثيرًا ونصبت فيه، وصليت يوم القيامة نارًا حامية.

فلذلك أول ما يسأل العبد يوم القيامة عن توحيده، وتحقيقه لعبودية الله وحده، ولذلك جاء في الحديث الصحيح عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن، قال: "إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ، –وفي رواية: أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ[2]– [...]

---

[1] رواه أبو بكر البرقاني، مسند الفاروق، ابن كثير (ج٢/ص٦١٧) وقال ابن كثير: إسناده جيد. ورواه الحاكم وعبد الرزاق في تفسيره (إسناده ضعيف).
[2] رواه البخاري في باب ما جاء في دعاء النبي أمته إلى توحيد الله.

فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ..."[١]، فلم يدعُهم بداية إلى الصلاة والزكاة والحج وغيرها من شرائع الإسلام، ولكن أمره الرسول ﷺ أن يدعوهم إلى عبادة الله وحده.

قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُواْ اللهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوت} [النحل: ٣٦].

والطاغوت لغة: كل ما زاد عن حده؛ قال تعالى: {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاء حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَة} [الحاقة: ١١] أي عندما زاد الماء عن حده حملناكم في السفينة.

والطاغوت اصطلاحًا: هو كل ما عبد من دون الله، وهو راض بالعبادة.

وتتنوع أشكال الطاغوت؛ فتارة يكون الطاغوت صنمًا، وتارة قبرًا أو إنسانًا أو قانونًا، ولقد كانوا في الجاهلية الأولى يعبدون الأصنام ويذبحون عندها ويدعونها، وجاء بعدهم من عبد القبور فيذبحون لها ويتبركون بها ويتخذونها آلهة وأربابًا تعبد من دون الله، ولكن ابتلي الناس في هذا العصر باتخاذهم لونًا آخر من الآلهة يعبدونها؛ وهي طاعة أشخاص تابعوهم بالتحريم والتحليل، فيشرعون لهم ما يوافق أهواءهم، فيحلون لهم الحرام ويحرمون عليهم الحلال، فمن تابعهم على ذلك اتخذهم أربابًا من دون الله، قال تعالى: {إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاه} [يوسف: ٤٠].

روى الإمام أحمد وغيره عن عدي بن حاتم -كان نصرانيًّا ثم أسلم-: دخل علي النبي ﷺ وهو يقرأ قول الله عز وجل: {اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ الله} [التوبة: ٣١]، فقال: يا رسول الله؛ ما عبدوهم -وكان يظن أن العبادة إنما هي الركوع والسجود-، فقال رسول الله ﷺ: "أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتُحِلُّونَهُ؟"، قال: بلى، قال: "فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ"[٢].

---

[١] رواه البخاري.
[٢] رواه أحمد والترمذي، وحسنه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (هؤلاء الذين اتَّخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا [من دون الله] حيث أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله وتحريم ما أحلَّ الله[... إن علموا] أنَّهم بدَّلوا دين الله فتابعوهم على التَّبديل [...] فهذا كفرٌ، فقد جعله الله ورسوله شركًا، وإن لم يكونوا يُصلُّون ويسجدون لهم)[١].

ويقول في موضع آخر: (ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسُنَّةِ رسوله واتَّبع حُكم الحاكمِ المخالف لحُكم الله ورسوله: كان مُرتدًّا كافرًا يستحقُّ العقوبة في الدُّنيا والآخرة)[٢].

قال تعالى: {المص * كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلاَ يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُواْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلاَ تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاء قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} [الأعراف: ١-٣]، ويقول تعالى: {وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} [الأنعام: ١٢١]، روى الطبراني عن ابن عباس لما نزلت هذه الآية، أرسلت فارس إلى قريش أن خاصموا محمدًا، وقولوا له: تذبح أنت بيدك بسكين فهو حلال، وما ذبح الله عز وجل فهو حرام؟!

أيها القاضي بغير ما أنزل الله؛

إذا عرفت هذا، وظهر لك أن الكفر البواح والشرك الصراح اتخاذ غير الله مشرعًا -سواءً كان هذا المشرع عالـمًا أو حاكمًا أو نائبًا أو شيخ عشيرة- وعلمتم أن الله قد حكم على الشرك في كتابه، فقال: {إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} [النساء: ٤٨]،

ثم علمتم أن المادة "٢٦" من دستوركم الوضعي تنص على:

أ- السلطة التشريعية تناط بالملك وأعضاء مجلس الأمة.

ب- تمارس السلطة التشريعية وغيرها صلاحياتها ومهامها وفقًا لمواد الدستور.

---

[١] مجموع الفتاوى، (ج٧/ص٧٠).
[٢] المرجع السابق، (ج٣٥/ص٣٧٢-٣٧٣).

عرفتم أنَ كُلَ مَنْ قَبِلَ بِهذا الدين المُحدث والكفر البواح المناقض لدين الله تعالى وتوحيده: أنه قد اتخذ هؤلاء المشرعين أربابًا من دون الله تعالى، يشركهم مع الله في عبادته.

قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله تعالى -وكان قاضي المحاكم الشرعية في بداية تحكيم مصر للقوانين الوضعية-: (هذه القوانين التي فرضها على المسلمين أعداء الإسلام: هي في حقيقتها دين آخر جعلوه دينًا للمسلمين بدلًا من دينهم النقي السامي؛ لأنهم أوجبوا عليهم طاعتها، وغرسوا في قلوبهم حبها وتقديسها والعصبية لها... حتى جرى على الألسنة والأقلام -كثيرًا- كلمات "تقديس القانون" و"قدسية القانون" و"حرمة المحكمة"، وأمثال ذلك من الكلمات التي يأبون أن توصف بها الشريعة الإسلامية وآراء الفقهاء، بل حينئذ يصفونها بـ "الرجعية" و"الجمود" و"شريعة الغاب"، إلى أمثال ما ترى في الصحف والمجلات والكتب المدرسية التي يكتبها أتباع أولئك الوثنيين...).

ثم بَيَّنَ كيف تدرج الأمر بالمسلمين: (فصاروا يطلقون على هذه القوانين ودراستها "الفقه" و"الفقيه" و"التشريع" و"المشرّع"، وما إلى ذلك من الكلمات التي تطلق على الشريعة وعلمائها...).

ثم بَيَّنَ كيف وصل الحال بهم إلى الدرك الأسفل: (فنفوا شريعتهم الإسلامية عن كل شيء، وصرح كثير منهم في كثير من أحكامها القطعية الثبوت والدلالة بأنها لا تناسب هذا العصر، وإنما شرعت لقوم بدائيين غير متمدنين، فلا تصلح لهذا العصر الإفرنجي الوثني خصوصًا في الحدود المنصوصة في الكتاب، والعقوبات الثابتة في السنة...)!

إلى أن قال: (ولقد ربى لنا المستعمرون من هذا النوع طبقات أرضعوهم لبان هذه القوانين، حتى صار منهم فئات عالية الثقافة واسعة المعرفة بهذا اللون من الدين الجديد الذين نسخوا به شريعتهم، ونبغت فيه نوابغ يفخرون بها على رجال القانون في أوروبا، فصار المسلمون من أئمة الكفر ما لم يبتل به الإسلام بأي زمن آخر...)!

وانتهى بقوله: (وصار هذا الدين الجديد والقواعد الأساسية التي يتحاكم إليها المسلمون في أكثر بلاد الإسلام، فسواء منها ما وافق في بعض أحكامه شيئًا من أحكام الشريعة أو ما خالفها)[1]..

وانظروا إلى مشرعيكم أمثال محمد فاضل والسنهوري أين هم الآن؟ إنهم تحت أطباق الثرى... يا لله ويا للعجب! مشرّعوكم يموتون! ولكن ربنا ومشرعنا وحاكمنا حي لا يموت.

قال تعالى: {أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُون} [المائدة: ٥٠]، قال ابن كثير: (ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كلِّ خيرٍ، النَّاهي عن كلِّ شرٍّ، وعدلٍ إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، الَّتي وضعها الرِّجال بلا مستندٍ من شريعة الله [...]، فمن فعل ذلك منهم فهو كافرٌ يجب قتاله، حتَّى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليلٍ ولا كثيرٍ...).

أيها القاضي بغير ما أنزل الله؛

من أجل هذا عادانا قومنا، ورمونا عن قوس واحدة، وظاهرونا بالعداء الصريح، وبذلوا الغالي والرخيص من أجل القضاء على هذه الدعوة العظيمة، ولكن أنى لهم؟ والله جل ذكره يقول: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} [التوبة: ٣٢]، وقال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} [النور: ٥٥].

فالقضية ليست قضية (قنابل وسلاح ومتفجرات)، وإنما قضية دعوة توحيد ودين، فلقد طوردنا منذ مدة طويلة، وكان السبب لأن إخواننا بدؤوا ينشرون هذه الدعوة الكريمة -دعوة الأنبياء- بين الناس، وقاموا بعقد حلقات الدروس في المساجد والبيوت، من أجل إخراج الناس من الشرك إلى التوحيد، ومن ضيق الدُّنيا إلى سعة الدُّنيا والآخرة، ومن الجور والظلم إلى العدل والأمن، ومن نار جهنم إلى جنات عدن، قال تعالى: {يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ

---

[1] حكم الجاهلية، (ص٣٣-٣٥)، بتصرف يسير من الزرقاوي.

وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ} [الأحقاف: ٣١]، وقد كنا سمعنا وقرأنا عما يفعله زبانية المخابرات في ساحات التعذيب، وما اقترفوه بحق إخوان لنا سموا بـ "قضية مؤتة"، وما فعله زبانية المخابرات من تعذيب جسدي ومحاولة إهانة وتدنيس لكرامة هؤلاء الفتية.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: أنه جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رسول الله ﷺ فَقَالَ: يَا رسولَ اللهِ؛ أَرَأَيت إِنْ جَاءَ رجلٌ يُرِيدُ أَخْذَ مَالِي؟ قَالَ: "فَلَا تُعْطِهِ مَالَكَ"، قَالَ: أَرَأَيتَ إِنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: "قَاتِلْهُ"، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: "فَأَنْتَ شَهِيدٌ"، قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: "هُوَ فِي النَّارِ"[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والعدوُّ الصَّائل الَّذي يفسد الدِّين ليس أوجب بعد الإيمان من دفعه)[2]، ونحن بفضل الله أصحاب دعوة عظيمة حملها قبلنا الأنبياء والصالحون، فلا بد لحامل هذه الدعوة أن يكون صاحب أنفة وعزة وكرامة، فوالله إن الموت أحب إلينا من أن يدنس عرض أحدنا، والموت أحب إلينا من أن يداهم جنود الطاغوت بيوتنا فيقودونا من بين أهالينا وأطفالنا...

نحن -أيها القاضي- لا نقول هذا حتى نعلمك بحالنا، ولكن نقول هذا من باب قول الله عز وجل: {وَكَذَلِكَ نفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِين} [الأنعام: ٥٥]، فنحن نعلم -بفضل الله- ما هي تكاليف هذه الدعوة العظيمة وما يتبعها من أذى بجميع أشكاله، قال تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور} [آل عمران: ١٨٦].

فنبين لك -ولا يخفى عليك- مناداتكم بالديمقراطية -ذلك الدين الكفري المحدث- فتقتلون الناس باسم الديمقراطية، وتبيحون الخمر والزنا والفساد باسم الديمقراطية، وتزعق أبواقكم الإعلامية بشتى وسائلها تزين صورة هذا الدين المحدث وتصفه بالعدل والاتزان، وحرية الفرد وكرامة المواطن - وما قتل "محمود العوالمة" إلا دليل على كرامة المواطن عندكم-، فها أنتم تزجون باسم الديمقراطية الكافرة الناس في غياهب السجون أسرابًا إثر أسراب، تهمهم شتى، ما أنزل الله بها من سلطان،

---

[1] رواه مسلم.
[2] الفتاوى الكبرى، (ج٥/ص٥٣٨)، بتصرف يسير من الزرقاوي.

ومنها التهمة المضحكة المسماة "إطالة اللسان"؛ فكل إنسان يقف في وجوهكم ليصدع بكلمة الحق تعاقبونه لأنه أطال اللسان على النظام وطواغيته! فما هي إطالة اللسان في شرعكم وقانونكم الوضعي؟!

يقول الله عز وجل في كتابه: {وَلاَ تَسُبُّواْ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ فَيَسُبُّواْ اللّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ} [الأنعام: ١٠٨]؛ يقول الحافظ ابن كثير في تفسيره هذه الآية: فالسب المجرد في ديننا إن كان يترتب عليه مفسدة أعظم ينهى عنه[١].

ولكن هذه الدعوة العظيمة التي فصلناها لكم والتي تسمونها أنتم في شرعكم "إطالة لسان": هي في شرعنا المطهر حق وواجب؛ كما قال رسول الله ﷺ: "سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَرَجُلٌ قَامَ إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ، فَأَمَرَهُ وَنَهَاهُ، فَقَتَلَهُ"[٢]، فقول الحق وتعرية الباطل مطلوب في شرعنا، قال الصحابي في الحديث الصحيح: (بايعنا رسول الله ﷺ على السَّمع والطَّاعة في منشطنا ومكرهنا، وأن نقُول بالحقِّ، لا نخافُ في الله لومة لائمٍ)[٣].

قال تعالى مادحًا هؤلاء: {الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} [الأحزاب: ٣٩]، فعندما يقف الموحد يتكلم بما يعتقد من كتاب الله وسنة نبيه، داعيًا الناس إلى التوحيد، محذرًا إياهم من الشرك والمشركين ومن متابعتهم، موضحًا ذلك بالدليل النقلي من كتاب الله وسنة نبيه، والعقلي مما جبلت عليه فطرة المؤمن كقول الله عز وجل: {وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُون} [المائدة: ٤٤]، فمن يقف ينكر أن من لم يحكم بما أنزل الله، معطّلًا لشرعه، مستبدلًا بحكمه: غير كافر؟!

فهل تبيين ما في كتاب الله عن الذي يحكم بغير ما أنزل الله، يعتبر في شرعكم الوضعي إطالة لسان؟!

---

[١] ذكره الزرقاوي بالمعنى، تفسير القرآن العظيم، (ج٣/ص٣١٤).

[٢] رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد، وقال الذهبي في السير: سنده ضعيف، مرفوعًا عن جابر.

[٣] ذكره الزرقاوي مختصرًا ومجمعًا من عدة روايات، رواه البخاري ومسلم والنسائي وأحمد وابن ماجه باختلاف في اللفظ.

ولقد صدق رسول الله ﷺ حين قال: "يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ أُمَرَاءُ ظَلَمَةٌ وَوُزَرَاءُ فَسَقَةٌ وَقُضَاةٌ خَوَنَةٌ وَفُقَهَاءُ كَذَبَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ الزَّمَانَ مِنْكُمْ فَلَا يَكُونَنَّ لَهُمْ جَابِيًا وَلَا عَرِيفًا وَلَا شُرَطِيًّا"[1]، وهذا حديث صحيح إذا ذكرناه نصحًا لكم؛ قلتم: "إطالة لسان"، وهذا زمان انقلب فيه الحق باطلًا والباطل حقًّا.

فلقد كان رسول الله ﷺ -وقبله الأنبياء- يعرون أصنام القوم وآلهتهم المدعاة، ويسفهون أحلامهم، قال تعالى ذاكرًا إبراهيم: {قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [الأنبياء: ٦٦-٦٧]، وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ عندما سأله صناديد قريش وطواغيتهم: أأنت الذي تسب آلهتنا وتسفه أحلامنا؟ قال: "نَعَمْ"[2]، مع أن دعوته لم يكن فيها شتم ولا سب ولا فحش...

فهذه سنة أنبيائنا عليهم السلام، وعلى خطاهم نسير إن شاء الله تعالى.

بينما الذي يسب خالق كل شيء يحاكم -في شرعكم- بأيام قليلة أقل ممن يسب حاكمكم! بالله عليك أيها القاضي بغير ما أنزل الله من هو ربكم إذًا؟!

أنتم تقولون في شعاراتكم: (الله، الوطن، الملك)، فالله كتابةً مقدم على الوطن والملك، ثم عقوبة من "أطال لسانه" على الملك أكبر من عقوبة من "أطال اللسان" على الله عز وجل، فمن هو الإله الحق في شرعكم؟!

أيها القاضي بغير ما أنزل الله؛

قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا * وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا * يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لاَ

[1] رواه الطبراني في الأوسط والصغير، عن أبي هريرة، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد، (ج١١/ص٥٧٨). طبعة بشار. قال ابن حجر في المطالب: حديث ضعيف الإسناد.

[2] ذكره الزرقاوي مختصرًا، رواه أحمد في فضائل الصحابة، (ج١/ص٤١٢)، ورواه الطبراني في الأوسط، ورواه بنحوه النسائي في السنن الكبرى.

يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا * هَا أَنتُمْ هَؤُلاء جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا فَمَن يُجَادِلُ اللّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا} [النساء: ١٠٥-١٠٩]،

ولا يكون الحق إلا في كتاب الله.

أذكركم أيها القضاة بقول الرسول ﷺ: "القُضَاةُ ثَلَاثَةٌ: قَاضِيَانِ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ فِي الجَنَّةِ، -أما القاضيان اللَّذان في النار- رَجُلٌ قَضَى بِغَيْرِ الحَقِّ فَعَلِمَ ذَاكَ فَذَاكَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ لَا يَعْلَمُ فَأَهْلَكَ حُقُوقَ النَّاسِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَقَاضٍ قَضَى بِالحَقِّ فَذَلِكَ فِي الجَنَّةِ"[١]، والحق ما وافق الشرع وحده.

فوالله إننا على هدايتكم لحريصون، وإنها والله أيامٌ قلائلُ وتنقضي هذه الحياة الدُّنيا، فربح فيها من ربح وخسر فيها من خسر، فإنكم ما تقضون على أحد من قضاء إلا وسيقضي عليكم يوم القيامة قضاء أدهى وأمر -عندما تقبلون على الله فرادى-، قال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاء ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاء لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} [الأنعام: ٩٤]، عندها -والله- لن تجدوا لكم من دون الله وليًا ولا نصيرًا، فهذه النياشين والرتب والبزات العسكرية الناعمة لن تنفعكم عند الله، ففي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ، قال: "يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا"، فقالت عائشة -رضي الله عنها-: يَا رَسُولَ اللهِ؛ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟! قَالَ: "يَا عائِشَةُ؛ الأمرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذلِكَ"[٢]، وأما القاضيان اللذين عن شمالك ويمينك معتمدًا عليهما في قضائك، وهما لك كالجناحين للطائر؛ فلن يغنيا عنك من الله شيئًا، وستأتي يوم القيامة بدونهما، قال تعالى: {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا} [مريم: ٩٥].

فنحن -بفضل الله- لن يهمنا ما دبرتموه في الخفاء مكرًا بنا، فالأمر أمر الله، والقضاء قضاء الله، قال تعالى: {وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ} [غافر: ٢٠]؛ فقضاؤكم إنما يكون في هذه الأرض، قال عز وجل مخبرًا عن سحرة فرعون -لما آمنوا-: {قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى

[١] رواه الترمذي، (إسناده صحيح)، ورواه أبو داود وابن ماجه بنحوه.
[٢] متفق عليه.

مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنيا} [طه: ٧٢]، وما سجونكم بالتي تثنينا عن عزمنا بمواصلة دعوتنا إلى الله وحده، فأنتم -والله- السجناء، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (المحبوس من حُبِس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه)[١]، وقال النبي ﷺ: "يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَمْثَالَ الذَّرِّ، فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ"[٢]، فهذا هو السجن الأبدي السرمدي، لا كسجنكم هذا، -بفضل الله وكرمه- وسع الله علينا سجونكم بذكر الله فأمست مدارس للدعوة وتعليم كتاب الله، قال تعالى: {وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته ويُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا} [الكهف: ١٦].

فأنتم تعقدون في محاكماتكم هذه المسرحيات لمحاكمتنا بقانونكم الوضعي، ولكن اعلموا أيها القضاة بأنكم إن متم على ما أنتم عليه؛ فعندها سنلتقي هناك في محكمة العدل عند مليك مقتدر، وستجدون هذا كله في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

اللهم هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

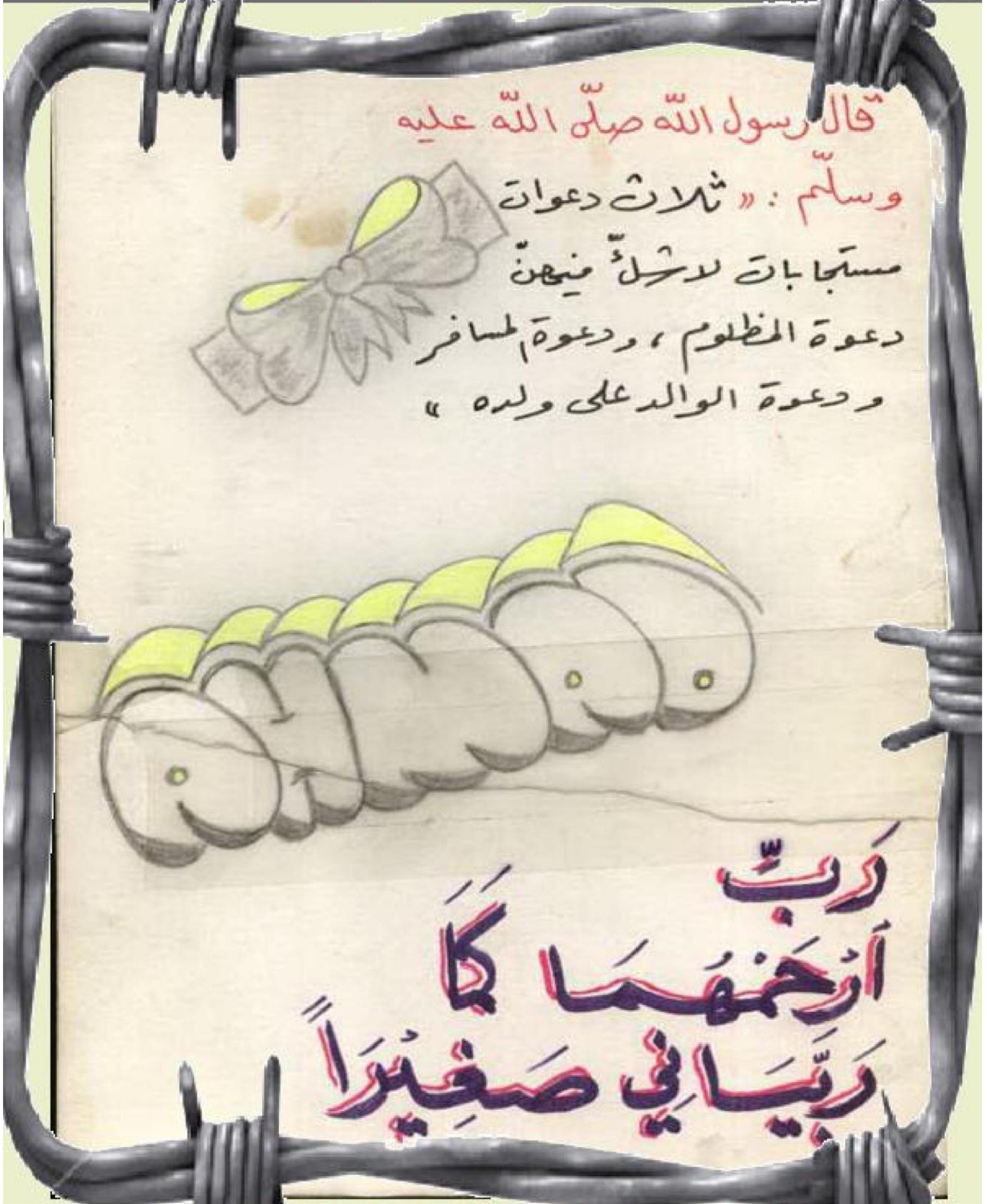
إِفَادَةُ الأَسِيرِ:

أَحْمَد فَضِيل نَزّال الخَلايِلَة

[١] رواه ابن القيم في الوابل الصيب، (ص١٠٩).
[٢] رواه أحمد، وابن أبي شيبة والترمذي ، والبخاري في الأدب المفرد، (إسناده حسن).

من رسائله إلى أمه -رحمها الله- [١]

رسالة (١)



رسالة (٢)



إلى الغالية الصابرة

الحنونة .. أمي

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم» وقال تعالى: «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون» وقال تعالى: «ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين، الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنّا إليه راجعون»

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «وما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه خطيئة».

وقال عليه الصلاة والسلام: «أشدّ الناس بلاءً الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان في دينه صُلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه رقّة ابتلي على قدر دينه».

وقال عليه الصلاة والسلام: «إعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسراً»

وقال تعالى «يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين».

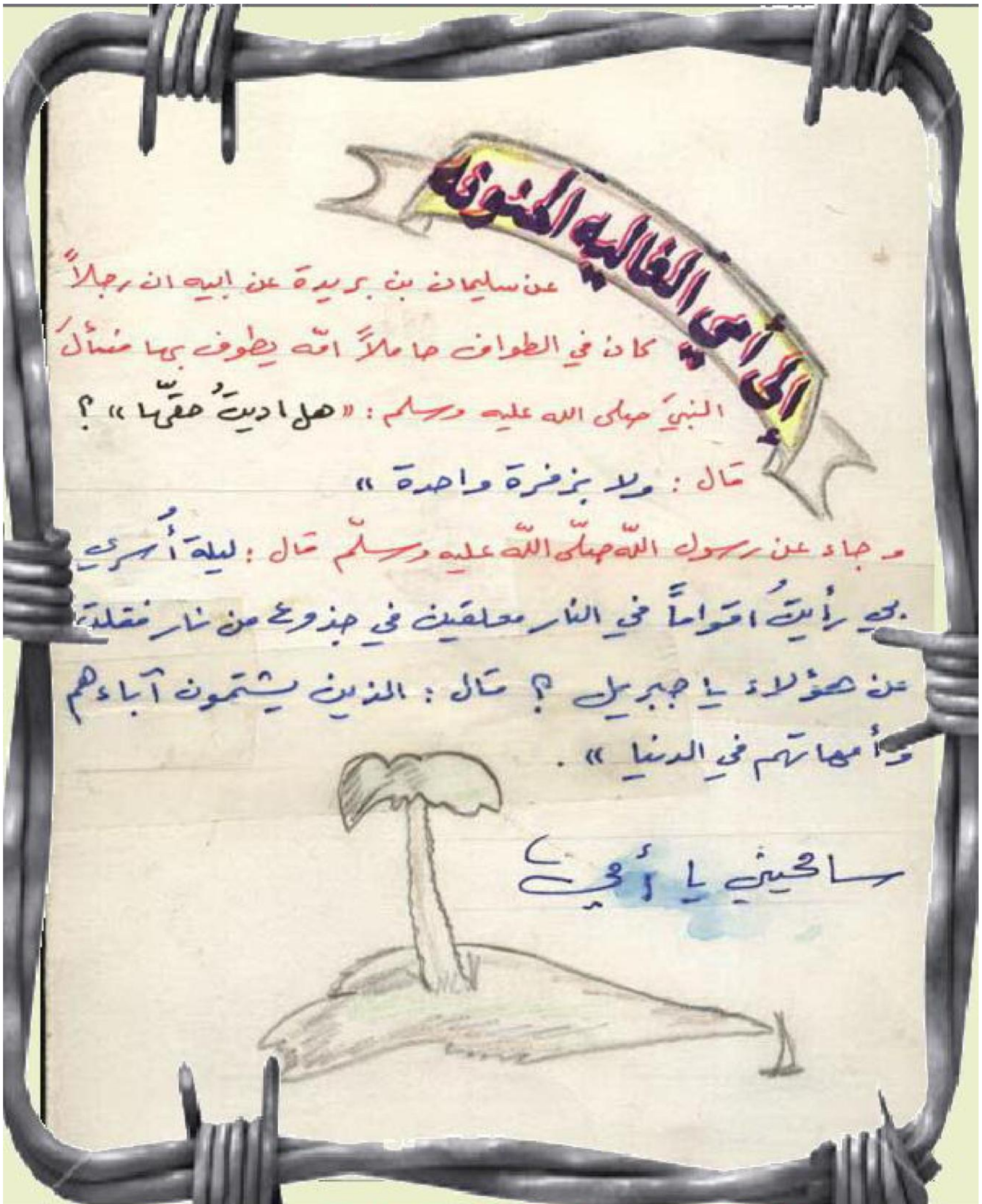
إبنك المشتاق

أحمد

---

[1] هي رسائل وكتابات إبداعية كان قد كتبها إلى أمه -رحمها الله- يوم أن كان أسيرًا في سجون طواغيت الأردن -أزال الله ملكهم-.

رسالة (٣)


إلى أمي الغالية المتوفية
عن سليمان بن بريدة عن أبيه أن رجلاً
كان في الطواف حاملاً أمه يطوف بها فسأل
النبيَّ صلى الله عليه وسلم: «هل أديتُ حقها» ؟
قال: «ولا بزفرة واحدة».
وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ليلة أُسري
بي رأيتُ أقواماً في النار معلقين في جذوع من نار فقلت:
من هؤلاء يا جبريل ؟ قال: الذين يشتمون آباءهم
وأمهاتهم في الدنيا».
سامحيني يا أمي

رسالة (٤)


بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله... والصلاة على رسول الله :. إلى والدتي الحنون أعزها الله

أبعث إليك هذه الرسالة بمناسبة دخول شهر رمضان المبارك
أن يغفر لك وللمؤمنين ويتقبل منك صالح
ن يعيده علينا ونحن في عز وكرامة وراية
لا إله إلا الله عالية فوق كل جبل وواد
جميع قريب .

الغالية إنه سألت عني خالتي والحمد لله
مضي سوى رؤية وجهك الطاهر ويعلم الله
شيء في هذه الدنيا أكثر مما أحن إليك
ب ولو نقبت العمر عند قدميك ما أوفيتك
حقك كيف ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم سئل
كان يطوف حاملاً أمه وسأل النبي صلى الله عليه وسلم
حقها؟ قال لا ولا بزفرة
منيا أمي وددت لو أني
بك وأنت على ظهري...

هذه الكلمات وأنا في شعور لا يعلم به إلا الله
بجانبه فكم كنت أتمنى أن أكون عندك في
لأدخل السرور على قلبك وأخفف عنك ما
سنين ولكنه قضاء الله نافذ
والحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة وهذا يا أمي
ع إلى بذل الغالي والرخيص فاصبري يا حنونة
في الدنيا فالملتقى عند الله الكريم الجواد يوم
دين الله ... والله أرجو
أن تطيعي الله في كل شيء وأكثري من فعل الخيرات في رمضان وإياك
الرجال ومصافحتهم فهذا رجائي عندك لأنني بار بك وأحب لك
طاعة الله والبعد عن سخطه... سلامي يا حنونتي إلى من سأل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة على رسول الله:

إلى والدتي الحنون -أعزها الله-؛

أبعث إليك هذه الرسالة بمناسبة دخول شهر رمضان المبارك، أسأل الله أن يغفر لك وللمؤمنين ويتقبل منكِ صالح الأعمال، وأن يعيده علينا ونحن في عزٍ وكرامة وراية (لا إله إلا الله) عالية فوق كل جبل ووادٍ، إنه سميع قريب.

حبيبتي الغالية؛ إن سألت عني فإني والحمد لله بخير ولا ينقصني سوى رؤية وجهك الطاهر، ويعلم الله ما أحنُّ لشيء في هذه الدُّنيا أكثر مما أحن إليك يا ست الحبايب، ولو بقيت العمر عند قدميك ما أوفيتك شيئًا من حقك؛ كيف ذلك؟ والرسول ﷺ يقول لصحابي كان يطوف حاملًا أمه وسأل النبي ﷺ: أوفيتها حقها؟ قال: "ولا بزفرة من زفراتها"[١]، فيا أمي؛ وددت لو أني [عند] بابك وأنت على ظهري.

[...][٢] هذه الكلمات وأنا في شعور لا يعلم سره إلا الله سبحانه؛ فكم كنت أتمنى أن أكون عندك في رمضان لأدخل السرور على قلبك وأعوضك ما فات من سني سجني، ولكن قضاء الله نافذ لا محالة والحمد لله على نعمه الظاهرة والباطنة، وهذا يا أمي دين الله غالٍ يحتاج إلى بذل الغالي والرخيص، فاصبري يا حنون، فإن لم نجتمع في الدُّنيا فالملتقى عند الله الكريم الجواد الرحيم، ولكن احرصي يا حنونتي أن تطيعي الله في كل شيء، وأكثري من فعل الخيرات في رمضان، وإياك ومجالسة الرجال ومصافحتهم، فهذا رجائي عندك؛ لأنني يا أمي لا أحب لك إلا طاعة الله والبعد عن سخطه.

سلامي يا حنونتي، إلى [...].

---

[١] الصواب أن هذا الأثر رواه البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، بلفظ: (لا، ولا بزفرة واحدة).
[٢] النص غير واضح.

رسالة (٥)

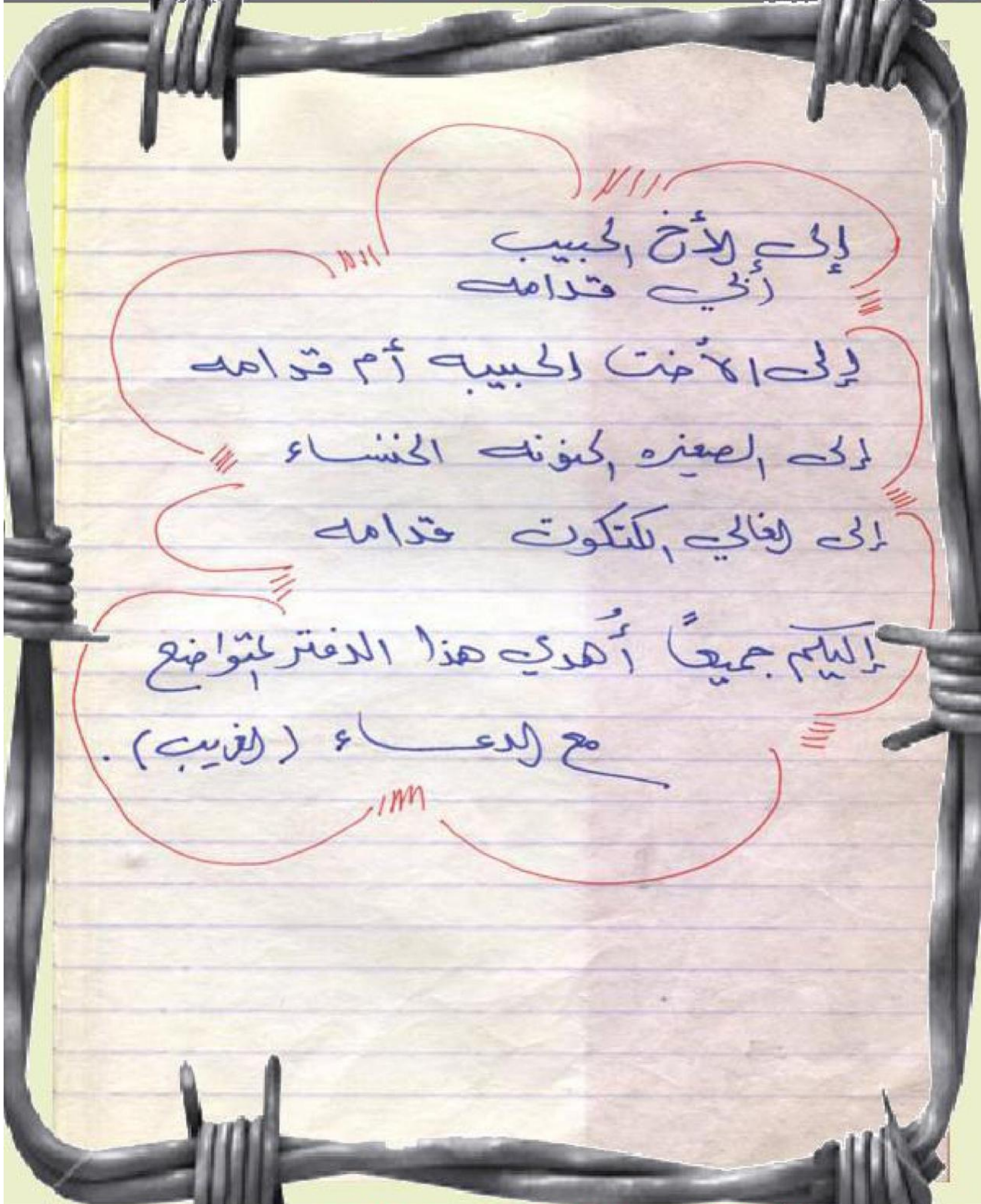


إهداء إلى أمي

أغرى إمرؤٌ يوماً غلاماً جاهلاً ... بنقوده حتى ينال به الوطر
قال ائتني بفؤاد أمك يا فتى ... ولك الجواهر واللآلئ والدرر
فمضى وأغمد خنجراً في صدرها ... والقلب أخرجه وعاد على الأثر
لكنه من فرط دهشته هوى ... فتدحرج القلب المعفّر إذ عثر
ناداه قلب الأم وهو معفّر ... ولدي حبيبي هل أصابك من ضرر
لكن صوت الأم رغم حنوه ... غضب السماء به على الولد انهمر
فاستل خنجره ليطعن نفسه ... طعناً سيبقى عبرةً لمن اعتبر
ناداه قلب الأم كف يداً ولا ... تطعن فؤادي مرتين على الأثر

دفتر فوائد أرسله إلى أخته الصغرى[1]

صفحة (١)



إلى الأخ الحبيب
أبي قدامه

إلى الأخت الحبيبه أم قدامه

إلى الصغيره الحنونه الخنساء

إلى الغالي الكتكوت قدامه

إليكم جميعاً أهدي هذا الدفتر المتواضع
مع الدعاء (الغريب).

---

[1] هي رسائل وكتابات إبداعية كان قد كتبها إلى أخته الصغرى يوم أن كان أسيرًا في سجون طواغيت الأردن –أزال الله ملكهم–.

المقدمة

صفحة (٢)



المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل
فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ... أما بعد :-
فإن من سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول أن أتباع الرسل
لا بد أن يمحصوا ويمتحنوا ليميز الله الخبيث من الطيب قال تعالى
"أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا
الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين"
فمنذ أن خلق الله آدم عليه السلام وجعله في الجنة كان الاختبار
والامتحان بالشجرة ثم توالت الأزمان والأزمان وقوافل تتبعها
قوافل وأرسل الله في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى طريق الله
المستقيم وكانوا صلوات الله وسلامه عليهم يلاقون من المحن
والابتلاءات ما ذكره الله في كتابه "أم حسبتم
أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا
من قبلكم مستهم
البأساء"
←

صفحة (٣)


والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول
والذين آمنوا معه متى نصر الله »
فمنهم مقتول ومنهم معذّب ومنهم ملقى في النار
ومنهم مبعود مطرود ومنهم مسجون ومهدد بالسجن
هذه حال الرسل وأتباعهم وهذا حال أعداء الرسل
المحاربين المعاندين قال تعالى « ولا يزالون يقاتلونكم حتى
يردوكم عن دينكم إن استطاعوا » ولقد قالوا لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم
كما أخبر تعالى « وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو
يخرجوك » وحكم الله بأن هذه « سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولن تجد
لسنة الله تحويلا » هذا هو الواقع الذي مضى والواقع الذي نعيشه في كل عصر
طواغيت وأعوان وملأ وفي كل عصر من يقول « ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم
إلا سبيل الرشاد » في كل عصر من يصد عن سبيل الله ويدعوا إلى سبيل الشيطان
والطاغوت بكل ما أوتي من قوة بالمال والبدن والفكر همهم الوحيد « إني أخاف
أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد » وسلاحهم وعيدهم « لئن اتخذت
إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين » « لأرجمنك واهجرني مليا » « لنكونن
من المخرجين » ولكن لما كان هذا الدين وهذا التوحيد هو دين الله ونوره سبحانه
وقد قال تعالى « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو
كره الكافرون هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على
الدين كله ولو كره المشركون »
ولما كان حاملوا هذا الدين هم رسل الله والمؤمنون
وقد قال تعالى « إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد »

صفحة (٤)

فقال تعالى «وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض
كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من
بعد خوفهم أمنا» وقد قال سبحانه في الحديث القدسي «من عادى لي ولياً فقد
آذنته بالحرب» علمنا بعد هذا يقيناً أن هؤلاء الأذلاء الصاغرين لن يؤذونا
ولن يضرونا ولن يكون لهم علينا سبيل ولا سلطان وأنه من يخشى منا
فسيكون معه الله وأن من يموت على أيدي الطواغيت وأعوانهم من مخلص
صابر محتسب مرضياً له جنة عدن هنيئاً له منازل الشهداء».

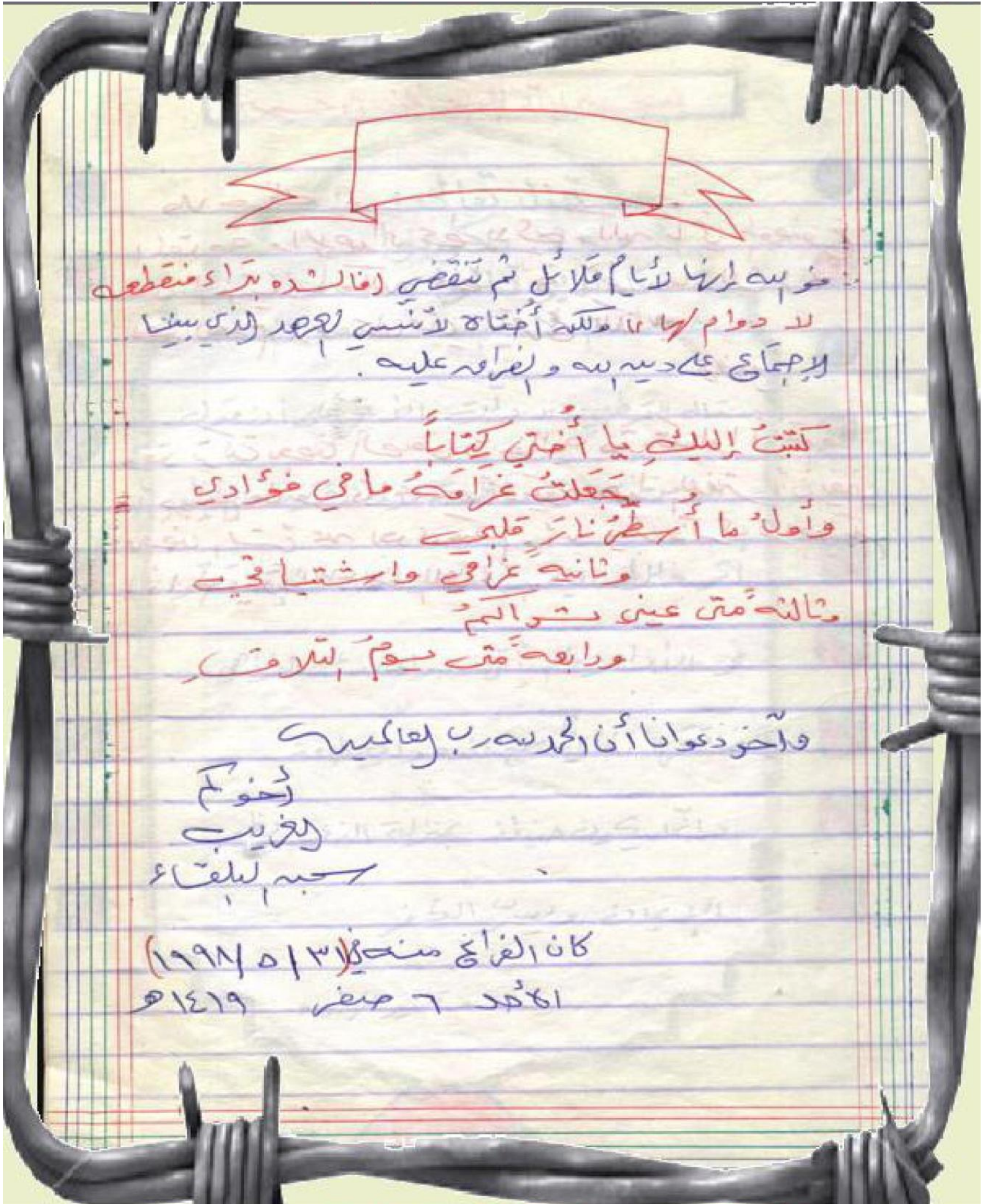
وأن من سار على طريق المرسلين واتبع هديهم زمانا تجنب الجحيم ومضت عليه
سنة الله من الابتلاء والمحنة والذين إخوة لنا في هذا العصر حملوا لواء
التوحيد وصدعوا بعقيدتهم «ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها
لقد قلنا إذا شططا» وصنعوا الحدث في غياهب السجون

ولكن:-

هناك شريك سار معهم على طريق المحنة والابتلاء وقاسى معهم ووجد من
الألم والوجد أحياناً أشد مما وجدوا هم وبقي صابراً على طريق البذل
فلا يكل ولا يمل ولا يتوانى لحظة عن السير ولو كان الجهد والتعب
والألم يشده إلى الوراء... ما زال هذا الشريك سائراً ومتقدماً يصارع
آلام الطريق ويكابد همه الطلب والشوق...
هذا الشريك هو الأهل وأخص (الأم والأخت) فكم يا أختي عانيتِ
من جراء سجني من أجل ديني ولكن اصبري أيتها الأخت الحنونة فهناك
إن شاء الله يكون اللقاء بإذن الله عند مليك مقتدر في جنات عدن
مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

←

صفحة (٥)



فوالله إنها لأيام قلائل ثم تنقضي أما الشدة بداء منقطع لا دوام لها ولكن أختاه لا تنسي العهد الذي بيننا الإجتماع على دين الله والثبات عليه.

كتبتُ إليكِ يا أختي كتاباً
جعلتُ غرامهُ ما في فؤادي
وأولُ ما أسطرُ نارَ قلبي
وثانيه غرامي واشتياقي
وثالثه متى عيني ستراكم
ورابعه متى يوم التلاقي

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أخوكم
الغريب
محب اللقاء

كان الفراغ منه ١٣/٥/١٩٩٨
الأحد ٦ صفر ١٤١٩هـ

تفريغ المقدمة

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. أما بعد؛

فإن من سنن الله تعالى التي لا تتبدل ولا تتحول أن أتباع الرسل لا بد أن يمحصوا ويمتحنوا؛ ليميز الله الخبيث من الطيب؛ قال تعالى: {أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} [العنكبوت: ٢-٣].

فمنذ أن خلق الله آدم عليه السلام وجعله في الجنة: كان الاختبار والامتحان بالشجرة، ثم توالت الأزمان والأزمان وقوافل تبعت قوافل، وأرسل الله في كل أمة رسولًا يدعوهم إلى طريق الله المستقيم، وكانوا صلوات الله وسلامه عليهم يلاقون من المحن والابتلاءات ما ذكره الله في كتابه: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: ٢١٤].

فمن مقتول، ومن معذب، ومن ملقى في النار، ومن مبعَد ومطرود، ومن مسجون، ومن مهدَّد بالسجن، وهذه حال الرسل وأتباعهم، وهذا حال أعداء الرسل المحاربين المعاندين؛ قال تعالى: {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة: ٢١٧].

ولقد قالوا لسيدنا محمد ﷺ كما أخبر تعالى: {وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ} [الأنفال: ٣٠]، وحكم الله بأن هذه: {سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا} [الإسراء: ٧٧]، هذا هو الواقع الذي مضى، والواقع الذي نعيش في كل عصر طواغيت وأعوان وملأ وفي كل عصر من يقول: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} [غافر: ٢٩]، في كل عصر من يصد عن سبيل الله ومن يدعو إلى سبيل الشيطان والطاغوت بكل ما أوتي من قوة المال والبدن والفكر، همهم الوحيد: {إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي

الْأَرْضِ الْفَسَادَ} [غافر: ٢٦]، وسلاحهم وعدتهم: {قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ} [الشعراء ٢٩]، {لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} [مريم: ٤٦]، {لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ} [الشعراء: ١٦٧]، ولكن لما كان هذا الدين وهذا التوحيد هو دين الله ونوره سبحانه وقد قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} [التوبة: ٣٢-٣٣]، ولما كان حاملو هذا الدين هم رسل الله والمؤمنين وقد قال تعالى: {إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ} [غافر: ٥١]، وقال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا} [النور: ٥٥]، وقد قال سبحانه في الحديث القدسي: "مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ"[١]؛ علمنا بعد هذا يقينًا: أن هؤلاء الأذلاء الصاغرين لن يذلونا ولن يضرونا، ولن يكون لهم علينا سبيل ولا سلطان، وأن من يعش منا فسيرى وعد الله، وأن من يمت على أيدي الطواغيت وأعوانهم وهو مخلص صابر محتسب: فهنيئًا له جنة عدن وهنيئًا له منازل الشهداء.

وإن ممن سار على طريق المرسلين، واتبع هديهم، وسار على نهجهم، ومضت عليه سنة الله، ووقع في الابتلاء والمحنة والسجن: إخوة لنا في هذا العصر فحملوا لواء التوحيد، وصدعوا بمعتقدهم: {رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا} [الكهف: ١٤]، وصدعوا بالحق في غياهب السجون.

ولكن؛ هناك شريك سار معهم على طريق المحنة والابتلاء، وقاسى معهم، ووجد من الألم والوجد أحيانًا أشد مما وجدوا هم، وبقي صابرًا على طريق البذل، ولا يكل ولا يمل ولا يتوانى في لحظة عن السير، ولو كان الجد والتعب والألم يشده إلى الوراء، ما زال هذا الشريك سائرًا مقدمًا يصارع آلام الطريق ويكابد هموم الفكر والشوق.

---

[١] رواه البخاري.

هذا الشريك هو الأهل، وأخص (الأم والأخت)؛ فكم يا أختي عانيتِ من جراء سجني من أجل ديني، ولكن اصبري أيتها الأخت الحنون؛ فهناك -إن شاء الله- يكون اللقاء السرمدي، عند مليك مقتدر في جنات عدن مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

فوالله إنها لأيام قلائل ثم تنقضي؛ (فالشدة بتراء منقطعة لا دوام لها)[1]، ولكن أختاه لا تنسي العهد الذي بيننا الاجتماع على دين الله والفراق عليه.

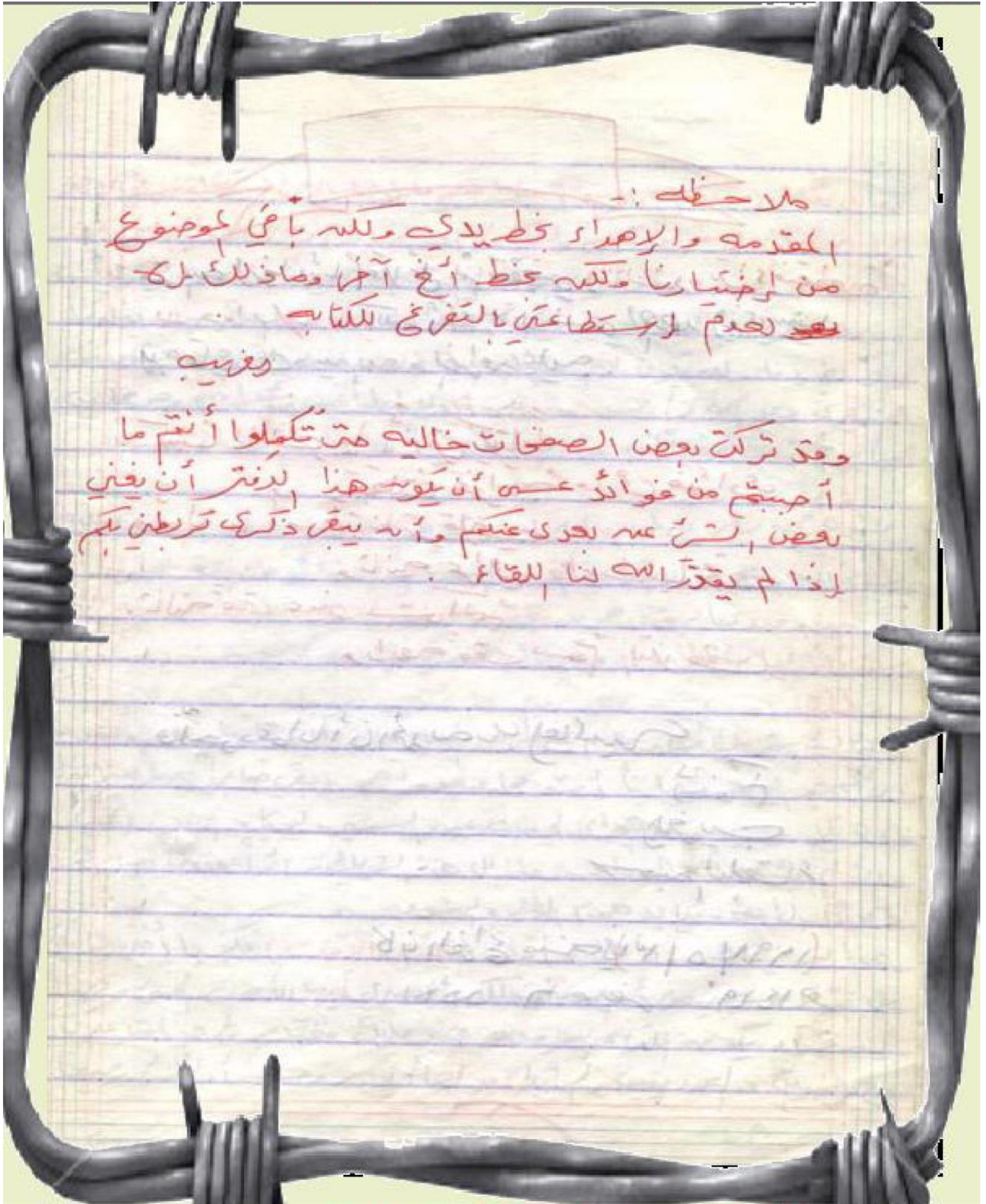
كَتَبْتُ إِلَيْكَ يا أُختي كِتَابًا *** جَعَلتُ غَرامَهُ ما في فُؤادي
وأولُ ما أُسَطِّرُ نارَ قلبي *** وثانيه غرامي واشتياقي
وثالثه متى عيني تراكمُ؟ *** ورابعه متى يومُ التلاقِي؟

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أخوكم
الغريب
سجن البلقاء
كان الفراغ منه في (٣١/٥/١٩٩٨)
الأحد ٦ صفر ١٤١٩

[1] انظر: طريق الهجرتين، ابن القيم، (ج١/ص٣٤٨).

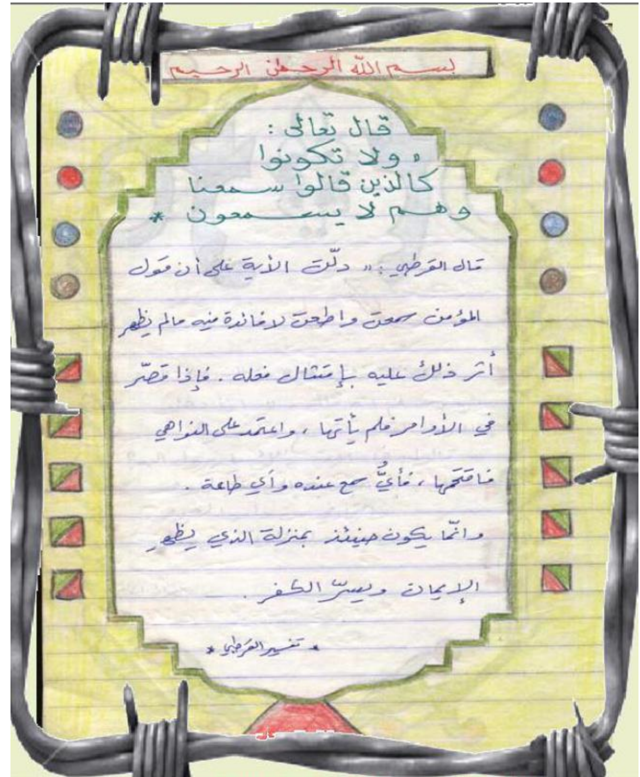
صفحة (٦)



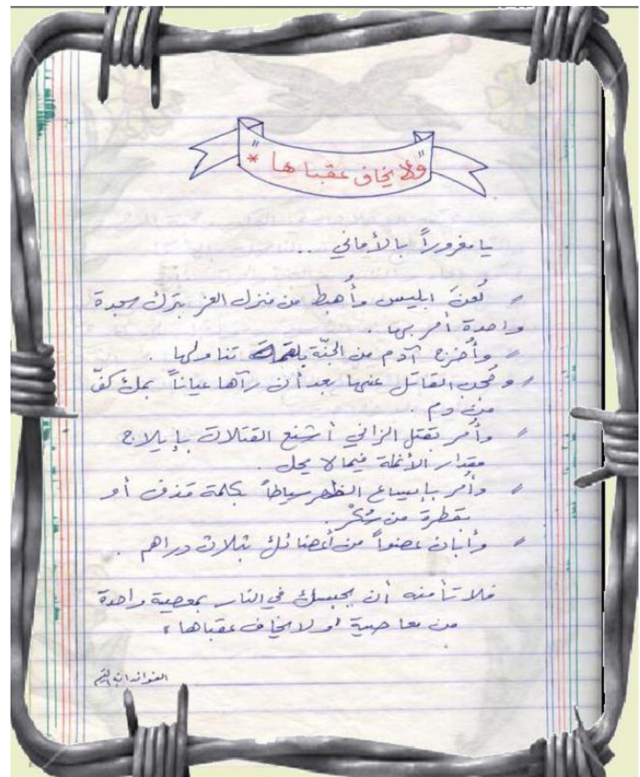
ملاحظة :-
المقدمة والإهداء بخط يدي وكل باقي الموضوع
من اختيارنا وكله بخط أخ آخر وما ذلك إلا
لعدم استطاعتي بالتفرغ للكتابة
رغيب

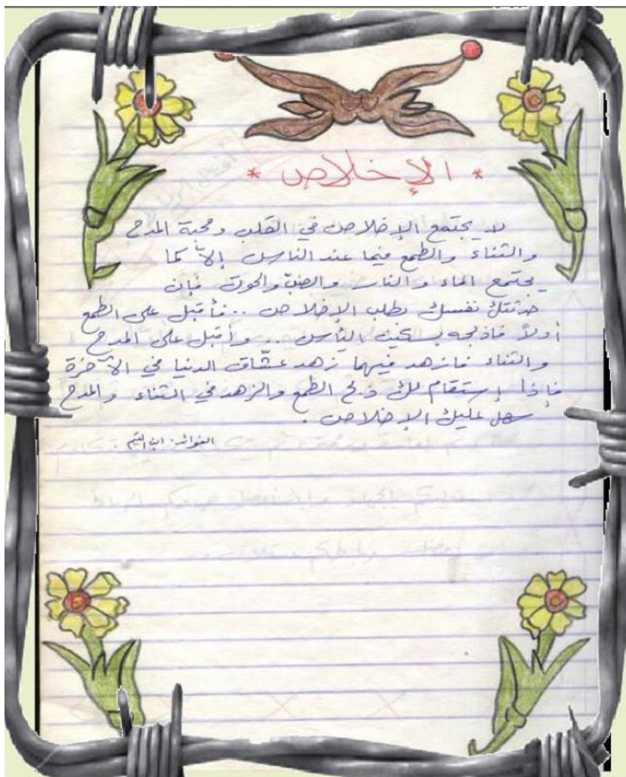
وقد تركت بعض الصفحات خالية حتى تكملوا أنتم ما
أحببتم من فوائد عسى أن يكون هذا الدفتر أن يغني
بعض الشيء عن بعدي عنكم وأن يبقى ذكرى تربطني بكم
إذا لم يقدر الله لنا اللقاء.

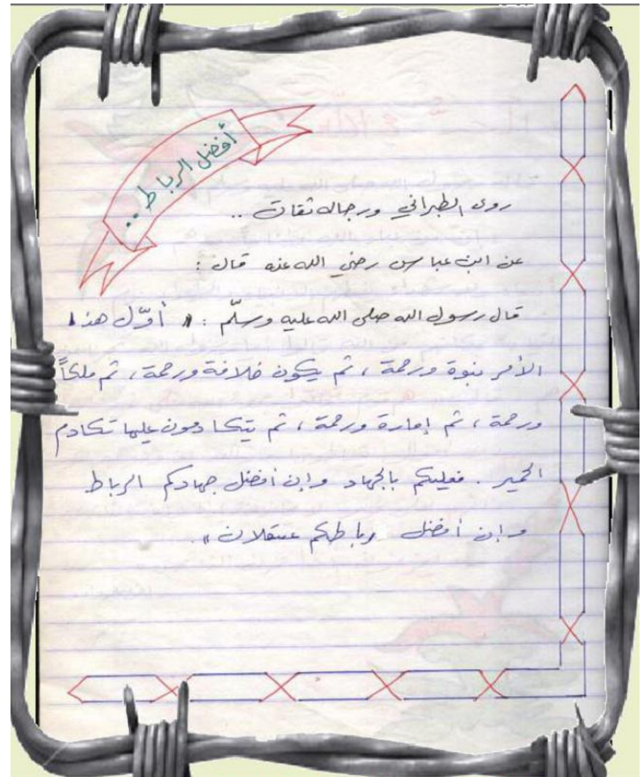
فوائد علمية من اختيار الزرقاوي











أفضل الرباط..

روى الطبراني ورجاله ثقات..

عن ابن عباس رضي الله عنه قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: «أوّل هذا الأمر نبوة ورحمة، ثم يكون خلافة ورحمة، ثم ملكاً ورحمة، ثم إمارة ورحمة، ثم يتكادمون عليها تكادم الحمير. فعليكم بالجهاد وإن أفضل جهادكم الرباط وإن أفضل رباطكم عسقلان».

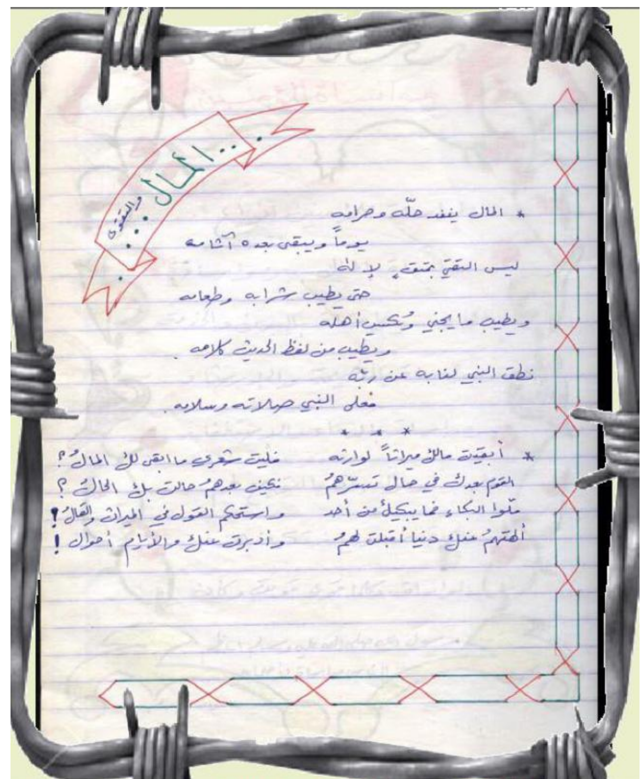


* الحبّ في الله *

قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم

«إنّ من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم. قال: «هم قوم تحابّوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها. والله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس»

أخرجه أبو داود.

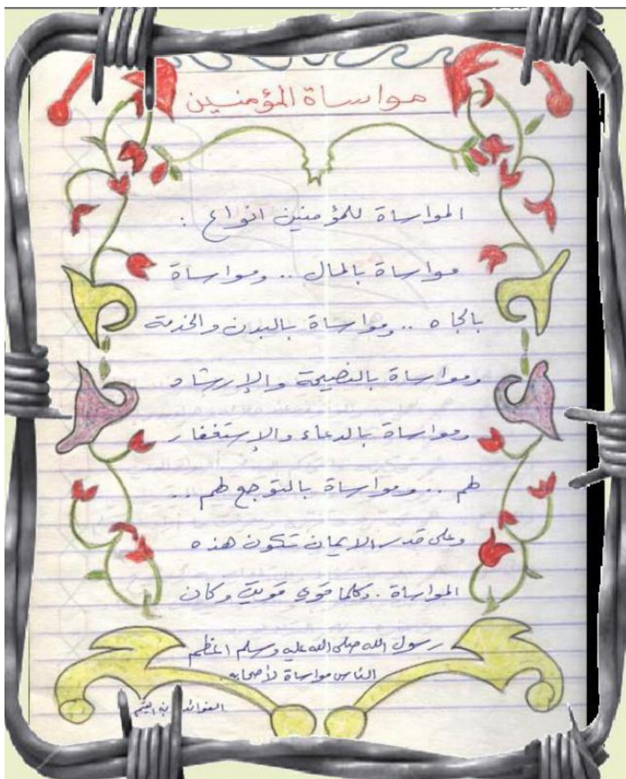


المال.. والتقوى..

* المال يفنى حلّه وحرامه
يوماً ويبقى بعده آثامه
ليس التقي بمتقٍ لإلهه
حتى يطيب شرابه وطعامه
ويطيب ما يجني ويكسب أهله
ويطيب من لفظ الحديث كلامه
نطق النبي لنا به عن ربه
فعلى النبي صلاته وسلامه.

* * *

* أبقيت مالك ميراثاً لوارثه — فليت شعري ما أبقى لك المال؟
القوم بعدك في حال تسرّهم — فكيف بعدهم حالت بك الحال؟
ملّوا البكاء فما يبكيك من أحد — واستحكم القول في الميراث والقال!
ألهتهم عنك دنيا أقبلت لهم — وأدبرت عنك والأيام أحوال!



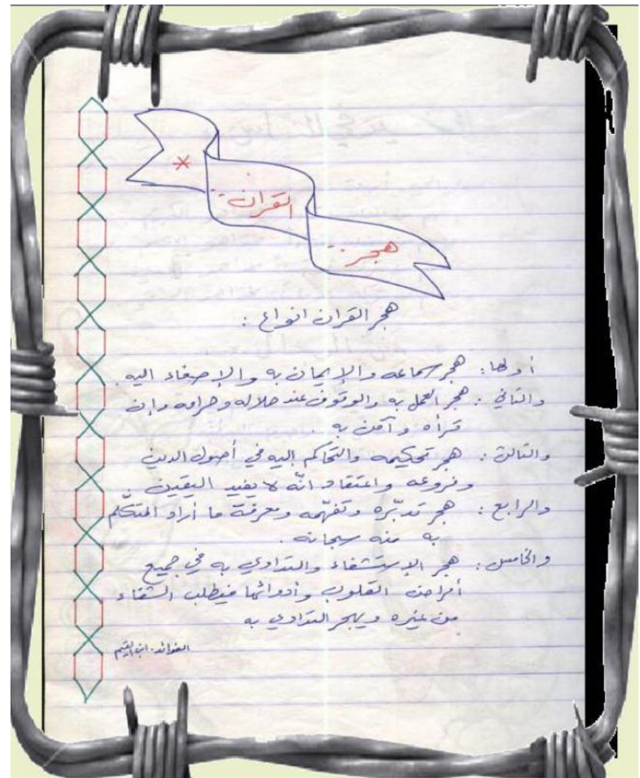
مواساة المؤمنين

المواساة للمؤمنين أنواع:

مواساة بالمال.. ومواساة بالجاه.. ومواساة بالبدن والخدمة ومواساة بالنصيحة والإرشاد ومواساة بالدعاء والاستغفار لهم... ومواساة بالتوجع لهم..

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة. وكلما قوي قويت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس مواساة لأصحابه

العفو الله ابن القيم



* القرآن
هجر

هجر القرآن أنواع:

أولها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.
والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به.
والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لا يفيد اليقين.
والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه سبحانه.
والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها فيطلب الشفاء من غيره ويهجر التداوي به.

الفوائد. ابن القيم

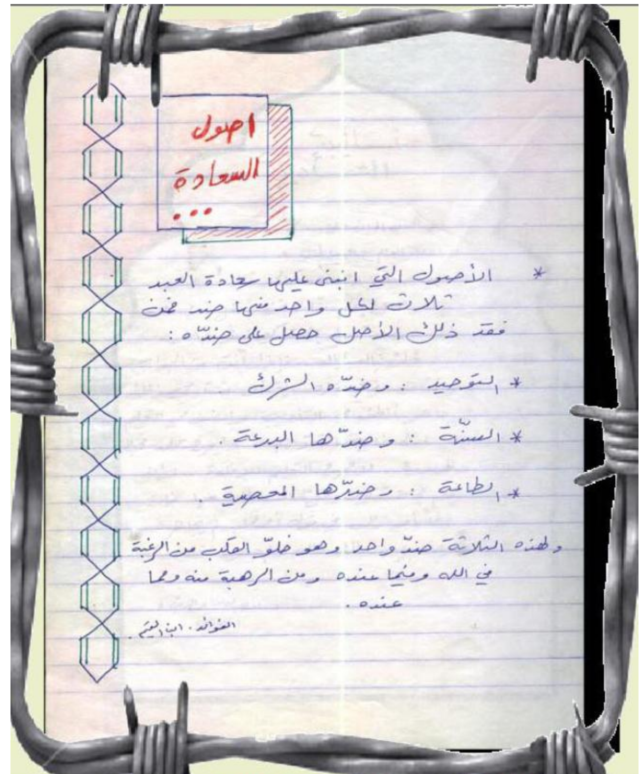


* الخير في الناس *

الناس في الخير أربعة:
- منهم من يفعله ابتداءً فهذا هو الكريم.
- ومنهم من يفعله اقتداءً فهذا هو الحكيم.
- ومنهم من يتركه استحساناً فهذا هو الرديء.
- ومنهم من يتركه حرماناً فهذا هو الشقي.

* مِنَنُ الرجال *

لا تحملن لمن يمنُّ من الأنام عليك مِنَّه
واختر لنفسك حظها واصبر فإن الصبر جُنَّه
مِنَنُ الرجال على القلوب أشد من وقع الأسنه



أصول السعادة ...

* الأصول التي انبنى عليها سعادة العبد ثلاث لكل واحد منها ضد فمن فقد ذلك الأصل حصل على ضده:

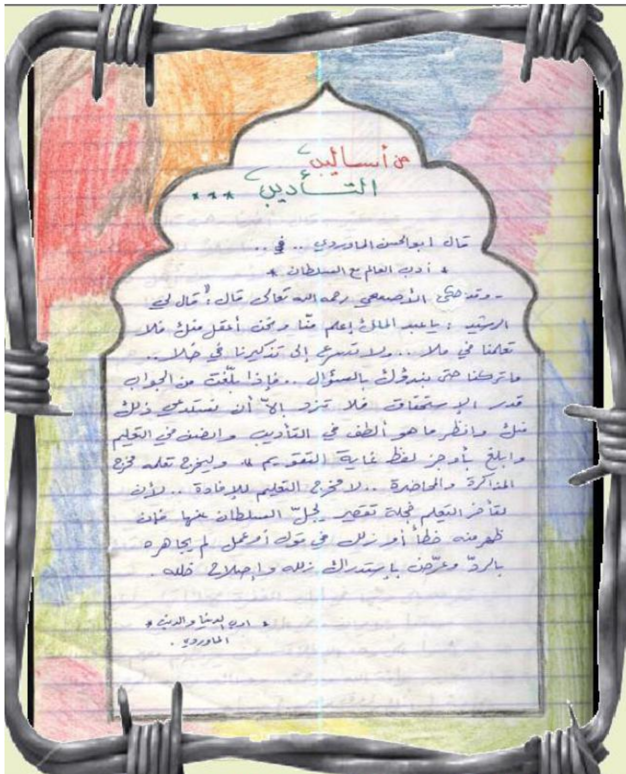
* التوحيد: وضده الشرك.

* السنة: وضدها البدعة.

* الطاعة: وضدها المعصية.

ولهذه الثلاثة ضد واحد وهو خلو القلب من الرغبة في الله وفيما عنده ومن الرهبة منه ومما عنده.

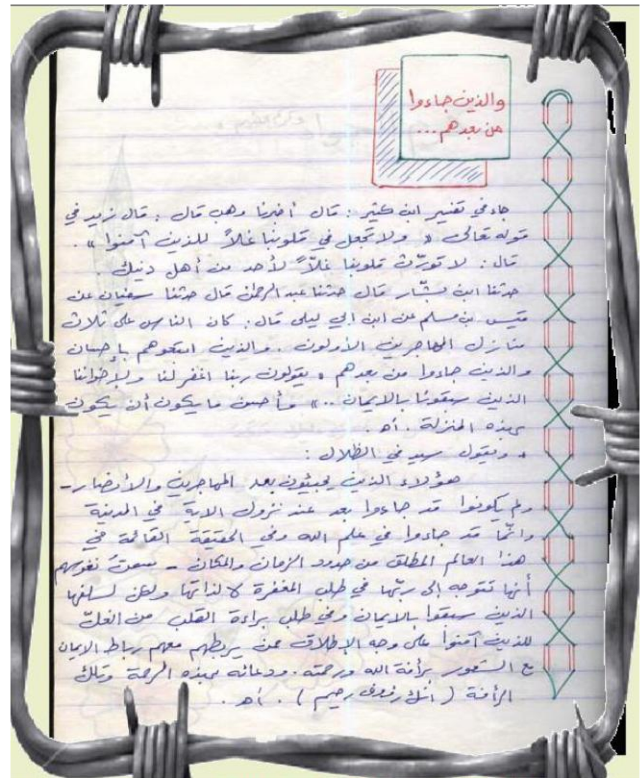
الفوائد. ابن القيم.



من أساليب التأديب ***

قال أبو الحسن الماوردي .. في ..
* أدب العالم مع السلطان *
- وقد حكى الأصمعي رحمه الله تعالى قال: قال لي الرشيد: يا عبد الملك إنت أعلم منا ونحن أعقل منك فلا تعلمنا في ملا .. ولا تسرع إلى تذكيرنا في خلا .. واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال .. فإذا بلغت من الجواب قدر الاستحقاق فلا تزد إلا أن نستدعي ذلك منك وانظر ما هو ألطف في التأديب وأنصف في التعليم وأبلغ بأوجز لفظ غاية التقويم له وليخرج تعلمه مخرج المذاكرة والمحاضرة .. لا مخرج التعليم للإفادة .. لأن لتأخر التعلم خجلة تقصير يجل السلطان عنها فإن ظهر منه خطأ أو زلل في قول أو عمل لم يجاهره بالرد وعرض باستدراك زلله وإصلاح خلله.

* أدب الدنيا والدين *
الماوردي.


والذين جاءوا من بعدهم...

جاء في تفسير ابن كثير: قال أخبرنا وهب قال: قال زيد في قوله تعالى «ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا».
قال: لا تورث قلوبنا غلاً لأحد من أهل دينك.
حدثنا ابن بشار قال حدثنا عبد الرحمن قال حدثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن ابن أبي ليلى قال: كان الناس على ثلاث منازل المهاجرين الأولون. والذين اتبعوهم بإحسان والذين جاءوا من بعدهم «يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان..» وأحسن ما يكون أن يكون بهذه المنزلة. أهـ.
ويقول سيد في الظلال:
هؤلاء الذين يجيئون بعد المهاجرين والأنصار -ولم يكونوا قد جاءوا بعد عند نزول الآية في المدينة وإنما قد جاءوا في علم الله وفي الحقيقة القائمة في هذا العالم المطلق من حدود الزمان والمكان- سمت نفوسهم أنها تتوجه إلى ربها في طلب المغفرة لا لذاتها ولكن لسلفها الذين سبقوا بالإيمان وفي طلب براءة القلب من الغل للذين آمنوا على وجه الإطلاق ممن يربطهم معهم رباط الإيمان مع الشعور برأفة الله ورحمته. ودعائه بهذه الرحمة وتلك الرأفة (إنك رءوف رحيم). أهـ.


...كرم الجواد وكرم اللئيم *

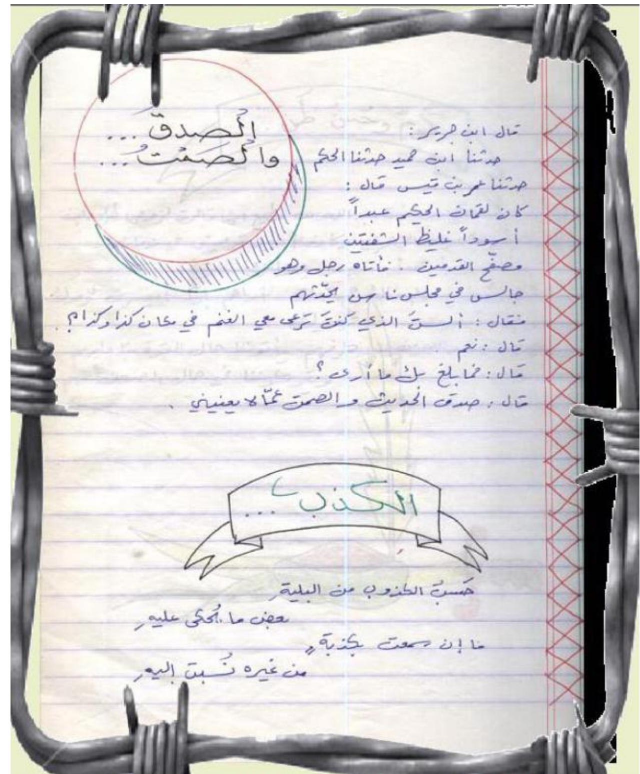
- قال الماوردي..

واعلم أن الكريم يجتدى بالكرامة واللطف. واللئيم يجتدى بالمهانة والعنف.
فلا يجود إلا خوفاً ولا يجيب إلا عنفاً كما قال الشاعر:

رأيتك مثل الجوز يمنع لبه ... صحيحاً ويعطي خيره حين يكسر

فاحذر أن تكون المهانة طريقاً إلى احتيالك والخوف [illegible] سبيلاً إلى إعطائك.. فيجري عليك سمة الطغام وامتهان اللئام..
وليكن جودك كرماً ورغبة لا لؤماً ورهبة..

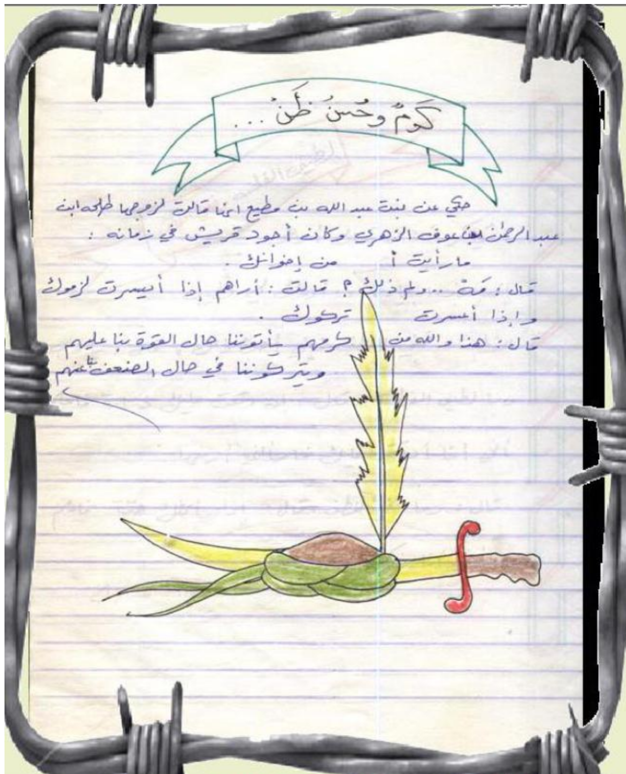
«أدب الدنيا والدين»
الماوردي


الصدق... والصمت..

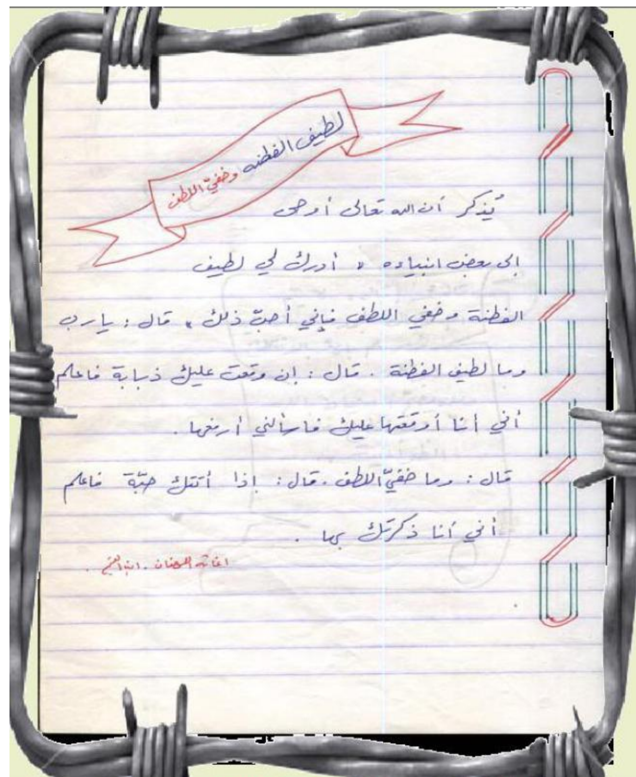
قال ابن جرير:
حدثنا ابن حميد حدثنا الحكم حدثنا عمر بن قيس قال:
كان لقمان الحكيم عبداً أسوداً غليظ الشفتين مصفح القدمين. فأتاه رجل وهو جالس في مجلس ناس يحدثهم
فقال: ألست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا؟
قال: نعم
قال: فما بلغ بك ما أرى؟
قال: صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني.

الكذب...

حسب الكذوب من البلية ... بعض ما يحكى عليه
ما إن سمعت بكذبة ... من غيره نسبت إليه

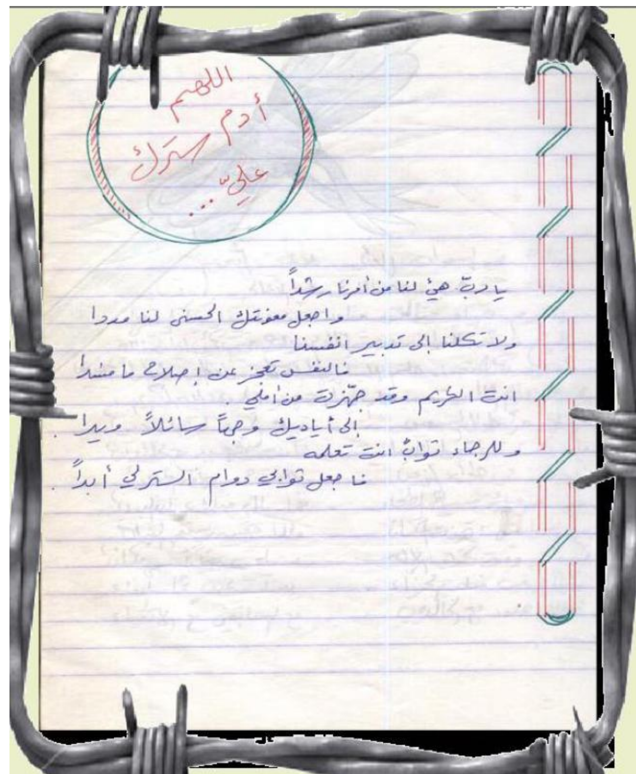

كرم وحسن ظن...

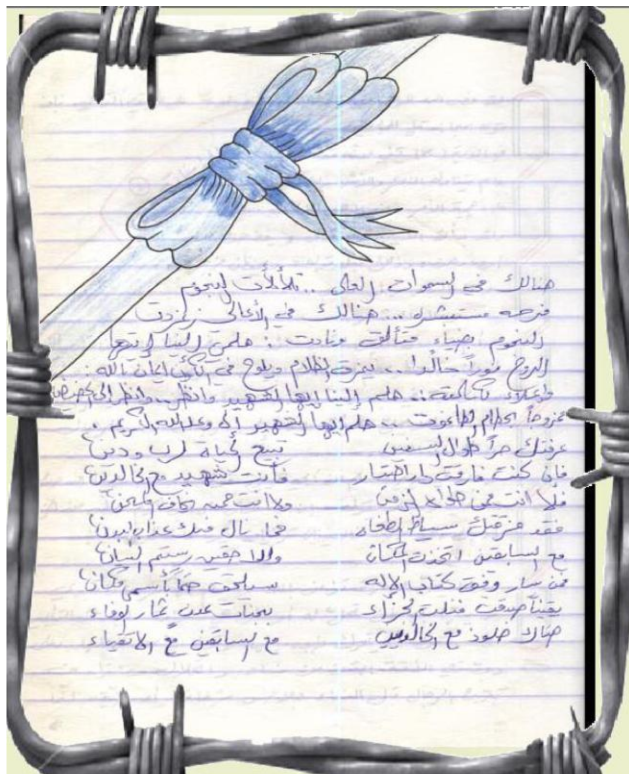
حكي عن بنت عبد الله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحة ابن عبد الرحمن بن عوف الزهري وكان أجود قريش في زمانه:
ما رأيت أ[illegible] من إخوانك.
قال: مه.. ولم ذلك؟ قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك وإذا أعسرت تركوك.
قال: هذا والله من كرمهم يأتوننا حال القوة بنا عليهم ويتركوننا في حال الضعف بنا عنهم

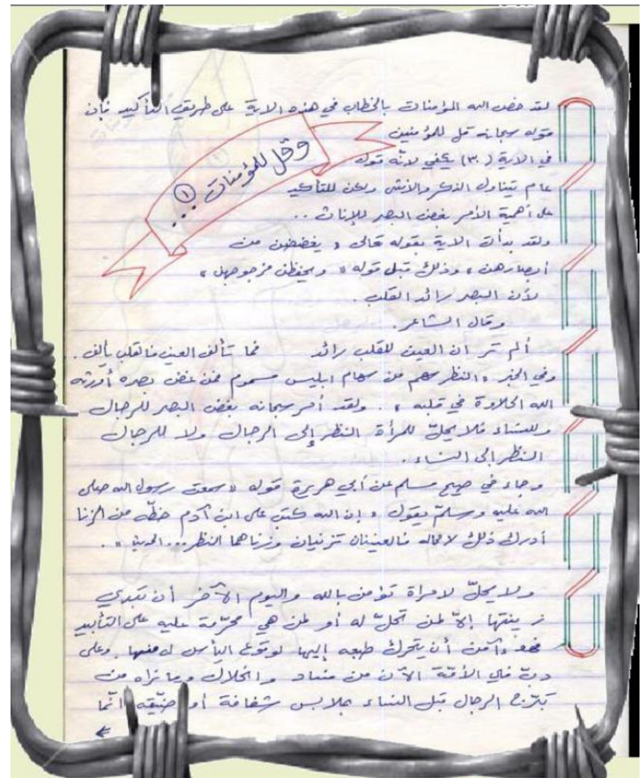


إتصال.. وانقطاع..

قال محمد إقبال: لا يتم
الإتصال بمحمد صلى الله عليه
وسلم إلا بالانقطاع
عن أبي لهب.
ولا يصح الإيمان بالله
إلا بالإنقطاع عن
الطواغيت...



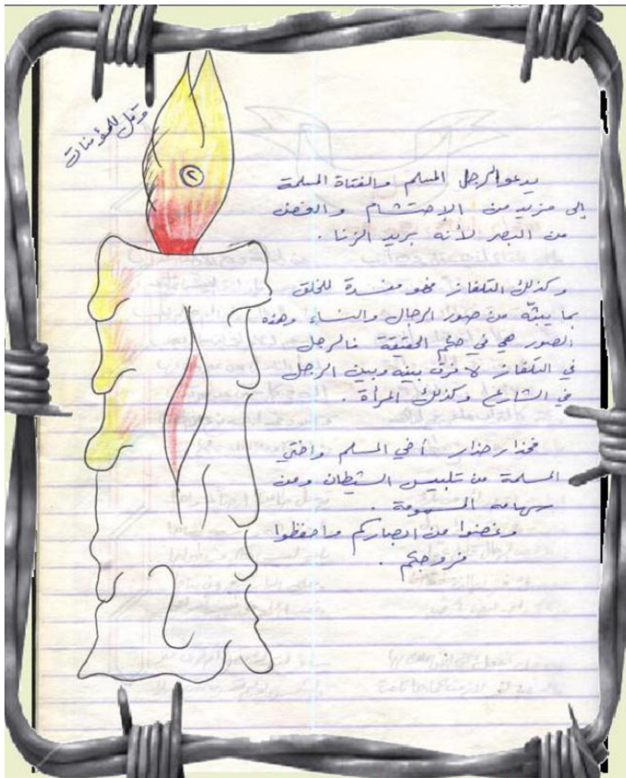




وقل للمؤمنات ①

لقد خص الله المؤمنات بالخطاب في هذه الآية على طريق التأكيد فإن قوله سبحانه قل للمؤمنين
في الآية (٣٠) يكفي لأنه قول
عام يتناول الذكر والأنثى ولكن للتأكيد
على أهمية الأمر بغض البصر للإناث..
ولقد بدأت الآية بقوله تعالى «ويغضضن من أبصارهن» وذلك قبل قوله «ويحفظن فروجهن» لأن البصر رائد القلب.
وقال الشاعر.
ألم تر أن العين للقلب رائد ... فما تألف العين فالقلب يألف.
وفي الخبر «النظر سهم من سهام ابليس مسموم فمن غض بصره أورثه الله الحلاوة في قلبه». ولقد أمر سبحانه بغض البصر للرجال وللنساء فلا يحق للمرأة النظر إلى الرجال ولا للرجال النظر إلى النساء.
وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة قوله «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة فالعينان تزنيان وزناهما النظر... الحديث».

ولا يحق لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تبدي زينتها إلا لمن تحل له أو لمن هي محرمة عليه على التأبيد فهؤلاء أمن أن يتحرك طبعه إليها لوقوع اليأس له منها. وعلى ذلك فالأمة الآن من فساد والانحلال وما نراه من تبرج الرجال قبل النساء بملابس شفافة أو ضيقة إنما ←

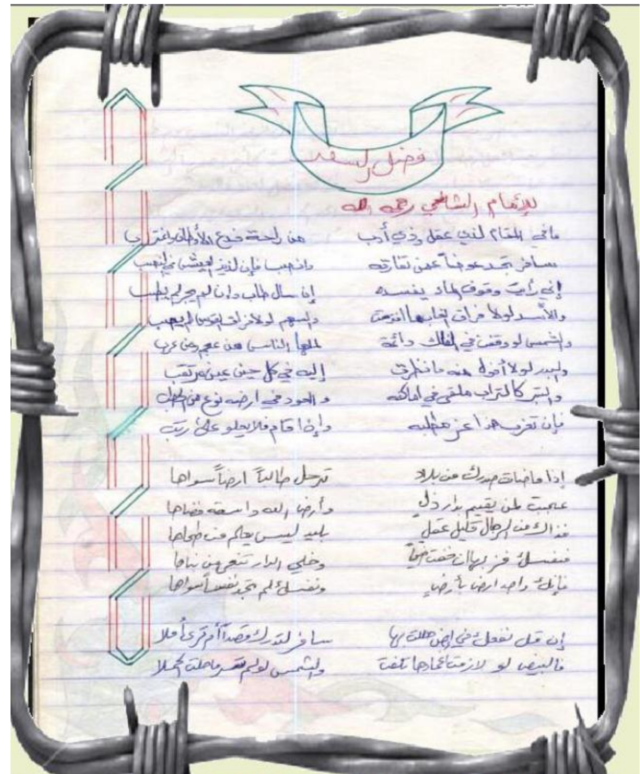


وقل للمؤمنات ②

يدعو الرجل المسلم والفتاة المسلمة إلى مزيد من الإحتشام والغض من البصر لأنه بريد الزنا.

وكذلك التلفاز فهو مفسدة للخلق بما يبثه من صور الرجال والنساء وهذه الصور هي في حكم الحقيقة فالرجل في التلفاز لا فرق بينه وبين الرجل في الشارع وكذلك المرأة.

فحذار حذار أخي المسلم وأختي المسلمة من تلبيس الشيطان ومن سهامه المسمومة.
وغضوا من أبصاركم واحفظوا فروجكم.



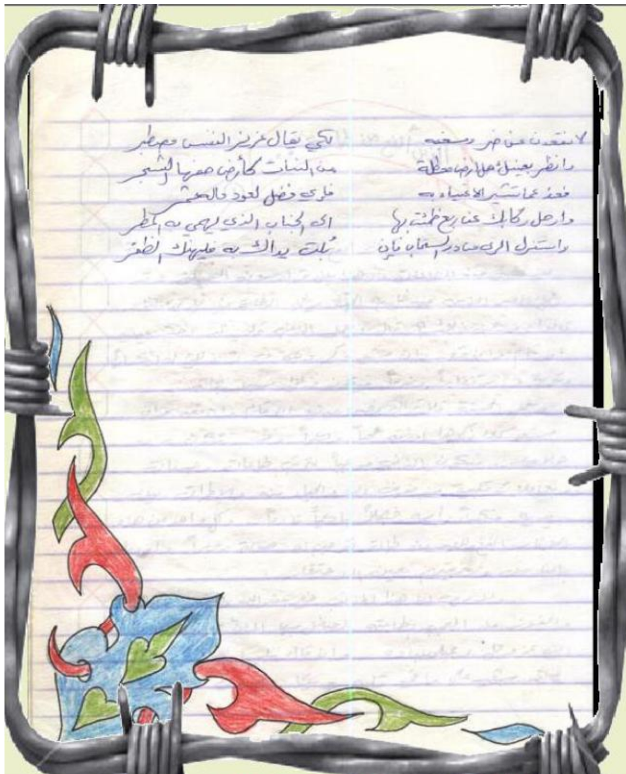
فضل السفر

للإمام الشافعي رحمه الله

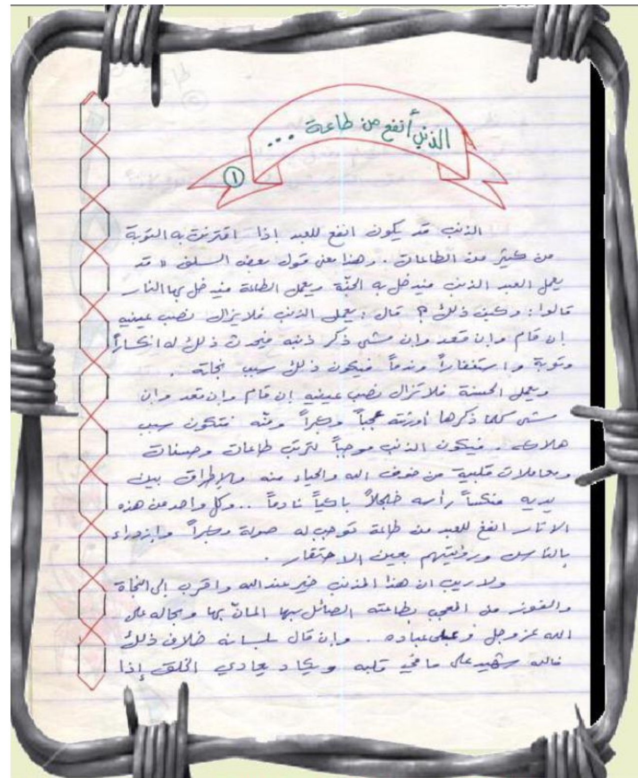
ما في المقام لذي عقل وذي أدب ... من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عوضاً عمن تفارقه ... وانصب فإن لذيذ العيش في النصب
إني رأيت وقوف الماء يفسده ... إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب
والأسد لولا فراق الغاب ما افترست ... والسهم لولا فراق القوس لم يصب
والشمس لو وقفت في الفلك دائمة ... لملها الناس من عجم ومن عرب
والبدر لولا أفول منه ما نظرت ... إليه في كل حين عين مرتقب
والتبر كالتراب ملقى في أماكنه ... والعود في أرضه نوع من الحطب
فإن تغرب هذا عز مطلبه ... وإذا قام فلا يعلو على رتب

إذا ما ضاقت صدرك من بلاد ... ترحل طالباً أرضاً سواها
عجبت لمن يقيم بدار ذل ... وأرض الله واسعة فضاها
فذاك من الرجال قليل عقل ... بليد ليس يعلم من طحاها
فنفسك فز بها إن خفت ضيماً ... وخلي الدار تنعي من بناها
فإنك واجد أرضاً بأرض ... ونفسك لم تجد نفساً سواها

إن قل نفعك في أهل ملكت بها ... سافر لتدرك قصداً أم ترى أملا
فالبيض لو لازمت أغمادها تلفت ... والشمس لو لم تسر ما حلت الحملا



لا تقعدن عن طر ومنعه ... لكي يقال عزيز النفس مصطبر
وانظر بعينك هل أرض معطلة ... من النبات كأرض حفها الشجر
فعد عما تشير الأغبياء به ... فأي فضل لعود ما له ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به ... إلى الجناب الذي يهمي به المطر
واستنزل الري من در السحاب فإن ... بلت يداك به فليهنك الظفر



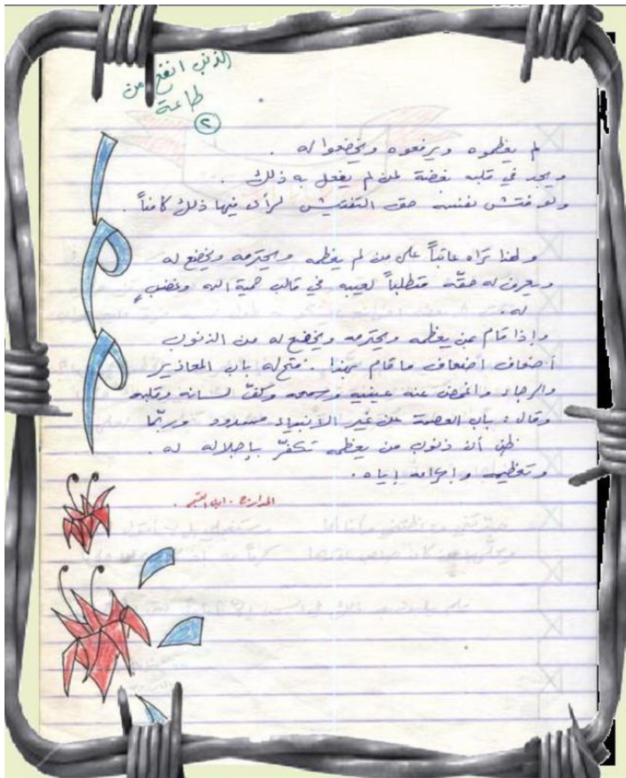
الذنب أنفع من طاعة ...

(١)

الذنب قد يكون انفع للعبد إذا اقترنت به التوبة من كثير من الطاعات. وهذا معنى قول بعض السلف « قد يعمل العبد الذنب فيدخل به الجنة ويعمل الطاعة فيدخل بها النار. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الذنب فلا يزال نصب عينيه إن قام وإن قعد وإن مشى ذكر ذنبه فيحدث ذلك له انكساراً وتوبة واستغفاراً وندماً فيكون ذلك سبب نجاته.

ويعمل الحسنة فلا تزال نصب عينيه إن قام وإن قعد وإن مشى كلما ذكرها أورثته عجباً وكبراً ومنّة فتكون سبب هلاكه. فيكون الذنب موجباً لترتب طاعات وحسنات ومعاملات قلبية من خوف الله والحياء منه والإطراق بين يديه منكساً رأسه خجلاً باكياً نادماً .. وكل واحد من هذه الآثار انفع للعبد من طاعة توجب له صولة وكبراً وازدراء بالناس ورؤيتهم بعين الاحتقار.

ولا ريب ان هذا المذنب خير عند الله واقرب إلى النجاة والفوز من المعجب بطاعته الصائل بها المانّ بها وبحاله على الله عز وجل وعلى عباده. وإن قال بلسانه خلاف ذلك فالله شهيد على ما في قلبه ويكاد يعادي الخلق إذا



الذنب انفع من طاعة

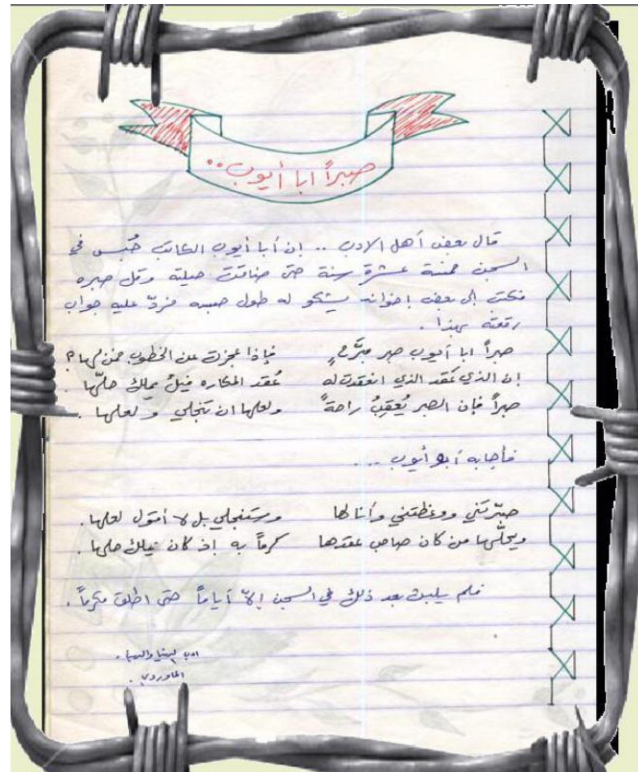
(٢)

لم يعظموه ويرفعوه ويخضعوا له. ويجد في قلبه بغضة لمن لم يفعل به ذلك. ولو فتش نفسه حق التفتيش لرأى فيها ذلك كامناً.

ولهذا تراه عاتباً على من لم يعظمه ويحترمه ويخضع له ويعرف له حقه متطلباً لعيبه في قالب حمية الله وغضب له.

وإذا قام بمن يعظمه ويحترمه ويخضع له من الذنوب أضعاف أضعاف ما قام بهذا. فتح له باب المعاذير والرجاء وأغمض عنه عينيه وسمعه وكفّ لسانه وقلبه وقال: باب العصمة عن غير الأنبياء مسدود وربما ظن أن ذنوب من يعظمه تكفّر بإجلاله له وتعظيمه وإكرامه إياه.

المدارج . ابن القيم .



صبراً أبا أيوب ..

قال بعض أهل الأدب .. إن أبا أيوب الكاتب حُبس في السجن خمسة عشرة سنة حتى ضاقت حيلته وقلّ صبره فكتب إلى بعض إخوانه يشكو له طول حبسه فردّ عليه جواب رقعته بهذا.

صبراً أبا أيوب صبر مبرّحٍ ... فإذا عجزت عن الخطوب فمن لها؟

إن الذي عَقَد الذي انعقدت له ... عُقد المكاره فيك يملك حلّها.

صبراً فإن الصبر يُعقِبُ راحةً ... ولعلها ان تنجلي ولعلها.

فأجابه أبو أيوب ..

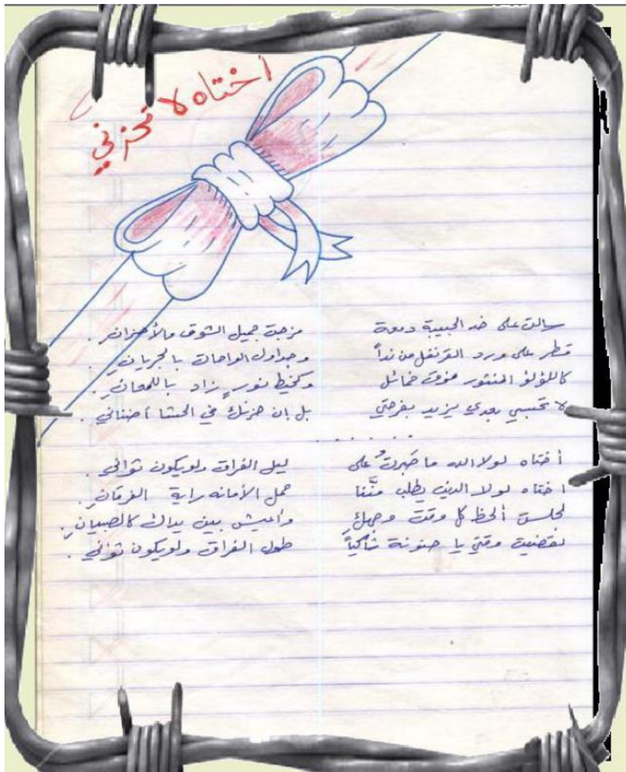
صبّرتني ووعظتني وأنا لها ... وستنجلي بل لا أقول لعلها.

ويحلّها من كان صاحب عقدها ... كرماً به إذ كان يملك حلّها.

فلم يلبث بعد ذلك في السجن إلا أياماً حتى أطلق مكرماً.

ادب الدنيا والدين.

الماوردي.



أختاه لا تحزني

سالت على خد الحبيبة دمعة ... مزجت جميل الشوق والأحزان.

قطر على ورد القرنفل من ندا ... وجداول الواحات بالجريان.

كاللؤلؤ المنثور فوق خمائل ... وخيط نور زاد باللمعان.

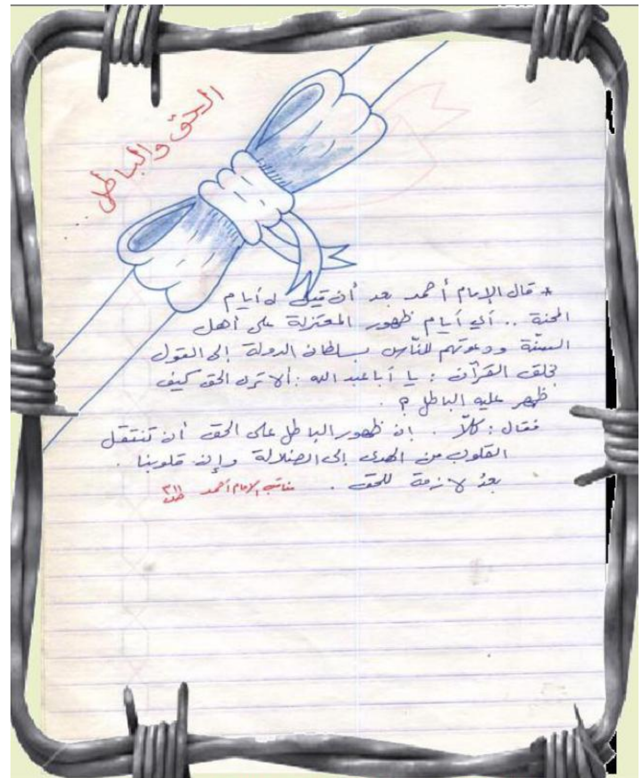
لا تحسبي بعدي يزيد بفرحتي ... بل إن حزنك في الحشا أضناني.

أختاه لولا الله ما صبرت على ... ليل الفراق ولو يكون ثواني.

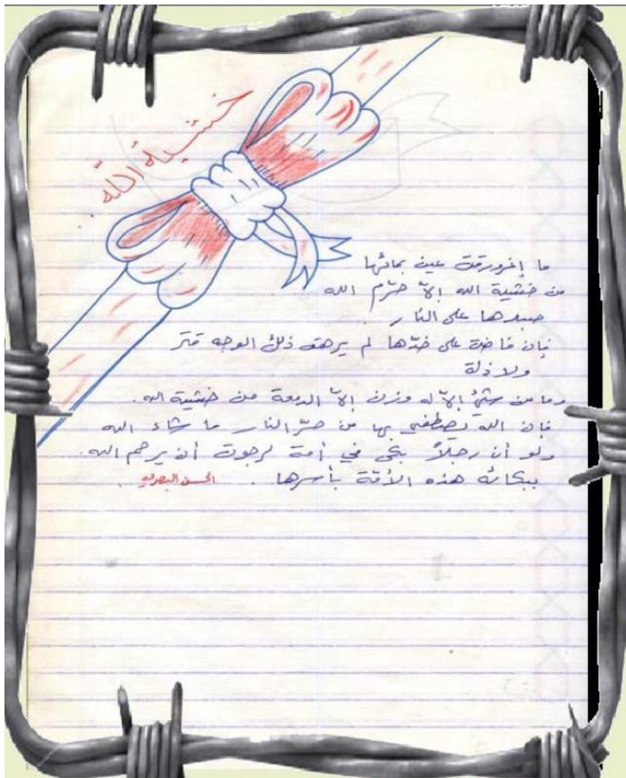
أختاه لولا الدين يطلب منّنا ... حمل الأمانه راية الفرقان.

لجلست ألحظ كل وقت وجهك ... والعيش بين يديك كالصبيان.

لقضيت وقتي يا حنونة شاكياً ... طول الفراق ولو يكون ثواني.


الحق والباطل

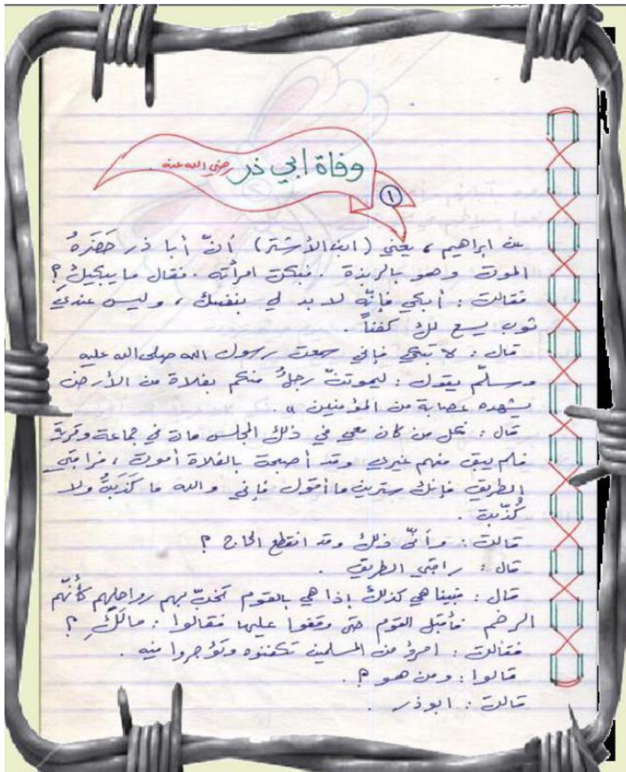
* قال الإمام أحمد بعد أن قيل له أيام المحنة .. أي أيام ظهور المعتزلة على أهل السنة ودعوتهم للناس بسلطان الدولة إلى القول بخلق القرآن: يا أبا عبد الله: ألا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟
فقال: كلا. إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة وإن قلوبنا بعدُ لازمة للحق. مناقب الإمام أحمد ٣١١


خشية الله

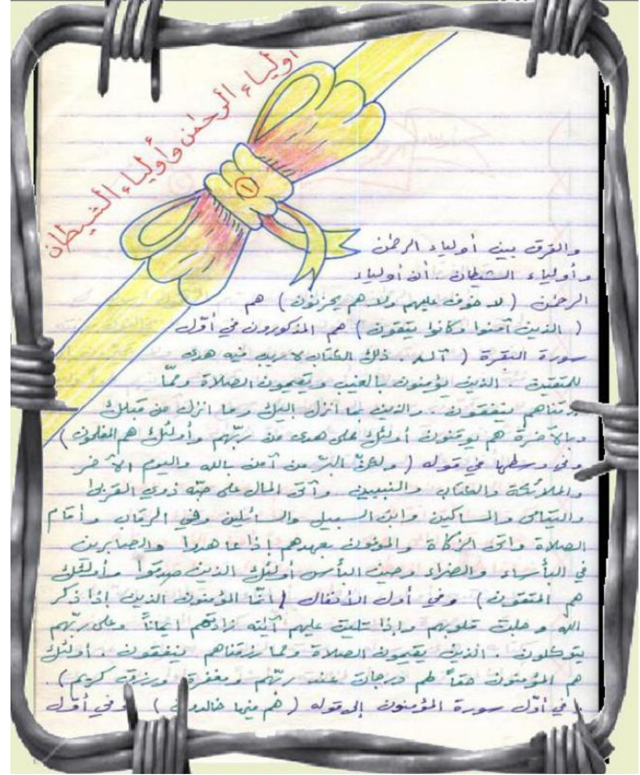
ما اغرورقت عين بمائها من خشية الله إلا حرّم الله جسدها على النار.
فإن فاضت على خدّها لم يرهق ذلك الوجه قتر ولا ذلة.
وما من شيء إلا له وزن إلا الدمعة من خشية الله.
فإن الله ليطفئ بها من حر النار ما شاء الله.
ولو أن رجلاً بكى في أمة لرجوت أن يرحم الله ببكائه هذه الأمة بأسرها. الحسن البصري.


الأمة بخير ما لم...!

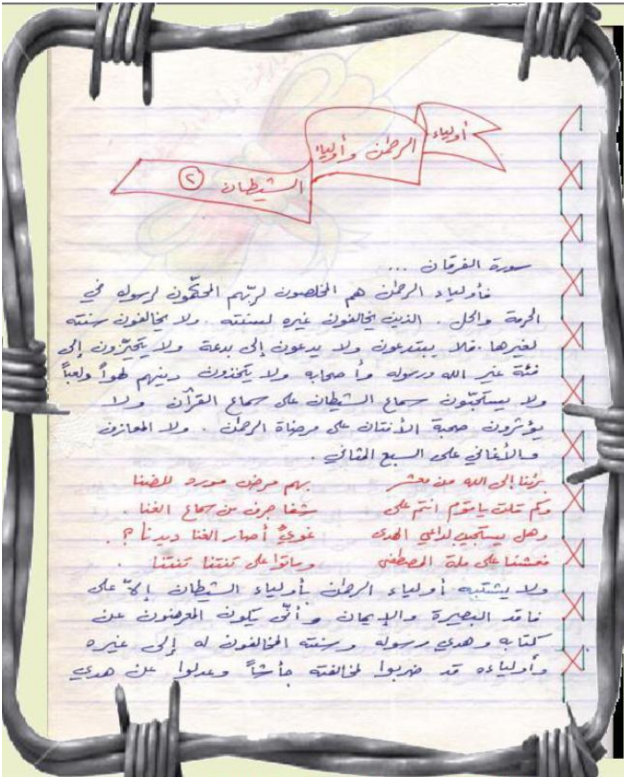
* لا تزال هذه الأمة بخير ولا تزال في كنف الله وستره وتحت جناح ظله ما لم ترفق خيارهم بشرارهم وتعظّم أبرارهم فجارهم وتملْ قراؤهم إلى أمرائهم فإذا فعلوا ذلك رفعت يد الله عنهم فسلط عليهم الجبابرة فساموهم سوء العذاب، ولعذاب الآخرة أشد وأبقى وقذف في قلوبهم الرعب..
الحسن البصري.


وفاة أبي ذر رضي الله عنه ①

عن ابراهيم، يعني (ابن الأشتر) أنّ أبا ذر حضرهُ الموت وهو بالربذة. فبكت امرأته. فقال ما يبكيكِ؟
فقالت: أبكي فإنّه لا بد لي بنفسك، وليس عندي ثوب يسع لك كفناً.
قال: لا تبكي فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول: ليموتنّ رجلٌ منكم بفلاة من الأرض يشهده عصابة من المؤمنين».
قال: فكل من كان معي في ذلك المجلس مات في جماعة وقرية فلم يبق منهم غيري وقد أصبحت بالفلاة أموت، فراقبي الطريق فإنك سترين ما أقول فإني والله ما كَذَبتُ ولا كُذّبتُ.
قالت: وأنّى ذلك وقد انقطع الحاج؟
قال: راقبي الطريق.
قال: فبينا هي كذلك إذا هي بالقوم تخبّ بهم رواحلهم كأنّهم الرخم فأقبل القوم حتى وقفوا عليها فقالوا: ما لكِ؟
فقالت: امرؤٌ من المسلمين تكفنونه وتؤجروا فيه.
قالوا: ومن هو؟.
قالت: أبو ذر.


أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ①

والفرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. أن أولياء الرحمن (لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) هم (الذين آمنوا وكانوا يتقون) هم المذكورون في أول سورة البقرة (آلم. ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) وفي وسطها في قوله (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون) وفي أول الأنفال (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم). وفي أول سورة المؤمنون إلى قوله (هم فيها خالدون) وفي أول

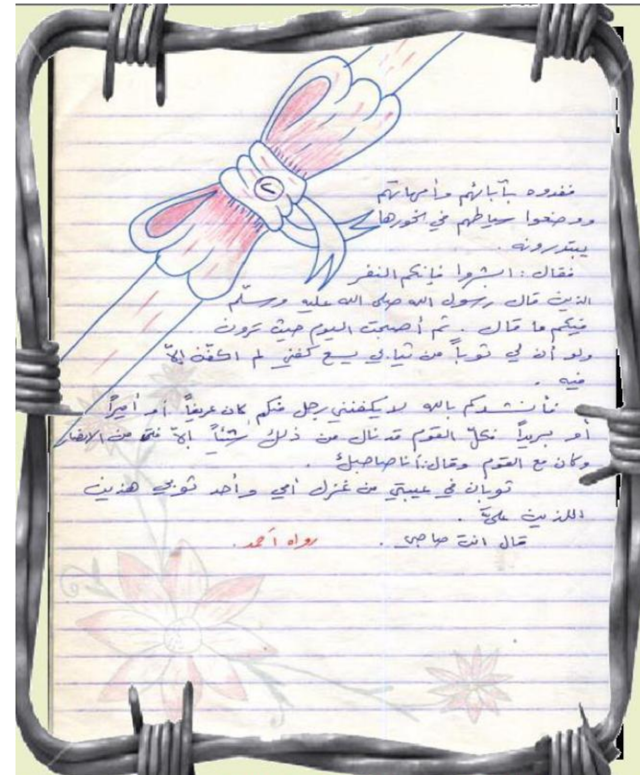

أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ②

سورة الفرقان ...

فأولياء الرحمن هم المخلصون لربهم المحكّمون لرسوله في الحرمة والحل. الذين يخالفون غيره لسنته. ولا يخالفون سنته لغيرها. فلا يبتدعون ولا يدعون إلى بدعة ولا يتحيّزون إلى فئة غير الله ورسوله وأصحابه ولا يتخذون دينهم لهواً ولعباً ولا يستحبّون سماع الشيطان على سماع القرآن ولا يؤثرون صحبة الأنتان على مرضاة الرحمن. ولا المعازف والأغاني على السبع المثاني.

برئنا إلى الله من معشر | بهم مرض من سماع الغنا
وكم قلت يا قوم أنتم على | شفا جرف من سماع الغنا.
وهل يستجيب لداعي الهدى | غوي أصار الغنا دينا؟.
فعشنا على ملة المصطفى | وماتوا على تنتنا تنتنا.

ولا يشتبه أولياء الرحمن بأولياء الشيطان إلا على فاقد البصيرة والإيمان وأنّى يكون المعرضون عن كتابه وهدي رسوله وسنته المخالفون له إلى غيره وأولياؤه قد ضربوا لمخالفته جأشاً وعدلوا عن هدي


②

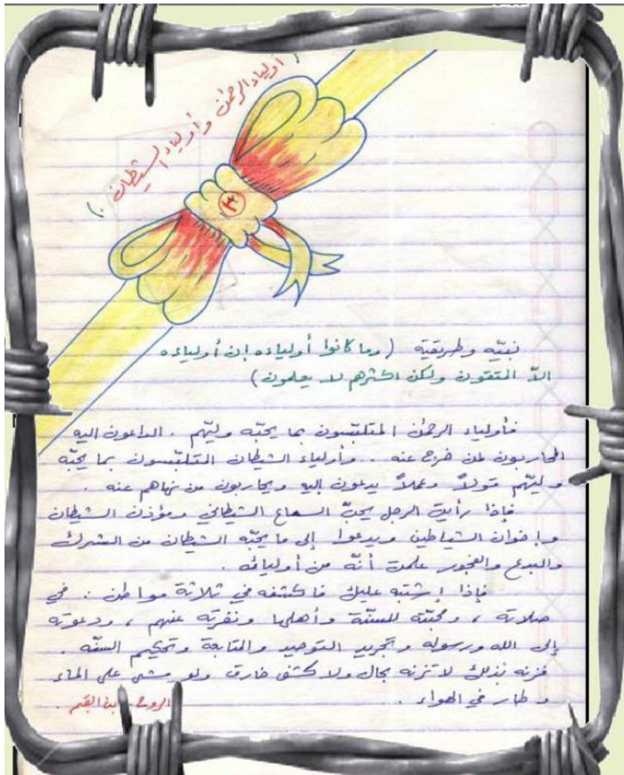
نفدوه بآبائهم وأمهاتهم ووضعوا حياطهم في نحورها يبتدرونه.

فقال: أبشروا فإنكم النفر الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم ما قال. ثم أصبحت اليوم حيث ترون ولو أن لي ثوباً من ثيابي يسع كفني لم أكفّن إلا فيه.

فأنشدكم بالله لا يكفنني رجل منكم كان عريفاً أو أميراً أو بريداً فكل القوم قد نال من ذلك شيئاً إلا فتى من الأنصار وكان مع القوم وقال: أنا صاحبك.

ثوبان في عيبتي من غزل أمي وأحد ثوبي هذين اللذين علي.

قال أنت صاحبي. رواه أحمد.


أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ③

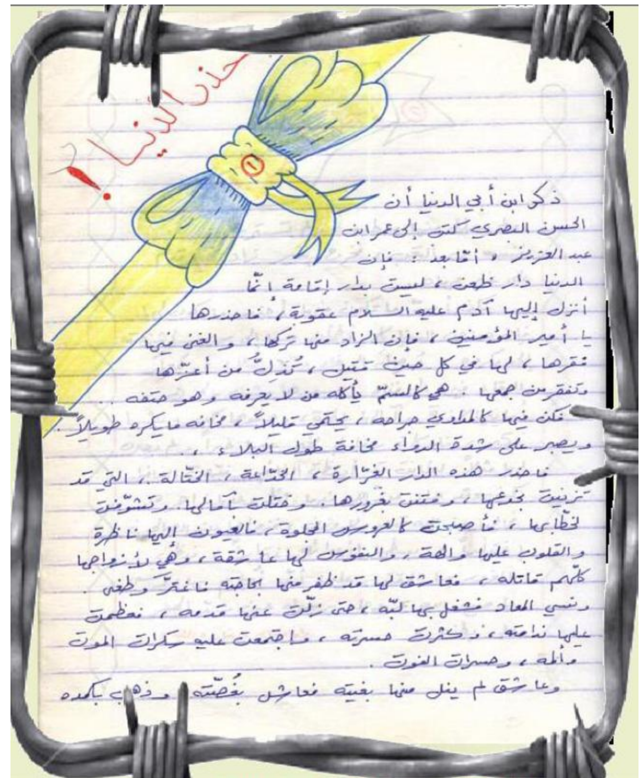
نبيّه وطريقته (وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون)

فأولياء الرحمن المتلبّسون بما يحبّه وليّهم. الداعون إليه المحاربون لمن خرج عنه. وأولياء الشيطان المتلبّسون بما يحبّه وليّهم قولاً وعملاً يدعون إليه ويحاربون من نهاهم عنه.

فإذا رأيت الرجل يحبّ السماع الشيطاني ومؤذن الشيطان وإخوان الشياطين ويدعوا إلى ما يحبّه الشيطان من الشرك والبدع والفجور علمت أنّه من أوليائه.

فإذا اشتبه عليك فاكشفه في ثلاثة مواطن: في صلاته، ومحبّته للسنّة وأهلها ونفرته عنهم، ودعوته إلى الله ورسوله وتجريد التوحيد والمتابعة وتحكيم السنّة. فزنه بذلك لا تزنه بحال ولا كشف خارق ولو مشى على الماء وطار في الهواء.

الروح لابن القيم.



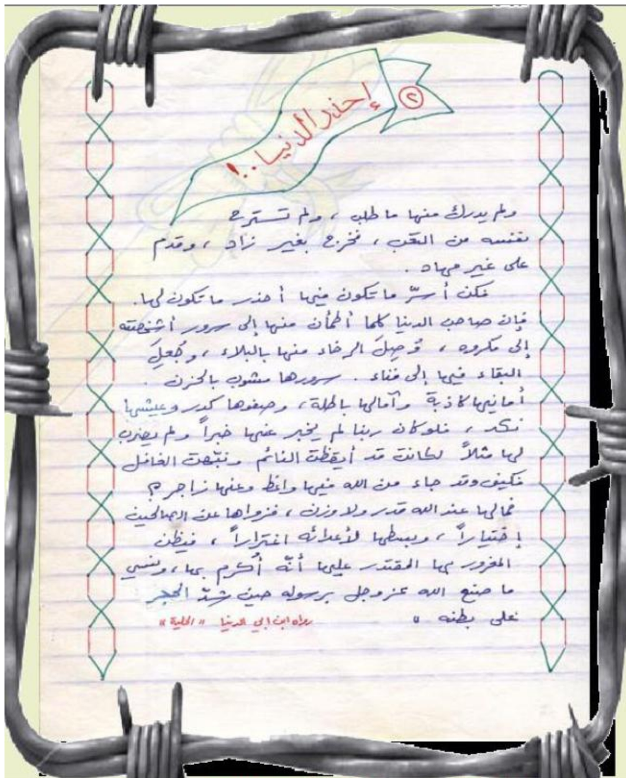
احذر الدنيا ! (١)

ذكر ابن أبي الدنيا أن الحسن البصري كتب إلى عمر ابن عبد العزيز : أما بعد : فإن الدنيا دار ظعن ، ليست بدار إقامة ، إنما أنزل إليها آدم عليه السلام عقوبة ، فاحذرها يا أمير المؤمنين ، فإن الزاد منها تركها ، والغنى فيها فقرها ، لها في كل حين قتيل ، تذل من أعزها وتفقر من جمعها . هي كالسم يأكله من لا يعرفه وهو حتفه ..

فكن فيها كالمداوي جراحه ، يحتمي قليلاً ، مخافة ما يكره طويلاً . ويصبر على شدة الدواء مخافة طول البلاء ..

فاحذر هذه الدار الغرارة ، الخداعة ، الختالة .. التي قد تزينت بخدعها ، وفتنت بغرورها ، وقتلت بآمالها ، وتشوفت لخطابها ، فأصبحت كالعروس المجلوة ، فالعيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة ، والنفوس لها عاشقة ، وهي لأزواجها كلهم قاتلة ، فعاشق لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد فشغل بها لبه ، حتى زلت عنها قدمه ، فعظمت عليها ندامته ، وكثرت حسرته ، واجتمعت عليه سكرات الموت وألمه ، وحسرات الفوت .

وعاشق لم ينل منها بغيته فعاش بغصته وذهب بكمده

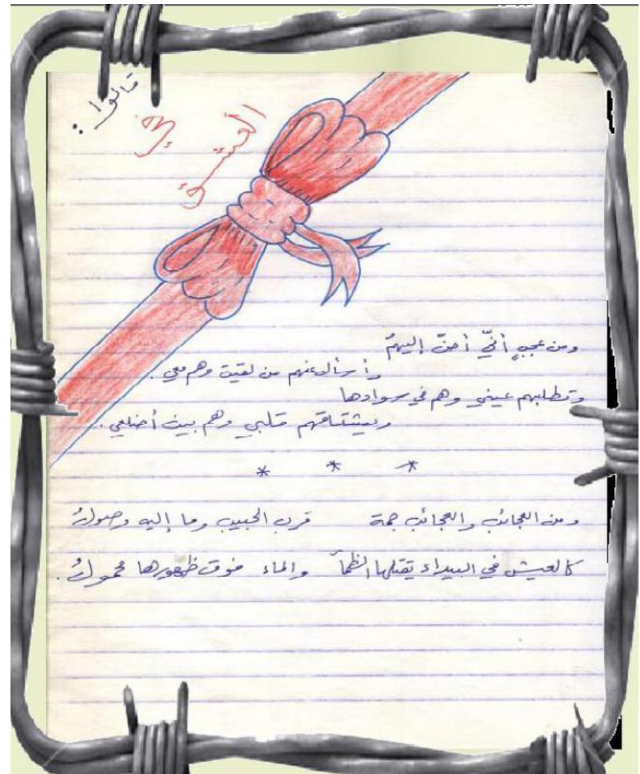


احذر الدنيا ! (٢)

ولم يدرك منها ما طلب ، ولم تسترح نفسه من التعب ، فخرج بغير زاد ، وقدم على غير مهاد .

فكن أسر ما تكون فيها أحذر ما تكون لها . فإن صاحب الدنيا كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه ، توصل الرخاء منها بالبلاء ، وجعل البقاء فيها إلى فناء . سرورها مشوب بالحزن . أمانيها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وصفوها كدر وعيشها نكد ، فلو كان ربنا لم يخبر عنها خبراً ولم يضرب لها مثلاً لكانت قد أيقظت النائم ونبهت الغافل فكيف وقد جاء من الله فيها واعظ وعنها زاجر ؟ فما لها عند الله قدر ولا وزن ، فزواها عن الصالحين إختياراً ، وبسطها لأعدائه اغتراراً ، فيظن المغرور بها المقتدر عليها أنه أكرم بها ، ونسي ما صنع الله عز وجل برسوله حين شد الحجر على بطنه »

رواه ابن أبي الدنيا « الحلية »

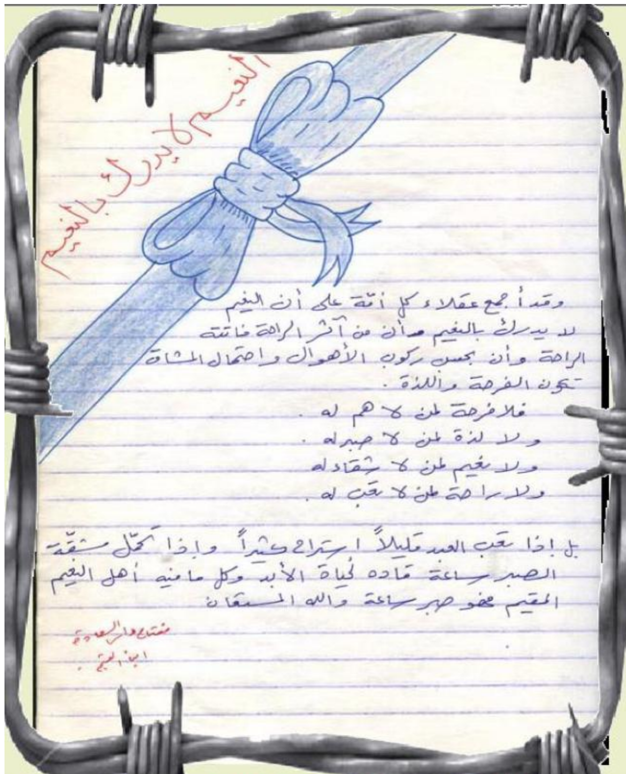


قالوا : في الشوق

ومن عجب أني أحن إليهم
وأسأل عنهم من لقيت وهم معي .
وتطلبهم عيني وهم في سوادها
ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي .

* * *

ومن العجائب والعجائب جمة قرب الحبيب وما إليه وصول
كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء فوق ظهورها محمول .



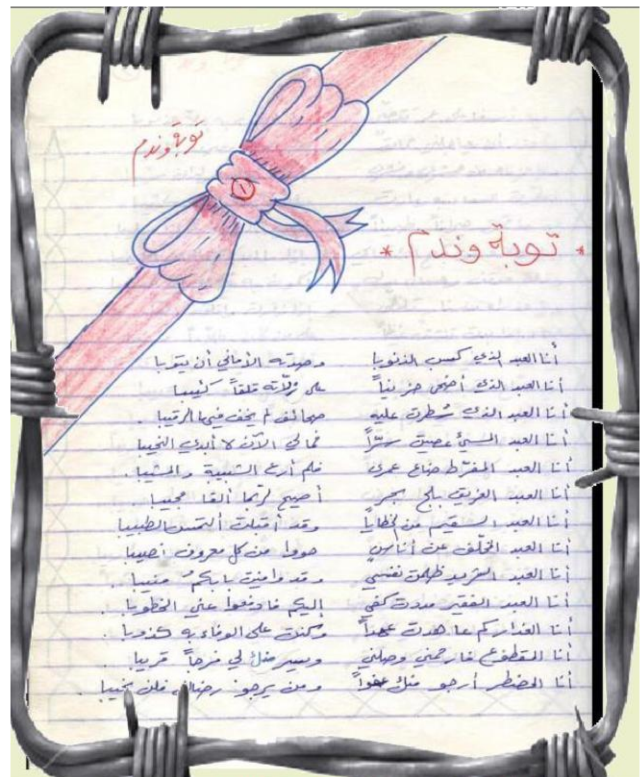
النعيم لا يدرك بالنعيم

وقد أجمع عقلاء كل أمة على أن النعيم لا يدرك بالنعيم وأن من آثر الراحة فاتته الراحة وأن بحسب ركوب الأهوال واحتمال المشاق تكون الفرحة واللذة .

فلا فرحة لمن لا هم له .
ولا لذة لمن لا صبر له .
ولا نعيم لمن لا شقاء له
ولا راحة لمن لا تعب له .

بل إذا تعب العبد قليلاً استراح كثيراً وإذا تحمل مشقة الصبر ساعة قاده لحياة الأبد وكل ما فيه أهل النعيم المقيم فهو صبر ساعة والله المستعان

مفتاح دار السعادة
ابن القيم .

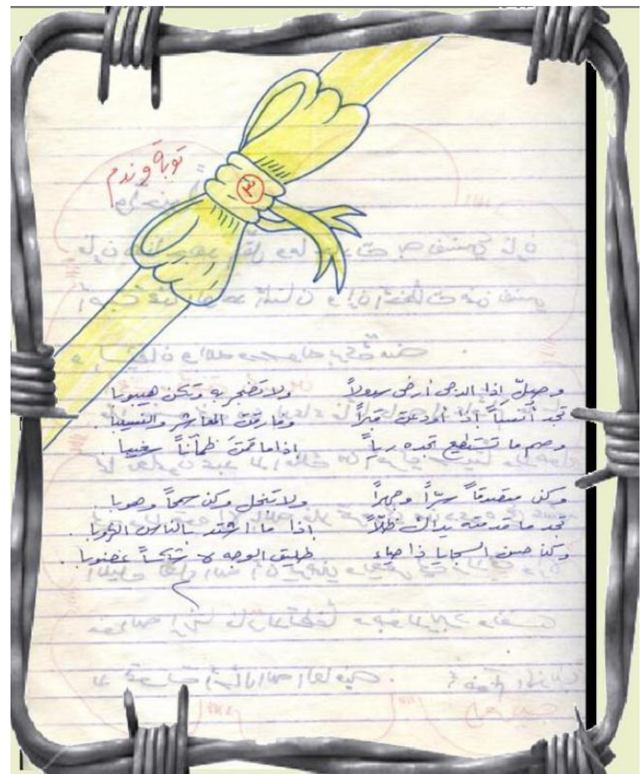

توبة وندم ①

* توبة وندم *

أنا العبد الذي كسب الذنوبا — وصدته الأماني أن يتوبا
أنا العبد الذي أضحى حزيناً — على زلاته قلقاً كئيبا
أنا العبد الذي سُطرت عليه — صحائف لم يخف فيها الرقيبا.
أنا العبد المسيء عصيت سراً — فما لي الآن لا أبدي النحيبا
أنا العبد المفرط ضاع عمري — فلم أرعَ الشبيبة والمشيبا.
أنا العبد الغريق بلج بحر — أصيح لربما ألقى مجيبا.
أنا العبد السقيم من الخطايا — وقد أقبلت ألتمس الطبيبا
أنا العبد المخلف عن أناس — حووا من كل معروف نصيبا
أنا العبد الشريد ظلمت نفسي — وقد وافيت بابكم منيبا.
أنا العبد الفقير مددت كفي — إليكم فادفعوا عني الخطوبا.
أنا الغدار كم عاهدت عهداً — وكنت على الوفاء به كذوبا.
أنا المقطوع فارحمني وصلني — ويسر منك لي فرجاً قريبا.
أنا المضطر أرجو منك عفواً — ومن يرجو رضاك فلن يخيبا.

توبة وندم ②

فيا أسفا على عمر تقضّى — ولم أكسب به إلا الذنوبا.
وأحذر أن يعاجلني مماتٌ — يحيّر هول مصرعه اللبيبا.
ويا حزناه من حشري ونشري — بيوم يجعل الولدان شيبا.
تفطّرت السماء به ومارت — وأصبحت الجبال به كثيبا.
إذا ما قمت حيراناً ظميئاً — حسير الطرف عرياناً سليبا.
ويا خجلاه من قبح اكتسابي — إذا ما أبدت الصحف العيوبا.
وذلة موقف وحساب عدل — أكون به على نفسي حسيبا.
ويا حذراه من نار تلظّى — إذا زفرت وأقلقت القلوبا.
تكاد إذا بدت تنشق غيظاً — على من كان ظلاماً مريبا.
فيا من مد في كسب الخطايا — خطاه أما أنى لك أن تتوبا.
ألا فاقلع وتب واجهد فإنا — رأينا كل مجتهد مصيبا.
وأقبل صادقاً في العزم واقصد — جناباً للمنيب له رحيبا.
وكن للصالحين أخاً وخلاً — وكن في هذه الدنيا غريباً.
وكن عن كل فاحشة جباناً — وكن في الخير مقداماً نجيبا.
ولاحظ زينة الدنيا ببغض — تكن عبداً إلى المولى حبيبا.
فمن يخبر زخارفها يجدها — مخالبةً لطالبها خلوبا.
وغض عن المحارم منك طرفاً — طموحاً يفتن الرجل الأريبا.
فخائنة العيون كأسد غاب — إذا ما أهملت وثبت وثوبا.
ومن يغضض فضول الطرف عنها — يجد في قلبه روحاً وطيبا.
ولا تطلق لسانك في كلام — يجر عليك أحقاداً وحوبا.
ولا يبرح لسانك كل وقت — بذكر الله ريّاناً رطيبا.


توبة وندم ③

وصلّ إذا الدجى أرخى سدولاً — ولا تضجر به وتكن هيوبا
تجد أنساً إذا أودعت سراً — وما رفق المعاشر والنسيبا.
وصم ما تستطيع تجده رياً — إذا ما قمت ظمآناً سغيبا.
وكن متصدقاً سراً وجهراً — ولا تبخل وكن سمحاً وهوبا.
تجد ما قدمته يداك ظلاً — إذا ما اشتد بالناس الكروبا.
وكن حسن السجايا ذا حياء — طليق الوجه لا شكساً غضوبا.

وأخيراً

فإن هذا جهد المقل وما جادت به نفسي فإن أصبت فمن الواحد المنان وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان والله ورسوله بريء منه.

أخي وأختي الحبيبين

فلا تنسوني من الدعاء فأنا بحاجة لدعائكم فأنا كما تعلمون عبد لا أملك من أمري شيئاً ولا حول لي ولا قوة إلا بالله فلا تحرموني من دعوة في غسق الليل لعل الله أن يرحمني ويغفر لي زلاتي وإلا فوالله إنها نار لا تطفأ وجو لا يبرد ونفس لا تموت أسأل الله العافية.

أخوكم المذنب
الغريب


إهداء إلى الأخوات
صالح وأم قدامة
أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيا كم تجافينا
غيظ العدا من تساقينا الهوى فدعوا
بأن نغص فقال الدهر آمينا
فانحل ما كان معقوداً بأنفسنا
وانبت ما كان موصولاً بأيدينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضي علينا الأسى لولا تأسينا
حالت لفقدكم أيامنا فغدت
سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا
إن كان قد عز في الدنيا اللقاء بكم
في جنة الخلد نلقاكم وتلقونا
Ahmad
تقبل الله طاعتكم
وكل عام وأنتم بخير

رِسَالةٌ مِنَ الزَّرْقَاوِيّ إِلى أُسَامة بن لادِنَ حول الانضمام له

٢٤ ذو الحجة ١٤٢٤ هـ || ١٥ فبراير ٢٠٠٤ م

قصة الرسالة وحقيقة نسبتها إلى الزرقاوي[١]:

هذه رسالة عَثَرَ عليها عُبّادُ الصليب في العراق، وهي رسالة من الأمير أبي مصعب الزرقاوي -تقبله الله- كتبها لشيخ المجاهدين أسامة بن لادن -تقبله الله- قبل الانضمام إلى تنظيم القاعدة، وفيها بيان للمنهج وخطة العمل التي ارتضاها الأميران لمشروع صد الحملة الصليبية الجديدة على العراق، وإعادة الخلافة الإسلامية على منهاج النبوة؛ لتحقيق مقاصد الشرع وتحرير العرض والأرض، والتحضير للمعركة الفاصلة مع اليهود.

وللعلم؛ فإن تنظيم التوحيد والجهاد في حينها لم ينفِ ما جاء في الرسالة إنما أكده مع بعض التحفظ، وذلك ما قاله الشيخ أبو أنس الشَّامي -تقبله الله- (مسؤول اللجنة الشرعية) في بحثه القيم (الرد على شبهات حول الجهاد في العراق)؛ فقال: (أولًا: الرسالة التي تناقلتها الأنباء، وتحدثت عنها الدُّنيا، وتحير الناس في أمرها: هي صحيفة صادقة النسبة إلى الأخ القائد أبي مصعب الزرقاوي -حفظه الله ورعاه-، ولكن قد اعتراها بعض التحريف والتزييف؛ فنحن لا يمكن أن نقتل مسلمًا سُنّيًّا، أو أن نجترئ على حرمة بيت من بيوت الله، ومعاذ الله أن نفعل هذا).

[١] تعليق الطبعة الأولى مع تصرف يسير.

بسم الله الرحمن الرحيم

مِن [كلمات محذوفة من أصل الرسالة] إلى الشم العرانين والصناديد في زمن العبيد، إلى الرجال في قلل الجبال إلى صقور العز وليوث الشرى إلى الأخوين الكريمين [كلمات محذوفة من أصل الرسالة].

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته؛

فإن [تكن][1] الأجسادُ مِنَّا تَبَاعَدَتْ *** فإنَّ المَدى بين القلوبِ قَرِيبُ[2]

وعزاؤنا قول الإمام مالك[3]: أرجو أن يكون كلانا على خير، وأسأل الله العلي الكريم أن تصلكم رسالتي هذه وأنتم ترفلون في ثياب العافية وتتنسمون رياح النصر والظفر، آمين.

فإليكم حديثًا يناسب المقام ويكشف اللثام، ويزيح الستار عن المخبوء من الخير والسوء في ساحة العراق.

كما تعلمون أن الله منّ على الأمة بالجهاد في سبيل الله في أرض الرافدين، ومن المعلوم لديكم أن الساحة هنا ليست كسائر الساحات؛ ففيها من الإيجابيات ما ليس موجودًا في أي ساحة أخرى، وفيها من السلبيات أيضًا ما ليس موجودًا في غيرها، ومن أعظم إيجابيات هذه الساحة: أنه جهاد في عمق أرض العرب، وبينه وبين أرض الحرمين والأقصى رمية حجر، وأننا نعلم من دين الله أن المعركة الحقيقية والفاصلة بين الكفر والإسلام هي في هذه الأرض؛ أي في الشَّام وما حولها، وعليه فلا بد من بذل الغالي والنفيس والسعي الحثيث من أجل أن نثبت موطئ قدم في هذه الأرض، لعل الله أن يحدث بعد ذلك أمرًا.

---

[1] في البيت الأصلي: (كانت).

[2] بيت غير معلوم الشاعر مع تصرف من الزرقاوي. وهذا اللفظ للبيت في المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي، (ص٤١).

[3] لم أجد المقولة.

فالواقع يا مشايخنا الأجلاء يحتم علينا أن ننظر إلى هذا الأمر بنظرة عميقة؛ نستهلّها من شرعنا الحنيف وواقعنا الذي نعايش، وإليكم الواقع كما أراه بنظري القاصر، وأسأل الله أن يعفو عن خطلي وزللي، فأقول والله المستعان:

إن الأمريكان -كما لا يخفى عليكم- قد دخلوا العراق من مبدأ عقدي، ولأجل إقامة دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، وإن هذه الإدارة الأمريكية المتصهينة تعتقد أن التعجيل بقيام دولة إسرائيل هو التعجيل بخروج المسيح، فجاءت العراقَ بقضها وقضيضها وفخرها وخيلائها تحاد الله ورسوله، وكانت تظن أن الأمر سيكون سهلًا نوعا ما، وإن كانت ثمة صعوبات فستكون يسيرة، ولكنها اصطدمت بواقع مغاير كل التغاير؛ فبدأت عمليات الإخوة المجاهدين من اللحظة الأولى، مما جعل الأمور مختلطة نوعًا ما، ثم تعالت وتيرة العمليات، وكان ذلك في المثلث السني -إن صحت التسمية-؛ مما جعل الأمريكان يضطرون إلى عقد صفقة مع الرَّافِضَة شر الورى، وقد تمت الصفقة على أن يحوز الرَّافِضَة ثلثي الغنيمة في سبيل الوقوف في صف الصليبيين في وجهة المجاهدين.

أولًا. التركيبة:

العراق في الجملة فسيفساء سياسية، وخلطة عرقية، وتباينات مذهبية طائفية متناثرة، لا تنقاد إلا لسلطة مركزية قوية وسلطان قاهر، بدءًا من زياد بن أبيه، وانتهاء بصدام، والمستقبل على خيارات صعبة؛ فهي أرض متاعب جمة المصاعب لكل جاد ولاعب، وأما التفصيل؛

١. فالأكراد: وهؤلاء بشقيهم البرزاني والطالباني؛ قد أعطوا صفقة أيديهم وثمرة قلوبهم للأمريكان، وفتحوا أرضهم لليهود، وصاروا قاعدة خلفية لهم وحصان طروادة لخططهم، يتسللون عبر أراضيهم ويستترون بلافتاتهم، ويتخذونهم جسرًا يعبرون عليه لسيطرة مالية وهيمنة اقتصادية، بالإضافة إلى القاعدة الجاسوسية التي أقاموا لها صرحًا كبيرًا في تلك الأرض، في طولها والعرض، وهؤلاء بالجملة -الأكراد- قد خبا صوت الإسلام عندهم، وخفت بريق الدين في ديارهم، أسكرتهم الدعوة العراقية، وأهل الخير فيهم مستضعفون يخافون أن تتخطفهم الطير.

٢. الرَّافِضَة: العقبة الكؤود، والأفعى المتربصة، وعقرب المكر والخبث، والعدو المترصد، والسم الناقع.

ونحن هنا نخوض معركة على مستويين؛

المعركة الأولى: مستوى ظاهر مكشوف، مع عدو صائل، وكُفرٍ بيّنٌ.

المعركة الثانية: معركة صعبة ضروس مع عدو ماكر، يتزيّى بزي الصديق، ويظهر الموافقة ويدعو إلى التآلف، ولكنه يضمر الشر، ويفتل في الذروة والغارب، وقد صار إليه ميراث الفرق الباطنية التي مرت في تاريخ الإسلام، وتركت في وجهه ندوبًا لا تمحوها الأيام.

إن الناظر المتئد والمبصر المتفحص ليدرك أن التشيع هو الخطر الداهم، والتحدي الحقيقي؛ {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون: ٤]، إن رسالة التاريخ تصدقها شهادة الواقع لتشي بأوضح بيان؛ أن التشيع دين لا يلتقي مع الإسلام، إلا كما يلتقي اليهود مع النصارى تحت لافتة أهل الكتاب؛ فمن الشرك الصراح، وعبادة القبور، والطواف بالأضرحة، إلى تكفير الصحابة، وسب أمهات المؤمنين، وخيار هذه الأئمة، وصولًا إلى تحريف القرآن، كمُنتج منطقي للطعنِ في حَمَلَتِه، إضافة إلى القول بعصمة الأئمة، وركنية الإيمان بهم والإقرار لهم بتنزل الوحي عليهم، إلى غير ذلك من صور الكفر ومظاهر الزندقة التي تطفح بها كتبهم المعتمدة، ومراجعهم الأصلية، والتي لا يزالون يقومون بطبعها وتوزيعها ونشرها.

وإن الحالمين الذين يظنون أن الشيعي يمكن أن ينسى الإرث التاريخي والحقد الأسود القديم على النواصب كما يسموهم: واهمون.

وهم أشبه بمن يطالب النصراني أن يتخلى عن فكرة صلب المسيح، وهل يفعل هذا عاقل؟ وإن هؤلاء القوم قد جمعوا إلى كفرهم، وأضافوا إلى زندقتهم؛ مكرًا سياسيًّا وسعيًا محمومًا للتغول على أزمة الحكم وموازين القوة، في الدولة التي يحاولون -بالتعاون مع الأمريكان حلفائهم في الباطن- رسم معالمها، وتثبيت تضاريسها الجديدة، عبر لافتاتهم السياسية وتنظيماتهم.

وهؤلاء طائفة غدر وخيانة على مر التاريخ والعصور، وهو مذهب وجهه لحرب أهل السنة والجماعة، فإن الرَّافِضَة عندما سقط النظام البعثي الخبيث كان شعارهم (الثأر الثأر... من تكريت والأنبار...)، فهذا يدل على مدى حقدهم الدفين على أهل السنة، ولكن استطاع علماؤهم الدينيون والسياسيون أن يضبطوا أمور طائفتهم، حتى لا تكون المعركة بينهم وبين أهل السنة حربًا طائفية ظاهرة؛ لأنهم يعلمون أنهم لن ينجحوا بهذه الطريقة، ويعلمون أنها لو قامت حرب طائفية لقام كثير من الأمة لينصروا أهل السنة في العراق، وبما أن دينهم دين التقية: عمدوا خبثًا ومكرًا إلى طريقة أخرى؛

فبدؤوا بالسيطرة على مرافق الدولة، ومفاصلها الأمنية والعسكرية والاقتصادية، وكما تعلمون -حفظكم الله- أن مقومات أي بلد هي الأمن والاقتصاد، وهم متغلغلون في داخل هذه المرافق والمفاصل.

وأضرب مثالًا يُقرِب الأمر؛ فإن فيلق بدر وهو الجناح العسكري للمجلس الأعلى للثورة الإسلامية: قد خلع ثوبه الرافضي، ولبس مكانها ثوب الشرطة والجيش، فدخل بكوادره بهذه المؤسسات، وتحت مسمى الحفاظ على الوطن والمواطن، يبدؤون بتصفية حساباتهم مع أهل السنة، فإن الجيش الأمريكي قد بدأ يتوارى عن بعض المدن، ويقل وجودهم، وبدأ يحل مكانه جيش عراقي، وهذه هي المشكلة الحقيقية التي نواجهها؛ فإن قتالنا مع الأمريكان أمر يسير، فالعدو ظاهر ومكشوف الظهر، جاهل بالأرض وجاهل بواقع المجاهدين، لضعف المعلومة الاستخبارية لديه، ونعلم يقينًا أن هذا القوات الصليبية ستوارى غدًا أو بعد غد، فالناظر إلى الواقع يرى مسارعة العدو إلى تشكيل الجيش والشرطة التي بدأت بمباشرة مهامها الموكلة إليها.

فهذا العدو المتمثل بالرَّافِضَة، المُطعَّم بعملاء -من المحسوبين على أهل السنة-: هو الخطر الحقيقي الذي نواجهه؛ فهم أبناء جلدتنا، ويعرفون مداخلنا ومخارجنا، وهم أشد مكرًا من أسيادهم الصليبيين، وقد بدؤوا -كما أسلفت- محاولة السيطرة على الوضع الأمني بالعراق، وقد قاموا بتصفية كثير من أهل السنة، ومن خصومهم من الحزب البعثي وغيره -من المحسوبين على أهل السنة-

بشكل مُنظم ومدروس، وبدؤوا بقتل كثير من الإخوة المجاهدين؛ مرورًا بتصفية العلماء والمفكرين، والأطباء والمهندسين وغيرهم.

فإني أظن والله أعلم؛ بأنه لن يحول الحول إلا وأغلب الجيش الأمريكي في الخطوط الخلفية، يقاتل عنه بالوكالة الجيش الرافضي السري وفيالقهم العسكرية، وهم يتسللون كالأفاعي ليتسلطوا على جهازي الجيش والشرطة القوة الضاربة والقبضة الحديدية في عالمنا الثالث، مع السيطرة على الاقتصاد تمامًا كأوليائهم اليهود، وآمالهم تعظم مع الأيام في أن يقيموا دولة الرفض؛ لتمتد من إيران مرورًا بالعراق وسوريا ولبنان وانتهاء بمملكة الخليج الكرتونية.

لقد دخل فيلق بدر وهو يحمل شعار (الثار الثار... من تكريت والأنبار...)، لكنه خلع زيه ليلبس بعد ذلك شعار الجيش والشرطة؛ ليبطش بأهل السنة ويقتل أهل الإسلام، باسم القانون والنظام، كل ذلك في ظل خطاب ناعم الملمس، وبيل الباطن، يمتطي صهوة التقية دينهم الغنوصي، يتبرقع بالكذب، ويتستر بالنفاق، مستغلًّا سذاجة كثير من أهل السنة وطيبة قلوبهم، ولا ندري إلى متى تظل أمتنا لا تتعلم من التجربة التاريخية، ولا تبني على شهادة الأعصُرِ الخالية!

لقد كانت الدولة الصفوية الشيعية عقبة كأداء في طريق الإسلام، بل كانت خنجرًا قد طعن الإسلام وأهله في الظهر، ولقد صدق أحد المستشرقين حين قال: (لَولا الدَّولةُ الصَّفويةُ لكنَّا اليوم في أوروبا نقرأ القرآن كما يَقرؤه البربريُّ الجزائري)[١].

نعم؛ فلقد وقفت جحافل الدولة العثمانية على أبواب فِيينّا، وكادت تتهاوى أمامها تلك الحصون، لينداح الإسلام في ظل سيف العز والجهاد في أرجاء أوروبا، لكن هذه الجيوش اضطرت للرجوع والانكفاء إلى الوراء؛ لأن جيش الدولة الصفوية احتل بغداد، فهدم مساجدها، وقتل أهلها، وسبى نساءها وأموالها، فرجعت الجيوش لتذود عن حرم الإسلام وأهله، ودارت معركة حامية الوطيس،

---

[١] منسوب إلى المستشرق فيرناندو النمساوي، ولم أجد الأصل.

دامت نحو قرنين من الزمان، ولم تنته إلا وقد خارت قوة الدولة الإسلامية، وانحسر مدها، واستنامت الأمة لتستيقظ على طبول الغربي الغازي.

لقد حدثنا القرآن أن دسائس المنافقين، وكيد الطابور الخامس، ومكر بني جلدتنا ممن يتكلمون بألسنتنا بكلام معسول وقلوبهم قلوب الشياطين في جثامين الأناسي: أن هؤلاء مكمن الداء وسر البلاء، وفأرة السد: {هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ} [المنافقون: ٤].

ولقدْ صدقَ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية، حينَ قَالَ يَصفُ حالهُم، بعدَ أن ذَكَرَ تكفيرَهُم لِأهلِ الإسلام، فقالَ رَحِمَه الله: (ولهذَا السَّببِ يُعاونُونَ الكُفَّارَ على الجُمهُور منَ المسلمين، ويُعاونُونَ التتار، وهُم كَانوا من أعظمِ الأسبابِ في خروجِ جنكيز خان مَلكِ الكفَّار إلى بلاد الإسلام، وفي قدومِ هولاكو إلى بلادِ العراق، وَفِي أخذِ حَلَب، ونَهبِ الصَّالحية، وغير ذلكَ بخُبثِهم وَمكرهِم.

وَلِهَذا السَّببِ نَهبُوا عَسكَرَ المسلمينَ لما مرَّ عليهم وَقتَ انصرافهم إلى مصرَ في النَّوبةِ الأولى، وَبهذا السَّببِ يَقطعون الطرُقاتِ على المسلمين، وبهذا السَّببِ ظَهَرَ فيهم مُعاونَةُ التتار والإفرنجِ على المسلمين، والكآبةُ الشديدةُ بانتصار الإسلامِ مَا ظهر.

وكذلكَ لمّا فَتحَ المسلمونَ السَّاحِلَ عكَّة وغيرَها: ظَهَرَ فِيهم من الانتصار للنَّصارى، وَتقدِيمِهِم على المُسلمين مَا قَد سَمِعَ النَّاسُ مِنهم، وكلُّ هذا الذِي وصفتُ بعض أمورهِم، وإلاَّ فَالأَمرُ أعظَمُ مِن ذَلك.

وَفِي قُلُوبهم مِن الغِلّ والغيظِ على كِبارِ المسلمينَ وصِغَارهم، وصَالحيهم وغيرِ صالحيهم: مَا لَيسَ فِي قلبِ أحد، وأعظمُ عبادتهم لَعنُ المسلمينَ مِن أولياءِ الله..... وهؤلاءِ أشدُّ النَّاسِ حِرصًا عَلَى تَفريقِ جَمَاعةِ المُسلمينَ، وَمِنْ أعظَمِ أصُولِهم عِندهم: التكفيرُ واللَّعنُ والسبُّ لخيار ولاةِ الأمور؛ كالخُلَفاءِ الرَّاشدين، وَالعُلَماءِ المسلمين، إذْ كُلُّ مَنْ لَمْ يُؤمن بالإمامِ المَعصوم، الذِي لاَ وجُودَ لَه: فَمَا آمنَ باللهِ ورسولِه عليه الصَّلاةُ والسَّلام.

والرَّافِضَة تحب التتار ودولتهم؛ لأنه يحصل لهم بها من العز ما لا يحصل بدولة المسلمين، وهم كانوا من أعظم الناس معاونة لهم على أخذ بلاد الإسلام، وقتل المسلمين، وسبي حريمهم.

وقصة ابن العلقمي وأمثاله مع الخليفة وقضيتهم في حلب مشهورةٌ، يعرفها عموم النَّاس، وإذا غلب المسلمون النصارى والمشركين كان ذلك غصة عند الروافض، وإذا غلب المشركون والنصارى المسلمين كان ذلك عيدًا ومسرةً عند الرَّافِضَة)[1].

وسبحان الله! وكأنما كشفت له سجف الغيب، فاستشرف الحاضر، فتحدث واصفًا عن معاينة وخبر!

ولقد خط لنا أئمتنا سبيلًا واضحًا، وكشفوا الستر عن هؤلاء القوم؛ فهذا الإمام البخاري يقول: (ما باليت صليت خلف رافضيٍّ أو صليت خلف اليهود والنصارى، لا يُسلَّم عليهم، ولا يُعادون، ولا يُناكَحون، ولا يُشهَدون، ولا تُؤكل ذبائحُهم)[2].

وهذا الإمام أحمد يقول، وقد سُئِلَ عمن يشتم أبا بكر وعمر وعائشة –رضي الله عنهم–؛ فقال: (ما أراه على الإسلام)[3].

وهذا الإمام مالك يقول: (الذي يشتم أصحاب النبي ﷺ ليس له سهمٌ أو نصيبٌ في الإسلام)[4].

وهذا الفريابيُّ يقول: (ما أرى الرَّافِضَة إلا زنادقةً)[5].

ولما أقام ابن حزم الحجة والبراهين على اليهود والنصارى في تحريف التوراة والإنجيل: لم يجدوا معتصمًا إلا أن يقولوا إن الشيعة عندكم يقولون بتحريف القرآن، فقال رحمه الله: (فأما قولهم في

---

[1] مجموع الفتاوى، (ج٢٨، ص٤٧٨–٥٢٧)، اختصره الزرقاوي.
[2] خلق أفعال العباد (ص١٢٥) مع تصرف يسير من الزرقاوي.
[3] السنة، الخلال، (ج٢/ص٥٧٧).
[4] المرجع السابق، (ص٥٥٧).
[5] رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد، (ج٨ /ص١٥٤٤).

دعوى الروافض بتبديل؛ فإن الرَّافِضَة ليسوا من المسلمين، [...] وهي طائفة تجري مجرى اليهود والنصارى في الكذب والكفر)[1].

قال ابن تيمية: (وبهذا يتبيَّن أنَّهم شرٌّ من عامَّة أهل الأهواء، وأحقُّ بالقتال من الخوارج، وهذا هو السَّبب فيما شاع العُرف العامُّ: إن أهل البدع هم الرَّافِضَة، فالعامَّة شاع عندها أنَّ ضدَّ السُنِّيِّ هو الرافضي؛ لأنَّهم أظهر معاندةً لسُنَّة رسول الله ﷺ وشرائع الإسلام من سائر أهل الأهواء)[2].

وقال: (وإذا كانت السُّنَّة والإجماع مُتَّفقين على أنَّ الصَّائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلَّا بالقتل: قُتِلَ، وإن كان المال الذي يأخذه قيراطًا من دينارٍ، فكيف بقتال هؤلاء الخارجين عن شرائع الإسلام، المحاربين لله ورسوله ﷺ؟)[3].

ومع هذا كله فليعلم أهل الإسلام أنا لسنا أول من بدأ السير في هذا المهيع، ولسنا أول من شهر السيف؛ فإن هؤلاء القوم ماضون في قتل دعاة الإسلام والمجاهدين عن الملة، والطعن في ظهورهم، في ظل صمت وتواطؤ من العالم كله، بل حتى من الرموز المحسوبة على السنة وللأسف.

ثم إنهم من بعد شوكة في حلوق المجاهدين، وخنجر في خاصرتهم، والناس قاطبة تعلم أن أكثر المجاهدين الذين سقطوا أثناء الحرب كانوا على أيدي هؤلاء القوم، وما زالت الجروح تتسع، وهم يُعمِلُونَ فيها خناجر الحقد والكيد دائبين، لا يفترون آناء الليل وأطراف النهار.

٣. أما أهل السنة:

فأضيع من الأيتام على موائد اللئام، وقد فقدوا الرائد، وتاهوا في بيداء السذاجة والغفلة، مع الفرقة والتشرذم، وضياع الرأس الجامع الذي يلم الشتات، ويمنع البيضة أن تتشظّى، وهم أيضا أصناف:

---

[1] الفصل في الملل والأهواء والنحل، (ج٢/ص٦٥).
[2] مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص٤٨٢).
[3] المرجع السابق، (ص٥٤٠-٥٤١).

أ. العامة:

وهؤلاء [كلمات محذوفة من أصل الرسالة]، هم الكثرة الصامتة والحاضر الغائب، وهؤلاء وإن كانوا في الجملة كارهين للأمريكان، يتمنون زوالهم وانقشاع سواد غيمتهم، لكنهم مع ذلك يتطلعون إلى غد مشرق، ومستقبل زاهر، وعيش رغيد، ورفاهة ونعمة، ويستشرفون ذلك اليوم، وهم مِن بُعد؛ فريسة سهلة لإعلام ماكر ومخلب سياسي علا فحيحه.

ب. المشايخ والعلماء:

[كلمات محذوفة من أصل الرسالة]

ج. الإخوان:

وهم كما عهدتموهم: يمتهنون التجارة بدم الشهداء، ويبنون مجدهم الزائف على جماجم المخلصين، قد أذالوا الخيل ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد... وكذبوا!!

كل سعيهم لبسط السيطرة السياسية، والاستحواذ على مناصب التمثيل لأهل السنة في كعكة الحكومة المزمع إنشاؤها، مع حرص في الباطن على السيطرة على المجاميع المجاهدة عبر الدعم المالي لغايتين:

الغاية الأولى: لعمل دعائي إعلامي في الخارج يستدرون به المال والعطف [كلمات محذوفة من أصل الرسالة].

الغاية الثانية: لضبط الوضع، وفكفكة هذه المجاميع عند انتهاء الحفل وتوزيع الهدايا والعطايا، وهم الآن جادون في إنشاء هيئة شورى أهل السنة والجماعة؛ ليكونوا الناطقين باسم أهل السنة والجماعة، ودأبهم إمساك العصا من الوسط، والتقلب بتقلب الأجواء السياسية، فدينهم زئبقي، ليس لهم أصول ثابتة، ولا ينطلقون من قواعد شرعية مستقرة والله المستعان.

د. المجاهدون:

وهؤلاء هم خلاصة أهل السنة، وعصارة الخير في هذا البلد، وهم ينتسبون في الجملة إلى عقيدة أهل السنة والجماعة، وإلى مذهب السلف، وبطبيعة الحال فقط تشظت السلفية عند منعرج اللوى، وتخلف عن الركب أهل الإرجاء.

وهؤلاء المجاهدون في الجملة يمتازون بالآتي:

الميزة الأولى: أكثرهم قليلو الخبرة والتجربة، وخاصة في العمل الجماعي المنظم، ولا شك أن ذلك بسبب نتاج نظام قمعي، عسكَرَ البلد، ونشر الرعب، وبث الخوف والوجل، ونزع الثقة بين الناس، ولذلك فأكثر المجاميع تعمل منفردة، من غير أفق سياسي أو بعد نظر وإعداد لوراثة الأرض، نعم بدأت الفكرة تنضج، وعلا الهمس الخفيف ليصبح حديثًا صاخبًا عن وجوب التجمع وتوحيد الراية؛ لكن الأمور ما زالت في بواكيرها ونحن بحمد الله نحاول إنضاجها سريعًا.

الميزة الثانية: الجهاد هنا وللأسف هو ألغام تُزرع، وصواريخ تُطلق، وهاون يُضرب من بعيد، ولا يزال الإخوة العراقيون يؤثرون السلامة، وأن ينقلبوا إلى أحضان أزواجهم لا يروعهم شيء، وربما تباهت المجاميع فيما بينها أنه لم يُقتل منها أحد أو يُؤسر، ولقد قلنا لهم في مجالسنا الكثيرة معهم: إن السلامة والنصر لا يجتمعان، وشجرة الظفر والتمكين لا تبسق شاهقة إلا بالدماء والاستبسال، والأمة لا تحيا إلا بأريج الشهادة، وعطر الدماء الفواح المهراق في سبيل الله، ولا يفيق الناس من سكرتهم إلا إذا صار حديث الشهادة والشهداء هو سميرهم وهجيراهم، ولا يزال الأمر يحتاج إلى مزيد صبر وإقناع، والأمل بالله كبير.

هـ. المجاهدون المهاجرون:

وهؤلاء ما زالت أعدادهم نزرة بالقياس إلى ضخامة المعركة المتوقعة، ونحن نعلم أن أرتال الخير كثيرة، وأن زحف الجهاد ماض، وأنه لا يقعد بكثير منهم عن النفير إلا تشوش الراية وتغمغم الحقيقة.

وإنما يمنعنا من الاستنفار العام أن البلد ليس فيها جبال نأوي إليها، أو غابات نكمن في أجمها، فظهورنا مكشوفة وحركتنا مفضوحة، والعيون في كل مكان، والعدو من أمامنا، والبحر من ورائنا؛

ولذلك يكون الإخوة أحيانًا كثيرة كلًّا علينا في إيوائهم وحفظ أمنهم، وهذا يجعل تدريب الجدد الأغمار بمنزلة حمل الأغلال والآصار، وإن كنا بحمد الله ومع الجهد الدائب والبحث الحثيث ظفرنا ببعض الأماكن التي تتكاثر مع الأيام بحمد الله، لتكون نقاط ارتكاز لإخوة يسعرون الحرب، ويحملون أهل البلد إلى ميادين الجهاد، لتدور رحى حرب حقيقة بإذن الله.

ثانيًا. الواقع والمستقبل:

لا شك أن خسائر الأمريكان كبيرة جدًّا بسبب انتشارهم في رقعة واسعة، وبين ظهراني الناس، وبسبب سهولة الحصول على السلاح، مما يجعلهم أهدافًا سهلة، يسيل لها لعاب المؤمنين، لكن أمريكا ما جاءت لتخرج، وما كان لها أن تخرج مهما كثرت فيها الجراح وسال منها من دماء، وهي ترنو إلى المستقبل القريب، الذي تأمل فيه أن تتوارى في قواعدها، آمنة مطمئنة، لتسلم العِراق لأيدي حكومة لقيطة، بجيش وشرطة يعيدون للناس سيرة صدام وزبانيته.

[كلمات محذوفة من أصل الرسالة]

ثالثًا. فأين نحن؟

مع قلة الناصر، وخذلان الصديق، وضيق الحال؛ فقد أكرمنا الله تعالى بحسن النكاية في العدو، وكل العمليات الاستشهادية التي تمت، سوى عمليات الشمال، كنا بحمد الله مفتاحًا لها، رصدًا وإعدادًا وتخطيطًا، وقد كَملت بحمد الله حتى الآن خمسًا وعشرين؛ فمنها في الرَّافِضَة ورموزهم، والأمريكان وعساكرهم، والشرط والجنود، وقوات التحالف، والقادم أكثر إن شاء الله.

وإنما كان يمنعنا من الإعلان: أنا كنا نتريث حتى يكون لنا ثِقل على الساحة، ونفرغ من إعداد أجهزة متكاملة، قادرة على تحمل التبعات بعد الإعلان، حتى نظهر بقوة ثم لا ننتكس والعياذ بالله، ونحن بحمد الله قد قطعنا شوطًا جيدًا، وطوينا مراحل مهمة، ومع قرب زمان الحسم فإننا نشعر أن الجسم بدأ يمتد في الفراغ الأمني، ليحرز نقاطًا على الأرض، تكون نواة انطلاقة وانبعاثة جادة بإذن الله.

رابعًا. خطة العمل:

بعد البحث والفحص؛ يمكننا حصر عدونا في أربع طوائف:

١. الأمريكان: وهؤلاء كما تعلمون أجبن خلق الله، وهم صيد سهل بحمد الله، ونسأل الله أن يمكننا منهم قتلًا وأسرًا، لنشرد بهم من خلفهم، ولنقايضهم بمشايخنا وإخواننا المعتقلين.

٢. الأكراد: بشقيهم البرزاني والطالباني؛ هؤلاء غصة وشوكة لم يحن أوان حصادها، وهم آخر القائمة وإن كنا نجهد أن ننال بعض رموزهم إن شاء الله.

٣. الجنود والشرط والعملاء: وهؤلاء عين المحتل التي بها يبصر، وأذنه التي بها يسمع، ويده التي بها يبطش، ونحن بإذن الله عازمون على استهدافهم وبقوة في الفترة القادمة، قبل أن يستمكن لهم الأمر ويحكموا القبض.

٤. الرَّافِضَة: وهؤلاء في رأينا مفتاح التغيير؛ أقصد أن استهدافهم وضربهم في العمق الديني والسياسي والعسكري سيستفزهم لِيُظهِرُوا كَلَبَهُم على أهل السنة، ويُكشِروا عن أنياب الحقد الباطني الذي يعتمل في صدورهم، وإذا نجحنا: أمكن إيقاظ السنة الغافلين، حين يشعرون بالخطر الداهم والموت الماحق على أيدي هؤلاء السبئية، وأهل السنة على ضعفهم وتشرذمهم هم أحد نِصالًا، وأمضى عزائم، وأصدق عند اللقاء، مِن هؤلاء الباطنية؛ فإنهم أهل غدر وجبن، ولا يستطيلون إلا على الضعفاء، ولا يصولون إلا على مهيضي الجناح.

وأهل السنة في معظمهم يدركون خطر هؤلاء القوم، ويحذرون جانبهم، ويتخوفون عواقب التمكين لهم، ولولا المُخذّلون من مشايخ التصوف والإخوان: لكان للناس حديث آخر.

هذا الأمر، مع ما يُرجى له من إيقاظ الهاجع وتنبيه الراقد؛ فإن فيه تقليمًا أيضًا لأظفار هؤلاء القوم، وقلعًا لأنيابهم، قبل أن تدور المعركة المحتومة مع ما يرجى له من إثارة حنق الناس على الأمريكان، الذين جلبوا الدمار وكانوا سبب هذا الوبال، حذرًا من أن يمص الناس رحيق العسل،

ويظفروا ببعض الملاذ التي حرموا منها قديمًا، فيستنيخوا إلى الدعَة، ويخلدوا إلى الأرض، ويؤثروا السلامة، ويصدوا عن صليل السيوف وحمحمة الخيول.

[كلمات محذوفة من أصل الرسالة]

خامسًا. آلية العمل:

إن واقعنا -كما أسلفت لكم- يحتم علينا أن نعالج الأمر بكل شجاعة ووضوح، وأن نسعى في علاجه؛ لأننا نعتبر أنه لن يكون هناك نتيجة يكون فيها ظهور الدين، فالحل والله تعالى أعلم الذي نراه؛ أن نقوم بكشف الرَّافِضَة، واستنهاض همم أهل السنة لِقتالهم وصدِّهم، لعدة أسباب؛ وهي:

أ. إنها -أي الرَّافِضَة- قد أعلنت الحرب المبطنة على أهل الإسلام، وإنها العدو القريب الخطير لأهل السنة، وإن كان الأمريكان هم أيضًا عدوًّا رئيسيًّا ولكن الرَّافِضَة خطرهم أعظم، وضررهم أشد، وأفتك على الأمة من الأمريكان، الذين تجد شبه إجماع على قتالهم، كونهم عدوًّا صائلًا.

ب. إنهم والوا الأمريكان وناصروهم، ووقفوا في صفهم، في وجه المجاهدين، وبذلوا لهم وما زالوا يبذلون كل غال ونفيس، في سبيل القضاء على الجهاد والمجاهدين.

ج. إن قتالنا لِلرَّافِضَةِ هو السبيل لاستنفار واستنهاض هِمم الأمة للمعركة، [كلمات محذوفة من أصل الرسالة].

أولًا: سعينا حثيثًا وركضنا مسابقة للزمن لتكوين سرايا مجاهدة، تأوي إلى بؤر آمنة، وتجوس الديار مجاهدة، تصطاد العدو في الطرقات والدروب من الأمريكان والشرط والجنود، ونحن ماضون في تدريب هؤلاء وتكثيرهم، أما الروافض فستكون النكاية فيهم بإذن الله بعمليات استشهادية وسيارات مفخخة.

ثانيًا: نحن نجهد منذ فترة في رصد الساحة وغربلة العاملين؛ بحثًا عن الصادقين ذوي المنهج السوي لنتعاون معهم على الخير، وننسق معهم بعض الأعمال، وصولًا إلى الالتحام والتوحد، بعد التمحيص والتجربة، ونرجو أنا قد قطعنا شوطًا جيدًا ولعلنا نقرر الإعلان قريبًا، ولو بشكل تدريجي،

لنظهر علانية؛ فقد طال زمن الكمون، ونحن جادون في تجهيز مادة إعلامية: تكشف الحقائق، وتستنفر العزائم، وتستنهض الهمم، وتكون ساحة لجهاد يتكامل فيه السيف والقلم.

ثالثًا: يرافق هذا سعي نرجو أن يشتد في كشف الشبهات المعوقة وبيان الأحكام الشرعية، عبر الأشرطة الصوتية، والدروس العلمية؛ نشرًا للوعي، وترسيخًا لعقيدة التوحيد، وإعدادًا للبنية التحتية، وإبراءً للذمة.

رابعًا: [كلمات محذوفة من أصل الرسالة].

سادسًا: الزمن المقترح للتنفيذ؛ أملنا أن تتسارع وتيرة العمل وتتشكل سرايا وكتائب بخبرة وتجربة وجلد انتظارًا لساعة الصفر، التي نبدأ فيها بالظهور العلني، والسيطرة على الأرض في الليل ليمتد الأمر إلى النهار بإذن الواحد القهار.

[كلمات محذوفة من أصل الرسالة].

ويعلم الله أنا ما سعينا في يوم لنبني مجدًا لأنفسنا، وكل الذي نرجوه أن نكون رأس حربة وطليعة تمكين وجسرًا تعبر عليه الأمة إلى النصر الموعود، والغد المنشود.

هذه رؤيتنا قد شرحناها، وهذا سبيلنا قد جليناه، فإن وافقتمونا عليه وارتضيتموه لنا منهاجًا وطريقًا، واقتنعتم بفكرة قتال طوائف الردة: فنحن لكم جند محضرون، نعمل تحت رايتكم وننزل على أمركم، بل ونبايعكم علانية على الملأ وفي وسائل الإعلام؛ إغاظةً للكفار، وإقرارًا لعيون أهل التوحيد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، وإن بدا لكم غير ذلك: فنحن إخوة ولا يفسد الخلاف للود قضية، نتعاون على الخير ونتعاضد على الجهاد، وبانتظار جوابكم.

حفظكم الله مفاتيحَ للخير، وذخرًا للإسلام وأهله، آمين آمين.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حوار مع الشيخ أبي مصعب الزرقاوي

حاوره: أبو اليمان البغدادي

١٤٢٧هـ



[غلاف الحوار]

بسم الله الرحمن الرحيم

كان الإخوة في القسم الإعلامي لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين "سابقًا"؛ قد طلبوا قبل سنةٍ تقريبًا من الشيخ أبي مصعب -رحمه الله -إجراء لقاء معه؛ لأجل الوقوف على بعض الإجابات الملحة عن قسم من التساؤلات، ولكن الشيخ أبا مصعب قال لهم بأنه سيستخير الله تعالى ثم يعطيهم رأيه بهذا الطلب، وفعلًا جاءهم الجواب بعد مدة أن الشيخ وافق على طلبهم، وتم استدعاء مراسل القسم الإعلامي لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين آنذاك الأخ أبي اليمان البغدادي رحمه الله لإجراء لقاء "صحفي" مع الشيخ أبي مصعب، وكانت المقابلة قد جرت على شكل حوار؛ حيث دخل الأخ أبو اليمان في نقاش مطول مع الشيخ أبي مصعب.

وإلى الإخوة الكرام تقدم مؤسسة الفرقان للإنتاج الإعلامي هذه المقابلة، التي حصلت عليها من أرشيف الإخوة في القسم الإعلامي لتنظيم القاعدة في بلاد الرافدين، سائلين الباري جل ذكره التوفيق والسداد في أمرنا كله، والله المستعان وعليه التكلان.

نص الحوار مع الشيخ أبي مصعب الزرقاوي رحمه الله:

- أبو اليمان: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته شيخنا أبا مصعب.

- الشيخ أبو مصعب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.

- أبو اليمان: من هو الشيخ أبو مصعب؟

ج/ اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلًا، وأنت تجعل الحزن إذا ما شئت سهلًا.

أخوكم في الله العبد الفقير لعفو ربه أحمد فضيل نزال الخلايلة، من عشائر بني حسن في الأردن.

- أبو اليمان: متى كانت بداية توجهك إلى التدين؟

ج/ كان ذلك في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي، وكانت بدايتي في مسجد الحسين بن علي الكائن في مدينة الزرقاء، ثم بعد التزامي بستة أشهر ذهبت إلى أفغانستان حيث أرض الجهاد.

- أبو اليمان: الجهة التي احتضنتك؛ هل كانت ذا توجه معين أو ذات تدين عام؟

ج/ الشباب الذين اهتديت على أيديهم كانوا من أصحاب التدين العام، وتعرف أن المرء قبل الالتزام لا يميز بين المناهج، لكن على العموم كان تديني تدينًا عامًّا.

- أبو اليمان: هل كانت هناك شخصية معينة تأثرت بها قبل هدايتك؟

ج/ لا، لم يكن هناك أي شخصية قد تأثرت بها قبل التزامي، وكان الداعي الذي دفعني إلى التدين أني مررت بأكثر من حادثة تعرضت فيها للهلاك وشارفت معها على الموت؛ فشعرت أن الله عزّ وجل ينذرني، وبعدها اهتديت والتزمت طريق الإسلام.

- أبو اليمان: الانتقال من التدين العام إلى ذروة الإسلام وهو الجهاد، كيف تمّ ذلك؟

ج/ خلال وجودي مع الإخوة في المسجد كنت -بفضل الله تعالى- محافظًا على صلاة الجماعة، وكان الإخوة يتذاكرون أخبار الجهاد في أفغانستان، وكانت تأتينا من هناك بعض الأشرطة للشيخ عبد الله عزام رحمه الله الذي كان له تأثيرٌ كبيرٌ في توجّهي صوب الجهاد، وكانت تأتينا كذلك مجلة الجهاد وبعض الأفلام المرئية التي أثّرت فيّ كثيرًا، وجعلتني من بين الشباب الذين حرصوا على الذهاب إلى ساحات الجهاد في أفغانستان، وعزمت على الهجرة تاركًا ورائي أهلي، حيث لم يكن مضى على زواجي إلا مدة قصيرة جدًّا تقارب الشهرين، وكان عمري آنذاك ثلاثًا وعشرين سنة.

س/ الرحلة إلى أفغانستان كيف تمت؟

ج/ حصلت على الفيزا من السفارة الأردنية؛ لأن الأمر كان وقتها ميسرًا من قبل هذه الأنظمة التي تأتمر بأمر أمريكا، فسهلت انتقال الشباب إلى أفغانستان؛ من أجل القضاء على الاتحاد السوفيتي، وإيقاف زحفه نحو المياه الدافئة كما هو الحلم الروسي.

وتعلم أن العالم كان منقسمًا تحت سلطة المعسكر الرأسمالي والمعسكر الاشتراكي الشيوعي، وكان كلاهما يتنافس على مناطق النفوذ لا سيما في الشرق الأوسط، ولما كانت الدول العربية على الأغلب تابعة للإدارة الأمريكية؛ فقد غضّت الطرف عن إعلان الجهاد على الاتحاد السوفيتي، ومن ثم يسّرت هذه الدول طرق الوصول إلى أفغانستان.

وقد كان وصولي إلى أفغانستان في سنة ١٩٨٩م، وبعد أن مكثتُ ثلاث سنوات هناك عدتُ إلى الأردن في عام ١٩٩٢م.

س/ ما هو سبب خروجك من أفغانستان؟

ج/ كنا في أفغانستان، ولكن -سبحان الله- بدأت الأحزاب تتقاتل فيما بينها بعدما سقطت كابل، ورأينا بعض الأوضاع التي كانت بعيدة عن المنهج القويم؛ فارتأينا أن نخرج من أفغانستان لنحاول أن نفعل شيئًا في بلاد الشَّام، وعلى وجه الخصوص في فلسطين والأردن.

- أبو اليمان: إذن كان رجوعكم طلبًا لنقل تجربة الجهاد الأفغاني إلى أرض الشَّام، ولكن ما هو تقويمك للتجربة التي خضتموها في الأردن؟

ج/ لما رجعنا إلى الأردن؛ كانت عندنا نوعٌ من الحماسة الزائدة، وهذا واضح، وكنا نشكو كذلك من قلة الخبرة وضعف التجربة؛ إذ لم نكن قد خضنا تجربة كافية.

- أبو اليمان: هل لكون التجربة كانت عسكرية بحتة أو ماذا؟

ج/ أجل -نوعًا ما- كانت التجربة عسكرية، ويطغى عليها احتراف فنون القتال، ولم يكن هناك ثمة تأكيد على الجوانب التنظيمية أو على ما يجب مراعاته من بناء شرعي، فكنا نريد أن نقيم الجهاد بما أمكن وقد نكون تعجلنا في بعض المسائل، وكان هناك بعض الثغرات الأمنية؛ بسبب ضعف خبرتنا التنظيمية وقصور تجربتنا الجهادية آنذاك، وهذا الذي أذكره خاص بتجربتي التي خضتها مع بعض الإخوة الذين قرّروا نقل التجربة إلى الأردن، فلم تكن ثلاث سنوات في أفغانستان لتكفي.

- أبو اليمان: بماذا نفعكم الجهاد في أفغانستان وبماذا أضر؟

ج/ على العكس لقد نفعنا الجهاد في أفغانستان، وهذا أمر لا شكّ فيه.

أما القصور؛ فقد كان بسبب طبيعة الأوضاع في أفغانستان -آنذاك-؛ حيث عشنا هناك حياة الجبهات وكان جهادًا عامًّا، مع الكفار وكنا نجلس الشهور الطويلة في الجبهات، ولم يكن هناك برنامج منظم بحيث إنك تكون وسط جماعة تبدأ تربيتك تربية جهادية تشمل التربية الشرعية والتنظيمية، ولم يكن هناك شيء من هذا، بل كانت هناك معسكرات تتدرب فيها، ثم تنزل إلى الجبهات لترابط وتقاتل فحسب.

س/ ما هي أوجه الشبه والفروق بين الحال الآن في العراق وبين ما جرى في أفغانستان أيام الجهاد الروسي؟

ج/ هناك لم تتسن فرصة للتنظيم أو لبناء شخص منظم، أما في العراق الآن فإن التجربة من هذه الناحية أفضل، ولعل من أسباب ذلك أن المجاهدين في العراق استفادوا من تجارب السابقين.

وخلال المدة اللاحقة -أي بعد وصول طالبان إلى الحكم- نضجت التجربة، وقد كانت التجربة السابقة كفيلة في إنضاج وتوضيح الكثير من الأوضاع اللازمة للجهاد الصحيح وهذا الأمر واضح، فمنذ خروجنا من أفغانستان سنة ١٩٩٢م إلى اليوم فرق كبير.

س/ كم بينك وبينهم؟

١١ سنة، وهي كفيلة بأن تُنضج رؤيتنا للأمور وطريقة التعامل مع الأحداث.

س/ هل هذا هو السبب الرئيس أو من أهم الأسباب؟

ج/ إن الجهاد في أفغانستان له مقوماته، لكن لا شك أن الجهاد في العراق في مدة قصيرة استطاع أن ينكل -بفضل الله تعالى- بالكفار، وأن يوقع بهم نكاية عظيمة، مع ملاحظة أمر هام؛ وهو أن المعطيات الموجودة على الساحة العراقية غير موجودة في أفغانستان.

س/ ما هي أهمية وضوح المنهج واستقامته مع الكتاب والسنة في سير الجهاد؟

ج/ وضوح المنهج مهم لأي جماعة تجاهد في سبيل الله تعالى، ولا بد للجماعة المجاهدة أن تحدد هدفها في بداية الطريق.

لماذا تجاهد؟ وعلى أي أساس تجاهد؟

س/ ما هي أهم الأخطاء التي شهدها الجهاد الأفغاني ضد الروس؟

ج/ كان الناس يقاتلون لإسقاط الحكم الشيوعي وتحكيم شرع الله عزّ وجل؛ فالهدف من هذه الناحية كان واضحًا، ولكن تبيّن لنا مع مرور الأيام أن الكثير من الجماعات المقاتلة كانت على منهج معوج، وهنا من الواجب علينا الاستثناء؛ لأن هناك بعض الفصائل كانت ذات منهج جيد، ولا بد من التفريق ما بين حسن القصد وصحة المنهج ولا نشكك في النيّات فنقول: كان هناك قصور في الرؤية، وهذا جعلهم يقبلون العلماني والشيوعي، والقتال مع الوطني، وفاتهم التمييز منذ البداية فواجهوا مشكلات جمّة في الأخير.

أغلب الرموز من القادة في أفغانستان كانوا "إخوانًا" أو علمانيين يزعمون الجهاد كـ (سياف، ورباني وحكمتيار وأحمد شاه مسعود)؛ لهذا لم يكن منهجهم واضحًا على الرغم من زعمهم أنهم يريدون تطبيق الشريعة، وسبب ذلك أن أفغانستان كان لها ميزة تختلف كثيرًا عن دول العالم الإسلامي وهي صفة الالتزام وحب تطبيق الشريعة، فطبيعة الشعب الأفغاني محافظ، وهذا ما أدى إلى أن يكون السمت العام لهم سمتًا إسلاميًّا، لكن من ناحية المنهج فإنه لم يكن مطروقًا عندهم بوضوح، فماذا كانت النتيجة؟

لقد أظهرت القيادات -التي كانت ذا منهج معوج- خياناتهم فيما بعد كـ(سياف، ورباني وأحمد شاه مسعود) وتحالفوا مع البوذيين الهنادكة ومع الأمريكان، وقبلوا بالأمريكان ولم يقبلوا بـ"طالبان".

س/ بماذا تختلف طالبان عن البقية؟

ج/ طالبان تختلف عن قادة الجهاد الأول والذين كانوا -معظمهم - ينتمون إلى المدرسة الحركية الإخوانية بخلاف حركة طالبان، التي يغلب عليها طابع ما يعرف عندهم بـ"الملالي".

ولما كانت طالبان هي مدرسة من المدارس الدينية أصحاب منهج المدرسة الديوبندية وتختلف عن مدرسة الإخوان؛ فلهذا لم يقبل هؤلاء بها، ولذلك وجدتهم وقفوا في صف الأمريكان، و-للأسف الشديد- هذا إن دلَّ دلّ على فساد المنهج عند هؤلاء القوم، لكن هذا الفساد لم يكن ليظهر في بداية الأمر للناس، ثم بعد مدة انكشفت الخبايا، وعند النوازل تنكشف الحقائق وتتميز الصفوف.

س/ بالمقابل يطالبكم المنظرون قائلين: ما هو منهجكم؟ وما هو مشروعكم السياسي؟ وإلى ماذا تبتغون الوصول؟

ج/ أما برنامجنا السياسي -كما يسميه البعض-؛ فإنا نجده مجموعًا مفصلًا في قول النبي ﷺ: "بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ؛ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ"[١].

ومما ينبغي التنويه له أننا لا نؤمن بالسياسة على الطريقة المعهودة عند بعض الجماعات ذات التوجه الحزبي، والتي ترفع الإسلام شعارًا لها، ثم تراها داخلة في البرلمانات وتشارك الطغاة في إشغال المناصب التي تحتكم لغير شرع الله.

كما أن المشاريع السياسية لبعض الجماعات فيها متاهات مريرة ومخالفات كثيرة -نسأل الله تعالى السلامة منها-، ولهم تطبيقات منحرفة بعيدة كل البعد عن الدين.

مشروعنا السياسي -كما أسلفت- قول الرسول ﷺ: "بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ؛ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ".

---

[١] رواه أحمد، وابن أبي شيبة، والطبراني في مسند الشاميين، وغيرهم، (صححه ابن تيمية والذهبي وابن حجر وغيرهم).

وكما يُلاحَظ فإن الرسول عليه الصلاة والسلام بعث بالسيف حتى يعبد الله وحده، وهذا ما يحدد مشروعنا السياسي: نقاتل في سبيل الله حتى يقام شرع الله، وأول ذلك أن نطرد العدوّ، ثم نقيم دولة الإسلام، ثم ننطلق في فتح بلاد المسلمين لاستردادها، ثم بعد ذلك نقاتل الكفار حتى يقبلوا بإحدى ثلاث، "بعثت بالسيف بين يدي الساعة"؛ هذا هو مشروعنا السياسي.

ووالله لو لم يقاتلنا الأمريكان ولم يصولوا على ديارنا هم واليهود: لَكان الأولى بالمسلمين ألا يجلسوا عن الجهاد في سبيل الله، وأن يطلبوا العدوّ حتى يُحَكّم شرع الله عزّ وجل على هذه البسيطة ويُنشر الإسلام في كل مكان، وهذا ما كان يفعله النبي عليه الصلاة والسلام عندما خرج من مكة إلى المدينة؛ فبعد أن أقام دولة الإسلام بدأ يتحرك بنشر الإسلام في الشرق والغرب وفي الشمال وفي الجنوب.

مشروعنا السياسي الآن: طرد العدوّ الصائل –هذا بداية–، أما مشروعنا بعده فهو إقامة شرع الله تعالى في الأرض "بعثت بالسيف بين يدي الساعة؛ حتى يعبد الله وحده".

هذا برنامجنا السياسي: "بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ؛ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ".

وفي الجملة: فإن هذا الحديث من بدايته إلى نهايته يحدد معالم طريقنا.

أما الذين يقصدون بالمشروع السياسي المصطلح الحادث –الذي يخالف الشرع؛ كالسياسة التي فيها مداهنة وتنازل عن ثوابت العقيدة، وتمييع مسائل البراءة من الكفار–: فهذا من السياسة المنحرفة التي لا يصح وصفها بالشرعية؛ لأنها تخالف الشرع، ولا يصح أن تنسب إليه.

س/ لم يزد جون أبي زيد على القاعدة عندما قال: (إن القاعدة تسعى خلال مائة عام للسيطرة على الأرض)؟

ج/ لا نذيع سرًّا إذا قلنا: إننا نعمل على نشر عدل الإسلام في الأرض كلها، ومحق ظلم الكفر وجور الأديان، ونرجو من الله عزّ وجل أن يجعلنا طليعة للأمة في القتال من أجل ذلك، وأن يمنّ علينا حتى نطرد هذا العدوّ الصائل، ثم نسترد حقوق المسلمين، ونطهر ديارهم من رجس الكفر

والشرك، ثم بعد ذلك ننشر دين الله عزّ وجل في الأرض، ولا نجد غضاضة في التصريح بهذا الأمر؛ فهو أمر كتبه ربنا علينا وفرضه على عباده.

س/ لماذا تؤكدون دائمًا على وجوب الجهاد في العراق؟

ج/ الواجب على المسلم أن يلتزم بأوامر الله عزّ وجل كما أراد وكما أمر، وهو أن يسعى لتطبيق شرع الله عزّ وجل كسعيه في أداء الصلاة والزكاة والحج، وكما أن هذه فروض وشعائر من شعائر الإسلام فرضت على العبد المسلم: فكذلك الجهاد في سبيل الله عزّ وجل فريضة من الفرائض، والجهاد في حقه فرض كفاية، ولكن يتعين في حالات ثلاث -ومنهم من قال: أربع-.

والمشهور أنها ثلاث: إذا دهم العدوّ ديار الإسلام يصبح الجهاد فرض عين، ويتعين كذلك إذا استنفر الإمام المسلمين، وإذا التقى الزحفان يتعين كذلك.

والحالة الأولى أي: دخول العدوّ ديار الإسلام أو صولته على المسلمين -هي أشد الحالات التي يتعين فيها الجهاد وهي التي قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "ولا يشترط له شرط"، ولا يظن أن شيخ الإسلام يقصد بعدم اشتراط أي شرط لجهاد الدفع أنه نقاتل تحت أي راية ومن غير أي ضوابط، وإنما قصد عدم اشتراط ما هو معهود عند الفقهاء من الشروط؛ ففي جهاد الدفع يخرج المدين من غير إذن الدائن، والمرأة من دون إذن زوجها، والولد من دون إذن والديه؛ هذا هو المقصود من كلام شيخ الإسلام: ولا يشترط له شرط.

وجهادنا في هذا الوقت هو جهاد لدفع الصائل، والناظر لحال الأمة اليوم يرى بوضوح أن ما تتعرض له من هجوم هو حملة صليبية شرسة لن تنتهي باحتلال العراق، ولن تتوقف قبل ابتلاع ديار الإسلام كلها وتنصير أهلها أجمعين -كما يتمنون-.

والمعلوم أن الحملة الصليبية استهدفت العراق؛ بقصد التمكين لليهود، وتحقيق حلم اليهود بقيام دولة إسرائيل الكبرى من النيل إلى الفرات، وعقيدة الإدارة الأمريكية في هذا واضحة؛ فهي تؤمن بأنه لا نزول للمسيح -مسيحهم الدجال- قبل قيام دولة إسرائيل الكبرى ووقوع معركة هرمجدون.

وكان من أهدافهم كذلك -المتفرعة عن هدفهم الأول-: هو السيطرة المباشرة على منابع النفط؛ للتحكم بأسعاره، ومنع أي دولة من دخول حلبة المنافسة مع الأمريكان، وكان من مخططهم الانتقال إلى السيطرة المباشرة على جزيرة العرب والشَّام معًا؛ ولهذا فإن الأمة -كل الأمة- مأمورة بدفع هذه الصولة الصليبية اليهودية عن ديار المسلمين، والوقوف بوجه هذا المخطط الذي إن نجح -لا قدر الله تعالى- فإن المسلمين سيكونون عند ذاك على خطر عظيم، ويُهدَّد دينهم ووجودُهم بالزوال؛ ولهذا نؤكد على أن الجهاد في العراق فرض عين على المسلمين، والواجب على المسلمين إعانة إخوتهم في بلاد الرافدين، وإمدادهم بالمال وبالرجال، وبكل ما يستطيعون من قوة.

والجهاد في العراق كما قلت: هو جهاد لدفع الصائل؛ ومن هنا قلنا: إنه لا يشترط له شرط، وهو فرض عين على كل مسلم قادر، وهذه واحدة.

والثانية: أن النفير لنصرة مسلمي بلاد الرافدين واجبٌ على المسلمين كافة، والله يقول: {اسْتَنصَرُوكُمْ}.

س/ هناك من يعترض على قدوم الإخوة المهاجرين العرب وغيرهم لنصرة إخوانهم ومحاربة الصليبيين؛ فماذا تقولون لمثل هؤلاء؟

ج/ هؤلاء صنفان؛ فهم إما جهّال لا يفقهون طبيعة هذا الدِّيْن، وإما أنهم مغرضون يريدون أن يصدوا المهاجرين عن اللحاق بإخوانهم الأنصار للقتال في سبيل الله تعالى؛ حتى لا يُؤخذ قتالهم بصفة عامة أنه جهاد عالمي.

والذي يمنع نصرة المسلمين بعضهم لبعض؛ إما أنه جاهل فيُعَلَّم، وإما أنه مغرض فنسأل الله السلامة من سوئه وزغل قلبه.

ولا بد من التسليم بأن من الواجب على المسلمين أن ينفروا لنصرة بعضهم بعضًا، ومن الضروري أن نتفق بأن ديار المسلمين هي دار واحدة، أما ما حدده الأعداء (الأمم الكافرة) من حدود

ورسموها، وقسموا بموجبها بلاد المسلمين إلى دويلات؛ فإنا لا نؤمن بها، ولا تُلزمنا حدود سايكس بيكو.

نحن المسلمون أمة واحدة، وأراضي الإسلام أرض واحدة، نقاتل لأجل "لا إله إلا الله"، لا نقاتل لأجل أرض فحسب؛ لأننا مأمورون بالدفاع عن أهل الإسلام، والنفير لأجل حفظ بيضة المسلمين ونصرة جميع إخوتنا في الدِّيْن.

هذا هو الأصل: أن ينصر المسلم أخاه المسلم.

أما هذه الفرضيات التي وضعوها؛ فإنها مما لم ينزل الله بها من سلطان؛ فالعراق ليس لـ"العراقيين" وحدهم بل هي أرض الصحابة، هذه الأرض سبق أن فتحها أجدادنا ورويت بدماء أهل الإسلام.

جاء الصحابة من مكة والمدينة ومن غيرها ومن اليمن؛ ففتحوا هذه البلاد، ومنها انطلقوا لنشر الإسلام، وعلى هذا فإن الأصل الذي نحتكم إليه في مثل هذه القضية: أن بلاد الإسلام –سواء العراق أو غيره– هي أرض إسلامية، يحكمها أهل الإسلام، ويدافع عنها المسلمون، على اختلاف ألوانهم وتنوع أعراقهم.

أما إسباغ صفة العرقية أو الوطنية على جهاد يحددونه بحدود سايكس وبيكو؛ فهذا ما لا يلزمنا ولن نحتكم إليه ما حيينا، وسيسعى المجاهدون لتحطيم هذه الأصنام وهذه الطواغيت وهذه الحدود؛ لأنها –أصلًا– من مخططات الصليبيين ومن وضعهم، فهم من وضع هذه الحدود المصطنعة.

نحن نقول لهم: نحن أمة واحدة نقاتل لأجل "لا إله إلا الله" لا نلتزم بحدودكم، وأرض العراق هي لكل المسلمين، وأرض مصر هي لكل المسلمين، وهكذا بقية أراضي المسلمين.

س/ لماذا ترون أن الجهاد في العراق إذا ما انتهى فستصاب الأمة بانتكاسة كما صرّحتم في أكثر من مرّة؟

ج/ العدوّ عندما صال على العراق؛ كان في مخططه مواصلة الحملة الصليبية للسيطرة على الشَّام وعلى جزيرة العرب، وكما أسلفت: التمكين لدولة إسرائيل الكبرى؛ فكان يظن أن هذا المخطط –

بعد سقوط النظام العراقي والجيش العراقي الذي تبخر في لحظات- سيكون سهلًا ميسورًا، وأنه سيسير على وفق ما يرجون، لكن عندما قام المجاهدون وجاهدوا هذا العدوّ -بفضل الله عزّ وجل- استطاعوا أن يقفوا في وجه هذا العدوّ الصائل ويبدّدوا أحلامه.

هنا بدأ العدوّ يسعى بحيل أخرى حتى يحاول أن يصل إلى ما يبتغيه.

وقوف المجاهدين كان فيه نعمة كبيرة وخير عظيم، ولو لم يقف المجاهدون لنفّذ المخطط والله أعلم بأحوال الشَّام وأحوال الجزيرة العربية، ونحن نعتقد بأن هؤلاء كان عندهم برنامج للسيطرة على العراق وغير العراق، وهجومهم على العراق كان لذاته ولغيره؛ لذلك وجب على الأمة أن تساند المجاهدين وتقف إلى جانبهم في مقاتلة هذا العدو.

انظر ماذا يفعل العدوّ بالمسلمين؛ كيف يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم وينتهك أعراضهم ويأخذ أموالهم؟

هو يفعل هذه الجرائم مع وجود المجاهدين؛ فما بالك لو لم يكن هنالك مجاهدون؟

فوجود المجاهدين صمّام أمان، وخط دفاع عن الأمة أفشل -أو كاد يفشل- بفضل الله تعالى هذه المخططات، وإن لم يستطيعوا ففي أقل تقدير أخّروا هذا العدوّ حتى تقف الأمة على أقدامها وتمتشق سلاحها وتنفض غبار الذّلِ عنها وتجاهد في سبيل الله عزّ وجل، ولهذا فإن سقوط المجاهدين أو انتهاء الجهاد في العراق سيترتب عليه نتائج وخيمة على الأمة.

نحن نعتقد أن المجاهدين في بلاد الرافدين هم خط الدفاع الأول عن هذه الأمة، وأن الله سبحانه وتعالى منَّ على المجاهدين في هذا الجهاد بأن أثخنوا في العدوّ وأصابوا منه أكثر من مقتل، وأوقعوا فيه الجراحات؛ ولهذا فإن المجاهدين صمام الأمان لهذه الأمة وسياجها المتين أمام هذه الغزوة الحملة الصليبية الرافضية.

فنحن نقاتل في العراق لذاته ولغيره.

نقاتل في العراق وعيوننا على بيت المقدس.

نقاتل في العراق وعيوننا على مكة والمدينة.

فنحن بفضل الله تعالى نقاتِلُ في العراق، ونسأل الله أن يمنّ علينا لندفع هذا العدوّ الصائل عن الأمّة جميعًا.

كما أنّ الجهاد في العراق من ناحية استراتيجية هو جهاد كبير الأهمية، ويشكل خطرًا عظيمًا على أعداء الله عزّ وجل، وبالذات هذه الأنظمة الطاغوتية ومن ورائها إسرائيل، فنحن بيننا وبين فلسطين مرمى حجر، وهذا الجهاد مهم؛ لأنه يقع في أخطر منطقة.

إن هذا العدوّ لو تمكن من بسط السيطرة على العراق: لفعل بالأمة الأفاعيل؛ ولهذا كان العدوّ يحث الخطى لبسط سيطرته حتى يكمل مشواره الذي جاء من أجله، وقد منّ الله تعالى على المسلمين فتصدى المجاهدون له واستطاعوا أن يضعوا العصا في العجلة فيبطئوها.

نعتقد أنه كلما طال أمد الجهاد في العراق كلما استيقظت الأمة من سباتها، فليس من مصلحة الأمة أن ينتهي الجهاد في العراق.

فكلما طال أمد الجهاد في العراق كلما انتفض شباب الأمة وأحيي الجهاد في نفوسهم.

والأمة ترى بفضل الله عزّ وجل كيف أن أبناءها يصولون على العدوّ، ويطعنونه من هنا وهناك، ويوقعون فيه الخسائر، ويثخنونه بالجراحات بفضل الله عزّ وجل.

وبقدر تقدم المجاهدين على الأرض يُرفَع الذل عن الأمة، وكلما تقدم المجاهدون خطوة يرفع الذل عن الأمة خطوات، وكذا كلما تأخر المجاهدون أُطبق الذل على الأمة وتأخرت سنوات.

لذلك من مصلحة الأمة أن يبقى الجهاد في العراق، ومن الواجب عليها أن تمد هؤلاء المجاهدين وقودًا يديم المعركة.

وعلى الأمة أن تقدم من أبنائها وفلذات أكبادها حتى يستمر هذا الجهاد ويأذن الله تعالى بوقوفها على أقدامها وتمتشق سيفها، بعدها لن يستطع أحد أن يقضي على هذه الأمة بإذن الله.

هذا الجهاد مهم؛ لأن أمريكا –والكفر من ورائها بفضل الله– بدأت خطوات سقوطهم.

الآن، الكفر بفضل الله عزّ وجل في انحدار وفي سقوط، والإسلام بفضل الله عزّ وجل في ارتفاع وفي صعود، وهذا الصعود قد يصاحبه أحيانًا بعض الابتلاءات، وقد يكون هناك بعض البطء في قسمٍ من المراحل وهذه ملازمة حتمية للمعارك والصراع، لاسيما مع القوة العسكرية الضخمة والآلة الإعلامية الكبيرة التي يملكها العدوّ، ومن هنا قد يكون هناك نوع من التشويش والتضليل والتغييب للحقائق الحقيقية، ولكن في نهاية الأمر سيظهر عوار العدوّ بإذن الله عزّ وجل.

س/ هل هناك فرق بين أن يحكم الأمة صليبي أو طاغوت عربي؟ وهناك من يقول: أنتم تقاتلون الصليبيين اليوم وسيأتيكم العلماني غدًا مكانه؟

ج/ لا شك أن هؤلاء المرتدين الذين يحكمون بلاد المسلمين هم نوابٌ للصليبيين وصنيعتهم، ولا شك أن الصليبيين هم من نصّبهم على بلاد المسلمين، ولا شك أن هؤلاء الحكام أشد كفرًا من اليهود والنصارى.

س/ ما الفرق إذن؟

ج/ في السابق كانوا يحكموننا بشكل مباشر، ثم تركونا بعد عجزهم عن مواجهة الثورات آنذاك، ولتغيرات عالمية نتج عنها أفول قوى ما يسمى بالاستعمار، وخلفوا وراءهم حكومات علمانية أكملت مهمة تغييب الشريعة ونحر الإسلام بدلًا عن الأجنبي الذي لا يطاق، ولما رأوا فشل هؤلاء الحكام في القضاء على الإسلام نزلوا إلى الساحة بأنفسهم.

وأُذكّر بأنا لا نُفرق بين طاغوت عربي وآخر أجنبي.

لكني أقول لك: أيام صدام –مثلًا– تعرفون كيف عاش الناس تحت حكمه؟

استلمنا من آبائنا ونحن في المهد ولأكثر من ثلاثين سنة وهو يحكمنا وقد كان مسيطرًا، والناس راضخون لسلطته، والأوضاع مستقرة له، والناس مُلبسٌ عليهم، كون القائمين على الدولة هم أبناء جلدتنا، وقد كان هؤلاء في الحقيقة أشد على الإسلام من الكافر الأصلي، فالكافر الأصلي مبغوض

وتكرهه النفوس، وهذا ما يشترك فيه جميع البشر، ومثال ذلك ما جرى بين الفيتناميين وبين الأمريكان، لكن المرتد الذي حكمنا قد درجت عليه النفوس، وحكمنا بالسلاح، واستطاع بالنار والحديد أن يلجم الناس، فكنّا مستضعفين معه، والوضع مستتب، والنظام باسط سيطرته.

نعم الأصل أن نسعى، ولكن السعي قد يكون ضعيفًا لقلة الإمكانيات، ولكون النظام قد أحكم سيطرته على الأمور فلا أستطيع أن أقاتله، وإلا فالأصل أن نقاتله وأن نمتشق السلاح لمواجهته؛ لأنه أظهر الكفر البواح، وهذا ما عليه الإجماع: أن الإمام إذا ما أظهر الكفر خلع وهذا طبعًا تبعًا للاستطاعة.

أما الآن؛ فالنظام قد سقط، وحُطمت منظومة النار والحديد التي كان يمتلكها، وجاءني عدوٌ صائل والنفوس مهيأة لقتاله، والسلاح موجود والإمكانيات متوافرة، والسعة أن أقف وأقاتل هذا العدوّ وعندها وجب على الأمة القتال.

أنا عندما أقاتل هذا العدوّ لا أقاتله لأمَكّن لليهود وغيرهم، أو ليأتي المرتدون ليحكموا أو يأتي علاوي ليحكم أو غيره، ولن نُسْلِمَ له الأمور بإذن الله، اللهم إلا في حالة واحدة هي أن نكون تحت الأرض.

أنا الواجبُ عليّ -فريضةً عينيةً- أن أدفع العدوّ الصائل، وأما الثمرة فليست علي، والنتائج ليست موكولة لي، الأمر في ذلك كلّه لله.

قد يقول قائل: أنت تقاتل اليوم ويأتي العلمانيون غدًا مكانكم؟

هذا رجمٌ بالغيب؛ أنا أمرت أن أقاتل هذا العدو، وما دمت مسلمًا فعليك أن ترفع هذه الشعيرة.

ووفقًا لهذه النظرية الساقطة -عفوًا- كونها شبه ساقطة أصلًا، وإلا فمتى كان المجاهدون يملكون القوة وعندهم العدد والعدة الكافيان حتى يظهروا على العدو؟

"لا تقاتلوا لأنكم إذا قاتلتم خسرتم كوادركم ومكنتم العدو": هذا كلام غير شرعي أصلًا؛ لأن الأصل أن نقاتل العدوّ ونستعين بالله؛ فإن أظهرنا الله تعالى، ومكنّ لنا، وظهرنا على عدونا، وحكمنا بشرع الله تعالى: فهذه نعمة من الله تعالى، ويشفي صدور قوم مؤمنين، ويومئذٍ يفرح المؤمنون.

وإن لم يمكن لي: فهذه مسألة علمها عند ربي؛ فأنا متعبد أن أطيع ربي فيما أمر.

الواجب علينا النفير في سبيل نصرة الدِّيْن ورد الصائلين، وهذا ما تعبدنا به ربنا، ولم يجعل نجاتنا متوقفة على نجاحنا أو فشلنا في رد الكفار، المطلوب منا بالتحديد: هو الثبات وعدم التنازل عن شيء من عقيدتنا، ثم يقدر الله تعالى لنا ولدينه ما يريد.

وحيث دخل العدوّ الصائل على بلاد المسلمين: فقد وجب علي أن أدفعه بكل ما أستطيع.

وأما أولئك الذين يداهنون على حساب دينهم ظنًّا منهم أنهم بفعلهم هذا سينصرون الدين؛ فهؤلاء يجهلون المطلوب منهم، وهم بفعلهم هذا قد أساؤوا الظن بالله تعالى وبوعده؛ إذ إن فعلهم هذا يشير إلى سوء اعتقادهم بالله تعالى، وكأن الله تعالى بحاجة إلى أساليبهم الملتوية لنصرة الدين، والسؤال: هل هم أكثر حبًّا لنصر الدِّيْن وظهور التوحيد من رب العزة سبحانه؟

س/ ما هي أبعاد المخطط الأمريكي؟ وما هي الأسباب الخطر الكامنة في هذا المخطط ليكون اندفاعكم نحو ردّه بهذه القوّة؟

ج/ كما قلت لك سابقًا: حملتهم هذه هي حرب صليبية، وهي امتداد عميق لزمنٍ غابر، وهي ليست وليدة اليوم، بل هي حرب متواصلة متصلة ذات مراحل متعددة، لن تتوقف حتى تجعل من المسلمين تبعًا لهم في الملة.

ونعرف أن لهؤلاء مخططاتٍ وأهدافًا كثيرة، والمسلّم به عند الجميع أن اليهود هم رأس الأفعى، وهم سبب كل شر وأصل كل سوء، ولما كانت إسرائيل مسيطرة على الإدارة الأمريكية، ولها اليد الطولى في القرارات السياسية لأمريكا وبعض الدول الكبرى؛ فإن اليهود قد استخدموهم لتحقيق

حلمهم بقيام دولتهم الكبرى من النيل إلى الفرات، مع السيطرة في الوقت ذاته على جزيرة العرب وثروات المسلمين، والتحكم بهم كما تريد.

وهذه الإدارة الأمريكية هي الوجه الآخر لليهودية، بل هي إدارة صهيونية متعصبة أكثر من اليهود أنفسهم، وتسعى سعيًا حثيثًا للإسراع بتهيئة الأرضية الملائمة لنزول مسيحهم المزعوم، وهؤلاء يُعرفون اليوم بالإنجيليين، ويصطلح عليهم السياسيون باليمين المتطرف أو بالمحافظين الجدد، وعلى رأسهم بوش ونائبه دكشيني ورايس، وهؤلاء يعتقدون بوجوب التمكين لدولة إسرائيل في الشرق الأوسط، وإقامة الدولة العبرية الكبرى، وشهود معركة هرمجدون؛ لاستعجال واستدعاء مسيحهم المنتظر.

وإذًا فهي حرب عقائدية في أصل وجودها وحقيقتها.

س/ بالنسبة لِلرَّافِضَةِ؛ كان الاعتقاد السائد أن بينهم وبين الغرب الصليبي عداءً وخصومة دائمة -هذا في أقل تقدير ما كان يعتقده كثيرٌ من الناس-، ولكن يبدو اليوم أن هذه النظرية قد تهاوت، ولكن لا يزال بعض الناس يظن أن أمريكا ستغدر بهم قريبًا، وأنها لن تثق بهم، وأنها تستخدمهم بشكل مؤقت؛ فما مدى صحة هذه النظرية؟ وهل بات الأمريكان على حلفٍ دائم مع الرَّافِضَة؟

ج/ من المعلوم أن الحكم على الشيء فرعٌ عن تصوره؛ ولهذا لا بد أن نعرف أولًا من هم الرَّافِضَة؟

الرَّافِضَة طائفة خبيثة خرجت عن الإسلام وعليه، وأُسست لمحاربة أهل السُّنّة والجماعة؛ فهم يعتقدون أن أهل السُّنّة هم من اغتصب الخلافة من أهل البيت بدءًا من الخلفاء الثلاثة ومرورًا ببني أُمية الذين هم أهل السُّنّة عند أهل الرَّافِضَة، وبالتالي فلا عدو لِلرَّافِضَةِ غير أهل السنة، وهم العدوّ الحقيقي والوحيد لهم.

س/ إذًا هذا هو أصل تأسيس المذهب الرافضي؟

ج/ نعم، هذا في أصل تأسيسه فإذا عرفنا هذا علمنا من هو عدوهم الوحيد، ثم لو رجعنا إلى مؤسسه لوجدناه يهوديًّا، وعندها نعرف علاقتهم بأسلاف اليهود وأحفادهم المعاصرين.

وعلى مر التاريخ؛ لم يعادِ الرَّافِضَة إلا أهل الإسلام، ولم يقاتلوا اليهود ولا النصارى، وكيف يعادونهم ومؤسس مذهبهم يهودي؟!

قد تكون هنالك بعض الصفقات و(المسرحيات) التي قد تظهر للناس أن بين اليهود والرَّافِضَة عداء ما، وذلك من باب التبشير بالمذهب الرافضي وطلب القبول له في أوساط أهل السُّنّة والجماعة؛ ليتسنى لهم بعد ذلك ضرب الإسلام وطعنه من الخلف.

وكون الرَّافِضَة طائفة جبانة؛ فهم لا يظهرون ما يعتقدون إلا إذا كانوا ذا قوة ومنعة، وقبل ذلك لا يظهرون شيئًا من عقيدتهم؛ فدينهم وسيرتهم قائمان على التقية، وهذا ما فرضه عليهم دينهم الفاسد.

ولأجل هذا فهم على الحقيقة ليسوا أعداء لليهود والنصارى، وإنما أظهروا ذلك لخداع أهل السُّنّة والتماس القبول عندهم، أما ما يشيعونه عن أنفسهم أنهم أعداء لليهود وقضية الشيطان الأكبر: فكل هذا من باب اللعب على الذقون، وخديعة لا تمر إلا على ضعاف العقول.

بل لم يكن لليهود والنصارى من أعوان غير هؤلاء الروافض الباطنيين، ولو تركنا تاريخهم المخزي جانبًا وانتقلنا معهم إلى زماننا؛ فإن خير دليل على تقرير حقيقة الرَّافِضَة ما كان منهم من مناصرة وتأييد مطلقَين لليهود والنصارى.

وقد أمر شيطانهم السيستاني أتباعه من الروافض ألا يقاتلوا الأمريكان، ثم أصبحوا بعد ذلك عيونًا للغاصب اليهودي وعونًا للمجرم الصليبي؛ فمنهم الجيوش والشرطة والجواسيس بل وحتى الخدم في القواعد الأمريكية، فكانوا بذلك حائط صدٍ يقي الكفار بأس المجاهدين، وأثناء ذلك أثخنوا

بأهل السُّنّة، وشرعوا في تصفيتهم تقتيلًا وتهجيرًا، واغتصابًا للمساجد قبل أن يطلق عليهم أهل السُّنّة رصاصة واحدة!

والذين دخلوا مع الأمريكان لم يكن لهم من هدف غير القضاء على أهل السُّنّة، وكان شعار فيلق (غدر): (الثار الثار من تكريت والأنبار).

كم قتلوا من كوادر علمية ومشايخ من أهل السُّنّة؟

وكم اغتصبوا من النساء؟ وكم هجّروا من العوائل؟

فهل يعلم إخوتنا من أهل السُّنّة في باقي البلدان ما حل بإخوتهم هنا في أرض الرافدين؟

لقد كان إثخان الرَّافِضَة في أهل السُّنّة فظيعًا، وما حصل من مجازر على يد هؤلاء الروافض بحق أهل السُّنّة يفوق ما نزل بالمسلمين على يد محاكم التفتيش في الأندلس.

وهذه المجازر لم يُسلط عليها الإعلام، وغُيّبت -بتعمد- عن الإعلام؛ ولهذا فإن الكثير من المسلمين يجهلون حقيقة ما يجري على أرض الرافدين من مجازر رهيبة اقترفت -ولا تزال تقترف- بحق أهل السُّنّة.

ونحن بدورنا حاولنا ونحاول أن نبيّن للمسلمين حقيقة هؤلاء الروافض، ونجلي لهم صورة ما وقع من المجازر المستمرة بحق أهل السُّنّة، ولكن للأسف: تغاضي البعض عن تبيين هذه الوقائع، وسكوت الإعلام عن تجلية حقيقة ما يجري، وإظهاره للمجرم بهيئة المظلوم: قد أخفى معالم أكبر جريمة ارتكبت في هذا العصر.

والذي لا إله إلا هو؛ لو اطلعت الأمة على حقيقة مجازر الرَّافِضَة بحق أهل السُّنّة: لهالها ما رأت، ولبكت العيون دمًا لا دمعًا.

فيا أخي؛ إن ما يجري الآن وما جرى من عهد قريب لهو أمرٌ غير طبيعي، وإنه لإثخان مريع، وإن صحت التسمية: "تطهير عرقي" بمعنى الكلمة، مئات من العوائل لا يعرف عنها خبر، وآلاف

الشباب والشيوخ قُتلوا، وكثير من النساء اغتُصبن، وبيوتٌ عديدة حُرِّقت، وآلاف الأسر هُجِّرت قسرًا، ولجأوا إلى الأنبار فرارًا من بطش الرَّافِضَة، وقد جرت هذه الجرائم على مرأى ومسمع الأمريكان، وبإعانة مباشرة منهم في بعض الأحيان، و"لكن حمزة لا بواكي له"؛ حيث لم يذكر الإعلام شيئًا من هذا، لكن لو أن المجاهدين استهدفوا الأمريكان أو الحرس الوثني وقتلوا منهم مقتلة عظيمة: فستجد الإعلام قد هرع إلى نقل صورة مغايرة لحقيقة ما حدث، ويأتيك بالصورة الأخرى: "سيارة انفجرت على الأمريكان والحرس، ولكن القتلى من النساء والأطفال"!!

إن المقابر الجماعية التي اقترفها صدام وعموم جرائمه خلال ثلاثة عقود: لا تعدل عشر ما فعله الرَّافِضَة خلال السنوات الثلاث الفائتات!

وللأسف: فإن الكثير من الحركات الإسلامية تعرف هذا، وكذلك كثيرٌ من الشخصيات المشهورة تعرف ما فعله الرَّافِضَة بأهل السُّنّة، ولكنهم ساكتون ولا أحد يوضح حقيقة ما يلاقيه أهل السُّنّة -بالذات في الجنوب، وفي المناطق ذات الأغلبية الرافضية والمناطق المتاخمة للوجود الرافضي- من مجازر تقشعر منها الجلود، وتتقرح منها الأكباد، وللأسف فإن من يقف بوجه هؤلاء هم قلة.

وحيال هذا؛ انبرى المجاهدون للدفاع عن أنفسهم، وعن أعراض المسلمات، وعن عامة أهل السُّنّة؛ لدفع الخطر الرافضي الداهم.

ولأجل كلّ ما سبق: فإن الرَّافِضَة عندنا أخطر من الأمريكان؛ فهم أكثر حقدًا وأكثر تلبيسًا على الناس، وقد أتوا بمخطط رافضي صفوي لا غاية له غير جزر أهل السُّنّة، والقضاء على موروث الصحابة وعلى كل شيء يمت للسنة بصلة، لذا فإنّنا نقول إن الرَّافِضَة لو تمكنوا في العراق وتمت لهم السيطرة الكاملة على هذا البلد، وبدون أن يقوم هناك جهاد: لكان حال أهل السُّنّة أسوأ مما هو عليه الآن.

ومن هنا قد يلومنا الكثيرون لأجل قتالنا لِلرَّافِضَةِ، ويتساءل آخرون لماذا تقاتلون الرَّافِضَة؟!

نحن وضّحنا ولأكثر من مرة أننا لا نقاتل الرَّافِضَة لأنهم رافضة -هذا مع أننا نعتقد أنهم شر من تحت أديم السماء-، لكن كنا في غنًى عن قتالهم، كما أننا في غنًى عن قتال غيرهم من المرتدين من الذين لم يشاركوا الأمريكان في حربهم للإسلام، ونحن كنا نتمنى أن نقاتل العدوّ الصائل.

وقد يظن ظان أن قتالنا لِلرَّافِضَةِ قتال شهوة أو قتال نزهة وسياحة، وأنّا ارتأينا أن نقاتلهم فقاتلناهم: فأبعدنا بذلك النجعة، وحرفنا الحراب عن نحر عدونا الأصلي، وبدأنا بأناس لم يكن هناك موجب لاستعجال قتالهم!!!!

وهذا ليس صحيحًا؛ فنحن لم نقاتلهم ابتداءً، بل هم من بدأ بقتال أهل السنة.

وهؤلاء الذين جاؤوا على الدبابات الأمريكية هم والأمريكان في صفٍ واحد، وهم من بادر إلى تصويب البنادق إلى صدور المجاهدين، وهم الذين أثخنوا بالمسلمين في العراق، وهم الذين استباحوا مساجد المسلمين في العراق، وقد بلغ عددها أكثر من ثلاثين مسجدًا، وهذا في أول دخولهم لبغداد، وكثير من المساجد أُخذت في البصرة وفي العمارة وفي السماوة وفي الناصرية، أما رافضة الحلة فلم يتركوا لأهل السُّنّة مسجدًا.

علمًا أنهم لم يأخذوا كنيسة واحدة، ولم يتعرضوا لخمّارة واحدة، وهناك معابد يهودية في العراق لم يتعرضوا لها؛ فهؤلاء القوم ما عندهم عداء إلا لأهل السنة.

ونقول للناس: هل يعقل شرعًا وعقلًا وواقعًا أن من كانت هذه صفته وهذا حاله: أن أغض الطرف عن جرائمه؛ حتى لا أُتهم بإثارة الطائفية أو بحرف وجهة الصراع!!!

نحن يدنا كما يقال: "في النار"، ونحن الذين ندرك واقعنا، ونلاقي أذى الرَّافِضَة.

ولذلك: فإن الأصل في الأمة أن تثق بأبنائها، وتأخذ برأيهم وتشد من أزرهم، فأبناؤها الذين ضحوا بأنفسهم وبذلوا أرواحهم أحق بالثقة وأجدر بالمساندة، فهم أدرى الناس بهؤلاء الرَّافِضَة، وهم من اكتوى بلظى غدرهم وخيانتهم.

أما الذي خلف البحار، أو ذاك البعيد عن هذه الساحة، ويتابع الأحداث عن بعد وهو مرتاح البال -يأمن على عرضه وعلى أولاده ونسائه-: فلن يكون حكمه على الأوضاع هنا كحكم الذي يعرف ويشعر ويلاقي ما يلاقيه أهل السُّنّة من هؤلاء الروافض!

إن خيانات الروافض معروفة ومواقفهم المخزية مشهورة، وهذه ليست المرة الأولى التي يدخلون فيها بغداد مع العدوّ الغازي، بل قبل ذلك ابن العلقمي هيأ للتتار الدخول إلى بغداد، بعد أن سرّح الكثير من الجيش وأضعف جيش الخليفة وأثقله بالديون، فوطّأ للتتار وحصل ما حصل لأهل السُّنّة، وكانت المجازر -كما ذكر المؤرخون- تفوق المليوني قتيل في بغداد جراء خيانة الوزير ابن العلقمي.

هذا حالهم على مر التاريخ، ونحن نرى بأعيننا ماذا فعلوا بالمسلمين، وما حلّ بهم من ويلات جراء هؤلاء؛ ولهذا لا نستطيع أن نبقى ساكتين عنهم، ولا مجال لتركهم يخوضون بدماء أهل السنة، وفي قتالهم فضلٌ عظيم وخير عميم، والله يعلم أنه لولا قتال المجاهدين لهؤلاء الخونة لما بقي لأهل السُّنّة في العراق وجود.

الرَّافِضَة عندما دخلوا جاؤوا بخطة خبيثة، نعم عندما دخل فيلق بدر أعلن العداء، ولكن عدو الله السيستاني قال: لا نريد أن نثير الطائفية؛ لأنه يعلم أن أهل السُّنّة إذا قاموا قومة رجل فلن يقف لهم شيء.

فماذا فعلوا؟ وضعوا أيديهم بيد أحفاد مؤسسهم؛ فسيطروا على مفاصل الدولة الرئيسة كالجيش والشرطة ووزارة الدفاع والنفط -وأنت تعرف أن مقومات أي دولة هو العسكر والمال-، ثم بعد ذلك باسم الجيش والشرطة، وباسم الحفاظ على الوطن والمواطن والعراق: بدؤوا يثخنون بأهل السُّنّة، مع ضخ إعلامي رهيب يغيّر الحقائق، كما هو الآن حاصل فيما يبثّونه من إعلام خبيث، سواء كانت الصحف أو القنوات كالعراقية والفيحاء والفرات وأخواتها العربية.

كان المخطط أنهم -تحت لائحة الحفاظ على الوطن والمواطن والعراق، وتطهير العراق من البعثيين ومن فدائيي صدام ومن الإرهابيين- يبدؤون يثخنون إثخانًا فظيعًا بأهل السنة.

استباحوا الأعراض، وقتلوا الرجال، واغتصبوا النساء، وشردوا العوائل: تحت هذا المسمى، مع ضخ إعلامي رهيب، وقد انطلى هذا على كثير من الناس سواء أكان داخل العراق أو في خارجه، وكان من المؤمل عندهم أن يتم هذا المخطط بشكل كامل خلال خمس سنوات؛ حيث يكون أكثر العراق عندها بأيدي الرَّافِضَة.

وأكبر دليل على ذلك أن أغلب الناس يجهل المجازر؛ فمنذ سنتين ونصف وأهل السُّنّة يتعرضون لمجازر غير مسبوقة على يد هؤلاء، فأين هو الإعلام؟ لا إعلام!

إذا قُتل بعض الروافض يأتي الإعلام ينشر وأن أهل السُّنّة والوهابية يثخنون في هؤلاء، لكن منذ سنتين يقتل أهل السُّنّة ولم يُسمع لهم صوت خافت، والأصوات الأخيرة التي خرجت اتهمت بعض الفصائل من الرَّافِضَة، وللأسف أنه هذا الأمر مؤداه ليست غضبة لأهل السُّنّة، ولا غضبة لله ولرسوله؛ لأن أهل السُّنّة يتعرضون لمجازر منذ سنتين ونصف، ولم نسمع هؤلاء تكلموا ولا وضحوا الحقيقة من بداية الأمر، ولكن عندما بدأ الحبل يقترب منهم، وعندما طفق هؤلاء المجرمون يثخنون فيهم؛ راحوا يصرخون: أن هناك نفَسًا طائفيًّا، أو أن هناك مجازر ترتكب!

لماذا دماء أهل السُّنّة رخيصة -عند هؤلاء القوم- بهذه الصورة؟

لم تبينوا الحق ودائمًا تحذّرون من الطائفية، أيُّ طائفية؟

هل كفّ الرَّافِضَة أسلحتهم عن المسلمين لنطالب بالكف عنهم؟

أنتم تعلمون علم اليقين أن الإثخان في أهل السُّنّة فظيع؛

فكيف نسكت؟

كيف لا نرد الصاع صاعين؟

ثم هنالك من يقول لك: إن بعض الروافض أبرياء!

وهذا غير صحيح –من الناحية الشرعية–؛ لأن هؤلاء الروافض هم طوائف ممتنعة بشوكة، وكلما قام الإخوة بتصفية عدد من فيلق غدر والجيش الرافضي المدعوم رسميًّا يأتي السيستاني –مباشرةً–، ويرسل لنا من مناطق الرَّافِضَة متطوعين جددًا وهكذا.

فهذا الحرس الوثني، وهذه الشرطة الذين ترونهم، ولواء الذئب والألوية الأخرى: كلها رافضية، وهؤلاء مادة الحكومة ومقومات هذا النظام الخبيث؛ فهي حكومة رافضية بحتة، وأعظم الشواهد على حقدهم الرافضي أنهم عندما دخلوا الفلوجة فعلوا بأهل السُّنّة الأفاعيل.

أما ما نسمعه من أن رموز الرَّافِضَة يقولون: والله لا نريد أن نجر إلى حرب طائفية؛

فهذا من الكذب لخداع أهل السُّنّة؛ فالحرب الطائفية قائمة، وهم ينكّلون بأهل السُّنّة، وهم من يبارك لهؤلاء الجنود، ويبشرهم بالجنة ويبشرهم بالأجر العظيم.

ومن يقاتل أهل السُّنّة غير النجفي وغير السيستاني؟ ثم يظهر على أنه من الحريصين على العراق ومن أبعد الناس عن الطائفية!

قبل مدة صرح كبيرهم السيستاني: (أنه لو أُبيد نصف الشيعة فلن نجر إلى حربٍ طائفية)[١].

على من تكذب أيها العلقمي؟

أنت الذي قضيت على الآلاف من أهل السُّنّة بفتاواك وتوجيهاتك!

الكلام الظاهري شيء والواقع شيء آخر، والله يعلم أن هؤلاء الروافض لا يتحركون إلا بإشارة من رموزهم.

هؤلاء يضحكون على أهل السُّنّة ويخادعونهم بكلام معسول خوفًا من ثوران أهل السنة.

أي طائفية، ونساء أهل السُّنّة مغتصبة عند هؤلاء؟

---

[١] لم أجده من ضمن بياناته، قد يكون في تصريح مع قنوات إخبارية ونحوها، لأني وجدت بعض الرافضة كان يتناقله باسم المرجعية.

أنا لا أكلمك الآن عن الأسرى والأسيرات في سجون الأمريكان، أنا أكلمك عن الأسرى والأسيرات في سجون هؤلاء الذين يقولون: لا للطائفية.

والله يعلم أين نساؤنا الآن؟

في سجون مدينة الكوت الرافضية التي تحكمها إيران، وفي سجون الحلة التي يحكمها العميد قيس الرافضي، وفي سجن (براثة) هذا السجن معتقل فيلق بدر، وهناك أقبية وسجون تحت الأرض لا يعلم عنها شيء.

والآلاف من أهل السُّنّة لا يُعلم أين هم.

لكن من يجرؤ من الرموز فيقوم برجولة وبصدق ليدافع عن أهل السُّنّة ويوضح هذه الحقائق؟

واللهِ لو يعلم الناس حال أهل السُّنّة في العراق وماذا نزل بهم: لما تلذذوا بالفراش، ولما تلذذوا بالطعام، ولما تلذذوا بالشراب إن كان عندهم غيرة، ثم بعد ذلك يأتي بعد ذلك من يحاسبنا، ويقول وهو متكئ على أريكته: لماذا تقاتلون الرَّافِضَة؟

يا أمة محمد؛ نحن حالنا مع الرَّافِضَة حال رجل في بيته أفعى، ولا تعرف أين موجودة بالضبط.

أهي في الخزانة أو هي تحت الفراش؟

أنت تعلم أن هذه الأفعى في هذا البيت، وأنها ستخرج في أي لحظة.

الواجب عليك الآن أن تخرج وتبحث عن الأفعى، ثم تقطع رأسها وتنتهي من شرها، أنت تنام الليل الطويل وهي في بيتك، هذا حالنا مع الرَّافِضَة، بل أزيد أكثر من ذلك: الرَّافِضَة في ذاك الزمان يأخذون بالتقية، أما الآن فإنهم يأخذون بالعزيمة وبدؤوا يظهرون حقدهم؛ لأنهم أصبحوا هم أصحاب الشوكة، وهو استحقاق خياني، وهذا نتيجة خيانتهم.

وحيث تكشفت حقيقة الرَّافِضَة؛ فإن على الأمة أن تقف بوجههم، وليتذكر أهل السُّنّة أن الكفار إذا استفردوا بالمجاهدين فلن يقف بوجه الرَّافِضَة عندها أحد، وعند ذاك لن ينفعهم أسف

ولن يغني عنهم ندم، ولعل أنسب ما يوصف به حال أهل السُّنّة مع المجاهدين وخصومهم، المثلُ القائل: أُكلت يوم أكل الثور الأبيض.

المجاهدون هم الذين يحفظون أهل السنة، لا يحفظ أهل السُّنّة البيانات، ولا يحفظ أهل السُّنّة أصحاب القنوات الفضائية، الذين يجلسون بعيدًا عن المعامع ويُنَظِّرون للأمة ويلقون الخطب المنمقة، هذا لن يثأر لعرض امرأة انتهك ولن يثأر لدماء أهل السُّنّة التي سفكت، ولن ينفعنا غير السلاح لمواجهة هؤلاء الجبناء ولن يردعهم إلا القوة.

إن جعل ديار الإسلام تدين بدين الرَّافِضَة مطلب أمريكي ومبتغى يهودي، كما هو معروف من تصريحات دهاقنة قم، ومن خلال التغلغل الإيراني في العراق والمسكوت عنه من قبل الأمريكان، وفي العراق يمكن توضيح جزء من هذا المخطط من داخل بغداد؛ حيث منطقة الحرية ومنطقة الشعب ومنطقة حي أور والمدائن وأبي غريب والمناطق التي يكثر فيها الرَّافِضَة الآن، لقد أثخنوا بأهل السُّنّة، وهناك برنامج لإخراجهم من هذه المناطق حتى يسيطروا على حزام بغداد وهو من مناطق أهل السُّنّة، وهنالك اتفاق بين الرَّافِضَة والأمريكان لإفراغ هذه المناطق من أهل السنة.

والأمريكان عندما جاؤوا مع الحرس الوثني الرافضي إلى الدورة قالوا لأهلها: سنخرجكم من بيوتكم.

والآن حتى المناهج الدراسية غُيرت لصالح الرَّافِضَة؛ انظروا إليها مناهج خبيثة هدامة من الآن بدأت بذور التشيع تظهر بين الأطفال، فماذا سيكون الحال بعد خمس أو عشر سنوات عندما يمسكون بالوضع الاقتصادي والوضع العسكري؟

الناس مربوطة في بطونها، ولا يريدون أن يضحوا لأجل هذا الدِّيْن، وما يعلمون أن العراق مع الوقت سيتشيع، هذه القبائل التي في الجنوب قبل مائة أو مائتي سنة كانت سُنية ثم صُيّرت رافضية!

قد تستبعدون تشيع الأنبار، وأنا أقول: إن ذلك غير مستبعد إن استمر السكوت وبقي الناس متفرجين.

في بداية دخول الأمريكان لبغداد؛ كان أهل السُّنّة في خوف شديد مما سيحل بهم من قبل الرَّافِضَة، وكانت نفوسهم مهيأة للذلة إلا من رحم الله.

لكن عندما قام المجاهدون في العراق، وامتشقوا السلاح، ووقفوا بوجه هؤلاء: عادت الثقة إلى نفوس أهل السنة، غير أن تقاعس الرموز وتخليهم عن ثُلة الجهاد وطائفة النُصرة: أوقع أهل السُّنّة في الحرج، وأي سُني الآن في بغداد أو خارجها لا ينام في بيته وهو آمن على عرضه، كل ليلة مداهمات واعتقالات وقتل وتغييب في السجون، وفي كل ليلة انتهاك للأعراض وسرقة للأموال...

هذا حال أهل السُّنّة في العراق، ثم بعد ذلك يأتي اللائمون قائلين: لماذا نقاتل الرَّافِضَة؟

بل إن من أوجب الواجبات قتال هؤلاء، ونرى أنها نعمة عظيمة أن يسّر الله تعالى قتالهم.

وما رأيتموه في (تلعفر) أقرب شاهد على ذلك، لقد كان هناك اغتصاب للنساء وتهديم للبيوت وقتل الأطفال؛ ولهذا أعلنا الحرب الشَّاملة على الرَّافِضَة وقد كنا نبتغي ردعهم.

س/ طيب ما قصة الاستثناء؟

ج/ لكي نفهم ذلك؛ لا بد لنا في بادئ ذي بدء أن نوضح القاعدة الشرعية لذلك.

نحن عندما قاتلنا الرَّافِضَة، أو أعلنا الحرب عليهم -بعد وقعة تلعفر-: ما كانت القضية عندنا نابعة من الهوى؛ فنحن ندرك دور الرَّافِضَة الآن، وأنهم هم مادة الجيش والشرطة، وبدأ الأمريكان يعتمدون عليهم بشكل كامل.

وعندما أعلنا قتالهم: كنا نروم من ذلك ردعهم؛ فإن لم يرتدعوا عاملناهم بالمثل؛ لأن هؤلاء الروافض عندما يأتوننا من الجنوب يأتون آمنين مطمئنين على أهلهم وبيوتهم في البصرة أو في الناصرية أو في العمارة.

تهديم تلعفر وضربها بالكيماوي، واغتصاب النساء، وسرقة الأموال، وقتل الرجال والأطفال: جاء بعد تصريح "سعدون الدليمي" هذا الذي يحسب نفسه على السُّنّة وهو من أعداء الله أصلًا، أُمه

رافضية أثرت فيه وزوجته رافضية، ولم يؤثر فيه نسبه السني، وأثناء الهجوم على تلعفر صرح بكل تبجح: نحن قادمون.

يهدد أهل السنة: أنه سيتحرك إلى راوة وإلى القائم وإلى حديثة وإلى سامراء؛ ليفعل نفس الأفاعيل بها.

ألا يحل بعد هذا أن نتخذ خطوات تكون رادعة لهذا الأرعن عدو الله؟

لم يأتِ وزير الدفاع بجنود من الهند أو من ألمانيا، لا، إنهم يأتون بهم من مناطق الرَّافِضَة، ونحن عندما نقاتلهم نعاملهم بالمثل كما تقتلون رجالنا نقتل رجالكم، كما تقتلون نساءنا نقتل نساءكم، كما تقتلون أطفالنا نقتل أطفالكم، نعاملكم بالمثل فلما يعلم أن بيته ليس آمنًا، وأهله ليسوا آمنين: يحسب ألف حساب قبل أن يقدم على مهاجمة مناطق أهل السنة.

وإن هذه العوائل لا شك أنها تضغط على أبنائها، وتقف أمام هذه الحكومة قبل أن تفكر في قتل أهل السنة.

ونقولها كلمة صريحة لِلرَّافِضَةِ: تهدمون بيوتنا نهدم بيوتكم، تقتلون عوامنا نقتل عوامكم، المثل بالمثل.

أما قضية العراق الواحد وحقن دماء العراقيين؛ فهي دعوة منحرفة تنتزع المسلم من هويته، وتترك الضعيف مقتولًا من غير أن توفر له حماية أو أن تحفظ له كرامة.

الشرع أباح للمسلم أن يقتل المسلم الصائل عليه ليأخذ ماله أو ينتهك عرضه، فجاز له أن يقتله وهو مسلم؛ فما بالك بعدو مرتد وهو يعتقد أنه لا بد من قتلك وتصفيتك؟

والآن نأتي على ذكر الاستثناء؛ فأقول: لقد جاء الاستثناء بناءً على أن هناك من الرَّافِضَة من يخشى عواقب الدخول في حرب مع أهل السُّنّة، ومن هنا كان لا بد من الاستثناء لنقول لِلرَّافِضَةِ: إن كنتم تريدون السلامة؛ فكفوا عن أهلنا، واتركوا مناصرة الأمريكان، وخلوا بيننا وبين الصليبيين.

س/ هناك من يقول: إن هذا التعميم ليس صحيحًا؛ لأن من الرَّافِضَة من يعادي اليهود كـ"حزب الله" مثلًا؟

ج/ اتفق أهل العلم على أن الرَّافِضَة من أكذب الخلق؛ قال ابن تيمية: (اتَّفق أهل العلم بالنَّقل، والرِّواية، والإسناد: على أنَّ الرَّافِضَة أكذب الطَّوائف، والكذب فيهم قديمٌ، ولهذا كان أئمَّة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب)[1].

وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والرَّافِضَة من أعظم النَّاس إظهارًا لمودَّة أهل السُّنَّة، ولا يظهر أحدهم دينه، حتَّى إنَّهم يحفظون من فضائل الصَّحابة، والقصائد في مدحهم، وهجاء الرَّافِضَة: ما يتودَّدون فيه إلى أهل السُّنَّة)[2]؛ هذا كلام شيخ الإسلام في منهاج السُّنّة فهذا دينهم، دين الكذب لذلك من الخير بل من الواجب على أهل السُّنّة أن يعلموا حالهم، ويعرفوا أن الرَّافِضَة هم أعدى أعداء الإسلام سواءً في العراق أو في غيره، ونحن نعلم أن هؤلاء عندهم مخططات خبيثة ويتعاملون بالتقية.

ومما ينبغي التنبيه إليه: مسرحيات القتال ضد اليهود من قبل (حسن نصر الله)، وأنا أعتقد أن حزب الله أو "حزب الشيطان" هذا من أعدى أعداء الإسلام، وأنه من أخبث الطوائف الرافضية، وهو يقدم دورًا خبيثًا ومن عشرين سنة يخادع الأمة بدور مقاتلة اليهود.

نقول إن حماس –قبل مدة– عندما عملت عرضًا عسكريًّا في غزة؛ قام الطيران الإسرائيلي مباشرة بقصف مواقعهم وقتل الكثير من كوادرهم.

وقتل أحمد ياسين عندما خرج من المسجد وهو رجل مقعد.

وحسن نصر الله يعمل استعراضات عسكرية في ميدان واسع في بيروت، ويكون بثه مباشرًا، وتنقله الإذاعات، ويجلس على المنصة وحوله حاشيته، وتمر أمامه الكتائب والسرايا العسكرية لحزب

[1] منهاج السنة النبوية، (ج١/ص٥٩).
[2] المرجع السابق (ج٦/ص٤٢٣).

الله، ويستمر ذلك لساعات، وحسن نصر الله يصرح ليل نهار أن حزب الله هذا هو الذي ركّع إسرائيل وجعلها تنسحب من الجنوب ومن مزارع شبعا، وأن هذا الجيش هو جيش لقتال العدوّ الصهيوني، وليلًا نهارًا شعاراته واضحة في عداء اليهود والصهيونية؛ فهل يعقل أن يسكت شارون ومن ورائه إسرائيل عن هذا الخطر الداهم والملاصق لها ويهدد حدودها؟ أيسكت عنهم وهو بهذه الخطورة في الوقت الذي لم يسكتوا عن أحمد ياسين وهو رجل مقعد؟

القضية برمتها مسرحية واضحة؛ فإسرائيل لا يمكن أن تسكت عن أي خطر يهددها مهما كان نوع هذا الخطر، ولهذا لم تسكت عن المفاعل النووي العراقي، وضربته على الرغم من خبث النظام آنذاك وعلمانيته الواضحة.

وبطبيعة الحال: فإن أكثر ما يفزعها هو المد الإسلامي وطليعته الجهادية، أما حسن نصر الله وحزبه الرافضي فقد تركته وغضت الطرف عنه، وبالتالي فإن إعلان حزب الله الحرب على إسرائيل ما هو إلا خديعة واضحة يرومون من خلالها الترويج لمذهبه الرافضي، والتغطية على حقيقة الدور العلقمي الذي تكفل به حزب حسن نصر الله الرافضي؛ وهو حماية حدود إسرائيل وليس العكس؛ وذلك بمنع مجاهدي أهل السُّنّة من الوصول إلى إسرائيل.

ووالله إن جيش حسن نصر الله لم يقوّ ولم يدعم ولم يهيأ إلا على أعين الصهيونية العالمية، ووالله إن هذا الجيش لا يُعَدّ إلا لقتال أهل السُّنّة مستقبلًا.

نحذر الأمة من هؤلاء.

وإذا ما قلنا مثل هذا؛ قالوا: الرجل يريد إثارة الحرب الطائفية!

ولكن غدًا ستعلم الأمة حقيقة هؤلاء.

هذه إيران ما قامت ثورتها إلا على إعلان الحرب على الشيطان الأكبر، ولما حان وقت محاربة الشيطان الأكبر تحالفت معه، وجعلت من نفسها مداسًا لغزو أفغانستان، وتثبيت أركان الشيطان الأكبر في العراق!

وهم إلى اليوم يضحكون على الناس بالتمسح بقضية فلسطين؛ فأين هم من قضية فلسطين إذا كانوا في حلفٍ ووئام مع الشيطان الأكبر؟

وإلى متى تبقى الأمة مستغفَلة؟ وإلى متى يُلبّس عليها؟

حسن نصر الله يجلس ساعات في إدارة عرض عسكري، وينقل مباشرة لمدة ساعات عديدة، ولا يستطيع الطيران الإسرائيلي قصفه؟!! على من يضحكون؟!

إنّا نعتقد أن هؤلاء الروافض خونة، وأنهم هم الحربة التي سيطعن بها اليهود ظهر أمة الإسلام؛ ولهذا نحذر الأمة منهم ومن مخططاتهم الخبيثة، وندعو الأمة أن تأخذ حذرها وتعد العدة كاملة، وإن خصمها هذا خبيث وماكر، فلا يخدعونك بعسل القول؛ فهم أعدى أعداء الأمة فدينهم التقية والكذب.

ارجعوا إلى كتبهم واقرؤوا مراجعهم المعتمدة عندهم: (لا دين لمن لا تقية له)[1]، وكما يروون عن جعفر وكذبوا عليه: (التقية ديني ودين آبائي)[2]! أتريدون أدلة أكثر من هذا؟

وبعد ذلك يأكل قلبك الأسى والحزن حين ترى كثيرًا من كتّاب المسلمين وترى كثيرًا من الجماعات الإسلامية تُخدع بحسن نصر الله وبغيره، وتُخدع بهؤلاء الروافض وأن حسن نصر الله "رمز المقاومة"!

رمز المقاومة!!!! إلى متى تبقى الأمة مستغفلة؟

والله إن شارون يعلم أن الحدود التي يحميها حسن نصر الله آمنة أكثر من أن يحميها جنوده، بل هل يستطيع إنسان أن يتسلل لتنفيذ عملية من المناطق التي يسيطر عليها حزب الله؟

---

[1] انظر: وسائل الشيعة، للرافضي الحر العاملي، (ج١٦/ص٢١٠).
[2] أصول الكافي (ج٢/ص٢١٩).

هؤلاء الروافض من شر الناس، يسبون أمنا عائشة ويطعنون في عرض النبي ﷺ، ويشتمون الصحابة فنقول لمن يخدع بهم: إن هؤلاء الروافض يسبون أمنا عائشة ويتهمونها بالزنى وهي زوج النبي عليه الصلاة والسلام.

أقول لمن يداهنهم أو يسكت على شرهم أو يراهم إخوانًا له: لو أن واحدًا من الناس شتم زوجة هذا الرجل واتهمه في عرضه ورمى أهله بالفاحشة ماذا سيكون ردّه؟

أقل ما سيصدر منه الامتعاض، وإن لم يستطع أن يأخذ حقه بيده: ففي الأقل سيصرف وجهه عنه وسيبغضه، وسيغلظ عليه بالقول.

ومع أن عرض عائشة أحب إلى المسلمين من كل شيء، إلا أن هؤلاء يسكتون على جرائم الرَّافِضَة وعن طعنهم في عرض عائشة زوج النبي ﷺ، فكيف جوزوا لأنفسهم ذلك..... وكيف يجدون حلاوة الإيمان في صدورهم وهم يداهنون هؤلاء؟!

س/ هل الصلح ممكن مع هؤلاء الروافض؟

ج/ إنهم أهل تقية وكَذَبة، وإن سكتَّ عنهم لا يسكتون عنك، وإن صالحتهم لا يصالحونك، وإن صالحوك ظاهرًا صالحوك تقية حتى يتمكنوا منك.

وكما هو مشاهد من عوام الرَّافِضَة أن أحدهم قد يدعوك إلى بيته من باب التقية، ويطعمك من طعامه وشرابه ويكرمك، وعندما تخرج يحطم الأواني مفضلًا ذلك على غسلها؛ لأن الماء لا يطهرها من نجس السُّنّة -كما يعتقدون-، وحتى الفراش يحرقه كثير منهم.

فإذا كان هذا حال العوام منهم؛ فكيف حال "آياتهم"؟!!

س/ هل هناك فرق بين الرَّافِضَة والشيعة؟

ج/ انتبه إلى أن الشيعة اليوم كلهم روافض، بل حتى المذهب الزيدي درس وانقرض، وفي اليمن أصبحوا روافض اثني عشرية.

أما إذا أتيتني بأناس لا يسبون أبا بكر وعمر ولا يتهمون عائشة بالزنى؛ فإن الحكم عليهم سيكون مختلفًا، لكن حتى هذا لا يعفيهم من الرد على تعديهم؛ لأن الطائفة الممتنعة بشوكة تُقاتل ولو كانت ذا بدعة ليست بناقضة للإيمان.

س/ حتى لا يُلبس على الناس: هم يزعمون أنهم أنصار أهل البيت ويسموننا بالنواصب ويدّعون أنا نبغض أهل البيت؟

ج/ هذا غير صحيح؛ فنحن أنصار أهل البيت، من كان على عقيدة وطريقة أهل البيت هم خيار الصحابة، وأهل البيت هم برآء مما يقول هؤلاء، أهل البيت لم يخرجوا عن هدي الكتاب والسنة.

أهل البيت ممن يعظمون عائشة زوج النبي ﷺ، وهم الذين لا يشركون مع الله أحدًا، ولا يلجؤون إلى غيره سبحانه، وأهل البيت لا يدّعون العصمة.

أهل البيت هم أهل السنة، وأهل البيت هم من أحب الناس لقلوبنا فهم عترة النبي ﷺ.

أما هؤلاء الروافض؛ فهم يزعمون محبة أهل البيت، وهم في الحقيقة أعدى أعداء أهل البيت، بل هم على التحقيق يبغضون عليًّا -رضي الله عنه-، وقد جاء في أمهات أصولهم.... أن جميع الصحاب ارتدوا إلا سلمان الفارسي وهذا تاريخهم يشهد على كذبهم في ادعاء حب أهل البيت فمن خذل عليًّا -رضي الله عنه-؟

الحسن بن علي -رضي الله عنهما- عندما صالح معاوية ما السبب؟

لقد خذله هؤلاء الذين تظاهروا بمحبة أهل البيت، وقد علم أنهم ليسوا له بناصرين، واختار الصلح وكان صلحًا عظيمًا، وحسبك بشارة النبي ﷺ للأمة بذاك الصلح العظيم الذي جمع بين فئتين من المسلمين، ومن خدع عقيلًا وأسلمه؟ ومن الذي قتل الحسين؟ ألم يكن ذلك كله بسبب خذلان الرَّافِضَة لهم؟

فهؤلاء إذن هم أعداء أهل البيت، وإن الفرق ما بين الرَّافِضَة وأهل البيت كالفرق بين المشرق والمغرب.

أما أهل السُّنّة؛ فهم أنصار أهل البيت ومحبوهم، وعلى طريقهم ساروا، ولمحبتهم أخلصوا.

س/ نأتي الآن على ذكر اتهام الجماعة وعلى لسان أميرها بأنها هدّدت أهل السُّنّة؛ فما تقولون في ذلك؟

ج/ والله للأسف الشديد لقد زور الخطاب بتعمد من قبل البعض؛ فهل يعقل أن نهدد أهل السُّنّة ونحن- والله يعلم- ما خرجنا من ديارنا إلا لنصرة المسلمين والذب عن أهل السُّنّة بالذات؟ وإن امرأً من أهل السُّنّة عندنا أحبُّ إلينا من أنفسنا.

وهؤلاء المهاجرون الذين خرجوا من ديارهم؛ هم آمنون على أعراضهم، وقد تركوا الديار، وفارقوا الأهل للدفاع عن المسلمين والمسلمات وعن دينهم.

كيف يعقل أن نقاتل أهل السنة؟!!

هذا الكلام للأسف زُوّر وأنت تعرف الإعلام....

وهناك كثيرون حملوا الخطاب على غير وجهه، مع أن كلامنا كان واضحًا، ونقول للإخوة والله يعلم السر وأخفى: والله ما خرجنا إلا دفاعًا عن أهل السنة.

هنالك أكثر من ثلاثة آلاف من الشهداء من المهاجرين إلى الآن هؤلاء لأجل من قتلوا؟ ألأجل الدُّنيا؟

الله يعلم أنهم ما قتلوا إلا من أجل نصرة الدِّيْن والدفاع عن أهل السُّنّة في هذه الأرض، التي اغتصبها الصليبيون وتكالب معهم الرَّافِضَة على قتالهم، فكيف يصح بعد ذلك أننا نقاتل أهل السنة؟

نحن قلنا في الخطاب: إن أهل السُّنّة لديهم أيادٍ بيضاء في نصرة الجهاد؛ فقوام تنظيم القاعدة في بلاد الرافدين بني على أكتاف أهل السُّنّة في العراق؛ حيث يبلغ نسبة أهل السُّنّة العراقيين ما يقارب ٩٩% و ١% من المهاجرين.

فمن أبناء عشائر أهل السُّنّة استمد التنظيم وجوده؛ حيث فُتحت له الأبواب، واحتضنه الإخوة هنا بالإيواء والنصرة والمناصرة والبيعة والتعاون، وغير ذلك من أبواب التناصر بين المسلمين.

وكنا قد حذرنا ونحن نعلم أن هناك بعض البطون (الأفخاذ) قد تعاونت مع الصليبيين، وتآمروا على المجاهدين بالسر، واتصلوا بالحكومة المرتدة، وعرضوا عليها التعاون من أجل القضاء على المجاهدين، واتصل بعضهم بـ"سعدون الدليمي" ليرتب معه على تنفيذ مخططهم الأثيم في إسكات الجهاد في أرض الرباط أرض الأنبار المجاهدة.

هذا الأمر ليس جديدًا على المنافقين؛ فقد خانوا الله ورسوله من قبل، واتصلوا سرًّا بأعداء الدِّيْن، وهذا الأمر لا يزال يتجدد إلى اليوم، وكان تحذيرنا موجهًا لهؤلاء وقلنا لهم: من تآمر علينا عاملناه معاملة الأمريكان، وهذا أمر واضح وكلامنا في ذلك صريح، وما زلنا نكرره، وإلا فماذا ينتظر الناس منا غير ذلك؟ أنسكت عن هؤلاء حتى يتمكن الأمريكان؟

فأيُّ إنسان ثبت تورطه في شيء من ذلك؛ فالقصاص جزاؤه، وإن قدرنا الله عليه فلن نرحمه، وهذه قضية جهاد وقضية أمة، وليس من العقل فضلًا عن الدِّيْن أن نسكت عن مثل هؤلاء.

أما أهل السنة -إخوتنا وأهلنا-؛ فمعاذ الله أن نستهدفهم أو أن نمتهن حرمتهم، نحن لا نفرق في أحكام الردة بين من انتسب إلى أهل السُّنّة أو غير أهل السُّنّة، فالمسلمون على العموم سنيهم وبدعيهم تجمعنا وإياهم أخوة التوحيد، وقد نفترق مع من تلبّس ببدعة، لكننا لا نرفع عليه السيف لمجرد كونه مبتدعًا، أما من انتسب إلى السُّنّة وزعم التقيد بأحكامها، وراح من جهة أخرى يوالي الكفار ويظاهرهم على المسلمين: فهو مرتد يستحق القتل، والمسلم المبتدع يساوي ملء الأرض من هذا المنتسب إلى السُّنّة الذي تلبس بجريرة موالاة أعداء الله، وبهذا فإن من تواطأ مع أعدائنا الصليبيين

فحكمه حكمهم، وهذا هو حكم الله فيه {وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} [سورة المائدة: ٥١].

فالحكم واضح والقضية بينة.

س/ نوجّه السؤال الآن باتجاه آخر، بعض الأشخاص يقولون: إذا كانت هذه سيرة القاعدة في الأخذ بالعزيمة والدعوة إلى الأخذ بأسباب القوة، فلعلهم غدًا إن تمكنوا قاتلوا لأجل مسائل خلافية ورفعوا السيف على كل من عارضهم أو اختلف معهم في رأي؟

ج/ سبحان الله!!!!! هذا بسبب غياب الناس لمدة طويلة عن منهج أهل السُّنّة والجماعة، وعندما قام المجاهدون في العراق، ورفعوا راية الجهاد، وأقاموا الدعوة للتوحيد، وقاتلوا الأمريكان والمرتدين بدءًا من الجيش والشرطة والجواسيس وهؤلاء الروافض الخونة: رأينا أن الكثير من الناس قد استغرب ذلك، وبدا عليه الاندهاش مما يفعله المجاهدون؛ فهم لم يعهدوا شيئًا من هذه السيرة قبل هذا الوقت، وهذا الشيء الذي يظنه الناس جديدًا أو حادثًا هو ما كان عليه سلف الأمة، ولكن لجهل الناس بالدين، ولبعدهم عن العزة، ولتسلط الطواغيت لسنوات طويلة على المسلمين؛ فقد دُرست هذه المعالم، وإلا فإن هذه هي السُّنّة وهذا هو الصواب من شرع الله تعالى.

وأما الشدة التي توصف بها القاعدة؛ فهي في الحقيقة تمسكٌ بالحق، وإذا ما سماها البعض شدة فهي شدة في مكانها، وهذا هو دين الصحابة والتابعين، وهو ما عليه النبي ﷺ من قبل: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} [سورة التوبة: ٧٣].

أما أهل السُّنّة على الخصوص والمسلمون على العموم؛ فلا نتعامل معهم إلا بالحسنى، وقد كنا في أيام الفلوجة نتعامل مع ناس يخالفوننا في كثير من المسائل، ومثال ذلك مجلس شورى المجاهدين في الفلوجة؛ كان يضم بين أعضائه أفرادًا من الصوفية، ولا يمنعنا ذلك من التعامل معهم والقتال إلى جانبهم ضد الصليبيين.

س/ هناك أيضًا من يأخذ عليكم هذا الأسلوب من التعامل مع المبتدعة.

ج/ أي طائفة أو جماعة تنتسب إلى الإسلام، وتدين الله تعالى بالجهاد ومحاربة أعداء الدِّيْن من الصليبيين والمرتدين: فنحن معهم.

وما داموا مسلمين؛ فنحن نناصرهم ونتولاهم، ولا نبرأ منهم وإن تلبسوا ببعض البدع، ولا يمنعنا ذلك من التبرؤ من بدعتهم.

س/ كيف تتعامل معهم؟

ج/ نناصرهم ونتولاهم، وفي الوقت ذاته نصرح لهم بأنهم على خطأ، ونعرض عليهم حجج السلف في ذلك، ولا نداهنهم على حساب السُّنّة؛ فالتناصر وقت الحرب وصد العدوّ الصائل شيء، والتناصر وقت النقاش والمجادلة بالتي هي أحسن ومحاولة إرجاعهم إلى جادة السُّنّة شيء آخر.

نناصحهم ونناصرهم، وشتان ما بين إنسان مسلم متلبس بشيء من البدعة يحمل صفة الجهاد يقاتل معي أعداء الدِّيْن، وبين شخص يصد عن الجهاد ويعطله ويطعن بالمجاهدين، وحتى هذا الصنف لا نقاتله؛ وذلك عملًا بحديث النبي ﷺ: "لَا يَتحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ"[١].

س/ أيهما أفضل: مسلم تلبس ببدعة أم مسلم صافي العقيدة لكنه لا يجاهد؟

ج/ أما الذي يدعي أنه مسلم صافي العقيدة وهو تارك للجهاد فهو فاسق،

وأما المسلم الذي يجاهد في سبيل الله: فهو أفضل من القاعد عن الجهاد وإن كان متلبسًا ببدعة، وأُقرب لك الأمر: ها هم الطالبان مثلًا المعروف عنهم أنهم ماتُريدية خريجو المدرسة الديوبندية، وهؤلاء من المعروف عنهم أنهم لا يقبلون إلا بتحكيم شرع الله وقاتلوا في سبيل الله ووقفوا بوجه طغيان أمريكا.

---

[١] رواه البخاري.

وعندهم بعض الأخطاء، ونعلم بهذا، ولكن هم عندي خير من أصحاب العقيدة الصحيحة من (علماء الجزيرة) الذين بايعوا الطاغوت عبد الله بن عبد العزيز، بل أي عقيدة صحيحة يحملون؟ ومن هو الأفضل عند الله تعالى؟ ملا محمد عمر أم هؤلاء؟ بل ملا محمد عمر خير من ملء الأرض من أمثال هؤلاء.

ماذا نفعتنا العقيدة النظرية التي يعتقدونها؟ وماذا نفعتهم عقيدة ابن تيمية وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب؛ وهي محشورة في عقولهم، محبوسة في صدورهم، لا تخرج للعلن ولا يرى لها تأثير على الطواغيت؟ بل إنهم يصدون عن سبيل الله بمبايعتهم للطاغوت وبتعطيلهم للجهاد وبدعوتهم لقتل المجاهدين ووصفهم بالفئة الضالة، فبئس ما يحملون من "عقيدة" إن لم يتبعها عمل وينتج عنها ثمر صالح! {قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} [سورة البقرة: ٩٣]، فالطالبان خير من هؤلاء مئات المرات بل لا مقياس ولا تشابه.

ومثال آخر: الشيخ عبد الله الجنابي هو صوفي نخالفه ولا نتفق معه، ومع هذا كان الشيخ أبو أنس الشَّامي رحمه الله يقبل رأسه، وكنا نرجو فيه خيرًا ونطمع أن نجلبه إلى طريق السلف، وقد أهدى له الشيخ أبو أنس إحدى مؤلفات الشيخ ابن تيمية، فماذا نريد من الرجل إذا كان رافعًا لراية الجهاد داعيًا لقتال أعداء المسلمين؟ فهو عندنا والله خير من المثبطين القاعدين عن الجهاد.

ورغم هذا لم نكن نداهنه، كنا نناقشه، وفي وقت الحرب والمنازلة كنّا نشهر –معه– أسلحتنا بوجه العدوّ الصليبي الصائل.

فيا أخي؛ ائتني بصوفي يحمل بدعة يجاهد في سبيل الله أقبّل قدمه، وهو عندي خير من القاعد وإن كان يزعم أنه يحمل عقيدة صحيحة؛ فالمرء ما دام مسلمًا مجاهدًا فهو على خير، وهو أفضل من القاعد على أي وجه كان، على ألا يمنعني جهاده من التبرؤ من بدعته، ولا يحملني هذا على ترك مناصرته.

فمن المعروف أن الأئمة قاتلوا مع يزيد الخارجي عندما قاتل الفاطميين، على الرغم من أنه من الطائفة الموصوفة بأنها كلاب أهل النار.

نعم؛ أقاتل مع المبتدع إلا إذا تلبس بناقض، وهذا أمرٌ آخر، وأما ذاك الذي تلبس بناقض فإني لا أقاتل معه ولا تحت رايته، ولكن هذا لا يمنعني من دعوته بالحسنى وأن أطمع بإسلامه وهدايته إلى طريق السُّنّة، وفي الوقت ذاته لا أرفع عليه السيف ما دام يقاتل ذات العدوّ الذي أقاتله.

ومحصلة الأمر عندنا: أن من تلبس بناقض وقاتل الكفار نناصحه وندعوه ونطمع بإسلامه، ولكن لا نستعين به، ولا نقاتله ما دام رافعًا للسيف بوجه عدونا، معرضًا عن مقاتلتنا.

وأما المبتدع؛ فنصبر عليه وندعوه، ونقاتل معه، ولا نقرّه على خطئه ولا نداهنه، ونستمر بدعوته حتى يعود إلى السنة.

هذا هو دين الله تعالى: نصبر عليه وندعوه بالحسنى ونناصره لما معه من الإسلام، ولا أقول له: أنت محسن ببدعتك هذه ولا بأس عليك، بل أصارحه بخطورتها وبتلطف وبالحسنى، وأبقى أذكره بحقوق أخوة الإسلام التي تجمعنا.

وإن كان قد ورد عن بعض السلف طرد المبتدع من الثغور: فإن هذا كان أيام التمكين، أما اليوم فأنا أواجه عدوًّا صائلًا يروم استئصال الإسلام والقضاء على الدِّيْن بالكليّة؛ ولهذا فمن الواجب أن نقاتل مع كل مسلم دون اشتراط براءته من البدع، وهذا ما فعله شيخ الإسلام ابن تيمية عندما قاتل التتار؛ فإنه قاتل مع الصوفية ومع الأشاعرة، وتحت راية المماليك الذين كانوا يجمعون ما بين التصوف وعقيدة الأشاعرة والتعصب للمذهبية.

والواقع أنه لم يكن هنالك (جيل) أو جيش بعد جيل الصحابة والتابعين صافيًا.

ونقر اليوم بأن هناك أخطاء، وهنالك من المجاهدين من معه بعض البدع، ولكن هذا لا يمنع من القتال معهم ضد عدونا الصائل.

أما جماعتنا؛ فشرط الانتساب إليها اتباع السُّنّة وترك البدع وهجر الكبائر، وهذا ما نلزم به أنفسنا ومن تبعنا، أما من لم يقدر على هذا ولم يستطع بلوغه: فإن منعنا لانتسابه لنا لا يعني إلغاءنا له وإغفالنا لحقه علينا في التناصر بالسيف قتالًا معه وباللسان نصحًا له.

وأعتقد أن هذا هو المنهج الذي ينبغي أن تكون عليه الجماعة التي تريد إرجاع خلافة النبوة وإقامة الشرع؛ إذ لا بد وضوح المنهج واستقامة المعتقد لكيلا تنحرف الراية.

س/ لماذا تقاتلون الجيش والشرطة؟

ج/ لقد كان هؤلاء الجيش والشرطة عيونًا ووجاءً ووقاية للصليبيين من ضربات المجاهدين، وكانوا هم المنفذين لمخططاتهم.

وقد يقول قائل: إن حكم هؤلاء كحكم الأمريكان، بل هم أشدّ جرمًا وكفرًا من الأمريكان.

وقد يقول قائل: إن كثيرًا من هؤلاء يقاتل من أجل المال ليس إلا، فعلام يُقتلون؟

ونحن نقول: إن هؤلاء من أكفر خلق الله، ولا نجد لهم عذرًا أبدًا، وقد تكون لهؤلاء شبهة في البلدان الأخرى -ومع أننا لا نعذرهم-، ولكن قد تكون الشبهة في حقهم أقوى في حق الجيش العراقي.

س/ كيف؟

ج/ البلاد سقطت بأيدي اليهود والصليبيين، والعدو هنا أجنبي وجاهر بأنها حرب صليبية، وأنه جاءنا لتأمين الحماية لإسرائيل، وراح من اللحظة الأولى ينكّل بأهل السُّنّة، ويُظهِر عداءه للدين، وخلّف وراءه دمارًا هائلًا في طول البلاد وعرضها منذ الأيام الأولى لدخوله، ثم نكّل بالمسلمين تقتيلًا لرجالهم وتهديمًا لبيوتهم وسبيًا لنسائهم، وكل الناس يعلمون ما فعله الأمريكان.... وإهانة المساجد وتدنيس المصاحف وغيرها كثير، ثم يأتي بعد هذه الجرائم كلها ويدخل في طاعة هؤلاء المجرمين، ويقاتل معه عبادَ الله الموحدين ويحمي أعداءنا من اليهود والصليبيين؟!!

أفيعقل أن نقول عن مثل هؤلاء إنهم مسلمون؟

ثم إن راية الجهاد بيّنة، وصف المسلم واضح؛ فكيف يعقل عن رجل يحمل ذرة من دين أو بقية من غيرة يترك راية الجهاد الواضحة، ولا ينحاز لأمته، بل ويقاتل مع أعدائها من اليهود والصليبيين؟ فأي إسلام يحمله هذا؟ وبأي عذر يمكن أن يعتذر عنه؟

إذا قيل إن هذا الرجل أغراه المال وساقه الفقر؛ قلنا: إن هذا الرجل في عقيدته خلل من جهتين:

١- الرضا بموالاة الكفار على المسلمين.

٢- عنده خلل في باب الربوبية؛ حيث نسي أن الله هو الرازق وليس الأمريكان.

فكيف يعتذر لمن قاتل المسلمين من أجل الرزق؟ ولذلك لا يدخل في سلك هؤلاء المرتدين إلا من كان فاقدًا للدين وفاقدًا للغيرة والمروءة، ووصلت به الخسة وبلغ به الانحطاط إلى أسفل السافلين.

الذي يرى أخواته المسلمات في أبي غريب وما يُفعل بهن، ثم يوالي من فعل هذه الجرائم؛ كيف نلتمس له العذر؟ هذا والله لا عذر له، وهو والله أعدى أعداء الأمة، بل وقتله أولى وأجدر وآجر من قتل الأمريكان.

س/ ما هي الصعوبات التي تواجه الجهاد في العراق؟

ج/ نحن نخوض في العراق معركة غير متكافئة أبدًا، وليس هناك مجال للتماثل والمقارنة بيننا وبين العدو.

من ناحية العدد: هنالك المئات من الإخوة يقاتلون مئات الآلاف من الأعداء، ومن ناحية العدة: لا يخفى على أيِّ إنسان أن العدوّ يملك من الإمكانيات العسكرية -سواء كانت الجوية أو البرية أو البحرية- الشيء الكبير، ولا مقياس مع ما يملكه المجاهدون.

الإخوة يملكون السلاح الفردي وبعض مدافع الهاونات وبعض قذائف R. B. G، مقابل الدبابات والدروع والطائرات.

أرض الجهاد في العراق تختلف عن أخواتها في أفغانستان وفي الشيشان؛ فالإخوة في هذين البلدين يملكون مقومات قد لا توجد في العراق؛ فهناك الغابات والجبال الشاهقات التي يستطيعون أن يتخفوا فيها عن العدوّ ولا يستطيع أن يصل لهم.

أما أرض العراق؛ فهي كالكفّ: لا يوجد فيها جبال، ولا يوجد فيها وديان، ولا يوجد فيها غابات.

وهنالك مشكلة أخرى؛ وهي أن جبهة المواجهة مع العدوّ مشتركة، ومن هنا فإن الإخوة يخوضون معركة هي من أشرس المعارك في تاريخ البشرية.

الإخوة يسيرون في حقل من الألغام، ولا يعلمون متى ينفجر عليهم هذا اللغم أو ذاك.

الإخوة يخوضون معركة شرسة، وكثير من المعطيات ليست معهم، لا عمق استراتيجي ولا منطقة ممتنعة، العدوّ من أمامهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم وعن شمائلهم، ومن فوقهم الجواسيس حولهم، وفي كل مكان الحرس الوثني والشرطة والأمريكان، ومع ذلك -بفضل الله عزّ وجل- ننازعهم الأرض التي يقفون عليها.

هنالك الأمريكان بقضهم وقضيضهم وحدهم وحديدهم وجموعهم، وهنالك الجيش والشرط، وهنالك الرَّافِضَة بجواسيسهم وميليشياتهم المسلحة، نسأل الله السلامة؛ فهي حرب استخباراتية عسكرية شرسة وضروس.

الحرب في العراق؛ لها من الصعوبة ما الله بها عليم، ومع ذلك يصاول الإخوةُ العدوّ ويقارعونه، ويبادلونه الضربة بالضربة.

س/ أي الأسلحة كانت أكثر فتكًا بالعدو؟

ج/ كان السلاح الأمضى بيد الإخوة -بعد التوكل على الله والدعاء- هو العمليات الاستشهادية التي نكلت بالعدو، وهي سلاح الإخوة الذي لا يرد، ولا يستطيع العدوّ أن يجد له علاجًا، ولا يستطيع أن يجد له ما يمنعه، العدوّ كما قلنا يوجد مع الناس وبين الناس وبين السكان، ويضع

قواعده بين البيوت، وهذا من مكره؛ ليحول بينه وبين المجاهدين، ومن ثم فإن هذه العمليات الاستشهادية -بفضل الله- كان لها الدور الكبير في إضعاف العدوّ ووصوله إلى هذه الدرجة من اليأس ومن التخبط، ومن الروح الانهزامية والانهيار النفسي الكبير، وهذا ما صرح به كبراؤهم وما يثبته الواقع بفضل الله عزّ وجل.

انكسار العدوّ؛ لم يكن بالعبوة والعبوتين ولا بغيرهما، العبوة التي توضع على الطريق أو القصف بالهاون وغيره هذا مما يحدث النكاية بالعدو، لكن ليس هو بالسلاح الذي يستطيع أن يحسم المعركة، لكن العمليات الاستشهادية هي التي كان لها الدور الأعظم في الإثخان بالعدو؛ فالعدو لم يثخنه أو يحطم جبروته ويمرغ أنفه بالتراب ويدعُه ليفكر بالانسحاب بالعبوات فقط: بل كان بكتائب الاستشهاديين الذين نفروا من ديارهم، سواء كان من مهاجرين أو أنصار ليذودوا عن هذا الدين، هنالك قرابة ٨٠٠ استشهادي من المهاجرين والأنصار نفذوا عمليات على الأرتال الأمريكية والمعسكرات الثابتة وسيطرات الحرس الوثني وغيرها، وهذا لو تحسبه بالورقة والقلم فستدرك حجم الخسائر التي حلّت بالأمريكان، وهذا بفضل الله عزّ وجل الذي أرغم الأمريكان على التفكير بالانسحاب وعلى إظهار هزيمتهم أمام المجاهدين.

واستخدم الإخوة كذلك عمليات الاقتحام والهجوم على المعسكرات المحصنة، واستعانوا على تنفيذ ذلك بعمليات الكرِّ والفر.

كثير من العمليات النوعية كالاقتحامات وضرب الأوكار التي يحسبونها آمنة: كانت السيف الحاسم والصارم القاطع في هذه المعركة، وكانت الرقم الصعب في هذه المنازلة.

وبفضل الله ثم بفضل إخواننا الأنصار والمهاجرين الذين جاؤوا يذودون عن دين الله عزّ وجل، وأثخنوا في العدوّ، وقدموا أرواحهم رخيصة في سبيل الله تبارك وتعالى: وقعت أعظم نكاية بالأمريكان فخلخلت صفوفهم وشتت شملهم ومزق جمعهم؛ ولذلك فإن ما ترونه من تخبط على العدوّ الآن ومن فزع إلى الشرق والغرب لم يكن نتيجة بيان استنكار، ولم يكن بسبب مظاهرة، بل كان بدماء وصبر وعرق وجهد، وابتلاءات وامتحانات وسجون، وهموم وجوع وصبر وخوف.

فنحن بفضل الله عزّ وجل عازمون على المضي قدمًا في هذا الطريق، ولن ندخر -بإذن الله- جهدًا في سبيل الإثخان في هذا العدوّ وكسر شوكته، حتى يأذن الله تعالى بنزول النصر المبين ورفع راية الدِّيْن، ونحن على هذا ماضون وبه متمسكون، وليس كما يدعي العدوّ ويروج في وسائل إعلامه، وهذا يدل على هزيمته وانهزامه وعلى أنه لم يستطع الوقوف في الميدان، وما عاد يملك زمام المبادرة على أرض المعركة؛ ولهذا راح يستخدم بعض الأساليب الرخيصة؛ كبث الإشاعات والترويج للأكاذيب، وكل هذا يدخل في إطار الحرب النفسية للضغط على المجاهدين، وإيهام أهل السُّنّة في بلاد الرافدين عموم المسلمين بأن المجاهدين بدؤوا يشعرون بالضعف، وآخر هذه الأراجيف أن المجاهدين سينقلون المعركة إلى خارج العراق بسبب تزايد التضييق عليهم -كما يزعمون-، ونبشرهم بأنا لن نخرج بإذن الله تعالى حتى يأذن الله بالنصر أو نهلك دونه.

ونقول لهم: معركتنا معكم متوقفة على مبدأ: إما نحن وإما أنتم، ولن تروا منا إلا ما يسوؤكم، وهذا الجهاد له رب يحميه ورب يحفظه، والذي أحياه وأنشأه وأبقاه طوال السنتين والنصف الفائتتين قادر على أن يحفظه وأن يستعملنا في طاعته، حتى نتمكن من قطف ثماره وتحقيق غاياته، فأبشروا بالسوء يا أعداء الله، فإنا لن نتزحزح عن مرادنا هذا، وسترون منا بإذن ربنا ردًّا قاسيًا على تجرؤكم في أذى المسلمين.

ولأبناء أمتنا الغالية نقول: ندعوكم إلى مؤازرة المجاهدين، والوقوف معهم وقفةً ثابتة حازمة؛ لأن هذا الجهاد يمر بمراحله شبه الأخيرة، ومرحلة كسر العظم بدأت بالاقتراب؛ فلا بد للأمة أن تقف وقفة صادقة، ولا تترك أبناءها في هذا الوقت الحاسم وتتخلى عنهم.

فهؤلاء ما نفروا وما ضحوا بدمائهم وأنفسهم وهاجروا أوطانهم؛ إلا لأجل رفعة هذه الأمة واستنقاذها من براثن هؤلاء الكفرة، وفك قيدها من هذا الأسر الذي طال أمده؛ لذلك ندعو الأمة أن تقف وقفة صادقة، وألا تضن على هؤلاء المجاهدين بأبنائها ولا بفلذات أكبادها، ولا بدعائها، ولا حتى بأموالها؛ فهذه المعارك بفضل الله عزّ وجل لها ما بعدها، ومن الله ربنا نرجو الخير الكثير.

طبعًا نحن نخوض معركة في العراق معركة شرسة، ونواجه أعتى جيش في العالم، وهذا الجيش لا يمكن دفعه إلا بالصبر، ولا يمكن دحره إلا بالدماء والأشلاء.

نحن عندنا في كل يوم نازلة، وفي كل يوم نفقد أحد الأحبة، وبين الفينة والأخرى يقع بعض الإخوة أسرى؛ فالابتلاءات والجراحات مستمرة، وهذه طبيعة المعركة.

ثم إننا لسنا جيشًا نظاميًّا، وهنالك إخوة قاموا يجاهدون في سبيل الله تعالى بأقل الإمكانيات، نفروا للقتال وهم يعلمون أنهم يواجهون أعتى قوة في العالم، ولكنهم على علم أن الأصل في ديننا أن ينفر الناس إلى القتال؛ ولهذا لم يأبهوا لقوة الباطل ولا لإمكانياتهم، وقد مكنهم الله تعالى من عدوهم وأعانهم على مداومة قتاله.

العدو يصيب منا ونصيب منه، نقتل منه ويقتل منا، وهذه هي طبيعة المعركة: يديل علينا ونديل عليه بفضل الله عزّ وجل، نصيبه يومًا ويصيب منا يومًا آخر، نصيبه في موطن ويصيبنا في موطن.

قادتنا وكبار الإخوة هم في بداية الصفوف؛ ولهذا فنحن معرّضون لفقد الكوادر، والذي نزل في تنظيم القاعدة الله يعلم أنه لو نزل بجيش نظامي لانتهى هذا الجيش.

كيف تريد منا أن نكسر الجيش الأمريكي وهو أعظم جيش في العالم ولا نقدم تضحيات؟

إن التضحية أمر لا بد منه، ولا يمكن أن يكون هناك جهاد من غير آلام وجراحات.

إن الجهاد بالعبوات الناسفة فقط لا يمكن أن يكتب نصرًا كاملًا على العدوّ، ولا يمكن أن يحسم معركة.

وبما أن العدوّ قد حل بديارنا؛ فإن المعركة الحقيقية هي أن تواجه العدوّ ويواجهك، وينال منك وتنال منه.

وحقيقة مؤسفة واجهت الجهاد في العراق؛ وهي أن الأمة للأسف تخاذلت عن هذه المعركة، ولم يأتِ العلماء ولم يأتِ القادة، ولم يأتِ أصحاب الخبرة حتى يقودوا هذا الجهاد ويصونوه ويحافظوا

عليه، ولم تأتنا الكوادر ولم يأتنا أبناء الحركات الإسلامية، أو يأتنا غيرهم ممن تربى في السعة ولما لم يأتِ هؤلاء قام الشباب الذين يغارون على دينهم وبعضهم ليس عنده من العلم ما يكفي.

إن هؤلاء الشباب الذين نفروا ينصرون هذا الجهاد؛ آلمهم حال أمتهم، ورأوا أخواتهم تنتهك أعراضهن، ورأوا الديار كيف تستباح والدماء كيف تسفك؛ فما كان منهم إلا أن يهبوا ليذودوا عن هذا الدين.

وخلال هذه المعامع؛ رأينا الرايات الوطنية والرايات الموهومة -التي كانت تخدع الأمة بصبغات إسلامية-: قد تخلت عن الأمة، تخلت عن الساحة، ولم يبقَ إلا المجاهدون الصادقون أصحاب المنهج الصافي الذين يقاتلون لأجل "لا إله إلا الله"، هؤلاء في هذا الوقت هم الذين يقفون بوجه العدوّ، وما البركة التي نراها إلا في قتالهم إلا أنهم قلة بل أقل من القليل.

س/ ألا ترى أن تحقيق مبتغاكم صعب جدًّا مع وجود هذه المعوقات؟

ج/ نعم؛ قد يقول بعض الناس: أنتم تعيشون في الأحلام، وترجون أن تقام دولة الإسلام، أو أن تثخنوا بالعدو وتعيدوا الخلافة، أنتم تصادمون الواقع، وأنتم تعيشون في الأوهام وفي بروج عاجية!!

نقول لهؤلاء: إن الله سبحانه وتعالى بيده مقاليد كل شيء، وبيده ملكوت السماوات والأرض، والأمر أمره ونحن عباده، ونواصينا ونواصي أعدائنا بيديه، فإذا جئنا نحسبها على الأرض بالورقة والقلم حسابًا ماديًّا: فلا شك أنه سيصاب كثير من المسلمين باليأس، ولكننا نحسب أن الله عزّ وجل هو الناصر وهو الحافظ، وهو الذي يتولى جنده وهو الذي ينصر عباده.

النبي عليه الصلاة والسلام يوم الأحزاب؛ عندما تحزبت الأحزاب عليه من كل حدب وصوب، وأحاطوا به إحاطة الهالة بالقمر وإحاطة السور بالمعصم: تهيّب الصحابة، وظهر الخوف عليهم، بل إن القرآن وصفهم بأعظم وصف؛ إذ قال تعالى: {إِذْ جَاؤُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتْ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} [الأحزاب: ١٠].

حدثني الشيخ أبو عزام –رحمه الله تعالى وتقبله في الشهداء– في معركة الفلوجة الثانية: أنه من شدة الخوف والبلاء الذي نزل على المجاهدين؛ كان نبض أبي عزام وأشار بيده إلى عنقه وقال: (والله إني كنت أشعر بأن قلبي ارتفع إلى حنجرتي، وهذا مصداق قوله عزّ وجل: {وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ}، لقد رأينا الآية على حقيقتها).

ما واجهه النبي ﷺ صعب للغاية؛ حيث نقض اليهود العهد، وتحزبت الأعراب مع مشركي قريش، وعزموا على استئصال شأفة المسلمين؛ فرفع النبي عليه الصلاة والسلام الذرية والنساء إلى أعالي المدينة، وكان هناك خوف شديد حتى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال للصحابة: "أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ، جَعَلَهُ اللَّهُ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟"[١]، فلا يقوم أحد، ثم يكرر الأمر ثانية فلا يجيب أحد، ثم ثالثة فلا يجيب أحد، فقال لحذيفة: "قُمْ يَا حُذَيْفَةُ"[٢]، علمًا أن النبي ﷺ قال يومها: "مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنَا مَا فَعَلَ الْقَوْمُ، ثُمَّ يَرْجِعُ –يَشْرِطُ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّجْعَةَ– أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي فِي الْجَنَّةِ؟"[٣].[٤]

سبحان الله!!! تخيل معي: النبي عليه الصلاة والسلام الصادق المصدوق الموحى إليه يقول: أضمن له أن يعود، ومع هذا لم يقم أحد من الصحابة، وعندما استنفذ الصحابة الوسع في طاعة الله تعالى والثبات في المواجهة، وأكثروا من الدعاء، وعندما علم الله تعالى أنهم قد استفرغوا الوسع: أرسل جنديًّا من جنوده؛ وهي الريح، فقلبت القدور، وخلعت الخيام، وبفضل الله عزّ وجل فرقت القوم، ثم انفض الجمع، وعادوا خائبين، وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرًا، وكفى الله المؤمنين القتال.

لاحظ قبل هذه اللحظات كيف كان حال الصحابة!

---

[١] رواه الواحدي في التفسير الوسيط (ج٣/ص٤٦٠) بهذا اللفظ، ورواه مسلم وأحمد والطبري في التفسير وابن إسحاق وغيرهم باختلاف يسير في اللفظ.

[٢] رواه مسلم وابن حبان بهذا اللفظ.

[٣] رواه أحمد، والطبري في التاريخ (ج٢/ص٥٨٠) وفي التفسير (ج١٩/ص٢٦)، والمرزوي في تعظيم الصلاة (ج١/ص٢٣٣) (إسناده حسن).

[٤] في الأصل: ذكر الزرقاوي الأحاديث الثلاثة بالمعنى. (حتى أن النبي عليه الصلاة والسلام قال للصحابة: من يأتني بخبر القوم جعله الله رفيقي في الجنة فلا يقوم أحد ثم يكرر الأمر ثانية فلا يجيب أحد ثم ثالثة فلا يجيب أحد فقال لحذيفة: قم يا حذيفة، علماً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يومها: من يأتيني بخبر القوم جعله الله وهو رفيقي في الجنة وأضمن له أن يعود).

خوف وريح شديدة وعدو متحزب، ثم بعد ذلك بلحظات يرسل الله تعالى جنوده؛ فيشتت شمل العدوّ ويرجعهم خاسئين، وعندها قال النبي عليه الصلاة والسلام: الآن نغزوهم ولا يغزوننا.

سبحان الله! في لحظة كان الصحابة كانوا يتمنون أن ينفض عنهم الجمع فحسب، ولكن بسبب صبرهم وثباتهم فإن الله عزّ وجل أكرمهم ببشارة النبي عليه الصلاة والسلام بعد ذلك: "الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلَا يَغْزُونَنا"[١]، فكان بفضل الله عزّ وجل فتحًا ونصرًا مبينًا.

وفي تلك الشدة والظروف الحالكة؛ كان النبي عليه الصلاة والسلام يعد أصحابه بكنوز قيصر وكسرى، وهنا برز النفاق وأطل برأسه قائلًا: محمد يعدنا بكنوز قيصر وكسرى، وأحدنا لا يستطيع أن يذهب إلى الخلاء!!

أما أهل الإيمان الراسخون في الإيمان الثابتون على هذا المنهج؛ فقد قالوا: {هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [سورة الأحزاب: ٢٢].

وإنا لنعتقد جازمين أن الله عزّ وجل منجز وعده للمؤمنين، ولكن أهل الزيغ والمنافقين لا يعلمون، فالمنافقون -وكذا أسلافهم أيام الأحزاب- تغرهم قوة الباطل، ويشككون بقوة رب العزة الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو على كل شيءٍ قدير.

إن الله عزّ وجل لن يخذل عباده المجاهدين، وقد وعدهم بالنصر، ومن أحسن من الله حديثًا! ومن أصدق من الله قيلًا!

والله تعالى حين ضمن لعباده المجاهدين النصر: لم يطلب منهم غير الثبات على الحق والتمسك بهدي الكتاب والسنة؛ فقال جل ذكره -وهو أصدق القائلين-: {إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ} [سورة آل عمران: ١٦٠].

---

[١] رواه البخاري.

وكلمة "غالب": جاءت نكرة في سياق الإثبات، والمعنى لو اجتمع أهل الأرض عليكم فلن يغلبوكم إن أراد الله تعالى نصركم.

نصرة الله تعالى لك متوقفة على التمسك بالحق والأخذ بأسباب القوة من العدة، بعد التوكل على الله وهجر المعاصي.

والإتيان بالأسباب يكون على قدر الاستطاعة، وما كلفنا الله تعالى بتحقيق جميع الأسباب للشروع في الجهاد، فأمر الأسباب واكتمال العدة ما توفر للنبي ﷺ ولأصحابه الكرام رضي الله عنهم.

فنحن نعتقد أن الله عزّ وجل ناصر جنده بإذن الله، فوالله لا يهمنا أن يتكاثر العدوّ أو تكثر عدته، بل ما يهمنا هو أمر واحد هو أن يأتي بأسباب النصر، نحن لا يهمنا كثرة العدوّ ولو تضاعف العدوّ تضاعف الأمريكان تضاعف الروافض، لا يهمنا ولو قلّت عدتنا، ولكن ما نرجوه وما نسعى إليه أن نأتي من الأسباب التي ينزل بها النصر، ونحن نبحث عن أسباب يأتي بها النصر؛ من حسن التوكل على الله، واللجوء إلى الله، وتفويض الأمر إلى الله عزّ وجل، والبعد عن معاصيه هذا ما.... فإذا أتينا بأسباب النصر والله لو تضاعفوا أضعافًا مضاعفة فلن يضرونا بشيء، ولا ننظر إلى العدوّ بكثرته؛ فنحن لا نخشى العدوّ بل نخشى أنفسنا.

الأمة اليوم مدعوة لأن تقف وقفة صادقة؛ فالأمة حقيقة خذلت الجهاد في العراق طوال هذه الشهور، فمدعوة أن تراجع نفسها وتستدرك ما فاتها في سابق الأيام، تنفر حق النفير لتدفع عن نفسها عادية هؤلاء الصليبيين، وإلا فكل إنسان محاسب عليه، وهذا السوق سينفض؛ سيربح فيه من يربح، ويخسر فيه من يخسر، والسعيد من اتعظ بغيره (هذه مسألة القتال تبعث عندي مسألة).

س/ ما هو وصفكم لمعركة الفلوجة؟

ج/ معركة الفلوجة الأولى كانت آية من آيات الله الباهرة، وكانت عبرة لكل المسلمين، وحجة على القاعدين.

لم يكن الإخوة قد خططوا لتلك المعركة، وما توقعوا أبدًا وقوعها أصلًا، ولو عرضت علينا خطة هذه المعركة -كما جرت- قبل وقوعها ما كنا لنقبل بها.

قد يرى البعض أن خوض غمارها ضربٌ من الجنون ونوعٌ من التسرع؛ فالإخوة كانوا بالعشرات وعدتهم قليلة، ويقطنون مدينة صغيرة مكشوفة للعين المجردة، فضلًا عن أجهزة العدوّ المتطورة.

س/ كيف أُديرت المعركة؟

ج/ اتفقنا مع الإخوة على أن يكون هناك مفارز في النهار توزع على طول خط المواجهة، وفي الليل تُصنع الكمائن لاصطياد ما أمكن اصطياده من أرتالهم؛ من خلال العبوات الناسفة، أو المواجهات المباشرة، التي تستغل غطاء الليل وتضرب العدوّ من حيث لا يحتسب.

ومن المعروف أن سبب الغزوة الصليبية للفلوجة: كان مقتل المقاولين الأربعة، وهم في الحقيقة ليسوا مقاولين، بل كانوا ضباط مخابرات كبار، وقد وجد الإخوة بحوزة هؤلاء الضباط بعض الخرائط التي تشرح خطة اقتحام المدينة، وكان هؤلاء الضباط يتجولون في أحياء الفلوجة؛ لمسح المنطقة، ووضع اللمسات الأخيرة على خطة مهاجمة الفلوجة، ولما تمكن الإخوة من قتلهم: تذرعت أمريكا بتلك الحادثة لمهاجمة المدينة، وإلا فإن التهديد كان قائمًا قبل ذلك ومُعَدًّا له قبل مدة ليست بالقصيرة، وقد أراد الصليبيون كسر شوكة المجاهدين من خلال البطش بهذه المدينة العصية على جبروتهم.

حاصر الصليبيون مدينة الفلوجة تسعةً وعشرين ليلة كما هي عدة ليالي غزوة الأحزاب، وبعد مرور تلك الليالي العصيبة على الإخوة المحاصرين: كسر الله تعالى شوكة العدوّ، وأسقط هيبتهم على يد ثلة قليلة، لا تمتلك غير السلاح الفردي الخفيف، وليس لها من ملاجئ تقيها بأس القصف العنيف الذي وجهته طائرات العدوّ ومدافعهم الثقيلة غير حفظ الله تعالى.

لقد أجرى الله تعالى كرامات كثيرة على يد هؤلاء الفتية الصابرين، الذين اختاروا الجهاد طريقًا والعزة مقصدًا ورفع راية الدِّيْن هدفًا.

إنّ أعظم الكرامات التي رأيناها: أن الإخوة المقاتلين دفاعًا عن المدينة كانوا بالعشرات، وما بلغوا المئات، وفي نهاية المعركة بدأت الذخيرة تنفد، وكان بعض الإخوة يترك ثغره، ويأتي إلى الإخوة في وسط المدينة فيأخذ رصاصة من هذا ورصاصة من ذاك، ثم يرجع إلى مكمنه عند ثغور المدينة، هكذا واجه الإخوة آلة الأمريكان وعدتهم، لكن لما علم الله تعالى أن الإخوة قد استنفذوا الوسع واجتهدوا في إرضاء ربهم؛ عند ذلك أذِن الله تعالى بانكشاف الغمة، وألقى الرعب في قلوب الأمريكان، وأخذ بنواصيهم بعيدًا عن أطراف المدينة، وأرجع جيشهم الجرار ذليلًا خائبًا، ليطلبوا الهدنة فلا يحصلوا عليها، ويتوسل بعض أطراف النفاق للحصول على الأمان لجيشه ساعة انسحابه، انسحب جيش الصليب مخذولًا مطاردًا تتخطفه سرايا الإخوة قتلًا وأسرًا وغنيمةً.

هذه المعركة؛ كان فيها عبر عظيمة؛ فقوة بهذا العدد وبهذه العدة، وطائرات ودبابات ومدرعات وجميع الأسلحة، وقرابة ثلاثين ألف جندي: لا يستطيعون أن يقتحموا المدينة؛ هذا إن دلّ دل على أن النصر من عند الله، وإن للأمة هذا المثال الصغير في مدينة صغيرة لا تزيد عن خمس كيلومتر مربع؛ تستطيع أن تثخن بهذا العدوّ وبفضل الله عزّ وجل، هذا مثال للأمة أنها تستطيع أن تفعل ما فعله هؤلاء؛ أي أن الله عزّ وجل أراد أن يضرب مثلًا للأمة: أنه يا أمة محمد هؤلاء شعث غبر عشرات، لا يملكون شيئًا، وقفوا أمام أكبر ترسانة في العالم وردوها بفضل الله عزّ وجل: عندما تمسكوا بأمر الله، وأتوا الأسباب التي أوجبت دفع الله عنهم، فتستطيع الأمة بإذن الله تعالى أن تنهض وترد بمحاربة الصليبيين، وتنفض غبار الذل وتستعيد عزتها بإذن الله تعالى، فقط عندما تسير على منهج الله وتبذل أرواح أبنائها رخيصة في سبيل الله عزّ وجل، وهذا أمرٌ هين، بل الإنسان يعطي على الذل ما لا يعطيه على العزة وعلى العزيمة وهذا أمرٌ مجرب، نعم؛ فكانت هذه المعركة بفضل الله من المعارك الخالدة والله في تاريخ الإسلام والمسلمين، ويفتخر بها كل مسلم.

س/ يقال إن هنالك تآمرًا يحاك ضد الجهاد؛ ما هي وجوهه؟ وما هي الرسالة التي توجهها لأصحابه؟

ج/ نحن لا يضرنا تكالب العدوّ ولا تضرنا مؤامراته، وهو الآن يخشى المجاهدين، وهذا ما دعاه للفزع واللجوء إلى الدول العربية لإخراجه من ورطته.

ونحن بدورنا؛ نحذّر هذه الأنظمة الخبيثة ونقول لها: إياكم أن ترسلوا جنودًا إلى العراق؛ فإنهم سيكونون مستهدفين من قبل المجاهدين، وحكمهم حكم الصليبي، فهم ومن أعانوهم سواء، ونتوجه بالنصح إلى الأمة أن تمنع أبناءها من المجيء للعراق؛ لتحول دون اتخاذهم مطايا للطغاة وضحايا لمعركة الكفر مع المجاهدين، إن أطراف النزاع في هذه المعركة واضحون، وراية كل واحد منهما معروفة؛ ولذلك يجب على الأمة أن تحول دون إنقاذ السيد الأمريكي وخدمهم الروافض وأتباعه من هذه الأنظمة البالية.

يا أمة الإسلام؛ أترضون لأنفسكم أن تجعلوا من أبنائكم جُنّة وحرزًا تقي الصليبيين ضربات المجاهدين؟ وتذكروا أن الأمريكان إنما فزعوا لهذه الأنظمة لتخليصهم من المجاهدين وليس من الشيوعية أو الروافض، ونعلمكم أنكم إن رضيتم بذلك ووافقتم على إرسال أبنائكم إلى ساحتنا فإنا سنعاملهم كما نعامل الأمريكان، وسنتقصدهم قبل أن نتقصد من جاؤوا لحمايته؛ فلا فرق عندنا بين كافر عربي وكافر أجنبي، القضية عندنا قضية دين، والأصل بموجبها أن ينحاز هؤلاء لأمتهم، لا أن ينحازوا إلى صف الكفار لتحقيق مخططاته وبلوغ غاياته بعد عجزه عن الوصول إليها، ونحذر كذلك هذه الأنظمة من إرسال سفراء إلى العراق؛ فإن هؤلاء واجهة لتحسين الوجه القبيح لحكومة الردة، وهي زيادة على هذا اعتراف باليهود والصليبيين أسيادًا على هذه الرقعة الإسلامية.

وللمؤامرة وجه آخر؛ يتمثل بقبول بعض فصائل "القتال الوطني" بمبدأ الدخول في "اللعبة" السياسية وتحصيل بعض المناصب، مقابل إلقاء السلاح والوقوف مع الحكومة في قتالها للمجاهدين، وهؤلاء أيضًا ما يضرون غير أنفسهم، وقد بدأ الكثير من أتباعهم ينفضون عنهم بعد أن تكشفت لهم حقيقة هؤلاء الوطنيين، فمن المفرح أن المسلمين ما عادوا يخدعون بدعاوى الوطنيين.

وأتوقع ألا يبقى معهم غير ضعيف العقل والمفتون، ومثل هؤلاء تخلفهم رحمة وادعاؤهم للجهاد فتنة، فكان لا بد من التمحيص لتتميز الصفوف ويعلم الناس المصلح من المفسد.

وأما طريقنا؛ فنعلم أنه طريق طويل وشاق، وسنمتحن لأجله، وسنواجه البلاء الشديد بسببه، ومن ذلك حلول البأساء والضراء وتكالب الأعداء، وعندها لن نقول إلا ما قاله النبي ﷺ وأصحابه عندما: {قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا اللّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ} [سورة آل عمران: ١٧٣].

س/ هل من كلمة توجهها للمُنَظرين القاعدين عن العمل؟

ج/ إن كان عندي رسالة فأقول لهؤلاء: اتقوا الله في أنفسكم.

اتقوا الله في الأمانة التي حمّلكم الله إياها.

إن الله عزّ وجل يقول: {وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلاَ تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْاْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} [سورة آل عمران: ١٨٧].

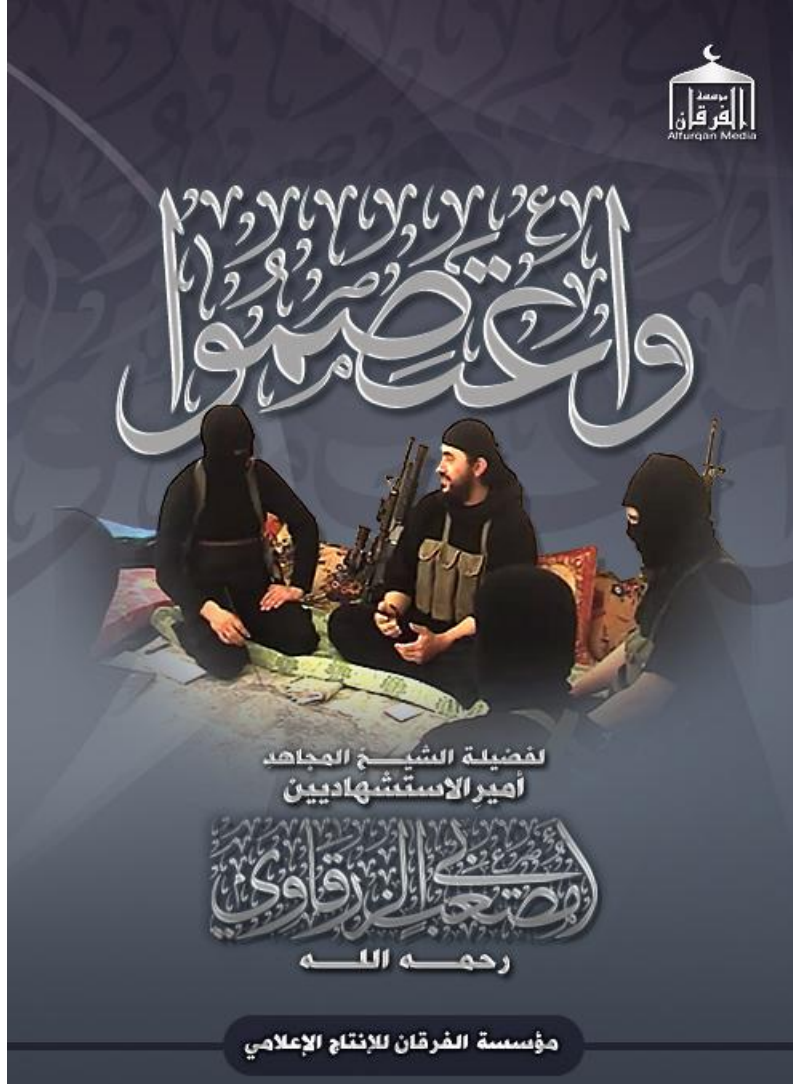
أقول لهم: اتقوا الله في هذه الأمة، إنكم والله ستقفون أمام الله عزّ وجل، ويحاسبكم حسابًا عظيمًا على تخاذلكم وتخلفكم عن الجهاد وصدكم عن طريقه.

إن الأمة اليوم تحتاج إلى منارات عاملة، وتحتاج إلى من يسعّر لها الحروب، لا تحتاج إلى مخذّلين، لا تحتاج إلى أناس يجلسون داخل المحطات الفضائية الساعات الطوال: يَنظرون إلى الأمة كيف تُنحر، ثم لا نجد منهم غير التقعر في الكلام، والنيلِ من رجال المروءة، والإعراضِ عن النيل من الكفار ولو بشطر كلمة!

وصّلى الله على نبيّنا محمّد، وعلى آله وصحبه وسلّم.

كتيب: واعتصموا

١٤٢٧هـ



[غلاف الكتيب]

الفهرس

كلمةٌ بين يدي الكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتيّب على وجازته وبساطته، إلا أن روحًا صادقةً بُثَّت في ثناياه، تُخفي وراءها نبعًا من الصدق لجامعها -نحسبه والله حسيبه-.

ورغم أن الشيخَ -رحمه الله- طلب من بعض أصحابه أن يعيدَ صياغة الكتيِّب ويشذّبَه، ويزيدَ فيه قُبيل ملحمة الفلوجة الثانية، إلا أن الظروف حالت[1]؛ فآثرنا نشره كما هو عدا تعديلات بسيطةٍ فيه؛ وذلك ليزداد أحباب الشيخ إعجابًا بمنهجه، وتزولَ ريبة المرتاب من حرص الشيخ على توحيد الكلمة قولًا وعملًا، ثم ليموت الكفار بغيظهم من رواج اسم الشيخ بين الخاصة والعامة، ونمو النواة التي لَمَّ شتاتها ورعى نَبْتَتَها رغم محاولات الصليب العالمي طمسها؛ فقد عجز الغربال أن يغطي الشمس؛ ولله الحمد.

وزارةُ الهيئاتِ الشرعية

بالتنسيق مع وزارة الإعلام

الأربعاء ١٤/رمضان/١٤٢٨هـ

٢٠٠٧\٧\٢٦م

---

[1] تعليق إتقان: تم في هذه النسخة زيادة ضبطها وتنسيقها ونسبة الأقوال إلى أصحابها. وهي نسخة راجعها وحققها ميسرة الغريب -تقبله الله- كما ذكر. ونشرتها إذاعة البيان مقروءة صوتيًا.

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ﷺ،

ثم أما بعد:

فيقول -سبحانه وتعالى- في محكم تنزيله: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ} [آل عمران: ١٠٣]، ويقول النبي ﷺ:"أُوصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَفْشُو الْكَذِبُ حَتَّى يَحْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ: فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ"[١].

وقال -عليه الصلاة والسلام -: "فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ"[٢]، وفي صحيح مسلم[٣] عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثًا: يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللَّهُ أَمْرَكُمْ، وَيَسْخَطُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ".

[قال القرطبي:] ([فقد] أوجب الله -تعالى- علينا التمسُّكَ بكتابه وسنة نبيِّه، والرجوع إليهما عند الاختلاف، وأمرَنا بالاجتماع على الاعتصام بالكتاب والسُّنة اعتقادًا وعملًا، وذلك سبب

---

[١] رواه التِّرْمِذِيُّ واللفظ له، والنسائي وأحمد وقال التِّرْمِذِيُّ: حديث حسن صحيح غريب.

[٢] رواه النسائي وأبو داود وأحمد، واللفظ للنسائي، وقال النووي:إسناده حسن.

[٣] رواه مسلم بنحوه وهذا لفظ أحمد.

اتفاق الكلمة، وانتظام الشَّتاتِ، الذي يتم به مصالحُ الدُّنيا والدين والسلامة من الاختلاف، وأمر بالاجتماع، ونَهَى عن الافتراق الذي حصل لأهل الكتابين)[١].

وقد حدد القرطبي -رحمه الله- معنى الجماعة: بأنهم الإخوان الذين يكونون على مذهبٍ واحد؛ أي في منهج العمل والدعوة، فقال: (والإخوان جمع أخ، وسُمِّيَ أخًا لأنه يَتَوَخَّى مذهبَ أخيه، يَقْصده)[٢]، وقال ابن عبَّاسٍ لسمَاكٍ الحنفي: (يا حنفي، الجماعةَ الجماعةَ، فإنَّما هلكت الأمم الخالية لتفرُّقها؛ أما سمعت قول الله -عز وجل-: {وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ} [آل عمران: ١٠٣])[٣].

فالداعية لا بد له من التزود مع إخوانه أخذًا وعطاءً؛ فلا يَجْمُل التزود إلا مع الرُّفقاء، ولا ينمو الفضل إلا مع الأتقياء، فكما أن بركة الطعام في سفر الدُّنيا مع الجماعة؛ فإن نمو الأجر في القول والعمل لا يكون إلا مع ركب المؤمنين، وزيادة الفضل لا تربو إلا بمسيرة العاملين.

إذا علمت هذا.. علمت أن الجماعة لا تتحقق إلا بأميرٍ أو قائدٍ، وقد جرت سنة الله -تعالى- في كل خلقه بذلك، فلو نظر الإنسان إلى قطعان الماشية لرآها تنقاد خلف واحدٍ منها، ولو أبصر أسرابَ الأسماك في الماء والطيورَ في الهواء لرآها زَرافَاتٍ[٤] ارتضاءً لتطبيق حكمة الله -تعالى-؛ لأن مصالحها لا تتم إلا بهذا الاجتماع...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (وكُلُّ بشرٍ على وَجه الأرض فلا بُدَّ له من أمرٍ ونهي، ولا بُدَّ له أن يأمرَ وينهى، حتَّى ولو [كان] وحده.. لكان يأمُرُ نفسه وينهاها؛ إما بمعروف وإما بمنكرٍ، كما قال -تعالى-: {إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ} [يوسف: ٥٣]، [...] وبنو آدم لا يعيشون إلَّا

---

[١] الجامع لأحكام القرآن، (ج٥/ص٢٥١).
[٢] المرجع السابق.
[٣] رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (ج٢/ص٧٢٤).
[٤] تعليق الفرقان: أي: جماعات.

باجتماعِ بعضهم ببعض، وإذا اجتمع اثنان فصاعدًا فلا بد أن يكون بينهما ائتمارٌ بأمر وتَناهٍ عن أمرٍ، ولهذا كان أقلُّ الجماعة في الصلاة اثنين، كما قيل: "الِاثْنَانِ فَمَا فَوْقَهُمَا جَمَاعَةٌ"[١].

وأمَّا الأمُورُ العاديَّةُ ففي السنن أنه ﷺ قال: "لَا يَحِلُّ لِثَلَاثَةٍ يَكُونُونَ فِي سَفَرٍ إِلَّا أَمَّرُوا عَلَيْهِمْ أَحَدَهُمْ"[٢])[٣].

ثم أوجب الله على المؤمنين السمعَ والطاعةَ لأمرائهم بالمعروف قال -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ} [النساء: ٥٩]، و"أولو الأمر" هم السلاطين والأمراءُ، وقال بعض المفسرين: هم أهل العلم والفقه[٤].

والطاعةُ لا تكون إلا في المعروف؛ إذ لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الخالق[٥]؛ فقد ثبت في الصحيحين من حديث سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: نزل قوله -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ} [النساء: ٥٩] في عبد الله بنِ حُذافةَ السهمي، بَعَثَه رسولُ اللهِ في سَرِيَّة.

وثبت في الصحيحين أيضًا من حديث الأعمش عن سعيد بن عبيدةَ عن أبي عبد الرحمن السُّلَّمي عن عليٍّ -رضي الله عنه- قال: قال ﷺ: "لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ ما فِي الوَحْدَةِ ما أَعْلَمُ، ما سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ" رواه البخاري.

وقال أيضًا ﷺ: "الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ وَالثَّلَاثَةُ رَهْطٌ"[٦].

---

[١] رواه ابن ماجه بلفظ "اثنان فما فوقهما جماعة"، ضعفه غير واحد، واستعمله البخاري ترجمةً، وأورد في الباب ما يؤدي معناه حيث روى بسنده إلى مالك بن الحويرث أن النبي ﷺ قال: "إذا حَضَرَت الصَّلاة فَأَذِّنَا وَأَقِيمَا ثمَّ لِيَؤُمَّكُمَا أَكْبَرُكُمَا".

[٢] رواه أبو داود بلفظ: "إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ"، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات، وقد اختُلف في وصله وإرساله، والصحيح المرسل.

[٣] مجموع الفتاوى، (ج٢٨/ص١٦٩-١٧٠)، اختصره الزرقاوي.

[٤] روي عن مجاهد وأبي العالية وغيرهما، انظر: موسوعة التفسير المأثور، (ج٦/ص٥١٥-٥١٨).

[٥] روى البخاري، ومسلم، والنسائي، وأبو داود، عن علي -رضي الله عنه- قول النبي ﷺ: "لا طَاعَةَ لأَحَدٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ".

[٦] رواه التِّرمِذِيُّ وأحمد ومالك، بلفظ: "الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ"، وقال التِّرمِذِيُّ: حديث حسن.

فإذا كان هذا هو الأمر في عملٍ دنيويٍّ كالسفر؛ فكيف بالسفر المعنوي كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل في سبيل الله والسعي للعمل والقيام بحقوق الناس، والجهاد في سبيل الله؟ ففي كل هذه الأمور قد ينفرد الشيطان بالإنسان وحده.

وكلما ازداد عدد الجماعة: كان فضح الشيطان أسهل وسد المنافذ عليه أيسر، فقد ورد في الحديث: "عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَة، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمِ الجَمَاعَةَ"[١].

قال ابن خُويز منداد في أحكامه: (والتَّعاون على البر والتَّقوى يكون بوجوه؛ فواجب على العالم أن يُعين النَّاس بعلمه فيعلِّمَهم، ويعينهم الغنيُّ بماله، والشُّجاعُ بشجاعته في سبيل الله، وأن يكون المسلمون متظاهرين كاليد الواحدة "الْمُؤْمِنُونَ تتكافأ دِمَاؤُهُمْ وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ"[٢]، ويجب الإعراض عن المتعدِّي وترك النُّصرة له وردُّه عما هو عليه)[٣].

ولقد نقل القرطبي -رحمه الله- كلامًا لأحد وعَّاظ مصرَ عام ٤٦٩ للهجرة، حيث نوَّهَ الواعظ كيف نال كلبُ أهلِ الكهف فضلَ ذكرِه في القرآن الكريم فقال: (إن من أحب أهل الخير: نال من بركتهم، كلبٌ أحب أهلَ الفضلِ وصَحِبَهم فذكره اللهُ في محكم تنزيله)، ثم قال: (إذا كان بعض الكلاب قد نال هذه الدرجة العالية بصُحبة ومخالطة الصلحاء الأولياء حتى أخبر الله -تعالى- بذلك في كتابه -جل وعلا-؛ فما ظنُّك بالمؤمنين الموحِّدين المخالطين المحبِّين للأولياء والصالحين؟ بل هذا تسليةٌ للمؤمنين المقصِّرين عن درجات الكمال)[٤].

وقد استعمل رسول الله رجلًا من الأنصار على سرية، بعثهم وأمرهم أن يسمعوا له ويطيعوا، قال: فأغضبوه في شيءٍ، فقال: اجمعوا لي حطبًا فجمعوا، فقال: أوقدوا نارًا فأوقدوا، ثم قال: ألم يأمرْكم رسولُ الله أن تسمعوا لي وتطيعوا؟ قالوا: بلى، قال: فادخلوها، قال: فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا:

---

[١] رواه التِّرْمِذِيُّ والنسائي وأحمد وقال التِّرْمِذِيُّ: حديث حسن صحيح غريب.
[٢] رواه أحمد، وأبو داود، والنسائي، ورواه بنحوه البخاري ومسلم.
[٣] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (ج٧/ص٢٦٩).
[٤] المرجع السابق، (ج١٣/ص٢٣١-٢٣٢).

إنما فررنا إلى رسول الله من النار، فسكن غضبه وطُفِئَت النار، فلما قدِموا على رسول الله ذكروا ذلك له فقال: "لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا، إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ"[١].

[قال ابن القيم:] (فإن قيل: فلو دخلوها لدخلوها طاعةً لله ورسوله في ظنهم؛ فكانوا متأولين مخطئين، فكيف يُخلَّدون فيها؟ قيل: لـمَّا كان إلقاءُ نفوسهم في النار معصيةً يكونون بها قاتلي أنفسِهم، فهمُّوا بالمبادرة إليها من غير اجتهادٍ منهم: هل هو طاعةٌ وقربةٌ أو معصيةٌ؟ كانوا مُقْدِمين على ما هو محرَّمٌ عليهم ولا تَسُوْغُ طاعة ولي الأمر فيه؛ لأنه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق، فكانت طاعة من أمرهم بدخول النار معصيةً لله ورسوله، فكانت هذه الطاعة هي سببَ العقوبة؛ لأنها نفس المعصية، فلو دخلوها لكانوا عصاةً لله ورسوله وإن كانوا مطيعين لولي الأمر، فلم تَدفع طاعتُهم لولي الأمر معصيتَهم لله ورسولِه؛ لأنهم قد علموا أن من قتل نفسه فهو مستحقٌ للوعيد، والله قد نهاهم عن قتل أنفسهم، فليس لهم أن يُقْدِموا على هذا النهي طاعةً لمن لا تجب طاعتُه إلا في المعروف، فإذا كان هذا حكمَ من عذَّبَ نفسَه طاعةً لولي الأمر، فكيف مَن عذَّب مسلمًا لا يجوز تعذيبُه طاعةً لولي الأمر؟)[٢].

فهي طاعةٌ تبغي أن تصيب هذا الصفاء، وتَنْسب صاحبها إلى هذه الزمرة الفائزة، من الإيمان تنطلق، وبقواعده تسترشد، وإليه تعود، وليست هي استكانة خاضعٍ راهب، ولا تَمَلُّقَ طامعٍ مصلحي راغب، إنها طاعةٌ إسلاميةٌ مميزة ليست ككل طاعةٍ، يَعُدُّها الدعاة ركنًا في إيمانهم لا كمال له بدونها ويَعْتَرِيْه النقصُ بفقدانها.

قَوْمٌ يَرَوْنَ الحقَّ نَصْرَ أَمِيرِهِمْ *** وَيَرُونَ طَاعَةَ أَمْرِهِ إِيْمَانَا[٣]

---

[١] متفق عليه، واللفظ لمسلم.
[٢] زاد المعاد، ابن القيم (ج٣/ص٤٤٤-٤٤٥).
[٣] بيت في قصيدة لكعب بن مالك -رضي الله عنه-، الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، (ج١٦/ص٢٤٣).

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال في صفة أول زمرةٍ تَلِجُ الجنة: "لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ"[١].

فإن طاعةَ الأمير من أوجب الواجبات التي فرضها الله على عباده، كيف لا وهي رأس المال وأُسُّ البناء الذي تقوم عليه الجماعةُ المسلمة؟

بل لن تقوم قائمةٌ لأية جماعةٍ تعمل في سبيل الله إلا بالالتفاف حول قيادتها، وهذا الأمر – طاعة الأمير– من أكبر عوامل النصر؛ لذا غلّظ الشرع الحنيف في الخروج على ولاة الأمور بغير حق، وعَظَّم العقوبةَ على ذلك.

واقرأ حديثَ النبي ﷺ عن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: "مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعْصِ الأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي"[٢].

فأمرٌ بهذه الخطورة: حريٌّ بنا أن نتبصرَ به، وأن نبالغَ في فهمه، ومعرفة واجباته ومحذوراته.

---

[١] متفق عليه.
[٢] متفق عليه.

صورٌ في وجوب السمع والطاعة



- الطاعة واجبةٌ في المنشط والمكره.

عن جنادةَ بنِ أبي أمية قال: (دخلنا على عبادة بن الصَّامت وهو مريضٌ، قلنا: أصلحك الله، حدِّث بحديثٍ ينفعك الله به، سمعته من النَّبيّ ﷺ، قال: دعانا النَّبيُّ ﷺ فبايعناه، قال فيما أخذ علينا: "أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ")[١].

فهذا حديثٌ يوجب طاعةَ الأمير في المَنشط والمَكْرَه، فقد ينشط الإنسان فيما يؤمر به إذا كان ذلك يوافق هواه، وهذا يؤجر المرءُ عليه ولا غَضاضَةَ، ولكنَّ المقياسَ يكون في الطاعة في المَكْرَه؛ فإن النفوسَ جُبِلَتْ على الدَّعَة والراحةِ وإيثار السلامة.

قال -سبحانه-: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ} [البقرة: ٢١٦]، فإرغام النفس وحملُها على المكروه من العمل الصالح أو على المكروه مما تؤمر به هو المعيار الحقيقي لصدق إيمان المرء.

وقد مدح اللهُ -سبحانه تعالى- هذا الصنفَ من المؤمنين فقال: {الَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِلّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ} [آل عمران: ١٧٢]، وقال -سبحانه-: {لَقَد تَّابَ الله عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١١٧].

وروى البخاري من حديث أبي هريرة مرفوعًا: "طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إِنْ كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، كَانَ فِي الحِرَاسَةِ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي

[١] متفق عليه.

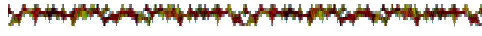
السَّاقَةِ"؛ فهذا العبدُ عمل حيث وضعه أميره، وسواء عنده أكان حارسًا أو سائقًا في مؤخرة العسكر لم يَضْجَر ولم يتأفَّفْ، فاستحق بذلك ثناء النبي ﷺ.

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية: لما تولى عمر بن الخطاب الخلافةَ عزل خالدَ بنَ الوليد عن إمرة الجيش؛ وكتب إلى أبي عبيدة –رضي الله عنه–: (فانزعْ عمامتَه عن رأسه، وقاسمه مالَه نصفين)، قال ابن كثير: (فقاسمه أبو عبيدة حتى أخذ إحدى نعليه وترك أخرى، وخالدٌ يقول: «سمعًا وطاعة لأمير المؤمنين»)[1].

بل تأمل عليًّا –رضي الله عنه– عندما بعثه النبي ﷺ إلى خيبر وقال له: "**امْشِ، وَلَا تَلْتَفِتْ**"[2]، فلما ولّى ناداه النبي ﷺ، فأجابه ولم يلتفت.

[1] (ج٩/ص٥٧٥–٥٧٦)، اختصرها الزرقاوي.
[2] رواه مسلم وأحمد، والنسائي في السنن الكبرى، واللفظ لمسلم.

توقير الأمير



مما يجب على الأفراد في الجماعة من حقوق الأمير عليهم تعزيره[١] وتوقيره؛ فعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ: "خَمْسٌ مَنْ فَعَلَ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ كَانَ ضَامِنًا عَلَى اللهِ **-عز وجل-**: مَنْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ خَرَجَ مَعَ جَنَازَةٍ، أَوْ خَرَجَ غَازِيًا، أَوْ دَخَلَ عَلَى إِمَامِهِ يُرِيدُ تَعْزِيرَهُ وَتَوْقِيرَهُ، أَوْ قَعَدَ فِي بَيْتِهِ فَسَلِمَ النَّاسُ مِنْهُ وَسَلِمَ مِنَ النَّاسِ"[٢].

قال صاحب العمدة: (وإهانة ولي الأمر قد تكون بعصيان أوامره والاستخفاف بها، أو بالسخرية من الأمير بالقول والغمز واللمز، أو بوصفه بصفةٍ خُلُقيةٍ أو خَلْقيةٍ فيه تدعو للاستخفاف به، أو بمدح غيره بما فيه تعريضٌ بالذم لهذا الأمير، أو تشجيعٌ للآخرين على إهانة الأمير وعصيانه، وعمومًا يدخل في الإهانة كل ما فيه انتقاصٌ لقدر الأمير وتجريحه، فقد أمر الرسول ﷺ بطاعة الأمير وإن كان عبدًا حبشيًا مُجَدَّعَ الأطراف، فمن أقدم على إهانة الأمير: فقد تعرض لإهانة الله له في الدُّنيا بالمذلة وفي الآخرة بالعذاب، وعن أبي بَكْرَة قال: «**من أَجَلَّ سلطان الله أجَّله الله يوم القيامة**»[٣]، وهذا ينطبق على كل من تولى إمارةً على غيره إذ أنه أميرٌ بحكم الشريعة؛ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كان السلف كالفضيل بن عياض وأحمد بن حنبل وغيرهما يقولون: لو كان لنا دعوة مجابة لدعونا بها للسلطان»[٤].

تنبيه: ولا يَظُنَّ أحد أننا بدعوتنا الرعية إلى توقير الأمير أننا ندعو بذلك إلى تقديسه، وإنما ندعو إلى الوسط كما هي دعوة الإسلام في كل أمر، فتوقير الأمير وسَط بين تفريطٍ وإفراط؛ فأما التفريط فهو إهانة الأمير التي وردت السنة بالنهي عنها والوعيد عليها، وذكرنا بعضَ صور الإهانة فيما

---

[١] تعليق الفرقان: التعزير لغة من الكلمات المتضادة التي تأتي بمعنى الاحترام والتقدير وبمعنى العقوبة، والمراد بها هنا الأول.

[٢] رواه الطبراني في المعجم الكبير، ورواه أحمد وابن حبان وابن خزيمة بنحوه. قال ابن حجر: فيه عند الجميع ابن لهيعة، وهو ضعيف لكنه يتقوى بشواهده.وبالجملة فحديث الباب صحيح لغيره.

[٣] السنة لابن أبي عاصم.

[٤] مجموع الفتاوى، (٢٨/ص٣٩١).

سبق، وأما الإفراط في توقير الأمير فهو أيضًا منهي عنه ومذموم؛ ومن صوره: السكوت عن منكرات الأمير، وأدهى من ذلك تبريرُ منكراته وتأويلها على وجه حسن، والمغالاةُ في مدحه، وخلعُ ما لا يجوز من الصفات عليه، فتوقير الأمير ليس مقصودًا لذاته، بل من أجل المحافظة على وحدة الجماعة المسلمة، وهذا مقصد شرعي وسد لذريعة العصيان والشقاق)[1].

ويُجلّي لك خطورةَ هذا الأمر هذا الحديث العظيم الذي رواه مسلم عن عوف بن مالك قال: قَتل رجلٌ من حِميَر رجلًا من العدو فأراد سَلَبه، فمنعه خالد بن الوليد وكان واليًا عليهم، فأتى رسولَ الله ﷺ عوفُ بن مالك فأخبره فقال لخالد: "**مَا مَنَعَكَ أَنْ تُعْطِيَهُ سَلَبَهُ؟**"، قال: استكثرتُه يا رسول الله، قال: "**ادْفَعْهُ إِلَيْهِ**"، فمرّ خالد بعوف فَجَرَّ بردائه، ثم قال: هل أنجزتُ لك ما ذكرت لك من رسول الله ﷺ؟ فسمعه الرسول ﷺ فاسْتُغْضِبَ فقال: "**لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ، لَا تُعْطِهِ يَا خَالِدُ**"، ثم قال: "**هَلْ أَنْتُمْ تَارِكُونَ لِي أُمَرَائِي؟ إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتُرْعِيَ إِبِلًا، أَوْ غَنَمًا، فَرَعَاهَا، ثُمَّ تَحَيَّنَ سَقْيَهَا، فَأَوْرَدَهَا حَوْضًا، فَشَرَعَتْ فِيهِ فَشَرِبَتْ صَفْوَهُ، وَتَرَكَتْ كَدْرَهُ، فَصَفْوُهُ لَكُمْ، وَكَدْرُهُ عَلَيْهِم**".

فانظر يا أخا التوحيد إلى فعل النبي ﷺ بأنْ مَنَع صاحب السلَب سلَبه؛ لأنه رأى في ذلك ذريعة للتطاول والتجرؤ على الأمير، ومع أن النبي ﷺ قال: "**مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ**"[2].

---

[1] العمدة في إعداد العدة، عبد القادر بن عبد العزيز، (ص٤١٥-٤١٦)، بتصرف يسير من الزرقاوي.

[2] متفق عليه.

حسن الظن بالأمير



اعلم يا أخا التوحيد أن هذا الباب من أعظم الأبواب وأخطرها؛

قال -سبحانه-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ} [الحجرات: ١٢].

وقال رسول الله ﷺ: "إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ"، متفق عليه.

فقد أمرنا الله ورسوله بإحسان الظن بالمسلمين عامة، وما ذلك إلا لعَظمة حرمة المؤمن عند الله، وحفظًا للصف المسلم من الزلل والخلل، وصونًا له من الأمراض التي تؤدي إلى حلول الهزيمة بالمسلمين وارتفاع التأييد والنصر عنهم.

قال -تعالى-: {وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: ٤٦]، فأي فشلٍ وأي ذهابٍ للريح أكثر من انتشار سوء الظن والتباغض والتباعد بين المسلمين؟

فإن كان هذا بين عامة المسلمين؛ فكيف إن كانت إساءة الظن بولاة الأمور؟؟

فمن المعلوم بداهةً أن إرضاءَ الناس في كل شيءٍ غايةٌ لا تُدرَك، فاعلمْ يا أخا التوحيد أن أيَّ أمير عامة لا بد أن يُحاطَ بالنصح والشفقة لعِظَمِ الأمر الذي وُكِّل به؛ فالإمارة تكليفٌ لا تشريف، وكلها منغِّصاتٌ وهمومٌ وغموم.

فمَثلُ الأميرِ كمثل رُبَّان سفينةٍ في بحرٍ متلاطم الأمواج، يسدد ويقارب ويوازن، حتى يصل بها إلى بر الأمان وينجو بإخوانه، فهو مسؤول عن كل فردٍ من أفراد رعيته، ينظر بأعينهم ويسمع بآذانهم، ويهتم لهمومهم، ويفرح لأفراحهم، فحاله هذه تتطلب من أفراده الشفقة عليه، وحسنَ الظن به، وإعانتَه على طاعة الله.

والأمير غالبًا ما يكون مُطَّلِعًا على أمور الرعية الخافية عن بقية الأفراد، وهو صِمَام أمان الجماعة وصندوق أسرارها، فقد يرى رأيًا أو يتخذ قرارًا يرى غيرُه خلافَه؛ لجهلهم بجوانب يعلمها هو دونهم، والمعترِض قد ينظر من جانبٍ واحدٍ أو زاويةٍ ضيقةٍ قاصرةٍ، بينما الأمير ينظر من عدة جوانب وزوايا، ويدرك أمورًا كثيرةً تخفى على بعض المعترضين، ومن المصلحة مثلًا ألا يُظْهِرَ تلك الجوانبَ لأولئك المعترضين (حفاظًا على الجانب الأمني للجماعة مثلًا).

ومثال ذلك: ما ورد عن عمرو بن العاص أن رسول الله ﷺ أمَّره في غزوة ذات السَّلاسل، فمَنَع النَّاس أن يوقدوا نارًا ثلاثًا، قال: فكلَّم النَّاس أبا بكرٍ، قالوا: كلّمه لنا، فأتاه، قال: (قد أرسلوك إليّ، لا يوقِد أحد نارًا إلا أَلقيته فيها!)، ثم لَقُوا العدو فهزموهم، فلم يَدَعْهم يطلبون العدو، فلمَّا رجعوا إلى رسول الله ﷺ، أخبروه الخبر وشكَوا إليه، فقال: (يا رسول الله؛ كانوا قليلًا فخفتُ أن يطلبوا العدو، وخِفْتُ أن يكون لهم مادَّةٌ فيَعْطِفون عليهم)، فحمد رسول الله ﷺ أمره)، وفي رواية فقال عمرو: (نهيتهم أن يوقدوا نارًا خشية أن يرى العدو قلَّتَهم)[1].

[قال صاحب العمدة:] (وهذا الحديث فيه جواز إمارة المفضول كعَمْرٍو على من هم خيرٌ منه كأبي بكرٍ للمصلحة، وفي الحديث شكايةُ الجند أميرَهم عند الإمام، وفيه وجوب طاعة الأمير في تقييده المباحَ كإيقاد النار، وطاعةُ الأمير ولو كان أمرُه بخلاف المصلحة أو الواجب الأولى، كمنعهم من اتباع العدو الفارّ خشية أن يأتيَه المدد)[2].

فالحذرَ الحذرَ يا إخوة التوحيد والإيمان من هذه المحاذير، فوالله لأنْ يُخْطِئَ الأميرُ في أمرٍ اجتهادي ليس فيه معصيةٌ أقلُّ ضررًا من أن يُتَّهَمَ الأمير بسوء التدبير، فيَتْبَعَ ذلك المناجاةُ والتجرؤ ثم الفُرقة والشقاق.

---

[1] قال الهيثمي في مجمع الزوائد: رواه الطبراني بإسنادين ورجال الأول رجال الصحيح.
[2] العمدة في إعداد العدة، عبد القادر بن عبد العزيز، (ص٤٠٤).

وإن طاعتك لأميرك في أمرٍ اجتهادي ترى أنت خلافَه خيرًا منه، طاعتُك هذه أقرب إلى النصر الذي يُعْقِبُه الله -عز وجل- بسبب هذه الطاعة التي تَحفظ وحدة الصف المسلم والعقيدة بإذن الله؛ فكم فُتِحت أبوابٌ من الشر مستطيرةً على المسلمين بسبب الإخلال بهذا الباب[١]!

يقول صاحب العقد الفريد: (شأن الرعية قلة الرضا عن الأئمة، وتحجر العذر عليهم، وإلزام اللائمة لهم، فرُبَّ مَلومٍ لا ذنب له، ولا سبيل إلى السلامة من ألسنة العامة؛ إذ كان رضا جملتها وموافقة جماعتها من المُعْجِز الذي لا يُدْرَك، والممتنِع الذي لا يُمْلَك، ولكلٍّ حصتُه من العدل، ومنزلته من الحكم)[٢].

[١] تعليق الفرقان: فعلى الرعية أن يحسنوا الظن بأميرهم (ما لم يتنازل عن الثوابت الشرعية المنهجية للجماعة المسلمة المجاهدة كالولاء والبراء والعداوة والبغضاء لأعداء الله -تعالى- حتى يؤمنوا بالله وحده، ودون التوسع في أبواب السياسة الشرعية كما فعلت كثير من الجماعات المعاصرة التي هدمت بتأويلاتها الفاسدة واستصلاحاتها المنحرفة أصولًا عظيمة من أصول الدين... فالعبرة بهدي النبي ﷺ وصحبه).

[٢] العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، (ج١/ص١٠).

الإشاعة وأثرها على الصف المسلم



الإشاعة في اللغة: هي الإظهار والنشر، وذلك يكون بما هو صادق، وبما هو كاذب، ولكن العُرْفَ قَصَرَها على الأخبار التي لم يَثْبُت صِدْقها بعد، ويُقال لها: "الأراجيف"، واحدها "إرجاف"، وأصل الرَّجَف الحركة والاضطراب، والإشاعة فيها هذا المعنى، وأكثر ما يحمل على الإشاعة الكراهية لمن يُشاع عنه، أو حُب الظهورِ بالسبق إلى معرفة ما لا يعرفه غيره، أو التسلية، أو التنفيس عن النفس فيما حُرِمَتْ منه، وتكثرُ أيامَ الأزمات السياسية والاقتصادية والحربية؛ حيث يكون الجو ملائمًا لرواجها.

وللإشاعة آثارها الضارة؛ من بَلْبَلَة الأفكار، والفتنة بين الناس، وتشويهِ سمعة البرآء، كما أشاع المشركون على الرسول ﷺ بأنه ساحرٌ كذابٌ، وأنه شاعرٌ أو كاهنٌ أو مجنونٌ، وكما أشاعوا في غزوة أحد أنه قُتِلَ؛ لتخذيل أصحابه.

قال -تعالى-: {وَإِذَا جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلًا} [النساء: ٨٣].

[قال سيد -رحمه الله-:] (الصورة التي يرسُمها هذا النص هي صورة جماعةٍ في معسكرٍ إسلامي لم تألف نفوسهم النظام، ولم يدركوا قيمةَ الإشاعة في خلخلة المعسكر وفي النتائج التي ترتبت عليها، فقد تكون قاصمة؛ لأنهم لم يرتفعوا إلى مستوى الأحداث ولم يدركوا جدية الموقف، وأنَّ كلمةً عابرةً وفلتةَ لسانٍ قد تجر من العواقب على الشخص ذاته وعلى جماعته كلها ما لا يخطر له ببال، وما لا يتدارك بعد وقوعه بحال، أو ربما لأنهم لا يشعرون بالولاء الحقيقي الكامل لهذا المعسكر، وهكذا لا يَعْنيهم ما يقع له من جرّاءِ أخذ كل شائعةٍ والجري بها ههنا وهناك وإذاعتِها؛ حيث يَتَلَقّاها لسانٌ عن لسان، سواء كانت إشاعةَ أمنٍ أو إشاعةَ خوف، فكلتاهما قد يكون لإشاعتها خطورةٌ مدمرة؛ فإن إشاعة أمر الأمن مثلًا في معسكرٍ متيقظٍ متوقعٍ لحركة العدو إشاعة أمر الأمن في مثل هذا

المعسكر تُحْدِث نوعًا من التراخي مهما تكن الأوامر باليقظة؛ لأن اليقظة النابعة من التحفز للخطر غير اليقظة النابعة من مجرد الأوامر، وفي ذلك التراخي قد تكون القاضية، وكذلك إشاعة أمر الخوف في معسكر مطمئن بقوته ثابت الأقدام بسبب هذه الطمأنينة، قد تُحْدِث إشاعة أمر الخوف فيه خلخلة وارتباكًا وحركاتٍ لا ضرورة لها لاتقاء مظان الخوف، وقد تكون كذلك القاضية.

[...] وعلى أية حالٍ؛ فهي سمة المعسكر الذي لم يكتمل نظامه، أو لم يكتمل ولاؤه لقيادته، أو هما معًا، ويبدو أن هذه السمة وتلك كانتا واقعتين في المجتمع المسلم حين ذاك باحتوائه على طوائف مختلفة المستويات في الإيمان، ومختلفة المستويات في الإدراك، ومختلفة المستويات في الولاء، وهذه الخلخلة هي التي يعالجها القرآن بمنهجه الرباني، والقرآن يدل الجماعة المسلمة على الطريق الصحيح: {وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ} [النساء: ٨٣]، [...] فمهمة الجندي الطيب في الجيش المسلم الذي يقوده الأمير المؤمن -بشرط الإيمان ذاك وحده- حين يبلغ إلى أذنيه خبرٌ أن يسارعَ فيخبرَ به نبيَه أو أميرَه لا أن ينقلَه ويذيعَه بين زملائه أو بين من لا شأن لهم به؛ لأن قيادته المؤمنة هي التي تملك استنباط الحقيقة، كما تملك تقديرَ المصلحة في إذاعة الخبر -حتى بعد ثبوته- أو عدمَ إذاعته)[1].

وقال سيد -رحمه الله- عند قوله -تعالى-: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ} [النور: ١٥]: (وهي صورةٌ فيها الخفة والاستهتار وقلة التحرج، وتناول أعظم الأمور وأخطرها بلا مبالاة ولا اهتمام.

{إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ} لسانٌ يتلقى عن لسانٍ بلا تدبرٍ ولا تروٍّ ولا فحصٍ ولا إمعان نظر، حتى لكأن القول لا يمر على الآذان ولا تتملاه الرؤوس ولا تتدبره القلوب!

{وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم} لا بوعيكم ولا بعقلكم ولا بقلبكم! إنما هي كلمات تَقْذِفُ بها الأفواه قبل أن تستقر في المدارك وقبل أن تتلقاه العقول...)[2].

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، (ج٢/ص٧٢٣-٧٢٤).
[2] المرجع السابق، (ج٤/ص٢٥٠٣).

وهنا لفتةٌ جميلةٌ أحببنا أن نشير إليها وهي في قوله -تعالى-: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ}؛ إذ إنه من المعلوم أن التلقي يكون بالأذن ابتداءً، ثم يُعْرَض على العقل ثم ينطق به اللسان، والتلقي بالألسن المشار إليه في الآية كناية عن الخفة والطيش والتسرع.

وقال رسول الله ﷺ: "أيُّما رَجُلٍ أشاعَ على رَجُلٍ مُسْلِمٍ بِكَلِمَةٍ وهُوَ مِنْها بَرِيءٌ، يَشِينُهُ بِها فِي الدُّنْيا: كانَ حَقًّا على الله تَعَالَى أنْ يُدْنيَهُ يَوْمَ القيامَةِ فِي النَّارِ حَتَّى يأْتِيَ بِإِنْفاذِ" رواه الطبراني بإسناد جيد[1].

[1] ذكر ذلك المنذري في الترغيب والترهيب.

نصيحة الأمير



الأمراء والأئمة هم أولى الناس بالنصح والإرشاد؛ لما في نصحهم من صلاحٍ وسدادٍ للأمة عامة وللجماعات المجاهدة خاصة، فمن الواجب تذكيرُهم بالحق والدعاء لهم بالخير، وإعانتهم على الحق.

روى مسلم عن تميم الداري قال: قال ﷺ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ"، قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: "لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ".

وروى [أحمد] عن أنس قال: قال ﷺ: "ثَلَاثٌ لَا يَغُلُّ عَلَيْهِنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَمُنَاصَحَةُ وُلَاةِ الْأُمُورِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ"[١].

فالأصل في الأمير المسلم الصالح طلب النصيحة وقَبولُها، ورحم الله عمرَ بنَ عبد العزيز عندما كان يقول لمولاه (مزاحم): (إن الولاة جَعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عيني على نفسي، فإن سمعتَ مني كلمةً تَرْبَأُ بي عنها أو فعلًا لا تُحِبُّه فعِظْني عنده وانْهَني عنه)[٢].

وقال الشافعي -رحمه الله-: (ما نصحْتُ أحدًا فقَبِلَ مني إلا هِبْتُه واعتقدْتُ مَوَدَّتَه، ولا رَدَّ أحدٌ عليَّ النصحَ إلا سَقَطَ من عيني ورفضْتُه)[٣].

قال النووي: (وأمَّا النَّصيحة لأئمَّة المسلمين: بمعاونتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتنبيههم وتذكيرهم برفق، وإعلامهم بما غفلوا عنه ولم يَبْلُغْهم من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتأَلُّف قلوب [المسلمين] لطاعتهم، قال الخطَّابي: ومن النَّصيحة لهم الصَّلاةُ خلفَهم، والجهادُ معهم، وأداءُ الصَّدقات إليهم، وترك الخروج بالسَّيف عليهم، إذا ظَهَر منهم حَيْفٌ أو سُوْءُ عِشْرة، وألا يُغْرُوا

---

[١] إسناده حسن وصحيح لغيره، وروى بنحوه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان، وغيرهم من طريق زيد بن ثابت -رضي الله عنه-، قال الترمذي: حديث حسن.

[٢] عيون الأخبار، ابن قتيبة، (ج٢/ص٢٣).

[٣] هذا لفظ الشعراني في الطبقات الكبرى، (ج١/ص٤٥)، ورواه أبو نعيم في الحلية (ج٩/ص١١٧)، بلفظ: (ما أوردت الحقَّ والحجَّة ...).

بالثَّناء الكاذب عليهم، وأن يُدْعى لهم بالصَّلاح، وهذا كلُّه على أن المراد بأئمَّة المسلمين: الخلفاء وغيرهم، ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات، وهذا هو المشهور)[١].

قال صاحب العمدة: (ومما يدخل في النصح: الإشارة على الأمير بما يَخْفى عليه من الأمور التي يحيط بها غيره. ومما يَدْخُل فيه أيضا إخبار الأمير بكل ما يؤدي إلى إفساد الجماعة أو تفريق شملها، كوجود بعض العناصر السيئة أو المفسدة، ونحو ذلك. وعلى الأمير التثبتُ والتحققُ قبل التصرف، لقوله -تعالى-: {إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا} [الحجرات: ٦])[٢]؛ وفي قراءة متواترة {فتثبتوا}، ودليل هذا ما يلي:

- ما ذكره ابن كثير في تفسيره لقوله -تعالى-: {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ} [التوبة: ٦٥]؛ قال: (قال رجلٌ في غزوة تبوك في مجلس: ما رأيتُ مثلَ قُرّائِنا هؤلاءِ، أرغبَ بطونًا، ولا أكذبَ ألْسُنًا، ولا أجْبَنَ عند اللِّقاء! فقال رجل في المسجد: كذبْتَ، ولكنَّك منافق ولأخبرنّ رسولَ الله ﷺ)[٣]، وموضع الاستشهاد هو قول الصحابي للمنافق: (ولأخبرنّ رسول الله ﷺ)؛ فهذا من النصح للأئمة وليس من الغيبة[٤].

وفي حديث عمر بن الخطاب في الرجم؛ ورد في سياقه أن رجلًا أتى عمرَ فقال له: (إن فلانًا يقول: لو مات أمير المؤمنين لبايعنا فلانًا، فقال عمر: لأقومنّ العشيَّة فأُحَذِّر هؤلاء الرَّهْط الَّذين يريدون أن يَغْصبوهم) رواه البخاري؛ قال ابن حجر في شرحه: (وفيه جوازُ إخبار السُّلطان بكلام من يُخشى منه وقوع أمرٍ فيه إفسادٌ للجماعة، ولا يُعَدُّ ذلك من النَّميمة المذمومة)[٥].

---

[١] شرح صحيح مسلم، (ج٢/ص٣٨).
[٢] العمدة في إعداد العدة، عبد القادر بن عبد العزيز، (ص٤١١).
[٣] تفسير القرآن العظيم، (ج٤/ص١٧١).
[٤] مستفاد من كلام صاحب العمدة.
[٥] فتح الباري، (ج١٢/ص١٥٤).

وقال صاحب العمدة: (لا تَعَارُضَ بين ما ذكرتُه آنفًا من إبلاغِ الأمير بأمرِ من يُحدِث فتنةً أو فسادًا في الصف وبين حديث النبي ﷺ: **"لا يُبَلِّغني أحدٌ مِنْ أصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا؛ فإنِّي أُحِبُّ أَنْ أخْرُجَ إِلَيْكُمْ وأنا سَليمُ الصَّدْرِ"**[1]؛ فإن حديث ابن مسعود هذا هو الأصل، وقد أورده النووي في رياض الصالحين في باب (النهي عن نقل الحديث وكلام الناس إلى ولاة الأمور إذا لم تَدْعُ إليه حاجةٌ كخوف مفسدةٍ ونحوها)؛ فالأصل هو النهي عن نقل أحوال الناس إلى ولاة الأمور، والاستثناء من هذا الأصل هو: إذا دعت الحاجة إلى نقل أحوالهم؛ لدرء المفاسد والفتن، وكشف المُفسدين، وقد ذكرتُ أدلة هذا آنفًا)[2].

بل قد قال ابن حجر: (ونقل ابن التِّين، عن أشهب أنَّه: ينبغي للحاكم أن يتَّخذ من يَستكشِف له أحوال النَّاس في السِّرِّ، وليكن ثقةً مأمونًا فطنًا عاقلًا؛ لأن المصيبة إنَّما تدخل على الحاكم المأمون من قَبول قول من لا يوثَق به إذا كان هو حسن الظَّنِّ به، فيجب عليه أن يتثبَّت في مثل ذلك)[3].

والأفضل نصح الأمير سرًّا:

- ودليل ذلك ما رواه ابن أبي عاصم في كتابه (السنة): باب (كيفية نصيحة الرعية للولاة)... قال عياض بن غنم لهشام بن حكيم: ألم تسمع بقول رسول الله ﷺ: **"مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْصَحَ لِذِي سُلْطَانٍ فِي أَمْرٍ فَلَا يُبْدِهِ عَلَانِيَةً، وَلَكِنْ لِيَأْخُذْ بِيَدِهِ، فَيَخْلُو بِهِ، فَإِنْ قَبِلَ مِنْهُ فَذَاكَ، وَإِلَّا كَانَ قَدْ أَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ لَهُ"**[4]؟

- وهناك دليل آخر على نصح الأئمة سرًّا؛ وهو ما رواه البخاري عن أبي وائل قال: قيل لأسامة: ألا تُكَلِّم هذا؟ قال: قد كلَّمْتُه ما دونَ أنْ أَفْتَحَ بابًا أكونُ أولَ من يَفْتَحُه، وما أنا بالذي أقول لرجلٍ بعد أن يكون أميرًا على رجلين: أنت خير بعدما سمعت من رسول الله ﷺ يقول:

---

[1] رواه التِّرْمِذِيُّ وأبو داود وأحمد، ضعفه غير واحد.
[2] العمدة في إعداد العدة، (ص٤٢٣).
[3] فتح الباري، (ج١٣/ص١٩٠).
[4] رواه أبو عبيد في الأموال، وأحمد، والطبراني في مسند الشاميين. قال الأرنؤوط: صحيح لغيره دون قوله: "من أراد أن يَنْصَحَ لسلطان بأمرٍ.." فحسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه، شريح بن عبيد الحضرمي لم يذكروا له سماعاً من عياض ولا من هشام، ولعل بينهما جبير بن نُفير كما في رواية ابن أبي عاصم. وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

"يُجَاءُ بِرَجُلٍ فَيُطْرَحُ فِي النَّارِ، فَيَطْحَنُ فِيهَا كَطَحْنِ الْحِمَارِ بِرَحَاهُ، فَيُطِيفُ بِهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلَانُ؛ أَلَسْتَ كُنْتَ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟! فَيَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا أَفْعَلُهُ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَفْعَلُهُ".

وقولهم: (ألا تكلم هذا؟): وقع عند مسلم: (ألا تدخل على عثمان فتكلمَه؟)، وكان هذا سببَ ما أنكره بعض الناس على الخليفة عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، قال ابن حجر: قوله: «قد كَلَّمْتُهُ ما دون أن أفتح بابًا»؛ أي: كَلَّمْتُهُ فيما أشرتم إليه، لكن على سبيل المصلحة والأدب في السِّرِّ بغير أن يكون في كلامي ما يُثير فتنة أو نحوها)[1].

وقال أيضًا صاحب العمدة: (والذي أراه -والله أعلم بالحق- أن الإسرار بالنصح للأمير أو الجهر به يتوقف على:

أولًا: حال المنصوح (الأمير): فيختار الناصح أنسبَ وسيلةٍ حسب حال المنصوح وما يَقْبَلُه.

ثانيًا: حال الموجودين: فقد يكون نصحُه سرًّا أولى؛ حتى لا يَجْتَرِئَ الناسُ على الأمير فتقعَ فتنةٌ وتَفْترقَ الكلمة، كما فعل أسامة بن زيد مع عثمان بن عفان -رضي الله عنهم-، وقد يكون الجهر بالنصيحة أفضلَ حتى يسمع الناس فينتصحوا بنفس النصيحة كما في نصح (أبي شُرَيح) بشأن تحريم مكة؛ ليَكُفَّ الناس عن الخروج في جيش الأمير الذاهب للقتال في مكة، وهكذا.

ثالثًا: حال الناصح: ألا يقوم مقامَ رياءٍ وسمعةٍ بنصحه، ليقال عنه: هذا الذي نصح الأمير عندما سكت غيره، وتحضرني هنا قصة شكاية أهل الكوفة سعدَ بن أبي وقاص لعمر بن الخطاب)[2].

قال ابن كثير: (وفيها -سنة ٢٠هـ- شكا أهل الكوفة سعدًا في كلِّ شيءٍ، حتَّى قالوا: لا يُحْسِن يصلّي، فعزله عنها)، إلى أن قال ابن كثير: (وفي صحيح مسلمٍ أنَّ عمر بعث من يسأل أهل الكوفة، فأثنوا خيرًا إلا رجلًا يقال له: أبو سعدة قتادة بن أسامة قام فقال: أما إذ أنشدتنا

[1] فتح الباري، (ج١٣/ص٥١).
[2] العمدة في إعداد العدة، (ص٤١٤).

فإن سعدًا لا يقسم بالسَّويَّة ولا يَعْدل في القضيَّة، ولا يخرج في السَّريَّة، فقال سعدٌ: اللَّهُمَّ إن كان عبدك هذا قام مقامَ رياءٍ وسمعةٍ؛ فأَطِلْ عمرَه، وأَدِمْ فقرَه، وعَرِّضْه للفتن، فأصابَتْه دعوةُ سعدٍ، فكان شيخًا كبيرًا يرفَعُ حاجبيه عن عينه، ويَتَعَرَّض للجواري في الطُّرق فيغمزُهنَّ، فيقال له في ذلك؛ فيقول: شيخٌ كبيرٌ مفتونٌ أصابته دعوة سعدٍ، وقد قال عمر في وصيته -وذكره في السِّتَّة-: «فإن أصابت الإمرةُ سعدًا فذاك، وإلَّا فليستعن به أيُّكم وَلِي، فإنِّي لم أعزلْه عن عجزٍ ولا خيانةٍ»[١].

[١] فتح الباري، (ج١٠/ص٩٨-١٠٠).

التناجي وخطورته



يحرص الإسلام على الرقيّ بأفكار المؤمنين والسموّ بأحاديثهم ومجالسهم نحو الأحسن والأفضل؛ لذا ينهاهم الله -تعالى- عن التعرُّض في مجالسهم إلى ما فيه أذًى للناس في أعراضهم، أو اعتداءٌ على كرامتهم، وينهاهم عن الخوض فيما يؤذي الرسول أو يكون مقدِّمةً لمخالفته.

ويعطي الإسلام للوقت قيمةً غاليةً ثمينةً يحرص على عدم هدره، وذلك بدعوة المؤمنين لأن تكون مجالسهم جادَّةً تثمر ما فيه خير البلاد والعباد، فوَّاحةً بعبق الإيمان والرياحين الربَّانية، زاخرة بكلِّ ما فيه شدٌّ للهمم والعزائم إلى المزيد من الطاعات والأخلاق الحميدة.

ويهدف الإسلام إلى تقوية الصف، وجمع الكلمة حتى يظل المسلمون قوةً وقَذًى في عيون أعدائهم، وسبيلُه في ذلك محاربة كل ما يؤدي إلى الفُرقة والتدابر والتقاطع من النجوى إلى الظن إلى التجسس إلى الغيبة إلى الحسد إلى البغض.

ومبدأ الشرر الذي يؤجج نار الفتن ويُذْكِيْها هو النجوى؛ والنجوى هي الحديث الخافت الَّذي يدور بين اثنين على الأغلب.

أخرج البخاري ومسلم والتِّرْمِذِيُّ وأبو داود عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن رسول الله ﷺ قال: "إِذَا كُنْتُمْ ثَلاثَةً، فَلاَ يَتنَاجَ اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَحْزُنُهُ"[١].

فالصواب -إن شاء الله تعالى- أن يراعيَ الناصح هذه الأحوال، ثم يتخيرَ الأسلوبَ الأنسبَ: الإسرار أو الجهر، فإن الْتَبَس عليه الأمر فالإسرار أولى -إن شاء الله تعالى-؛ لحديث عياض بن غنم المذكور في أول هذه المسألة؛ ولقصة أسامة بن زيد مع عثمان بن عفان -رضي الله عنهم-.

[١] هذا لفظ رواه أحمد والبغوي في شرح السنة، وروي بنحوه ممن ذكرهم.

واعلم -رحمك الله- بأن التناجي بين أفراد الجماعة دون علم القيادة: هو منشأُ الشرِّ في الجماعة المسلمة، وهو الباب الواسع الذي يَلِجُ منه الشيطان ليمزق أوصال تلك الجماعة.

ولقد تنبه بعض المفسرين لهذا المعنى من آية البقرة: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ} [البقرة: ٢٠٥]؛ فنظروا إلى ما تُوْحِيْه كلمة السعي من النشاط والمشي السريع والعمل الدؤوب فقالوا: (والسَّعيُ في الأرض المشي بسرعة، وهذا عبارة عن إيقاع الفتنة والتضريب بين النَّاس)[١].

وعند الطبراني أن رجلًا قال لعلي -رضي الله عنه- معترِضًا على نصحه ودعوته للخير ووحدة الجماعة: إنَّك والله ما نهيتنا، ولكنَّك أمرتنا وذَمَّرْتَنا، فلما كان فيها ما تكره، بَرَّأْتَ نفسَك ونَحَلْتَنا ذنبَك، قال له علي -رضي الله عنه-: (وما أنت وهذا الكلام -قَبَّحَك الله-؟! واللهِ لقد كانت الجماعةُ فكنتَ فيها خاملًا، فلما ظهرت الفتنة نَجَمْتَ فيها نُجُوْمَ قَرْنِ الماعز)[٢].

فهُم -أي أهل التناجي- عيَّابون طعانون، يَلْبِسُون قليلَ الحقِّ بكثيرِ الباطل، ويَكْتُمون الكثير من المحاسن، ولا تَنْجو روايتهم من التدليس، ويُسيئون تفسيرَ المواقف، ويتأولون الألفاظَ، ويُفَسرون البسمة بالتهكم، والزهدَ بالبخل، والشجاعةَ بالتهور، ولهذه المظاهرِ سلفٌ من أول فتنة في الإسلام؛ حيث وصفها الخليفة الراشد عثمان -رضي الله عنه- كما في رواية الطبري: (أمَّا بعد: فإن لكل شيء آفَّةً، ولكل أمر عاهةً، وإن آفَّةَ هذه الأُمَّة وعاهة هذه النِّعمة: عيَّابون طعَّانون؛ يُرُوْنَكم ما تحبُّون، ويُسِرُّون لكم ما تكرهون، يقولون لكم ويقولون، أمثال النَّعام يَتْبَعون أول ناعق، أحبُّ

---

[١] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، (ج٣/ص٣٨٦).

[٢] رواه الطبراني في المعجم الكبير، وقال الذهبي في تاريخ الإسلام: (ما أحسنها لولا أنها منقطعة السند)، وقال الهيثمي: (ومحمد بن الضحاك وولده يحيى ولم أعرفهما). تعليق الفرقان: والذَّمْر الحَثُّ مع لَوْم واسْتِبْطاء، ويأتي بمعنى التهديد.

مواردها إليها البعيد، لا يَشربون إلا نغَصًا[1]، ولا يَرِدُون إلا عَكَرًا[2]، ولا يقوم لهم رائد[3]، وقد أَعْيَتْهم الأمور، وتعذَّرت عليهم المكاسب)[4].

فانظر -رحمك الله- إلى خطورة هذا الأمر؛ كيف نشأ من تناجي فئةٍ قليلةٍ، ثم بدأ بالتحزب والاتساع حتى أطلَّت الفتنة برأسها، وبدأ يتسعُ الخَرْقُ على الرّاقِع، مما أدى إلى الانشقاق والتحزب والجرأة على رأس الإسلام في ذلك الزمان ذي النورين -رضي الله عنه-؛ مما أدى إلى قتله في عُقْر داره في مدينة رسول الله ﷺ.

فوالله إن البدن ليَقْشَعِرُّ من هول هذه المصيبة التي كان أصحابها يُظْهرون إرادة الخير في تلك الاعتراضات، وأن عثمان -رضي الله عنه- خالفَ سنة صاحبيه -رضي الله عنهما- من قبل!

فالحذرَ الحذرَ يا أخا التوحيد من هذه المزالق والمحاذير، فهي -والله- من مهلكات هذا الدين! كيف لا وصاحبها يكون في صف المنافقين والعياذ بالله؟

قال -تعالى-: {قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: ١٠٤،١٠٣].

ومن أروع ما نختم به هذا الباب: كلام لسيد قطب -رحمه الله- في تفسير قوله -تعالى-: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [المجادلة: ٩]؛

يقول سيد: (ويبدو أن بعض المسلمين ممن لم تنطبع نفوسهم بعدُ بحاسَّةِ التنظيمِ الإسلامي، كانوا يتجمعون عندما تَحْزَبُ الأمور؛ ليتناجوا فيما بينهم ويتشاوروا بعيدًا عن قيادتهم، الأمرُ الذي لا تُقِرُّه

---

[1] تعليق الفرقان: إشارة إلى أنهم لا يتم مرادهم. ويحتمل معنى آخر.
[2] تعليق الفرقان: الْعَكَرُ بِفَتْحَتَيْنِ مَا خَثُرَ وَرَسَبَ مِنْ الزَّيْتِ وَنَحْوِهِ؛ إشارة إلى أنهم يقصدون الأشياء السيئة. [وتحتمل معنى آخر].
[3] تعليق الفرقان: أي أنهم لا يستطلعون الأمور؛ فهو كناية عن تعجلهم.
[4] تاريخ الرسل والملوك، (ج٤/ص٣٣٨).

طبيعة الجماعة الإسلامية، وروحُ التنظيم الإسلامي التي تقتضي عَرْضَ كل رأي وكل فكرة وكل اقتراحٍ على القيادة ابتداءً، وعدمَ التجمعات الجانبية في الجماعة.

كما يبدو أن بعض هذه التجمعات كان يدور فيها ما قد يؤدي إلى البلبلة، وما يؤذي الجماعة المسلمة -ولو لم يكن قصد الإيذاء قائمًا في نفوس المتناجين-، ولكن بمجرد إثارتهم للمسائل الجارية وإبداء الآراء فيها على غير علم، قد يؤدي إلى الإيذاء وعدم الطاعة.

وهنا يناديهم الله بصفتهم التي تربطهم به، وتجعل للنداء وقعَه وتأثيره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ﴾؛ لينهاهم عن التناجي -إذا تناجوا- ﴿بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾، وبيَّن لهم ما يَلِيْقُ بهم من الموضوعات التي يتناجى بها المؤمنون: ﴿وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾؛ لتدبير وسائلهما وتحقيق مدلولهما، والبِرّ: الخير عامة، والتقوى: اليقظة والرقابة لله -سبحانه-، وهي لا تُوْحِي إلا بالخير، ويُذَكِّرهم بمخافة الله الذي يُحْشَرون إليه، فيحاسِبُهم بما كسبوا وهو شاهده ومُحْصِيْه مهما سَتَروه وأَخْفَوْه)[١].

قال الإمام أحمد: حدثنا بهز وعفان، قالا: أخبرنا همام، عن قتادة عن صفوان بن محرز، قال: كنت آخذًا بيد ابن عمر، إذْ عرض له رجلٌ، فقال: كيف سمعتَ رسولَ الله ﷺ في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ مِنَ النَّاسِ، وَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ قَدْ هَلَكَ، قَالَ: فَإِنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، ثُمَّ يُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨]".

[وقال سيد:] (ثم يُنَفِّرُهم من التناجي والمسارّة والتجسسِ بالقول في خُفْيَةٍ عن الجماعة المسلمة التي هم منها، ومصلحتُهم مصلحتها، وينبغي ألا يشعروا بالانفصال عنها في شأنٍ من الشؤون،

[١] في ظلال القرآن، (ج٦/ص٣٥١٠).

فيقول لهم: إن رؤية المسلمين للوسوسة والهمس والانعزال بالحديث تَبُثُّ في قلوبهم الحزن والتوجس، وتخلق جوًا من عدم الثقة، وإن الشيطان يُغْري المتناجين ليحْزنوا نفوس إخوانهم ويدخلوا إليها الوساوس والهموم، ويطمئن المؤمنين بأنّ الشيطان لن يبلغ فيهم ما يريد:

{إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [المجادلة: ١٠].

فالمؤمنون لا يتوكلون إلا على الله، فليس وراء ذلك توكل، وليس من دون الله من يتوكل عليه المؤمنون!

وقد وردت الأحاديث النبوية الكريمة بالنهي عن التناجي في الحالات التي توقع الريبة وتُزَعْزِعُ الثقة وتبعث التوجس، جاء في الصحيحين... عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: "إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ صَاحِبِهِمَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يُحْزِنُهُ"، وهو أدبٌ رفيعٌ، كما أنه تَحَفُّظٌ حكيمٌ لإبعاد كل الريب والشكوك.

فأما حيث تكون هناك مصلحةٌ في كتمان سرٍّ، أو ستر عورة، في شأنٍ عامٍ أو خاص: فلا مانع من التشاور في سر وتَكَتُّم يكون عادةً بين القادة المسؤولين عن الجماعة، ولا يجوز أن يكون تجمعًا جانبيًّا بعيدًا عن علم الجماعة؛ فهذا هو الذي نهى عنه الرسول، وهذا هو الذي يُفَتِّتُ الجماعة أو يوقع في صفوفها الشك وفقدان الثقة، وهذا هو الذي يدبره الشيطان ليُحزنَ الذين آمنوا، ووعْدُ اللهِ قاطعٌ في أن الشيطان لن يَبْلُغ بهذه الوسيلة ما يريد في الجماعة المؤمنة؛ لأن الله حارسُها وكالِئُها، وهو شاهدٌ حاضرٌ في كل مناجاة، وعالمٌ بما يدور فيها من كيد ودس وتآمر، ولن يَضُرَّ الشيطانُ المؤمنين {إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ}، وهو استثناءٌ تحفظيٌّ؛ لتقرير طلاقة المشيئة في كل موطنٍ من مواطن الوعد والجزم، لتبقى المشيئة حرةً وراءَ الوعد والجزم.

{وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ}؛ فهو الحارس الحامي، وهو القوي العزيز، وهو العليم الخبير، وهو الشاهد الحاضر الذي لا يَغِيْبُ، ولا يكون في الكون إلا ما يريد، وقد وعد بحراسة المؤمنين، فأي طمأنينةٍ بعد هذا وأي يقين؟)[١].

[١] المرجع السابق، (ص٣٥١٠-٣٥١١).

الوفاء بالعهد

وقد جعلنا هذا الباب في نهاية هذه الرسالة، وبعد آفة التناجي مباشرةً؛ لأن التناجي إذا تأسسَ على غير هُدًى أدى إلى الفُرقة والشقاق ونَكْثِ العهود.

فلقد قال رسول الله ﷺ: "مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ: لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ: مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً"[١].

قال –سبحانه–: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا} [النحل: ٩١].

[قال سيد –رحمه الله–:] (والوفاء بعهد الله يشمل بيعةَ المسلمين للرسول ﷺ، ويشمل العهد على معروفٍ يأمر به الله، {وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا} [النحل: ٩٢] مَثَلُ من ينقض العهد مَثَلُ امرأةٍ حمقاءَ مُلْتَاثَة ضعيفةِ العزم والرأي، تَفْتِلُ غزلها ثم تنقضه مرةً أخرى قِطَعًا منكوثة ومحلولة)[٢].

وعن عبد الله بن عمر وأنس بن مالك –رضي الله عنهما– قالا: قال النبي ﷺ: "لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ"[٣]، وقد فسر ابن عمر هذا الحديث بأنه الغدر ببيعة الأمراء[٤]، قاطعًا الطريقَ على من يريد أن يتأوله، وكان يقال: ثلاثٌ من كُنّ فيه كن عليه:

- البغي؛ لقول الله –تعالى–: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنفُسِكُم} [يونس: ٢٣].
- المكر؛ لقول الله –تعالى–: {وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر: ٤٣].

---

[١] رواه مسلم، وبنحوه رواه أحمد وابن حبان.

[٢] في ظلال القرآن، سيد قطب، (ج٤/ص٢١٩١)، اختصره الزرقاوي.

[٣] رواه البخاري، ورواه بنحوه مسلم وأحمد والترمذي وأبو داود وابن حبان.

[٤] رواه البخاري وأحمد: (وإنَّا قد بايعنا هذا الرَّجل على بيع الله ورسوله، وإنّي لا أعلم غدرًا أعظم من أن يبايع رجلٌ على بيع الله ورسوله ثمَّ ينصب له القتال، وإنّي لا أعلم أحدًا منكم خلعه، ولا بايع في هذا الأمر، إلَّا كانت الفيصل بيني وبينه).

- النكث؛ لقوله -تعالى-: {فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ} [الفتح: ١٠].

وهذه البيعة المعروفة الآن في الدعوة -والتي توجب حقوقًا لمن بُويع وبايع بالتبادل، وِفْقًا لشروطٍ تفصيليةٍ- إنما هي من البيعات التي يجب الوفاء بها شرعًا؛ إذ المؤمنون عند شروطهم... وقَبِلوا الحدَّ من بعض حريتهم في الاجتهاد تمكينًا لممارسة عملٍ جماعيٍ لا تتحقق آمال الدعاة في استئناف الحياة الإسلامية وتحقيق مصالح الأمة إلا بواسطته، ولا يستمر إلا بمثل هذا الحد من حرية المشارِكِ فيه وتفويضِ قادتِهِ صلاحيةَ الأمر ومنحَهم الطاعة.. وكلام ابن تيمية في أول الجزء التاسع والعشرين من مجموع فتاويه عن القواعد الفقهية العامة التي تحكم شروط المسلمين في عقودهم وبيوتهم: ليس فيه ما يمنع من العمل بهذه الشروط الرضائية التي يوجبها الداعية على نفسه بكامل اختياره؛ طمعًا في أجر وثواب العمل الجماعي، ورغبةً في الوصول إلى استدراكٍ سريع لحال الأمة يبرد لذعات قلبه اليومية، التي تسببها المآسي المتكررة والفجائع المؤلمة.

والحقيقة أن ناكث البيعة يوقع نفسه في جملة أمورٍ رديئةٍ، حتى ولو اعتزل ولم يؤذ جماعة العاملين:

- فهو واقعٌ في إثم عدم الوفاء بالعهد، وعلى مَقْرُبةٍ من خصلة النفاق البغيضة؛ فإن المنافق إذا عاهد غدر، وأقل ما يقال في هذا العهد الذي أعطاه: إنه آكدُ من النذر الذي يَنذُره على نفسه، والنذر واجب الوفاء يشغل الذمة بمجرد النطق.

- وهو واقع أيضًا في إثم النكوص عن العقد المذموم في القرآن، فليس هو مجرد وقوفٍ سلبي لا يتقدم ولا يزداد من الخيرات، وإنما هو رجوع أيضًا يستهلك ما ادخره من الحسنات.

- ثم إن الناكث يقع رابعًا في إثم انتصابه قدوةً سيئةً لغيره، يشجع من بعده على تقليده وتسويغ النكث أسوةً بسابقته.

وختامًا

أخي الحبيب؛

إن كل مَن خالف الجماعةَ فإنه لن يجدَ إلا الوحشةَ، (فتتنكر له نفسه، حتى ما كأنه هو، ولا كأن أهلَه وأصحابَه، ومن يُشفق عليه: بالذين يعرفُهم، وهذا سرٌّ من الله لا يخفى إلا على من هو ميت القلب.

والخوف والهم مع الرِّيبة، والأمن والسرور مع البراءة من الذنب.

فَمَا فِي الْأَرْضِ أَشْجَعُ مِنْ بَرِيءٍ *** وَلَا فِي الْأَرْضِ أَخْوَفُ مِنْ مُرِيبِ

وهذا القدر قد ينتفع به المؤمن العاقل البصير إذا ابتُلي به ثم راجع)[١].

وقبل الوداع:

فيا أيها الناظر فيما جمعتُ؛ لك غُنْمُه وعلى جامعه غُرْمه، ولك صفوه وعليه كَدَره، وهذه بضاعته المُزْجاة تُعْرَض عليك، وبناتُ أفكاره تُزَفّ إليك، فإن صادَفَت كُفُؤًا كريمًا: لم تَعْدَم منه إمساكًا بمعروف أو تسريحًا بإحسان، وإن كان غيرُه: فالله المستعان، وما كان من صوابٍ فمن الله الواحد المنان، وما كان من خطأٍ فمني ومن الشيطان، والله بريء منه ورسوله[٢].

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

انتهى ما كتبه شيخُنا الفاضلُ أبو مصعبٍ الزرقاوي رحمه الله.

[١] زاد المعاد، ابن القيم، (ج٣/ص٧٢٨-٧٢٩).
[٢] مستفاد من مقدمة ابن القيم في حادي الأرواح، (ص١٦-١٧).

الترتيب الزماني

#	اسم المادة	وقت المادة	ملاحظة
١	إفادة أسير: ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار!	٤ ذو القعدة ١٤١٤ هـ	نشرتها مجلة المنهاج.
٢	من رسائله إلى أمه –رحمها الله–	٦ صفر ١٤١٩هـ	نشرها أبو قدامة –زوج أخته– عام ١٤٢٨هـ. وهي من رسائله وقت سجنه في الأردن.
٣	دفتر فوائد أرسله إلى أخته الصغرى	٦ صفر ١٤١٩هـ	–
٤	رسالة إلى عشائر بني حسن: يا قوم أجيبوا داعي الله	٢٩ صفر ١٤٢٤ هـ	
٥	الْحَقْ بِالقافِلة [صوتية]	١٢ ذو القعدة ١٤٢٤ هـ	نشرت في منتدى الأنصار.
٦	رِسَالَةٌ سرية مِنْ الزَّرْقَاوِيّ إلى أُسَامة بن لادِنَ حول الانضمام له	٢٤ ذو الحجة ١٤٢٤ هـ	نشرت في الإعلام.
٧	من أبي مصعب الزرقاوي إلى أمتي الغالية؛ خير أمة أخرجت للناس [صوتية]	١٥ صفر ١٤٢٥ هـ	نشرت في منتدى الأنصار.
٨	بيان الأمير أبو مصعب الزرقاوى يتبنى فيه عملية ميناء البصرة	٦ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ	
٩	تفجير مقر المخابرات؛ الرد على كذب المخابرات الأردنية [صوتية]	١١ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ	–
١٠	كَلِمَةٌ فِي شَرِيطِ نَحرِ نِيكُولاسْ بِيرغْ [مرئية]	٢٢ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ	
١١	من أبي مصعب الزرقاوي لكلب الأردن عبد الله الثاني: أبشر بما يسوؤك	٢٦ ربيع الأول ١٤٢٥ هـ	
١٢	رثاء أبي البراء الكويتي (فيصل المطيري)	٢٩ ربيع الثاني ١٤٢٥ هـ	
١٣	عندما يبكي الرجال!	٢ جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ	
١٤	وصايا هامة للمجاهدين، والرد على المخذلين [صوتية]	١٩ جمادى الأولى ١٤٢٥ هـ	
١٥	بيان من أبي مصعب الزرقاوي إلى علاوي	٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ	
١٦	الموقف الشرعي من حكومة كرزاي العراق [صوتية]	٦ جمادى الثاني ١٤٢٥ هـ	
١٧	في شَرِيط رِيَاحُ النَّصر [مرئية]	٢٢ جمادى الثاني ١٤٢٥ هـ	قرأها أبي أنس الشَّامي.
١٨	أَينَ أَهْلُ المُرُوءَاتِ؟ [صوتية]	٢٦ رجب ١٤٢٥ هـ	
١٩	رثاء الشيخ أبي أنس الشامي –تقبله الله– [صوتية]	١٢ شعبان ١٤٢٥ هـ	
٢٠	كَلِمَةٌ فِي شَرِيطِ نَحرِ ألَن آرمِستْرُونج [مرئية]	٢٦ شعبان ١٤٢٥ هـ	
٢١	بيان: البيعة لتنظيم القاعدة بقيادة شيخ المجاهدين أسامة بن لادن	٣ رمضان ١٤٢٥ هـ	
٢٢	رسالة إلى الأمة والمجاهدين داخل الفلوجة [صوتية]	٢٩ رمضان ١٤٢٥ هـ	نشرت في منتدى الحسبة.
٢٣	رسالة إلى المجاهدين خارج الفلوجة [صوتية]	١١ ذو القعدة ١٤٢٥ هـ	–

٢٤	وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لها العاقبة [صوتية]	١١ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ	–
٢٥	ولتستبين سبيل المجرمين [صوتية]	١٣ ذو الحجة ١٤٢٥ هـ	–
٢٦	يا أهل الإسلام؛ الشدة الشدة [صوتية]	٣٠ ربيع الأول ١٤٢٦ هـ	–
٢٧	وعاد أحفاد ابن العلقمي [صوتية]	١٠ ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ	–
٢٨	رسالة من جندي إلى أميره [صوتية]	٢٢ ربيع الثاني ١٤٢٦ هـ	–
٢٩	بيان: التبشير باستشهاد الشيخ عبد الله الرشود –تقبله الله–	١٦ جمادى الأولى ١٤٢٦هـ	–
٣٠	دَعُوا عَطِيَّةَ اللَّهِ فَهُوَ أَعلمُ بِمَا يَقُولُ	٢٨ جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ	نشرت في منتدى الإخلاص.
٣١	أينقص الدين وأنا حي [صوتية]	١ جمادى الثاني ١٤٢٦ هـ	
٣٢	بيان وتوضيح لما أثاره المقدسي في لقائه مع قناة الجزيرة	٦ جمادى الثاني ١٤٢٦ هـ	
٣٣	المحاضرة الأولى: القتال، قدر الطائفة المنصورة	٣ شعبان ١٤٢٦هـ	سلسلة "لا يضرهم من خذلهم"
٣٤	حَولَ أَحدَاثِ تَلعفَر [صوتية]	٨ شعبان ١٤٢٦ هـ	
٣٥	هذا بيان للناس ولينذروا به [صوتية]	١١ شعبان ١٤٢٦ هـ	
٣٦	المحاضرة الثانية: وطواعية الله ورسوله أنفع لنا	١٦ شعبان ١٤٢٦ هـ	سلسلة "لا يضرهم من خذلهم"
٣٧	المحاضرة الثالثة: القابضون على الجمر	٢٧ شعبان ١٤٢٦ هـ	–
٣٨	المحاضرة الرابعة: {قل أأنتم أعلم أم الله}	٤ رمضان ١٤٢٦ هـ	–
٣٩	المحاضرة الخامسة: {والله أحق أن تخشوه}	١١ رمضان ١٤٢٦ هـ	–
٤٠	ذق إنك أنت العزيز الكريم [صوتية]	١٧ شوال ١٤٢٦ هـ	
٤١	فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ [صوتية]	٨ ذو الحجة ١٤٢٦ هـ	
٤٢	الكلمة المرئية الأخيرة: هَذَا بَلاغٌ للنَّاسِ	٢٦ ربيع الأول ١٤٢٧ هـ	
٤٣	سلسلة محاضرات: هل أتاك حديث الرافضة؟	٥ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ	ثلاث حلقات.
٤٤	حوار مع الشيخ أبي مصعب الزرقاوي مع أبو اليمان البغدادي	في ١٤٢٧هـ	الوقت التقريبي للحوار في ١٤٢٦هـ.
٤٥	كتيب: واعتصموا	في رمضان ١٤٢٧ هـ	الوقت التقريبي للمادة عام ١٤٢٥هـ.

المراجع

تنبيه: الترتيب على الحروف الأبجدية عدا الكتب الستة.

القرآن الكريم، رواية حفص عن عاصم.

كتب السنة النبوية وآثار الصحابة والتابعين وأهل العلم.

أ- الكتب الستة:

- صحيح البخاري.
- صحيح مسلم.
- سنن أبي داود.
- سنن الترمذي.
- سنن النسائي (المجتبى).
- جامع ابن ماجه.

ب- المسانيد والصحاح والمعاجم:

- الأمالي، ابن بشران، طبعة دار الوطن.
- السنن الكبرى، النسائي.
- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم، طبعة دار الكتب العلمية.
- المسند، أحمد بن حنبل، طبعة مؤسسة الرسالة.
- المدخل إلى السنن الكبرى، أبو بكر البيهقي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.
- المعجم الصغير والأوسط والكبير، ومسند الشاميين، أبو القاسم الطبراني.
- الموطأ رواية أبي مصعب الزهري، مالك بن أنس، طبعة دار التأصيل.
- صحيح ابن حبان، التقاسيم والأنواع، طبعة دار ابن حزم.
- مسند أبي يعلى الموصلي الصغير، طبعة دار التأصيل.
- مسند البحر الزخار، أبو بكر البزار، طبعة مكتبة العلوم والحكم.
- مسند عبد الله بن المبارك، طبعة مكتبة المعارف.
- مسند الفاروق، ابن كثير، طبعة دار الفلاح.

ج- جوامع الأحاديث:

- الترغيب والترهيب، زكي الدين المنذري، طبعة دار الكتب العلمية.

- جامع الأصول، ابن الأثير، طبعة مكتبة دار البيان.
- مسند الفاروق، ابن كثير، طبعة دار الفلاح.
- مشكاة المصابيح، التبريزي، طبعة المكتب الإسلامي.

د-المصنفات:
- مصنف ابن أبي شيبة.
- مصنف سعيد بن منصور، طبعة الدار السلفية (الهند).
- مصنف عبد الرزاق.

كتب الطبقات المسندة:
- الطبقات الكبرى، ابن سعد، طبعة مكتبة الخانجي.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم الأصبهاني، طبعة دار السعادة.
- معرفة الصحابة، أبو نعيم الأصبهاني، طبعة دار الوطن.

هـ- كتب الرقائق وفضائل الأعمال المسندة:
- الأدب المفرد، محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار الصديق.
- الإشراف في منازل الأشراف، ابن أبي الدنيا، طبعة مكتبة الرشد.
- الأربعون في الحث على الجهاد، ابن عساكر، طبعة دار الخلفاء للكتاب الإسلامي.
- الزهد، أحمد بن حنبل، طبعة دار الكتب العلمية.
- الزهد الكبير، أبو بكر البيهقي، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، ط٣.
- الزهد والرقائق، عبد الله بن المبارك، تحقيق الأعظمي.
- الصمت وآداب اللسان، ابن أبي الدنيا، طبعة دار الكتاب العربي.
- العقوبات، ابن أبي الدنيا، طبعة دار ابن حزم.
- الفتن، نعيم بن حماد، طبعة مكتبة التوحيد.
- المنامات، ابن أبي الدنيا، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية.
- الورع، أحمد بن حنبل، طبعة دار الكتب العلمية.
- اليقين، ابن أبي الدنيا، طبعة دار البشائر الإسلامية.
- فضائل الصحابة، أحمد بن حنبل، طبعة مؤسسة الرسالة.
- كتاب الجهاد، عبد الله بن المبارك، طبعة الدار التونسية.

القرآن وعلومه:

- أحكام القرآن، ابن العربي، طبعة دار الكتب العلمية.
- أحكام القرآن، أبو بكر الجصاص، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.
- أسباب النزول، أبو الحسن الواحدي، طبعة دار الإصلاح، ط٢.
- التفسير الوسيط، أبو الحسن الواحدي، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر الطبري، طبعة دار هجر.
- الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، طبعة مؤسسة الرسالة، ط١.
- الكشف والبيان في تفسير القرآن، الثعلبي، طبعة دار إحياء التراث العربي.
- تفسير القرآن، أبو المظفر السمعاني، طبعة دار الوطن.
- تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم، طبعة مكتبة نزار الباز.
- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، طبعة دار طيبة.
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن السعدي، طبعة مؤسسة الرسالة.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، طبعة دار الشروق، ط٣٢.
- معالم التنزيل، البغوي، طبعة دار طيبة، ط٤.

الحديث وعلومه:

أ- علوم الحديث:

- الثقات، أبو الحسن العجلي، طبعة مكتبة الدار.
- الثقات، ابن حبان، طبعة دائرة المعارف العثمانية.
- الكامل في ضعفاء الرجال، ابن عدي الجرجاني، طبعة الكتب العلمية، ط١.
- طبقات الحفاظ، شمس الدين الذهبي، طبعة دار الكتب العلمية.

ب- شروح الحديث:

- إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض، طبعة دار الوفاء.
- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، القرطبي، طبعة دار ابن كثير.
- جامع العلوم والحكم، ابن رجب الحنبلي، طبعة مؤسسة الرسالة.
- شرح السنة، البغوي، طبعة المكتب الإسلامي.
- شرح صحيح البخاري، ابن بطال، طبعة مكتبة الرشد.
- شرح صحيح مسلم، أبو زكريا النووي، طبعة دار إحياء التراث.
- فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني، طبعة المكتبة السلفية.

- فيض القدير، المناوي، طبعة المكتبة التجاري الكبرى.
- عون المعبود، شمس الحق آبادي، طبعة دار الكتب العلمية.
- معالم السنن، أبو سليمان الخطابي، طبعة المطبعة العلمية.

العقيدة وعلومها:

أ- العقيدة:

- الإبانة الكبرى، ابن بطة العكبري، طبعة دار الراية.
- الاعتصام، الشاطبي، طبعة دار ابن الجوزي.
- البدع والنهي عنها، محمد بن وضاح القرطبي، طبعة مكتبة ابن تيمية.
- الحوادث والبدع، الطرطوشي، طبعة دار ابن الجوزي.
- السنة، أبو بكر الخلال، طبعة دار الراية، ط١.
- السنة، محمد بن نصر المرزوي، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، ط١.
- السنة، ابن أبي عاصم، الشيباني، طبعة المكتب الإسلامي، ط١.
- الشريعة، أبو بكر الآجري، طبعة دار الوطن، ط٢.
- الصواعق المرسلة الشهابية، سليمان بن سمحان، طبعة دار العاصمة.
- تعظيم قدر الصلاة، محمد بن نصر المرزوي، طبعة مكتبة الدار، ط١.
- تيسير العزيز الحميد، سليمان بن محمد بن عبد الوهاب، طبعة المكتب الإسلامي.
- حكم الجاهلية، أحمد شاكر، طبعة مكتبة السنة.
- خلق أفعال العباد، محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة دار المعارف.
- سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين والأتراك، حمد بن عتيق، طبعة مكتبة الهمة، ط١.
- شرح أصول الاعتقاد، اللالكائي، طبعة دار طيبة.
- شعب الإيمان، أبو بكر البيهقي، طبعة مكتبة الرشد.
- الصواعق المحرقة، ابن حجر الهيتمي، مؤسسة الرسالة، ط١.
- المقاصد شرح نونية ابن القيم، أحمد بن عيسى، طبعة المكتب الإسلامي، ط٣.

ب- الفرق:

- أصول مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية، ناصر القفاري، طبعة دار الرضا، ط٢.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم، طبعة مكتبة الخانجي.
- المناظرة بين أهل السنة والرافضة، أبو المحاسن الواسطي، [مخطوطة].
- تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، ابن عساكر، طبعة دار الكتاب العربي، ط٣.

- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، شمس الدين الذهبي، تحقيق محب الدين الخطيب.
- مع الاثني عشرية في الأصول والفروع، علي السالوس، دار الفضيلة، ط٧.

الفقه:

أ- أصول وقواعد الفقه:

- الإحكام في أصول الأحكام، ابن حزم، طبعة دار الآفاق.
- الفقيه والمتفقه، الخطيب البغدادي، طبعة دار ابن الجوزي.
- الموافقات، الشاطبي، طبعة دار ابن عفان.
- أنوار البروق في أنواء الفروق، القرافي، طبعة دار عالم الكتب.
- جامع بيان العلم، ابن عبد البر، طبعة ابن الجوزي.
- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، العز بن عبد السلام، طبعة مكتبة الكليات الأزهرية.
- مذكرة أصول الفقه، محمد بن أمين الشنقيطي، طبعة دار عطاءات العلم.

ب- عام:

- الأذكار، أبو زكريا النووي، طبعة دار الفكر.
- السير، أبو إسحاق الفزاري، مؤسسة الرسالة.
- السيل الجرار، الشوكاني، طبعة دار ابن حزم.
- العمدة في إعداد العدة، عبد العزيز بن عبد القادر.
- المحلى، ابن حزم، طبعة دار الكتب العلمية.
- فقه الجهاد، أبو عبد الله المهاجر، طبعة مكتبة الهمة، ط٢.
- مشارع الأشواق في مصارع العشاق، ابن النحاس.
- الدرر السنية في أجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد القاسم، ط٦.
- نيل الأوطار، الشوكاني، طبعة ابن الجوزي.

ج- المذهب الحنفي:

- الهداية في شرح بداية المبتدي، المرغيناني، طبعة دار إحياء التراث العربي.
- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، الكساني، طبعة دار الكتب العلمية.
- بداية المهتدي، المرغيناني، طبعة مكتبة محمد علي صبح.

د- المذهب المالكي:

- التمهيد، ابن عبد البر النميري، الطبعة المغربية.
- الشرح الكبير للدردير وحاشية الدسوقي، طبعة دار الفكر.
- متن مختصر الخليل، طبعة دار الحديث.

هـ- المذهب الشافعي:
- الأحكام السلطانية، الماوردي، طبعة دار الحديث.
- روضة الطالبين وعمدة المفتين، أبو زكريا النووي، طبعة المكتب الإسلامي.

و- المذهب الحنبلي:
- الفروع، ابن مفلح الجد، طبعة مؤسسة الرسالة.
- الكافي، ابن قدامة، طبعة دار الكتب.
- المبدع في شرح المقنع، ابن مفلح الحفيد، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.
- مما يذهب إليه الإمام أحمد، رزق الله التميمي (ابن عبد القوي)، مخطوطة.

مصنفات ابن تيمية:
- اقتضاء الصراط المستقيم، طبعة دار عالم الكتب.
- الاستقامة، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.
- الإيمان، طبعة المكتب الإسلامي، ط٥.
- الصارم المسلول على شاتم الرسول، المكتبة الشاملة.
- العبودية، طبعة المكتب الإسلامي.
- العَقود الدرية في مناقب ابن تيمية، ابن عبد الهادي، طبعة عطاءات العلم.
- الفتاوى الكبرى، طبعة دار الكتب العلمية.
- جامع المسائل، طبعة عطاءات العلم.
- مجموع الفتاوى، جمع عبد الرحمن القاسم.
- منهاج السنة النبوية، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود.

مصنفات ابن قيم الجوزية، طبعة عطاءات العلم.
- أعلام الموقعين.
- إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان.
- الطرق الحكمية في السياسية الشرعية

- الفوائد.
- الوابل الصيب.
- بدائع الفوائد.
- تهذيب سنن أبي داود.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح.
- زاد المعاد في هدي خير العباد.
- مدارج السالكين.
- نونية ابن القيم (الكافية الشافية).

الرقائق والمواعظ:

- إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، طبعة دار المنهاج، ط١.
- أدب الدين والدنيا، أبو الحسن الماوردي، دار مكتبة الحياة.
- الزواجر عن اقتراف الكبائر، ابن حجر الهيتمي، طبعة دار الفكر.
- المدهِش، ابن الجوزَيّ، دار الكتب العلمية، ط٢.
- حجة الله البالغة، الدهلوي، طبعة دار الجيل.
- ذم الكلام وأهله، أبو إسماعيل الهروي، طبعة مكتبة الغرباء الأثرية.
- صفوة الصفوة، ابن الجوزي، طبعة دار الحديث.
- صيد الخاطر، ابن الجوزي، دار القلم.
- التبصرة، ابن الجوزي، طبعة دار الكتب العلمية.
- علو الهمة، محمد إسماعيل المقدم، طبعة دار القمة.
- قوت القلوب، أبو طالب المكي، طبعة دار الكتب العلمية.
- فضائل البيت المقدس، الواسطي، طبعة مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية.
- فضائل بيت المقدس، ابن الجوزي، طبعة مكتبة الآفاق.
- لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، ابن رجب الحنبلي، طبعة دار ابن حزم.
- لواقح الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، الشعراني، طبعة دار القلم العربي.

التاريخ والسير:

أ- السيرة النبوية

- أسماء رسول الله ﷺ ومعانيها، ابن فارس، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق.
- أعلام النبوة، الماوردي، طبعة دار هلال.

- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله ﷺ والثلاثة الخلفاء، أبو الربيع الكلاعي، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.
- السيرة النبوية، ابن هشام، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم السهيلي، طبعة دار إحياء التراث العربي، ط١.
- إمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، تقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية، ط١.
- دلائل النبوة، أبو نعيم الأصفهاني، طبعة دار النفائس.
- دلائل النبوة، أبو بكر البيهقي، طبعة دار الكتب العلمية.
- فتوح الإسلام، أبو إسماعيل الأزدي، طبعة بتست مشن عام ١٨٥٣م.
- مختصر السيرة النبوية، محمد بن عبد الوهاب، طبعة مكتبة الهمة، ط١.
- مغازي الواقدي، محمد بن عمر الواقدي، طبعة دار الأعلمي.
- وفاء الوفاء بأخبار المصطفى، السمهودي، طبعة دار الكتب العلمية.

ب- تاريخ:

- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، المقريزي، طبعة لجنة إحياء التراث الإسلامي.
- أسود من التاريخ، سيد بن حسين العفاني، درس صوتي قام بتفريغه موقع الشبكة الإسلامية.
- الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، طبعة دار الكتب العلمية.
- البداية والنهاية، ابن كثير، طبعة دار هجر.
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، ابن الأثير، دار الكتب الحديثة في القاهرة.
- التاريخ الكبير، محمد بن إسماعيل البخاري، طبعة الناشر المتميز للطباعة والنشر والتوزيع، ط١.
- الدرر والمفاخر في أخبار العرب الأواخر، محمد البسام، طبعة المكتبة الشاملة.
- الروضتين في أخبار الدولتين، أبو شامة المقدسي، طبعة مؤسسة الرسالة.
- العلاقات بين جنوة والشرق الأدنى الإسلامي، مصطفى الكناني، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، طبعة دار الكتاب العربي.
- المعرفة والتاريخ، يعقوب الفسوي، طبعة مطبعة الإرشاد.
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي، طبعة دار الكتب العلمية.
- النجوم الزاهرة، ابن تغري ديري، طبعة دار الكتب.
- بغية الطلب في تاريخ حلب، كمال الدين ابن العديم، طبعة مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط١.
- تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، طبعة دار الغرب الإسلامية، ط١.
- تاريخ طبق الحلوى وصحافة المن والسلوى، الوزير الصنعاني، طبعة دار المسيرة.
- تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر الطبري، طبعة دار المعارف، ط٢.

- تاريخ الإسلام، شمس الدين الذهبي، طبعة دار الغرب الإسلامي، ط١.
- تاريخ دمشق، ابن عساكر، طبعة دار الفكر للطباعة.
- حركة الحشاشين، محمد الخشت، طبعة مكتبة ابن سينا.
- دراسات في تاريخ الأردن وفلسطين، يوسف غوانمة، دار الفكر للنشر.
- عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، إبراهيم البغدادي، طبعة دار الحكمة.
- قصص من التاريخ، علي الطنطاوي، طبعة دار المنارة، ط١٠.
- مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي، طبعة دار الكتب العلمية.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ابن واصل، طبعة دار الكتب والوثائق القومية.
- معجم البلدان، ياقوت الحلبي، طبعة دار صادر، ط٢.

ج- التراجم والطبقات:
- الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء، ابن عبد البر النمري، طبعة دار الكتب العلمية.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، القاضي عياض اليحصبي، طبعة مطبعة فضالة، ط١.
- ذيل طبقات الحنابلة، ابن رجب، مكتبة العبيكان.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، طبعة الرسالة.
- طبقات الحنابلة، ابن أبي يعلى، طبعة دار المعرفة.
- مناقب الإمام أحمد، ابن الجوزي، طبعة دار هجر، ط٢.
- وفيات الأعيان، ابن خلكان، طبعة دار صادر.

د- الأنساب
- الأنساب، السمعاني، طبعة مجلس دائرة المعارفة العثمانية (الطبعة الهندية).
- الأنساب، أبو المنذر الصحاري، طبعة المكتبة الشاملة.
- أنساب الأشراف، البلاذري، طبعة دار الفكر.

اللغة العربية:

أ- الأدب العربي
- إنبَاه الرواة على أنباه النحَاة، القفطي، طبعة دار الفكر العربي.
- أُنس المسجون وراحة المَحزون، صفي الدين الحلبي، طبعة دار صادر، ط١.
- أخبار الزجاجي، أبو القاسم الزجاجي، طبعة المكتبة الشاملة.
- الأصمعيات، الأصمعي، طبعة دار المعارف.

- الأعمال الشعرية الكاملة، زكي قنصل، طبعة عبد المقصود خوجة.
- الأعمال الكاملة لمحمود غنيم، طبعة دار الغد العربي.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، طبعة دار الفكر، ط٢.
- الأمالي، أبو علي القالي، طبعة دار الكتب، ط٢.
- البصائر والذخائر، أبو حيان التوحيدي، طبعة دار صادر، ط١.
- الدر الفريد، وبيت القصيد، محمد بن أيدمر، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.
- الزهرة، ابن داود الظاهري، طبعة مكتبة المنار.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، طبعة دار الحديث.
- الكامل، المبرد، طبعة دار الفكر العربي.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، طبعة دار إحياء التراث.
- الروض المعطار في خبر الأقطار، ابن عبد المنعم الحميري، طبعة دار السراج، ط٢.
- المستطرف في كل فن مستظرف، الأبشيهي، طبعة عالم الكتب.
- بهجة المجالس وأنس المجالس، ابن عبد البر، طبعة المكتبة الشاملة.
- جمهرة أشعار العرب، أبو زيد القرشي، طبعة نهضة مصر.
- حسن التنبه لما ورد في التشبه، نجم الدين الغزي، طبعة دار النوادر.
- خريدة القصر وجريدة العَصر، العَماد الأصبهاني، الدار التونسية للنشر.
- عيون الأخبار، ابن قتيبة، طبعة دار الكتب العلمية.
- همسات للسراة، علي القرني (تفريغ موقع الألوكة).
- لسان العرب، ابن منظور، طبعة دار صادر.
- مجمع الأمثال، أبو الفضل الميداني، طبعة دار المعرفة.
- منتهى الطلب من أشعار العرب، ابن ميمون، طبعة دار صادر.
- ملحمة الغرباء، عدنان علي النحوي، طبعة دار النحوي، ط٢.
- سلافة العصر في محاسن الشعراء بكل مصر، ابن معصوم الحسني، طبعة المكتبة الشاملة.
- يتيمة الدهر، أبو منصور الثعالبي، طبعة دار الكتب العلمية، ط١.

ب- دواوين:

- ديوان أبي فارس الحمداني، طبعة دار الكتاب العربي.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي، جمع أبي سعيد السكري، طبعة دار هلال.
- ديوان أبي تمام الطائي، طبعة نظارة المعارف العمومية.

- ديوان شوقيات، أحمد شوقي، طبعة هنداوي.
- ديوان الشافعي، طبعة دار الأرقم.
- ديوان العباس بن الأحنف، طبعة دار الكتب المصرية.
- ديوان الكميت، طبعة دار صادر.
- ديوان المتنبي، تحقيق عبد الوهاب عزام.
- ديوان المسكين الدارمي، طبعة دار صادر.
- ديوان المتلمس الضبعي، طبعة معهد المخطوطات العربية.
- ديوان الإمام علي، طبعة دار ابن زيدون.
- ديوان الطرماح، طبعة دار الشرق، ط الثانية.
- ديوان شوقي، توثيق وتبويب وشرح وتعقيب، طبعة نهضة مصر.
- ديوان عبيد بن الأبرص، طبعة دار الكتاب العربي، ط١.
- ديوان لبيد بن ربيعة، طبعة دار المعرفة.
- ديوان يا أمة الإسلام، عبد الرحمن العشماوي، طبعة مكتبة العبيكان.
- شعر أبي عيينة، جمع وتحقيق ودراسة صلاح مهدي القرطوسي، رسالة ماجستير.

ج- قصائد:

- الجيل المتطرف، عبد الرحمن العشماوي.
- الطريق إلى القدس، يوسف أبو هلالة.
- الليل ولى ولن يعود، محمد إقبال.
- المقامة النبوية، عائض القرني.
- المؤنسة، قيس بن الملوح.
- أنا عالمي، هاشم الرفاعي.
- أنا مع أسامة، محمد بن سعيد الجميلي.
- جدد العهد، عبد الحكيم بن عابدين.
- رثاء الأندلس، أبو البقاء الرندي.
- فلسطين، علي الجارم.
- لبنان مل، رشيد الخوري القروي.
- مررت على المروءة، عبد المهدي الأعرجي.
- يا أرض أندلس الحبيبة، عبد الله بن محمد الشهري.

- يا رافعي علم الجهاد، أحمد بن محرم.
- يا وحشة الثأر، بدوي الجبال.

عام:

- أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين، يوسف بن إبراهيم بن عيد، طبعة دار المعالي.
- الكلمة الصوتية: إلى أهل العراق خاصة والمسلمين عام، أسامة بن لادن، شعبان ١٤٢٤هـ.
- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، مصطفى السباعي، طبعة دار الوراق.
- العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، طبعة طار الكتب العلمية.
- إيران، حسن بن جوهر، ومحمد أبو الليل، طبعة دار المعارف.
- شخصية الدولة الفاطمية في الحركة الصليبية، سعيد بن عاشور، دون طبعة.
- فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الأولى.
- مجلة السنة.
- مجلة المنار.
- كشف غياهب الجهالات، الألوسي، (مخطوطة).
- مفتاح السعادة، طاش كبري زاده، طبعة دار الكتبة العلمية.
- مقالة ٦٧ من سلسلة مقالات بين منهجين، أبو قتادة الفلسطيني.
- معالم في الطريق، سيد قطب، طبعة دار الشروق.
- وامحمداه إن شانئك هو الأبتر، حسين بن سيد عفاني، طبعة دار العفاني، ط١.
- لله ثم للتاريخ، حسين الموسوي، طبعة دار الأمل.
- وجاء دور المجوس، محمد بن سرور (عبد الله الغريب)، طبعة مكتبة الرضوان، ط١.

مترجم:

أ- كتب:

- أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، وليم الصوري، ترجمة حسن حبشي، طبعة دار الفكر العربي.
- أعمدة الحكمة السبعة، لورانس العرب، طبعة منشورات المكتب التجاري للطباعة.
- الحرب الأهلية الثانية، توماس شيتوم، طبعة ١٩٩٦م (إنجليزية).
- إيران في الحضارة، سليم واكيم، طبعة مطابع دار الكتب، طبعة ١٩٧١م.
- تاريخ الحملات الصليبية، ستيفين رانسيمان، طبعة الهيئة المصرية، ط٢.
- تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، طبعة دار العلم للملايين، ط٥.
- مجموع مختارة من خطابات جورج دبيلو بوش، أرشيف البيت الأبيض، (إنجليزي).

- مذكرات آرييل شارون، طبعة مكتبة بيسان، ط١.
- وجهة الإسلام نظرة في الحركات الحديثة في العالم الإسلامي، جب وماسينيون وفرار، ترجمة محمد أبي مريدة.
- تقرير الأمم المتحدة جزء ١٤، رقم ٢، في فبراير ٢٠٠٢م، CLOSED DOOR POLICY: Afghan Refugees in Pakistan and Iran.

ب- مقالات:

- مقال في صحيفة لو كانار الفرنسية، مايو ٢٠٠٣.
- مقالة (حل الدول الثلاث)، ليزلي غيلب، نيويورك تايمز، ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٣.
- مقالة (انطلاق الحَازِم الإنجيلي التبشيري لإنقاذ النفوس في العراق)، ديڤيد ريني، الديلي تلغراف البريطانية، ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٣.
- مقالة (بعد عامين، حرب العراق تستنزف الجيش الأمريكي)، آن سكوت تايسون، الواشنطون بوست، ١٩ أبريل ٢٠٠٥.
- مقالة (جائزة نوبل للسيستاني)، توماس فريدمان، نيويورك تايمز، ١٩ مارس ٢٠٠٥.

أخبار

أ- مترجمة:

- مجازر جنوب لبنان، الصندي تايمز، ٣ يونيو ١٩٨٥م.
- إيران تحذر أمريكا من تخطي حدودها الجوية، موقع سي إن إن الإنجليزي، ١ أكتوبر ٢٠٠١م.
- محادثة أمريكا السرية مع إيران، الجزيرة الإنجليزية، ١٣ مايو ٢٠٠٣م.
- حديث كولن باول إلى لجنة العلاقات الإسرائيلية الأمريكية، الجاردين البريطانية، ٣١ مارس ٢٠٠٣.

ب- عربية:

- طائرات الشحن الإيراني، جريدة النهار، ٣٠ أكتوبر ١٩٨٣م.
- صحيفة الوطن، عدد ٣٦٨٨، ٢٧ مايو ١٩٨٥م.
- قول إيهود بارك، وكالة الأنباء ؟؟، ٦ يونيو ١٩٨٥م.
- قول إبراهيم الأمين، جريدة النهار، ٥ مارس ١٩٨٧م.
- حزّب الله من الداخل، أسرار وخفايا، زَين محمود، مجلة الشراع، في ١٤ أوغسطس ١٩٩٥م.
- مجلة المجلة، العدد: ١٠١٣، في يوليو ١٩٩٩م.
- خطبة رفسنجاني، جريدة الشرق الأوسط، ٩ فبراير ٢٠٠٢م.

برامج:

- بلا حدود: إيران والحرب الأميريكية ضد أفغانستان، قناة الجزيرة، في٤ يونيو ٢٠٠٤م
- زَيارة خاصة: صبحي الطفيلي، حزب الله اليوم والأمس (ج ١)، الجزيرة نت.

مراجع الرافضة:

- أصول الكافي، الكليني، دار الكتب الإسلامية.
- إعلام الورى بأعلام الهدى، أبو منصور الطبرسي، طبعة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- أعيان الشيعة، محسن الأمين، طبعة دار المعارف للمطبوعات.
- الاحتجاج، أبو منصور الطبرسي، طبعة منشورات الرضى.
- الاستبصار، الطوسي، طبعة دار صعب.
- الأنوار النعمانية، نعمة الله الجزائري، دار القاري.
- الرسالة المفتوحة إلى المستضعفين في لبنان والعالم (البيان التأسيسي للحزب)، إبراهيم أمين السيد، ١٦ فبراير ١٩٨٥م.
- الفصول المهمة في أصول الأئمة، الحر العاملي، طبعة محمد القائيني.
- الكافي، الكليني، طبعة دار الحديث.
- النصب والنواصب، محسن المعلم، طبعة دار الهادي.
- بحار الأنوار، المجلسي، طبعة دار إحياء التراث العربي.
- تحرير الوسيلة، الخميني، طبعة سفارة إيران في دمشق.
- تهذيب الأحكام، الطوسي ، طبعة الكتب الإسلامية.
- عيون أخبار الرضا، ابن بابويه القمي، طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.
- ما لا يحضره الفقيه، ابن بابويه القمي ، طبعة مؤسسة الأثر الإسلامي.
- وسائل الشيعة، الحر العاملي، طبعة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث.

لا تَنْسوا إخْوَانَكُم مِن الدُعَاء





فالتاريخ يعيد نفسه، ومنطق الأحداث عبر العصور لا يتغير؛ تتغير الأشخاص، ويتبدل اللاعبون، وتتطور الآلات، ولكن مسرح الأحداث ثابت، وقصة الصراع واحدة؛ حق يصارع باطلًا، وإسلام يحارب كفرًا وجاهلية ونفاقًا يتدسس، وضعفاء خورة يُمسكون العصا من الوسط؛ ينتسبون إلى أمتهم، ولكنهم يؤثرون دنياهم، وينتظرون سكون العجاج وانتهاء المعركة؛ لينحازوا إلى القوي، ويركبوا سفن الغالب، وبئس ما صنعوا!

وحدهم الربانيون يحملون الراية في زمن الانكسار، ويرفعون الجباه في زمن الاستخزاء، وتبحر هممهم عبر الأثير مسافرة إلى الخبير البصير، مقتدية بالبشير النذير صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، غرباء تلفح وجوههم رياح الوحشة، وتدمى أقدامهم الحافية في صحراء ملتهبة بنار العداوات، تُغلق دونهم الأبواب؛ فيستطرقون باب السماء؛ فيُفتح لهم من روح الجِنان ما يحيا به الجَنان، خالطتهم بشاشة الإيمان؛ فلا يرتد أحد منهم سخطة لدينه، ولو رمته الدُّنيا عن قوس واحدة.